



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسنادی

کتابخانه ملی و اسنادی



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كتاب الأُغني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

(٣٥٦ هـ)

كتابخانه

مركز تحقيقات كتابي و تری علوم اسلامی

شماره ثبت: ۰۰۴۶۳۳

تاریخ ثبت:

اعداد

مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي



مركز تحقيقات كتابي و تری علوم اسلامی

الجزء التاسع

طبعة كاملة و جديدة ، مصححة ، ملونة
محققة على تسع مخطوطات و مزينة بفهارس شاملة

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان



جميع الحقوق محفوظة
والرأى للتراث العربي

طبعة جديدة مصححة
الطبعة الأولى

١٩٩٤ م / ١٤١٥ هـ

[٣/٩]
٢٧
٨

**بسم الله الرحمن الرحيم /
الجزء التاسع
من كتاب الأغاني
ذكر أخبار كثير ونسبه**

نسبه:

هو، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، أبو صخر كثير بن عبدالرحمن بن الأسود بن عامر بن حويمر بن مخلد^(١) بن سعيد بن سبيع^(٢) بن جعثمة بن سعد بن مثنح بن عمرو وهو^(٣) خزاعة بن ربيعة وهو يحيى بن حارثة بن عمرو وهو مزيقيا بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف بن أمية القيس البطريق بن ثعلبة البهلول [بن مازن^(٤)] بن الأزد وهو ديزه^(٥) - وقيل ديزاء معدوداً - بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وأخبرنا أبو عبدالرحمن أحمد بن محمد بن إسحاق الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو صخر بن أبي الزعرار الخزاعي عن أمه ليلي بنت كثير قالت: / هو كثير بن عبدالرحمن بن الأسود بن عامر بن مخلد بن [٤/٩] سبيع بن سعد بن مثنح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وأمهم جعثة بنت الأشيم بن خالد بن عبيد بن مبشر بن رياح بن سيالة بن عامر بن جعثة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وكانت كنية الأشيم جدّه أبي أمه أبا جعثة، ولذلك قيل له ابن أبي جعثة.

وكان له ابن يقال له ثواب من أشعر أهل زمانه، مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له.

ومات كثير سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبدالملك. وليس له اليوم ولد إلا من بنته ليلي. ولليلي بنته ابن يكنى أبا سلمة شاعر، وهو الذي يقول:

صوت

وكان عزيزاً أن تبتسي وينتسا حجابٌ فقد أمسيت مئي على شهر
ففي القرب تعذيبٌ وفي النأي حسرةٌ فيا ونح نفسي كيف أصنع بالدهر

(١) كذا في «وفيات الأعيان» لابن خلكان و«تجريد الأغاني»، وسيأتي في النسب الذي يذكره عن ليلي بنت كثير: «... بن عامر بن مخلد بن سبيع...». وفي الأصول هنا: «عويمر بن مخارق بن سعيد...».

(٢) كذا ورد هذا الاسم في الأصول وفي «وفيات الأعيان» و«تجريد الأغاني» و«السيرة» لابن هشام في نسب أمية بنت خلف. وقال أبو ذر بن مسعود الخشني في كتابه على السيرة (ج ١ ص ٨٠ طبع مطبعة هدية) صوابه: «سبيع» بالياء المثناة والثاء المشددة.

(٣) في الأصول: «مليح بن عمرو بن خزاعة...» وهو تحريف. (راجع في «القاموس» و«شرح» مادة ملح والنسب الآتي الذي روي عن ليلي ابنته).

(٤) زيادة من «وفيات الأعيان» و«تجريد الأغاني».

(٥) في الأصول: «دري». والتصويب عن «القاموس».

في هذين البيتين غناء لمقاسة. ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر عن حبس.

كنيته وطبقته في الشعراء ونحلته:

ويكنى كثير أبا صخر. وهو من فحول شعراء الإسلام، وجعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والراعي. وكان غالباً في التشيع يذهب مذهب الكيسانية^(١)، ويقول بالرجعة والتناسخ، وكان مُحَقِّقاً مشهوراً بذلك. وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيرون ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محله في أنفسهم وعندهم. وكان من أتية الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد.

[٥/٩] / الحديث عنه وعلى شعره:

أخبرني به^(٢) أحمد بن عبدالعزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني هارون بن عبدالله الزهري قال حدثني سليمان بن فليح قال: سمعت محمد بن عبدالعزيز (يعني ابن عمر بن عبدالرحمن بن عوف) يقول ما قصد القصيد ولا نعت الملوك مثل كثير.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال كتب إلي إسحاق بن إبراهيم الموصلي حدثني إبراهيم بن سعد قال: إني لأروي لكثير ثلاثين قصيدة لو رقي بها / مجنون لأفاق.

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني بعض أصحاب الحديث قال:

كنا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث^(٣) النفس، فنسأله عن شعر كثير فتطيب نفسه ويحدثنا.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي^(٤) عن عبدالله بن أبي عبيدة قال: من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره. قال الزبير قال المؤملي: وكان ابن أبي عبيدة يُملي شعر كثير بثلاثين ديناراً. قال وسئل عمي مصعب: مَنْ أشعر الناس؟ فقال: كثير بن أبي جمعة، وقال: هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامتهم (يعني الشعراء)، ولم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثير.

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازة قال حدثنا محمد بن سلام الجُمحي قال:

/ كان كثير شاعر أهل الحجاز، وهو شاعر فحل، ولكنه منقوص حفظه بالعراق. [٦/٩]

أخبرني أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلام قال سمعت يونس النحوي يقول:

كثير أشعر أهل الإسلام. قال ابن سلام: وسمعت ابن أبي حفصة يُعجبه مذهب في المديح جداً، ويقول: كان يستقصي المديح، وكان فيه مع جودة شعره خطلٌ وعُجب.

(١) الكيسانية: فرقة من الشيعة الإمامية، وهم أصحاب كيسان مولى علي بن أبي طالب. (انظر الحاشية رقم ٣ في ج ٧ ص ٢٣١ من هذه الطبعة).

(٢) وردت هذه الكلمة «به» في جميع الأصول.

(٣) المراد بخبيث النفس: غثيانها.

(٤) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «الموصلي». (انظر الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة، و«المشبه» ص ٣٠٠ طبع أوروبا).

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري قال أخبرني إبراهيم بن إبراهيم بن حسين بن زيد قال:

سمعت المشور بن عبد الملك يقول: ما ضرَّ مَنْ يروي شعرَ كثيرٍ وجميلٍ ألا تكون عنده مغنيتان مُطربتان.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبدالعزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الواقصي قال:

رايت كثيراً يطوف بالبيت، فمنَّ حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبته؛ وكان إذا دخل على عبدالعزيز بن مروان يقول: طأطأ رأسك لا يصبه السقف.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني، وعن ابن حبيب عن أبيه عن جدِّه عن جدِّ أبيه عبدالعزيز وأُثمه جمعة بنت كثير قال:

قال [جرير^(١)] لكثير: أي رجل أنت لولا دمايتك! فقال كثير:

إن أك قصداً^(٢) في الرجال فإنتي إذا حل أمرٌ ساحتني لطويل

[٧/٩]

/ ما كان بينه وبين الحزين الديلي:

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبدالعزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الواقصي قال، وأخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الذيليين قال:

التقى كثير والحزين^(٣) الديلي بالمدينة في دار ابن أزر في سوق الغنم، فضمتها المجلس. فقال كثير للحزين: ما أنت شاعرٌ يا حزين، إنما توصل الشيء إلى الشيء. فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوكم؟ قال نعم. وكان كثير قال قبل ذلك وهو يتسب إلى بني الصلت^(٤) بن النضر بن كنانة:

أليس أبي بالنضرٍ أو ليس إختوتي بكلِّ هجانٍ من بني الصلت أزهراً

فإن لم تكونوا من بني الصلت فاتركوا أراكاً بأذيال الخمائل^(٥) أخضرا

قال: فلما أذن كثير للحزين أن يهجوهم قال الحزين:

/ لقد علقت زُبَّ الدُّبابِ كثيراً أساود^(٦) لا يُظنِّيه وأراقمُ

٢٩
٨

(١) التكملة من «تجريد الألفاني»:

(٢) في الأصول: «قصيراً» والتصويب عن «تجريد الألفاني». والقصد: الربعة من الرجال.

(٣) اسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك، والحزين لقبه، من شعراء الدولة الأموية، حجازي مطبوع ليس من فحول طبقته. وكان هجاء خبيث اللسان ساقطاً يرغبه اليسير ويتكسب بالشعر وهجاء الناس. (انظر ترجمته في ج ١٤ ص ٧٦ من «الألفاني» طبع بولاق).

(٤) الصلت بن النضر: أبو خزاعة.

(٥) كذا في نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلسه. وانخميلة: المنهبط الغامض من الرمل، وهي مكرومة للنبات. وفي الأصول: «الخمائل» بالحاء المهملة.

(٦) الأساود: الحيات. ولا يظنِّيه: لا ييقن عليه؛ يقال: رماه الله بأفعى لا تظنُّ أي لا يفلت لديفها. والأرقم: أحببت الحيات وأطلبها للناس.

قصيرُ القميصِ فاحشٌ عند بيته يعَضُّ الفُرَادِ بأُسته وهو قائم
وما أنْتُمْ مِنَّا ولكنكم لنا عيْدُ العصا ما أَبْتَلُ في البحرِ عائم
وقد عَلِمَ الأقوامُ أن بني أَسْتِها خُزَاعَةَ أَذْنَابٍ وَأَنَا الْقَوَادِمُ
/ وواللهِ لولا اللهُ ثُمَّ ضِرَابُنَا بأسِافنا دارث عليها المقاسمُ
ولولا بنو بكرٍ لَذَلَّتْ وأهلكث بطعنٍ وأفنتها السيوف الصوارمُ

[٨/٩]

تهدده أبو الطفيل واستوهبه خندف الأسدي:

قال: فقام كثيرٌ فحمل عليه فلكّزه. وكان الحزين طويلاً أَيْدًا. فقال له الحزين. أنت عن هذا أعجز، واحتمله فكان في يده مثل الكرة، فضرب به الأرض، فخلّصه منه الأزهريون. فبلغ ذلك [أبا^(١)] الطفيل عامر بن وائلة وهو بالكوفة، فأقسم لئن ملأ عينه من كثيرٍ ليضربته بالسيف أو ليطعنته بالرمح. وكان خندفُ الأسدي صديقاً لأبي الطفيل، فطلب إلى أبي الطفيل في كثيرٍ وأستوهبه إِيَّاه فوهبه له. والتقى بمكة وجلسا جميعاً مع عمر بن علي بن أبي طالب، فقال: أما والله لولا ما أعطيتُ خندفاً من العهد لوفيت لك. فذلك قول كثيرٍ في قصيدته التي يرثي فيها خندفاً:

ينال رجالاً نفعه وهو منهم بعيدٌ كَعَيُّوقٍ^(٢) الثَّرِيَّا الْمُحَلِّقِ
أنكر على الأحوص ضراعته في الاستجداء:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى وحبيب بن نصر المهلبى قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال:
قال كثيرٌ: في أيّ شعرٍ أعطى هؤلاء الأحوص عشرة آلاف دينار؟ قالوا: في قوله فيهم:

وما كان مالي طارفاً من تجارة وما كان ميراثاً من المال مثلاً
ولكن عطايَا من إمامٍ مُبَارَكٍ مَلَأَ الأرضَ معروفاً وجوداً وشودداً
[٩/٩] / فقال كثيرٌ: إنه لَصُرْعُ قَبْحه الله! ألا قال كما قلتُ:

بصوت

دَعُ عَنْكَ سَلَمَى إِذ فَاتَ مَطْلَبُهَا وَأَذْكُرُ خَلِيلِيكَ^(٣) مِنْ بَنِي الْحَكَمِ
ما أعطيانِي ولا سألْتُهُما إِلَّا وَإِنِّي لِحَاجِزِي كَرَمِي
إِنِّي مَتَى لَا يَكُنْ نَوَالُهُما عِنْدِي مِمَّا قَدْ فَعَلْتُ أَحْتَشِمُ
مُبْدِي الرُّضَا عَنْهُمَا وَمُنْصِرِفٌ عَنْ بَعْضِ مَا لَوْ فَعَلْتُ لَمْ أَلِمُ

(١) التكملة عن ترجمته في «الأغاني» (ج ١٣ ص ١٦٦ طبع بولاق) و«شرح القاموس» (مادة طفل). وهو عامر بن وائلة بن عبدالله بن عمرو بن جابر بن خميس، له صحبة برسول الله ﷺ، وعمر بعده طويلاً، كان مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وروي عنه وكان من وجوه شيعته.

(٢) العيوق: كوكبه أحمر مضيء بحيال الثريا في ناحية الشمال، ويطلع قبل الجوزاء.

(٣) في الأصول: «خليلك» ويعني بهما عبدالملك وعبدالعزيز ابني مروان بن الحكم.

لا أنزُر النَّائل الخليلَ إذا ما أعتلَّ نَزَرَ الظُّورِ لم تَرَم^(١)

عروضه من المُسَرِّح. غنى في هذا الشعر يونس ثانيَ ثَقِيلٍ بالسَّبَابَةِ في مجرى الوسطى عن إسحاق. وغنى فيه الغَرِيضُ ثانيَ ثَقِيلٍ بالبَنَصْرِ على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه. وفيه لحن من الثَّقِيلِ الأوَّل يُنسب إلى مَعْبَد، وليس بصحيح له. قال الزُّبَيْر بن بَكَار في تفسير قوله: «لا أنزُر النَّائل الخليل» يقول: لا أَلَحَّ عليه بالمسألة، يقال: نَزَرْتُهُ أَنْزَرُهُ إذا أَلَحَّحت عليه. والظُّور: المتعطفة على [غير^(٢)] أولادها.

حديثه مع عبد الملك في استقطاعه أرضاً له:

أخبرني الحرَمي قال حَدَّثني الزُّبَيْر قال حَدَّثنا المؤمِّلِي عن أبي عُبَيْدة، وأخبرنا أحمد بن عبدالعزيز وحبيب بن نصر قالَا حَدَّثنا عبدالله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال:

/ دخل كثيرٌ على عبد الملك بن مَرْوان فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ أرضاً لك يقال لها غَرْب^(٣) ربما أتيَتْها ٣٠
وخرجت إليها. بولدي وعيالي فأصبنا من رُطْبِها وتَمَرها بشراء / مرَّةً وطُعْمَة مرَّةً. فإن رأى أمير المؤمنين أن [١٠/٩] يُعَمِّرَنيها^(٤) فعل. فقال له عبد الملك: ذلك لك. فنَدَّمه الناس وقالوا له: أنت شاعرُ الخليفة ولك عنده منزلة، فَهَلَّا سَأَلْتَ الأرضَ قَطِيعَةً! فأتى الوليدَ فقال: إنَّ لي إلى أمير المؤمنين حاجةً فأجْلِسْني قريباً من البرْدُون. فلما أَسْتَوَى عليه عبد الملك قال له: إِيه! وعِلْم أن له إليه حاجةً. فقال كثيرٌ:

جَزَتْكَ الجَوَازِي عن صديقك نَضْرَةً وأدناكَ ربي في الرِّفِيقِ المُقَرَّبِ
فإنَّكَ لا يُعْطَى عليك ظُلَامَةٌ عَدُوٌّ ولا تنأى عن المتقَرَّبِ
وإنَّكَ ما تَمْنَعُ فإنَّكَ مانعٌ بحقٍّ، وما أعطيتَ لم تَعْقِبِ

فقال له: أترغب غريباً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: أكتبوها له، ففعلوا.

هجاء الحزين له في مجلس ابن أبي عتيق:

أخبرني الحرَمي قال حَدَّثني الزُّبَيْر قال حَدَّثنا عمر بن أبي بكر المؤمِّلِي قال حَدَّثني عبدالله بن أبي عُبَيْدة قال:
كان الحزين الكِنَانِي قد ضرب على كل رجل من فريش درهمين في كل شهر، منهم ابنُ أبي عتيق. فجاءه
لأخذ درهميه على حمارٍ له أَعْجَف - قال: وكثيرٌ مع ابن أبي عتيق - فدعا ابنُ أبي عتيق للحزين بدرهمين. فقال
الحزين لابن أبي عتيق: مَنْ هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثيرٌ بن أبي جمعة - قال: وكان قصيراً دميماً - فقال له
الحزين: أتأذن لي أن أهجوه ببيت من شعر؟ قال: لا! لعمرى لا آذن لك أن تهجو جليسي، ولكني أشتري عِرْضَه
منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: لا بدَّ من هجائه بيت. قال: أو أشتري ذلك منك بدرهمين
آخرين، ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه. قال: أو أشتري / ذلك منك بدرهمين. فقال له [١١/٩]

(١) ترم: نحن وتعطف. وأصله «ترام» سهلت الهمزة ثم حذفت لالتقاء الساكنين؛ فإن آخر الفعل ساكن بالجازم وحرك بالكسر للقافية.

(٢) التكملة عن «معجم اللغة».

(٣) غرب: ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بني ميمر. وغرب أيضاً: جبل دون الشام في ديار بني كلب وعنده عين ماء تسمى غربة. هذا ما

ورد في «معجم البلدان» لياقوت. لعله يعني هنا موضعاً آخر.

(٤) يقال: عمر فلان فلاناً كذا إذا جعله له طول عمره.

كثير: إيذن له، ما عسى أن يقول في بيت! فأذن له ابن أبي عتيق. فقال:

قصيرُ القميص فاحشٌ عند بيته يعَضُّ القَرَادُ بِأَسْتِه وهو قائمٌ

قال: فوثب كثير إليه فلكزه، فسقط هو والحمار، وخلص ابن أبي عتيق بينهما، وقال لكثير قبحك الله! أتأذن له وتسفّه عليه! فقال كثير: أو أنا ظننته أن يبلغ بي هذا كله في بيت واحد!

ادّعى أنه قرشي فردّه الشعراء وسبه الكوفيون:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزوه، وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبدالرحمن بن الخضر الخزاعي عن ولد جُمعة بنت كثير أنه وجد في كتب أبيه التي فيها شعر كثير: أن عبدالملك بن مروان قال له: ويحك! إلحق بقومك من خزاعة، فأخبر أنه من كنانة قريش، وأنشد كثير قوله:

ليس أبي بالصِّلَتِ أم ليس إخواني بكل هجانٍ من بني النَّضَرِ أزهرًا

فإن لم تكونوا من بني النَّضَرِ فاتركوا أراك بأذُناب القَوَائِلِ^(١) أخضرًا

أبيتُ التي قد سُمّنتي ونكرتها ولو سُمّنتها قلبي قبيصة^(٢) أنكرًا

لِيسنا ثيابَ العَصَبِ^(٣) فاختلط السدّي بنا وبهم والحَضْرَميّ المَخَصْرَا

[١٢/٩] / فقال له عبدالملك: لا بُدَّ أن تُنشد هذا الشعر على منبري الكوفة والبصرة، وحمله وكتب / به إلى^(٤) العراق في أمره. قال عمر بن شبة في خبره خاصة: فأجابته خزاعة الحجاز إلى ذلك. وقال فيه الأحوص - ويقال: بل قاله سُرّاقة البارقي -:

لَعَنَرِي لَقَدْ جَاءَ الْعِرَاقَ كَثِيرٌ بأحدوثٍ من وَحْيِهِ الْمُتَكَذَّبِ

أبزعُمُ أَنِّي مِنْ كِنَانَةٍ أَوْلَى وَمَا لِي مِنْ أُمِّ هَنَّاكَ وَلَا أَبِ

فإن كنت حُرّاً أو تخاف مَعَرَّةً فخذ ما أخذت من أميرِكَ وأذهبِ

فقال كثير يجيبه - وفي خبر الزبير: قال هذا لأبي علقمة الخزاعي -:

أيا خَبَسْتُ أَكْرِمَ كِنَانَةَ إِنْهُمْ مَوَالِيكَ إِنْ أَمَرُ سَمَا بِكَ مَعْلَقِ

- وفي رواية الزبير: «أبا علقم».

(١) تقدمت فيه رواية أخرى: «بأذيال الخمائل». (راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧ من هذه الترجمة).

(٢) هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الكعبي أبو سعيد وأبو إسحاق، ولد في حياة النبي ﷺ. وتوفي سنة ٨٦ (عن «شرح القاموس» مادة قبص).

(٣) كذا في كتاب «السيرة» لابن هشام (ج ١ ص ٦١ طبع أوروبا) و«الروض الأنف» للسهيلى. والعصب: برود يمنية يعصب غزلها (أي يجمع ويشد) ثم يصبغ وينسج فيأتي موشياً لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ. قال السهيلى في كتابه «الروض الأنف» في معنى هذا البيت: «يريد أن قدودنا من قدودهم، فسدي أثوابنا مختلط بسدي أثوابهم. والحضرمي: النعال المخصرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين».

(٤) وردت هذه العبارة في ج: «وكتب في أمره». وفي سائر الأصول: «وكتب به إلى العراق في أمره».

بنو النَّضْرِ تَرْمِي من ورائك بالحصى
يُقِيدونَكَ المَالَ الكثير ولم تَجْذُ
إذا رَكِبُوا ثَارثَ عَلَيْكَ عَجَاجَةً

فأجابه الأخوص بقوله:

دَعِ القَوْمَ مَا حَلُّوا بِيَطْنِ قُرَاضِمٍ^(٢)
فإنَّكَ لو قَارَبْتَ أو قَلْتَ شُبُهَةً
عَذْرَنَاكَ أو قُلْنَا صَدَقْتَ وإنَّمَا
سَتَابَنِي بنو عمرو عليك ويتمي
فإنَّكَ لا عمراً أبَاكَ حَفِظْتَهُ
/ ولم تُذِرْكَ القَوْمَ الذين طلبتهم
بِحِذْمَةٍ^(٥) ساقٍ ليس منه لِحَاوْهَا^(٦)
فأصبحت كالمُهْرِيقي فضلة مائه

وحيث تَفَشَّى^(٣) بِيضُهُ المتفلق
لذي الحق فيها والمخاصم مغلَق
يُصَدِّقُ بالأقوال من كان يصدُق
لهم حسبٌ في حِذْمٍ^(٤) غَسَانٌ مُغْرِقُ
ولا النَّضْرَ إن ضَيَّعْتَ شيخَكَ تَلَحَّقُ
فكنت كما كان السَّقَاءُ المعلق
ولم يَكُ عنها قلبُهُ يتعلَق
لبَادِي سَرَابٍ بِالمَلَأِ^(٧) يترقرقُ

[١٣/٩]

قال: فخرج كثير فأتى الكوفة، فرمى به إلى مسجد بارقي. فقالوا له: أنت من أهل الحجاز؟ قال نعم. قالوا: فأخبرنا عن رجل شاعر ولد زناً يدعى كثيراً. قال سبحان الله! أنا نسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان! قالوا: هو ما قاله لنفسه. فأنسل منهم وجاء إلى والي الكوفة حسان بن كيسان، فطيره على البريد. وقال عمر بن شبة في خبره: إن سُرَاقَةَ البارقي هو المُخَاطَبُ له بهذه الشتيمة وإنه عرفه وقال له: إن قلت هذا على المنبر قتلتك فخطان وأنا أولهم، فأنصرف إلى منزله ولم يعد إلى عبد الملك.

نبذة عن سرقة البارقي وقصته مع المختار حين أسر:

وكان سُرَاقَةُ هذا شاعراً ظريفاً. فأخبرني عمي قال حدثني الكُرَاني عن النَّضْرِ بن عمر^(٨) عن الهيثم بن عدي عن الأعمش عن إبراهيم قال: كان سُرَاقَةُ البارقي من ظُرَفَاءِ أهل العراق، فأسرَه المختار يومَ جَبَانَةٍ^(٩) السَّبِيح، وكانت للمختار فيها وقعة

(١) الأولق: الجنون.

(٢) قراضم: موضع بالمدينة.

(٣) كذا في «معجم ياقوت» في الكلام على قراضم. وفي الأصول: «تفشى» بالغين المعجمة.

(٤) الجذم: الأصل.

(٥) كذا في جـ: والجذمة: القطعة. وفي سائر الأصول: «بخدمه ساق». ويتعلق: لعل صوابه «يتفلق». أي ولم يكن قلبه منشقاً عنها.

(٦) اللحاء: قشر الشجرة.

(٧) الملا: الصحراء.

(٨) في حـ هنا: «عمرو».

(٩) جبانة السبيع: محلة بالكوفة مضافة إلى السبيع وهي قبيلة؛ وكانت وقعة المختار بن أبي عبيد الثقفي بها حين خرج للثأر من قتلة الحسن بن علي بن أبي طالب. الطبري (ق ٢ ج ٢).

مُنْكَرَةً، فجاء به الذي أسره إلى المختار فقال له: إني أسرتُ هذا. فقال له سُرَاقَةٌ: كَذَبَ! ما هو الذي أسرنِي، إنما أسرنِي غلامٌ أسود على بِرْدُونٍ أَبْلَقَ عليه ثيابٌ خضراءُ، ما أراه في عسكرِكَ الآن، وسَلَمْنِي إليه. فقال المختار: أَمَا إِنَّ الرَّجُلَ قَدْ عَاينَ / الملائكةَ! خَلُّوا سَبِيلَهُ فَخَلُّوه، فَهَرَبَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

[١٤/٩] / أَلَا أِبْلَغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنِّي رَأَيْتُ الْبُلُقَ دُفْمًا مُضَعَّمَاتٍ^(١)
أُرِي عَيْنِي مَا لَمْ تُبْصِرَاهُ كِلَانَا عَالَمٌ بِالْأَثَرَاهَاتِ
كَفَرْتُ بِدِينِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا عَلَيَّ قِتَالَكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ

كان يرى أن ابن الحنفية لم يمت وكان ذلك رأي السيد:

أخبرنا الحرَمِيَّ قال أخبرنا الزُّبَيْرُ قال أخبرنا عمرو^(٢) ومحمد بن الضَّحَّاكِ قالا: كان كثيرٌ يتشيعُ تشيعاً قبيحاً، يزعم أن محمد بن الحنفية لم يمت. قال: وكان ذلك رأي السيد، وقد قال فيه (يعني السيد) شعراً كثيراً، منه:

أَلَا قُلْ لِلْوَصِيِّ فَدَثُكَ نَفْسِي أَطْلَعْتُ بِذَلِكَ الْجَبَلِ الْمُقَامَا
أَضْرَ بِمَغْشَرٍ وَالْوَكَّ مَتَا وَسَمَّوكَ الْخَلِيفَةَ وَالْإِمَامَا
وَعَادُوا فِيكَ أَهْلَ الْأَرْضِ طُرًّا مُقَامُّكَ عَنْهُمْ سَتَيْنَ عَامَا
وَمَا ذَاقَ ابْنُ خَوْلَةَ^(٣) طَعْمَ مَوْتٍ وَلَا وَارِثَ لَهُ أَرْضَ عِظَامَا
لَقَدْ أَزْفَى بِمُورِقِ شَغَبٍ رَضْوَى تُرَاجِعُهُ الْمَلَائِكَةُ الْكَلَامَا
وَأَنَّ لَهُ بِهِ لَمَقِيلَ صَدِيقٍ وَأَنْدِيَّةَ تَحْدُثُهُ كِرَامَا
هَدَانَا اللَّهُ إِذْ جُرْتُمْ لِأَمْرِ بِهِ وَلَدِيهِ نَلْتَمِسُ التَّمَامَا
تَمَامَ مَوَدَّةِ الْمَهْدِيِّ حَتَّى تَسْرُوا رَايَاتِنَا تَتَرَى نِظَامَا

وقال كثيرٌ في ذلك:

أَلَا إِنَّ الْأَثْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَلاَةَ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ مِثْوَاءُ
عَلَيٍّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ هُمُ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ
فَسَبْطٌ سَبْطُ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ وَسَبْطٌ غَيْثُهُ كَرَزَلَاءُ
/ وَسَبْطٌ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ حَتَّى يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا^(٤) اللَّسْوَاءُ
تَغِيَّبُ لَا يُرَى عَنْهُمْ زَمَانَا بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ

[١٥/٩]

(١) كذا في الطبري (ق ٢ ص ٦٦٥) وبه يستقيم الروي. وفي الأصول «... عني أن البلق دهم مصمات». ومصمت: لا يخالط لونه لون آخر. أي أن دهمتها خالصة لا يشوبها لون آخر.

(٢) في حد: «عمر».

(٣) خولة: اسم أم محمد بن الحنفية.

(٤) كذا فيما تقدم (ج ٧ ص ٢٧٦ من هذه الطبعة). وفي الأصول هنا: «يتبعها».

شعره في ابن الحنفية حين سجنه ابن الزبير في سجن عارم:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد عن المَدَانِي عن أبي بكر الهذلي قال:

كان عبدالله بن الزبير قد أغري بني هاشم يتبعهم بكل مكروه ويُغري بهم ويخطب بهم على المنابر ويصرح ويعرض بذكرهم. فربما عارضه ابن عباس وغيره منهم. ثم بدا له فيهم فحبس ابن الحنفية في سجن عارم^(١)، ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بني هاشم، فجعلهم في مخبئ وملاء حطباً وأضرم فيه النار. وقد كان بلغه أن أبا^(٢) عبدالله الجدلي وسائر شيعة ابن الحنفية قد وافوا لئصرته ومحاربة ابن الزبير، فكان ذلك سبب إيقاعه به. وبلغ أبا عبدالله الخبر فوافى ساعة أضرمت النار عليهم فأطفأها وأستنقذهم، وأخرج ابن الحنفية عن جوار ابن الزبير منذ يومئذ. فأنشدنا محمد بن العباس اليزيدي قال أنشدنا محمد بن حبيب لكثير يذكر ابن الحنفية وقد حبسه^(٣) ابن الزبير في سجن يقال له سجن عارم:

مَنْ يَرَهُ هَذَا الشَّيْخَ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى	مَنْ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمٍ
/ سَمِيَّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَأَبْنُ عَمِّهِ	وَفَكَكَ أَغْلَالٍ وَنَفَاعُ غَارِمٍ
أَبِي فَهُوَ لَا يَشْرِي هَدًى بِضَلَالَةٍ	وَلَا يَتَّقِي فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَا تَمِ
وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ نَتْلُو كِتَابَهُ	حُلُولاً بِهَذَا الْخَيْفِ خَيْفِ الْمُحَارِمِ
بِحَيْثُ الْحَمَامُ آمِنُ الرُّوْعِ سَاكِنُ	وَحَيْثُ الْعَدُوُّ كَالصَّدِيقِ الْمُسَالِمِ
/ فَمَا فَرَحُ الدُّنْيَا بِيَاقٍ لِأَهْلِهِ	وَلَا شِدَّةُ الْبَلَوَى بِضَرْبَةٍ لِأَزِمِ
تُخَبِّرُ ^(٤) مَنْ لَاقَيْتَ أَنَّكَ عَائِدُ	بَلِ الْعَائِدُ الْمَظْلُومُ فِي سَجْنِ عَارِمِ

أنشد علي بن عبدالله شعراً له في ابن الحنفية وحديثه معه:

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا الزبير بن بكار، وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن سعيد عن عتبة الجهني عن أبيه قال: سمعت كثيراً يُنشد علي بن عبدالله بن جعفر قوله في محمد بن الحنفية:

أَقْرَّ اللَّهُ عَيْنِي إِذْ دَعَانِي	أَمِينُ اللَّهِ يَلْطَفُ فِي السُّؤَالِ
وَأَتَى فِي هَوَايَ عَلَيَّ خَيْراً	وَسَاءَلَ عَنِ بَنِيَّ وَكَيْفَ حَالِي
وَكَيفَ ذَكَرْتَ حَالَ أَبِي خَبِيبٍ	وَزَلَّكَ فَعَلِمَهُ عِنْدَ السُّؤَالِ
هُوَ الْمَهْدِيُّ خَيْرَ نَاسٍ كَغَسْبٍ ^(٥)	أَخُو الْأَحْبَارِ فِي الْحَقِّ الْخَوَالِي

(١) سجن بمكة.

(٢) هو أبو عبدالله الجدلي عبدة بن عبد، أرسله المختار بن أبي عبيد نجدة لبني هاشم لما حبسهم ابن الزبير، كما هو ظاهر في القصة. (انظر الطبري ق ٢ ص ٦٩٣ - ٦٩٥).

(٣) في الأصول: «وقد حبسهم».

(٤) يريد عبدالله بن الزبير، وكان يدعي أنه عائذ بالبيت فلا يحل قتاله.

(٥) هو كعب الأحبار بن مائع ويكنى أبا إسحاق، وهو من حمير من آل ذي رعين، وكان على دين يهود فأسلم وقدم المدينة ثم خرج إلى =

فقال له علي بن عبدالله: يا أبا صخر، ما يُثني عليك في هواك خيراً إلّا من كان على مثل مذهبك. قال: أجلّ بأبي أنت وأمي! قال: وكان كثيرٌ كَيْسَانِيًّا^(١) يرى الرّجعة. قال الزُّبير: أبو خبيب عبدالله بن الزُّبير، كناه بابنه خُبيب وهو أكبر ولده، وكان كثيرٌ سِئء الرأي فيه. قال الزُّبير: فأخبرني عمّي قال: لمّا قال كثيرٌ:

هو المهديّ خَبَرَنَاه كعبُ أخو الأبحار في الحَقَبِ الخوالي

[١٧/٩] / فقبل له: أَلَقِيَتْ كعباً؟ قال: لا. قيل: فَلِمَ قُلْتَ «خَبَرَنَاه كعب»؟ قال: بالتوهم.

غلوه في التشيع والقول بالرجعة وأخبار له في ذلك:

قال: وكان كثيرٌ شِيعِيّاً غَالِيّاً يزعم أن الأرواح تتناسخ، ويحتجّ بقول الله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ويقول: ألا ترى أنه حوّل من صورة^(٢) في صورة^(٣).

قال: فحدّثني عمر بن أبي بكر المؤمليّ عن عبدالله بن أبي عُبَيْدَةَ قال: خَنِدِفُ الأسدِيّ الذي أدخل كثيرًا في الحَشِيَّةِ.

أخبرنا الحرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني إبراهيم بن المُنْذِرِ الحِزَامِيّ عن محمد ابن مَعْنٍ الغِفَارِيّ قال:

كنا بالسَّيَّالَةِ^(٤) في مَشِيخَةٍ نتحدّث، إذا بكثيرٌ قد طَلَعَ علينا مُتَكَنّاً على عصا.

فقال: كنا بِبَيْدَاءٍ^(٥) بأشرافِ السَّيَّالَةِ وبهذه الناحية، فما بقي موضع^(٥) ببِيداءٍ إلّا وقد جثته، فإذا هو على حاله ما تغيّر وما تغيّرت الجبال ولا الموضع الذي كنا نطوف فيه، وهذا يكون حتى نرجع إليه. وكان يُؤمّن بالرجعة.

أخبرني الحرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني يحيى بن محمد قل:

دخل عبدالله بن حسن على كثيرٍ يعود في مرضه الذي مات فيه. فقال له كثيرٌ: أَبَشِرْ! فكأنك بي بعد أربعين ليلة قد طلعتُ عليك على فرس عتيق. فقال له عبدالله بن حسن: مالك عليك لعنة الله! فوالله لئن متّ لا أشهدك ولا أعودك ولا أكلّمك أبداً.

كان أبو هاشم يتجسس أخباره:

٣٤ / أخبرني الحرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني يحيى بن محمد بن عبد الملك بن عبدالعزيز أحسبه عن ابن الماجشون قال:

[١٨/٩] / وكان أبو هاشم عبدالله بن محمد بن عليّ قد وضع الأرصاد على كثيرٍ فلا يزال يؤثّي بالخبر من خبره، فيقول له إذا لَقِيَه: كنتَ في كذا وكنت في كذا، إلى أن جرى بين كثيرٍ وبين رجل كلامٌ فأثي به أبو هاشم. فأقبل به على

= الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان. (انظر «طبقات ابن سعد» ج ٧ ق ٢ ص ١٥٦ طبع أوروبا).

(١) في جد: «خشبياء». والخشبية: قوم من الجهمية يقولون إن الله تعالى لا يتكلم وإن القرآن مخلوق. وقال ابن الأثير: هم أصحاب المختار بن أبي عبيد، ويقال: هم ضرب من الشيعة. وفي سبب تسميتهم بالخشبية خلاف ذكره شارح «القاموس» في مادة خشب.

(٢) لعله: «إلى صورة».

(٣) السَّيَّالَةُ: بجوار المدينة، قيل: هي أوّل مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة.

(٤) ببِيداء: يريد بها موضعاً بعينه.

(٥) في الأصول: «فما بقي موضع ببِيداء فيه إلّا وقد جثته... إلخ». وظاهر أن كلمة «فيه» مقحمة من الناسخ.

أدراجه^(١)، فقال له أبو هاشم: كنت الساعة مع فلان فقلت له كذا وكذا وقال لك كذا وكذا. فقال له كثير: أشهد أنك رسول الله.

كان يقول عن الأطفال من آل البيت إنهم الأنبياء الصغار:

أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد، وأخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبدالله فيما أحسب قال:

نظر كثير إلى بني حسن بن حسن وهم صغار فقال: بأبي أنتم هؤلاء الأنبياء الصغار. وكان يرى الرجعة. وروى علي^(٢) بن بشر بن سعيد الرازي عن محمد بن حميد عن أبي زهير عبدالرحمن بن مغراء الدوسي عن محمد بن عمارة قال:

مر كثير بمعاوية بن عبدالله بن جعفر وهو في المكتب، فأكتب عليه يقبله وقال: أنت من الأنبياء الصغار ورب الكعبة!

أخبرنا أحمد بن عبيدالله بن عمار قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا قعنب بن المخرز قال حدثني إبراهيم بن داجة قال:

كان كثير شيعياً، وكان يأتي ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه، فيهب لهم الدراهم ويقول: وأبائي الأنبياء الصغار! وكان يؤمن بالرجعة. فيقول له محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، وهو أخوهم لأُمهم: يا عم هب لي، فيقول: لا! لست من الشجرة.

/ كان عمرو بن عبدالعزيز يعرف بحبه صلاح بني هاشم وفسادهم: [١٩/٩]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عثمان بن عبدالرحمن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبيدالله قال:

قال عمر بن عبدالعزيز: إني لأعرف صلاح بني هاشم من فسادهم بحب كثير: من أحبه منهم فهو فاسد، ومن أبغضه فهو صالح، لأنه كان خشيئاً يقول بالرجعة.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبدالعزيز بن محمد الدراوردي^(٣) عن أبي لهيعة عن رجاء بن حيوة قال: سمعت عمر بن عبدالعزيز يقول: إن مما اعتبر به صلاح بني هاشم وفسادهم حب كثير، ثم ذكر مثله.

قال لعمته إنه يونس بن متى:

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا علي بن صالح عن ابن ذاب قال:

كان كثير يدخل على عمه له برزة^(٤) فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها. فقال لها يوماً: لا والله ما تعرفيني

(١) لعله «فأقبل على أدراجه» يريد أنه حضر لوقته لم يلو على شيء؛ فتكون كلمة «به» من زيادة النسخ.

(٢) في جد: «علي بن سعيد بن بشر الرازي».

(٣) الدراوردي: نسبة شاذة إلى دارابجرد (يقال: دارابجرد): بلد بفارس ومحلة بنيسابور أيضاً. (راجع «لب اللباب في تحرير الأنساب» للسيوطي).

(٤) البرزة: المرأة الكهلة التي لا تحتجب احتجاب الثوب وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس إلى الناس وتحدثهم.

ولا تُكرميني حقَّ كرامتي! قالت: بلى والله إني لأعرفك. قال: فَمَنْ أنا؟ قالت: ابن فلان وابن فلانة، وجعلت تمدح أباه وأمه. فقال: قد عرفتُ أنك لا تعرفينني. قالت: فَمَنْ أنت؟ قال: أنا يونس بن مَتَّى.

كان عاقاً لأبيه:

أخبرنا الحرَمي قال حَدَّثنا الزُّبير قال حَدَّثني أبي قال:

كان كثيرٌ عاقاً لأبيه^(١)، وكان أبوه قد أصابته قُرْحَةٌ في إصبع من أصابع يده. فقال له كثيرٌ: أندري لم أصابتك هذه القرحة في إصبعك؟ قال: لا أدري قال: مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبة.

[٢٠/٩] / ضافه مزني وذمه بأنه لم يقم لصلاة الصبح:

أخبرنا الحرَمي قال حَدَّثنا الزُّبير قال حَدَّثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن الغفاري عن أبيه وغيره قال حَدَّثني رجل من مُزَيْنَةَ قال:

صُفْتُ كثيراً ليلةً وبُتُّ عنده ثم حَدَّثنا ونمنا. فلما طلع الفجر تَضَوَّرُ^(٢)، ثم قمت/ فتوضأت وصلَّيت وكثيرٌ راقِد في لحافه. فلما طلع قَرْنُ الشمس تَضَوَّر ثم قال: يا جارية أسْجُرِي لي ماء. قال قلتُ: تَبَّأ لك سائرَ اليوم! أو هذه الساعةَ هذا! وركبتُ راحلتي وتركته. قال الزُّبير: أسخني لي ماء.

كان يهزأ به ويصدق ما يسمع عن نفسه:

أخبرنا الحرَمي قال حَدَّثنا الزُّبير قال حَدَّثني محمد بن إسماعيل عن عبدالعزيز بن عُمَران عن محمد بن عبدالعزيز عن ابن شهاب عن طَلْحَةَ بن عُبيد الله قال:

ما رأيتُ قطُّ أحمقَ من كثيرٍ. دخلت عليه يوماً في نفر من قريش وكنا كثيراً ما نتَهَزَأُ به، وكان يتشيع تشيعاً قبيحاً. فقلت له: كيف تَجِدُكَ يا أبا صخر؟ وهو مريض، فقال: أجدني ذاهباً. فقلت: كَلَّا! فقال: هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ فقلت: نعم! يتحدثون أنك الدجَال. قال: أما لئن قلتَ ذاكَ إنِّي لأجد في عيني ضعفاً منذ أيام.

كان تياهاً ويستحمقه فتیان المدينة لذلك:

أخبرني الحرَمي قال حَدَّثنا الزُّبير قال حَدَّثني محمد بن إسماعيل عن عبدالعزيز بن عُمَران:

أن ناساً من أهل المدينة كانوا يلعبون بكثيرٍ فيقولون وهو يسمع: إن كثيراً لا يلتفت من تيهه. فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ويمضي في قميص.

[٢١/٩] / سأله عبد الملك عن شيء وحلفه بأبي تراب:

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حَدَّثنا عبدالله بن مُسلم بن قُتيبة قال:

بلغني أن كثيراً دخل على عبد الملك بن مروان، فسأله عن شيء فأخبره به. فقال وحقَّ عليّ بن أبي طالب إنه

(١) في الأصول: «بأبيه».

(٢) التَضَوَّر: التلَوَّى.

كما ذكرت؟ قال كثير: يا أمير المؤمنين، لو سألتني بحقك لصدقتك. قال: لا أسألك إلا بحق أبي تراب^(١). فحلف له به فرضي.

تمثل عبدالملك بشعر له حين منعه عاتكة من الخروج لحرب مصعب وحديثه معه عن هذه الحرب: أخبرنا الفضل بن الحُباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني عثمان بن عبدالرحمن، وأخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد بن يزيد المبرّد قال، وأخبرنا أحمد بن عبدالعزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرنا الحرّمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا المؤملي عن ابن أبي عبيدة، قالوا جميعاً.

لما أراد عبدالملك الخروج إلى مُصْعَب لاذت به عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهي أم ابنه يزيد، وقالت: يا أمير المؤمنين، لا تخرج السنة لحرب مُصْعَب، فإن آل الزبير ذكروا خروجك، وابتعث إليه الجيوش، وبكت وبكى جواربها معها. وجلس وقال: قاتل الله ابن أبي جُمعة! فأين قوله:

صوت

إذا ما أراد الغزو لم تثن همّه حصان عليها عقد دُرّ يزيتها
نهشه فلما لم تسرّ النهي عاقه بكث فبكى مما شجاها قطينها^(٢)

- غناه ابن سُرَيْج ثاني ثقل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق - والله لكانه / يراني ويراك يا عاتكة، ثم خرج. [٢٢/٩] قال محمد بن جعفر النحوي في خبره - ووافقه عليه عمر بن شبة -: فلما خرج عبدالملك نظر إلى كثير في ناحية عسكره يسير مُطَرِّقاً، فدعا به وقال: لأعلم ما أسكتك وألقى عليك بك، فإن أخبرتك عنه أتصدقني؟ قال نعم! قال: قل وحقّ أبي تراب لتصدقني، قال: والله لأصدقك. قال: لا أو تحلف به، فحلف به. فقال تقول: رجلان من قريش يلقي أحدهما صاحبه فيحاريه، القاتل والمقتول في النار، فما معنى سيرى مع أحدهما إلى الآخر ولا آمن سهماً عاتراً لعله أن يصيبني فيقتلني فأكون معهما! قال: والله يا أمير المؤمنين / ما أخطأت. قال: فارجع من ٣٦ قريب، وأمر له بجائزة.

بكى لقتل آل المهلب فزجره يزيد وضحك منه:

أخبرنا وكيع قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثنا أبو تمام الطائي حبيب بن أوس قال حدثني العطاء بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضي دمشق قال حدثني حفص الأموي قال:

كنت أختلف إلى كثير أترؤى شعره. قال: فوالله إني لعنده يوماً إذ وقف عليه واقف فقال: قُتِلَ آلُ الْمُهَلَّبِ

(١) أبو تراب: لقب علي بن أبي طالب عليه السلام، لقبه بذلك النبي ﷺ، وذلك أن علياً دخل على فاطمة رضي الله عنهما ثم خرج فاضطجع في المسجد. فقال النبي ﷺ: أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد. فخرج إليه ﷺ فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره؛ فجعل عليه الصلاة والسلام يمسح التراب عن ظهره ويقول له: أجلس يا أبا تراب (مرتين). (عن «شرح القسطلاني على صحيح البخاري» ج ٦ ص ١٣٨).

(٢) القطين: الخدم والأتباع والحشم.

بالعقر^(١). فقال: ما أجل الخطب! ضحى آل أبي سفيان بالدين^(٢) يوم الطّف، وضحى بنو مزوان بالكرم يوم العقر! ثم انتضحت عيناه باكياً. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فدعا به. فلما دخل عليه قال: عليك لعنة الله! أترابية^(٣) وعصية! وجعل يضحك منه.

/ سأله عبد الملك عن أشعر الناس فأجابه:

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد عن أبيه قال:

قال عبد الملك بن مروان لكثير: مَنْ أشعر الناس اليوم يا أبا صخر؟ قال: مَنْ يروي أمير المؤمنين شعره. فقال عبد الملك: أما إنك لمنهم.

جواب عبد الملك له وقد سأله عن شعره:

أخبرنا وكيع قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا حماد بن إسحاق عن ابن أبي^(٤) عوف عن عوانة قال:

قال كثير لعبد الملك: كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين؟ قال أراه يسبق السحر، ويغلب الشعر.

كان عبد الملك يروي أولاده شعره:

أخبرنا عمي عن الكُراني عن النضر بن عمر قال:

كان عبد الملك بن مروان يُخرج شعر كثير إلى مؤدّب ولده مختوماً يروّيهم إياه ويرده.

نزل مرعي لإبله فضيق عليه أهله فذم جوارهم:

أخبرنا الحرمي قال أخبرنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن خالد الجُهني:

أن كثيراً شبّ في حجر عم له صالح، فلما بلغ الحلم أشفق عليه أن ينفه، وكان غير جيّد الرأي ولا حسن النظر في عواقب الأمور. فاشتري له عمه قطعاً من الإبل وأنزله فرش^(٥) مكل فكان به، ثم أرتفع فتزل فرغ المسور بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف من جبل جهينة الأصغر، وكان قبل المسور لبني مالك بن أفضى، فضيقوا على كثير وأساءوا جواره، فانتقل عنهم وقال:

(١) هو عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة قتل عنده يزيد بن المهلب بن أبي صفرة سنة ١٠٢، وكان خلع طاعة بني مروان ودعا إلى نفسه وأطاعه أهل البصرة والأهواز وواسط وخرج في مائة وعشرين ألفاً. فندب له يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة فوافقه بالعقر من أرض بابل فأجلت الحرب عن قتله. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

(٢) كذا في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ج ١ ص ٦١٨). وفي الأصول: «بالدمن» وهو تعريف. والطف: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية، فيها كان مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه.

(٣) يعني أنه من شيعة أبي تراب، وهو لقب علي بن أبي طالب كما أسلفنا.

(٤) في ج: «عن أبي عوف عن عوانة».

(٥) في الأصول: «فرش مالك». والتصويب عن «القاموس» و«شرحه». وفرش ملل: واد بين عميس الحمام وصخيرات الشامة بالقرب من ملل قرب المدينة، يقال له الفرش وفرش ملل، أضيف إلى ملل لقربه منه. وهذه كلها مواضع نزلها رسول الله ﷺ حين مسيره إلى بدر. راجع «القاموس وشرحه» مادة فرش و«معجم البلدان» لياقوت في الكلام عن فرش).

[٢٤/٩] / أَبَتْ إِبِلِي مَاءَ الرَّدَاةِ^(١) وَشَمَّهَا
وَمَا يَمْنَعُونَ الْمَاءَ إِلَّا ضَنَانَةً
بنو اللَّحْمِ يَحْمُونَ النَّصِيجَ^(٢) الْمُبَرَّدَا
بِأَصْلَابِ عُسْرَى^(٣) شَوْكَهَا قَدْ تَخَذَدَا
رِيحاً وَلَا سُقْيَا ابْنِ طَلْقِ بْنِ أَسْعَدَا
فَعَادَتْ فَلَمْ تَجْهَدْ عَلَى فَضْلِ مَائِهِ
قال: وَيُرْوَى أَنَّهُ أَوَّلُ شَعْرِ قَالِهِ.
روايته عن بدء قوله الشعر:

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال:

قال كثير: ما قلت الشعر حتى قُوتُهُ. قيل له: وكيف ذاك؟ قال: بينا أنا يوماً نصف النهار أسير على بعير لي بالغميم^(٤) أو بقاع حَمْدَانَ^(٥)، إذا راكبٌ قد دنا مِنِّي حتى صار إلى جنبي، فتأملته فإذا هو من صُفْرٍ^(٦) وهو يجر نفسه في الأرض جراً. فقال لي: قل الشعر وألقاه عليّ. قلت: مَنْ أنت؟ قال: أنا قَرِينُكَ مِنَ الْجَنِّ. فقلتُ الشعر.

عزة عشيقته وأول عشقه لها:

وَنُسِبَ كَثِيرٌ لكَثْرَةِ تَشْبِيهِهِ بِعَزَّةِ الضَّمْرِيةِ إِلَيْهَا، وَعُرِفَ بِهَا فَقِيلَ^(٧) كَثِيرٌ عَزَّةٌ. وهي عَزَّةُ بِنْتِ حُمَيْلٍ^(٨) بْنِ وَقَاصٍ. أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الحسن قال:

أبو بَصْرَةَ^(٩) الْغِفَارِيُّ الْمَحْدَثُ وَأَسَمَهُ حُمَيْلُ بْنُ وَقَاصٍ هُوَ أَبُو عَزَّةَ الَّتِي كَانَ يُنْسَبُ بِهَا كَثِيرٌ. وكان ابتداء عشقه إِيَّاهَا - على أنه قد قيل: إنه كان في ذلك / كاذباً ولم يكن بعاثق، وذلك يُذكر بعد خبره معها - فيما أخبرني به [٢٥/٩] الحرمي قال حدثنا الزبير بن بَكَارٍ قال حدثني عبدالله بن إبراهيم / السعدي قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن جَمِيعٍ^(١٠) الْخُزَاعِيُّ:

أنه كان أول عشق كثير عَزَّةَ أن كثيراً مرَّ بنسوة من بني ضَمْرَةَ ومعه جَلْبُ غنم، فأرسلن إليه عَزَّةَ وهي صغيرة، فقالت: يَقلُنَّ^(١١) لك النسوة: بِغُنَا كَبْشاً من هذه الغنم وأنسِئنا بشمه إلى أن ترجع، فأعطاهَا كَبْشاً وأعجبتَه. فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه، فقال: وأين الصبيّة التي أخذت مِنِّي الكَبْشَ؟ قالت: وما تصنع بها! هذه دراھمك. قال: لا آخذ دراھمي إلّا ممن دفعْتُ الكَبْشَ إِلَيْهَا. وخرج وهو يقول:

قَضَى كُلُّ ذِي ذَيْنٍ فَرَقَى غَرِيمَهُ وَعَزَّةٌ مَطْوُولٌ مُعْتَلَى غَرِيمُهَا

قال: فكان أول لقائه إِيَّاهَا.

(١) الرداة: الصخرة.

(٢) النصيح: الحوض. وفي الأصول: «النصيح» بالصاد المهملة وهو تصحيف.

(٣) العسري (يفتح العين وضمها): البقلة إذا ييست. ورواية «لسان العرب» (مادة عسر): «بأطراف عسرى».

(٤) الغميم: موضع قرب المدينة بين رايغ والجحفة.

(٥) ظاهر أنه موضع بعينه.

(٦) الصفر: النحاس.

(٧) عبارة أ، م: «ونُسب كثير إلى عزة لكثرة تشبيهه بعزة الضمرية وغزله فيها فقليل... إلخ».

(٨) اختلف في اسم أبي بصرة هذا فقليل: هو حميل (بالحاء المهملة مصغراً) وقيل جميل (بالجيم) وكل ذلك مضبوط محفوظ. وهو أبو

بصرة حميل (أو جميل) بن بصرة بن وقاص بن حبيب بن غفار؛ له صحبة برسول الله ﷺ وروي عنه أبو هريرة. في الأصول:

«حميد بن وقاص» وهو تحريف. (راجع «الاستيعاب في معرفة الأنساب»).

(٩) إثبات نون النسوة هنا لغة ضعيفة.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبدالرحمن بن الخضر^(١) بن أبي بكر بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن أبي جندل^(٢) عن أبيه عبدالعزيز الخزاعي - وأمه جمعة بنت كثير - عن أمه جمعة عن أبيها كثير:

أَنَّ أَوَّلَ علاقته بعزة أنه خرج من منزله يسوق خَلَفَ^(٣) غنم إلى الجار^(٤)، فلما كان بالخَبْتِ وقف على نسوة [٢٦/٩] من بني ضَمْرَةَ فسألهن عن الماء، فقلن لعزة وهي جارية / حين كَعَبَ ثدياها: أرشديه إلى الماء، فأرشدته وأعجبته. فبينما هو يسقى غنمه إذ جاءت عزة بدراهم، فقالت: يقلن لك النسوة: بَعْنَا بهذه الدراهم كبشاً من ضأنك: فأمر الغلام فدفَع إليها كبشاً، وقال: رُدِّي الدراهم وقولي لهن: إذا رَحْتُ بكنْ أَقْتَضِيْتُ حَقِّي. فلما راح مرَّ بهنَّ، فقلن له: هذا حَقُّكَ فخذ. فقال: عَزَّةُ غَرِيْمِي^(٥)، ولست أَقْتَضِي حَقِّي إِلَّا منها. فمزَّحن معه وقلن: ويحك! عَزَّةُ جارية صغيرة وليس فيها وفاء لِحَقِّكَ فأحْلَه على إحدانا فإنها أملاً به منها وأسرع له أداء. فقال: ما أنا بمُحِيلٍ حَقِّي عنها. ومضى لوجهه، ثم رجع إليهن حين فرغ من بيع جَلَبِه فأنشدنَ فيها:

نظرتُ إليها نظرةً وهي عاتقٌ على حين أن شَبَّتَ وبان تُهودها
وقد دَرَّعُوهَا وهي ذات مُؤَصَّدٍ مَجُوبٍ وَلَمَّا يَلْبَسُ الدَّرْعَ رِيْدُهَا^(٦)
من الخَفِزَاتِ الْبَيْضِ وَدَ جَلِيسُهَا إذا ما انْقَضَتْ أُحْدُوَّةٌ لَو تُعِيدُهَا

في هذا البيت وأبياتٍ آخر معه غناءً يذكر بعد تمام هذا الخبر وما يضاف إليه من جنسه. وأنشدنَ أيضاً:

قضى كلُّ ذي دَيْنٍ فوقى غَرِيْمَه وَعَزَّةٌ مَطْلُوقٌ مُعْنَى غَرِيْمِهَا

فقلن له: أبيتَ إِلَّا عَزَّةً! وأبرزنها إليه وهي كارهة. ثم أحَبَّتْهُ عَزَّةُ بعد ذلك أشدَّ من حُبِّه إِيَّاهَا. قال الزُّبَيْرُ: فسألت محمد بن أبي بكر بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الخزاعي المعروف بأبي جندل عن هذا الحديث، فعرفه وحدثنيه عن أبيه عن جدِّه عبدالعزيز بن أبي جندل عن أمه جمعة بنت كثير عن أبيها.

[٢٧/٩] / سؤال عبدالملك لعزة عن كثير وسبب إعجابه بها:

وأخبرني عمي الحسن بن محمد الأصفهاني رحمه الله قال حدثني محمد بن سعد الكُرَاني قال حدثنا النَّضْرُ بن عمرو قال حدثني عمر بن عبدالله بن خالد الْمُعِيطِي، وأخبرني أحمد بن عُبيدالله بن عَمَّار قال حدثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدثني إبراهيم بن إسحاق الطَّلَحِي، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا / الزُّبَيْرُ قال حدثني يعقوب بن عبدالله الأَسَدِي وغيره، قال الزبير وحدثني محمد بن صالح الأسلمي قال:

(١) لعله: «عن أبي بكر بن عبدالعزيز» إلخ.

(٢) في الأصول: «عبدالرحمن بن جندل». وقد أصلحته مما يأتي في الصفحة التالية.

(٣) يحتمل أن يكون: «يسوق جلب غنم».

(٤) الجار: موضع على ثلاث مراحل من المدينة بساحل البحر. والخبت في الأصل: المعطن من الأرض فيه رمل، أو هو الوادي العميق الوطى. يثبت ضروب العشاء، واسم لعدة مواضع.

(٥) في الأصول: «غريمي». وفعل بمعنى مفعول إذا ذكر موصوفه يستوي فيه المذكر والمؤنث.

(٦) المؤصَّد: صدر تلبسه الجارية (الفتاة الصغيرة) فإذا أدركت دَرَعَت. والمجوب: الذي جعل له جيب. وريدها: تربها وندها. والأصل في «الرند» بالهمز.

دخلت عزة على عبدالملك بن مروان وقد عجزت، فقال لها أنت عزة كثيرا فقالت: أبا عزة بنت حميل.
قال: أنت التي يقول لك كثير:

لِعِزَّة نَارٌ مَا تَبُوحُ^(١) كأنها إذا ما رَمَقْنَاها من البعدِ كوكبُ

فما الذي أعجبه منك؟ قالت: كلاً يا أمير المؤمنين! فوالله لقد كنتُ في عهده أحسن من النار في الليلة القرة. وفي حديث محمد بن صالح الأسلمي: فقالت له: أعجبه مني ما أعجب المسلمين منك حين صبروك خليفة. قال: وكانت له سنٌ سوداء يخفيها، فضحك حتى بدت. فقالت له: هذا الذي أردتُ أن أبديه. فقال لها: هل تروين قول كثير فيك:

وقد زعمتُ أنني تغيّرتُ بعدها ومن ذا الذي يا عَزْ لا يتغيّرُ

تغيّر جسمي والخليفة كألتي عهدتِ ولم يُخبرْ بسرّك مُخبرُ

قالت [لا^(٢)] ولكني أروي قوله:

كأنني أنادي صخرة حين أعرضتُ من الصُّم لو تمشي بها العُصمُ زلتِ

صفوحاً^(٣) فما تلقاك إلا بخيلة فمن ملّ منها ذلك الوصلَ ملّتِ

فأمر بها فأدخلت على عاتكة بنت يزيد - وفي غير هذه الرواية: أنها أدخلت على أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان - فقالت لها: أرايت قول كثير:

/ قضى كلُّ ذي دينٍ فوقى غريمه وعِزَّة مطوّلٌ معنّى غريمها

ما هذا الذي ذكره؟ قالت: قبله وعدته إياها. قالت: أنجزها وعليّ إثمها.

قصة غلام له مع عزة وإعتاقه بسبب ذلك:

أخبرنا الحسن بن الطيّب البجلي الشجاعي وأحمد بن عبدالعزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبّي قالوا: حدّثنا عمر بن شبة قال روى ابن جعدبة عن أشياخه، وأخبرنا الحرّمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا أبو بكر بن يزيد بن عياض بن جعدبة عن أبيه.

أن كثيراً كان له غلام تاجر، فباع من عزة بعض سلعه ومطلّته مُدّة وهو لا يعرفها. فقال لها يوماً: أنت والله كما قال مولاي:

قضى كلُّ ذي دينٍ فوقى غريمه وعِزَّة مطوّلٌ معنّى غريمها

فانصرف عنه خجلة. فقالت له امرأة: أتعرف عزة؟ قال: لا والله! قالت: فهذه والله عزة. فقال: لا جرّم والله لا آخذ منها شيئاً أبداً ولا أقتضيهها. ورجع إلى كثير فأخبره بذلك، فأعتقه ووهب له المال الذي كان في يده.

(١) تبوح: تسكن.

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ب، س.

(٣) صفوحاً: ممرضة صادة.

لقيت قسيمة بنت عياض عزة ووصفتها:

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن حكيم السلمي عن قسيمة بنت عياض بن سعيد الأسلمية، وكنيتها أم البنين، قالت:

سارت علينا عزة في جماعة من قومها بين يدي يزروع وجهينة، فسمعنا بها، فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن، فجئناها فرأينا امرأة حلوة حمراء^(١) نظيفة، فتضاء لنا لها، ومعها نسوة كلهن لها عليهن فضل من الجمال والخلق، إلى أن تحدثت ساعة فإذا هي أبرع الناس وأحلاهم حديثاً، فما فارقناها إلا ولها علينا الفضل / في أعيننا، وما نرى في الدنيا امرأة تروقها^(٢) جمالاً وحسناً وحلاوة.

[٢٩/٩] / سأل عبد الملك كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة فذكر له ملاقاتها له مع زوجها إذ أمرها بشتمه:

أخبرني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق الموصلي عن أبي نصر (شيخ له) عن الهيثم بن عدي:

أن عبد الملك سأل كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة، فقال:

حَجَجْتُ سَنَةً مِنَ السنين وحج زوج عزة بها، ولم يعلم أحد منا بصاحبه. فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياح سمن تُصلح به طعاماً لأهل رُفْقته، فجعلت تَدُور الخيام^(٣) خيمة خيمة حتى دخلت إلي وهي لا تعلم أنها خيمتي، وكنت أبري أسهماً لي. فلما رأيتها جعلت أبري وأنا أنظر إليها ولا أعلم حتى برئت عظامي مرات ولا أشعر به والدم يجري. فلما تبين ذلك دخلت إلي فأمسكت يدي وجعلت تمسح الدم عنها بثوبها، وكان عندي نخي^(٤) من سمن، فحلفت لتأخذته، فأخذته وجاءت إلى زوجها بالسمن. فلما رأى الدم سألها عن خبره فكانتمته، حتى حلف لتصدقته فصدقته، فضربها وحلف لتشتمني في وجهي. فوقفت علي وهو معها فقالت لي: يابن الزانية وهي تبكي، ثم أنصرفا. فذلك حين أقول:

يُكَلِّفُهَا الْخِنْزِيرُ شَتْمِي وَمَا بَهَا قَوَانِي وَلَكِنْ لِلْمَلِكِ اسْتَدْلَلْتُ

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء:

نصوت

خَلِيلِي هَذَا رَسْمٌ^(٥) عَزَّةٌ فَاغْفِرْ لِي قُلُوبَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ خَلَّتْ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ عَزَّةٍ مَا الْبُكَاءُ وَلَا مُوجِعَاتِ الْقَلْبِ^(٦) حَتَّى تَوَلَّتْ
/ فَلَيْتَ قُلُوبِي عِنْدَ عَزَّةٍ قُيِّدَتْ بِحَبْلِ ضَعِيفٍ بَانَ مِنْهَا فَضَلَّتْ
وَأَصْبَحَ فِي الْقَوْمِ الْمُقِيمِينَ رَحْلُهَا وَكَانَ لَهَا بَاغٍ سَوَايَ قَبْلَتْ^(٧)

[٣٠/٩]

(١) أي بيضاء. والعرب يقولون الأحمر والحمراء في نعت الأدميين ويريدون الأبيض والبيضاء.

(٢) لعله: «تروقها».

(٣) نصب «الخيام» إما على حذف حرف الجر، وإما على تضمين «تدور» معنى تجوز المتعدّي.

(٤) النخي: زق للسمن.

(٥) في «كتاب الشعر والشعراء»: «ربع عزة».

(٦) في ج. و «كتاب الشعر والشعراء»: «موجعات الحزن».

(٧) يقال: بليت مطيته على وجهها إذا ذهبت في الأرض ضالة.

فقلت لها يا عز كل مُصيبة
أسيشي بنا أو أحسني، لا ملومة
هنيئاً مريئاً غير داءٍ مُخامرٍ
تمَيَّثُها حتى إذا ما رأيتهَا
كأنني أنادي صخرة حين أعرضت
صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلة
أصاب الردى أن كان يهوى لك الردى
إذا وطئت يوماً لها النفس ذلت
لدينا ولا مقلية إن تقلت^(١)
لعزة من أعراضنا ما استحلّت
رأيت المنايا شرعاً قد أظلت
من الضم لو تمشي بها العضم زلت
فمن مل منها ذلك الوصل ملّت
وجن اللواتي قلن عزّة جئت

عروضه من الطويل. غنى معبد في الخمسة الأول ثقيلًا أول بالوسطى. وغنى إبراهيم في الثالث والرابع ثقيلًا أول بالنصر عن عمرو، وغنى في «هنيئاً مريئاً» والذي بعده خفيف رمل بالوسطى. وغنى إبراهيم في الخامس وما بعده ثاني ثقيل. وذكر الهشامي أن لابن سريج في «هنيئاً مريئاً» وما بعده ثاني ثقيل بالنصر. وذكر أحمد بن المكي أن لإبراهيم في «كأنني أنادي» والذي بعده وفي «أسيشي بنا أو أحسني» هزجاً بالسبابة في مجرى النصر، وإسحاق فيه هزج آخر به^(٢). ولعريب في «كأنني أنادي» أيضاً رمل. وإسحاق في «وما كنت / أدري» ثقيل أول. وله في «أصاب الردى» ثقيل أول آخر، وقيل: إن لإبراهيم في «فقلت لها يا عز» خفيف ثقيل ينسب إلى دحمان وإلى سباط. / اجتماعا ذات ليلة ووصف ذلك صديق له:

[٣١/٩]

أخبرني الحرمي وحبيب بن نصر قالاً حدّثنا الزبير قال حدّثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أبي عمرو الجهنّي عن أبيه قال:

سارت علينا عزّة في جماعة من قومها، فنزلت حياناً. فجاءني كثير ذات يوم فقال لي: أريد أن أكون عندك اليوم فاذهب إلى عزّة، فصرّت به إلى منزلي. فأقام عندي حتى كان العشاء، ثم أرسلني إليها وأعطاني خاتمه وقال: إذا سلّمت فستخرج إليك جارية، فادفع إليها خاتمي وأعلمها مكاني. فجئت بيّتها فسلّمت فخرجت إليّ الجارية فأعطيتها الخاتم. فقالت: أين الموعد؟ قلت: صخرات أبي عبيد الليلة، فواعدتها هناك، فرجعت إليه فأعلمته. فلما أمسى قال لي: انهض بنا، فنهضنا^(٣) فجلسنا هناك نتحدّث حتى جاءت من الليل فجلست فتحدّثنا فأطالا، فذهبت لأقوم. فقال لي: إلى أين تذهب؟ فقلت: أخليكما ساعة لعلكما تتحدّثان ببعض ما تكتمان. قال لي: اجلس! فوالله ما كان بيننا شيء قط. فجلست وهما يتحدّثان وإن بينهما لثمامة^(٤) عظيمة هي من ورائها جالسة حتى أسحرنا، ثم قامت فانصرفت، وقمت أنا وهو، فظلّ عندي حتى أمسى ثم انطلق.

سامته سكية بجمله فلما رأى عزّة معها تركه لهم:

أخبرنا الحرمي قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبدالله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاصي قال:

(١) تقل: تبغض. أي لا هي ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت أي تبغضت. خاطبها أولاً ثم غاب أي ذكرها بضمير الغيبة.
(٢) لعله: «بها» أي بالسبابة في مجرى النصر.
(٣) في جد: «فمضينا».
(٤) كذا في «تجريد الأغاني» والثمام: نبت ضعيف شبيه بالخوص. وفي الأصول: «لثامة» وهو تحريف.

خرج كثير في الحاج بجمل له يبيعه، فمر بسكينة بنت الحسين ومعها عزة وهو لا يعرفها. فقالت سكينة: هذا كثير فسوموه بالجمل، فساموه فاستام مائتي درهم فقالت: ضع عنا فأبى. فدعت له بتمر وزُبد فأكل، ثم قالت له: ضع عنا كذا وكذا (لشيء يسير) فأبى. فقالوا: قد أكلت يا كثير بأكثر مما نسألك! فقال:

[٣٢/٩] / ما أنا بواضع شيئاً. فقالت سكينة: اكشفوا، فكشفوا عنها وعن عزة. فلما رآهما أستحيا وأنصرف وهو يقول: هو لكم هو لكم!

قال بعض الرواة إنه لم يكن صادقاً في عشقه:

من ذكر أن كثيراً كان يكذب في عشقه:

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا ابن سلام قال:

كان كثير مدعياً ولم يكن عاشقاً، وكان جميل صادق الصبابة والعشق.

أخبرنا أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى وحبيب بن نصر المهلبى قالَا حدثنا عمر بن شبة قال^(١) زعم إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أبا عبيدة يقول: كان جميل يصدق في حبه، وكان كثير يكذب.

ومما وجدناه في أخباره ولم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزة ذات يوم وهي منتقبة تميم في مشيتها، فلم يعرفها كثير، فاتبعها وقال: يا سيدي! قفي حتى أكلّمك فإني لم أر مثلك قط، فمن أنت ويحك؟ قالت: ويحك! وهل تركت عزة فيك بقية لأحد؟ قال: بأبي أنت! والله لو أن عزة أمة لي لوهبتها لك.

قالت: فهل لك في المخاللة؟ قال: وكيف لي بذلك؟ قالت: أني وكيف بما قلت في عزة؟! قال: أقلبه فأحوّله إليك. فسفرت عن وجهها ثم قالت: أغدراً يا فاسق وإنك لهكذا فأبلس^(٢) ولم ينطق وبُغت. فلما مضت أنشأ يقول:

الآ ليتني قبل الذي قلت شيب لي من السم جدحات^(٣) بماء الذرّارح
فمكّ ولم تعلم عليّ خيانة وكم طالب للريح ليس برابح
/ أبوء بذنبي إنني قد ظلمتها وأنني يياقي سرّها غيرُ بائح

٤١
أ

[٣٣/٩] / لقي عزة في طريقه إلى مصر وتعاتبا:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى قال حدثني عمر بن شبة قال زعم ابن الكلبي عن أبي المقوم قال أخبرني سائب راوية كثير قال:

خرجت معه نريد مصر، فمررنا بالماء الذي فيه عزة فإذا هي في خباء، فسلمنا جميعاً، فقالت عزة: وعليك السلام يا سائب. ثم أقبلت على كثير فقالت: ويحك! ألا تتقي الله! أرايت قولك:

بآية ما أتيتك أم عمرو فقميت لحاجتي والبيت خالي

(١) في ج: «زعم لي إسحاق بن إبراهيم... إلخ».

(٢) أبلس: سكت وتحير.

(٣) في ب، س: «بخضخاض». وفي سائر الأصول: «بخدخاد». والتصويب عن «تجريد الأغاني». والجدحة اللثة؛ يقال: جدح السويق: إذا لته. والذرّارح: دويبات أعظم من الذباب شيئاً مجزعة مبرقة بحمرة وسواد وصفرة لها أجنحة تطير بها وهي سم قاتل.

أخلوتُ معك في بيت أو غير بيت قطُّ؟ قال. لم أقُلْه، ولكنني قلتُ:

فأقسم لو أتيتُ البحرَ يوماً لا شربَ ما سقشني من بِلَالٍ

وأقسم إنَّ حُبَّكَ أُمُّ عمرو لَدَاءٌ عِنْدَ^(١) منقطع السَّعَالِ

قالت: أتا هذا فنَعَمْ. فأتينا عبدالعزیز^(٢) ثم عُدْنَا، فقال كثير: عليك السلام يا عزة قالت: عليك السلام يا جمل. فقال كثير.

قصته

حَيْثُكَ عَزَّةٌ بعد الهجر فانصرفت فحَيَّ ويحك مَنْ حَيَّاكَ يا جملُ

لو كنتَ حَيَّتَهَا ما زلتَ دَامِقَةً^(٣) عِنْدِي وما مَنَّكَ الإِدلاجَ والعملُ

ليستَ التَّحِيَّةُ كانتَ لي فأشكرها مَكَانَ يا جملُ حَيَّتَ يا رجلُ

ذكر يونس أنَّ في هذه الأبيات غناءً لِمَعْبُد. وذكر الهشامِيُّ أنَّ فيها لَبَيَّةٌ خفيفة رملي بالنصر. وذكر حَبَشُ أنَّ فيها للغريص خفيف ثقيل أول بالوسطى، ولإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى.

[٣٤/٩]

/ قصته مع أم الحويث الخزاعية وحديث عشقه لها:

أخبرني عمِّي قال حدثني الحسن بن عَلِيل العنزي قال حدثني علي بن محمد البرمكي قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال:

قَدِمَ عَلِيَّ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ فَسَأَلَتْهُ عَنِ الْعِشَاقِ يَوْمًا فَحَدَّثَنِي قَالَ: تَعَشَّقْتُ كَثِيرَ أَمْرَاءَ مِنْ خُزَاعَةَ يُقَالُ لَهَا أُمُّ الْحَوِيثِ فَتَنَسَّبَ بِهَا، وَكَرِهْتُ أَنْ يُسَمَّعَ بِهَا وَيُفْضَحَ كَمَا سَمِعَ بَعْزَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّكَ رَجُلٌ فَقِيرٌ لَا مَالَ لَكَ، فَأَبْتَغَ مَالًا يُعْفَى^(٤) عَلَيْكَ ثُمَّ تَعَالَ فَاخْطُبْنِي كَمَا يَخْطُبُ الْكَرَامَ. قَالَ: فَاحْلِفِي لِي وَوَقْفِي أَنَّكَ لَا تَتَزَوَّجِينَ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْكَ، فَحَلَفْتُ وَوَقَفْتُ لَهُ. فَمَدَحَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ^(٥) الْأَزْدِيَّ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَلَقِيَتْهُ ظَبَاءٌ سَوَانِحٌ وَلَقِيَ غَرَابًا يَفْخَصُ التُّرَابَ بِوَجْهِهِ، فَتَطَيَّرَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى حَيٍّ مِنْ لَهَبٍ^(٦) فَقَالَ: أَيْكُمْ يَزْجُرُ؟ فَقَالُوا: كُلُّنَا، فَمَنْ تَرِيدُ؟ قَالَ: أَعْلَمُكُمْ بِذَاكَ. قَالُوا: ذَاكَ الشَّيْخُ الْمُنْحَنِي الصُّلْبُ. فَأَتَاهُ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَكَرِهَ ذَلِكَ لَهُ وَقَالَ لَهُ: قَدْ تَوَفَّيْتُ أَوْ تَزَوَّجْتُ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمَّهَا. فَأَنشَأَ يَقُولُ:

قصته

تَيَمَّمْتُ لَهَبًا أَبْتَغِي الْعِلْمَ عَنْدهم وَقَدْ رُدَّ عِلْمُ الْعَانِفِينَ إِلَى لَهَبٍ

(١) كذا في «تجريد الأغاني». ويعني بمنقطع السعال: الصدر. وقد ورد هذا الشعر في كتاب «الشعر والشعراء» هكذا: «لدى جنبي ومنقطع السعال». وفي الأصول: «لداء عند منقطع السؤال» وهو تحريف.

(٢) يريد عبدالعزیز بن مروان والي مصر من قبل أخيه عبدالملك بن مروان.

(٣) المقة: المحبة.

(٤) أي يصلحك ويحل الغنى منك محل الفقر.

(٥) في «تجريد الأغاني»: «عبدالرحمن بن الأبرش الأزدي».

(٦) لهب: قبيلة من اليمن معروفة بالعيافة وزجر الطير.

تيممتُ شيخاً منهمُ ذا بَجالة^(١) بصيراً بزجر الطيرِ منحنى الصُّلبِ
فقلت له ماذا ترى في سَوانحِ وصوتِ غرابٍ يَفحصُ الوجهَ بالثُّربِ
/ فقال جرى الطيرُ السَّنيحِ بَيْنَها وقال غرابٌ جَدُّ مُنْهَمِرُ السُّكْبِ
فلأ تَكُن ماتتُ فقد حال دونها سواكَ خليلٌ باطنٌ من بني كُفٍ

٤٢
٨

- غناه مالك من رواية يونس ولم يجتسه - قال: فمدح الرجل الأزدي ثم أناه فأصاب منه خيراً كثيراً، ثم قدم عليها [٣٥/٩] فوجدها قد تزوجت رجلاً من بني كعب، / فأخذته الهُلاس^(٢)، فكُشِح^(٣) جَنْباه بالنار. فلما أندمل^(٤) من علته وضع يده على ظهره فإذا هو برقمتين، فقال: ما هذا؟ قالوا: إنه أخذك الهُلاس وزعم الأطباء أنه لا علاج لك إلا الكُشْح بالنار فكُشِحَت بالنار. فأنشأ يقول:

قصيدة

عفا الله عن أم الحُوَيْرِثِ ذنبها علامٌ تُعَيِّنِي وتُكْمِي^(٥) دَوَائِيَا
فلو آذَنُونِي^(٦) قبل أن يَرْقُمُوا بها لقلتُ لهم أم الحُوَيْرِثِ دائِيَا

- في هذين البيتين لمالك ثقیلٌ أولٌ بالوسطى. ولأبن سُرَيْجِ رملٌ بالبصر كلاهما عن عمرو والهشامي. وقيل: إن فيهما لمعبد لحنا - وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز وحبیب بن نصر المهلبی قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شبة ولم يتجاوزاه بالرواية فذكر نحو هذا وقال فيه: إنه قصد ابن الأزرق بن حفص بن المغيرة المخزومي الذي كان باليمن، وإنه فعل ذلك بعد موت عزة. وسائر الخبر متقارب.

سأله ابن جعفر عن سبب هزله فأجابه:

وأخبرني الحرمي قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنِي محمد بن إسماعيل الجعفري عن محمد بن سليمان بن فليح أو فليح بن سليمان - أنا شككتُ - عن أبيه عن جدّه قال:

جاء كثيرٌ إلى عبدالله بن جعفر وقد نَحَلَ وتغيّر. فقال له عبدالله: مالي أراك متغيراً يا أبا صخر؟ قال: هذا ما عملتُ بي أم الحُوَيْرِثِ، ثم ألقى قميصه فإذا به قد صار مثل القش وإذا به آثار من كَيٍّ، ثم أنشده:

عفا الله عن أم الحويرث ذنبها

الآيات.

(١) ذا بجاللة: يجعله الناس ويعظمونه.

(٢) الهلاس: داء يهزل الجسم أو هو السل.

(٣) الكشح: الكي بالنار.

(٤) أي تماثل وتراجع للبرء.

(٥) تكمي: تستر.

(٦) كذا في «تجريد الأغاني»: وفي الأصول: «ولولا ذنوبي» وهو تحريف.

/ أغرت عزة به بثينة لتبين حاله :

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي قال حدثني الحزامي عن حدثه من أهل قُدَيْد^(١) :
أن عزة قالت لبثينة : تصدني لكثير وأطعميه في نفسك حتى أسمع ما يجيبك به . فأقبلت إليه وعزة تمشي وراءها مختفية ، فعرضت عليه الوصل ، فقاربها ثم قال :

رَمَتْنِي عَلَى عَمْدٍ بَثِينَةً بعدما تَوَلَّى شَبَابِي وَأَرْجَجَنْ^(٢) شَبَابُهَا
وذكر أبياتا^(٣) أخر سقط من الكتاب ذكرها . فكشفت عزة عن وجهها ، فبادرها الكلام ثم قال :
ولكنما تَرْمِينَنَ نفساً مريضةً لِعِزَّةٍ مِنْهَا صَفْوُهَا وَلِبَابُهَا
فضحكت ثم قالت : أُولَى لك بها قد نجوت ، وأنصرفنا تتضحكان .

قال لأهله إذ بكوا في مرضه سارجع بعد أيام :

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبدالرحمن بن عبدالله الزهري قال :
بكى بعض أهل كثير عليه حين نزل به الموت . فقال له كثير : لا تبك ، فكأنك بي بعد أربعين ليلة تسمع
خشفة^(٤) نعل من تلك الشعبة راجعاً إليكم .

مات هو وعكرمة في يوم واحد سنة ١٠٥ :

أخبرني الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني ابن جعدبة وأبو اليقظان عن
جويرية بن أسماء قال :

مات كثير وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد ، فأجتمعت قریش في جنازة كثير ، ولم يوجد لعكرمة من
يحمله .

/ أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن مُصْعَب قال / حدثني الواقدي قال حدثني خالد بن
القاسم البياضي قال :

مات عكرمة مولى ابن عباس وكثير بن عبدالرحمن الخزاعي صاحب عزة في يوم واحد في سنة خمس ومائة ،
فرايتهما جميعاً صُلِّي عليهما في يوم واحد بعد الظهر في موضع الجنائز ، فقال الناس : مات اليوم أفقه الناس وأشعرُ
الناس .

ما جرى في جنازته بين أبي جعفر الباقر وزينب بنت معيقب :

وقال ابن أبي سعد الوراق حدثني رجاء بن سهل أبو نصر الصاغاني قال حدثنا يحيى بن غيلان قال حدثني
المفضل بن فضالة عن يزيد بن عروة قال :

(١) قديد : اسم موضع قرب مكة .

(٢) أرججن شباها : يريد اهتز نضارة وحسناً .

(٣) في جـ : « وذكر بيتاً آخر سقط من الكتاب » .

(٤) خشفة النعل : صوتها .

مات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد، فأخرجت جنازتهما، فما علمت تخلف امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازتهما. قال: وقيل مات اليوم أشعر الناس وأعلم الناس. قال: وغلب النساء على جنازة كثير يمينه ويذكرن عزة في نذبتهن له. قال: فقال أبو جعفر محمد^(١) بن علي: أفرجوا لي عن جنازة كثير لأرفعها. قال: فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضربهن محمد بن علي بكفهم ويقول: تنحن يا صواحيبات يوسف. فانتدبت له امرأة منهن فقالت: يابن رسول الله لقد صدقت، إنا لصواحيبات يوسف وقد كنا له خيراً منكم له. قال: فقال أبو جعفر لبعض مواليه: احتفظ بها حتى تجيئي بها إذا انصرفنا. قال: فلما انصرف أتت بتلك المرأة كأنها شرارة النار. فقال لها محمد بن علي: أنت القائلة إنكن ليوسف خير منّا؟ قال: نعم! تؤمنني غضبك يابن رسول الله؟ قال: أنت آمنة من غضبي فأبيني. قالت: نحن يا بن رسول الله دعونا إلى اللذات من المطعم / والمشرّب والتمتع والتنعم، وأنتم معاشر الرجال القيتموه في الجب وبعثموه بأبخص الأثمان وحبستموه في السجن. فأينا كان عليه أحنى وبه^(٢) أراف؟ فقال محمد: لله درك! ولن تغالب امرأة إلا غلبت. ثم قال لها: ألك بعل؟ قالت: لي من الرجال من أنا بعله. قال: فقال أبو جعفر: صدقت، مثلك من تملك بعلها ولا يملكها. قال: فلما انصرفت قال رجل من القوم: هذه زينب بنت معيقيب^(٣).

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء:

صوت

نظرت إليها نظرة وهي عاتق على حين أن شبت وبان نهودها
نظرت إليها نظرة ما يسرني بها حفر أنعام البلاد وشودها
وكنت إذا ما جئت سغدي بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودّ جليتها إذا ما انقضت أحدى لو تعيدها

عروضه من الطويل. البيت الأول لكثير، والثاني والثالث لتصيب من قصيدته التي أولها:

لقد هجرت سغدي وطال صدودها

غنى في البيت الثاني والثالث جحدّ الراعي خفيف رمل البنصر. وغنى فيهما الهذلي رملاً بالوسطى. وغنى في الثالث والرابع دعامة ثقيلاً أول البنصر.

عمر الوادي يأخذ صوتاً عن راعي غنم في شعر له:

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال عمر الوادي، وأخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مكيّ العذري قال:

/ سمعت عمر الوادي يقول: بينا أنا أسير بين الرّوحاء والعرج إذ سمعت إنساناً يغني غناء لم أسمع / قط مثله
في بيتي كثير: ٤٤
٨
(٢٩/٩)

(١) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو جعفر المدني المعروف بالباقر توفي سنة ١١٤ هـ.

(٢) في الأصول: «فأينا كان به أحنى وعليه أراف». والتصويب عن «تجريد الأغاني».

(٣) في ج: «معيقيب».

وكننت إذا ما جئتُ سُغْدَى بِأَرْضِهَا أرى الأرض تُطَوِّى لى ويدنو بعيدُها
من الخَفِراتِ البَيضِ وَدَّ جَلِيسُهَا إذا ما أنقضتُ أحدى لو تُعيدُها

قال: فكُدتُ أسقط عن راحلتي طرباً، وقلت: والله لألتصنَّ الوصولَ إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائي، فتيممتُ سَمْتَهُ^(١) فإذا راع في غنم، فسألته إعادته عليّ. قال: نعم! ولو حضرني قَرَى أَقْرَبَكَ ما أعدته، ولكنِّي أجعله قِرَاكَ، فربما تَرَنَّمْتُ به وأنا غَرَّانٌ فاشيع، وعطشانٌ فأزوى، ومستوحشٌ فأنس، وكسلانٌ فأنشط. قال: فأعادهما عليّ حتى أخذتهما، فما كان زادي حتى ولجئتُ المدينة غيرهما.



مركز تحيية تكملة تاريخ اللغة العربية

(١) سمت: ناحيته وجهته.

/ أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

[٤٠/٩]

كان عالماً ومغنياً ونسب غناءه لجاريته شاجي ترفعاً:

هو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، ويكنى أبا أحمد. وله محلٌّ من الأدب والتصرف في فنونه ورواية الشعر وقوله والعلم باللغة وآيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة في الموسيقى والهندسة وغير ذلك مما يجلُّ عن الوصف ويكثر ذكره. وله صنعة في الغناء حسنة مُتَقَنَّة عجيبة تدلُّ على ما ذكرناه هاهنا من توصله إلى ما عبَّر عنه الأوائل من جَمْع النَّغَم كُلِّهَا في صوت واحد تتبَّعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها. وكان المعتضد بالله، رحمة الله عليه، ربما كان أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناءً وبحضرته أكابرُ المغنِّين مثل القاسم بن زُرُور وأحمد بن المكيِّ ومن دونهما مثل أحمد بن أبي العلاء وطبقتهما، فيعدلُ عنهم إليه فيصنع فيها أحسنَ صنعة، ويرفَع عن إظهار نفسه بذلك، ويؤمىء إلى أنه من صنعة جاريته شاجي^(١)، وكانت إحدى المُحسنات المبرِّزات المُقَدِّمات؛ وذلك بتخريجه وتأديبه، وكان بها مُعْجَباً ولها مُقَدِّمًا.

كان المعتضد يتفقده لما رقت حاله وطلب منه جاريته لسمع غناءها فأرسلها له:

فأخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةُ قَالَ: لَمَّا اخْتَلَتْ حَالُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ كَانَ الْمُعْتَضِدُ يَتَفَقَّدُهُ بِالصَّلَاتِ الْفَيْئَةِ بَعْدَ الْفَيْئَةِ. وَاتَّفَقَ يَوْمًا كَانَ فِيهِ مَصْطَبِحًا أَنْ غُنِّيَ بِصَوْتِ الصَّنْعَةِ فِيهِ لِشَاجِي جَارِيَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يُقَسِّمُ أَنْ يَأْمُرَهَا بِزِيَارَتِهِ فَفَعَلَ. قَالَ: فَحَدَّثَنِي مَنْ حَضَرَ مِنَ الْمَغْنِيَّاتِ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ بَعْدَ مَوْتِ الْمُعْتَضِدِ قَالَتْ: دَخَلْتُ إِلَيْنَا وَمَا مِنَّا إِلَّا مِنْ يَرْفُلٍ فِي الْحُلِيِّ وَالْحُلُلِ وَهِيَ فِي أَثْوَابٍ لَيْسَتْ كَثِيبَانَا، فَاحْتَقَرْنَاها؛ فَلَمَّا غَنَّتْ احْتَقَرْنَا أَنْفُسَنَا. وَلَمْ تَزَلْ تِلْكَ حَالَنَا حَتَّى صَارَتْ فِي أَعْيُنِنَا كَالْجِبِلِّ وَصَرْنَا كُلَّ شَيْءٍ. قَالَ: وَلَمَّا انْصَرَفَتْ أَمَرَ لَهَا [٤١/٩] / الْمُعْتَضِدُ بِمَالٍ وَكُسُوءٍ. وَدَخَلْتُ إِلَى مَوْلَاهَا فَجَعَلَ يَسْأَلُهَا عَنْ أَمْرِهَا وَمَا رَأَتْ مِمَّا اسْتَظَرَفَتْ وَسَمِعَتْ مِمَّا اسْتَغْرِبَتْ. فَقَالَتْ: مَا اسْتَحْسَنْتُ هُنَاكَ شَيْئًا وَلَا اسْتَغْرِبْتُهُ مِنْ غِنَاءٍ وَلَا غَيْرِهِ إِلَّا عَوْدًا مِنْ عَوْدٍ مُحْفُورٍ^(٢) فَإِنِّي اسْتَظَرَفْتُهُ. قَالَ جَحْظَةُ: فَمَا قَوْلُكَ فِيمَنْ يَدْخُلُ دَارَ الْخِلَافَةِ فَلَا يَمْدُ عَيْنَهُ لَشَيْءٍ يَسْتَحْسِنُهُ فِيهَا إِلَّا عَوْدًا.

كانت شاجي جاريته تلحن للمعتضد بعض الشعر:

قال محمد بن الحسن الكاتب وحَدَّثَنِي التُّوشْجَانِي قَالَ:

كَانَ الْمُعْتَضِدُ إِذَا اسْتَحْسَنَ شِعْرًا بَعَثَ بِهِ إِلَى شَاجِي جَارِيَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فَتَغَنَّى فِيهِ. قَالَ: وَكَانَتْ صَنَعْتُهَا تَسْمَى فِي عَصْرِهِ غِنَاءَ الدَّارِ.

(١) في «نهاية الأرب» (ج ٥ ص ٦٦): «شاجي» بالسین المهملة.

(٢) كذا في أ، م و«نهاية الأرب». وفي سائر الأصول: «محفور» وهو تحريف.

ماتت شاجي فرثاها:

قال محمد بن الحسن: وماتت شاجي في حياة / عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وكان عليلاً، فقال يرثيها - وله ٤٥/٨
فيه صنعة من خفيف الثقل الأول بالوسطى -:

يَمِيناً يَقِيناً لَوْ بُلِيَتْ بِفَقْدِهَا وَبِي نَبْضُ عِرْقٍ لِلْحَيَاةِ أَوْ التُّكْسِ
لَأَوْشَكْتُ قَتَلَ النَّفْسِ قَبْلَ فِرَاقِهَا وَلَكِنَّهَا مَاتَتْ وَقَدْ ذَهَبَتْ نَفْسِي

له كتاب الآداب الرفيعة في الغناء:

ومن نادر صنعة عبيد الله وجيد شعره قوله - وله فيه لحنان ثقیل أول وهزج، والثقل الأول أجودهما -:

أَنْفَقْتُ إِذَا أَيْسَرْتُ غَيْرَ مَقْتَرٍ وَأَنْفَقْتُ عَلَى مَا خَيَلْتُ حِينَ تُعْسِرُ
غَيْرَ الْجُودِ يُفْنِي الْمَالَ وَالْمَالُ مَقْبَلٌ^(١) وَلَا الْبَخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُذِيرُ

وأشعاره كثيرة جيدة كثيرة النادر والمختار. وكتابه في النغم وعِلَل الأغاني المسمى «كتاب الآداب الرفيعة» كتاب مشهور جليل الفائدة دالٌّ على فضل مؤلفه.

قص عليه الزبير بن بكار قصة فاستحسنها وأمر له بمال:

أخبرني جحظة قال حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني موسى بن هارون، فيما أرى، قال:

/ كنتُ عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد جاءه الزبير بن بكار فأعلمه أن المتوكل أو المعتز - وأراه المعتز - [٤٢/٩]
بعث إلى أخيه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمر بإحضاره وتقليده القضاء. فقال له الزبير بن بكار: قد بلغت هذه السن وأتولى القضاء! أو بعد ما رويت أن من ولي القضاء فقد ذبح بغير سيكين! فقال له: فتلحق بأمر المؤمنين بسر من رأى، فقال له: أفعل. فأمر له بمال ينفقه، ويظهر يحمله ويحمل ثقله. ثم قال له: إن رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا شيئاً قبل أن نفترق! قال: نعم! إنصرفت من عمرة المحرم؛ فبينا أنا بأثاية^(٢) العرج، إذا أنا بجماعة مجتمعة، فأقبلت إليهم وإذا رجل كان يقنص الظباء وقد وقع ظبي في جبالته فذبحه، فانتفض في يده فضرب بقرنه صدره فنشِب القرن فيه فمات. وأقبلت فتاة كأنها المهاة، فلما رأته زوجها ميتاً شهقت ثم قالت:

يَا حُسْنُ لَوْ بَطَلُ لَكِنَّهُ أَجَلَ عَلَى الْأَثَايَةِ مَا أَوْدَى بِهِ الْبَطْلُ
يَا حُسْنُ جَمَعَ أَحْشَانِي وَأَقْلَقَهَا وَذَاكَ يَا حَسَنَ لَوْلَا غَيْرُهُ جَلَلُ
أَضَحَتْ فَتَاةٌ نَهْدٌ عَلَانِيَةً وَبَعْلُهَا بَيْنَ أَيْدِي الْقَوْمِ مُحْتَمَلُ

قال: ثم شهقت فماتت. فما رأيت أعجب من الثلاثة: الظبي مذبح، والرجل جريح ميت، والفتاة ميتة [حرى^(٣)].

(١) الرواية المشهورة: «والجد مقبل».

(٢) الأثاية: موضع في طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخاً وهو بين الروثة والعرج، مر به النبي ﷺ في خروجه له إلى مكة وهو محرم. ورواه بعضهم «أثانة» بناءً مثلثة أخرى كما ورد في الأصول، ورواه آخرون «أثانة» بالنون. وكلاهما خطأ. راجع «معجم البلدان» لياقوت و«معجم ما استعجم» للبكري.

(٣) زيادة عن ج.

فأمر له عبيد الله بمال آخر. ثم أقبل إلى أخيه محمد بن عبدالله بعد خروج الزبير فقال: أما إن الذي أخذناه من الفائدة في خبر حُسن وفي قولها^(١):

أضحت فتاة بني نَهْدَ علانية

[٤٣/٩] / - تريد ظاهرة - أكثرُ عندي مما أعطيتاه من الحياء والصُّلَّة. وقد أخبرني الحسين بن عليّ عن الدمشقيّ عن الزبير بخبر حُسن فقط، ولم يذكر فيه من خبر عبيد الله شيئاً.

ومن الأصوات التي تجمع النغم العشر:

صوت

لحنه في شعر ابن هرمة يجمع النغم العشر:

٤٦ / وهو يجمع النغم العشر كلها على غير تَوَالٍ:

وإنَّكَ إذْ أَطْمَعْتَنِي مِنْكَ بِالرُّضَا وَأَيَّاسْتَنِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالْغَضَبِ
كَمْ مَكْنَةٍ مِنْ ضَرْعِهَا كَفَّ حَالِي وَدَافِقَةٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَا حَلَبَ

عروضه من الطويل. الشعر لإبراهيم بن عليّ بن هرمة. والغناء في هذا اللحن الجامع للنغم لعبيد الله بن عبدالله بن طاهر، خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها وعليها ابتداء الصوت.

أثبت في كتابه نقد أبي نواس لشعر لابن هرمة وشعر لجريز:

وقال عمر بن محمد بن عبدالملك الزيات حدثني بعض أصحابنا عن أبي نواس أنه قال: شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما في غير موضعه. فلو أخذ البيت الثاني من شعر أحدهما فجعل مع بيت الآخر، وأخذ بيت ذلك فجعل مع هذا لصار متفقاً معنًى وتشبيهاً. فقلت له: أتى ذلك؟ فقال: قول جرير للفرزدق:

فإنَّكَ إذْ تَهْجُو تَمِيمًا وَتَرْتَشِي تَبَايِينَ^(٢) قَيْسٍ أَوْ سُحُوقِ الْعَمَائِمِ
كَمْ هَرِيقٍ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ وَغَرٍّ سَرَابٍ أَذَاعَتْهُ رِيَّاحُ السَّمَائِمِ

وقول ابن هرمة:

وإنَّسِي وَتَرْكِي نَدَى الْأَكْرَمِينَ وَقَذَحِي بِكَفِّي زَنَادًا^(٣) شَحَاحَا
/ كِتَارَكِي بِيضَهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْبَسِي بِيضَ أُخْرَى جَنَاحَا

[٤٤/٩]

فلو قال جرير:

فإنَّكَ إذْ تَهْجُو تَمِيمًا وَتَرْتَشِي تَبَايِينَ قَيْسٍ أَوْ سُحُوقِ الْعَمَائِمِ

(١) في الأصول: «وفي قوله». والتصويب عن «تجريد الأغاني».

(٢) التباين: جمع تباين وهو سراويل صغير مقدار شبر يستر المورة المغلظة فقط يكون للملاحين. والسحوق: جمع سحق، وهو الثوب الخلق البالي.

(٣) كذا في «أكثر الأصول واللسان» مادة شح. وزند شحاح: لا يورى. وفي ب، س، هنا وفيما سيأتي في جميع الأصول: «زناداً شحاحاً».

كثارة ييضمها بالعراء ومليسة ييضم أخرى جناحا
لكان أشبه منه بيته. ولو قال ابن هزمة مع بيته:

واني وتركى ندى الأكرمين وقدحي بكفّي زندا شحاحا
كمهريق ماء بالفلاة وغره سراب أذاعته رياح السائم
كان أشبه به. ثم قال: ولكن ابن هزمة قد تلافى ذلك بعد فقال:

وانك إذ أطمعتني منك بالرضا وأياستني من بعد ذلك بالغضب
كممكنة من ضرعها كفّ حالب ودافقة من بعد ذلك ما حلب
وقد أتى عبيد الله بن عبد الله بهذا الكلام بعينه في «الآداب الرفيعة»^(١). وإنما أخذه من أبي نؤاس على ما روي عنه.

ومما يجمع النغم العشر صوت ابن أبي مطر في شعر نصيب:
وجدت في كتاب مؤلف في النغم غير مسمى الصانع: أن من الأصوات التي تجمع النغم العشر صوت ابن
أبي مطر المكي في شعر نصيب وهو:

صوت

ألا أيها الرئع المقيم بعثب^(٢) سقتك السوافي من مراح ومغزب
بذي هيدب أما الرئي تحت وذقه فتزوي وأما كل وإد فيزعب^(٣)

/ عروضه من الطويل. ويروي «الربع الخلاء بعثب» أي الخالي. وعثب: موضع، ويروي «سقتك الغوادي من [٤٥/٩] مراد». والمراد. الموضع الذي يرتاد فيزعى فيه الكلاء. والمراح: الموضع / الذي تروح إليه المواشي وتبيت فيه^(٤). وفي الحديث أنه رخص في الصلاة في مراح الغنم ونهى عنها في أعطان الإبل. والمغزب: الموضع الذي يعزب فيه الرجل عن البيوت والمنازل. وأصل العزوب: البعد يقال عزب عنه رأيته وحلمه أي بعد، والعزب مأخوذ من ذلك. وهيدب السماء أطراف^(٥) تراه في أذنايه كأنه معلق به. قال أوس^(٦) بن حجر:

دان مسف فونسق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح
ويزعب: يطفح، يقال: زعب السيل إذا ملاه^(٧). الشعر لنصيب يقوله في عبدالعزيز بن مروان.

- (١) في الأصول هنا: «الآداب التسعة» وهو تحريف، وقد تقدّم اسم هذا الكتاب.
- (٢) عثب (بضم العين وسكون النون وضم الباء الأولى كما رواه السكري، وفي أمثلة سيبويه أنه يفتح الباء): موضع.
- (٣) أورد صاحب «اللسان» هذا البيت في مادة «رعب» بالراء المهملة. ورعب وزعب بمعنى، يستعملان لازمين فيقال رعب الوادي أو زعب إذا تملأ، ومتعدين فيقال رعب السيل الوادي أو زعبه إذا ملاء. وروي في البيت أيضاً «فيروي» بضم الياء وكسر الواو، وينصب «كل» على أن تكون «الربي» «وكل واد» مفعولين مقدمين. (راجع «اللسان» في مادة رعب).
- (٤) هذا المعنى للمراح بضم الميم. وأما بفتحها فهو الموضع الذي يروح إليه القوم أو يروحون منه كالمفدي للموضع الذي يغدى منه أو إليه.
- (٥) كذا في الأصول. ولعل صوابه: «أطراف تراها في أذنايه كأنها معلقة به». والمراد بالسماء السحاب.
- (٦) لقد ورد في «اللسان» في مادتي «هذب وسف» أن هذا البيت يروي أيضاً لعبيد بن الأبرص.
- (٧) في الأصول: «إذا علا» والتصويب عن «معاجم اللغة». وقول المؤلف «يطفح» تفسير لمعنى الفعل لازماً. وقوله بعد ذلك: «يقال زعب السيل إذا ملاء» تفسير لمعناه متعدياً. فكان ينبغي أن يكون «ويقال... إلخ» بالواو للدلالة على أنه لازم ومتعد.

وفد نصيب على عبدالعزيز بن مروان ومدحه فأجازه:

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جميع بن علي النعميري عن عبدالله بن عبدالعزيز بن مخجن بن النصب، قال الزبير وكتب إلي بذلك عبدالله بن عبدالعزيز يذكره عن عوضة بنت النصب قالت:
وفد أبي علي عبدالعزيز بن مروان بمصر، فوقف على الباب فاستأذن فلم يؤذن له. فأرسل إليه حاجبه فقال:
[٤٦/٩] استنشد، فإن كان شعره رديئاً فأزدده، وإن كان جيداً / فأدخله. فقال نصيب: قد جلبنا شيئاً للأمير، فإن قبله
نشرناه عليه وإلا طويناه ورجعنا به. فقال عبدالعزيز: إن هذا الكلام رجل ذهن، فأدخله. فلما واجهه أنشده قصيدته
التي يقول فيها:

ألا هل أتى الصقر بن مروان أنني أرؤ لذي الأبواب عنه وأحجب
وأني نويت اليوم والامس قبله على الباب حتى كادت الشمس تغرب
وأني إذا رميت السدخول تروني مهابة قيس والرتاج المضرب^(١)

قال: وكان حاجب عبدالعزيز يسمى قيساً. قال: وتشيب هذه القصيدة:

ألا أيها الرئع المقيم بعنّب سقتك السواقى من مراح ومغزب
قال: فلما دخل على عبدالعزيز أعجب بشعره وأوجهه^(٢)، وقال للفرزدق: كيف تسمع هذا الشعر؟ قال: حسن إلا
من لغته. قال: هذا والله أشعر منك! قال: وقال نصيب فيها أيضاً:

وأهلي بأرض نازحون وما لهم كاسب غيري ولا متقلب
فهل تلحقنيهم بغيل^(٣) مواسك على الأين من نجب ابن مروان أضهب
أبو بكرات إن أردت أفتحاله وذو ثبات بالرديفين متعّب

فقال له عبدالعزيز: أدخل على المهاري^(٤) فخذ منها ما شئت، فلو كنت سألت غيره لأعطيت. فدخل فردّه الجمال.
فقال عبدالعزيز: دعه فإنما يأخذ الذي نعت، فأخذه.

/ قال الزبير وحدثني بعض أصحابنا عن محمد بن عبدالعزيز قال: [٤٧/٩]

نزل عبدالعزيز بن عبد الوهاب على المهدي بعنّب من وادي السراة الذي عنى نصيب بقوله:

ألا أيها الرئع الخلاء بعنّب

والمهدي^(٥) هو الذي يقول فيه الشاعر:

إسلمي يا دار من هندي بالشويقات إلى المهدي

(١) رتاج مضرب: مجعولة له ضبة.

(٢) أوجهه: جعله وجهاً وشرفه.

(٣) العيل: الضخم.. والمواسك: السريع. والأين: الإعياء والتعب. وفي هذا البيت إقواء.

(٤) المهريّة: إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان وهو أبو قبيلة.

(٥) الظاهر أنه اسم موضع ولم نقف عليه. (وسوقة): اسم لمواضع كثيرة. ولعل «السوقيات» موضع بعينه.

صوت له يجمع ثمانى نغم وقد مدحه إسحاق

صوت

وهو يجمع من النغم ثمانيا:

يا مَنْ لِقَلْبٍ مُقْصِرٍ تَرَكَ الْمُنَى لِقَوَاتِهَا
/ وتظَلَّفَ النفس التي قد كان من حاجاتها
وِطْلَابُكَ الْحَاجَاتِ مِنْ سَلَمَى وَمِنْ جَارَاتِهَا
كَتَطَرْدُ الْعَنْسِ الذُّمُورِ لِ^(١) الْفَضْلِ مِنْ مَثَانِهَا

قوله: «يا من لقلب مقصر» تأثفت على شبابه، ويدل على ذلك قوله:

وتظَلَّفَ النفس التي قد كان من حاجاتها

يقال: اظلف نفسك عن كذا أي أمنعها منه لئلا يكون لها أثر فيه. وهو مأخوذ من ظلف الأرض وهو المكان^(٢) الذي لا أثر فيه. قال عوف بن الأحوص:

ألم أظلف^(٣) عن الشعراء عِرْضِي كما ظلف الوسيقة بالكراع

/ الوسيقة: الجماعة من الإبل. يعني أنها تُساق فلا يوجد لها أثر في الكراع، وهو مُنْقَطَعُ الجبل. قال الشاعر:

أَمِثْتُ كِرَاعَ الْغَمِيمِ^(٤) مُوحِشَةً بعد الذي قد خلا، من العجب

وقوله:

كَتَطَرْدُ الْعَنْسِ الذُّمُورِ لِ الْفَضْلِ مِنْ مَثَانِهَا

يقول: طلابك هذه الحاجات ضلالاً وتتابع كتطرد العنس (وهي الناقة المذكورة الخلق) الفضل من مثانها. والتطرد: التبع، ومثله قول الشاعر:

خَبَطْتُ الصَّبَا خَبَطَ الْبَعِيرِ خَطَامَهُ فلم أنتبه للشئيب حتى علانيَا

الشعر لمُساوِر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس. والغناء لابن مُخَرِّز ثاني ثعلب مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وهذا الصوت يجمع من النغم ثمانيا، وكذلك ذكر إسحاق ووصف أنه لم يجمع شيء من الغناء قديمه وحديثه إلى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت، ووصف أنه لو تلعف متلعف لأن يجمع النغم العشر في صوت واحد لا يمكنه ذلك، بعد أن يكون فهماً بالصناعة طويل المعاناة لها وبعد أن يُتعب نفسه في ذلك حتى يصح له. فلم يقدر على ذلك سوى عبيد الله بن عبد الله إلى وقتنا هذا.

(١) ناقة ذمول: تسير سيرا سريعاً لنا. والمثناة الحبل.

(٢) أي المكان الصلب الذي لا يبقى فيه أثر للمشي.

(٣) أي عمت عليهم أنري. وقوله: «كما ظلف الوسيقة بالكراع» قال ابن الأعرابي: هذا رجل سل إبلأ فأخذ في كراع من الأرض لئلا

تستبين آثارها فتبع. (عن «لسان العرب» مادة ظلف).

(٤) كراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

/ ذكر مسافر ونسبه

[٤٩/٩]

نسبه وهو أحد السادات المعروفين بأزواد الركب:

مسافر بن أبي عمرو بن أمية، ويكنى أبا أمية. وقد تقدم نسبه وأنساب أهله. وأمه آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهي أم أبي معيط أبان بن عمرو بن أمية. وأبو معيط ومُساوٍ أخوان لأب وأم، وهما أخوا عمومتهما أبي العاصي وأخويه من بني أمية الذين أمهم آمنة، لأن أبا عمرو تزوجها بعد أبيه. وكان سيّداً جواداً، وهو أحد أزواد^(١) الركب، وإنما سُموا بذلك لأنهم كانوا لا يدعون غريباً ولا مازاً طريق ولا محتاجاً يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكفلوا به حتى يظعن.

مناقضاته عمارة بن الوليد:

وهو أحد شعراء قريش، وكان يناقض عمارة^(٢) بن الوليد الذي أمر النجاشي السواحر فسحرته. فمن ذلك قول

عمارة:

خَلِقَ الْبَيْضُ الْحِجَانُ لَنَا وَجِيَادُ الرَّيْطِ وَالْأَزْرُ
كَابِرًا كُنَّا أَحَقُّ بِهِ حِينَ صَبَغَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

٤٩ / وقال مسافر يرد عليه:

أَعْمَارَ بَنِ الْوَلِيدِ وَقَدْ
هَلْ أَخُو كَأْسٍ مُحَقَّقُهَا
وَمُحَيِّهِمْ إِذَا شَرِبُوا
/ خَلِقَ الْبَيْضُ الْحِجَانُ لَنَا
يَذْكُرُ الشَّاعِرُ مَنْ ذَكَرَ
وَمُؤَقِّ صَحْبِهِ سُكْرَةَ
وَمُقِلُّ فِيهِمْ هَلْ ذَرَّةُ
وَجِيَادُ الرَّيْطِ وَالْحَبَرَةَ
كَابِرًا كُنَّا أَحَقُّ بِهِ
كُلُّ حَيٍّ تَابِعُ أَثَرَةَ

[٥٠/٩]

خطب هند بنت عتبة ولما تزوجت أبا سفيان مرض واعتل حتى مات:

وله شعر ليس بالكثير. والأبيات التي فيها الغناء يقولها في هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان يهواها. فخطبها إلى أبيها بعد فراقها الفاكهة بن المغيرة، فلم ترض ثروته وماله. فوفد على الثُّعْمَانِ يستعينه على أمره

(١) أزواد الركب: ثلاثة نفر من قريش: مسافر بن أبي عمرو بن أمية، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. سمو بذلك لأنه لم يكن يتزوّد معهم أحد في سفره وكانوا يطعمون كل من يصحبهم ويكفونه الزاد. وكان ذلك خلقاً من أخلاق قريش؛ ولكن لم يسم بهذا الاسم إلا هؤلاء الثلاثة. (راجع ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه).

(٢) سيأتي الكلام عنه في هذه الترجمة.

ثم عاد، فكان أول مَنْ لقيه أبو سُفيان، فأعلمه بتزويجه من هند. فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني ابن أبي سلمة عن هشام، قال ابن عمّار وقد حدثناه ابن أبي سغد عن علي بن الصباح عن هشام، قال ابن عمّار وحدثني علي بن محمد بن سليمان التوفلي عن أبيه - دخل حديث بعضهم في بعض :-

أن مسافر بن أبي عمرو بن أمية كان من فتيان قريش جمالاً وشعراً وسخاء. قالوا: فعشّق هنداً بنت عتبة بن ربيعة وعشّقته، فأثّهم بها وحملت منه. قال بعض الرواة: فقال معروف بن خربوذ: فلما بانَ حملُها أو كاد قالت له: أخرج، فخرج حتى أتى الحيرة، فأتى عمرو بن هند فكان يُنادمه. وأقبل أبو سُفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها، فلقي مُسافراً، فسأله عن حال قريش والناس، فأخبره وقال له فيما يقول: وتزوجتُ هنداً بنت عتبة. فدخله من ذلك ما اعتلّ معه حتى استسقى^(١) بطنه. قال ابن خربوذ: قال مُسافر في ذلك:

ألا إنَّ هنداً أصبحت منك محرماً وأصبحت من أدنى حُمُوتها حماً
وأصبحت كالمقمور جفن سلاحه يقلب بالكفّين قوساً وأنهما

فدعا له عمرو بن هند الأطباء، فقالوا: لا دواء له إلا الكمي. فقال له: ما ترى؟ قال: افعل. فدعا له الذي يُعالجه فأحمى مكأويه، فلما صارت كالنار قال: أدع / أقواماً يُمسكونه. فقال لهم مسافر: لست أحتاج إلى ذلك. فجعل [٥١/٩] يضع المكأوي عليه. فلما رأى صبره ضَرَطَ الطبيب، فقال مسافر:

قد يضرط العير والمكواة في النار

لما مات رثاه أبو طالب:

- فجرت مثلاً - فلم يَزِدْهُ إلا ثَقَلًا. فخرج يُريد مكة. فلما انتهى إلى موضع يقال له هَبالة^(٢) مات فدُفِنَ بها، ونُعي إلى قريش. فقال أبو طالب بن عبد المطلب يرثيه:

ليت شُعري مُسافر بن أبي عم
رجع الركب سالمين جميعاً
بُورك الميْتُ الغريبُ كما بو
بيت صدقٍ على هَبالة قد حا
/ مِذرة يدفع الخصوم بأيدٍ
ررو وليت يقولها المحزون
وخليلي في مَرَمَسٍ^(٣) مدفون
رك نضر^(٤) الرّيحان والزيتون
لت فيافٍ من دونه وحزون
ويسوجه يزيئُه العرنيين

(١) استسقى بطنه: اجتمع فيه ماء أسفر. وهو المعروف بمرض الاستسقاء.

(٢) قال الجكري في «معجم ما استعجم»: إن هَبالة: موضع لبني عقيل. وقال ياقوت في كتابه «معجم البلدان» بعد كلام: وقال أبو زياد: هَبالة وهبيل من مياه بني نمير. ثم ذكر موت مسافر بن أبي عمرو بها ورثاه أبي طالب بن عبد المطلب له.

(٣) المرمس: القبر.

(٤) كذا في «معجم ياقوت»: وفي الأصول: «نضح الرمان». والنضح: «البلل». ولعله يعني به العصير.

صوت

كَمْ خَلِيلٍ رُزْتُهِ وَأَبْنٍ عَمٍّ وَحَمِيمٍ قَضَتْ عَلَيْهِ الْمُنُونُ
فَتَعَزَّيْتُ بِالنَّاسِ وَيَالِصَبِّ وَوَأَنْتِي بِصَاحِبِي لَضِينُ
غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ يَحْيَى الْمَكِّيُّ ثَانِيً تَقِيلُ بِالْوَسْطَى مِنْ رَوَايَةِ ابْنِهِ وَالْهَشَامِيُّ.

وَأَنشَدَنَا الْحَرَمِيُّ قَالَ أَنشَدَنَا الزَّيْبِرَ لِأَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي مَسَافِرِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ غَيْرَ مُدَافِعٍ بَسَرُو سُحَيْمٍ^(١) غَيْثُهُ الْمَقَابِرُ
/ تُبْكِي أَبَاهَا أُمٌّ وَفِي وَقْدِ نَأَى وَرِيسَانُ^(٢) أَمْسَى دُونَهُ وَيُحَايِرُ
عَلَى خَيْرِ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِلٍ إِذَا الْخَيْرُ يُزْجَى أَوْ إِذَا الشَّرُّ حَاضِرُ
تَنَادَوْا وَلَا أَبُو أُمَيَّةَ فِيهِمْ لَقَدْ بُلِّغْتَ كَفَّ النَّفُوسِ الْحَنَاجِرُ^(٣)

قال وقال التَّوْفَلِيُّ: إِنَّ الْبَيْتَيْنِ:

أَلَا إِنَّ هَذَا أَصْبَحَتْ مِنْكَ مَخْرَمًا

والذي بعده لهشام بن المغيرة، وكانت عنده أسماء بنت مخزومة التَّهْشَلِيَّةُ، فولدت له أبا جهل وأخاه الحارث، ثم غضب عليها فجعلها مثلَ ظهر أمه - وكان أولَ ظَهَارٍ كان - فجعلته قريشَ طلاقاً. فأرادت أسماء الانصراف إلى أهلها، فقال لها هشام: وأين الموعد؟ قالت: الموسم. فقال لها أبناها: أقيمينا معنا فأقامت معهما. فقال المغيرة بن عبدالله وهو أبو زوجها: أمّا والله لأزوجهنَّ غلاماً ليس بدون هشام، فزوجهما أبا ربيعة ولده الآخر، فولدت له عَيَّاشاً وعبدالله. فذلك قول هشام:

تُحَدِّثُنَا أَسْمَاءُ أَنْ سَوْفَ تَلْتَقِي أَحَادِيثَ طَسَمٍ^(٤)، إِنَّمَا أَنْتِ حَالِمٌ

وقوله:

أَلَا أَصْبَحْتَ أَسْمَاءُ حَجَرًا مُخْرَمًا وَأَصْبَحْتَ مِنْ أَدْنَى حُمُوتِهَا حَمًا

قال التَّوْفَلِيُّ فِي خَبْرِهِ وَحَدَّثَنِي أَبِي: أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ مَسَافِرٌ خَرَجَ إِلَى الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ يَتَعَرَّضُ لِإِصَابَةِ مَالٍ يَنْكِحُ بِهِ هَذَا، فَأَكْرَمَهُ الثُّعْمَانُ وَأَسْتَظَفَرَهُ وَنَادَمَهُ وَضَرَبَ عَلَيْهِ قُبَّةً مِنْ أَدَمٍ حَمْرَاءَ. وَكَانَ الْمَلِكُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ بِرَجُلٍ عَرَفَ قَدْرَهُ [٥٣/٩] مِنْهُ وَمَكَائِهِ عِنْدَهُ. وَقَدِيمُ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي بَعْضِ تِجَارَاتِهِ، فَسَأَلَهُ مَسَافِرٌ عَنْ حَالِ النَّاسِ بِمَكَّةَ، / فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ هَذَا فَاضْطَرَبَ مَسَافِرٌ حَتَّى مَاتَ. وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّهُ أَسْتَسْقَى بَطْنَهُ فَكُوِيَ فَمَاتَ بِهَذَا السَّبَبِ. قَالَ التَّوْفَلِيُّ: فَهُوَ أَحَدُ مَنْ قَتَلَهُ الْعَشَقُ.

(١) كذا في جـ: ونسخه الشنقيطي مصححة بقلمه. وسرو سحيم: موضع. وفي سائر الأصول: «يسرو لنجم» وهو تحريف.

(٢) في م: «ديسان». ويحابر: اسم قبيلة.

(٣) يريد لقد بلغت القلوب الحناجر لكف النفس أي لكرها وامتلائها بالهم والحزن.

(٤) طسم: إحدى القبائل العربية القديمة البائدة.

خبر طلاق هند بنت عتبة من الفاكه بن المغيرة:

فأما خبر هند وطلاق الفاكه بن المغيرة إياها، فأخبرني به أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنِي ابْن أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الشَّكَّيْنِ زَكْرِيَّا بْنُ يَحْيَى بْنُ عَمْرِو بْنِ حِصْنِ بْنِ حُمَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الطَّائِي قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي زَخْر^(١) بْنُ حِصْنٍ عَنْ جَدِّهِ حُمَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ قَالَ:

كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة، وكان الفاكه من فُتَيان قُرَيْش، وكان له بيتٌ للضيافة بارزٌ من البيوت يغشاه الناس من غير إذن. فخلا البيت ذات يوم، فاضطجع هو وهند فيه ثم نهض لبعض حاجته. وأقبل رجلٌ ممن كان يغشى البيت فولججه، فلما رآها رجع هارباً، وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها برجله / وقال: مَنْ هَذَا الَّذِي خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ؟ قالت: ما رأيت أحداً ولا أنتبهت حتى أنبتهني. فقال لها: أرجعي إلى أمك. وتكلم الناس فيها، وقال لها أبوها: يَا بُنَيَّةُ! إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَكْثَرُوا فِيكَ، فَأَنْبِئِي نَبَأَكَ، فَإِنْ يَكُنِ الرَّجُلُ عَلَيْكَ صَادِقاً دَسَسْتُ عَلَيْهِ مِنْ يَقْتُلُهُ فَتَنْقُطِعْ عَنْكَ الْمَقَالَةُ، وَإِنْ يَكُ كَاذِباً حَاكَمْتُهُ إِلَى بَعْضِ كُفَّانِ الْيَمَنِ. فقالت: لا والله ما هو علي بصادق. فقال له: يا فاكه، إنك قد رميت بنتي بأمرٍ عظيم، فحاكمني إلى بعض كُفَّانِ الْيَمَنِ. فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عتبة في جماعة من عبد مناف ومعهم هند ونسوة. فلما شارفوا البلادَ وقالوا غداً نَرِدُ عَلَى الرَّجُلِ تَنْكُرُثَ حَالِ هِنْدٍ. فقال لها عتبة: إِنِّي أَرَى مَا حَلَّ بِكَ مِنْ تَنْكُرِ الْحَالِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَكْرُوهِ عِنْدِكَ. قالت: لا والله يا أبتاه ما ذاك لمكروه، ولكني أعرف أنكم تأتون بَشْراً يَخْطِئُ وَيَصِيبُ، وَلَا آمَنُهُ أَنْ يَسْمِنِي مِسْماً يَكُونُ عَلَيَّ سُبَّةً. فقال / لها: إِنِّي سَوْفَ أَخْتَبِرُهُ لَكَ، فَصَفَّرَ بِفَرْسِهِ حَتَّى أَذْلَى^(٢)، ثُمَّ أَدْخَلَ فِي إِحْلِيلِهِ حَبَّةَ بُرٍّ وَأَوْكَا^[٥٤/٩] عَلَيْهَا بِسِيرٍ. فلما أصبحوا قَدِمُوا عَلَى الرَّجُلِ فَأَكْرَمَهُمْ وَنَحَرَ لَهُمْ. فلما قعدوا قال له عتبة: جِئْنَاكَ فِي أَمْرٍ وَقَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبْئاً أَخْتَبِرُكَ بِهِ فَأَنْظِرْ مَا هُوَ؟ قال: ثَمَرَةٌ فِي كَمْرَةٍ^(٣). قال: إِنِّي أُرِيدُ أَبْيَنَ مِنْ هَذَا. قال: حَبَّةُ بُرٍّ فِي إِحْلِيلِ مُهْرٍ. قال: صَدَقْتَ، أَنْظِرْ فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ. فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول: أَنْهَضِي، حَتَّى دَنَا مِنْ هِنْدٍ فَقَالَ لَهَا: أَنْهَضِي غَيْرِ رَسْحَاءٍ^(٤) وَلَا زَانِيَةٍ، وَلَتَلِدِينَ مَلِكاً يَقَالُ لَهُ مُعَاوِيَةُ. فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها، فشرث يدها من يده وقالت: إِلَيْكَ عَنِّي أَفْوَاهُ لَأَحْرِصُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِكَ، فَتَزَوَّجَهَا أَبُو سُفْيَانَ.

وقد قيل: إِنَّ بَيْتِي مَسَافِرُ بْنُ أَبِي عَمْرِو أَعْنِي:

أَلَا إِنَّ هِنْدًا أَصْبَحَتْ مِنْكَ مُحْرَمًا

لِابْنِ عَجْلَانَ^(٥).

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي نَضْرٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ:

(١) فِي الْأَصُولِ: «أَبُو زَحْرٍ» وَهُوَ خَطَأٌ. (رَاجِعْ شَرْحَ «الْقَامُوسِ» مَادَّةَ زَحْرٍ).

(٢) أَذْلَى الْفَرَسَ وَغَيْرَهُ: أَخْرَجَ جِرْدَانَهُ لِيَبُولَ أَوْ يَضْرِبَ.

(٣) الْكَمْرَةُ: رَأْسُ الذَّكَرِ.

(٤) الرِّسْحُ: خَفَةُ الْعَجِيزَةِ وَلِصُوقِهَا.

(٥) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَجْلَانَ بْنِ عَبْدِ الْأَحَبِّ بْنِ عَامِرِ بْنِ كَعْبٍ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ وَهُوَ أَحَدُ الْمُتَمِيمِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَمَنْ قَتَلَهُ الْحَبَّ مِنْهُمْ. وَكَانَ لَهُ زَوْجَةٌ يَقَالُ لَهَا هِنْدٌ فَطَلَّقَهَا ثُمَّ نَدِمَ عَلَى ذَلِكَ، فَتَزَوَّجَتْ زَوْجاً غَيْرَهُ فَمَاتَ أَسْفَاً عَلَيْهَا. (انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي «الْأَغَانِي» ج ١٩ ص ١٠٢ طَبْعَةُ بُولَاقِ).

خرج عبدالله بن العجلان في الجاهلية فقال:

ألا إن هندا أصبحت منك مخرما وأصبحت من أدنى حُمُوتها حَمَا
فأصبحت كالمقمور جفن سلاحه يُقَلِّب بالكفَّين قوساً وأشهما

[٥٥/٩] / شعر لمسافر في الفخر:

ثم مدَّ بهما صوته فمات. قال ابن سيرين: فما سمعتُ أن أحداً مات عشقاً غير هذا. ومما يغني فيه من شعر مسافر بن أبي عمرو وهو من جيّد شعره قوله يفتخر:

صوت

أَلَمْ تَسْبِقِ الْحَجِيجَ وَتَدَّ حَرِّ الْمِذْلَاقَةِ^(١) الرُّفْدَا
وَزَمْزَمُ مَنْ أُرُومَتْنَا وَنَفَقَا عَيْنَ مَنْ حَسَدَا
وَأَنَّ مِنْ أَقْبَبِ الْخِيَرَا ت لَمْ تُسْبِقْ بِهَا عَدَدَا
فَإِنْ نَهَلِكْ فَلَمْ نَمْلِكْ وَهَلْ مِنْ خَالِدٍ خَلَدَا

غناه ابن سريج رَمَلًا بِالْخِنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ إِسْحَاق. وفيه لسائب خاثر لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى من رواية حَمَاد. وفيه للزَّفْ ثَقِيل بالوسطى.

/ فأما خبر عمارة بن الوليد والسبب الذي من أجله
أمر النجاشي السواحر فسحرته

٥٢
٨

ما كان بين عمرو وعمارة لدى النجاشي:

فإن الواقدي ذكره عن عبدالله بن جعفر بن أبي عون قال:

كان عمارة بن الوليد المخزومي بعدما مشى^(٢) قريش بعُمارة إلى أبي طالب خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وكانا كلاهما تاجرين، إلى النجاشي، وكانت / أرض الحبشة لقريش مَنَجَرًا وَوَجْهًا، وكلاهما مُشْرِكٌ شاعرٌ فاتكٌ وهما في جاهليتهما، وكان عمارة مُعْجَبًا بالنساء صاحبَ محادثة^(٣)؛ فركبا في السفينة ليالي فأصابا من خمرٍ معهما. فلما انتشى عُمارة قال لامرأة عمرو بن العاص: قَبِّليني. فقال لها عمرو: قَبِّلِي ابْنَ عَمِّكَ فَقَبِّلْتَهُ. وحذر عمرو على زوجته فرصدتها ورصدته، فجعل إذا شرب معه أَقَلَّ عمرو من الشراب وأَرَقَّ لنفسه بالماء مخافة أن يسكر فيغلبه عُمارة على أهله. وجعل عُمارة يُراودها على نفسها فامتنعت منه. ثم إن عمراً جلس إلى ناحية السفينة يبول،

(١) كذا في «اللسان» (بيدتي ذلق ورفد). والمذلاقة: يريد بها النوق السريعة السير وفي الأصول: «الدلافة» وهو تحريف. والرفد: جمع رفود وهي التي تملأ الرفد (وهو بالفتح والكسر القدح الضخم) من النوق في حلبة واحدة.

(٢) قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغني: «يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنه قد أتى في قريش وأجمله. فخذ به فلك عقله ونصره واتخذ ولدًا فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فقتله فإنما هو رجل كرجل». فقال: والله لبئس ما تسوموني! أتعتلونني ابنكم أغدوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبدًا». (سيرة ابن هشام، ج ١ ص ١٦٩).

(٣) يحتمل أن تكون: «صاحب مخادنة». والرجل يوصف بأنه حدث نساء كما يوصف بأنه خدنهن.

فدفعه عمارة في البحر. فلما وقع فيه سبّح حتى أخذ بالقلس^(١) فارتفع فظهر على السفينة. فقال له عمارة: أما والله لو علمتُ يا عمرو أنك تُحسن السباحة ما فعلتُ. فأضططنها عمرو وعلم أنه أراد قتله. فمضينا على وجههما ذلك حتى قدما أرض الحبشة ونزلاها. وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص أن أخلعني وتبرأ من جريرتي إلى بني المغيرة وجميع بني مخزوم. وذلك أنه خشي على أبيه أن يتبع بجريرته وهو يرصد لعمارة ما يرصد. فلما ورد الكتابُ على العاص بن وائل مشى في رجال من قومه منهم نبيه ومُنَبِّه ابنا الحجاج^(٢) إلى بني المغيرة وغيرهم من بني مخزوم فقال: إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم، وكلاهما فاتك صاحب شر، وهما غير مأمونين على أنفسهما ولا ندرى ما يكون. وإنِّي أبرأ إليكما من عمرو ومن جريرته وقد خلعتُ. فقالت بنو المغيرة وبنو مخزوم: أنت تخاف عمراً على عمارة! وقد خلعنا نحن عمارة وتبرأنا إليك من جريرته، فخلُ بين الرجلين. فقال السهميون^(٣): قد قبلنا، / فابعثوا منادياً بمكة أنا قد خلعناهما. وتبرأ كل قوم من صاحبهم ومما جرّ عليهم، فبعثوا [٥٧/٩] منادياً ينادي بمكة بذلك. فقال الأسود بن المطلب: بطل والله دم عمارة بن الوليد آخر الدهر! فلما اطمأننا بأرض الحبشة لم يلبث عمارة أن دبّ لامرأة النجاشي فأدخلته فأختلف إليها. فجعل إذا رجع من مدخله يخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره. فجعل عمرو يقول: ما أصدقك أنك قدرت على هذا الشأن، إن المرأة أرفع من ذلك. فلما أكثر على عمرو مما كان يُخبره، وقد كان صدقه ولكن أحبّ الثبوت، وكان عمارة يغيب عنه حتى يأتيه في السحر، وكان في منزل واحد معه، وجعل عمارة يدعوه إلى أن يشرب معه فيأبى عمرو ويقول: إن هذا يشغلك عن مدخلك، وكان عمرو يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دفعه إن هو رفعه إلى النجاشي. فقال له في بعض ما يذكر له من أمرها: إن كنت صادقاً فقل لها تذهنك من ذهن النجاشي الذي لا يذهن به غيره فإني أعرفه، لو أتيتني به لصدقتك. ففعل عمارة [فجاء^(٤)] بكارورة من ذهنه، فلما شمّه عرفه. فقال له عمرو عند ذلك: أنت صادق! لقد أصبت شيئاً ما أصاب / أحد مثله قط من العرب ونلت من امرأة الملك شيئاً ما سمعنا بمثل هذا - وكانوا أهل^(٥) جاهلية - ثم سكت عنه، حتى إذا اطمأن دخل على النجاشي فقال: أيها الملك! إن ابن عمي سفيه، وقد خشيته أن يعزتي^(٥) عندك امرأة، وقد أردت أن أعلمك شأنه. [ولم أفعل^(٦)] حتى استثبت أنه^(٧) قد دخل على بعض نساتك فأكثر. وهذا من ذهنك قد أعطيه ودهنتي منه. فلما شمّ النجاشي الدهن قال: صدقت، هذا دهن الذي لا يكون إلا عند نسائي. ثم دعا بعمارة / ودعا بالسواحر، فجردوه من ثيابه فنفضن في إحليله، ثم خلى سبيله فخرج هارباً^(٨). [٥٨/٩] فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب. فخرج إليه عبدالله بن أبي ربيعة - وكان اسمه قبل أن

(١) القلس: جبل غليظ من جبال السفن.

(٢) هما نبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن بقة بن سعد بن سهم، كانا من أشرف قريش، ماتا على الشرك في غزوة بدر؛ قتل الأول حمزة بن المطلب، والثاني أبو اليسر أخو بني سلمة. (السيرة) ج ١ ص ٣٢٤، ٤٣٦، ٤٧٥، ٥١٠.

(٣) السهميون: قوم عمرو بن العاص، وبنو سهم من هيص بن كعب بن لؤي.

(٤) زيادة عن «تجريد الأغاني».

(٥) عره: لطحه بعيب.

(٦) التكملة عن «تجريد الأغاني».

(٧) في الأصول: «حتى استثبت وأنه...» بزيادة الواو.

(٨) في «تجريد الأغاني» «فخرج هارباً هائماً على وجهه مع الوحش. ومتى رأى الإنس هرب منهم وطلع له شعر غطى جميع بدنه. ولم يزل كذلك مدة أيام النبي ﷺ وأيام أبي بكر رضي الله عنه وصدر من خلافة عمر رضي الله عنه، فخرج إليه... إلخ».

يسلم بحيراً فسماه رسول الله ﷺ عبدالله - فرصده على ماء بأرض الحبشة، وكان يرده مع الوحش، فورد، فلما وجد ريح الإنس هرب، حتى إذا أجهده العطش ورد فشرب حتى تملأ^(١)، وخرجوا في طلبه. فقال عبدالله بن أبي ربيعة: فسعيت إليه فالتزمته، فجعل يقول لي: يا بحير أرسلني! يا بحير أرسلني! إني أموت إن أمسكتموني. قال عبدالله: وضغطته^(٢) فمات في يدي مكانه. فواراه ثم انصرف. وكان شعره قد غطى على كل شيء منه.

قال الواقدي عن ابن أبي الزناد: وقال عمرو لعُمارة: يا فائد، إن كنت تحب أن أصدقك بهذا أو أقبله منك فأتني بثوبين أصفرين. فلما رأى النجاشي الثوبين قال له عمرو: أتعرف الثوبين؟ قال نعم.

وقال الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه، قال النجاشي لعُمارة: إني أكره أن أقتل قرشياً، ولو قتلته قرشياً لقتلتك، فدعا بالسواحر.

شعر عمرو بن العاص في عمارة:

فقال عمرو بن العاص يذكر عمارة وما صنع به - قال الواقدي أخبرني ابن أبي الزناد أنه سمع ذلك من ابن ابنه عمرو بن شعيب بن عبدالله بن عمرو يذكره لحده -:

[٥٩/٩] / تَعْلَمُ عُمَارُ أَنْ مِنْ شَرِّ شَيْمَةٍ
لَمَثَلِكَ أَنْ يُدْعَى ابْنُ عَمٍّ لَهُ ابْنَمَا
وَأَنْ كُنْتَ ذَا بُرْدَيْنِ أَخَوَى مُرَجَّلَا
فَلَسْتَ بِرَاعٍ^(٣) لِأَبْنِ عَمِّكَ مَخْرَمَا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَتْرَكَ طَعَاماً يُجْبَاهُ
وَلَمْ يَنْهَ قَلْباً غَاوِياً حَيْثُ يَمَّمَا
قَضَى وَطَرّاً مِنْهُ يَسِيراً وَأَصْبَحَتْ
إِذَا ذُكِرَتْ أَمْثَالُهَا تَمَلَّأَ الْفَمَا
فَلَيْسَ الْفَتَى وَلَوْ أَنْتَ^(٤) عَرَوْقُهُ
بِذِي كَرَمٍ إِلَّا بِأَنْ يَتَكَرَّمَا
صَحِبْتُ مِنَ الْأَمْرِ الرَفِيقَ طَرِيقَهُ
وَوَلَيْتُ غَيَّ الْأَمْرِ مَنْ قَدْ تَلَوَّمَا
مِنْ الْآنَ فَأَنْزِعْ عَنْ مَطَاعِمِ جَمَّةٍ
وَعَالِجِ أُمُورِ الْمَجْدِ لَا تَتَّذَمَّا

شعر خولة بنت ثابت في عمارة:

قال إسحاق وحدثني الأصمعي: أَنَّ خَوْلَةَ بِنْتَ ثَابِتٍ أَخْتِ حَسَّانَ قَالَتْ فِي عُمَارَةَ لَمَّا سُحِرَ:

يَا لَيْتَنِي^(٥) لَمْ أَنْمَ وَلَمْ أَكِدِ
أَقْطَعُهَا بِالْبِكَاءِ وَالشَّهْدِ
أَبْكِي عَلَى فِتْنَةٍ رَزَتْهُمْ
كَانُوا جِبَالِي فَأَوْهَنُوا عَضْدِي
كَانُوا جَمَالِي وَنُضْرَتِي وَبِهِمْ
أَمْنَعُ ضَيْمِي وَكُلُّ مُضْطَهْدِ
فَبَعْدَهُمْ أَرْقُبُ النُّجُومَ وَأَذُ
رِي الدَّمْعَ وَالْحَزْنَ وَالْجُ كَبْدِي

(١) كذا في «تجريد الأغاني». وتملا الرجل من الطعام والشراب: امتلا. وفي الأصول: «ملا».

(٢) كذا في أ، م وفي سائر الأصول: «وضبطته».

(٣) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «براء».

(٤) أنتمت عروقه: بلغت تمامها في الكرم.

(٥) يا ليتني: وهو تحريف.

قال الأصمعي واجتاز ابن سريج بطونيس ومعه فتية من قريش وهو يغنيهم في هذا / الصوت، فوقف حتى سمعه، ثم $\frac{٥٤}{٨}$ أقبل عليهم فقال: هذا والله سيد من غناه.

هذه الأصوات التي ذكرتها الجامعة للنغم العشر والثماني النغم^(١) منها هي المشهورة المعروفة عند الرواة وفي روايات الرواة وعند المغنين.

كان عبيد الله يرسل المعتضد على لسان جواريه:

وكان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يرسل المعتضد بالله إذا استزار جواريه على ألسنتهم ومع ذوي الأنس عنده من رسله: مع أحمد بن الطيب وثابت بن قرّة / الطائي، يذكر النغم وتفصيل مجاريها ومعانيها حتى فهم ذلك. [٦٠/٩] فصنع لحناً فجمع النغم العشر في قول دُرَيْد بن الصَّمّة:

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ أَخْبُّ فِيهَا وَأَضَعُ

كان المكتفي يرسله في الغناء:

وصنع صنعة متقنة جيدة، منها ما سمعناه من المُحْسِنِينَ والمُحْسِنَاتِ ومنها ما لم نسمعه، يكون مبلغها نحوَ خمسين صوتاً. وقد ذكرتُ من ذلك ما صلح في أغاني الخلفاء. ثم صنع مثل ذلك للمكتفي^(٢) بالله لرغبته في هذه الصناعة. فوجدتُ رقعةً بخطه كتب بها إلى المكتفي نسختها: «قال إسحاق بن إبراهيم حين صاغ عند أبي العباس عبد الله بن طاهر بأمره لحنه في:

يَوْمَ تُبْدِي لَنَا قَتِيلَةً عَنْ جِدِّ . سِدِّ تَلِيْعٍ^(٣) تَزِينُهُ الْأَطْوَأُ

وَشَتِيَتِ كَالْأَفْحُوَانِ جَلَاءَ الطُّلِّ فِيهِ عُذْرِبَّةٌ وَأَشَاقُ

إني نظرتُ مع إبراهيم وتصفحتُ غناء العرب كله، فلم نجد في جميع غناء العرب صوتاً أطول إيقاعاً من:

عَادَكَ الْهَمُّ لَيْلَةَ الْإِيْجَافِ^(٤) مِنْ غَزَالٍ مُخَفَّضِ الْأَطْرَافِ

ولحنه خفيفٌ ثقيلٌ لابن مُحَرِّزٍ؛ فإن إيقاعه ستة وخمسون دَوْرًا. ثم لحن مَعْبَدُ:

هُرَيْرَةٌ وَدَّعَهَا وَإِنْ لَمْ لَانُمُ غَدَاةً غَدِ أَمْ أَنْتَ لِلْيَتِيمِ وَاجِمُ

وهو أحد سَبْعَةِ^(٥). ولحنه خفيفٌ ثقيلٌ، ودَوْرُ إيقاعه ستة وخمسون دَوْرًا، إلا أن صوت ابن مُحَرِّزٍ سُدَّاسِيٌّ في

الْعَرُوضِ مِنَ الْخَفِيفِ، وصوت مَعْبَدُ ثَمَانِيٌّ مِنَ الطَّوِيلِ؛ فصوتُ ابن مُحَرِّزٍ أعجبُ لأنه أقصر. وما زلنا حتى تهياً لنا

شعرُ رَبَاعِيٍّ فِي سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ، دَوْرُ إيقاعه ستة وخمسون دَوْرًا، وهو يجمع من النغم / العشر [٦١/٩] ثمانية؛ وهذا ظريفٌ جداً بديعٌ لم يكن مثله. وأما الصوت الذي في تهتهة التَّوَرُوزِ فَلَأَنْفِسِنَا عَمَلْنَاهُ؛ إذ لم يكن لنا مَنْ

(١) في الأصول: «الثماني نغم» بدون أداة التعريف في المضاف إليه.

(٢) في الأصول: «بالمكتفي» وهو تحريف.

(٣) تليع: طويل.

(٤) الإيجاف: سرعة السير.

(٥) أي أحد أصواته السبعة وهي مدنه المعروفة. وفي الأصول: «أحد سبعاته».

يدبّر مثل هذا معه غيره. وقد كتبنا شعره وشعر الآخر، وإيقاع كل واحد منهما خفيفٌ ثقيل، والصنعةُ فيهما تُستظَرَفُ:

جُمِعَ الخلائفُ^(١) كلّهم لجميع^(٢) ما بلّغوا وأعطوا في الإمام المكتفي
ولله الهدايا ألف نُورٍ وهـ لذا الشعرُ منها لحْنُه لم يُعرَفِ

والآخر:

دولَةُ المكتفي الخليفة فة تُفنى مَسَدَى الدُّوَلِ
يَوْمٌ عِيدٍ وَيَوْمٌ عُرُ من فَمَا بَعْدَهَا أَمَلٌ

الصنعةُ في البيت الأول خاصةٌ تدور على ستة وخمسين إيقاعاً.

هكذا وجدت في الرقعة بخط عبيد الله. وما سمعتُ أحداً يغني هذين الصوتين. وقد عرضتهما على غير واحد من المتقدمين / ومن مغنيات القصور فما عرفهما أحدٌ منهن. وذكرتهما في الكتاب لأن شريطته تُوجب ذكرهما.

الأرمال الثلاثة المختارة

الأرمال المختارة والكلام عنها:

أخبرني يحيى بن عليّ ومحمد بن خلف وكيع والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي، قال أبو أحمد رحمه الله وأخبرني أبي أيضاً عن إسحاق، وأخبرنا عليّ بن عبدالعزيز قال حدثنا عبيد الله بن خُرّاذبَه قال قال إسحاق: أجمع العلماء بالغناء أن أحسن رَمَلٍ غُنِّيَ رَمَلٌ: فلم أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظِرٍ

[٦٢/٩] ثم رملٌ:

أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التندلِ

ولو عاش أبْنُ سُرَيْجٍ حتى يسمعَ لحْنِي الرملِ:

لعلَّكَ إن طالتَ حياتُكَ أن تَرَى

لاستحيا أن يصنع بعده شيئاً. وفي روايتي وكيع وعليّ بن يحيى «ولعلم^(٣)» أني نعم الشاهد له.

(١) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «الخلائق» بالقاف.

(٢) كذا في الأصول: ولعله: «بجميع».

(٣) لعل الواو من زيادات النساخ.

نسبة الأصوات وأخبارها:

صوت

الصوت الأول من هذه الأرمال في شعر ابن أبي ربيعة:

فلم أرَ كالتجمير منظرَ ناظرٍ ولا كإلي الحبح أَفْلَتَنَ ذا هوى
فكم من قتيلٍ ما يُسَاءُ^(١) به دمٌ ومن غَلِقَ رهنًا إذا لَفَّه مِنَى
ومن مالىء عينيه من شيءٍ غيره إذا راح نحوَ الجمرةِ البيضِ كالذمى
يُسْحَبُنَ أذيالَ المُرُوطِ بأسواقٍ^(٢) خِذَالٍ وأعجازٍ مأكُمها^(٣) رِوَا

عروضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج رملٌ بالنصر. وقد كان علويه فيما بلغنا صنع فيه رملًا، وفي «أفاطم مهلاً» خفيف رمل، وفي «لعلك إن طالت حياتك» رملًا آخر، ولم يصنع شيئاً وسقطت الحائنه فيها فما تكاد تُعرف. وهذه الأبيات يقولها عمر بن أبي ربيعة في بنت مروان بن الحكم.

/ ابن أبي ربيعة وأم عمرو بنت مروان:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا ابن كُناسة عن أبي بكر بن عيَّاش قال:

حجَّت أم عمرو بنت مروان، فلما قضت نُسكها أتت عمر بن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نساء معها، فحادثته ثم أنصرفت، وعادت إليه مُنصَرَفَهَا من عرفات وقد أثبتها. فقالت له: لا تذكرني في شعرك، وبعثت إليه بألف دينار. فقبلها واشترى بها ثياباً من ثياب اليمن وطيباً فأهداه إليها فردته. فقال: إذا والله أنهبه الناس فيكون مشهوراً؛ فقبلته. وقال فيها:

أئِهم الرائحُ المُجِدُّ أبكارًا قد قضى من تهمامة الأوطارًا
مَنْ يكن قلبه الغداة خلياً ففؤادي بالخيفِ أَمسى مُطارًا
ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجَّةً وأعتمارًا

قال ابن كُناسة قال ابن عيَّاش: فلما وجَّهت منصرفاً قال فيها:

فكم من قتيلٍ ما يُسَاءُ به دمٌ ومن غَلِقَ رهنًا إذا لَفَّه مِنَى

/ قال: ويروى «ومن غَلِقَ رهن» كأنه قال ومن رهنٍ غَلِقَ؛ لا يُجعل من نعت الرهن. كأنه جعل الإنسان غَلِقاً وجعله ٥٦ رهنًا؛ كما يقال: كم من عاشقٍ مُذَنَّبٍ، ومن كَلِفٍ صَبٍّ.

قال الزبير وحدثني مُسلم بن عبدالله بن مُسلم بن جُنْدَب عن أبيه قال: أنشده ابن أبي عتيق فقال: إن في نفس الجمال ما ليس في نفس الجمال.

(١) أباه فلان القتل بالقاتل: قتله به. يريد: كم من قتيل يطل دمه ولا يؤخذ له بثأر. وغلق الرهن في يد المرتهن يخلق غلقاً. لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط. يريد: كم من قلوب أسيرة لا يقدر أصحابها على افتكاكها.

(٢) الأسواق: جمع ساق. والخدال: الممتلئة.

(٣) المأكمة: المعجزة.

قال: وقال عبدالله بن عمر، وقد أنشده عمر بن أبي ربيعة شعره هذا: يا بن أخي! أما اتقيت الله حيث تقول:

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجّة واعتماراً

فقال له عمر بن أبي ربيعة: بأبي أنت وأمي! إني وضعت لئناً حيث لا تُغنى.

[٦٤/٩] / أمر عمر بن عبدالعزيز بنفيه ثم خلاه لما تاب:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، وأخبرني علي بن عبدالعزيز عن عبيد الله بن عبدالله عن إسحاق، وأخبرني ببعض هذا الخبر الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا مُصعب بن عثمان: أن عمر بن عبدالعزيز لما ولي الخلافة لم تكن له همة إلا عمر بن أبي ربيعة والأحوص. فكتب إلى عامله على المدينة: «قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشر. فإذا أتاك كتابي هذا فأشدّهما واحمِلهما إلي». فلما أتاه الكتاب حملهما إليه. فأقبل على عمر فقال له هيه!

فلم أر كالتجمير منظرٍ ناظرٍ ولا كليسالي الحجّ أفلّسنَ ذا هوى

وكم مالي عنيه من شيءٍ غيره إذا راح نحو الجمرّة البيض كالدمى

فإذا لم يُقَلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يُقَلتون! أما والله لو اهتممت بأمر حجّك لم تنظر إلى شيءٍ غيرك! ثم أمر بنفيه. فقال: يا أمير المؤمنين، أو خيرٌ من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أعاهد الله ألا أعود إلى مثل هذا الشعر ولا أذكر النساء في شعرٍ أبداً وأجدّد توبةً على يديك. قال: أو تفعل؟ قال نعم. فعاهد الله على توبةٍ وخلاّه. ثم دعا بالأحوص فقال هيه!

نفى الأحوص ولم يطلقه إلا يزيد بن عبد الملك:

الله ينسي ويمن قِيمها يهرُب مني بهما وأتبع

با الله بين قِيمها وبينك! ثم أمر بنفيه إلى بيش^(١)، وقيل إلى دَهْلَك وهو الصحيح، فنفي إليها، فلم يزل بها. فرحل إلى عمر عدّة من الأنصار فكلّموه في أمره وسألوه أن يقدمه وقالوا له: قد عرفت نسبه وقدمه وموضعه وقد أخرج

[٦٥/٩] إلى بلاد / الشرك، فنطلب إليك أن تردّه إلى حرم رسول الله ﷺ ودار قومه. فقال لهم عمر: من الذي يقول:

فما هو إلا أن أراها فجاءةً فأنهت حتى ما أكاد أحير

- وفي رواية الزبير «أجيب» مكان «أخير» - قالوا: الأحوص^(٢). قال: فمن الذي يقول:

أدور ولولا أن أرى أم جعفرٍ بأياتكم ما دُرْتُ حيث أدور

ومما كننت زوّاراً ولكن ذا الهوى إذا لم يَزُرْ لا بد أن ميزرو

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

(١) بيش: من بلاد اليمن قرب دهلك. ودهلك جزيرة في بحر اليمن، مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة وهي نجاه مصوع. وكان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

(٢) نسب هذا البيت لعروة بن حزام. (انظره في ترجمته ج ٢٠ ص ١٥٦ من «الأغاني» طبع بلاق).

كَانَ بُنَى صَبِيرٌ^(١) غَادِيَةٌ أَوْ دُمَيْسَةُ زُيْنَتْ بِهَا الْيَمْعُ
اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ قِيَمِهَا يُهْرَبُ مِنِّي بِهَا وَأَتَّبِعُ

/ قالوا: الأحوص. قال: إن الفاسق عنها يومئذٍ لمشغول، والله لا أردّه ما كان لي سلطان. فمكث هناك بعد ولاية ٥٧/٨
عمر صادراً من ولاية يزيد بن عبد الملك ثم خلاه.

قال: وكتب إلى عمر بن عبد العزيز من موضعه - قال الزبير: أنشدنيها عبد الملك بن عبد العزيز ابن بنت الماجشون
قال أنشدنيها يوسف بن الماجشون يعني هذه الأبيات -:

أَيَا رَاكِباً إِنَّمَا عَرَضَتْ فَبَلَّغْنِ هُدَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَسَائِلِي
وَقُلْ لَأَبِي حَفْصٍ إِذَا مَا لَقِيَتْهُ لَقَدْ كُنْتَ نَفْعاً قَلِيلَ الْغَوَائِلِ
أَفِي اللَّهِ أَنْ تُذْنَبُوا ابْنَ حَزْمٍ^(٢) وَتَقْطَعُوا قُوَى حُرُمَاتٍ بَيْنَنَا وَوَصَائِلِ^(٣)
/ فَكَيْفَ تَرَى لِلْعَيْشِ طَيْباً وَلَذَّةً وَخَالِكَ أَمْسَى مُوثِقاً فِي الْحَبَائِلِ
وَمَا طَمِعَ الْحَزْمِيُّ فِي الْجَاهِ قَبْلَهَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ عَادِلِ
وَشَى وَأَطَاعُوهُ بِنَا وَأَعَانَهُ عَلَى أَمْرِنَا مَنْ لَيْسَ عَنَّا بِغَافِلِ
وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ الْقَرَابَةَ لَمْ تَدْعُ وَلَا الْحُرُمَاتِ فِي الْعَصُورِ الْأَوَائِلِ
إِلَى أَحَدٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ ذِي حِجَى^(٤) بِأَمْرِ كَرِهْنَاهُ مَقَالاً لِقَائِلِ
يُسَرُّ بِمَا أَنَّهُى الْعَدُوَّ وَإِنَّهُ كِنَافِلِي لِي مِنْ خِيَارِ النَّوَافِلِ
فَهَلْ يَنْقُصُنِي الْقَوْمُ أَنْ كُنْتُ مُسْلِماً بَرِيئاً بِلَانِي فِي لِبَالِ قِلَائِلِ
أَلَا رَبِّ مَسْرُورٍ بِنَا سَيَغِظُهُ لَدِي غَبٍّ أَمْرُ عَضُّهُ بِالْأَنَامِلِ
رَجَا الصُّلَحَ مِنِّي أَلْ حَزْمٍ بِنَ فَرْتَنِي عَلَى دِينِهِمْ جَهلاً وَلَسْتُ بِفَاعِلِ
أَلَا قَدْ يُرْجَوْنَ الْهَوَانَ فَإِنَّهُمْ بَنُو حَبَقٍ^(٥) نَاءٍ عَنِ الْخَيْرِ فَائِلِ
عَلَى حِينَ حَلَّ الْقَوْلِ بِي وَتَنْظَرْتُ عَقُوبَتَهُمْ مِنِّي رُؤُوسَ الْقَبَائِلِ
فَمَنْ يَكُ أَمْسَى سَائِلاً بِشِمَاتِي بِمَا حَلَّ بِي أَوْ شَامِتاً غَيْرَ سَائِلِ
فَقَدْ عَجِمْتُ مِنِّي الْعَوَاجِمُ مَا جَدَا صَبُوراً عَلَى عَضَاتِ تِلْكَ التَّلَاتِلِ^(٦)
إِذَا نَالَ لَمْ يَقْرَحْ وَلَيْسَ لِنُكْبَةِ إِذَا حَدَثَتْ بِالْخَاضِعِ الْمُتَضَائِلِ

قال الزبير: وقال الأحوص أيضاً:

(١) الصبير: السحابة البيضاء.

(٢) يريد به أبا بكر بن محمد عمرو بن حزم والي المدينة لعمر بن عبد العزيز.

(٣) في حد: «ووصائلي» والوصائل: جمع وصيلة، وهي ما يوصل به الشيء.

(٤) كذا في حد: وفي سائر الأصول: «ذي حمى».

(٥) الحبق، الضراط.

(٦) التلاتل: الشدائد.

هَلْ أَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي بِوَدِّكَ مِنْ وَدِّ الْعِبَادِ لِقَانِعُ
مَتَّمُّ أَجْرٍ قَدْ مَضَى وَصَنِيعَةٍ لَكُمْ عِنْدَنَا أَوْ مَا تُعَدُّ الصَّنَائِعُ
فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ سَائِلٍ ذِي كَشَاحَةٍ وَنَظَرٍ بِالْغَيْبِ مَا أَنْتَ صَانِعُ
فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ ذَلِكَ وَلَمْ يُخْلِ سَبِيلَ عَمْرٍ، حَتَّى وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَقْدَمَهُ وَقَدْ غَتَّتْهُ حَبَابَةٌ بِصَوْتِ فِي شَعْرِهِ.

[٦٧/٩] / أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ قَالَ هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ:

كَانَ السَّبَبُ فِي رَدِّ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأَحْوَصَ أَنْ جَمِيلَةَ غَتَّتْهُ يَوْمًا:

كَرِيمُ قَرِيشٍ حِينَ يُنْسَبُ وَالَّذِي أَقَرَّتْ لَهُ بِالْمَلِكِ كَهْلًا وَأَمْرًا

فَطَرِبَ يَزِيدُ وَقَالَ: وَيَنَحُّكَ! مَنْ كَرِيمُ قَرِيشٍ هَذَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ غَيْرُكَ!
قَالَ: وَمَنْ قَاتِلُ هَذَا الشَّعْرِ فِي؟ قَالَتْ: الْأَحْوَصُ وَهُوَ مَنَفِيٌّ. فَكُتِبَ بَرْدُهُ / وَحَمِلَهُ إِلَيْهِ وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ صِلَاتٍ سَنِيَّةً. فَلَمَّا
قَدِمَ إِلَيْهِ أَدْنَاهُ وَقَرَّبَهُ وَأَكْرَمَهُ. وَقَالَ لَهُ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ حَافِلٍ: وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَمُتْ إِلَيْنَا بِحَقِّ وَلَا صِهْرٍ وَلَا رَجِمٍ إِلَّا
بِقَوْلِكَ:

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِيكُمْ أَنْ يَقُودَنِي إِلَى غَيْرِكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ

لَكَفَاكَ ذَلِكَ عِنْدَنَا. قَالَ: وَلَمْ يَزَلْ يَنَادِمُهُ وَيَنَافِسُ بِهِ حَتَّى مَاتَ. وَأَخْبَارُ الْأَحْوَصِ فِي هَذَا السَّبَبِ وَغَيْرِهِ قَدْ مَضَتْ
مَشْرُوحَةً فِي أَوَّلِ مَا مَضَى مِنْ ذِكْرِهِ وَأَخْبَارِهِ؛ لِأَنَّ الْغُرُضَ هَاهُنَا ذِكْرُ بَقِيَّةِ خَبَرِهِ مَعَ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ فِي الشَّعْرَيْنِ
الَّذَيْنِ أَنْكَرَهُمَا عَلَيْهِمَا عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَشْخَصَا مِنْ أَجْلِهِمَا.

سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَنَفِيَهُ ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ إِلَى الطَّائِفِ:

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ: مَصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

حَجَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ خَلِيفَةٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ الْقَاتِلَ:

فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلَقِي رَهْنًا إِذَا لَفَّه مَنَى

وَمِنْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالذُّمَى

يَسْجُبْنَ أَذْيَالَ الْمُرُوطِ بِأَسْوَاقِي خِدَالٍ وَأَعْجَازَ مَأْكُمُهَا رَوَا

/ أَوَانَسُ بْنُ الْحَلِيمِ فَوَادَهُ فَيَا طُولَ مَا شَوْقِي وَيَا طُولَ مُجْتَلَى^(١)

[٦٨/٩]

قَالَ نَعَمْ. قَالَ لَا جَرَمَ وَاللَّهِ لَا تَحْضُرُ الْحَجَّ الْعَامَ مَعَ النَّاسِ! فَأَخْرَجَهُ إِلَى الطَّائِفِ.

ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ وَغَنَاءُ ابْنُ سَرِيحٍ:

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ قَالَ حَقَّادُ قَرَاتٍ عَلَى أَبِي حَدَّثَنِي ابْنُ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي مَسْكِينٍ وَعَنْ صَالِحِ بْنِ

حَسَّانَ قَالَ:

قَدِمَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ إِلَى مَكَّةَ فَسَمِعَ غَنَاءَ ابْنِ سَرِيحٍ:

(١) كَذَا فِي أَوْ «دِيَوَانِهِ» طَبْعُ مَطْبَعَةِ السَّعَادَةِ ص ١٦. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «وَيَا طُولَ مَا اجْتَلَى».

فلم أر كالتجمير مَنْظَرَ ناظرٍ ولا كليالي الحج أفلتنَ ذا هوى
فقال: ما سمعت كالיום قطُّ، وما كنت أحسب أن مثل هذا بمكة، وأمر له بمال وحدّره معه إلى المدينة، وقال:
لأصغرنَّ^(١) إلى مَعْبَدِ نفسه ولأهدينَ إلى المدينة شيئاً لم ير أهلها مثله حسناً وظرفاً وطيب مجلس ودمانة خُلِقَ ورقّة
منظر ومقّة^(٢) عند كل أحد. فقدم به المدينة وجمع بينه وبين معبد. فقال لابن سريج: ما تقول فيه؟ قال: إن عاش
كان مغني بلاده.

أبو السائب وابن سريج:

وقال إسحاق وحدثني المدائني عن جرير قال: قال لي أبو السائب يوماً: ما معك من مُرَقَّصات ابن سريج؟
فغنيته:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

فقال: كما أنت حتى أتحرّم لهذا بركتين.

الوليد بن عبد الملك يأمر والي المدينة أن يشخص إليه ابن سريج:

حدثني الحسين قال قال حمّاد قرأت على أبي وحدثني أبو عبد الله الزبيري قال:

كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أشخص إليّ ابن سريج. فورد الرسول إلى الوالي، فمرّ في بعض
طريقه على ابن سريج وهو جالس بين قُرْنَيْ بئر وهو يغني:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

/ فقال له الرسول: تالله ما رأيت كالיום قطُّ ولا رأيت أحمق ممّن يتركك ويبعث إلى غيرك. فقال له ابن سريج: أمّا [٦٩/٩]
والله ما هو بقَدَم ولا ساق، ولكنه بَقَسَمٍ وأرزاق. ثم مضى الرسول فأوصل الكتاب، وبعث الولي إلى ابن سريج
فأحضره. فلما رآه الرسول قال: قد عجبت أن يكون المطلوب غيرك.

عبد الله بن الزبير يعجب لسماح غناء ابن سريج:

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمّي قال رَفِيَ عبد الله بن الزبير أبا قُبَيْس^(٣)
ليلاً، فسمع / غناءً فنزل هو وأصحابه يتعجبون وقال: لقد سمعت صوتاً إن كان من الإنس إنه لعجب، وإن كان من
الجن لقد أعطوا شيئاً كثيراً. فاتّبعوا الصوت فإذا ابن سريج يتغنّى في شعر عمر:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

ومن هذه الأرمال الثلاثة:

(١) في جميع الأصول: «لأقصدن» وقد صحّحها الأستاذ الشنقيطي في نسخته كما صحّحناها.

(٢) المقّة: المحبة.

(٣) أبو قبّيس: جبل بمكة.

ثاني الأرمال الثلاثة في شعر امرئ القيس :

صوت

أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التَّدُلُّلِ وإن كنتِ قد أزمعتِ صُرْمِي فأَجْمَلِي
أغرَّكَ مَنِّي أَنَّ حُبَّكَ قَاتَلِي وأنتِك مهما تأمري القلبَ يفعل

الشعر لامرئ القيس . والغناء في هذين البيتين من الرمل المختار لإسحاق بالبصرة . وفي هذين البيتين مع أبيات آخر من هذه القصيدة الحان شتى لجماعة نذكرها ها هنا ومن غنى فيها ، ثم ننتج ما يحتاج إلى ذكره منها ، وقد يُجمع سائر ما يغنى فيه من القصيدة معه :

شيء من معلقته وشرحه :

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذَكَرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ يَسْقُطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ
فَتَوْضِخُ فَالْمِقْرَاةِ لِمَنْ يَعْفُ رَسْمُهَا لَمَّا نَسَجْتَهَا مِنْ جُنُوبٍ وَشَمَالٍ
أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التَّدُلُّلِ وإن كنتِ قد أزمعتِ صُرْمِي فأَجْمَلِي
/ وإن كنتِ قد ساءتِكِ مَنِّي خَلِيفَةُ فُسْلِي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْشَلِي
أغرَّكَ مَنِّي أَنَّ حُبَّكَ قَاتَلِي وأنتِك مهما تأمري القلبَ يفعل
وَمَا ذَرَفْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لَتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبِي مُقْتَلِي
تَسَلَّتْ عَمَائِيكَ الرِّجَالِ عَنِ الصَّبَا وَلَيْسَ فَوَادِي عَنْ هَوَاكَ بِمُنْسَلِي
إِلَّا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ إِلَّا أَنْجَلِ بِصَبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَمْثَلِ
وَبَيْضَةٍ خِذْرِ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمْتَعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ
تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً إِلَيْهَا وَمَنْشَرَاً عَلَيَّ حِرَاصاً لَوْ يُسْرُونَ مُقْتَلِي
إِلَّا رَبِّ يَوْمٍ صَالِحٍ لَكَ مِنْهُمَا ^(١) وَلَا سِيَمَا يَوْمَ بَدَارَةِ جُلُجُلِ
وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطْيِي فَوَاعَجِبِي مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمِّلِ ^(٢)
وَقَدْ اغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَانِهَا بِمَنْجَرِدٍ قَبْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
مَكْرُ مِفْرُ مُقْبِلِ مُذِيرٍ مَعَاً كَجُمْلُودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلِ
فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ وَلَا تُبْعِدِينَا مِنْ جَنَّاكَ الْمُعْلَلِ

عروضه من الطويل . وَسَقُطُ اللَّوَى مُنْقَطَعُهُ . وَاللَّوَى : المستدق من الرمل حيث يستدق فيخرج منه إلى اللوى .

(١) الضمير في «منهما» مرجعه في قوله :

كِدَابِكَ مِنْ أُمِّ الْحَوِيرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمُّ الرِّبَابِ بِمَاسَلِ
ويروى : «صالح لك منهم» يعني النساء وأهلن . قال التبريزي : وأجود الروايات : «ألا رب يوم لك منهن صالح» على ما فيه من الكف ، وهو حذف النون من مفاعيلن . (راجع «شرح التبريزي للمعلقات» طبع أوروبا) .

(٢) لما نحر ناقته للعذارى اقتسمن متاع راحلته : تحمل هذه حشيتة وتلك طنفتة فكان ذلك مثار عجبها .

والدَّخُولُ وَحَوْمَلٌ وَتَوْضِيحٌ والمِقْرَاءُ: مواضع ما بين إمْرَةٍ إلى أسود^(١) العين. وقال أبو عبيدة في سقط اللوى وسقط الولد وسقط النار / سَقَطَ وَسَقَطَ وَسَقَطَ ثلاث لغات. وقال أبو زيد: اللوى: أرض تكون بين الحَزْنِ والرمل فصلاً [٧١/٩] بينهما. وقال الأصمعي: قوله «بين الدَّخُولِ فحومل» خطأ ولا يجوز إلا بواو «وحومل»؛ لأنه لا يجوز أن يقال: رأيت فلاناً بين زيد فعمرو، إنما يقال وعمرو؛ ويقال: رأيتُ زيدا فعمراً إذا رأى كل / واحد منهما بعد صاحبه. $\frac{٧٠}{٨}$ وقال غيره: يجوز «فحومل» كما يقال: مُطِرْنَا بين الكوفة والبصرة، كأنه قال: من الكوفة إلى البصرة، يريد أن المطر لم يتجاوز ما بين هاتين الناحيتين؛ وليس هذا مثل بين زيد فعمرو. وَيَغْفُ رَسْمُهَا: يدرُس. ونسجتها: ضربتها مقبلة ومدبرة فغفرتها. يعني أن الجنوب تعني هذا الرسم إذا هبَّت وتجيء الشمال فتكشفه. وقال غير أبي عبيدة: المِقْرَاءُ ليس اسم موضع إنما هو الحوض الذي يُجمع فيه الماء. والرسم: الأثر الذي لا شخص له. ويروي «لما نسجته» يعني الرسم. ويقال عَفَا يَعْفُو عَفْواً وَعَفَاءً؛ قال الشاعر:

على آثار مَنْ ذهب العَفَاءُ

يعني محو الأثر. وفاطمة التي خاطبها فقال «أفاطم مهلاً» بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة، وهي التي يقول فيها:

لَا وَأَبِيكَ ابْنَةُ الْعَامِرِيِّ^(٢)

«وَأَزْمَعَتِ صُرْمِي»، يقال أَزْمَعْتُ وَأَجْمَعْتُ وَعَزَمْتُ وَكَلِمَةٌ سَوَاءٌ. يقول: إِنْ كُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى الْهَجْرِ فَأَجْمِلِي. ويقول الأسير: أَجْمِلُوا فِي قَتْلِي، قَتْلَةٌ أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ، أَي عَلَى رَفَقٍ وَجَمِيلٍ. وَالصُّرْمُ: الْقَطِيعَةُ، وَالصُّرْمُ الْمَصْدَرُ؛ يُقَالُ: / صَرِمْتُ أَصْرِمُهُ صُرْماً مَفْتُوحاً إِذَا قَطَعْتَهُ، وَمِنْهُ سَيْفٌ صَارِمٌ أَي قَاطِعٌ، وَمِنْهُ الصُّرَامُ^(٣)، وَمِنْهُ الصَّرَائِمُ وَهِيَ الْقَطْعُ [٧٢/٩] مِنَ الرَّمْلِ تَنْقَطِعُ مِنْ مَعْظَمِهِ. قوله: «سُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ» كناية، أَي اقْطِعي أَمْرِي مِنْ أَمْرِكَ. وقوله تَنْسُلِي: تَبَيَّنْ عَنْهَا. وَيُقَالُ لِلْسِّنِّ إِذَا بَانَ فَسَقَطَتْ وَالتَّصْلُ إِذَا سَقَطَ: نَسَلٌ يَنْسُلُ، وَهُوَ النَّسِيلُ وَالنُّسَالُ. وقال قوم: الثياب: القلب. وقوله: «وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ» أَي مَا بَكَيْتِ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمِيكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبِ مُقَتِّلٍ. قال الأصمعي: يعني أنك ما بكيتِ إِلَّا لِتُخْرِقِي قَلْباً مُعَشَّراً، أَي مُكَشَّراً، شَبِيهَ بِالْبُرْمَةِ إِذَا كَانَتْ قِطْعاً، وَيُقَالُ: بِرْمَةٌ أَعْشَارٌ. قال: وَلَمْ أَسْمَعْ لِلْأَعْشَارِ وَاحِداً. يقول: لِتَضْرِبِي بِسَهْمِيكَ أَي بِعَيْنِيكَ فَتَجْعَلِي قَلْبِي مَخْرُقاً فَاسِداً كَمَا يُخْرِقُ الْجَابِرُ أَعْشَارَ الْبُرْمَةِ؛ فَالْبُرْمَةُ تَنْجَبِرُ إِذَا أَخْرَقَتْ وَأَصْلَحَتْ، وَالْقَلْبُ لَا يَنْجَبِرُ. قال: وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ:

رَمْتُكَ ابْنَةُ الْبَكْرِيِّ عَنْ فَرْعِ ضَالَةٍ

أَي نَظَرْتُ إِلَيْكَ فَأَفْرَحْتُ قَلْبَكَ. وقال غير الأصمعي وهو قول الكوفيين: إنما هذا مثل أعشار الجُزُورِ، وهي تنقسم

(١) إمرة: منزل في طريق من البصرة بعد القريتين إلى جهة مكة، وبعد رامة وهي منهل. وأسود العين: جبل بنجد يشرف على طريق البصرة إلى مكة.

(٢) يريد قوله:

لَا يَدْعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَنْسَرُ

فَلَا وَأَبِيكَ ابْنَةُ الْمَامِرِيِّ

في قصيدته التي مطلعها:

وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتِمُرُ

أَحَارُ بْنُ عَمْرٍو كَأَنِّي خَمْرُ

(٣) الصرام (بفتح الصاد وكسرهما): جذاذ النخل أي أوان إدراكه.

على عشرة أنصباء، فضربت فيها بسهميك المَعْلَى^(١) وله سبعة أنصباء والرقيب وله ثلاثة أنصباء، فأراد أنها ذهبت بقلبه كله. مقتل أي مدلل، يقال بعير مقتل أي مدأل. تسلت: ذهبت. يقال: سلوت عنه وسليت إذا طابت نفسك بتركه. قال رؤية:

لو أشرب الشلوان ما سليت

[٧٣/٩] / والعمايات: الجهالات. عذ الجهل عمي. والصبا: اللعب. قال ابن السكيت: صبا يصبو صبواً وصبواً^(٢) وصباء وصباً. انجل: انكشف. والأمر الجلي: المنكشف. وقوله: أنا ابن جلا أي أنا ابن المكشوف الأمر المشهور غير المستور، ومنه جلاء العروس وجلاء السيف. وقوله «فيك بأمثل» يقول: إذا جاءني الصباح وأنا فيك فليس ذلك بأمثل، لأن الصبح قد يجيء والليل مظلم بعد. يقول: ليس الصبح بأمثل وهو فيك، أي يريد أن يجيء منكشفاً منجلياً لا سواد فيه. ولو أراد أن الصباح فيك أمثل من الليل لقال: منك بأمثل ومثله قول حميد بن ثور في ذكر مجيء / الصبح والليل باق:

فلما تجلسي الصبح عنها وأبصرث وفي غبش الليل الشخوص الأباعث

غبش الليل: بقيته. هذا قول يعقوب بن السكيت. «وبيضه خذر» شبه المرأة بالبيضة لصفاتها ورقتها. «غير مُعْجَل» أي لم يعجلني أحد عما أريده منها. والخباء: ما كان على عمودين أو ثلاثة. والبيت: ما كان على ستة أعمدة إلى تسعة. والخيمة: من الشعر. وقوله: «يُسْرُونَ مقتلي»، قال الأصمعي: يُسْرُونه، وروى غيره: يُسْرُونَ بالشين المعجمة أي يظهرونه. وقال الشاعر:

فما برحوا حتى أتى الله نصره وحتى أشرت بالأكف الأصابع^(٣)

أي أظهرت. وقال غيرهما: لو يُسْرُونه: من الإسرار أي لو يستطيعون قتلي لأسرّوه من الناس وقتلونني. قال أبو عبيدة: «دارة جُلْجُل» في الحمى، وقال ابن الكلبي:

[٧٤/٩] / هي عند عين كندة. ويروى سيماً مخففةً وسيماً مُشدّدةً. ويقال: رُبَّ رجل ورُبَّ رجل ورئت^(٤) رجل. ومن القراء من يقرأ «رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» مخففة. وقرأ عليه رجل «رُبَمَا» فقال له: أظنك يُعجبك الرُبَّ^(٥).

ويروى:

فيا عجباً من رحلها المتحمّل

(١) سهام الميسر عشرة وهي: الفذ والتوهم والضريب ويقال له الرقيب والجلس (بالكسر) والنافس والمسيل (بضم الميم وكسر الباء) والمعلّى، وثلاثة ليس لها شيء وهي الرغد والسفيح والمنيع. قال ابن الأنباري: فأما الفذ فله سهم واحد إن فاز وعلى صاحبه غرم سهم أن خاب. والتوهم له سهمان أن فاز وعليه سهمان إن خاب... وهكذا على الترتيب.

(٢) في الأصول: «صبيا»، والتصويب عن كتب اللغة.

(٣) ورد هذا البيت في «اللسان» (مادة شرر) هكذا:

فما برحوا حتى رأى الله صبرهم وحتى أشرت بالأكف المصاحف

وذكر أنه لكعب بن جعيل أو للحصين بن الحمام المري يذكره يوم صفين. يريد: وحتى نشرت المصاحف ورفعها أصحاب معاوية بالأكف على أطراف الرماح.

(٤) وفيها لغات أخرى غير ذلك.

(٥) الرب: ما يطبخ من الثمر.

أي يا عجباً لسفهي وسبابي يومئذ. ويروي:

وقد أغتدي والطير في وكراتها

بالراء. قال أبو عبيدة: والأكنات في الجبال كالتماريد^(١) في السهل، والواحدة أكنة وهي الوقنات، والواحدة أفنة، وقد وقن يقن. وقال الأصمعي: إذا أوى الطير إلى وكره قيل وكر يكر ووكن يكن، ويقال: إنه جاءنا والطير وكن ما خرجن. والمنجرد: القصير الشعرة، وذلك من العتق. والأوابد: الوحش، وتأبدت: توخشت، وتأبد الموضع إذا توخش وقيد الأوابد: يعني الفرس. يقول: هو قيد لها لأنها لا تفوته كأنها مقيدة. والهيكل: العظيم من الخيل ومن الشجر؛ ومنه سمي بيت النصارى الهيكل. وقال أبو عبيدة: يقال: قيد الأوابد وقيد الرهان، وهو الذي كان طريدته في قيد له إذا طلبها، وكان مسابقه في الرهان مقيد. قال أبو عبيدة: وأول من قيدها امرؤ القيس. والمنجرد: القصير الشعرة الصافي الأديم. والهيكل الذكر، والأنثى هيكله، والجمع هياكل، وهو العظيم العنبل الكثيف اللين. وقوله «مكر مفر» يقول: إذا شئت أن أكر عليه وجدته، وكذلك إذا أردت أن أفر عليه أو أقبل أو أذبر. والعلمود: الصخرة. ووصفها بأن السيل / حطها من عل لأنها إذا كانت في أعلى الجبل كان أصلب لها. «من عل»: من فوق. [٧٥/٩] ويقال من علّ علّ ومن علّاً ومن علّو ومن عال ومن علّو ومن مَعَالٍ. وقوله «سيرى وأرخى زمامه» أي هوّني عليك الأمر ولا تبالي أعقر أم سليم. «وجناك» كل شيء اجتنيته من قبلة وما أشبه: ذلك هو الجنى، وهو من الإنسان مثل الجنى من الشجر أي ما اجتني من ثمره. والمعلل: الملهي.

غنى في «قفا نيك»، و«أفاطم مهلاً»، و«أغرّك» و«وما ذرفت عيناك» معبد لحناً من الثقل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى. وغنى معبد أيضاً في الأول والرابع من هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى. وغنى سعيد بن جابر في الأربعة الأبيات رملًا. وغنت عريب في:

أغرّك مني أن حبك قاتلي

وبعده شعر ليس منه وهو:

/ فلا تخرّجي من سفك مهجة عاشق / بلى فاقطني ثم اقلني ثم فاقطني^(٢)
فلا تدعي أن تفعلني ما أردته / بنا، ما أراك الله من ذاك فافعلني

ولحنها فيها خفيف رمل. وغنى ابن محرز في «تسلت عمايات الرجال» وبعده «الآ أيها الليل الطويل» ثاني ثقل بالوسطى. وغنى فيهما عبدالله بن العباس الربيعي ثاني ثقل آخر بالسبابة في مجرى البنصر. وغنت جميلة في «تسلت عمايات الرجال» وبعده «الآ رب يوم لك» لحناً من الثقل الأول عن الهشامي. وغنت عزة الميلاء في «تسلت عمايات الرجال» وبعده «ويوم عقرت للعذارى مطيتي» ثقبلاً أول آخر عن الهشامي. وغنت حميدة جارية ابن تَفَاحَة في «وبيضة خذر» وتجاوزت أحراساً لحناً من الثقل الأول بالوسطى. ولطويس في «قفا نيك» / وبعده [٧٦/٩] «فتوضح فالمقراة» ثقل أول آخر. وفي «أفاطم مهلاً» و«أغرّك مني أن حبك قاتلي» ليزيد بن الرّحال هزج. ولأبي عيسى بن الرشيد في «وفد أغتدي» و«مكر مفر» ثقل أول. ولفلّيح في «قفا نيك» وبعده «أغرّك مني» رمل.

(١) التماريد: جمع تمراد (بالكسر) وهو برج صغير للحمام.

(٢) لعل صوابه: «ثمت اقلني» لقبح اجتماع حر في عطف متواليين.

وقيل: إن لمعبد في «وبيضة خدر» لحناً من الثقيل الأول، وقيل: هو لحن حُميدة. ولعريب في هذين البيتين خفيف ثقيل من رواية أبي العُبَيْس. وغنى سَلَام بن الغَسَّال - وقيل بل عُبَيْدَةُ أخوه - في «وإن كنت قد ساءت لك مني» و«أغرك مني» رملاً بالوسطى. وغنى في «فقلت لها سيري وأرخى زمامه» سَعْدُوِيَه بن نصر ثاني ثقيل. وغنى في «قفا نبك» وبعده «فتوضح فالمقراة» إبراهيم الموصلي ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن ابن المَكِّي. وزعم حبش أن لإسحاق فيهما ثقيلاً. وغنى في «أغرك مني» و«وما ذرفت» ابن سُرُيْج خفيف رمل بالوسطى من رواية ابن المَكِّي، وقيل: بل هو من منحوله. وغنى بُدَيْح مولى ابن جعفر في «وما ذرفت عيناك» بيتاً واحداً ثقيلاً أول مطلقاً في مجرى الوسطى عن ابن المَكِّي. فجميع ما جمع في هذه المواضع مما وجد في شعر «قفا نبك» من الأغاني صحيحها والمشكوك فيه منها اثنان وعشرون لحناً: منها في الثقيل الأول تسعة أصوات، وفي الثقيل الثاني ثلاثة أصوات، وفي الرمل أربعة أصوات، وفي خفيف الرمل صوتان، وفي الهزج صوت، وفي خفيف الثقيل ثلاثة أصوات.



[٧٧/٩]

/ ذكر امرئ القيس ونسبه وأخباره

نسبه من قبل أبويه:

قال الأصمعي: هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكلِ المُرَّار بن معاوية بن ثور وهو كِنْدَة. وقال ابن الأعرابي: هو امرؤ القيس بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور وهو كِنْدَة. وقال محمد بن حبيب: هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث الملك ابن عمرو بن حُجْر آكلِ المُرَّار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يَغْرُب بن ثور بن مُرتَع^(١) بن مُعاوية بن كِنْدَة. وقال بعض الرواة: هو امرؤ القيس بن السَّمْط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور وهو كِنْدَة. وقالوا جميعاً: كِنْدَة هو كِنْدَة بن عُفَيْر بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرة بن أَدَد بن زيد بن يَشْجَب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجَب بن يَغْرُب بن قَحْطان بن عابر بن شالَخ بن أَرْقَشْذ بن سام بن نوح. وقال / ابن الأعرابي: ثور هو كِنْدَة بن مُرتَع بن عُفَيْر بن الحارث بن مُرة بن عَدِيّ بن أَدَد^{٣٣} ابن زيد بن عمرو بن مِسمع بن عَرِيب بن عمرو بن زيد بن كَهْلان.

وأُمُّ امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زُهَيْر أخت كُلَيْب ومُهَلِّهْل ابني ربيعة التغلبيّين. وقال من زعم أنه امرؤ القيس بن السَّمْط: أُمّه تَمَلِّك بنت عمرو بن زَيْد بن مَذْجَج رهط عمرو بن معد يكرب. قال من ذكر هذا وأنَّ أُمّه تملك: قد ذكر ذلك امرؤ القيس في شعره فقال:

أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمْعَةً بَأَنِ امْرَأَ الْقَيْسِ بِنِ تَمَلِّكَ يَتَقَرَّ

يَتَقَرَّ أَي جَاءَ الْعِرَاقَ وَالْحَضَرَ. وَيُقَالُ: يَبْقِرُ الرَّجُلُ إِذَا هَاجَرَ. وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ السَّكِّيتِ: أُمُّ حُجْر أَبِي امْرِئِ الْقَيْسِ أُمُّ قَطَامَ بِنْتِ سَلَمَةَ امْرَأَةٍ مِنْ عَنَزَةٍ^(٢).

[٧٨/٩]

/ كنيته ولقبه:

ويُكْنَى امرؤ القيس، على ما ذكره أبو عُبَيْدَة، أبا الحارث. وقال غيره: يَكْنَى أبا وَهَب. وكان يُقَالُ لَهُ الْمَلِكُ الضُّلَيْلُ، وَقِيلَ لَهُ أَيْضاً ذُو الْقُرُوحِ وَإِيَاهُ عَنَى الْفَرَزْدَقُ بِقَوْلِهِ:

وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ إِذْ مَضَوْا وَأَبَسَ زَيْسٌ وَذُو الْقُرُوحِ وَجَزُولُ

يَعْنِي بِأَبِي يَزِيدَ الْمُخَبَّلَ السَّعْدِيَّ، وَجَزُولَ الْخُطَيْثَةَ.

(١) ضبطه الحافظ في «التبصير» كمحسن وضبطه الصاغاني في «العياب» كمحدث.

(٢) صحبها الشنقيطي في نسخته: «من كِنْدَة».

مولده ومنزله:

قال: وولد ببلاد بني أسد. وقال ابن حبيب: كان ينزل المُشَقَّر من اليمامة. ويقال: بل كان ينزل في حصن بالبحرين.

سبب تسمية آبائه بأسمائهم:

وقال جميع من ذكرنا من الرواة: إنما سُمِّي كِنْدَةً لأنه كَنَدَ أباه أي عَقَه. وسُمِّي مُرْتَعٌ بذلك لأنه كان يجعل لمن آتاه من قومه مَرْتَعاً له ولماشيته. وسُمِّي حُجْرٌ أَكَلُ المَرَارِ بذلك لأنه لما آتاه الخبر بأن الحارث بن جَبَلَةَ كان نائماً في حُجْرٍ امرأته هند وهي تَقْلِيهِ جعل يأكل المَرَارَ (وهو نبت شديد المرارة) من الغيظ وهو لا يدري. ويقال: بل قالت هند للحارث وقد سألتها: ما تَرَيْنَ حُجْرًا فاعلاً؟ قالت: كأنَّكَ به قد أدركك في الخيل وهو كأنه بعيرٌ قد أكل المَرَارَ. قال: وسُمِّي عمرو المقصور لأنه قد قُصِرَ^(١) على مُلْك أبيه أي أقعد فيه كَرهاً.

قصة جده الحارث بن عمرو مع قباذ وابنه أنو شروان:

أخبرني بخبره، على ما قد سَقِته ونَظَّمْتُهُ، أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى قال حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة ولم يتجاوزهُ، وَرَوَى بَعْضُهُ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الصَّبَّاحِ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ، وَأَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ، قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الصَّبَّاحِ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ، قَالَ أَبُو أَبِي سَعْدٍ وَأَخْبَرَنِي دَارِمُ بْنُ عِقَالٍ بْنُ حَبِيبِ الْغَسَّانِيِّ أَحَدُ وَلَدِ السَّمُوعِ بْنِ عَادِيَاءَ عَنْ أَشْيَاخِهِ، وَأَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ، [٧٩/٩] وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ / قَالَ حَدَّثَنِي عُمَى يَوْسُفَ عَنْ عَمِّهِ إِسْمَاعِيلَ، وَأَضَفْتُ إِلَى ذَلِكَ رِوَايَةَ ابْنِ الْكَلْبِيِّ مِمَّا لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ أَحَدٍ وَرِوَايَةَ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ وَيَعْقُوبَ بْنَ السُّكَيْتِ وَالْأَكْثَرَمَ وَغَيْرَهُمْ، لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنَ الْاِخْتِلَافِ، وَنَسَبْتُ رِوَايَةَ كُلِّ رَاوٍ إِذَا خَالَفَ رِوَايَةَ غَيْرِهِ إِلَيْهِ، قَالُوا:

كان عمرو بن حُجْرٍ وهو المقصور ملكاً بعد أبيه، وكان أخوه معاوية وهو الجَزَنُ^(٢) على اليمامة، وأُثْمُهُمَا شُعْبَةُ بنت أبي مُعَاهِرٍ بن حَسَّانٍ بن عمرو بن تَبَعٍ. ولما مات مَلِكٌ بعده ابنُه الحارث، وكان شديدَ الملك بعيد الصَّيْتِ. ولما ملك قُبَاذُ بْنُ قَيْرُوزٍ خرج في أيام ملكه رجل يقال له مَزْدَكٌ فدعا الناسَ إلى الزندقة وإباحة الحَرَمِ والآ ^{٦٤}يمنع أحد منهم أخاه / ما يريد من ذلك. وكان المُنْذِرُ بن ماء السماء يومئذٍ عاملاً على الحيرة ونواحيها. فدعاه قُبَاذُ إلى الدخول معه في ذلك فأبى. فدعا الحارث بن عمرو فأجابه؛ فشَدَّدَ له مُلْكَهُ وَأَطْرَدَ^(٣) المُنْذِرَ عن مملكته وغَلَبَ على ملكه. وكانت أُمُّ أَنُو شِرْوَانَ بين يدي قُبَاذٍ يوماً، فدخل عليه مَزْدَكٌ. فلما رأى أُمُّ أَنُو شِرْوَانَ قال القباذ: ادفعها لي لأَقْضِيَ حاجتي منها؛ فقال: دونكها. فوثب إليه أَنُو شِرْوَانَ فلم يزل يسأله وَيَضْرَعُ إِلَيْهِ أَنْ يَهَبَ لَهُ أُمُّهُ حَتَّى قَبِلَ رَجُلَهُ فَتَرَكَهَا لَهُ؛ فَكَانَتْ تِلْكَ فِي نَفْسِهِ. فَهَلَكَ قُبَاذُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، وَمَلَكَ أَنُو شِرْوَانُ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِ الْمُلْكِ. وَبَلَغَ الْمُنْذِرُ هَلَاكَ قُبَاذٍ فَأَقْبَلَ إِلَى أَنُو شِرْوَانَ وَقَدْ عَلِمَ خِلَافَهُ عَلَى أَبِيهِ فِيمَا كَانُوا دَخَلُوا فِيهِ. فَأَذِنَ أَنُو شِرْوَانُ لِلنَّاسِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَزْدَكٌ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الْمُنْذِرُ. فقال أَنُو شِرْوَانَ: إِنِّي كُنْتُ تَمَنَّيْتُ أَمْنِيَّتَيْنِ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ جَمَعَهُمَا

(١) في الأصول: «اقتصر».

(٢) كذا في «شرح القاموس» ونسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي الأصول: «الجوف» بالفاء وهو تحريف.

(٣) أي أمر بطرده.

لي. فقال مَزْدَك: وما هما أيها الملك؟ قال: تمتيت أن أملك فاستعمل هذا الرجل الشريف (يعني المنذر) وأن أقتل هؤلاء الزنادقة. فقال له مزدك: أو تستطيع أن تقتل / الناس كلهم؟ قال: إنك لها هنا يابن الزانية! والله ما ذهب نثن [٨٠/٩] ربح جَوَزِكَ من أنفي منذ قَبَلْتُ رجلك إلى يومي هذا! وأمر به فقتل وصلب، وأمر بقتل الزنادقة فقتل منهم ما بين جَازِر^(١) إلى النَّهْرَوَان إلى المدائن في ضُخوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم؛ وسُمِّي يومئذ أنوشروان. وطلب أنوشروان الحارث بن عمرو؛ فبلغه ذلك وهو بالأنبار، وكان بها منزله - وإنما سُميت الأنبار لأنه كان يكون بها أهراء^(٢) الطعام وهي الأنابير - فخرج هارباً في هجائه وماله وولده فمرَّ بالثَّوِيَّة^(٣)؛ وتبعه المنذر بالخيول من تَغْلِب وبَهْرَاء^(٤) وإيَاد، فلحق بأرض كَلْب^(٥) فنجأ، وأنتهبوا ماله وهجائه. وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المُرَار؛ فقدم بهم على المنذر فضرب رقابهم بحفر الأملاك في ديار بني مَرِينَا^(٦) العباديين بين دَيْر هند والكوفة. فذلك قول عمرو بن كلثوم:

فَأَبَوْا بِالنَّهَابِ وَالسَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمَلُوكِ مُصَفَّدِينَ

وفيه يقول امرؤ القيس:

مَلُوكٌ مِنْ بَنِي حُجْرٍ بَنِ عَمْرٍو يُسَاقُونَ الْعَشِيَّةَ يُقْتَلُونَ

فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مَرِينَا

ولم تُغَسَّلْ جماعهم بغسل^(٧) ولكن في الدماء مُرْمَلِينَ^(٨)

تَظَلُّ الطَيْرُ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ وَتَتَنَزَّعُ الْحَوَاجِبَ وَالْعَيُونَ

/ قالوا: ومضى الحارث فأقام بأرض كَلْب. فكلب يزعمون أنهم قتلوه. وعلماء كِنْدَةَ تزعم أنه خرج إلى الصيد [٨١/٩] فَأَلْظَ^(٩) بَنِيَّسَ من الطَّيَّاء فأعجزه، فَأَلَى أَلِيَّةً أَلَا يَأْكُلُ أَوْلَاً إلا من كبده. فطلبته الخيل ثلاثاً فأُتِيَ بعد ثلاثة وقد هلك جوعاً، فشوي له بطنه، فتناول فِلْدَةً من كبده فأكلها حارة فمات. وفي ذلك يقول الوليد بن عَدِي الكِنْدِيُّ في أحد بني بَجِيلَة:

فَشَوَّزَا فَكَانَ شِوَاؤُهُمْ خَبِطاً لَهُ إِنْ الْمَيْئَةَ لَا تُجِلُّ جَلِيلاً

/ وزعم ابن قُتَيْبَة أن أهل اليمن يزعمون أن قُبَاذ بن فيروز لم يملك الحارث بن عمرو وأن تُبْعَا الأخير هو الذي ١٥

(١) كذا في «معجم البلدان» لياقوت. وجازر: قرية من نواحي النهروان. وفي أ، م: «جاذر» بالذال المعجمة. وفي سائر الأصول: «جاذر» بالحاء المهملة وهو تحريف. والنهروان: ثلاث، أعلى وأوسط وأسفل، وهي كورة واسعة بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي.

(٢) كذا في «نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. والأهراء: الأكوام. وفي الأصول: «أهداء الطعام» بالذال وهو تحريف.

(٣) الثوية: موضع قريب من الكوفة، وقيل بالكوفة.

(٤) بهراء: قبيلة باليمن.

(٥) كذا في أ، م، وهو موضع بين قوس والري. وفي سائر الأصول: «أرض كليب» وهو تحريف.

(٦) بنو مَرِينَا: قوم من أهل الحيرة.

(٧) الغسل: ما يغسل به الرأس من خطمي وطين وأشنان ونحوه.

(٨) مرملين: ملطخين.

(٩) أَلْظَ به: لزمه وألح عليه ليصطاده.

ملكه. قال: ولما أقبل المنذر^(١) إلى الحيرة هرب الحارث وتبعته خيلٌ فقتلت ابنه عمراً وقتلوا ابنه مالكا بهيت^(٢). وصار الحارث إلى مسحلان^(٣) فقتلته كلب. وزعم غير ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه.

الحارث بن عمرو وتمليكه أولاده على قبائل العرب:

وقال الهيثم بن عديّ حدثني حماد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد عن سعية^(٤) بن عريض من يهود تيماء قال: لما قتل الحارث بن أبي شمر الغساني عمرو بن حُجر ملك بعده ابنه الحارث بن عمرو، وأمه بنت عوف بن مُحَلَم بن ذهل بن شيبان ونزل الحيرة. فلما تفسدت القبائل من نزار أتاه أشرافهم فقالوا: إنا في دينك ونحن نخاف أن نتفانى فيما يحدث بيننا، فوجّه معنا بنيك ينزلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض. ففرق ولده في قبائل العرب، فملك ابنه حُجراً على بني أسدٍ وعطفان/ وملك ابنه شُرْحِيل قتيلاً يوم الكلاب^(٥) على بكر بن وائل بأسرها وبني حَنْظَلَة بن مالك بن زيد مناة بن تميم^(٦) والرباب. وملك ابنه مَعْدٍ يَكْرِب وهو غلفاء^(٧) (سُمي بذلك لأنه كان يُغْلَف رأسه) على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف من بني دارم [بن مالك] بن حَنْظَلَة والصنائع وهم بنو رُقَيْة قوم كانوا يكونون مع الملوك من شذاذ العرب. وملك ابنه عبدالله على عبد القيس، وملك ابنه سلمة على قيس.

مقتل حجر أبي أمري القيس:

وقال ابن الكلبي حدثني أبي: أن حُجراً كان في بني أسد، وكانت له عليهم إتاوة في كل سنة مؤقته؛ فغَبَر^(٨)

(١) كذا في ج وهو المناسب لما سبق في هذه القصة. وفي سائر الأصول: «من الحيرة» وهو تحريف.

(٢) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار.

(٣) مسحلان: موضع.

(٤) هو أخو السموم.

(٥) الكلاب (بضم أوله): اسم ماء بين الكوفة والبصرة، وقيل ماء بين جبلة وشعام. وكان للعرب يومان مشهوران يوم الكلاب. فأما

الأول فإن الحارث بن عمرو فرق أولاده على القبائل ملوكاً كما ذكر المؤلف؛ فلما مات تداخت القبائل وتحزبت ف وقعت حرب بين

ولديه شرجيل وأصحابه، وسلمة وأصحابه، فقتل شرجيل يومئذ. وقد أشار إليه أمرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها:

أرانباً موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراپ

فقال:

وأعلم أنني عما قليل سأنشب في شبا ظفر وناب

كما لاقي أبي حجر وجدي ولا أنسى قتيلاً في الكلاب

وأما الكلاب الثاني فكان بين بني سعد والرباب، وبين بني الحارث بن كعب وقبائل اليمن، قتل فيه عبد يغوث بن صلاة الحارثي

بعد أن أسر، وقال وهو مأسور قصيدته المشهورة التي مطلعها:

أيا راكباً إما عرضت فبلغن نداماي من نجران أن لا تلاقيا

(راجع «معجم البلدان» لياقوت).

(٦) في ب، س، ح: «...» وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة وطوائف من بني دارم بن تميم» بزيادة «وطوائف من بني دارم» واعلم

عليها في ح بالمداد الأحمر كأنه ترميج لها.

(٧) كذا في نسخة الأستاذ الشنيطي مصححة بقلمه و«اللسان» (مادة غلف) و«معجم البلدان» (في الكلام على الكلاب). وفي الأصول:

«غلفي». وغلف رأسه: لطفه بالمسك.

(٨) غير: لبث وبقي وفي الأصول: «فعمر».

ذلك دهرأ. ثم بعث إليهم جابيه الذي كان يجيبهم، فمنعوه ذلك - وحُجِرَ يومئذ بِتَهَامَة - وضربوا رسله وضَرَجَوْهم^(١) ضَرْجاً شديداً قبيحاً. فبلغ ذلك حَجْراً؛ فسار إليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة، فأتاهم / وأخذ سَرَاتَهُم، فجعل يقتلهم بالعصا - فسُئِلُوا عبيدَ العصا - وأباح الأموال، وصيرهم إلى تَهَامَة، [٨٣/٩] وآلى بالله ألا يُساكنوهم في بلد أبداً، وحَسب منهم عمرو بن مسعود بن كِنْدَة^(٢) بن فَزَارَة الأسدي وكان سيِّداً، وعبيدَ بن الأبرص الشاعر. فسارت بنو أسد ثلاثاً. ثم إنَّ عبيدَ بن الأبرص قام فقال: أيها الملك أسمع مقاتلي:

يا عَيْنُ^(٣) فابكي ما بني أسد فهم أهل التَّدَامَة
أهل القَبَابِ الحمرُ والدُّ عَمِ المؤبِّل^(٤) والمُدَامَة
وذوي الجِيَادِ الجُرْدِ والأسلِ المُتَّقِفَة المُقَامَة
جِلًّا^(٥) أَيْتَ اللَّفْنِ جِلًّا إنَّ فيما قلتَ آمَة
فِي كُلِّ وادٍ يمين يَدُ رَبِّ فالقصورِ إلى اليمَامَة
تطريبُ عَانٍ أو صِيَا ح مُحَرَّقٍ أو صوتُ هَامَة
ومنعتهم نجداً فقد خلُّوا على وَجَلٍ تَهَامَة
بَرِمَتْ بنو أسدِ كما بِرِمَتْ بيضتها الحمامَة
جعلت لها عُودِينَ مِنْ نَشِيمٍ^(٦) وآخر من ثَمَامَة
إِذَا تَرَكْتَ تَرَكْتَ عَفْ وَأَوْ قَتَلْتَ فَلَا مَلَامَة
/ أَنْتَ المَلِيكَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ العِيذُ إلى القِيَامَة
ذَلُّوا لَسَوْطِكَ مَثَلٌ مَا ذَلُّوا لَسَوْطِكَ مَثَلٌ مَا
ذَلُّوا لَسَوْطِكَ مَثَلٌ مَا ذَلُّوا لَسَوْطِكَ مَثَلٌ مَا

/ قال: فرَّق لهم حُجْرَ حين سمع قوله، فبعث في أثرهم فأقبلوا. حتى إذا كانوا على مَسِيرَة يوم من تهامة تكهن [٨٤/٩] كاهنهم، وهو عَوْف بن ربيعة بن سَوَادَة^(٨) بن سعد بن مالك بن ثَعْلَبَة بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيْمَة، فقال لبني أسد: يا عبادي! قالوا: لَبَيْكَ رَبَّنَا. قال: مَنْ المَلِكُ الْأَصْهَبُ، الْغَلَّابُ غَيْرُ الْمُغْلَبِ، فِي الْإِبِلِ كَانَهَا الرُّبْرُبُ، لَا يعلَقُ رَأْسَة الصَّخَبِ، هَذَا دَمُهُ يَنْشَعِبُ^(٩)، وَهَذَا غَدَاً أَوَّلُ مَنْ يُسَلَبُ. قالوا: مَنْ هُوَ يَا رَبَّنَا؟ قال: لَوْلَا أَنْ تَجِيشَ نَفْسُ جَاشِيَة،

(١) ضرجه: آدماء أي جعل دمه يسيل من الضرب.

(٢) في حـ و«تجريد الأغاني»: «ابن كلدَة».

(٣) في «كتاب الشعر والشعراء»: «يا عين ما خابكي بني... إلخ».

(٤) المؤبِّل: المفتنى.

(٥) حلا أي تحلل من يمينك. والآمة: العيب.

(٦) النشم: شجر جبلي تتخذ منه القسي. والشامة: نبت بالبادية.

(٧) الأشيقر: تصغير الأشقر وهو الأحمر من الدواب. والخزامة: حلقة من شعر تجعل في ورة أنف البعير يشد بها الزمام فإن كانت من صفر فهي برة. وفي الأصول: «الحزامة» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

(٨) في جـ: «سواء».

(٩) كذا في «تجريد الأغاني» وانتعَب الدم: جرى. وفي ب، س: «يشعَب». وفي سائر الأصول: «يشعَب» وهما تحريف.

لأخبرتكم أنه حُجِرُ ضاحية. فركبوا كلَّ صعبٍ وذلول، فما أشرق لهم النهارُ حتى أتوا على عسكر حُجِرٍ فهجموا على قبَّته. وكان حُجابه من بني الحارث بن سَعْدٍ يقال لهم بنو خَدَّان بن خَنْثَرٍ منهم معاوية بن الحارث وشَيْبٍ ورُقَيْة ومالك وحبيب، وكان حَجَرٌ قد أعتق أباهم من القتل. فلما نظروا إلى القوم يريدون قتله خيموا عليه ليمنعوه ويُجبروه. فأقبل عليهم عِلْبَاءُ بن الحارث الكاهلي، وكان حُجِرٌ قد قتل أباه، فطعنه من خَلَلِهِمْ فأصاب نَسَاهُ فقتله. فلما قتلوه قالت بني أسد: يا معشَرَ كَنانةٍ وقيس، أنتم إخواننا وبنو عَمَّنَا، والرجلُ بعيدُ النسبِ مِنَّا ومنكم، وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه. فانتهبوهم فشدُّوا على هجائته فمزَّقوها ولَفَّوه في رِيْطَةِ بِيضَاءٍ وطَرَحوه على ظهر الطريق. فلما رآته قَيْسٌ وكَنانةٌ انتهبوا أسلَابه. ووَثَبَ عمرو بن مسعود فضمَّ عِيَالَهُ وقال: أنا لهم جَارٌ

قال ابن الكلبي: وعدة قبائل من بني أسد يدعون قتلَ حُجِرٍ ويقولون: إنَّ عِلْبَاءَ كان الساعي في قتله وصاحب المشورة ولم يقتله هو.

قال ابن حبيب: خَدَّان في بني أسد وخَدَّان في بني تميم وفي بني جَدِيلَةَ بالخاء مفتوحة، وخَدَّان مضمومة في الأزد، وليس في العرب غير هؤلاء.

[١٨٥/٩] / قال أبو عمرو الشَّيْبَانِي: بل كان حُجِرٌ لَمَّا خاف من بني أسد استجار عُوَيْرَ بن شَجْنَةَ أحد بني عَطَّارِد بن كعب بن سعد بن زَيْد مَنَاءَ بن تَمِيمٍ لبنته هند بنت حُجِرٍ وعِيَالَهُ. وقال لبني أسد لَمَّا كَثُرُوهُ: أمَّا إذا كان هذا شأنكم فلاني مرتحلٌ عنكم ومُخَلِّيكُم وشأنكم؛ فواعدوه على ذلك. ومال على خالد بن خَدَّان أحد بني سَعْدٍ بن ثَعْلَبَةَ. فأدركه عِلْبَاءُ بن الحارث أحد بني كاهلٍ فقال: يا خالد أقتل صاحبك لا يفلت فيَعْرُكَ^(١) وإيَّانا بشرٌ، فامتنع خالد. ومَرَّ عِلْبَاءُ بِقَصْدَةٍ^(٢) رُمُخٍ مكسورة فيها سنانها، فطعن بها في خاصرة حُجِرٍ وهو غافل فقتله. ففي ذلك يقول الأَسَدِيُّ:

وَقِصْدَةُ عِلْبَاءِ بن قَيْسٍ بن كاهلٍ مَنِيَّةُ حُجِرٍ في جوار ابن خَدَّان

وذكر الهَيْثَمُ بن عَدِيٍّ أَنَّ حُجِرًا لَمَّا أَسْتَجَارَ عُوَيْرَ بن شَجْنَةَ لبنيه وَقَطِينَهُ^(٣) تحوَّلَ عنهم فأقام في قومه مدَّةً، وجمع لبني أسد جمعاً عظيماً من قومه وأقبل مُدِلًّا بمن معه من الجنود. فتآمرت بنو أسد بينها وقالوا: والله لئن قهركم هذا لَيَحْكُمَنَّ عليكم حكمُ الصَّبِيِّ! فما خيرُ عيش يكون بعد قهرٍ وأنتم بحمد الله أشدُّ العرب! فموتوا كراماً. فساروا إلى حُجِرٍ وقد / ارتحل نحوهم فَلَقُوهُ فاقْتَلَوْا قتالاً شديداً. وكان صاحب أمرهم عِلْبَاءُ بن الحارث، فحمل على حُجِرٍ فطعنه فقتله، وانهزمت كِنْدَةُ وفيهم يومئذٍ أمرؤ القيس فهرب على فرس له شَقْرَاءٍ وأعجزهم، وأسروا من أهل بيته رجالاً وقتلوا وملثوا أيديهم من الغنائم، وأخذوا جوارِي حُجِرٍ ونسائه وما كان معه من شيء فاقسموه بينهم.

وقال يعقوب بن السُّكَيْتِ حَدَّثَنِي خالد الكِرْبِيُّ قال: كان سببُ قتلِ حُجِرٍ أنه كان وقد إلى أبيه الحارث بن عمرو في مرضه الذي مات فيه وأقام عنده حتى هلك، ثم أقبل راجعاً إلى بني أسد وقد كان أغار عليهم في النساء [١٨٦/٩] وأساء ولايتهم، وكان يُقَدِّمُ / بعضُ ثَقْلِهِ أَمَامَهُ وَيُهَيِّأُ نُزْلَهُ ثم يجيء وقد هُبِّيءَ له من ذلك ما يُعْجبه فينزل، ويُقَدِّمُ مثل ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فيضرب له في المنزل الأخرى. فلما دنا من بلاد بني أسد وقد بلغهم موت أبيه

(١) عَرَّ فلان فلاناً بشر: أصابه به.

(٢) القَصْدَةُ: القطعة.

(٣) القَطِينُ هنا: الخدم والحاشية.

طمعوا فيه. فلما أظلمهم وضربت قبائمه اجتمعت بنو أسد إلى نؤفل بن ربيعة بن خذّان، فقال: يا بني أسد! من يتلقى هذا الرجل منكم فيقتطعه؟ فإني قد أجمعت على الفتك به. فقال له القوم: ما لذلك أحد غيرك. فخرج نؤفل في خيله حتى أغار على الثقل فقتل من وجد فيه، وساق الثقل وأصاب جارين قينتين لحجر، ثم أقبل حتى أتى قومه. فلما رأوا ما قد حدث وأتاهم به عرفوا أن حجراً يقتلهم وأنه لا بد من القتال، فحشد الناس لذلك، وبلغ حجراً أمرهم، فأقبل نحوهم. فلما غشيهم ناهضوه القتال وهم بين أبرقين من الرمل في بلادهم يدعيان اليوم أبرقي حجر، فلم يلبثوا حجراً أن هزموا أصحابه وأسروه فحبسوه. وتشاور^(١) القوم في قتله، فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حبسوه ليرؤا فيه رأيهم: أي قوم! لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم. فأنصرف عن القوم لينظر لهم في قتله. فلما رأى ذلك علباء خشي أن يتواكلوا في قتله؛ فدعا غلاماً من بني كاهل، وكان ابن أخته وكان حجر قتل أباه زوج أخت علباء، فقال: يا بني، أعندك خير فتار بأبيك وتنال شرف الدهر وإن قومك لن يقتلوك^{١٩}. فلم يزل بالغلام حتى حرّبه^(٢)، ودفع إليه حديدة وقد شحذها وقال: أدخل عليه مع قومك ثم اطعنه في مقتله؛ فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها ثم دخل على حجر في قبته التي حبس فيها. فلما رأى الغلام غفلة وثب عليه فقتله، فوثب القوم على الغلام. فقالت بنو كاهل: ثارتنا وفي أيدينا. فقال الغلام: إنما ثارت بأبي، فخلّوا عنه. وأقبل كاهنهم المزدجر فقال: أي قوم! قتلتموه! ملكك شهر، وذُلّ دهر. أما والله لا تحفظون عند الملوك بعده أبداً.

[٨٧/٩]

/ وصيته لبنيه عند موته:

قال ابن السكيت: ولما طعن الأسدي حجرًا ولم يُجهز عليه، أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له: انطلق إلى ابني نافع - وكان أكبر ولده - فإن بكى وجزع فآله عنه، واستقرهم واحداً واحداً حتى تأتي امرأ القيس - وكان أصغرهم - فأئهم لم يجزع فأدفع إليه سلاحه وخيليه وقُدوري ووصيتي. وقد كان بين في وصيته من قتله وكيف كان خبره. فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه: فأخذ التراب فوضعه على رأسه. ثم استقرهم واحداً واحداً فكلهم فعل ذلك، حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلعبه بالنرد؛ فقال له: قُتل حجر. فلم يلتفت إلى قوله، وأمسك نديمه. فقال له امرؤ القيس: / إضرِبْ فضرِب. حتى إذا فرغ قال: ما كنت لأفسد عليك دُستك. ثم ^{١٨}سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره. فقال: الخمرُ علي والنساء حرام حتى أقتل من بني أسد مائة وأجزّ نواصي^(٣) مائة. وفي ذلك يقول:

أرقتُ ولم يارقَ لِمَا بي نافعُ وهاجَ لي الشوقُ الهمومُ الروادعُ

وقال ابن الكلبي: حدثني أبي عن ابن الكاهن الأسدي: أن حجراً كان طرد امرأ القيس وآلى ألا يقيم معه أنفة من قوله الشعر، وكانت الملوك تأنف من ذلك، فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب من طمىء وكلب ويكر بن وائل، فإذا صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم، وخرج إلى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقامهم وغتته فيأنه. ولا يزال كذلك حتى يتفقد ماء ذلك الغدير ثم

(١) في الأصول: «وشاور القوم».

(٢) حرّبه: حرّشه.

(٣) يريد: حتى أقتل منهم مائة وأسر مائة. وكان من عادات العرب أنه إذا أسر الرجل منهم آخر وأراد أن يمن عليه جز ناصيته (وهي الشعر في مقدم الرأس) وأطلقه، فتكون الناصية عنده فخرًا.

ينتقل عنه إلى غيره. فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدثون من أرض اليمن، أتاه به رجل من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصاف. فلما أتاه بذلك قال:

[٨٨/٩] / تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَى دَثُونٍ دَثُونٍ إِنَّا مَعشَرٌ يَمَانِسُونَ
وإِنَّا^(١) لَأَهْلُهَا مُحِبُّونَ

ثم قال: ضيَّعني صغيراً وحملني دمه كبيراً. لا صَخَوَ اليوم ولا سُكْرَ غَدَا. «اليومَ خمرٌ، وغَدَاً أمرٌ» فذهبت مثلاً. ثم قال:

خَلِيلِي لَا فِي الْيَوْمِ مَضَحَى لِشَارِبٍ وَلَا فِي غَدٍ إِذْ ذَاكَ مَا كَانَ يُشْرَبُ
ثُمَّ شَرِبَ سَبْعًا. فَلَمَّا صَحَا إِلَى الْآ يَأْكُلُ لَحْمًا، وَلَا يَشْرَبُ خَمْرًا، وَلَا يَذْهَبُ بَدْهَنَ، وَلَا يَصِيبُ أَمْرًا، وَلَا يَغْسِلُ
رَأْسَهُ مِنْ جَنَابَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَ بَثَّارُهُ. فَلَمَّا جَنَّةَ اللَّيْلِ رَأَى بَرْقًا فَقَالَ:

أَرَقْتُ لِبَرْقٍ بَلِيلٍ أَمَلْتُ يُضِيءُ سَنَاهَ بَاعَلَى الْجِبَلِ
أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمْرِ تَزَعَزَعُ مِنْهُ الْقُلُوبُ
بَقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلٍ^(٢)

فَأَيُّ زَيْعَةٍ عَنْ رَبِّهَا وَأَيُّ نَمِيمٍ وَأَيُّنَ الْخَوَلِ
أَلَا يَحْضُرُونَ لِسَدِي بِأَبِيهِ كَمَا يَحْضُرُونَ إِذَا مَا أَكَلَ

وروى الهيثم عن أصحابه أن أمراً القيس لما قُتِلَ أبوه كان غلاماً قد ترعرع، وكان في بني حنظلة مقيماً لأن ظفراً كانت امرأة منهم. فلما بلغه ذلك قال:

يَا لَهْفٍ هَنَدٍ إِذْ خَطِئْتُ^(٣) كَاهِلًا الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحُلَاحِلَا^(٤)

/ تَسَالَهُ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بِأَطْلَا يَا خَيْرَ شَيْخٍ حَسْبًا وَنَائِلًا

وَخَيْرَهُمْ - قَدْ عَلِمُوا - فَوَاضِلَا^(٥) يَحْمِلُنَا وَالْأَسْلَ النَّوَاهِلَا

وَحَيٍّ صَغْبٍ وَالْوَشِيحَ الذَّابِلَا مُسْتَفِرَاتٍ بِالْحَصَى جَوَافِلَا^(٦)

(١) كذا في شرح «القاموس» (مادة دمن) و «معجم البلدان» لياقوت: وفي الأصول: «وإنما لأهلها محبون».

(٢) جلل: ها هنا بمعنى هين.

(٣) كذا في «ديوانه» ونسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. وخطيء ها هنا بمعنى أخطأ. وكاهل أبو فخذ من بني أسد، وهو كاهل بن دودان بن أسد بن خزيمه. (راجع «ديوان امرئ القيس» ص ٧٨ نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥ أدب شر. وفي الأصول: «حظين» بالحاء المهملة والطاء المعجمة.

(٤) الحلاحل: السيد الكريم. وقد ورد هذا الرجز في نسخ «ديوانه» مختلفاً في ترتيب شطراته. ويريد بالضمير في خطن الخيل وبالقائلين بني أسد.

(٥) ورد بدل هذا الشطر في إحدى نسخ «الديوان» قوله:

نحن جلبنا القرع القوافلا

والقرع: (بضم القاف وتشديد الراء مفتوحة) جمع قارع، وهو من الخيل ما كان في الخامسة من سنه. والقوافل: الضوامر.

(٦) جوافل: مسرعات، يقال: جفل وأجفل إذا أسرع.

يعني صَعْبَ بنِ عليّ بن بكر بن وائل. معنى قوله «مستشفرات بالحصى»: يريد أنها أثارت الحصى بحوافرها لشدة جريها حتى ارتفع إلى أنفارها^(١) فكانها استشفرت به.

هند بنت حجر يجيرها عوير بن شجنة:

وقال / الهيثم بن عدي: لما قُتل حُجْر انحازت بنته وقطّيعته إلى عُوَيْر بن شجنة. فقال له قومه: كُلْ أموالهم ^{٦٩}/_٨ فإنهم مأكولون، فأبى. فلما كان الليل حمل هنداً وقطّيعتها وأخذ بخطام جملها وأشام بهم في ليلة طخياء مُذْلَهْمَةً. فلما أضاء البرق أبدى عن ساقيه وكانت حَمَشَتَيْنِ^(٢). فقالت هند: ما رأيت كالليلة ساقِيّ وإف. فسمِعها فقال يا هند: هما ساقا غادرٍ شرٌّ. فرمى بها النجّاد حتى أطلعها نَجْرانَ، وقال لها: إني لست أغني عنك شيئاً وراء هذا الموضع، وهؤلاء قومك، وقد برئت خفارتِي. فمدحه امرؤ القيس بعدة قصائد، منها قوله في قصيدة له:

ألا إن قوماً كتّم أمسِ دونهم هم ممنوعوا جارائكم آل غُذْرانِ^(٣)
عُوَيْرٌ ومَنْ مثلُ العُوَيْرِ ورهطه أبسرٌ بميثاقٍ وأزْفى بجيران
هم أبلغوا الخيِّ المضّيع أهله وساروا بهم بين الفُراتِ ونَجْرانِ

/ وقوله:

ألا قَبَحَ اللهُ البَراجِمَ كلَّها وجَدَّعَ يَرْبوعاً وعَفَّرَ دارِما
فما فعلوا فعلَ العُوَيْرِ ورهطه لدى باب حُجْرٍ إذ تجرّد قائما

وقال ابن قُتيبة في خبره: إن القصة المذكورة عن عُوَيْر كانت مع أبي حنبلٍ وجارية ابن مَرْ. قال ويقال: بل كانت مع عامر بن جُوَيْنٍ الطائي وإن ابنته أشارت عليه بأخذ مال حُجْر وعياله، فقام ودخل الوادي ثم صاح: ألا إن عامر بن جوين غدر، فأجابه الصدي مثل قوله، فقال ما أقبح هذا من قول! ثم صاح: ألا إن عامر بن جوين وفى، فأجابه الصدى بمثل قوله، فقال: ما أحسن هذا! ثم دعا ابنته بجَذْعَةٍ^(٤) من غنم فأحتلبها وشرب وأستلقى على قفاه وقال: والله لا أغدر ما أجزأتني جَذْعَةٌ. ثم نهض وكانت ساقاه حَمَشَتَيْنِ، فقالت ابنته: والله ما رأيت كالיום ساقِيّ وإف. فقال: وكيف بهما إذا كانتا ساقِيّ غادرا هما والله حيثنّ أقبح.

امرؤ القيس يستعدي بكراً وتغلب على بني أسد:

وقال ابن الكلبي عن أبيه ويعقوب بن السكيت عن خالد الكلابي:

إن امرأ القيس ارتحل حتى نزل بكراً وتغلب، فسألهم النصر على بني أسد. فبعث العيون على بني أسد فنذروا^(٥) بالعيون ولجثوا إلى بني كنانة. وكان الذي أنذرهم بهم علباء بن الحارث. فلما كان الليل قال لهم علباء:

(١) الأنفار: جمع نفر (بالتحريك) وهو السير الذي في مؤخرة السرج تحت ذنب الدابة. وأما النفر (بفتح فسكون وبضم فسكون) فهو لجميع ضروب السباع ولكل ذات مخلب كالحياء للناقة.

(٢) حمشتين: دقيقتين.

(٣) آل غُذْران (بالضم): بطن من العرب.

(٤) الجذعة: الفتية.

(٥) نذروا: علموا فحذروا.

يا معشر بني أسد تعلمون! والله إن عيون أمراء القيس قد أتتكم ورجعت إليه بخبركم، فارحلوا بليل ولا تُعلموا بني كنانة، ففعلوا. وأقبل أمرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بني كنانة وهو يحسبهم بني أسد فوضع السِّلَاحَ فيهم وقال: يا لثارات الملك! يا لثارات الهُمَام! فخرجت إليه عجوزٌ من بني كنانة فقالت: أَيْتَ اللَّعْنُ لِسِنَا [٩١/٩] لك بئار، / نحن من كنانة، فدونك ثأرك فاطلبهم فإن القوم قد شاروا بالأمس. فتبع بني أسد فقاتوه ليلتهم تلك - فقال في ذلك:

أَلَا يَأْلَهْفُ هَنَدٌ إِثْرَ قَوْمٍ هُمُ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا
وَقَامَهُمْ جَدُّهُمْ^(١) بَيْنِي أَبِيهِمْ وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ
وَأَفْلَتْنَهُنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضًا^(٢) وَلَوْ أَدْرَكْتَهُ صَفِيرَ الْوِطَابِ

يعني بني أبيهم^(٣) بني كنانة، لأن أسداً وكنانة ابني خزيمة أخوان.

أخبرني أبو خليفة عن محمد / بن سلام قال: ٧١
٨

سمعت رجلاً سأل يونس عن قوله «صَفِيرَ الْوِطَابِ»، فقال: سألنا رؤيَّةً عنه فقال: لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصَفَرَتْ وِطَابُهُ مِنَ اللَّبَنِ. وقال غيره: صَفِيرَ الْوِطَابِ أي إنه كان يُقْتَلُ فيكون جسمه صِفْراً من دمه كما يكون الوطاب صِفْراً مِنَ اللَّبَنِ.

[وأدركهم^(٤)] ظُهِراً وقد تَقَطَّعَتْ خَيْلُهُ وَقَطَعَ أَعْنَاقَهُمُ الْعَطَشُ، وَبَنُو أُسْدٍ جَائِثُونَ^(٥) عَلَى الْمَاءِ، فَهَدَّ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى كَثُرَتْ الْجِرْحَى وَالْقَتْلَى فِيهِمْ، وَحَجَزَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ، وَهَرَبَتْ بَنُو أُسْدٍ. فَلَمَّا أَصْبَحَتْ بَكَرٌ وَتَغَلَّبَ أَبَوَا أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ وَقَالُوا لَهُ: قَدْ أَصَبْتَ ثَأْرَكَ. قَالَ: وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُ وَلَا أَصَبْتُ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ / مِنْ بَنِي أُسْدٍ أَحَدًا. قَالُوا: بَلَى، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ مَشْتُومٌ. وَكَرِهُوا قِتَالَهُمْ بَنِي كِنَانَةَ^(٦) وَانْصَرَفُوا عَنْهُ. وَمَضَى هَارِباً لَوَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بِحَمِيرٍ.

يلجأ إلى عمرو بن المنذر:

وقال ابن السُّكَيْتِ حَدَّثَنِي خَالِدُ الْكَلَابِيِّ: أَنَّ أَمْرَأَ الْقَيْسِ لَمَّا أَقْبَلَ مِنَ الْحَرْبِ عَلَى فَرَسِهِ الشُّقْرَاءَ لَجَأَ إِلَى ابْنِ عَمَّتِهِ عَمْرِو بْنِ الْمُنْذَرِ - وَأُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ حُجْرٍ بِنِ أَكْلِ الْمُزَارِ، وَذَلِكَ بَعْدَ قَتْلِ أَبِيهِ وَأَعْمَامِهِ وَتَفَرُّقِ مُلْكِ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَكَانَ عَمْرِو بْنُ الْمُنْذَرِ خَلِيفَةً لِأَبِيهِ الْمُنْذَرِ بَيْعَةً وَهِيَ بَيْنَ الْأَنْبَارِ وَهَيْتَ - فَمَدَحَهُ وَذَكَرَ صِهْرَهُ وَرَحِمَهُ وَأَنَّهُ قَدْ تَعَلَّقَ بِحِبَالِهِ وَلَجَأَ إِلَيْهِ. فَأَجَارَهُ، وَمَكَثَ عِنْدَهُ زَمَانًا. ثُمَّ بَلَغَ الْمُنْذَرُ مَكَائِهِ عِنْدَهُ فَطَلَبَهُ، وَأَنْذَرَهُ عَمْرِو بْنُ فَهْرَبٍ حَتَّى أَتَى حَمِيرًا.

(١) الجد: الحظ. والأشقي: جمع أشقى، أي وفي بني أسد حظهم إذ وقع العقاب بالأشقيين بني أبيهم وهم كنانة.
(٢) أفلتن جريضا أي أفلتن بعد جهد ومشقة. والأصل في الجرض: النقص بالريق. وظاهر أن مرجع الضمير في «أفلتن» و«أدركته» الخيل التي كروا بها عليهم.
(٣) في الأصول: يعني بأبيهم بني كنانة وهو غير مستقيم.
(٤) التكملة عن «تجريد الأغاني».
(٥) كذا في أ، م: وجامون: مجتمعون مستريحون. وفي «تجريد الأغاني»: «جامون». وفي سائر الأصول: «جامون» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.
(٦) أظن أن صوابه: «بني أسد».

يستنصر أزدشنوة:

وقال ابن الكلبي والهيثم بن عدي وعمر بن شبة وابن قتيبة:

فلما امتنعت بكر بن وائل وتغلب من اتباع بني أسد خرج من فوزه ذلك إلى اليمن فاستنصر أزدشنوة، فأبوا أن ينصروه وقالوا: إخواننا وجيراننا.

ومرثد الخير الحميري:

فنزل بقليل يُدعى مرثد الخير بن ذي جدن الحميري، وكانت بينهما قرابة، فاستنصره واستمذه على بني أسد، فأمذه بخمسمائة رجل من حمير؛ ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم. وقرمل بن الحميم:

وقام بالمملكة بعده رجل من حمير يقال له قرمل بن الحميم وكانت أمه سوداء، فردد امرأ القيس وطول عليه حتى هم بالانصراف وقال:

وإذ نحن ندعو مرثد الخير رئيساً وإذ نحن لا نُدعى عبيداً لقرمل

فأنفذ له ذلك الجيش؛ وتبعه شذاً من العرب، واستأجر من قبائل العرب رجالاً، فسار بهم إلى بني أسد. ومرتبالة^(١) وبها صنم للعرب تعظمه يقال له / ذو الخلصة^(٢)؛ فاستقسم^(٣) عنده بقداحة وهي ثلاثة الأمر والناهي [٩٣/٩] والمتربص، فأجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال: مَصِصْتُ بَطَرِ أَمَك! لو أبوك قُتِلَ ما عَفَّتَنِي. ثم خرج فظفر ببني أسد. ويقال: إنه ما استقسم عند ذي الخلصة بعد ذلك بقدح حتى جاء أمر الله بالإسلام وهذمه جرير بن عبدالله البجلي. طلبه المنذر فهرب ونزل بالحارث بن شهاب:

قالوا: وألح المنذر في طلب امرئ القيس ووجه الجيوش في طلبه من إباد وبهراء وتَنُوخ ولم تكن لهم طاقة، وأمده أنو شروان بجيش من الأساورة فسرحهم في طلبه. وتفرقت حمير ومن كان معه عنه. فنجا في عُصبة من بني آكل المرار حتى نزل بالحارث بن شهاب من بني يربوع بن حنظلة، ومع امرئ القيس أذراع خمسة: الفضفاضة والضيافة والمحضنة والخرق^(٤) وأم الذبول كُنْ لبني آكل المرار يتوارثونها ملكاً عن / ملك. فقلما لبثوا عند ٧/٨ الحارث بن شهاب حتى بعث إليه المنذر مائة من أصحابه يُوعده بالحرب إن لم يُسلم إليه بني آكل المرار فأسلمهم؛ ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند (بنت امرئ القيس) والأذرع والسلاح ومال كان بقي معه، فخرج على وجهه حتى وقع في أرض طيء.

ثم نزل على سعد بن الضباب الإيادي:

وقيل: بل نزل قبلهم^(٥) على سعد بن الضباب الإيادي سيّد قومه فأجاره.

(١) تبالة: موضع بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة.

(٢) ذو الخلصة: مروة بيضاء منقوش عليها كهية التاج، وكان سدنتها بني أمية من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدي لها خنعم

وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن. (الأصنام لابن الكلبي ص ٤٣).

(٣) الاستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما يقسم للمرء مما لم يقسم.

(٤) في أ، م: «الخرق». وفي «تجريد الأغاني»: «الحريق».

(٥) كذا في «تجريد الأغاني»: وفي الأصول: «قبله».

[٩٤/٩] / قال ابن الكلبي: وكانت أم سعد بن الضباب تحت حُجْر أبي أمريء القيس فطلقها وكانت حاملاً وهو لا يعرف، فتزوجها الضباب فولدت سعداً على فراشه، فلحق نسبه به. فقال أمروء القيس يذكر ذلك:

يُفَاكهنَا سَعْدٌ وَيُنْعِمُ بَالِنَا وَيَغْدُو^(١) عَلَيْنَا بِالْجَفَانِ وَبِالْجُزُرِ
وَنَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلًا وَمِنْ خَالِهِ وَمِنْ يَزِيدَ وَمِنْ حُجْرِ
سَمَاحَةً ذَا وَبِرٍّ ذَا وَوَفَاءَ ذَا وَنَائِلَ ذَا إِذَا صَحَا وَإِذَا سَكِرَ

والمعلّى بن تميم:

ثم تحول عنه فوق في أرض طيء^(٢) فتزل برجل من بني جديلة يقال له المعلّى بن تميم. ففي ذلك يقول:

كَأَنِّي إِذْ نَزَلْتُ عَلَى الْمُعَلَّى نَزَلْتُ عَلَى الْبَوَاذِخِ مِنْ شَمَامٍ^(٣)
فَمَا مَلِكُ الْعِرَاقِ عَلَى الْمُعَلَّى بِمَقْتَدِرٍ وَلَا مَلِكُ الشَّامِ
أَقْرَ حَشَى أَمْرِيءَ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ بَنُو تَيْمٍ مَصَايِخُ الظَّلَامِ

ثم ببني نهبان:

قالوا: فلبث عنده واتخذ إبلاً هناك. فغدا قوم من بني جديلة يقال لهم بنو زيد فطردوا الإبل. وكانت لامرئ القيس رواحل مُقَيَّدة عند البيوت خوفاً من أن يذمهم أمرٌ ليسبق عليهن. فخرج حينئذ فتزل ببني نهبان من طيء، فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جديلة، فرجعوا إليه بلا شيء. فقال في ذلك:

وَأَعْجَبَنِي مَشْيُ الْحُزْقَةِ خَالِدٍ كَمْشِي أَتَانِ حُلْتُ بِالْمَنَاهِلِ^(٤)
/ فَدَعِ عَنْكَ نَهْبًا صَبِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ^(٥) وَلَكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرِّوَا حِلْ

[٩٥/٩]

ففرقت عليه بنو نهبان فرقا^(٦) من مغزى يحلبها. فأنشأ يقول:

إِذَا مَا لَمْ تَجِدْ إِبِلًا فَمِغْزَى كَانَ قُرُونُ جَلَّتْهَا^(٧) الْعِصَى

(١) ورد هذا الشطر في «ديوانه» هكذا:

بمثنى الرقاق المترعات وبالجزر

(٢) في الأصول: «من أرض طيء» وهو تحريف. وعبرة «تجريد الأغاني»: «ثم تحول عنه فتزل بأرض طيء عند رجل...».

(٣) شمام: اسم جبل لباهلة.

(٤) هذه رواية «الديوان». والحزقة: القصير الذي يقارب الخطر. وحلثت: منعت عن الماء وطردت مرة بعد مرة. وفي الأصول:

صجبت له مشى الحزقة خالد

(٥) الحجرات: النواحي. يقول: دع النهب الذي صاح المنتهب في نواحيه وأخذه، وحذثني حديث الرواحل وهي الإبل التي ذهبت بها ما فعلت. (راجع «اللسان» في مادة حجر و «شرح ديوانه»).

(٦) الفرق: القطيع من الغنم والبقر والغنم، وقيل: هو ما دون المائة من الغنم. ومن جعل الألف في «مغزى» للتأنيث منه من الصرف،

ومن جعلها للإلحاق صرف، وهو الأرجح.

(٧) الجلة: المسان (بفتح الميم وتشديد النون كبيرات السن). ويروى هذا الشطر في «ديوانه»:

ألا إلا تكن إبل فمغزى

إذا ما قام حالُّها أرئت^(١) كأن القوم صبحهم نعي
فملا بيتنا أقطاً^(٢) ومسنأ وحسبك مسن غنى شبع وري

ثم نزل بعامر بن جوين:

فكان عندهم ما شاء الله. ثم خرج فنزل بعامر بن جوين واتخذ عنده إبلاً، وعامر يومئذ أحد الخلعاء الفُكَّاء قد تبرأ قومه من جرائره، فكان عنده ما شاء الله، ثم هم أن يغلبه على أهله وماله، ففطن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به وهو قوله:

فكم بالصعيد^(٣) من هجان مؤلِّة
أردت بها فتكاً فلم أرتمض^(٤) له
وتنهت نفسي بعدما كدت أفعله^(٥)

/ وكان عامر أيضاً يقول يعرض بهند بنت امرئ القيس:

الآحى هنداً وأطلها
هممت بنفسي كلَّ الهوم
وتظعان هند وتخلا لها
ساحيل نفسي على آلة^(٦)
فأولى لنفسي أولى لها^(٧)
فأما عليها وأما لها

هكذا روى ابن أبي سعد عن دارم بن عقال. ومن الناس من يزوي هذه الأبيات للخنساء في قصيدتها:

الآ ما لعيني الآ ما لها
لقد أخضل الدمع سربالها

ثم بحارثة بن مر:

قالوا: فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على أهله وماله، تغفله وانتقل إلى رجل من بني ثعل يقال له حارثة بن مَرٍّ فاستجار به. ف وقعت الحرب بين عامر وبين الثعلبي، فكانت في ذلك أمور كثيرة. قال دارم بن عقال في خبره: فلما وقعت الحرب بين طيء من أجله، خرج من عندهم فنزل برجل من بني فزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن، فطلب منه الجواز حتى يرى ذات عيينه^(٨). فقال له الفزاري: يابن حُجر، إني أراك في خللي من قومك وأنا أنفس^(٩)

(١) رواية «الديوان» في هذا البيت:

إذا مشيت حوالبها أرئت كأن الحبي صبحهم نعي

بيناء الفعل (مشيت) للمجهول. ومشيت حوالبها: مسحت بالكف ليدر اللبن. والحوالب: العروق التي تدر اللبن في الضرع واحدها حالب. وأرئت: صوتت. ويحتمل أن تكون المعزى هي المرنه، وأن يكون الإرنان صوت الشخب الذي يقع في الإناء من كثرة اللبن.

(٢) الأقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض مثل الجبن.

(٣) كذا في «تجريد الأغاني»: وفي جـ: «فكم من سعيد». وفي سائر النسخ: «فكم بالصحيح» وهما تحريف.

(٤) ارتمض: حزن، أي فلم أحزن ولم أسف له. ونهته: كف.

(٥) نصب الفعل على تقدير «أن» أي بعد ما كدت أن أفعله، وهو شاذ.

(٦) أولى لك: كلمة توعده وتهديد، وقد تكون كلمة تلهف، يقولها الرجل إذا حاول شيئاً فأفلته من بعد ما كاد يصيبه.

(٧) الآلة هنا: الحالة.

(٨) يريد: ينظر في أمره ويصلح من شأنه.

(٩) أنفس به: أضن به.

بمثلك من أهل الشرف، وقد كدت بالأمس تؤكل في دار طييء، وأهل البادية أهل بر لا أهل حصون تمنعهم، وبينك وبين أهل اليمن دُوبانٌ من قيس، أفلا أدلك على بلداً فقد جثت قيصر وجثت الثعمان فلم أرَ لضيْفٍ نازل ولا لمُجْتَدٍ مثله ولا مثل صاحبه. قال: من هو وأين منزله؟ قال: السموءل بتيّماء، وسوف أضرب لك مثله، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذات عييك، وهو في حصن حصين وحسب كبير. فقال له أمرؤ القيس / وكيف لي به؟ قال: أوصلك إلى من يوصلك إليه؛ فصاحبه إلى رجلٍ من بني فزارة يقال له الربيع^(١) بن ضُبُع الفزاري ممن يأتي السموءل فيخمله ويُعطيه. فلما صار إليه قال له الفزاري: إن السموءل يعجبه الشعر. فتعال نتناشد له أشعاراً. فقال أمرؤ القيس: قل حتى أقول. فقال الربيع:

قُلْ للمنيّة أيّ حين نلتقي بفناء بيتك في الحضيض المزلقي
وهي طويلة يقول فيها:

ولقد أتيت بني المصاص مفاخرأ وإلى السموءل زُرْتُه بالأبلسي
فأتيت أفضل من تحمّل حاجة إن جثته في غارم أو مُرَهَقِ
عرفت له الأقوام كل فضيلة وخوى المكارم سابقاً لم يُسبقِ

قال: فقال أمرؤ القيس:

طرقتك هندٌ بعد طوا، تجسب وهناً ولم تك قبل ذلك تطرقُ

وهي قصيدة طويلة، وأظنها منحولة لأنها لا تشاكل كلام أمرؤ القيس، والتوليد فيها يبين، وما دوتها في «ديوانه» أحد من الثقات؛ وأحسبها مما صنعه دارم لأنه من ولد السموءل ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا^(٢). قال فوفد الفزاري بأمرؤ القيس إليه. فلما كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرة وحشية مرمية. فلما نظر إليها أصحابه $\frac{٧٣}{٨}$ قاموا فذكّوها. فبينما هم كذلك إذا هم بقوم قناصين من بني ثعل^(٣). فقالوا لهم: من أنتم؟ / فانتسبوا لهم، وإذا هم من جيران السموءل فانصرفوا جميعاً. وقال أمرؤ القيس:

[٩٨/٩] / رَبِّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ مُخْرِجَ كَفَيْهِ مِنْ قُتْرَةٍ^(٤)
عَارِضٍ زُورَاءَ مَنْ نَشِمَ مع باناةٍ على وَتْرَةٍ^(٥)

- هكذا في رواية ابن دارم. ويُرْوَى «غير باناة» و«تحت باناة» -

(١) في «المشبه» أنه اختلف فيه هل هو بفتح الراء أو ضمها.

(٢) وردت هذه الجملة هكذا في الأصول. ولعل صوابها «أو مما صنعه من روى عنه فلم تكتب هنا».

(٣) ثعل: قبيلة من طييء.

(٤) القتر: جمع قتره وهي بيت الصائد الذي يكمن فيه للوحش لئلا تراه فتفر منه.

(٥) يقال: عرض الرامي القوس عرضاً إذا أضعفها ثم رمى عنها. وزوراء: معوجة. والنشم: شجر تتخذ منه القسي. والرواية التي كتب عنها الشراح هي رواية «غير باناة» والباناة لغة طييء في البانية كما يقولون في ناصية ناصاة وفي قارية قارة. والباناة من القسي: التي لصق وترها بكبدتها حتى كاد ينقطع وترها في بطنها من لصوقه بها، وهو عيب. و«على» بمعنى «عن» أي غير باناة عن الوتر. وعلى هذا الوجه يكون «غير» بتصب الراء صفة لزوراء. ويجوز أن يكون بكسر الراء على أنه من صفة الرامي، يقال رجل باناة وهو الذي ينحني صلبه إذا رمى فيذهب سهمه على وجه الأرض، وعلى هذا تكون «على» هنا في موضعها.

إذ أثَّسه السوحشُ واردةً
فثَّشَى النزعَ في يَسْرِهِ^(١)
فرماها في فرائصها
بإزاء الحوضِ أو عُقْرِهِ^(٢)
بَرِهيشٍ^(٣) من كِنَانَتِهِ
كتلْظُسي الجمرِ في شَرَرِهِ
/ رَأْسُهُ من ريشِ نَاهِضَةٍ
ثم أمْهَاه على حَجَرِهِ^(٤)
فَهُوَ لَا تَمِي رَمِيَّتُهُ^(٥)
مَا لَهُ لَا عُذَّ من نَقَرِهِ

[٩٩/٩]

طلب إلى السمَّوَل أن يكتب له إلى الحارث ليوصله إلى قيصر:

قال: ثم مضى القومُ حتى قَدِمُوا على السَّمَّوَل، فأنشده الشعرَ، وعرف لهم حقَّهم، فأنزل المرأةَ في قبةِ آدم وأنزل القومَ في مجلسٍ له بَرَّاحٍ؛ فكان عنده ما شاء الله. ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر الغَسَّانِي بالشَّام ليوصله إلى قيصر؛ فاستنجد له رجلاً، واستودع^(٦) عنده المرأةَ والأدراعَ والمالَ، وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمِّه. فمضى حتى انتهى إلى قيصر؛ فقبله وأكرمه وكانت له عنده منزلة.

لما وصل إلى قيصر دس له عنده الطَّمَاح حتى سمَّه بحلة خلعها عليه:

فأندسَ رجل من بني أسد يقال له الطَّمَاح، وكان أمرؤ القيس قد قتل أخاً له من بني أسد، حتى أتى إلى بلاد الروم فأقام مستخفياً. ثم إن قيصر ضمَّ إليه جيشاً كثيفاً وفهم جماعة من أبناء الملوك. فلما فصل قال لقيصر قوم من أصحابه: إن العرب قومٌ غدير ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه. وقال ابن الكلبي: بل قال له الطَّمَاح: إنَّ أمراً القيس غويٌّ عاهرٌ وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يرأسل ابنتك ويواصلها، وهو قاتل

(١) واردة: عطاشا. وتثنى: انعطف. ويروى: «فتنحى» و«فتمتى» أي تمطى ومعناه: مدَّ ونزع. والنزع الرمي عن القوس. وفي يسره - كما في «شرح ديوانه»، رواية أبي سهل (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣ أدب ش) - أي في يسر السهم للرمي. قال أبو سهل: يقول القوس في يساره فإذا اشتدَّ يساره تابع مدَّه فنفذ السهم أجود وإلا لم ينفذ جيداً. وفي «اللسان» (مادة يسر) عن الجوهري أن اليسرة بالتحريك أسرار الكف (خطوطها) إذا كانت غير ملتزقة وهي تستحب. قال شمر: ويقال في فلان يسره؛ وأنشد:

فتمتى النزع في يسره

قال: هكذا روى عن الأصمعي وفسره حيال وجهه. ويروى: «في يسره» بضم الياء وفتح السين جمعاً ليسرى، ويروى «في يسره» بضممتين جمعاً ليسار.

(٢) الفرائص: جمع فريضة وهي التي ترعد من الدابة عند مرجع الكتف تتصل بالفؤاد. وإزاء الحوض: مصب الماء فيه. وعقره: موضع الشارية، يريد أن هذا الرامي حاذق خبير بالرمي لا يرميها إلا في مقتل. وخص إزاء الحوض أو عقره لأنه مكان تأمن فيه وتطمئن إليه، فهو أمكن له فيما يريد منها.

(٣) الرهيش: السهم الضامر الخفيف.

(٤) الناهض الذي وفر جناحه ونهض للطيران. وأدخل الهاء في ناهضة للمبالغة أو لأنه أراد الأثنى، كما يقال صقر وصقرة. قال أبو بكر: وخص ريش النواهض لأن ريشها ألين وأطول وريش المسان لا خير فيه. أمهات: أرقه. وقال أبو عبيدة: أمهات: سقاء الماء.

(٥) أي لا ترتفع من مكانها الذي أصابها فيه السهم لحذق الرامي؛ يقال: أنميت الصيد فتمى ينمي وذلك أن ترميه فتصبيه ويذهب عنك فيموت بعد ما يغيب. ومعنى لا عد من نفره: أماته الله فلا يعد من قومه، والمراد التعجب منه، كما يقال: قاتله الله في موضع المدح والتعجب.

(٦) في جد: «واستودعه».

في ذلك أشعاراً يُشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك. فبعث إليه حينئذ بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب وقال له: إني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكريماً لك، فإذا وصلت إليك فآلبسها باليمن والبركة، واكتب إليّ بخبرك من منزل منزل. فلما / وصلت إليه لبسها وأشدت سروره بها؛ فأسرع فيه السّم وسقط جلده؛ فلذلك سمي ذا القروح، وقال في ذلك:

لقد طمّح الطّمّاح من بعد أرضه ليلبسني ممّا يلبس أبوسا^(١)
فلو أنها نفس بموت سويّة ولكتها نفس تساقط أنفسا

قال: فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تدعى أنقرة احتضر بها؛ فقال:

رُبّ غُطْبَةٍ مُسَحَنَفَرَةٍ وَطُغْنَةٍ مُثَعَنَجَرَةٍ^(٢)
وَجَفْنَةٍ مُتَحَيَّرَةٍ حَلَّتْ بِأَرْضِ أَنْقَرَةٍ

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدُفِنَتْ في سَفْحِ جَبَلٍ يُقال له عَسِيب؛ فسأل عنها فأخبر بقصتها، فقال:

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْمَسْرَارَ قَرِيبُ وَأَنْتِي مَقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ^(١٠١/٩)
أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ^{٧٤/٨}

ثم مات فدُفِنَ إلى جنب المرأة، فقبره هناك.

عبد الملك بن عمير يحدث عمر بن هبيرة يحدث عنه فيسّر به ويجيزه:

أخبرني محمد بن القاسم عن مُجَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ:

قَدِمَ عَلَيْنَا عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْكُوفَةِ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ عَشْرَةَ أَهْلٍ مِنْ وَجْهِ الْكُوفَةِ فَسَمَرُوا عِنْدَهُ، ثُمَّ قَالَ: لِيُحَدِّثْنِي كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أَحَدُوَّةً وَابْدَأْ أَنْتَ يَا أَبَا عَمْرٍ^(٣). فَقُلْتُ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! أَحَدِيثَ الْحَقُّ أَمْ حَدِيثَ الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلْ حَدِيثَ الْحَقِّ. قُلْتُ: إِنَّ أَمْرًا الْقَيْسَ آلِي بَالِيَةٍ إِلَّا يَتَزَوَّجُ امْرَأَةً حَتَّى يَسْأَلَهَا عَنْ ثَمَانِيَةٍ وَأَرْبَعَةٍ وَثْنَتَيْنِ؛ فَجَعَلَ

(١) في «ديوانه»:

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة لعل منايانا تحولن أبوسا
لقد طمّح الطّمّاح من بعد أرضه ليلبسني من داله ما تلبسا

(٢) يقال: اسحفر في خطبته إذا مضى واتسع في كلامه. والمثعنجرة: السائلة، يقال: ثعجر الدم فاثعنجر إذا صبه فاتصب. والجفنة المتحيرة: الممتلئة طعاماً ودسماً. وهذه الشطرة الثالثة غير متزنة. وقد ورد هذا الشعر في مقدمة «ديوانه» المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ١٣ أدب ش:

وطعنــــة مثعنجــــره وخطبــــة مسحــــفه
وجفــــنة مدعــــشه تبقي غدا بأنقــــره

والجفنة المدعشة: المثلمة. وورد في «اللسان» (مادة ثعجر) وكتاب «الشعر والشعراء» وليس فيهما هذا الشطر؛ ففي «اللسان»:

رب جفــــنة مثعنجــــره وطعنــــة مسحــــفه
تبقي غدا بأنقــــره

وفي «الشعر والشعراء»:

وطعنــــة مسحــــفه وجفــــنة مثعنجــــره
تبقي غدا بأنقــــره

(٣) يكنى عبد الملك بن عمير أبا عمر وأبا عمرو.

يخطب النساء، فإذا سألهن عن هذا قلن أربعة عشر. فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة كأنها البدر ليلة تمامه، فأعجبته، فقال لها: يا جارية! ما ثمانية وأربعة واثنان؟. فقالت: أما ثمانية فأطباء الكلية. وأما أربعة فأخلاف الناقة. وأما اثنان فتذبا المرأة. فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها. وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال، فجعل لها ذلك، وأن يسوق إليها مائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر وصانف وثلاثة أفراس ففعل ذلك. ثم إنه بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى إليها نخياً^(١) من سمن ونخياً من عسل وحلّة من عصب. فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلّة ولبسها فتعلقت بعشرة فأنشقت، وفتح النّحّين فطعم أهل الماء منهما فنقصا. ثم قدّم على حيّ المرأة وهم خلوف^(٢). فسألها عن أبيها وأُمّها وأخيها ودفع إليها هديتها. فقالت له: أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً، وأن أمّي ذهبت تشقّ النفس / نفسين، وأن أخي يراعي الشمس، وأن [١٠٢/٩] سماءكم انشقت، وأن وعاءكم نضبا. فقدم الغلام على مولاه فأخبره. فقال: أما قولها إن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً، فإن أباهما ذهب يُحالف قوماً على قومه. وأما قولها ذهبت أمّي تشقّ النفس نفسين، فإن أمّها ذهبت تقبل^(٣) امرأة نفساء. وأما قولها: إن أخي يراعي الشمس، فإن أخاهما في سرج له يراعه فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به. وأما قولها: إن سماءكم انشقت، فإن البرد الذي بعثت به انشق. وأما قولها إن وعاءكم نضبا، فإن النّحّين اللذين بعثت بهما نقصا، فاضدقني. فقال: يا مولاي، إني نزلت بماء من مياه العرب، فسألوني عن نسبي فأخبرتهم أنني ابن عمك، ونشرت الحلّة فأنشقت، وفتح النّحّين فاطعمت منهما أهل الماء. فقال: أؤلى لك! ثم ساق مائة من الإبل وخرج نحوها ومعه الغلام، فنزلاً منزلاً. فخرج الغلام يسقي الإبل فعبّز؛ فأعانه امرؤ القيس؛ فرمى به الغلام في البئر، وخرج حتى أتى المرأة بالإبل، وأخبرهم أنه زوجها. فقبل لها: قد جاء زوجك. فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا! ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذئبها ففعلوا. فقالت: اسقوه لبناً حازراً (وهو الحامض) فسقوه فشرب. فقالت: أفرشوا له عن، الفرث^(٤) والدم، ففرشوا له فنام. فلما أصبحت أرسلت إليه: إني أريد أن أسألك. فقال: سيلي عما شئت. فقالت: ممّ تختلج شفتاك؟ قال: لتقبيلي إياك. قالت: ممّ يختلج كشحاك؟ قال: لالتزامي إياك. قالت: ممّ يختلج فخذاك؟ قال: لتوركي إياك. قالت: عليكم العبد فشّدوا أيديكم / به، ففعلوا. قال: ومرّ قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر، فرجع إلى حيّه، فاستاق مائة من ^{٧٥}/_٨ الإبل وأقبل إلى امرأته. فقبل لها: قد جاء / زوجك. فقالت: والله ما أدري أهو زوجي أم لا، ولكن انحروا له [١٠٣/٩] جزوراً فأطعموه من كرشها وذئبها ففعلوا. فلما أتوه بذلك قال: وأين الكبد والسنام والملحاء^(٥) فأبى أن يأكل. فقالت: اسقوه لبناً حازراً. فأبى أن يشربه وقال: فأين الصريف^(٦) والرثينة. فقالت: أفرشوا له عند الفرث والدم. فأبى أن ينام وقال: أفرشوا لي فوق الثلعة الحمراء، واضربوا عليها خباء. ثم أرسلت إليه: هلّم شريطتي عليك في المسائل الثلاث. فأرسل إليها أن سيلي عما شئت. فقالت: ممّ تختلج شفتاك قال: لشربي المشغشات. قالت: ممّ

(١) النحي: الزق.

(٢) خلوف: غيب.

(٣) يقال: قبلت القابلة المرأة إذا تلقت ولدها عند ولادته.

(٤) الفرث: السرجين ما دام في الكرش.

(٥) الملحاء: لحم في الصلب من الكاهل إلى المعز من البعير.

(٦) الصريف: الحليب الحار ساعة يصرف عن الضرع. والرثينة: اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته.

يختلج كَشْحَاكَ، قال: لِلْبُئْسِي الْحَبْرَات. قالت: فَمَنْ تَخْتَلِجُ فَيَذَاكَ؟ قال: لَرِكَضِي الْمُطَهَّمَات. فقالت: هذا زوجي لَعْمَرِي! فعليكم به، واقتلوا العبد، فقتلوه. ودخل امرؤ القيس بالجارية. فقال ابن هُبَيْرَة: حَسْبُكُمْ! فلا خير في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو؛ ولن تأتينا بأعجب منه فقمنا وانصرفنا. وأمر لي بجائزة.

مفاوضات امرئ القيس وقبائل أسد بعد موت حجر:

نسخت من كتاب جَدِّي يحيى بن محمد بن ثَوَابَة بخطه رحمه الله حَدَّثَنِي الحسن بن سعيد عن أبي عُبَيْدَة قال أخبرني سِبْيَوْنَة النحوي أَنَّ الخليل بن أحمد أخبره قال:

قَدِمَ عَلَى امرئ القيس بن حُجْرٍ بعد مقتل أبيه رجالٌ من قبائل بني أسد كهولٌ وشُبَّان، فيهم المُهَاجِر بن خِدَاش ابن عَمِّ عَبِيد بن الأبرص، وقَبِيصَة بن نُعَيْم، وكان في بني أسد مقيماً وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وَرَدَا وإصداراً^(١) يعرف ذلك له من كان محيطاً بأكناف بلده من العرب. فلما علم بمكانهم أَمَرَ بِإِنْزَالِهِمْ وتقدّم بإكرامهم والإفضال عليهم، واحتجب عنهم ثلاثاً. فسألوا من حضرهم من رجال كِنْدَة، / فقال: هو في شُغْلٍ بإخراج ما في خزائن حُجْرٍ من السِّلَاح والْعُدَّة. فقالوا: اللَّهُمَّ غَفِّراً، إِنَّمَا قَدِمْنَا فِي أَمْرٍ نَتَنَاسَى بِهِ ذِكْرَ مَا سَلَفَ وَنَسْتَدْرِكُ بِهِ مَا فَرَطَ، فَلْيُبَلِّغْ ذَلِكَ عَنَّا. فخرج عليهم في قَبَاءٍ وَخُفٍّ وعمامة سوداء؛ وكانت العرب لَا تَعْتَمُّ بِالسَّوَادِ إِلَّا فِي الثَّرَات. فلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ قَامُوا لَهُ، وَبَدَّرَ إِلَيْهِ قَبِيصَة: إِنَّكَ فِي الْمَحَلِّ وَالْقَدْرِ وَالْمَعْرِفَةِ بِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ وَمَا تُحْدِثُهُ أَيَّامُهُ وَتَتَنَقَّلُ بِهِ أَحْوَالُهُ بِحَيْثُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَبْصِيرٍ وَاعِظٍ وَلَا تَذْكَرَةَ مَجْرُبٍ. وَلَكَ مِنْ سَوْدَدٍ مَنَصِبِكَ وَشَرَفٍ أَعْرَاقِكَ وَكِرَمٍ أَصْلِكَ فِي الْعَرَبِ مُخْتَمَلٌ يَحْتَمِلُ مَا حُمِلَ عَلَيْهِ مِنْ إِقَالَةِ الْعَثَرَةِ، وَرَجُوعٍ عَنْ هَفْوَةٍ. وَلَا تَتَجَاوَزُ الْهَمِّ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا رَجَعْتَ إِلَيْكَ فَوَجَدْتَ عِنْدَكَ مِنْ فَضِيلَةِ الرَّأْيِ وَبَصِيرَةِ الْفَهْمِ وَكِرَمِ الصَّفْحِ فِي الَّذِي كَانَ مِنَ الْخَطْبِ الْجَلِيلِ الَّذِي عَمَّتْ رَزِيئَتُهُ نِزَاراً وَالْيَمْنَ، وَلَمْ تَخْصُصْ كِنْدَةَ بِذَلِكَ دُونَنا لِلشَّرَفِ الْبَارِعِ. كَانَ لِحُجْرٍ التَّاجُ وَالْعِمَّةُ فَوْقَ الْجَبِينِ الْكَرِيمِ وَإِخَاءُ الْحَمْدِ وَطِيبُ الشِّيمِ. وَلَوْ كَانَ يُفْقَدُ هَالِكٌ بِالْأَنْفُسِ الْبَاقِيَةِ بَعْدَهُ لَمَا بَخِلْتُ كَرَامَتُنَا عَلَى مِثْلِهِ بِبَذْلِ ذَلِكَ وَلَفْقَدِيْنَاهُ مِنْهُ، وَلَكِنْ مَضَى بِهِ سَبِيلٌ لَا يَرْجِعُ أَوْلَاءٌ عَلَى أَخْرَاهُ وَلَا يَلْحَقُ أَقْصَاهُ أَذْنَاهُ. فَأَحْمَدُ الْحَالَاتِ فِي ذَلِكَ أَنْ تَعْرِفَ الْوَاجِبَ عَلَيْكَ فِي إِحْدَى خِلَالٍ: إِمَّا أَنْ اخْتَرْتَ مِنْ بَنِي أُسْدٍ أَشْرَفَهَا بَيْتاً، وَأَعْلَاهَا فِي بِنَاءِ الْمَكْرُمَاتِ صَوْتاً، فَقَدْزَنَاهُ إِلَيْكَ بِنَسْبِهِ^(٢) تَذَهَّبَ^{٧٦} مَعَ شَفَرَاتِ حُسَامِكَ / قَصَدْتَهُ^(٣) فيقول رجلٌ: أَمْتَحِنَ بِهَؤُلِكَ عَزِيزَ فَلَمْ تُسْتَلَّ سَخِيمَتُهُ إِلَّا بِتَمَكِينِهِ مِنَ الْإِنْتِقَامِ، أَوْ فِدَاءً بِمَا يَرُوحُ مِنْ بَنِي أُسْدٍ مِنْ نَعْمِهَا فِيهِ أَلُوفٌ تَجَاوَزُ الْحِسْبَةَ فَكَانَ ذَلِكَ فِدَاءً رَجَعْتَ بِهِ الْقَضْبَ إِلَى أَجْفَانِهَا لَمْ يَزِدْهُ تَسْلِيْطُ الْإِحْنِ عَلَى الْبُرْءَاءِ؛ وَإِمَّا أَنْ / تُوَادِعَنَا حَتَّى تَضَعَ الْحَوَامِلُ فَتُسَدِّلَ الْأَزْرَ وَتَعْقِدَ الْخُمُرَ فَوْقَ الرِّيَاضِ. قال: فَبِكِي سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: لَقَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنْ لَا كُفَّةَ لِحُجْرٍ فِي دَمٍ، وَإِنِّي لَنْ أَعْتَاضَ بِهِ جَمَلاً أَوْ نَاقَةً فَأَكْتَسِبَ بِذَلِكَ سُبَّةَ الْأَبَدِ وَفَتَّ الْعَضْدَ. وَأَمَّا النَّظَرَةُ^(٤) فَقَدْ أَوْجَبَتْهَا الْأَجَنَّةُ فِي بَطُونِ أُمَهَاتِهَا، وَلَنْ أَكُونَ لِعَطَبِهَا سَبِيّاً، وَتَسْتَعْرِفُونَ طَلَاتِعَ كِنْدَةَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، تَحْمِلُ الْقُلُوبَ حَقَقًا وَفَوْقَ الْأَسَنَةِ عَلَقًا^(٥).

(١) كان ينبغي أن يكون . . . بمواقع الأمور لإيراداً وإصداراً أو . . . ورداً وصدرًا.

(٢) النسع: سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره. وفي الحديث: «يجر نسعة في عنقه».

(٣) كذا في ج: والقصة: العنق. وفي سائر الأصول: «قصيدته» وهو تصغير «قصيدة» وقد ورد في الأصول: هكذا: «تذهب مع شفرات

حسامك ثنائي قصيدته». ولم نفهم لكلمة «ثنائي» ها هنا معنى.

(٤) النظرة: الإمهال.

(٥) العلق: الدم.

إذا جالت الخيل في مازق^(١) تُصافح^(٢) فيه المنايا النفوسا
أثقيمون أم تنصرفون؟ قالوا: بل تنصرف بأسوأ الاختيار، وأبلى الاجترار لمكروه وأذية، وحرب وبليّة. ثم نهضوا
عنه، وقبيصة يقول متمثلاً:

لعلك أن تستوخم^(٣) الموت إن غدت كئائبنا في مازق الموت تَمُطُرُ^(٤)

فقال امرؤ القيس: لا والله لا أستوخمه، فريداً يكشف لك دجأها عن فرسان كئيدة وكئائب حمير. ولقد كان ذكر غير
هذا أولى بي إذ كنت نازلاً برنعي؛ ولكنك قلت فأجبت. فقال قبيصة: ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب. قال
امرؤ القيس: فهو ذاك.

أصوات معبد المعروفة بالقابها وهي خمسة

أصوات معبد الخمسة والقابها:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني إسماعيل بن يونس
الشيبي قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني
علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبة عن إسحاق:

/ أن معبداً كان يسمي صوته:

هُرَيْرَةٌ ودُعْهَا وإن لام لائم

الدَّوَامَةُ لكثرة ما فيه من الترجيع. ويسمي صوته:

عاود القلب من تذكر جُمْلٍ

المُتَمَنَّم. ويسمي صوته:

أمن آل ليلي بالملأ مُتَرَبِّعُ

معقصات القرون أي يحرك خصل الشعر. ويسمي صوته:

[جعل^(٤) الله جعفرأ لك بغلاً

المتبختر. ويسمي صوته]:

ضوء برقي بدا لعينيك أم شئت بذئ الأثل من سلامة^(٤) نار

[مقطع الأثفار^(٤)].

(١) كذا في ج: وفي سائر الأصول: «تدافع».

(٢) استوخم الشيء: لم يستمره.

(٣) لعلها «تخطر».

(٤) التكملة أثبتناها من بيان نسبة الأصوات فيما يأتي ص ١٣٢.

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

هُرَيْرَةٌ وَدَّعَهَا وَإِنْ لَامٍ لَائِمٌ غَدَاةٌ غَدٍ أَمْ أَنْتَ لِلْبَيْنِ وَاجِمٌ
لَقَدْ كَانَ فِي حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوِيَّتُهُ تَقْضَى لُبَانَاتٍ وَسَامٍ سَائِمٌ
مُبْتَلَةٌ هَيْفَاءُ رُودٌ شَبَابُهَا لَهَا مَقْلَتَا رِيَمٍ وَأَسْوَدُ فَاحِمٌ
وَوَجْهٌ نَقِيٌّ اللَّوْنِ صَافٍ يَزِينُهُ مَعَ الْحَلِيِّ لَبَّاتٌ لَهَا وَمَعَاصِمٌ

الواجم: الساكت المطرق من الحزن، يقال: وَجَمَ يَجِمُ وَجُومًا. وقوله: «لقد كان في حول ثواء ثويته»: قال الكوفيون: أراد لقد كان في ثواء حول ثويته، فجعل ثواء بدلاً من حول. وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام عن يونس قال: كان أبو عمرو بن العلاء يعيب / قول الأعشى:

لقد كان في حول ثواء ثويته

/ جَدًّا ويقول: ما أعرف له معنى ولا وجهاً يصحُّ. قال أبو خليفة: وأما أبو عبيدة فإنه قال: معناه لقد كان في ثواء حول ثويته. واللُّبَانَاتُ والمَارِبُ والحَوَائِجُ والأَوْطَارُ واحد. والمُبْتَلَةُ: الحسنة الخلق. والهَيْفَاءُ: اللطيفة الخضر. والرُّئِمُ: الظبي. والفاحم: الشديد السواد. وقال: لَبَّاتٌ لَهَا وإنما لها لَبَّةٌ واحدة ولكنَّ العرب تقول ذلك كثيراً؛ يقال: لَهَا لَبَّاتٌ حَسَنٌ، يراد اللَّبَّةُ وما حولها. والمعاصم: موضع الأسورة، وواحداهَا مِعْصَمٌ.

الشعر للأعشى. والغناء لمعبد، وله فيه لحنان، أحدهما وهو الملقَّبُ بالدَّوَامَةِ خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالسَّبَابَةِ في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر ثَقِيلٌ عن الهشامي وابن خُرْدَاذْبَةَ.

/ أخبار الأعشى ونسبه

[١٠٨/٩]

نسبه وكنيته:

الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمَيَّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ويكنى أبا بصير.

لقب أبيه قتيل الجوع:

وكان يقال لأبيه قيس بن جندل قتيل الجوع، سمي بذلك لأنه دخل غارا يستظل فيه من الحر، فوقعت صخرة عظيمة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعاً. فقال فيه جهنم وأسمه عمرو وهو من قومه من بني قيس بن ثعلبة يهجوهم وكانا يتهاجيان:

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندل وخالك عبد من جماعة^(١) راضع

شاعر جاهلي:

وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم وتقدم على سائرهم، وليس ذلك بمجمع عليه ولا في غيره.

أشعر الناس إذا طرب:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال سألت يونس النحوي: من أشعر الناس؟ قال: لا أوميء إلى رجل بعينه ولكني أقول: أمرؤ القيس إذا غصِب، والنابعة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب.

قبيلته أشعر القبائل عند حسان:

أخبرني ابن عمار عن ابن مَهْرويه عن حذيفة بن محمد عن ابن سلام بمثله.

أخبرني عمي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين.

/ أن حسانا سئل: من أشعر الناس؟ فقال: أشاعر بعينه أم قبيلة؟ قالوا: بل قبيلة. قال: الرزق من بني قيس بن ثعلبة، وهذا حديث يروى أيضاً عن غير حسان.

فاخر ابن شفيع بقبيلته بني ثعلبة عبدالعزيز بن زرارة:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن ابن مَهْرويه قال حدثنا عبدة بن عِصْمة عن فراس بن خنْدَف عن علي بن

شفيع قال:

(١) جماعة: بطن من العرب سموا باسم جماعة بنت جشم بن ربيعة بن زيد مناة. والراضع: اللثم.

إني لوافق بسوق حجر^(١) إذ أنا برجل من هيته وحاله عليه مَقَطَّعَاتُ خَزٍّ وهو على نجيب مَهْرِيٍّ عليه رَحْلٌ لم أَرَقَطُ أحسن منه وهو يقول: من يُفَاخِرَنِي من يُنَافِرَنِي بيني عامر بن صَعَصَعَةَ فُرْسَانًا وشعراءَ وعدداً وفَعَالاً؟ قلت: أنا. قال: بحن؟ قلت: بيني ثعلبة بن عَكَّابَةَ بن صَعْبِ بن عَلِيٍّ بن بكر بن وائل. فقال: أما بلغك أن رسول الله ﷺ نهى عن المنافرة؟ ثم ولّى هارباً. قلت: مَنْ هذا؟ قيل: عبدالعزيز بن زُرَّارة بن جَزْء بن سُفيان الكلابي. هو صناجة العرب:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى وأحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قالَا حَدَّثَنَا / عمر بن شَبَّة قال:

قال أبو عُبَيْدَةَ: مَنْ قَدَّمَ الْأَعَشَى يَخْتَجُّ بِكَثْرَةِ طَوَالِهِ الْجِيَادِ وَتَصَرُّفِهِ فِي الْمَدِيحِ وَالْهَجَاءِ وَسَائِرِ فَنُونِ الشَّعْرِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لغيره. ويقال: هو أول من سأل بشعره، وأنتجع به أقاصي البلاد. وكان يُغَنِّي في شعره، فكانت العرب تُسَمِّيهِ صَنَاجَةَ الْعَرَبِ.

أخبرني المَهْلَبِيُّ والجَوْهَرِيُّ قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال: سمعت خلاداً الأَزْقَطَ يقول سمعت خَلَفًا الأحمرَ يقول:

لا يُعرف مَنْ أَسْعُرُ النَّاسَ كما لا يُعرف مَنْ أَشْجَعُ النَّاسَ ولا مَنْ كَذَا ولا مَنْ كَذَا، لأشياء ذكرها خَلَفٌ ونسبها أنا. أبو زيد عمر بن شَبَّة يقول هذا.

[١١٠/٩] / كان أبو عمرو بن العلاء يقدمه:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حَدَّثَنِي عَمِّي يوسف قال حَدَّثَنِي عَمِّي إسماعيل بن أبي محمد قال أخبرني أبي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقدّم الأعشى.

سئل مروان بن أبي حفصة عن أشعر الناس فقدمه بشعره:

وقا هشام بن الكلبيّ أخبرني أبو قَبِيصَةَ الْمُجَاشِعِيُّ أن مَرْوَانَ بن أبي حَفْصَةَ سئل: مَنْ أَسْعُرُ النَّاسَ؟ قال: الذي يقول:

كَلَّا أَبَوَيْكُمْ كَانَ فَرَعٌ دِعَامَةٌ وَلَكِنَّهُمْ زَادُوا وَأَصْبَحَتْ نَاقِصًا

يعني الأعشى.

قدمه حماد على جميع الشعراء حين سألَه المنصور عن ذلك:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حَدَّثَنِي عَمِّي قال قال سَلَمَةُ بن نَجَّاحٍ أخبرني يحيى بن سليم الكاتب قال:

بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة^(٢) إلى حمّاد الراوية أسأله عن أشعر الشعراء. قال: فأتيت بابَ حمّاد فاستأذنت وقلت: يا غلام! فأجابني إنسانٌ من أقصى بيتٍ في الدار فقال: مَنْ أنت؟ فقلت: يحيى بن سليم رسول

(١) حجر: مدينة باليمامة.

(٢) لعل الأصل: «بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين إلى حمّاد الراوية بالكوفة... إلخ».

أمير المؤمنين. قال: أدخل رَحِمَكَ الله! فدخلتُ أَتَسْمُتُ^(١) الصوتَ حتى وقفتُ على باب البيت، فإذا حَمَادُ عُرْيَانٌ على فَرْجِهِ دَسْتَجَةٌ^(٢) شاهِسْفَرُم. فقلت: إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس. فقال: نعم! ذلك الأعشى صَنَاجُهَا.

أوصى أبو عمرو بن العلاء الناس بشعره:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال سمعت أبا عُبَيْدَةَ يقول سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: عليكم بشعر الأعشى، فإني شَبَّهْتُه بالبازي يَصِيدُ ما بين العَنْدَلِيبِ إلى الكُرْكِيِّ.

/ وضعه جني في المرتبة الثالثة بعد امرئ القيس وطرفة:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال سمعت أبا عُبَيْدَةَ يقول:

بلغني أن رجلاً من أهل البَصْرَةِ حجَّ - وروى هذا الحديثُ أَبْنُ الكَلْبِيِّ عن شُعَيْبِ بن عبد الرحمن أبي معاوية النحوي عن رجل من أهل البَصْرَةِ أنه حجَّ - قال فإني لَأَسِيرُ في لَيْلَةٍ إِضْحِيَانَةٍ^(٣) إذ نظرتُ إلى رجلٍ شابٍّ راكِبٍ على ظَلِيمٍ قد زَمَّه بِخَطَامِهِ وهو يذهب عليه ويجيء، وهو يرتجز ويقول:

هَلْ يُبَلِّغُنِيهِم إِلَى الصَّبَاخِ هَقْلٌ^(٤) كَانَ رَأْسُهُ جُمَاخَ

الجُمَاخ: أطراف النبت الذي يسمى الحَلْيِ وهو سُنْبُلُهُ، إلَّا أنه ليس بِخَشْنٍ^(٥) يُشْبِهُ أَذْنَابَ الثَعَالِبِ^(٦). قال: والجُمَاخُ أيضاً سُهَيْمٌ يلعب به الصَّبِيَّانُ يجعلون مكان رُجْجِهِ طِيناً - قال: فعلمتُ أنه ليس بِإِنْسِيٍّ، فأستوحشتُ منه. فتردد علي ذاهباً وراجعاً حتى أنستُ به؛ فقلت: مَنْ أشعرُ الناس يا هذا؟ قال: الذي يقول:

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ

قلت: وَمَنْ هو؟ قال: امرؤ القيس. قلت: فمن الثاني؟ قال: الذي يقول:

تَطْرُدُ الْقُرَّ بِحَرٍّ سَاخِنٍ وَعَكِيكَ^(٧) الْقَيْظُ إِنْ جَاءَ بِقُرٍّ

/ قلت: ومن يقوله؟ قال: طَرْفَةُ. قلت: وَمَنِ الثالث؟ قال: الذي يقول:

وَبِرُّدٍ بِرُّدٍ رِدَاءَ الْعَسْرُو سِ بِالصَّيْفِ رَقْرَقَتْ^(٨) فِيهِ الْعَبِيرَا

قلت: وَمَنْ يقوله؟ قال: الأعشى، ثم ذهب به.

(١) تسمت الشيء: قصد نحوه.

(٢) كذا في أ و «شفاء الغليل». والدستجة: الحزمة والشاهسفرم: نوع من الرياحان يقال له الرياحان السلطاني. ، فارسي معرب. وفي سائر الأصول: «دستجة شاهسفره» وهو تحريف.

(٣) ليلة إضحيانة: مضية.

(٤) الهقل: الفتى من النعام.

(٥) في الأصول: «بحسن» وهو تصحيف.

(٦) ذنب الثعلب: نبات على هيئة أذناب الثعالب.

(٧) العكيك: صفة من العك أو العكك وهو شدة الحر في سكون الريح. وورد البيت في «اللسان» وفيه لفظة «صادق» بدل «ساخن». يصف جارية بأنها تطرد عن ملتزمها شدة برد الشتاء بحرارتها، وتطرد عنه شدة قَيْظِ الصيف بطراوتها.

(٨) رقرق الطيب في الثوب: أجراه فيه.

[١١٢/٩] / هو أستاذ الشعراء في الجاهلية وجرير أستاذهم في الإسلام:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو عذنان قال وقال لي يحيى بن الجؤن العبدني راويةً بشار:
نحن حاكّة الشعر في الجاهلية والإسلام ونحن أعلم الناس به، أعشى بني قيس بن ثعلبة أستاذ الشعراء في الجاهلية.
و جرير بن الخطفي أستاذهم في الإسلام.

حديث الشعبي عنه:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال:

قال الشعبي: الأعشى أغزل الناس في بيت، وأخنت الناس في بيت، وأشجع الناس في بيت. فأما أغزل بيت
فقوله:

غَرَاءُ فَرَعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَى كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحِلُ^(١)
وَأَمَّا أَخْنَتْ بَيْتَ فَقَوْلُهُ:

قَالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا وَيَلِي عَلَيْكَ وَيَلِي مِنْكَ يَا رَجُلُ
وَأَمَّا أَشْجَعُ بَيْتَ فَقَوْلُهُ:

قَالُوا الطَّرَادَ فَقَلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزَلُونَ فَإِنَا مَغْشَرُ نُزُلُ

حماد الراوية يسأل عن أشعر العرب فيجب من شعرة:
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُوبٍ عن ابن أبي سعد قال ذكر الهيثم بن عدي أن حماداً الراوية سئل
عن أشعر العرب، قال الذي يقول:

نَازَعَتْهُمْ قُضْبُ الرِّيحَانِ مُتَكُئاً وَقَهْوَةُ مُزَّةٍ^(٢) رَاوُفُهَا خَضِلُ

كان قدرياً وكان لييد مثبِتاً:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أبو علي العنزي قال حدثني محمد بن معاوية الأسدي قال
حدثني رجل عن أبان بن تغلب عن سمالك بن حرب قال قال لي يحيى بن مئى راوية الأعشى وكان نصرانياً عبدياً
وكان مُعَمَّرَاً قال:

[١١٣/٩] / كان الأعشى قَدَرِيّاً^(٣) وكان لِيِيدٌ مُثَبِّتاً. قال لييد:

مَنْ هَذَا سُبُلَ الْخَيْرِ أَهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلُّ

وقال الأعشى.

إِسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْ مَعْدِلِ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا

(١) الوجي: وصف من الوجي، وهو أن يجد ألماً في زجليه عند المشي. والوحل: الماشي في الوحل.

(٢) المزّة والمزاة: التي فيها مزازة. والراووق: الباطية، أي إناء الخمر. واستعمال الراووق في الباطية قليل، والمعروف أن الراووق المصفاة التي تروّق وتصفى فيها الخمر. والخضل: الدائم الندى.

(٣) القدريّة: جاحد والقدر أي ينكرون أن الله قدر على عباده الشر، وهو ما ذهب إليه فرقة من المسلمين يقال لهم المعتزلة.

قلت: فمن أين أخذ الأعشى مذهبه؟ قال: من قِبَل العَبَادِيِّينَ نَصَارَى الحِيرة، كان يَأْتِيهِمْ يَشْتَرِي مِنْهُمْ الخمر فلَقَّنُوهُ ذلك.

هريرة عشيقته:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو شُرَاعَةَ فِي مَجْلِس الرِّيَاشِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا مَشَايخُ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَالُوا:

كانت هُرَيْرَةُ التي يَشُبُّ بِهَا الأعشى أَمَةً سَوْدَاءَ لِحَسَّانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَرْثَدٍ.

وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ فِرَاسِ بْنِ الْخَنْدِفِ قَالَ:

كانت هُرَيْرَةُ وَخُلَيْدَةُ أُخْتَيْنِ قَيْتَيْنِ كَانَتَا لِبِشْرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَرْثَدٍ، وَكَانَتَا تَغْنِيَانِهِ النَّصَبَ^(١)، وَقَدِمَ بِهِمَا الْيَمَامَةُ لَمَّا هَرَبَ مِنَ الثُّعْمَانِ. قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فَأَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ بِمِثْلِ ذَلِكَ.

مدح المخلوق الكلابي وذكر بناته فتزوجن:

وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن الرِّيَاشِيِّ مِمَّا أَجَازَهُ لَهُ عَنْ الْعُتْبِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ قَالَ:

كَانَ / الْأَعْشَى يُوَافِي سُوقَ عُكَاظَ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَكَانَ الْمُحَلَّقُ الْكِلَابِيُّ مِثْنَانًا^(٢) مُمْلِقًا. فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: يَا أَبَا

كِلَابَ، مَا يَمْنَعُكَ مِنَ التَّعَرُّضِ لِهَذَا الشَّاعِرِ! / فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا اقْتَطَعَهُ إِلَى نَفْسِهِ إِلَّا وَأَكْسَبَهُ خَيْرًا. قَالَ: وَيَخَلِّكَ! مَا [١١٤/٩] عِنْدِي إِلَّا نَاقَتِي وَعَلَيْهَا الْحِمْلُ! . قَالَتْ: اللَّهُ يُخْلِفُهَا عَلَيْكَ. قَالَ: فَهَلْ لَهُ بُدٌّ مِنَ الشَّرَابِ وَالْمُسُوحِ^(٣)؟ قَالَتْ: إِنَّ عِنْدِي ذَخِيرَةً لِي وَلِعَلِّي أَنْ أَجْمَعَهَا. قَالَ: فَتَلْقَاهُ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَابْنُهُ يَقُودُهُ فَأَخَذَ الْخِطَامَ؛ فَقَالَ الْأَعْشَى: مَنْ هَذَا الَّذِي غَلَبْنَا عَلَى خِطَامِنَا؟ قَالَ: الْمُحَلَّقُ. قَالَ: الشَّرِيفُ كَرِيمٌ، ثُمَّ سَلَّمَهُ إِلَيْهِ فَأَنَاخَهُ؛ فَنَحَرَ لَهُ نَاقَتَهُ وَكَشَطَ لَهُ عَنْ سَنَامِهَا وَكَبِدِهَا، ثُمَّ سَقَاهُ، وَأَحَاطَتْ بَنَاتُهُ بِهِ يَغْمِزْنَهُ وَيَمَسَّخُنَهُ. فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْجَوَارِي حَوْلِي؟ قَالَ: بَنَاتُ أَخِيكَ وَهُنَّ ثَمَانٍ شَرِيدَتُهُنَّ قَلِيلَةٌ. قَالَ: وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَلَمْ يَقُلْ فِيهِ شَيْئًا. فَلَمَّا وَافَى سُوقَ عُكَاظَ إِذَا هُوَ بِسَرْحَةٍ قَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَإِذَا الْأَعْشَى يُنْشِدُهُمْ.

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليقاع تحرق

تُشَبُّ لمقروزيين بصطليانها وبات على النار الندى والمخلوق

رضيعني لبان ثدي أم تحالفا بأسحَم^(٤) داج عوض لا تتفرق

فسلم عليه المخلوق؛ فقال له: مَرَحَبًا يَا سَيِّدِي بِسَيِّدِ قَوْمِهِ. وَنَادَى: يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ، هَلْ فِيكُمْ مَذْكَارٌ^(٥) يَزُوجُ ابْنَهُ إِلَى الشَّرِيفِ الْكَرِيمِ! . قَالَ: فَمَا قَامَ مِنْ مَقْعَدِهِ وَفِيهِنَّ مَخْطُوبَةٌ إِلَّا وَقَدْ زَوَّجَهَا. وَفِي أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ عَنَاءٌ وَهُوَ:

(١) النصب: ضرب من أغاني العرب شبيه بالحداء.

(٢) المثنان: الذي اعتاد أن يلد الإناث.

(٣) المسوح: جمع مسح وهو كساء من شعر كثوب الرهبان.

(٤) بأسحَم داج: قيل المراد به الليل، وقيل سواد حلقة الثدي، وقيل الرحم. وعوض: أبدأ. يقول: هو والندى رضعا من ثدي واحد وتحالفا ألا يتفرقا أبداً. (راجع «لسان العرب» مادة عوض).

(٥) المذكار: الذي اعتاد أن يلد الذكور.

صوت

أَرَفْتُ وما هذا الشُّهادُ المؤرَّقُ وما بي من سُقمٍ وما بي مَغشَقُ
ولكن أُراني لا أزال بحادثٍ أغادى بما لم يُمسِ عندي وأطرقُ

[١١٥/٩] / غناه ابن مُحرزٍ خفيفَ ثَقيلٍ أول بالسَّبابة في مجرى البصر عن إسحاق. وفيه لحنٌ ليونس من كتابه غير مُجَسَّس.

وفيه لابن سُرَيْجٍ ثَقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو.

اسم المخلوق الكلابي وسبب كنيته وسبب اتصاله بالأعشى:

أخبرني أبو العباس اليزيدي قال حَدَّثَنِي عُمِّي عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ ابْنِ حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ عَنِ الْمُفَضَّلِ قَالَ:

إِسْمُ الْمَخْلُوقِ عَبْدِ الْعُزَّى^(١) بَنُ حَنْتَمَ بْنِ شَدَّادِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدٍ وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ كِلَابٍ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَغَصَعَةَ. وَإِنَّمَا سُمِّيَ مُخْلَقًا لِأَنِّ حِصَانًا لَهُ عَضَهُ فِي وَجَنَتِهِ فَحُلِقَ فِيهِ حَلْقَةٌ.

قال: وَأَنشَدَ الْأَعشى قصيدته هذه [كِسْرَى^(٢)] ففُسِّرَتْ لَهُ؛ فَلَمَّا سَمِعَهَا قَالَ: إِنَّ كَانَ هَذَا سَهْرَ لَغِيرِ سُقْمٍ وَلَا عِشْقٍ فَمَا هُوَ إِلَّا لَصْرٌ.

وذكر علي بن محمد التَّوْفَلِيُّ فِي خَبَرِ الْمَخْلُوقِ مَعَ الْأَعشى غَيْرَ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ، وَزَعَمَ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ بَعْضِ الْكَلَابِيِّينَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ قَالَ:

كَانَ لِأَبِي الْمَخْلُوقِ شَرَفٌ فَمَاتَ وَقَدْ أَتْلَفَ مَالَهُ، وَبَقِيَ الْمَخْلُوقُ وَثَلَاثُ أَخَوَاتٍ لَهُ وَلَمْ يَتْرَكْ لَهُمْ إِلَّا نَاقَةً وَاحِدَةً وَحُلَّتْنِي بِرُودٍ حَبْرَةٍ كَانَ يَشْهَدُ فِيهِمَا الْحَقُوقُ^(٣). فَأَقْبَلَ الْأَعشى مِنْ بَعْضِ أَصْفَائِهِ يَرِيدُ مَنَزَلَهُ بِالْيِمَامَةِ، فَتَزَلَّ الْمَاءُ الَّذِي بِهِ الْمَخْلُوقُ، فَقَرَأَهُ أَهْلُ الْمَاءِ فَأَحْسَنُوا قِرَاءَهُ. فَأَقْبَلَتْ عَمَّةُ الْمَخْلُوقِ فَقَالَتْ: يَا بَنَ أَخِي! هَذَا الْأَعشى قَدْ / نَزَلَ بِمَائِنَا ^{٨١} [١١٦/٩] وَقَدْ قَرَأَهُ أَهْلُ الْمَاءِ، وَالْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَمْدَحْ قَوْمًا إِلَّا رَفَعَهُمْ، / وَلَمْ يَهْجُ قَوْمًا إِلَّا وَضَعَهُمْ؛ فَانْظُرْ مَا أَقُولُ لَكَ وَأَحْتَلُّ فِي زِقٍّ مِنْ خَمْرٍ مِنْ عِنْدِ بَعْضِ التَّجَّارِ فَارْسِلْ إِلَيْهِ بِهِذِهِ النَّاقَةَ وَالزَّقَّ وَبُرْدِي أَبِيكَ؛ فَوَاللَّهِ لَنُتَلَجَّ الْكَبِدُ وَالسَّامُ وَالْخَمْرُ فِي جَوْفِهِ وَنَنْظُرَ إِلَى عِطْفِيهِ فِي الْبَرْدَيْنِ، لَيَقُولَنَّ فَيْكَ شَعْرًا يَرْفَعُكَ بِهِ. قَالَ: مَا أَمْلِكُ غَيْرَ هَذِهِ النَّاقَةِ، وَأَنَا أَتَوَقَّعُ رِسْلَهَا^(٤). فَأَقْبَلَ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَهْتَمُّ وَلَا يَفْعَلُ؛ فَكَلَّمَا دَخَلَ عَلَى عَمَّتِهِ حَضَّتْهُ؛ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ: قَدْ ارْتَحَلُ الرَّجُلُ وَمَضَى. قَالَتْ: الْآنَ وَاللَّهِ أَحْسَنُ مَا كَانَ الْقِرَى! تَتَّبِعُهُ ذَلِكَ مَعَ غِلَامٍ أَبِيكَ - مَوْلَى لَهُ أَسْوَدَ شَيْخٍ - فَحَيْثَمَا لِحِقَهُ أَخْبِرْهُ عَنْكَ أَنْكَ كُنْتَ غَائِبًا عَنِ الْمَاءِ عِنْدَ نَزْوِلِهِ إِيَّاهُ، وَأَنْكَ لَمَّا وَرَدَتْ الْمَاءُ فَعَلِمْتَ أَنَّهُ كَانَ بِهِ كِرْهَتٌ أَنْ يَفُوتَكَ قِرَاهُ؛ فَإِنَّ هَذَا أَحْسَنَ لِمَوْقِعِهِ عِنْدَهُ. فَلَمْ تَزَلْ تَحْضُهُ حَتَّى أَتَى بَعْضَ التَّجَّارِ فَكَلَّمَهُ أَنْ يَقْرِضَهُ ثَمَنَ زِقٍّ خَمْرٍ وَأَتَاهُ بِمَنْ يَضْمَنُ ذَلِكَ عَنْهُ فَأَعْطَاهُ؛ فَوَجَّهَ بِالنَّاقَةِ وَالْخَمْرِ وَالْبَرْدَيْنِ مَعَ مَوْلَى أَبِيهِ فَخَرَجَ يَتْبَعُهُ؛ فَكَلَّمَا مَرَّ بِمَاءٍ قِيلَ: ارْتَحَلْ أَمْسَ عَنْهُ، حَتَّى صَارَ إِلَى مَنَزَلِ الْأَعشى بِمَنْفُوحَةِ الْيَمَامَةِ فَوَجَدَ عِنْدَهُ عِدَّةً مِنَ الْفَتَيَانِ قَدْ غَدَّاهُمْ بِغَيْرِ لَحْمٍ

(١) فِي الْأَصُولِ: «عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ خَيْشَمٍ». وَالتَّصْوِيبُ عَنْ شَرْحِ «الْقَامُوسِ» (مَادَّةُ حَلَقَ وَحَنْتَمَ).

(٢) تَكْمِلَةٌ عَنْ «كِتَابِ الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ».

(٣) كَذَا فِي «تَجْرِيدِ الْأَغَانِي». وَفِي الْأَصُولِ: «إِلَّا نَاقَةً وَاحِدَةً وَحُلَّتْنِي بِرُودٍ حَبْرَةٍ كَانَ يَسَدُّ بِهَا الْحَقُوقَ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٤) الرِّسْلُ: اللَّبَنُ.

وَصَبَّ لَهُمْ فَصِيخًا^(١) فهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْهُ، إِذْ قُرِعَ الْبَابُ فَقَالَ: أَنْظِرُوا مَنْ هَذَا؟ فَخَرَجُوا فَإِذَا رَسُولُ الْمُحَلَّقِ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا. فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا: هَذَا رَسُولُ الْمُحَلَّقِ الْكَلَابِيِّ أَتَاكَ بِكَيْتٍ وَكَيْتٍ. فَقَالَ: وَيَحْكُمُ! أَعْرَابِيٌّ وَالَّذِي أَرْسَلَ إِلَيَّ لَا قَدْرَ لَهُ! وَاللَّهِ لَئِنْ اعْتَلَجَ الْكَبْدُ وَالسَّانَمُ وَالْخَمْرُ فِي جَوْفِي لَا قَوْلَ لِي فِيهِ شَعْرًا لَمْ أَقْلُ قَطُّ مِثْلَهُ. فَوَاتَبَهُ الْفَتَيَانِ وَقَالُوا: غَبَتْ عَنَّا فَأُطْلِتِ الْغَيْبَةَ ثُمَّ أَتَيْنَاكَ فَلَمْ تُطْعَمْنَا لَحْمًا وَسَقَيْتَنَا الْفَضِيخَ وَاللَّحْمَ وَالْخَمْرُ بِيَابِكَ، لَا نَرْضَى بِدَا مِنْكَ. فَقَالَ: ائْذَنُوا لِي؛ فَدَخَلَ فَأَدَّى الرِّسَالَةَ وَقَدْ أَنَاخَ الْجَزُورَ بِالْبَابِ وَوَضَعَ الزُّقَّ وَالْبُرْدِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ. قَالَ: أَقْرِهِ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ: وَصَلْتُكَ رَجِمٌ، سَيَاتِيكَ ثَنَاؤُنَا. / وَقَامَ الْفَتَيَانُ إِلَى الْجَزُورِ فَنَحَرُوهُمَا وَشَقُّوا خَاصِرَتَيْهَا عَنْ كَبِدِهَا وَجَلَدَهَا عَنْ سَنَامِهَا^[١١٧/٩] ثُمَّ جَاءُوا بِهِمَا، فَأَقْبَلُوا يَشْوُونَ، وَصَبُّوا الْخَمْرَ فَشَرَبُوا، وَأَكَلَ مَعَهُمْ وَشَرَبَ وَلَبَسَ الْبُرْدِينَ وَنَظَرَ إِلَى عِطْفِيهِ فِيهِمَا فَأَنشَأَ يَقُولُ:

أَرَقْتُ وَمَا هَذَا السَّهَادُ الْمُؤَرَّقُ

حتى انتهى إلى قوله:

أَيَا مَنْعٍ سَارَ الَّذِي قَدْ فَعَلْتُمْ فَنَجِدُ أَقْوَامَ بِهِ ثُمَّ أَغْرَقُوا^(٢)
هَبْ تُعْقِدِ الْأَحْمَالَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَتُعْقِدِ أَطْرَافَ الْجِبَالِ وَتُطْلِقُ^(٣)

قال: فسار الشعر وشاع في العرب. فما أنت على المحلق سنة حتى زوج أخواته الثلاث كل واحدة على مائة ناقة، فأيسر وشرف.

وذكر الهيثم بن عدي عن حماد الراوية عن معقل عن أبي بكر الهلالي قال:

خرج الأعشى إلى اليمن يريد قيس بن معد يكرب، فمرَّ ببني كلاب، فأصابه مطرٌ في ليلة ظلماء، فأوى إلى فتى من بني بكر بن كلاب، فبصر به المحلق وهو [عبد العزى بن] حاتم بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد بن كلاب وهو يومئذ غلامٌ له ذؤابة، فأتى أُمُّهُ فقال: يا أُمُّهُ! رأيت رجلاً أخلق به أن يكسبنا مجداً. قالت: وما تريد يا بُنَيَّ؟ قال: نَصِيْفَةُ اللَّيْلَةِ. فأعطته جلبابها فأشترى به عَشِيرًا^(٤) من جزور وخمرًا؛ فأتى الأعشى، فأخذه / إليه، فطعم^{٨٢} وشرب وأصطلى، ثم اصطحب فقال فيه:

/ أَرَقْتُ وَمَا هَذَا الشَّهَادُ الْمُؤَرَّقُ

[١١٨/٩]

والرواية الأولى أصح.

سألته امرأة أن يشيب بيناتها فشيب بهن فزوجهن:

أخبرني أحمد بن عمار قال حدثنا يعقوب بن نعيم قال حدثنا قُتَيْبُ بْنُ الْمُخَرِّزِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي رَجُلٌ قَالَ:

(١) الفضيخ: شراب يتخذ من بسر مفضوخ وهو أن يجعل التمر في إناء ثم يصب الماء الحار عليه حتى تستخرج حلاوته.

(٢) أعرقوا: أتوا العراق.

(٣) الرواية في «تجريد الأغاني»:

به توضع الأحلاس في كل منزل وتعلق أطراف النسوع وتطلق والأحلاس: جمع حلس وهو كل شيء ولي ظهر الدابة والبعر تحت الرجل والسر والقتب.

(٤) العشير: جزء من عشرة أجزاء كالعشر.

جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت: إن لي بناتٍ قد كسدن عليّ، فشبتُ بواحدةٍ منهنّ لعلها أن تنفق. فشبتُ بواحدةٍ منهنّ، فما شعر الأعشى إلا بجزور^(١) قد بُعثَ به إليه. فقال: ما هذا؟ فقالوا: زوّجتُ فلانةً. فشبتُ بالآخرى فأتاه مثلُ ذلك، فسأل عنها فقيل: زوّجتُ. فما زال يُشبتُ بواحدةٍ فواحدةٍ منهنّ حتى زوّجنَ جميعاً.

أسره رجل من كلب كان قد هجاه فاستوهبه منه شريح بن سموءل:

أخبرني محمد بن العباس البزدي قال حدثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدثنا يحيى بن أبي سعيد الأموي عن محمد بن السائب الكلبي قال:

هجا الأعشى رجلاً من كَلْب فقال:

بنو الشهر الحرامِ فلست منهم ولست من الكرام بني عُبيد
ولا من رَهْط جَبَّار بن قُرْط ولا من رَهْط حارثة بن زيد

- قال: وهؤلاء كلهم من كلب - فقال الكلبي: لا أبا لك! أنا أشرف من هؤلاء. قال: فسبّه الناس بعدُ بهجاء الأعشى إياه، وكان متغيظاً عليه. فأغار على قوم قد بات فيهم الأعشى فأسر منهم نقرأ وأسر الأعشى وهو لا يعرفه، ثم جاء حتى نزل بشرّيح بن سموءل بن عادياء الغساني صاحب تيماء بحضنه الذي يقال له الأبلق. فمرّ شرّيح بالأعشى؛ فناداه الأعشى:

/ شُرَيْحُ لا تتركني بعد ما علقْتُ قد جُلْتُ ما بين بانقيا^(٢) إلى عَدَن
جبالك اليومَ بعد القِدْ أظفاري فكان أكرمهم عهداً وأوثقهم
وطال في العُجم تَزْدَادِي وتَشَارِي كالغيث ما استمطروه جاد وابله
مجداً أبوك بعُزفٍ غير إنكار كُنْ كالسموئل إذ طاف الهُمَامُ به
وفي الشدائد كالمُستأسد الضاري إذ سامه خُطْطِي خَنَفٍ فقال له
في جَحْفَلٍ كهَزيع اللّيل جَرَّار فقال غَدْرٌ وتُكَلُّ أنْتَ بينهما
قل ما تشاء فإني سامعٌ حارٍ^(٣) فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له
فأخترُ وما فيهما حَظٌّ لمختار وسوف يُعْقِبِيه إن ظَفِرَتْ به
أقتلُ أسيرَكَ إنني مانعٌ جاري لا سِرْهُنَّ لدينا ذاهِبٌ هَدْرًا
ربّ كريمٍ وبيضُ ذاتُ أظفار فاختار أدراعَه كي لا يُسَبَّ بها
وحافظاتُ إذا استودعنَ أسراري ولم يكن وعدُه فيها بختار

- قال: وكان أمرؤ القيس بن حُجر أودع سموءل بن عادياء أدراعاً مائة، فأتاه الحارث بن ظالم - ويقال الحارث بن أبي شمر الغساني - ليأخذها منه، فتحصن منه سموءل؛ فأخذ الحارث ابناً له غلاماً وكان في الصيد، فقال: إنا أن

(١) الجزور يقع على الذكر والأنثى.

(٢) بانقيا: ناحية من نواحي الكوفة.

(٣) حار أي يا حارث.

سَلَّمَتِ الْأَدْرَاعَ إِلَيَّ وَإِنَّمَا أَنْ قَتَلْتُ أَبْنَكَ . فَأَبَى السَّمُوءُ أَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ الْأَدْرَاعَ ؛ فَضَرَبَ الْحَارِثُ وَسَطَ الْغَلَامِ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهُ قِطْعَتَيْنِ ، فَيَقَالُ : إِنْ جَرِيرًا حِينَ قَالَ لِلْفَرَزْدَقِ :

سَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ^(١) سَيْفٍ مُجَاشِعٍ ضَرَبْتَ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ / إِنَّمَا عَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةُ . فَقَالَ السَّمُوءُ فِي ذَلِكَ :

وَقَيْتُ بِذِمَّةِ الْكِنْدِيِّ إِنْ سِي إِذَا مَسَا دُمُ أَقْسَوَامٍ وَقَيْتُ / وَأَوْصَى عَادِيًا يَوْمًا بِأَنْ لَا تُهْذِمُ يَا سَمُوءُ مَا بَنَيْتُ وَبَنَى لِي عَادِيًا حِصْنًا حَصِينًا وَمَاءَ كُلَّمَا شِئْتُ اسْتَقِيْتُ

قال: فجاء شُريح إلى الكلبِي فقال له: هَبْ لِي هَذَا الْأَسِيرَ الْمَضْرُورَ . فقال: هُوَ لَكَ ، فَأَطْلَقَهُ . وقال: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَكْرِمَكَ وَأَخْبُوكَ . فقال له الْأَعْشَى : إِنْ مِنْ تَمَامِ صَنِيعَتِكَ أَنْ تُعْطِيَنِي نَاقَةً نَجِيَّةً وَتُخْلِيَنِي السَّاعَةَ . قال: فَأَعْطَاهُ نَاقَةً فَرَكِبَهَا وَمَضَى مِنْ سَاعَتِهِ . وَبَلَغَ الْكَلْبِيَّ أَنَّ الَّذِي وَهَبَ لَشُرَيْحٍ هُوَ الْأَعْشَى . فَأَرْسَلَ إِلَى شُرَيْحٍ : ابْعَثْ إِلَى الْأَسِيرِ الَّذِي وَهَبْتُ لَكَ حَتَّى أَخْبُوهُ وَأُعْطِيَهُ . فقال: قَدْ مَضَى . فَأَرْسَلَ الْكَلْبِيَّ فِي أَثَرِهِ فَلَمْ يَلْحَقْهُ .

مدح عامر بن الطفيل وهجا علقمة بن علاثة:

حَدَّثَنَا ابْنُ عَلَاقَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ يَحْيَى الْأُمَوِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ :

أَتَى الْأَعْشَى الْأَسْوَدَ الْعَنْسِيَّ^(٢) وَقَدْ امْتَدَحَهُ فَأَسْتَبَطَا جَائِزَتَهُ . فَقَالَ الْأَسْوَدُ : لَيْسَ عِنْدَنَا عَيْنٌ وَلَكِنْ نُعْطِيكَ عَرَضًا ، فَأَعْطَاهُ خَمْسَمِائَةَ مِثْقَالٍ دُهْنًا وَخَمْسَمِائَةَ حَلَلًا وَعَثْبَرًا . فَلَمَّا مَرَّ بِبِلَادِ بَنِي عَامِرٍ خَافَهُمْ عَلَى مَا مَعَهُ ، فَأَتَى عَلْقَمَةَ^(٣) بْنَ عَلَاقَةَ فَقَالَ لَهُ : أَجْرِنِي ، فَقَالَ : قَدْ أَجْرْتُكَ . قَالَ : مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : وَمَنِ الْمَوْتِ ؟ قَالَ لَا . فَأَتَى عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ فَقَالَ : أَجْرِنِي ، قَدْ أَجْرْتُكَ . قَالَ : مِنَ الْجَنِّ / وَالْإِنْسِ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : وَمَنِ الْمَوْتِ ؟ قَالَ [١٢١/٩] نَعَمْ . قَالَ : وَكَيْفَ تُجِيرُنِي مِنَ الْمَوْتِ ؟ قَالَ : إِنْ مِتُّ وَأَنْتَ فِي جَوَارِي بَعْثْتُ إِلَى أَهْلِكَ الدِّيَّةَ . فَقَالَ : الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ قَدْ أَجْرْتَنِي مِنَ الْمَوْتِ . فَمَدَحَ عَامِرًا وَهَجَا عَلْقَمَةَ . فَقَالَ عَلْقَمَةُ : لَوْ عَلِمْتُ الَّذِي أَرَادَ كُنْتُ أُعْطِيْتَهُ إِتْيَاهَ .

قال الكلبِي: ولم يهج علقمة بشيء أشدَّ عليه من قوله:

يَبِثُّونَ فِي الْمَشْتَى مِلَاءً بِطَوْنُكُمْ وَجَارَاتُكُمْ غَرَّتْنِي يَبِثْنَ خِمَائِصًا

فرفع علقمة يديه وقال: لعنة الله! إِنْ كَانَ كَاذِبًا! أَنَحْنُ نَفْعَلُ هَذَا بِجَارَاتِنَا! . وَأَخْبَارُ الْأَعْشَى وَعَلْقَمَةُ وَعَامِرُ تَأْتِي مَشْرُوحَةً فِي خَبَرِ مُتَأَفَّرَتِهِمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) أبو رَغْوَانَ: لُقِّبَ مُجَاشِعٌ ، وَهُوَ مُجَاشِعُ بْنُ دَارِمَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ .

(٢) هُوَ عِبْهَلَةُ بْنُ كَعْبِ بْنِ غُوْثٍ يَلْقَبُ ذَا الْخِمَارِ ، خَرَجَ بَعْدَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ فِي عَامَّةٍ مَذْحِجٍ وَادَّعَى النَّبُوَّةَ وَكَانَ كَاهِنًا شُعْبَاذًا (مَشْعُودًا) وَكَانَ يَرِيهِمُ الْأَعَاجِيبَ وَيَسْبِي قُلُوبَ مَنْ سَمِعَ مِنْطَقَهُ ، قَتَلَهُ فَيَرُوزُ وَدَاوِيَهُ وَقَيْسَ غِيلَةَ . (انظر «تاريخ الطبري» ق ١ ص ١٧٩٥ - ١٧٩٨ ، ١٨٥٣ - ١٨٧٠) .

(٣) هُوَ عَلْقَمَةُ بْنُ عَلَاقَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ الْأَحْوَصِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، أَسْلَمَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ ارْتَدَّ بَعْدَ فَتْحِ الطَّائِفِ وَخَرَجَ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّامِ ثُمَّ أَسْلَمَ أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . (الطبري ق ١ ص ١٨٩٩ - ١٩٠٠) .

تزوج امرأة من عترة ثم طلقها وقال فيها شعراً:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل وغيره من أصحابه:

أن الأعشى تزوج امرأة من عترة ثم من هزان - قال: وعترة هو ابن أسد بن ربيعة بن نزار - فلم يرَضها ولم يستحسن خلقها، فطلقها وقال فيها:

يَينِي حَصَّانَ الْفَرْجِ غَيْرَ دَمِيمَةٍ	وموموقةً فينا كذاك وواقعةً
وَدُوقِي فَتَى قَوْمٍ فَلَيْسَ ذَائِقُ	فتاة أناسٍ مثل ما أنست ذائقه
لَقَدْ كَانَ فِي فِتْيَانِ قَوْمِكَ مَنَكُحُ	وشبان هزان الطوال الغرائقه
فِيَّيْنِي فَإِنَّ الْبَيْنَ خَيْرٌ مِنَ الْعَصَا	ولأ تَرَيَّ لي فوق رأسك ببارقه
وَمَا ذَاكَ عِنْدِي أَنْ تَكُونِي دَنِيَّةً	ولا أن تكوني جنتٍ عندي ببائقه
وَيَا جَارَتَا يَينِي فَإِنَّكَ طَالِقَةٌ	كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقه

/ أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الحسين بن إبراهيم بن الحر قال / ٨٤
حدثنا المبارك بن سعيد عن شفيان الثوري قال:

/ طلاقُ الجاهلية طلاقٌ. كانت عند الأعشى امرأة فأتاها قومها فضربوه وقالوا: طلقها فقال: [١٢٢/٩]

أيا جارتا يَينِي فَإِنَّكَ طَالِقَةٌ كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقه
وذكر باقي الأبيات مثل ما تقدّم.

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا عثمان البرقي في إسناد له قال:
أخذ قوم الأعشى فقالوا له: طلق امرأتك؛ فقال:

أيا جارتا يَينِي فَإِنَّكَ طَالِقَةٌ كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقه
ثم ذكر نحو الخبر الذي قبله على ما قدّمناه.
في هذه الأبيات غناء نسبته:

نص

فِيَّيْنِي فَإِنَّ الْبَيْنَ خَيْرٌ مِنَ الْعَصَا	ولأ تَرَيَّ لي فوق رأسك ببارقه
وَمَا ذَاكَ عِنْدِي أَنْ تَكُونِي دَنِيَّةً	ولا أن تكوني جنتٍ عندي ببائقه
وَيَا جَارَتَا يَينِي فَإِنَّكَ طَالِقَةٌ	كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقه

الشعر للأعشى. والغناء للهذلي خفيفٌ ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق.

وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٌ بالبنصر عن الهشامي. قال الهشامي: وفيه لفحٌ خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى لا يُشكُّ فيه من غنائه. وذكر حبش أن الثقيل الثاني لأبن سريج وذكر عبيد الله بن عبدالله بن طاهر أن الخفيف الثاني المنسوب إلى

فَلْيَحْ لأبيه عبدالله بن طاهر. وهذا الصوت يُغْنَى في هذا الزمان على ما سمعناه:

أيا جارتنا دُومِي فإنك صادقَةٌ وموموقَةٌ فينا كذاكَ ووامِقَةٌ
/ ولم نفترق أن كنتِ فينا دنيئةً ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقه

[١٢٣/٩]

وأحسبه غُيِّر في دُور الظاهريَّة على هذا.

فخر الأخطل بشعر له في الخمر فرد عليه الشعبي بشعره:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني سَوار بن أبي شُراعة قال حدثني أبي عن مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال:

دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وقد شرب خمرًا وتضمخ بلخالخ^(١) وخلوق وعنده الشَّعْبِي. فلما رآه قال: يا شعبي، ناك الأخطل أمهات الشعراء جميعاً. فقال له الشعبي: بأي شيء؟ قال حين يقول:

وتظللُ تنصِفُنَا^(٢) بها قرويةً يسريها برقاعه^(٣) ملشومٌ

فلذا تعاورت الأكفُ زجاجها نفحت فشم رباحها المزكوم

فقال الأخطل^(٤): سمعت بمثل هذا يا شعبي؟ قال: إن أمثلك قلت لك. قال: أنت آمن. فقلت له: أشعر والله منك الذي يقول:

وأذكرن^(٥) عاتني حنبل ربحل صبحت براجه شرياً كراماً

من اللائي حملن على المطايا كريح المسك تستل الزكاما

/ فقال الأخطل: ويحك! ومن يقول هذا؟ قلت: الأعمى أعمى بني قيس بن ثعلبة. فقال: قُدُوس قُدُوس! ناك^{٨٥}/_٨ الأعمى أمهات الشعراء جميعاً وحق الصليب!

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا أبو غسان دَمَاز عن أبي عبيدة والهيثم بن عدي، وحدثني الصولي قال حدثني القلابي عن العثبي عن أبيه، وذكر / هارون بن الزيات عن حماد عن أبيه عن عبدالله بن الوليد عن [١٢٤/٩] جعفر بن سعيد الضبي، قالوا جميعاً:

قديم الأخطل الكوفة، فاتاه الشعبي يسمع من شعره. قال: فوجدته يتغذى، فدعاني أنغذى فأتيته، فوضع الشراب فدعاني إليه فأتيته. فقال ما حاجتك؟ قلت: أحب أن أسمع من شعرك، فأنشدني قوله:
صرمت أمانةً حبَلنا ورعوم

حتى انتهى إلى قوله:

(١) لخالخ: جمع لخلخة وهي ضرب من الطيب.

(٢) تنصفتنا: تخدمنا.

(٣) في «ديوان الأخطل»: «برقاعها».

(٤) السياق مستغن عنها.

(٥) الأذكن: الضارب إلى السواد. والعائق: القديم. والجحل (بالفتح وتقديم الجيم على الحاء): السقاء الواسع وقد وردت هذه الكلمة

في الأصول بتقديم الحاء على الجيم وهو تصحيف. والربحز: الضخم.

فلإذا تعسّورت الأكفُ خِتامَها نَفَعَتْ فَشَمَّ رِياحَها المَزْكُومُ

فقال: يا شُعْبِي، ناك الأخطل أُمّهاتِ الشعراء بهذا البيت. قلت: الأعشى أشعر منك يا أبا مالك. قال: وكيف؟ قلت: لأنه قال:

مَنْ خَمِرَ عَانَةً قَدْ أَتَى لِخِتامِها حَوْلُ تَسْلِ غُمامَةٍ^(١) المَزْكُومِ

فضرب بالكأس الأرض وقال: هو والمسيح أشعرُ مِنِّي! ناك والله الأعشى أُمّهاتِ الشعراء إلا أنا.

مدح سلامة ذا فائش فأجازه:

حدّثني وكيع قال حدّثني محمد بن إسحاق المَعُولِيّ عن إسحاق الموصليّ عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الرواية عن سِمّاك بن حَرْب قال:

قال الأعشى:

أَتَيْتُ سَلامَةَ^(٢) ذَا فائش فأطلت المُقامَ ببابه حتى وصلت إليه، فأنشدته:

[١٢٥/٩] / إِنْ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًّا وَإِنْ فِي السَّفَرِ مِنْ مَضَى مَهَلًّا^(٣)

إِسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالسَّوْفَاءِ وَبِالْ

الشعرُ قَلَدْتُه سَلامَةً ذَا فائشَ والشَّيْءُ حَيْثُ مَا جُعِلَا

فقال: صدقت، الشيء حيث ما جعل، وأمر لي بمائة من الإبل وكساني خللا وأعطاني كَرِشاً مدبوغة مملوءة عنبراً وقال: إياك أن تُخدع عما فيها. فأتيت الخيرة فبعتها بثلاثمائة ناقة حمراء.

أراد أن يفد على النبي ليسلم فردته فريش بجائزة فعثر به بغيره فمات:

أخبرني حبيب بن نصر المَهْلَبِيّ وأحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّه قال قال هشام بن القاسم الغَنَوِيّ وكان عَلَامةً بأمر الأعشى:

إنه وفد إلى النبي ﷺ وقد مدحه بقصيدته التي أولها:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ الْمُسَهَّدَا^(٤)

وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيتَ قبلَ اليومِ خُلَّةَ مَهْدَدَا^(٥)

وفيها يقول لناقته:

(١) الغمام: كزكام وزناً ومعنى.

(٢) هو سلامة بن يزيد بن مرة اليحصبي أحد ملوك اليمن، وقد مدحه الأعشى. وقال هشام بن محمد الكلبي: الأعشى مدح سلامة الأصغر وهو سلامة بن يزيد بن سلامة ذي فائش. (راجع «القاموس» و«شرح» مادة فيش).

(٣) رواية تلخيص المفتاح التي كتب عليها شارحوه: «وإن في السفراذ مضوا مهلاً». والمحل والمرتل مصدران مميان، والخبر محذوف. أي إن لنا في الدنيا حلولاً وإن لنا عنها ارتحالاً. والسفر: اسم جمع بمعنى مسافر. والمهل (بفتح الميم والهاء): مصدر بمعنى الإمهال وطول الغيبة.

(٤) في «السيرة لابن هشام»: (ج ١ ص ٥٥ طبع أوروبا) «وبت كما بات السليم مسهداً».

(٥) مهدد: معشوقة الأعشى.

فَالَيْتُ لَا أَرِثِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ حَفَا حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدًا
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذَكَرُهُ أَغَارَ لَعْنَتِي فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا
مَتَى مَا تُنَاسِخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ تُسَاحِي وَتَلْقَى مِنْ قَوَاضِيهِ يَدَا

فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه وقالوا: هذا صَنَاجَةُ الْعَرَبِ، ما مدح أحداً قط / إِلَّا رَفَعَ فِي قَدْرِهِ: فلما ^{٨٦} ورد عليهم قالوا له: أين أردت يا أبا بصير؟ قال: / أَرَدْتُ صَاحِبَكُمْ هَذَا لِأَسْلِمَ، قالوا: إنه ينهاك عن خلال [١٢٦/٩] ويحرّمها عليك، وكلّها بك رافق ولك موافق. قال: وما هن؟ فقال أبو سفيان بن حرب: الزّنا: قال: لقد تركني الزّنا ومما تركته؛ ثم ماذا؟ قال: القمار. قال: لعلّي إن لقيته أن أصيب منه عَوْضاً من القمار؛ ثم ماذا؟ قالوا: الرّبا. قال: ما دِنْتُ وَلَا أَدُنْتُ؛ ثم ماذا؟ قالوا: الخمر. قال: أَوْه! أَرْجِعْ إِلَى صُبَّانِي قَدْ بَقِيَتْ لِي فِي الْمِهْرَاسِ ^(١) فَأَشْرِبُهَا. فقال له أبو سفيان: هل لك في خير مما هممت به؟ قال: وما هو؟ قال: نحن وهو الآن في هُذْنَةٍ، فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سَتَنُكَ هذه وتنظر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خَلْفاً، وإن ظهر علينا أتيت. فقال: ما أكره ذلك. فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، هذا الأعشى! والله لئن أتى محمداً واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره، فاجمعوا له مائة من الإبل، ففعلوا؛ فأخذها وانطلق إلى بلده. فلما كان بقاع منفوحة ^(٢) رمى به بعيره فقتله.

قبره بمنفوحة يتنادم عليه الفتيان:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة قال. قبر الأعشى بمنفوحة وأنا رأيت؛ فإذا أراد الفتيان أن يشربوا خرجوا إلى قبره فشربوا عنده وصبّوا عنده فضلات الأقداح. أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا عليّ بن سليمان التّوّفليّ قال حدّثنا أبي قال: أتيت اليمامة والياً عليها، فمررت بمنفوحة وهي منزل الأعشى التي يقول فيها:
بَشَطُ مَنْفُوحَةٍ فَالْحَاجِرِ

فقلت: أهذه قرية الأعشى؟ قالوا نعم. فقلت: أين منزله؟ قالوا: ذاك وأشاروا إليه. قلت: فأين قبره؟ قالوا: بفناء بيته. فعدلت إليه بالجيش / فأنتهيت إلى قبره فإذا هو رَطْبٌ. فقلت: مالي أراه رطباً؟ فقالوا: إن الفتيان [١٢٧/٩] ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم، فإذا صار إليه القدح صبّوه عليه لقوله: «أَرْجِعْ إِلَى الْيَمَامَةِ فَأَشْبِعْ مِنَ الْأَطْيَبِينَ الزّنا والخمر».

صوت معبد المسمى بالدوامة في شعره:

وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثنا الأطروش بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه:

أَنَّ ابْنَ عَائِشَةَ غَنَى يَوْمًا:

هُرَيْرَةٌ وَدَعَهَا وَإِنْ لَمْ لَائِم

(١) المهراس: حجر منقور يسع كثيراً من الماء.

(٢) منفوحة: قرية مشهورة من نواحي اليمامة.

فأعجبته نفسه ورآه ينظر في أعطافه. فقيل له: لقد أصبحت اليوم تائهاً! فقال: وما يمنعني من ذلك وقد أخذت عن أبي عبّاد معبدٍ أحد عشر صوتاً منها:

هريرة ودّعها وإن لام لائم

وأبو عبّاد مغني أهل المدينة وإمامهم!

قال: وكان معبد يقول والله لقد صنعت صوتاً لا يقدر أن يغنيه شعبانٌ ممتلىء، ولا يقدر متكئٌ على أن يغنيه حتى يجثو، ولا قائم حتى يقعد. قيل: وما هو يا أبا عبّاد؟ قال إسحاق فأخبرني بذلك محمد بن سلام الجُمحي أنه بلغه أن معبدًا قاله. وأخبرني بهذا الخبر إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال: قال معبد: والله لأغني صوتاً لا يغنيه مهموم ولا شعبان ولا حاملٌ حمل، ثم غنى:

ولقد قلست والضم يرُ كثيرُ البلايلِ
ليت شعري تمنيًا والمُنَى غيرُ طائلِ
هل رسولٌ مبلغ فيؤدّي رسائلِي

لحنُ معبد هذا خفيفٌ ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. وفيه ثقيلٌ أوّل ينسب إليه أيضاً، ويقال: إنه لأهل مكة.

صوت معبد المسمى بالمنمّم:

ومنها الصوت المسمّى بالمُنمّم.



مركز تحقيقات كتابخانه ملی
صوت

هاج ذا القلب من تذكر جنلي ما يهيج^(١) المتيمّ المحزوننا
إذ تراءت على البلاط فلما واجهتنا كالشمس تُعشي العيوننا
ليلة السبت إذ نظرت إليها نظرة زادت الفؤاد جنونا

الشعر لإسماعيل بن يسار. والغناء لمعبدٍ ثقيل أوّل بالوسطى. وفيه لدخمان ثاني ثقيل بالبنصر، ذكر الهشامي أنه لا يُشكّ فيه من غنائه. وقد مضت أخبار إسماعيل بن يسار في المائة المختارة فاستغني عن إعادتها ها هنا.

صوت

صوت معبد المسمى بمعقصات القرون:

آمن آل ليلى بالملأ مُترئع كما لاح وشم في الذراع مُرجع
سأبّع ليلى حيث سارت وخيمت وما الناس إلا ألف ومودّع

الشعر لعمر بن سعيد بن زيد، وقيل: إنه للمجنون وإن مع هذين البيتين آخر وهي:

(١) في الأصول: «ما يهيم المتيم المحزوناً». وهو لا يستقيم لغة. وورد في صدر البيت مما يرجح ما أثبتناه.

وقفتُ لليلَى بعد عشرين حِجَّةً بمنزلةٍ فأنهَلتِ العينُ تَذَمُّعُ
فأمرضَ قلبي حُبُّها وطلَّابُها فيا آلَ ليلَى دعوةٌ كيف أضنَّعُ
سأتبعَ ليلَى حيثَ حلَّتْ وخيمتُ وما الناسُ إلا آلفٌ ومودَّعُ
كانَ زماماً في الفؤاد معلقاً تقود به حيثَ استمرتُ وأتبعُ

/ والغناء لمُعَبَّد خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالسَّبَّابةِ في مجرى الوسطى . وقد ذكر حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عن أبيه أن هذا [١٢٩/٩] الصوت منحول إلى معبد وأنه مما يُشَبَّه غناءه . وذكر ابن الكلبي عن محمد بن يزيد أن معبدًا أخذ لحن سائب خاثر في:

أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التدلُّلِ

فغنى فيه:

أمن آلِ ليلَى بالَمَلَا متربُّعُ



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

/ نسب عمرو بن سعيد بن زيد وأخباره

[١٣٠/٩]

نسبه، وشيء عن أبيه سعيد بن زيد:

هو عمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُقَيْل بن عبد العزى بن رياح^(٢) بن عبدالله بن قُرْط^(٣) بن رَزَاح بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب. وسعيد بن زيد يُكْنَى أبا الأعور، وهو أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ على حِرَاءَ فَرَجَفَ بهم، فقال: «اثْبُثْ حِرَاءُ»^(٤) فليس عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد.

معبد وابن عائشة في حضرة الوليد بن يزيد:

أخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حمّاد بن إسحاق قال حدثني أبي قال حدثني الهيثم بن سفيان عن أبي مسكين قال:

جلس الوليد بن يزيد يوماً للمغنين وكانوا متوافرين عنده وفيهم معبد وابن عائشة؛ فقال لابن عائشة: يا محمد. قال: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: إني قد قلت شعراً فغنّ فيه. قال وما هو؟ فأنشده إيّاه، وترنّم به محمد ثم غنّاه فأحسن، وهو:

/ صوت

[١٣١/٩]
٨٨
٨

عَلَانِي وَأَسْقِيَانِي	من شراب أضبّهاني
من شراب الشيخ كسرى	أو شراب القتيروان
إن في الكأس لعسكاً	أو بكفّي من سقاني
أو لقد غودر فيها	حين صببت في الدنان
كلّاني توجّاني	وبشعري غيّاني

- (١) لم يورد المؤلف شيئاً من أخبار عمرو بن سعيد غير هذه الأسطر وكل ما يأتي بعد ليس مرتبطاً به فلعل ها هنا خرمًا.
- (٢) كذا في «طبقات ابن سعد»: (ج ٣ ص ١٩٠) و«كتاب المعارف»: لابن قتيبة. وفي الأصول: «رياح» بالباء الموحدة. وقد ورد هذا النسب في «المعارف» لابن قتيبة هكذا «عبد العزى بن قرط بن رياح بن عبدالله بن رزاح... إلخ».
- (٣) كذا في أ: و«طبقات ابن سعد» و«المعارف» لابن قتيبة. وفي الأصول: «قرط» بالفاء المعجمة وهو تصحيف.
- (٤) في «شرح القسطلاني على صحيح البخاري»: (ج ٦ ص ١١٤ - ١١٥) «أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمرو وعثمان فرجف بهم فقال: أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان». وقد جاء في «سنن الترمذي» و«سنن أبي داود» كما جاء في الأصل.

أَطْلَقَانِي بِوَثَاقِي وَأَشْشُدُّدَانِي بِعُنَانِي
إِنَّمَا الْكَسَّاسُ رِييْعٌ يَتَعَاطَى بِالْبَيَانِ
وَحُمَيَّا الْكَاسِ دَبَّثَ يَمْسُ رَجُلِي وَلِسَانِي

- الغناء لابن عائشة هَزَجُ بالبصرة من رواية حَبَشٍ - قال: فأجاد ابن عائشة واستحسن غناءه مَنْ حضر؛ فالتفت إلى مَعْبُد فقال: كيف ترى يا أبا عَبَّاد؟ فقال له معبد: شِئْتَ غَنَاءَكَ بِصَلَفِكَ. قال ابن عائشة: يا أحول! والله لولا أنك شيخنا وأنت في مجلس أمير المؤمنين لأعلمت أنك من الشائِنُ لغنائه أنا بِصَلَفِي أم أنت بقبح وجهك. وفطن الوليدُ بحركتهما فقال: ما هذا؟ فقال: خيرٌ يا أمير المؤمنين، لحنُ كان مَعْبُدٌ طَارِحِيهِ فَأُنْسِيَتْهُ فَسَأَلْتَهُ عَنْهُ لِأَعْنِي فِيهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فقال وما هو؟ قال:

أَمِنْ آلِ لَيْلَى بِالْمَلَأِ مُتَرَبِّعٌ كَمَا لَاحَ وَشَمٌّ فِي الدَّرَاعِ مُرْجَعٌ

فقال: هَاتِ يَا مَعْبُد، فغَنَّاها إِيَّاهُ؛ فاستحسنه الوليد وقال: أنت والله سَيِّدٌ مَنْ غَنَّى. وهذا الخبر أيضاً مما يدل على أن ما ذكره حَمَّادٌ مَنْ أَنَّ هَذَا الصَّوْتَ مَنْحُولٌ لِمَعْبُدٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ.

[١٣٢/٩]

/ أحمد بن أبي العلاء يغني المعتضد بشعر الوليد فيجيزه:

أخبرني محمد بن إبراهيم قُرَيْضٌ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَغْنِيُّ قَالَ: غَنَيْتُ الْمَعْتَضِدَ صَوْتاً فِي شَعْرِ لَهُ ثُمَّ أَتَبَعْتُهُ بِشَعْرِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ:

كُلَّ لَانِي نَوَّجَانِي وَبِشْعَرِي غَنِيَانِي

فقال: أحسن والله! هكذا تقول الملوك الْمُتَرْفُونَ، وهكذا يَطْرَبُونَ، وبمثل هذا يُشِيرُونَ، وإليه يرتاحون! أحسنت يا أحمد الاختيار لما شاكل الحال، وأحسنت الغناء، أعذ؛ فأعدته، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وشرب رطلاً ثم استعاده فأعدته، وفعل مثل ذلك حتى استعاده سِتَّ مَرَّاتٍ وشرب سِتَّةَ أَرْطَالٍ وأمر لي بعشرة آلاف درهم - وقال مرةً أخرى بستمائة دينار - ثم سَكَرَ. وما رُئِيَ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا بَعْدَهُ أُعْطِيَ مَغْنًياً هَذِهِ الْعَطِيَّةَ. وفي الخبر زيادة وقد ذكرته في موضعت آخر يصلح له.

وقد ذكر محمد بن الحسن الكاتب عن أحمد بن سهل التوشجاني أنه حضر أحمد بن أبي العلاء وقد غَنَّى الْمَعْتَضِدَ هَذَا الصَّوْتَ فِي هَذَا الْمَجْلَسِ وَأَمَرَ لَهُ بِهَذَا الْمَالِ بَعِيْنَهُ وَلَمْ يَشْرَحِ الْقِصَّةَ كَمَا شَرَحَهَا أَحْمَدُ.

ومنها صوت وهو المتبختر

صوت معبد المسمى بالمتبختر:

جَعَلَ اللَّهُ جَعْفَرًا لَكَ بَغْلًا وَشِفَاءً مِنْ حَادِثِ الْأَوْصَابِ

/ إِذْ تَقُولِينَ لِلْوَلِيدَةِ قُومِي فَاَنْظُرِي مَنْ تَرَيْنَ بِالْأَبْوَابِ

٨٩

الشعر للأحوص. والغناء لَمَعْبُدٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَصْرِ. وذكر حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ فِي كِتَابِ مَعْبُدٍ أَنَّهُ مَنْحُولٌ إِلَى مَعْبُدٍ وَأَنَّهُ لَكَرَدَمٌ.

شعوت

وهو المسمى مَقْلُجُ الْإِنْفَارِ

ضوءُ نارٍ بدا لعينك أم شَبَّ ثَبَذِي الْأَثْلَ مِنْ سَلَامَةٍ نَارُ
تلك بين الرِّياضِ والأَثْلِ والبَا نَاتٍ مَثَا وَمِنْ سَلَامَةٍ دَارُ
/ وكذاك الزمانُ يذهبُ بالنَا سِ وتَبْقَى الرُّسُومُ والآثَارُ

[١٣٣/٩]

الشعر للأحوص. والغناء لمَعْبُد خفيفٌ ثَقِيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر يونس أن فيه صوتين لمعبد وعمر الوادي رَمَلٌ عن الهشامي. وفيه لعبدالله بن العباس خفيفٌ رمل بالوسطى.

الأحوص وموسى شهوات:

أخبرني الحرَمي بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنَا عَمِّي قال:

مدح موسى شهوات أبا بكر بن عبدالعزيز بن مَرْوان بقصيدة أحسن فيها وأجاد وقال فيها:

وكذاك الزمانُ يذهبُ بالنَا سِ وتَبْقَى السِّدْيَارُ والآثَارُ

فقام الأحوص ودخل منزله وقال قصيدة مدح فيها أبا بكر بن عبدالعزيز أيضاً وأتى فيها بهذا البيت بعينه وخرج فأنشدها. فقال له موسى شهوات: ما رأيت يا أحوصُ مثلك! قلتُ قصيدةً مدحتُ فيها الأميرَ فسرقَت أجود بيت فيها وجعلته في قصيدتك. فقال له الأحوص: ليس الأمر كما ذكرت، ولا البيت لي ولا لك، هو للبيد سرقناه جميعاً منه، إنما ذكر لبيدُ قومه فقال:

فَعَفَا آخِرُ الزَّمَانِ عَلَيْهِمُ فَعَلَى آخِرِ الزَّمَانِ الدَّبَارُ^(١)

وكذاك الزمانُ يذهبُ بالنَا سِ وتَبْقَى الرُّسُومُ والآثَارُ

قال: فسكت موسى شهوات فلم يُجِرْ جواباً كأنما أَلْقَمَهُ حَجَرًا.

حديث سلامة مع الأحوص وعبدالرحمن بن حسان وهو كما يرى أبو الفرج موضوع:

ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقي خبرَ الأحوص مع سَلَامَةٍ التي ذكرها في هذا الشعر وهو موضوع لا أشكُّ فيه لأن شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقطٌ سَخِيفٌ لا يشبه نَمَطَ الأحوص، والتوليدُ بَيِّنٌ فيه يشهد على أنه مُخَدَّث. / والقصة أيضاً باطلة لا أصل لها؛ ولكنِّي ذكرته في موضعه على ما فيه من سوء العهدة. قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَزَرِيُّ قال:

كانت بالمدينة سلامةٌ من أحسن الناس وجهاً وأتمهن عقلاً وأحسنهن حديثاً قد قرأت القرآن وروت الأشعار وقالت الشعر، وكان عبدالرحمن بن حَسَّان والأحوصُ بن محمد يختلفان إليها فيرويانها الشعرَ ويُناشدانها إِيَّاه. فَعَلَقَتِ الأحوصَ وَصَدَّتْ عن عبدالرحمن. فقال لها عبدالرحمن يعرضُ لها بما ظَنَّهُ من ذلك:

أَرَى الْإِقْبَالَ مِنْكَ عَلَى خَلِيلِي وَمَالِي فِي حَدِيثِكُمْ نَصِيبُ

فأجابته:

لأن الله علَّقَ به فؤادي فحاز الحبَّ دونكم الحبيبُ

/ فقال الأحوص :

خليلي لا تلغها في هواها ألدَّ العيش ما تهوى القلوبُ

قال: فأضرب عنها أبْنُ حَسَّانٍ وخرج ممتدحاً ليزيد بن معاوية فأكرمه وأعطاه. فلما أراد الانصرافَ قال له: يا أمير المؤمنين، عندي نصيحة. قال: وما هي؟ جارية خلَّفْتُها بالمدينة لامرأة من قریش من أجمل الناس وأكملهم وأعقلهم ولا تصلح أن تكون إلا لأمير المؤمنين وفي سُمَّارِه: فأرسل إليها يزيدُ فاشترى له وحملت إليه؛ ف وقعت منه موقعاً عظيماً وفضلها على جميع من عنده. وقَدِمَ عبد الرحمن المدينة فمرَّ بالأحوص وهو قاعد على باب داره وهو مهموم، فأراد أن يزيدَه إلى ما به فقال:

يا مُبتَلَى بالحب مفدوحاً لا قى من الحبِّ تَبَارِيحاً

ألجمه الحبُّ فما يَنْثِي وصار ما يُعجبه مُغلَقاً

و / قد حازها من أصبحت عنده ينال منها الشَّمُّ والرَّيْحُ

خليفةُ الله فسلَّ الهوى وعزَّز قلباً منك مجروحاً

فأمسك الأحوص عن جوابه. ثم إن شائين من بني أمية أرادا الوفاة إلى يزيد، فأتاهما الأحوص فسألهما أن يحملأ له كتاباً ففعلا. فكتب إليها معهما:

سَلامُ ذِكْرِكَ مُلَصَّقٌ بلساني وعلى هواك تُعوذني أجزاني

مالي رأيك في المنام مطيعة وإذا انتبهتُ لَجَجْتُ في العصيان

أبدأ محبَّك مُنْسِكٌ بفؤاده يخشى اللِّجاجة منك في الهجران

إن كنتِ عاتبةً فلأني مُعْتَبٌ بعد الإساءة فأقبلي إحساني

لا تقتلي رجلاً يراك لما به مثل الشراب لغلة الظمآن

ولقد أقول لقاطنين من أهلنا كانا على خلقي من الإخوان

يا صاحبي على فؤادي جمرة وبرى الهوى جسمي كما تريان

أمرقيان^(١) إلى سلامة أنما ما قد لقيتُ بها وتَحَسَّبان

لا أستطيع الصبر عنها إنها من مهجتي نزلت بكل مكان

قال: ثم غلبه جَزَعُه فخرج إلى يزيد ممتدحاً له. فلما قدِم عليه قرَّبه وأكرمه وبلغ لديه كلَّ مبلغ. فدسَّت إليه سلامةُ خادماً وأعطته مالاً على أن يُدخله إليها. فأخبر الخادمُ يزيدَ بذلك؛ فقال: امضِ برسالتها. ففعل ما أمره به وأدخل الأحوص، وجلس يزيدُ بحيث يراها. فلما بصُرت الجارية بالأحوص بكت إليه وبكى إليها، وأمرت فألقي له

(١) أمرقيان إلى سلامة أي أرفعان إليها.

[١٣٦/٩] كرسى فقعده عليه، وجعل كل واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدة الشوق. فلم يزالا / يتحدثان إلى السحر ويزيد
يسمع كلامهما من غير أن تكون بينهما ريبة. حتى إذا هم بالخروج قال:

أَمْسَى فَوَادِي فِي هَمٍّ وَيَلْبَالُ مِنْ حَبٍّ مَنْ لَمْ أَزَلْ مِنْهُ عَلَى بَالِ

٩١ / فقالت:

صَحَا الْمُحِبُّونَ بَعْدَ النَّأْيِ إِذْ يَتَسَوَا وَقَدْ يَنْسَتْ وَمَا أَصْحَرُ عَلَى حَالِ

فقال:

مَنْ كَانَ يَسْلُو بِبَاسٍ عَنْ أَخِي ثِقَةٍ فَعَنْ سَلَامَةٍ مَا أَمِيتُ بِالسَّالِي

فقالت:

وَاللَّهِ وَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ يَا سَكْنِي حَتَّى يُفَارِقَ مَنِّي الرُّوحُ أَوْصَالِي

فقال:

وَاللَّهِ مَا خَابَ مَنْ أَمْسَى وَأَنْتَ لَهُ يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي أَهْلِ وَفِي مَالِ

ثم ودعها وخرج. فأخذه يزيد ودعا بها فقال: أخبراني عما كان جرى بينكما في ليلتكما وأصدقاني. فأخبراه
وأشده ما قالاه، فلم يخبرها حرفاً ولا غيرها شيئاً مما سمعه. فقال له يزيد: أتحبها يا أحوص؟ قال: إي والله يا أمير
المؤمنين.

حُبّاً شَدِيداً تَلِيداً غَيْرَ مُطَّرِفٍ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِثْلَ النَّارِ يَضْطَرِمُّ

فقال لها: أتحبينه؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين.

حُبّاً شَدِيداً جَرَى كَالرُّوحِ فِي جَسَدِي فَهَلْ يُفَرِّقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ

فقال يزيد: إنكما لتصفان حباً شديداً، خذها يا أحوص فهي لك، ووصله بصلة سنية، وانصرف بها وبالجارية إلى
الحجاز وهو من أقر الناس عيناً. مضى الحديث.

أَصَوَاتُ مَعْبِدِ الْمَسْمَاةِ مُدَوِّجٌ وَمَعْبِدِ وَتَسْمَى أَيْضاً حَصُونٌ مَعْبِدِ

[١٣٧/٩]

مدن معبد أو حصونه:

أخبرني ابن أبي الأزره والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه، قال حسين في خبره واللفظ له عن
إسماعيل بن جامع عن يونس الكاتب قال:

قال معبد وقد سمع رجلاً يقول: إن قتيبة بن مسلم فتح سبعة حصون أو سبع مئذن بخراسان فيها سبعة حصون
صعبة المُرْتَقَى والمسالك لم يوصل إليها قط. فقال: والله لقد صنعت سبعة ألحان كل لحن منها أشد من فتح تلك
الحصون. فستل عنها فقال:

لَعِمْرِي لَنْ شَطَطَتْ بَغْثَمَةٌ دَارُهَا

و: هُرَيْرَةٌ وَدَعَهَا وَإِنْ لَمْ لَائِمُّ

و : رأيتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو
 و : كم بذاك الْحَجُّونِ مِنْ حَيٍّ صِدْقِي
 و : لو تعلمين الْغَيْبَ أَيْقَنْتِ أَنِّي
 و : يا دارَ عَبْلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي
 و : ودَّعْ هَرِيرَةً إِنَّ الرِّكَبَ مُرْتَحِلٌ

ومن الناس من يروي مُدَنَّ معبد:

تَقَطَّعَ مِنْ ظِلَامَةِ الْوَصْلِ أَجْمَعُ
 و : خَمُصَانَةٌ قَلِقَتْ مُوشَّحَهَا
 و : يَوْمَ تُبْدِي لَنَا قَتِيلَةً

/ مكان:

كم بذاك الْحَجُّونِ مِنْ حَيٍّ صِدْقِي
 و : لو تعلمين الْغَيْبَ أَيْقَنْتِ أَنِّي
 و : يا دارَ عَبْلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

هوت

لَعَمْرِي لئن شَطَّطْتُ بَعَثَمَةَ دَارِهَا لَقَدْ كَدْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ أُلَيْحُ
 أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ وَيُحَسِّبُ أَنِّي فِي الثِّيابِ صَحِيحُ

/ عروضه من الطويل. شَطَّطْتُ: بَعُدْتُ. وَوَشَكِ الْفِرَاقِ: دُثُوهُ وَسَرَعَتُهُ. وَأُلَيْحُ: أَشْفَقَ وَأَجْزَعَ. الشعر لعبيد الله بن ٩٢
 عبدالله بن عتبة الفقيه. والغناء لمُعَبَّدٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ مِنْ رِوَايَةِ يُونُسَ وَإِسْحَاقَ وَعَمْرٍو
 وغيرهم. وفيه رمل يقال: إنه لابن سُرَيْج.

/ ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه

[١٣٩/٩]

نسبه، وعداده في بني زهرة:

هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل^(١) بن حبيب بن شمع^(٢) بن فار^(٣) بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سغد بن هذيل بن مذكرة بن إلياس بن مضر بن نزار. وهو في حلفاء بني زهرة من قريش وعداده فيهم.

كان لجدّه صحبة وليس بدرياً:

وعتبة بن مسعود وعبد الله بن مسعود البذري صاحب رسول الله ﷺ أخوان، ولعتبة صحبة بالنبي ﷺ وليس من البذريين.

استعمل أباه عمر بن الخطاب:

وكان ابنه عبد الله أبو عبيد الله بن عبد الله رجلاً صالحاً، واستعمله عمر بن الخطاب فأخمدته.

أخواه عون وعبد الرحمن وشيء عنهما:

ولعبيد الله بن عبد الله أخوان عون وعبد الرحمن.

وكان عون من أهل الفقه والأدب، وكان يقول بالإزجاء ثم رجع عنه. وقال - وكان شاعراً -:

فأول ما أفارق غير شك أفارق ما يقول المُرَجِّونَا

وقالوا مؤمن من آل جور وليس المؤمنون بجائرينَا

وقالوا مؤمن دمه حلال وقد حرمت دماء المؤمنينَا

وخرج مع ابن الأشعث، فلما هزم هرب، وطلبه الحجاج؛ فأتى محمد بن مروان بن الحكم بتصيين فأمّنه وألزمه أبنيه مروان بن محمد وعبد الرحمن بن محمد. فقال له: كيف رأيت أبنّي أخيك؟ قال: أمّا عبد الرحمن فطفل، وأمّا مروان فإني / إن أتيتُه حجب، وإن قعدتُ عنه عتب، وإن عاتبتُه صخب، وإن صاحبتُه غضب. ثم تركه ولزم عمر بن عبدالعزيز فلم يزل معه. ذكر ذلك كله ومعانيه الأصمعي عن أبي نوفل الهذلي عن أبيه: ولعون يقول جرير:

يأيتها القاريء المُرَخِّي عَمَامَتِهِ هذا زمانك إنني قد مضى زماني

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقية أني لدى الباب كالمصفود في قرن

(١) كذا في «طبقات ابن سعد»: (ج ٢ ص ١٠٦) و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج ١ ص ٣٧٠) وفي الأصول: «واتل».

(٢) كذا في «طبقات ابن سعد والاستيعاب»: وفي الأصول: «شيخ».

(٣) كذا في «الطبقات والاستيعاب»: وفي الأصول: «فار» بالقاف.

وخبره يأتي في أخبار جرير^(١).

كان فقيهاً، وهو أحد السبعة بالمدينة:

وأما عبد الرحمن فلم تكن له نباهة أخويه وفضلهما فسقط ذكره.

وأما عبيد الله فإنه أحد وجوه الفقهاء الذين روي عنهم الفقه والحديث. وهو أحد السبعة من أهل المدينة، وهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعروة بن الزبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن المسيب، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وخازجة بن زيد بن ثابت، وسليمان بن يسار. وكان عبيد الله ضريراً. وقد روى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل ابن عباس وعبد الله بن مسعود وعمه وأبي هريرة. وروى عنه الزهري وأبني أبي الزناد وغيرهما من نظرائهما.

كان يؤثره ابن عباس:

وكان عبد الله بن عباس يقدمه ويؤثره.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبي قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا حماد بن زيد عن معمر عن الزهري قال:

كان / عبيد الله بن عبد الله يلفظ لابن عباس فكان يعزّه عزاً.

حديث الزهري عنه وكان كثير الاتصال به:

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن عن مالك بن أنس عن ابن شهاب الزهري قال:

/ كنت أخدم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حتى إن كنت لأستقي الماء المِلح وإن كان ليسأل جاريته فتقول: [١٤١/٩] غلامك الأعمش.

أخبرني وكيع قال حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال:

أدركت أربعة بُحور، عبيد الله بن عبد الله أحدهم.

أخبرني وكيع قال حدثنا محمد قال حدثنا حامد بن يحيى عن ابن عيينة عن الزهري قال:

سمعت من العلم شيئاً كثيراً، فلما لقيت عبيد الله بن عبد الله كآني كنت^(٢) في شغب من الشُعاب فوقعت في الوادي؛ وقال مرة: صرّ كآني لم أسمع من العلم شيئاً.

أثنى عليه عمر بن عبد العزيز:

أخبرني وكيع قال حدثني بشر بن موسى قال حدثنا الحُمَيْدِي عن ابن عيينة عن علي بن زيد بن جُدعان قال:

كان عمر بن عبد العزيز يقول: ليت لي مجلساً من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بديّة.

(١) مضى هذا الخبر في «ترجمة جرير»: في ج ٨ ص ٤٧ من هذه الطبعة.

(٢) لعل صوابه: «صرّ كآني كنت... إلخ».

أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال حدثني عمي عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهرري عن حمزة بن عبد الله قال:

قال عمر بن عبدالعزيز: لو كان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حياً ما صدّرتُ إلا عن رأيه، ولوددتُ أن لي بيوم من عبيد الله غُرماً. قال ذلك في خلافته.

[١٤٢/٩] / ما جرى بين عمر بن عبدالعزيز وعروة في شأن عائشة وابن الزبير أمامه، ثم شعره لعمر حين أرسل إليه:

أخبرنا محمد بن جرير الطبري وعم أبي عبدالعزيز بن أحمد ومحمد بن العباس اليزيدي والطوسي ووكيع والحرّمي بن أبي العلاء وطاهر بن عبد الله الهاشمي، قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا إبراهيم بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وأبن أخيه يحيى بن محمد بن طلحة جميعاً عن عثمان بن عمر بن موسى عن الزهرري قال:

دخل عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة على عمر بن عبدالعزيز وهو أمير المدينة. فقال عروة لشيء حدث به من ذكر عائشة وعبيد الله بن الزبير: سمعت عائشة تقول: ما أحببت أحداً حبّي عبد الله بن الزبير لا أغني رسول الله ﷺ ولا أبوي. فقال عمر: إنكم لتنتحلون عائشة لابن الزبير أنتحال من لا يرى لكل مسلم معه فيها نصيباً. فقال عروة: بركة عائشة كانت أوسع من ألا يرى لكل مسلم فيها حق، ولقد كان عبد الله منها بحيث وضعت الرّحم والمودة التي لا يشرك كل واحد منهما فيه عند صاحبه أحد. فقال عمر: كذبت. فقال عروة: هذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يعلم أنني غير كاذب، وإن من أكذب الكاذبين من كذب الصادقين. فسكت عبيد الله ولم يدخل بينهما في شيء. فأقف بهما عمر وقال: أخرجا عني. ثم لم يلبث أن بعث إلى عبيد الله بن عبد الله رسولاً يدعو لبعض ما كان يدعو إليه. فكتب إليه عبيد الله:

لَمَرَوَانَ أَذْنُهُ، أَبٌ غَيْرُ زُمْلٍ^(٢)
تَأَسَّوْا فَسُئِلُوا سُنَّةَ الْمُتَعَطِّلِ
مِنَ الْقَوْمِ يَهْدِي هَدْيَهُمْ لَيْسَ يَأْتِلِي
تَقَرُّبٍ^(٣) إِثْرَ السَّابِقِ الْمَتْمَهْلِ
جَوَادٍ وَإِنْ تُسَبِّقَ فَنَفْسُكَ فَأَعْدِلْ
جَفْسُونَ عِيُونٍَ بِالْقَذَى لَمْ تُكْحَلْ
هَوَيْتَ إِذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِأَعْدِلْ
نَفُوسٌ كَرَامٌ بِالْخَنَالِ لَمْ تُوَكَّلْ

لَعَمْرُ أَبِي لَيْلَى^(١) وَأَبْنِ عَائِشَةَ الَّتِي
لَوْ أَنَّهُمْ عَمَّا وَجَدَا وَوَالِدَا
/ عَذَرْتُ أَبَا حَفْصٍ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا
/ وَلَكِنَّهُمْ فَاتُّوْا وَجِئْتَ مُصَلِّيًا
وَعُمْتُ^(٤) فَإِنْ تَسْبِقُ فِضْنٌ مَبْرَزٌ
فَمَا لَكَ بِالسُّلْطَانِ أَنْ تَحْمِلَ الْقَذَى
وَمَا الْحَقُّ أَنْ تَهْوَى فَتُسَعَفَ بِالَّذِي
أَبَى اللَّهُ وَالْأَحْسَابُ أَنْ تَرَامَ^(٥) الْخَنَى

[١٤٣/٩]

٩٤
أ

(١) ابن ليلى به يعني به عبدالعزيز بن مروان وهي ليلى بنت زيان بن الأصمغ بن عمرو. وابن عائشة يريد به عبد الملك بن مروان وهي عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية.

(٢) الزمّل: الضعيف الساقط.

(٣) التقريب: عدو دون الإسراع.

(٤) عمت: سرت.

(٥) ترام الخنى: ترضاه وتستغنيه.

قال الزبير في خبره وحده: الضنء والضنء: الولد. قال: وأنشد الخليل بن أسد قال أنشدني دهنم:

ابن عَجُوزٍ ضَنُوها غيرُ أَمِرٍ^(١) لو نحرث في بيتها عشرَ جُرُزٍ
لأصبحت من لحمهن تعذر تغدو على الحي يعود من سَمُرٍ
حتى يقر أهلها كل مَفَرٍ

حجبه عمر بن عبدالعزيز فقال فيه شعراً ثم اعتذر فعذره:

أخبرني الحسن بن علي ووكيع قالوا حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير، وأخبرناه الحرمي بن أبي العلاء إجازة قال حدثنا الزبير عن ابن أبي أونس عن بكار بن حارثة عن عبدالرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة:

أن عبيد الله بن عبد الله جاء إلى عمر بن عبدالعزيز فاستأذن عليه، فردّه الحاجب وقال له: عنده عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو مختل به، فأنصرف غضبان. وكان في صلاحه ربما صنع الأبيات، فقال لعمر:

أبْنُ لي فَكُنْ مثلي أو أَبْتَغِ صاحباً كمثلك إنني تابع صاحباً مثلي
/ عزيزٌ إخواني لا ينال مودتي من الناس إلا مسلمٌ كامل العقل
وما يلبثُ الفتيانُ أن يتفرقوا إذا لم يؤلف روحٌ شكل إلى شكل

[١٤٤/٩]

قال: فأخبر عمرُ بأبياته، فبعث إليه أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وعراك بن مالك يغذّرانه عنده ويقولان: إن عمر يقسم بالله ما علم بأبياتك ولا برد الحاجب إياك، فعذّره. قال الزبير وقد أنشدني محمد بن الحسن قال أنشدني مخزوم بن جعفر لعبيد الله بن عبد الله هذه الأبيات وزاد فيها وهو أولها:

وإن نَزَحْتُ دارٌ به دائم الوصل وإنني أمرؤ من يُصِفني الودُّ يُلِفني
من الناس إلا مسلمٌ كامل العقل عزيزٌ إخواني لا ينال مودتي
تسير بها الرُكبانُ أبْرَدُها يَغْلِي ولولا أنقائي الله قلتُ قصيدةً
ويتنفي الكرى عنه بها صاحبُ الرُخْل بها تُنْقَضُ الأحلاسُ^(٢) في كل منزل
كَلِيلَ اللسانِ ما تُمرُّ وما تُخْلِي^(٣) كفاني يسيراً إذ أراك بحاجتي
مَلامة والإخلافُ شرٌّ من البخل تلاوِدُ^(٤) بالأبواب مئي مخافة الـ

وذكر الأبيات الأول بعد هذه.

شعره في عراك وابن حزم حين علم أنهما مرّا عليه ولم يسلمّا:

أخبرني وكيع قال حدثني علي بن حرب الموصلي قال حدثنا إسماعيل بن ريان الطائي قال سمعت ابن إدريس

يقول:

(١) الأمر: الكثير.

(٢) الأحلاس: جمع حلس وهو كل ما ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرّج.

(٣) ما تمر وما تحلى: ما تضر وما تنفع.

(٤) تلاوّد: تراوغي.

كان عِرَاكُ بن مالك وأبو بكر بن حَزْم وعُبَيْدالله بن عبدالله بن عُثْبَةَ يتجالسون بالمدينة زماناً. ثم أن ابن حزم $\frac{95}{8}$ ولي إمرتها وولي عِرَاكُ القضاء، وكانا يَمْرَآن بعُبَيْدالله فلا يسلّمان عليه ولا يقفان، وكان / ضريراً فأخبر بذلك، فأنشأ يقول:

[١٤٥/٩] / ألا أبلغا عني عِرَاكُ بن مالك
فقد جعلت تبدو شواكل منكما
وطاوعتما بي داعِكا^(١) ذا معاكِ
ولولا اتقائي ثم بقياي فيكما
ولا تدعنا أن تثنيا بأبي بكر
كأنكما بي موقران من الصخر
لعمري لقد أزرى وما مثله يُزري
للمتكمالوما أحرّ من الجمر

قصيدة

فَمَسَا تُرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خُلِقْتُمَا
وَلَا تَأْنَقَا أَنْ تَسْأَلَا وَتَسْلُمَا
فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَلْفِي عَدُوًّا وَطَاعِنَا
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَمُرْ وَلَمْ أَنَّهُ عَنْكُمَا
وَمِنْهَا الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشْرِ
فَمَا خَشِيَ الْإِنْسَانُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ
لَأَقْفِيْشُهُ أَوْ قَالَ عِنْدِي فِي السَّرِّ
ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلْجُ وَيَسْتَشْهَرِي
عروضه من الطويل. عُثِّي في:

فَمَسَا تُرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خُلِقْتُمَا

والذي بعده لحن من الثقيل الأول بالبنصر من رواية عمرو بن بانه وابن المكيّ ويونس وغيرهم. وزعم ابن شهاب الزُّهريّ أن عبيدالله قال هذه الأبيات في عمر بن عبدالعزيز وعمرو بن عثمان، يعني [أن] الأبيات الأول ليست منها في شيء، وإنما أدخلت فيها لاتفاق الروي والقافية.

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المُنْذِرِ الحِزَامِيّ قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبدالعزيز عن أبيه عن ابن شهاب قال:

[١٤٦/٩] / جئت عُبَيْدالله بن عبدالله يوماً في منزله فوجدته ينفخ وهو مغتاض؛ فقلت له: مالك؟ قال: جئت أميركم آنفاً - يعني عمر بن عبدالعزيز - فسلمت عليه وعلى عبدالله بن عمرو بن عثمان، فلم يردّا عليّ، فقلت:

فَمَسَا تُرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خُلِقْتُمَا

وذكر الأبيات الأربعة. قال فقلت له: رحمك الله! أتقول الشعر في فضلك ونُسُكك! قال: إن المصدور إذا نفث برّاً. قال أبو زيد حدثنا إبراهيم بن المنذر، وأنشدني هذه الأبيات عبدالعزيز بن أبي ثابت عن ابن أبي الزناد له وذكر مثل ذلك وأنها في عمر بن عبدالعزيز وعبدالله بن عمرو، وزاد فيها:

وكيف يُريدانِ أبْنِ تَسْعِيْنِ حِجَّةً
على ما أتى وهو ابن عشرين أو عشرين

شيء من شعره:

ولعبيد الله بن عبد الله شعرٌ فحلَّ جيد ليس بالكثير . منه قوله :

إذا كان لي سرٌّ فحدِّثْهُ العدا وضاق به صدري فللناسُ أعذرُ
وسرُّك ما أسودَّ عتته وكتمتَه وليس سرٌّ حين يفشرو ويظهرو

وقوله لابن شهاب الزُّهري:

إذا قلتُ أمّا بعدُ لم يُثنَ مِنِّي فحاذِرْ إذا ما قلتُ كيف أقولُ
إذا شئتُ أن تلقى خيلاً مصافياً لقيتُ وإخوانُ الثقاتِ قليل

استحسن جامع بن مرخية شعره فأجازه:

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الجبار بن سعيد المُساحقي عن ابن أبي الزُّناد عن أبيه قال :

أنشد عبيد الله بن عبد الله جامع بن مرخية / الكلابي لنفسه :

لعمرك أبي المُخَصِّصَ أيامَ نلتقي لَمَّا لا تُلاقيها من الدهر أكثرُ
/ يَعدُّون يوماً واحداً إن أتيتها ويُسَوِّون ما كانت على الدهر تهجرُ
وإن أولع الواشون عَمداً بوصلنا فنحن بتجديد المودة أبصر

قال : فأعجبت أبياته هذه جامعاً، فسَرَّ ذلك عبيد الله فكساه وحمله .

جامع بن مرخية هذا من شعراء الحجاز، وهو الذي يقول :

سألتُ سعيدَ بن المسيَّب مفتى الـ مدينة هل في حبِّ ظمياء من وِزْرِ
فقال سعيد بن المسيَّب إنما تُلام على ما تستطيع من الأمر
فبلغ قوله سعيداً، فقال : كَذَبَ اللهُ ! ما سألتني ولا أفتيته بما قال . أخبرني بذلك الحرّمي بن أبي العلاء عن الزُّبير .

مختارات من شعره :

ومن جيد شعر عبيد الله وسهله :

أعاذلَ عاجلُ ما أشتهي أحبُّ من الآجلِ الرائيث^(١)
سأنفق مالي على لذتي وأوثر نفسي على الوارث
أبادِرُ إهلاكَ مستهلك لمالي أو عبثَ العابث

وقوله يفتخر في أبيات :

إذا هي حَلَّتْ وَسَطَ عُودِ^(٢) ابن غالب
فذلك ودٌّ نازحٌ لا أطالعُه

(١) الرائيث : البطيء .

(٢) عود : جمع عائد وهي الحديثة التاج من الإبل وغيرها .

شدتُ حَيَازِيمِي^(١) على قلب حازِمٍ
أَدَا جِي رَجَالاً لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ
كَتَمْتُ لِمَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ أَضَالَعَهُ
على سرٍّ بعضِ إنَّ صَدْرِي وَاسِعَهُ
بَنَى لِي عَبْدُ اللَّهِ فِي ذِرْوَةِ الْعَلَا
وَعُتْبَةُ مَجْدًا لَا تُنَالُ مَصَانِعُهُ

[١٤٨/٩] / وقوله وفيه غناء:

نصوت

إِنْ يَكُ ذَا الدَّهْرِ قَدْ أَضَرَّ بِنَا
مَنْ غَيْرَ دَخَلَ^(٢) فَرِيْمَا نَفْعَا
أَبْكِي عَلَى ذَلِكَ الزَّمَانِ وَلَا
أَحْسَبُ شَيْئاً قَدْ فَاتَ مُرْتَجَعَا
إِذْ نَحْنُ فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ سَلَفَتْ
كَانَتْ لَهَا كُلُّ نِعْمَةٍ تَبْعَا

عروضه من المنسرح. غنَّت فيها عَرِيبٌ خَفِيفَ رَمَلٍ عَنِ الْهَشَامِيِّ.

قَدِمَتِ الْمَدِينَةُ مَكِّيَةَ فَتَنَّتِ النَّاسَ فَشَبَّ بِهَا:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ وَالْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ وَوَكَيْعٌ قَالُوا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي
إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَعْقُوبَ عَنْ ابْنِ أَبِي الزُّنَادِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

قَدِمَتِ الْمَدِينَةُ امْرَأَةً مِنْ نَاحِيَةِ مَكَّةَ مِنْ هُدَيْلٍ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً فَخَطَبَهَا النَّاسُ، وَكَادَتْ تَذْهَبُ بِعُقُولِ أَكْثَرِهِمْ.
فَقَالَ فِيهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ:

أَحْبَبُّكَ حَبًّا لَوْ عَلِمْتَ بِنِعْمَتِهِ
لَجُذْتُ وَلَمْ يَصُغَبْ عَلَيْكَ شَدِيدُ
وَحُبِّكَ يَا أُمَّ الصَّبِيِّ مُذْلَهِي
شَهِيدِي أَبُوبَكْرٍ وَأَيُّ شَهِيدِ^(٣)
وَيَعْلَمُ وَجْدِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ
وَعُرْوَةُ مَا أَلْقَى بِكُمْ وَسَعِيدُ
وَيَعْلَمُ مَا أَخْفَيْ سُلَيْمَانُ عِلْمَهُ
وَخَارِجَةُ يُؤَدِّي لَنَا وَيُعِيدُ
/ مَتَى تَسَالِي عَمَّا أَقُولُ فَتُخَبِّرِي
فَلِلْحَبِّ عِنْدِي طَارِفٌ وَتَلِيدُ

٩٧/٨

فَبَلَغَتْ آيَاتُهُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ آمَنَ أَنْ تَسْأَلَنَا وَعِلْمُ أَنَّهَا لَوْ اسْتَشْهَدَتْ بِنَا لَمْ نَشْهَدْ لَهُ بِالْبَاطِلِ
عِنْدَهَا.

وَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَبُو بَكْرٍ الَّذِي ذَكَرَ وَالتَّقَرُّ الْمَسْمُونُ مَعَهُ: أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ،

[١٤٩/٩] وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ / الْمُسَيَّبِ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ، وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ
ثَابِتٍ، وَهُمْ الْفُقَهَاءُ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ.

(١) الحيزوم: وسط الصدر.

(٢) الذحل: الثأر.

(٣) في هذا البيت إقواء.

عتب على زوجة عثمة في بعض الأمر فطلقها وشعره فيها:

أخبرني وكيع قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات عن أحمد بن سعيد الفهرقي عن إبراهيم بن المنذر بن عبد الملك بن الماجشون:

أن أبيات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة التي أولها:

لَعَمْرِي لئن شَطَطَتْ بَعَثَمَةَ دَارُهَا لَقَدْ كَدْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ أُلْبَحُ

قالها في زوجة له كانت تسمى عَثَمَةَ، فعتب عليها في بعض الأمر فطلقها. وله فيها أشعار كثيرة، منها هذه الأبيات، ومنها قوله يذكر نَدَمَهُ على طلاقها:

كَتَمْتَ الْهَوَى حَتَّى أَضُرَّ بِكَ الْكَثْمُ وَلَا مَكَ أَقْوَامٌ وَلَوْ مَهْمُ ظَلَمُ

وأخبرني الحرَمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال قال لي عمي:

لقيني علي بن صالح فأنشدني بيتاً وسألني مَنْ قاله؟ وهل فيه زيادة؟ فقلت: لا أدري، وقد قدم ابن أخي - أَغْنِيكَ - وقلما فاتني شيء إلا وجدته عنده. قال الزبير: فأنشدني عمي البيت وهو:

غُرَابٌ وَظَبْيٌ أَعْضَبُ^(١) الْقَرْنَ نَادِيَا بَصْرُمٌ وَصِرْدَانُ^(٢) الْعَشِيِّ تَصِيحُ

فقلت له: قاله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وتماها:

لَعَمْرِي لئن شَطَطَتْ بَعَثَمَةَ دَارُهَا لَقَدْ كَدْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ أُلْبَحُ

أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِمْ وَيُخَسِبُ أَنِّي فِي الثِّيَابِ صَحِيحُ

فكتبهما عمي عتي وأنصرف بهما إليه.

[١٥٠/٩]

أصوات

أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَقْضِي عَنَاهَا وَلَا تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعَمَ

أَتَرَكُ إِتْيَانَ الْحَبِيبِ تَأْلُمًا أَلَا إِنَّ هِجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ الْإِثْمُ

فَذُقْ هِجْرَهَا قَدْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ رَشَادٌ أَلَا يَا رَيْمًا كَذَبَ الزُّعْمُ

عروضه من الطويل. غنى يونس في هذه الأبيات الثلاثة لحناً مأخوذاً وهو خفيف الثقل الثاني من رواية إسحاق ويونس^(٣) وابن المكي وغيرهم. وغنت عريب في:

أَتَرَكُ إِتْيَانَ الْحَبِيبِ تَأْلُمًا

لحناً من الثقيل الأول، وأضافت إليه بعده على الولاء بيتين ليسا من هذا الشعر وهما:

وَأَقْبَلَ أَقْوَالَ الْوُشَاةِ تَجَرُّمًا أَلَا إِنَّ أَقْوَالَ الْوُشَاةِ هِيَ الْجُرْمُ

وَأَشْتَاقُ لِي إلفاً عَلَى قُرْبِ دَارِهِ لِأَنَّ مُلَاقَاةَ الْحَبِيبِ هِيَ الْغُنْمُ

(١) الأعضب القرن: المكسور القرن.

(٢) الصردان: جمع صرد وهو طائر أبيض البطن يتشام به.

(٣) يلاحظ أن صاحب هذا الغناء هو يونس؛ ويبعد أن يكون من رواه.

ومما قاله عبيد الله أيضاً في زوجته هذه وغُنِّيَ فيه :

/ صوت

٩٨
٨

عَفَّتْ أَطْلَالُ عَثْمَةَ بِالْغَمِيمِ فَاُضْحَتْ وَهِيَ مُوَحِّشَةُ الرُّسُومِ
وَقَدْ كُنَّا نَحُلُّ بِهَا وَفِيهَا هَضِيمُ الْكَشْحِ جَائِلَةُ الْبَرِيمِ

عروضه من الوافر. عَفَّتْ. درست. والأطلال: ما شَخَصَ من آثار الديار. والرُّسُوم: ما لم يكن له شخص منها ولا ارتفاع وإنما هو أثر. والهضيم الكشح الحصى والبطن. والبريم: الخلخال، وقيل: بل هو اسم لكل ما يُلبس من الحُلِيِّ في اليدين والرجلين. والجائل: ما يجول في موضعه لا يستقر. غُنِّيَ في هذين البيتين قفًا النجار. ولحنه من القدر الأوسط من الثَّقِيلِ الأول بالخنصر في مجرى البنصر.

/ ومما قاله في زوجته عَثْمَةَ وفيها غناء: [١٥١/٩]

صوت

تَغْلَغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فَوَادِي فَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِي يَسِيرُ
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَتْلُغْ شَرَابُ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَلُغْ سُرُورُ
صَدَغَتِ الْقَلْبَ ثُمَّ دَرَزَتْ فِيهِ هَوَاكَ فَلَيْسَ وَالنَّامُ الْفُطُورُ^(١)
أَكَادَ إِذَا ذَكَرْتُ الْعَهْدَ مِنْهَا أَطِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ
غَنِيَّ النَّفْسِ أَنْ أَزْدَادَ حَبِيْبًا وَلَكِنِّي إِلَى صَلَاةٍ فَقِيرُ
وَأَنْفَذَ جَارِحَاكَ سَوَادَ قَلْبِي فَأَنْتَ عَلَيَّ مَا عَشْنَا أَمِيرُ

لمعبد في الأول والثاني من الأبيات هَزَجٌ بالبنصر عن حَبَشٍ، وذكر أحمد بن عبيد الله أنه منحولٌ من المَكِّي. وفي الثالث ثم الثاني لأبي عيسى بن الرَّمِيدِ رَمَلٌ.

قال ابن أبي الزُّنَادِ في الخبر الذي تقدّم ذكره عن عُبَيْدِ اللَّهِ وما قاله من الشعر في عَثْمَةَ وغيرها: فقل له: أنقول في مثل هذا؟ قال: في اللُّدُودِ راحةُ المَفْثُودِ^(٢).

بلغه أن رجلاً يقع ببعض الصحابة فجفاه:

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن عبد الرحمن قال حدّثنا ابن وهب عن يعقوب يعني ابن عبد الرحمن عن أبيه قال:

كان رجل يأتي عُبَيْدَ اللَّهِ بن عبد الله ويجلس إليه. فبلغ عُبَيْدَ اللَّهِ أنه يقع ببعض أصحاب رسول الله ﷺ. فجاءه الرجل فلم يلتفت إليه عبيد الله. وكان الرجل شديد العقل، فقال له: يا أبا محمد، إن لك لساناً، فإن رأيت لي عذراً فأقبل عذري. فقال له: أنتهم الله في علمه؟ قال: أعوذ بالله. قال: أنتهم رسول الله ﷺ / في حديثه؟ قال: أعوذ

(١) الفطور: الشقوق.

(٢) اللدود: ما يصب بالمسقط من الدواء في أحد شقي الفم. والمفثود: الذي يشتكي فواده.

بالله. قال: يقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وأنت تقع في فلان وهو ممن بايع، فهل بلغك أن الله سَخِطَ عليه بعد أن رضي عنه؟ قال: والله لا أعود أبداً. قال: والرجل عمر بن عبدالعزيز^(١).

صوته:

أخبرني وكيع عن أحمد بن زهير عن يحيى بن معين قال:

مات عبيدالله بن عبدالله بن عتبة سنة اثنتين ومائة، ويقال سنة تسع وتسعين أخبرني محمد بن جرير الطبري والحسن بن علي عن الحارث^(٢) عن ابن سعد عن مَعْن^(٣) عن محمد بن هلال: أن عبيدالله توفي بالمدينة سنة ثمان وتسعين.

صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن:

ومنها^(٤):

صوت

٩٩ / ودُعْ هُرَيْرَةُ إِنْ الرَّكْبُ مُرْتَجِلُ
أ / وهل تُطَبِّقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ
غَرَاءُ فَرَعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا
ب / تمشي الهُوَيْنَى كما يمشي الوجي الوَجِلُ^(٥)
تسمع للخلِّي وَسَوَاساً إِذَا انصرفت
ج / كما استعان بريح عَشْرِقُ زَجِلُ
عُلِقَتْهَا عَرَضاً وَعُلِقَتْ رَجُلًا
د / غيري وعُلِقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ
قالت هُرَيْرَةُ لَمَّا جَنَّتْ زَائِرَهَا
ه / وَلِيَّ عَلَيْكَ وَوَلِيَّ مِنْكَ يَا رَجُلُ
لَمْ تَمْشِ مِيلاً وَلَمْ تَرْكَبْ عَلَى جَمَلٍ
و / أقول للركب في دُرْنَى^(٦) وقد تَمَلَّوْا
كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لَيَقْلِقَهَا
ز / أبلغ يزيد بني شَيْبَانَ مَالِكَةً
إِنْ تَرْكَبُوا فَرْكُوبَ الْخَيْلِ عَادَتُنَا
ح / وقد غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتْبَعُنِي
فِي فِتْنَةٍ كَسِيفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا
د / نَازَعْتُهُمْ قُضِبَ الرِّيحَانِ مُتَكَيِّمًا
وَقَهْوَةَ مُسَرَّةَ رَاوُفَهَا خَضِيلُ
هـ / أَن لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الْحَيْلَةِ الْحَيْلُ
وَقَهْوَةَ مُسَرَّةَ رَاوُفَهَا خَضِيلُ

[١٥٣/٩]

(١) يبعد تصديق مثل ذلك عن عمر بن عبدالعزيز وهو من هو صلاحاً وتقوى.

(٢) هو الحارث بن أبي أسامة. وابن سعد هو سليمان بن سعد. (راجع ج ٦ ص ٣٥٩ من هذه الطبعة).

(٣) هو معن بن عيسى القزاز: (راجع «تهذيب التهذيب» ج ٩ ص ٤٩٨).

(٤) يريد أصوات. معبد التي تسمى مدن معبد، وقد مرت في صفحة ١٣٧.

(٥) درني: موضع بنواحي اليمامة، وقيل: بنواحي العراق.

غنى معبد في الأول والثاني في لحنه المذكور في مُدُنٍ معبد لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكرت دَنَانِيرُ أن فيهما لابن سُرَيْجٍ أيضاً صنعة. ولمعبد أيضاً في الرابع والخامس والثالث ثقيلٌ أولٌ، ذكره حَبَشٌ، وقيل: بل هو لحن ابن سريج، وذلك الصحيح. ولابن مُخَرِّزٍ في الثقيل في «إن تركبوا» وفي «كناطح صحرة» ثاني ثقيلٌ مُطْلَقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولحُنَيْنِ الحِيرِيّ في «أبلغ يزيد بني شيان» و«إن تركبوا» ثاني ثقيلٌ آخر. وذكر أحمد بن المَكِّي أن لابن مُخَرِّزٍ في «ودع هريرة» و«تسمع للحلي» ثاني ثقيلٌ بالخنصر في مجرى البنصر. وفي «وقد غدوت» وما بعده رملٌ لابن سُرَيْجٍ ومُخَارِقٌ عن الهشامي. ولابن سريج في «تسمع للحلي» وقبله «ودع هريرة» رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغريص في «قالت هريرة» و«علقتها عرساً» رمل. وفي هذه الأبيات بعينها هَزَجٌ ينسب إليه أيضاً وإلى غيره. وفي «تسمع للحلي» و«قالت هريرة» هَزَجٌ لمحمد بن حسن بن مُضْعَب. وفي «لم تمش ميلاً» و«أقول للركب» لابن سريج خفيف الثقيل الأول [١٥٤/٩] بالبنصر عن حَبَش. وفي «قالت / هريرة» و«تسمع للحلي» لحن لابن سريج. وإن لَحْنَيْنِ في البيتين الآخرين لحناً آخر. وقد مضت أخبار هريرة مع الأعشى في:

هُرَيْرَةٌ ودُعَاها وإن لام لائِمُ

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَادٍ عن أبيه عن الأصمعيّ قال قلت لأعرابية: ما الغراء؟ قالت: التي بين حاجبيها بَلَجٌ وفي جبهتها اتساعٌ تتباعد قُصَّتُها معه عن حاجبيها فيكون بينهما نَقْفٌ^(١). وقال أبو عُبَيْدة: الغراء: الكثيرة الشعر. والعوارض: الأسنان. والهَوْنِيّ تصغير الهَوْنِيّ، والهونى: مؤنث الأهون. والوَجِيّ: الظالع وهو الذي قد حَفِيَ فليس يكاد يستقلُّ على رجله. والوَحْلُ: الذي قد وقع في الوَحْل. / والعِشْرُق: نبت يَسَّ فتحركه الريح؛ شبه صوت حَلِيها بصوته. الزَجْلُ: المصَوْتُ من العِشْرُق. وعلقتها: أحبتها. وعرضاً: على غير موعد. والوَعلُ: التيسُ الجبليّ، والجمع أوعال. مَأْلُكة: رسالة، والجمع مَالِك. ما تنفك: ما تزال. وتأنكل: تتحرّق. وقال أبو عُبَيْدة: الشاوي: الذي يشوي اللحم: والنَّشُولُ: الذي ينشل اللحم من القِدر. ومِشَلٌ: سَوَاقٌ سريع يسوق به. وشُلْشُلٌ: خفيف. وشَوِلٌ: طَيِّبُ الرِّيح.

ما وقع بين بني كعب وبني همام، وقصيدة الأعشى في ذلك:

الشعر للأعشى وقد تقدّم نسبه وأخباره. يقول هذه القصيدة ليزيد بن مُسَهَّر أبي ثابت الشَّيْبَانِي. قال أبو عُبَيْدة: وكان من حديث هذه القصيدة أن رجلاً من بني كعب بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة، يقال له ضُبَيْع، قتل رجلاً من بني هَمَام يقال له زاهر بن سَيَّار بن أسعد بن هَمَام بن مُرَّة بن ذُهَل بن شَيْبَان، وكان ضُبَيْع مطروقاً^(٢) [١٥٥/٩] ضعيف العقل. فنهاهم يزيد بن مُسَهَّر أن يقتلوا ضُبَيْعاً بزاهر وقال: / اقتلوا به سيّداً من بني سعد بن مالك بن ضُبَيْعة، فحَضَّ بني سَيَّار بن أسعد على ذلك وأمرهم به. وبلغ بني قيس مما قاله، فقال الأعشى هذه الكلمة بأمره أن يدع بني سَيَّار وبني كَعْب ولا يُعَيِّنَ بني سَيَّار؛ فإنه إن أعانهم أعانت قبائل بني قيس بني كعب، وحذرهم أن تَلْقَى شَيْبَانُ منهم مثل ما لقوا يوم العَيْنِ عَيْنِ محِلَم^(٣) بهجر.

(١) النقف: المهوى بين الشيتين.

(٢) المطروق: الذي به هوج وجنون.

(٣) عين محلم (بتشديد اللام وكسرهما): قال أبو منصور: هي عين فؤارة بالبحرين، وما رأيت عيناً أكثر ماء منها، وماؤها جار في منبعها، فإذا برد فهو ماء عذب. ولهذه العين إذا جرت في نهرها خلج كثيرة تتخلج منها تسقي قرى كثيرة ومزارع ونخلًا

يوم عين محلم:

قال أبو عبيدة: وكان من حديث ذلك اليوم، كما زعم عمر بن هلال أحد بني سعد بن قيس بن ثعلبة، أن يزيد بن مُسهر كان خالِعَ أَصْرَمَ بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة، وكان عوف أبو بني الأصرم يقال له الأعجف والضئعة له وهي قرية باليمامة. فلما خلع يزيد أَصْرَمَ من ماله خالعه على أن يرزقه ابنه أَفْلَتَ وشهابا ابني أَصْرَمَ، وأثهما فطيمة بنت شَرْحِبِيل بن عَوْسَجَة بن ثعلبة بن سعد بن قيس، وأن يزيد قمر أَصْرَمَ فطلب أن يدفع إليه ابنه رهينة، فأبى أَثهما وأبى يزيد إلا أخذهما. فنادت قومها، فحضر الناس للحرب، فاشتملت فطيمة على أبنيتها بثوبها، وفكَّ قومها عنها وعنهما. فذلك قول الأعشى:

نحن الفوارس يوم العين صاحبة جَبَنِي فُطَيْمَةَ لَا مِيلَ وَلَا عَزْلَ^(١)

قال: فانهزمت بنو شيبان، فحذر الأعشى أن يلقي مُسهر مثل تلك الحال.

قال أبو عبيدة: وذكر عامر ومسمع عن قتادة الفقيه أن رجلين من بني مزوان تنازعا في هذا الحديث، فجرّدا رسولا في ذلك إلى العراق حتى قدم إلى الكوفة فسأل فأخبر أن فطيمة من بني سعد بن قيس كانت عند رجل من بني شيبان، وكانت له / زوجة أخرى من بني شيبان، فتعايرتا فعمدت الشيبانية فحلت ذوائب فطيمة، فأهتاج الحبان [١٥٦/٩] فأقتلوا، فهزمت بنو شيبان يومئذ.

مسحل رثي الأعشى:

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن محمد القصير قال حدثنا محمد بن صالح قال حدثني أبو اليقظان قال حدثني جويرية عن يَشْكُر بن وائل اليشكري، وكان من علماء بكر بن وائل وولد أيام مُسَيْلِمَةَ فجاء به إليه فمسح على رأسه فعمي، قال جويرية فحدثني يَشْكُرُ هذا قال حدثني جرير بن عبدالله البجلي قال: سافرت في الجاهلية فأقبلت على بعيري ليلة أريد أن أسقيه، فجعلت أريده على أن يتقدم فوالله ما يتقدم، فتقدمت / فدنوت من الماء وعقلته، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوهون عند الماء فقعدت. فيينا أنا عندهم إذ أتاهم ^{١١}/_٨ رجل أشد تشويهاً منهم فقالوا: هذا شاعرهم. فقالوا له: يا فلان أنشد هذا فإنه ضيف؛ فأنشد:

ودّع هريرة إن الركب مرتحل

فلا والله ما حرم منها بيتاً واحداً حتى انتهى إلى هذا البيت.

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

فأعجب به. فقلت: من يقول هذه القصيدة؟ قال: أنا. قلت: لولا ما تقول لأخبرت أنك أن أعشى بني ثعلبة أنشدنيها عام أول بنجران. قال: فإني صادق، أنا الذي ألقىها على لسانه وأنا مسحل صاحبه، ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون بن قيس:

(١) صاحبة: علانية. والميل: جمع أميل وهو الذي لا يثبت في الحرب مثل أبيض وبيض. والعزل: جمع أعزل، وحركت زايه للشعر.

صوت

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ الْيَمِينِ

[١٥٧/٩] / عروضة من الوافر. الشعر للشماخ. والغناء لمَعْبُدٍ خفيفُ الثَّقِيلِ الأوَّل بالوسطى. وذكر إسحاق أنه من الأصوات القليلة الأشباه. وذكر ابن المكي أن له فيه لحنًا آخر من خفيف الثَّقِيل. وقد أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدَّثني عمر بن شَبَّة عن محمد بن يحيى أبي غَسَّان قال غَنَّى أَبُو نُؤَي:

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
فَنَسِبَهُ النَّاسُ إِلَى مَعْبُدٍ. وَلَعَلَّهُ يَعْنِي اللَّحْنَ الْآخَرَ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ الْمَكِيِّ. وَقَالَ هَارُونَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّيَّاتِ أَخْبَرَنِي حَمَّادُ بْنُ ابْنِ أَبِي جَنَاحٍ قَالَ: النَّاسُ يَنْسُبُونَ هَذَا الصَّوْتَ إِلَى مَعْبُدٍ.



مركز بحوث ودراسات إسلامية

[١٥٨/٩]

/ ذكر الشماخ ونسبه وأخباره

نسبه من قبل أبويه:

هو، فيما ذكر لنا أبو خليفة بن محمد بن سلام، الشماخ بن ضرار بن سنان بن أمية^(١) بن عمرو بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان. وذكر الكوفيون أنه الشماخ بن ضرار بن حزملة بن صَيْقِي بن إياس بن عبد بن عثمان بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. وأمّ الشماخ أنمارية من بنات الخُرْشُب ويقال: إنهن أنجب نساء العرب، وأسمها مُعَاذَةُ بنت بُجَيْر بن خالد بن إياس. مخضرم، وهو أحد من هجا عشيرته:

والشماخ مُخْضَرَم مِمَّنْ أدرك الجاهلية والإسلام، وقد قال للنبي ﷺ.

تَعَلَّم رَسُولَ اللَّهِ أَنَا كَأَنَّا أَفَانَا بِأَنْمَارٍ ثَعَالِبَ ذِي غِسْلٍ^(٢)
يعني أنمار بن بغيض وهم قومه. وهو أحد من هجا عشيرته وهجا أضيافه ومَنَ عليهم بالقِرَى. والشماخ: لقب واسمه مَعْقِل، وقيل الهَيْثَم، والصحيح معقل. قال جَبَل بن جَوَال له في قصة كانت بينهما:

لَعَمْرِي لَعَلَّ الْخَيْرَ لَوْ تَعَلَّمَانِيهِ يَمُنَّ عَلَيْنَا مَعْقِلٌ وَيَزِيدُ
/ مَنِيحَةٌ^(٣) عَنَزٍ أَوْ عَطَاءٍ فَطِيمَةٍ أَلَا أَنْ نَيْلَ الثَّغْلِيَّ زَهِيدُ

١٠٢
٨

له أخوان جزء ومزرد:

وللشماخ أخوان من أمه وأبيه شاعران، أحدهما مُزَرَّد وهو مشهور، واسمه يزيد وإنما سمي مُزَرَّدًا لقوله:

/ فَقُلْتُ تَزَرَّدَهَا عَيْدُ فَمَنْنِي لَدُرْدٍ^(٤) الشيوخ في السنين مُزَرَّدُ
والآخر جَزء بن ضرار، وهو الذي يقول يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركثْ يَدُ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمَمْرُقِ
فَمَنْ يَنْسَعِ أَوْ يَرْكَبْ جَنَاحِي نَعَامَةٍ لِيُدرِكَ مَا حَاوَلْتَ بِالْأَمْسِ يُشْبِقِي

(١) في «تجريد الأغاني»: «أمامة».

(٢) ذو غسل: موضع. وقد ورد هذا البيت في «كتاب الشعر والشعراء» مع بيت آخر منسوين إلى مزرد أخي الشماخ.

(٣) المنيحة: الناقة أو الشاة تعطىها غيرك ليحتلبها ثم يردّها عليك.

(٤) كذا في «كتاب الشعر والشعراء» وفي ح: «بدرد الموالي» وفي سائر الأصول: «بزرد الموالي» وهو تحريف. والدرد: جمع أردد وهو من لا أستان له.

ناحت الجن على عمر بشعر فنحل لجزء أخيه:

وقد أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا شهاب بن عباد قال حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا مسعر عن عبد الملك بن عمير عن الصقر بن عبدالله عن عروة عن عائشة قالت:

ناحت الجن على عمر قبل أن يقتل بثلاث فقالت:

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت له الأرض تهتز العضاء^(١) بأسوق
جزى الله خيراً من إمام وباركث يدُ الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ليدرك ما حاولت بالأمس يسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائق^(٢) في أكمامها لم تفقني
وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفّي سبتي^(٣) أزرق العين مطرق

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا سليمان بن داود الهاشمي قال أخبرنا إبراهيم بن سعد الزهري عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي ربيعة عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق:

[١٦٠/٩] / أن عائشة حدثتها أن عمر أذن لأزواج النبي ﷺ أن يحججن في آخر حجة حجها عمر. قال: فلما أرتحل عمر من المحصب^(٤) أقبل رجل مثلث فقال وأنا أسمع: هذا كان منزله، فأناخ في منزل^(٥) عمر ثم رفع عقيرته يتغنى:

عليك سلام من أمير وباركث يدُ الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يجري أو يركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائق في أكمامها لم تفقني

قالت عائشة: فقلت لبعض أهلي: اعلّموا لي علم هذا الرجل، فذهبوا فلم يجدوا في منأخه أحداً. قالت عائشة: فوالله إني لأحسبه من الجن. فلما قُتل عمر نحل الناس هذه الأبيات للشماخ بن ضرار أو جعّاع بن ضرار. هكذا في الخبر، وهو جزء بن ضرار.

وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة:

وجعل محمد بن سلام في الطبقة الثالثة الشماخ وقرنه بالناغة وليد وأبي ذؤيب الهذلي، ووصفه فقال: كان

(١) العضاء: كل شجر يعظم وله شوك. والأسوق: جمع ساق.

(٢) البوائق: الشرور.

(٣) السبتي هنا: الجريء. وأزرق العين: يريد به الأعجمي. والمطرق: المسترخي العين.

(٤) في الأصول «من الحصب» والتصحيح عن ابن سعد في العبارة الآتية.

(٥) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «في منزله عمر» وهو تحريف. وقد وردت هذه القصة في «كتاب الطبقات الكبير لابن سعد» (ج ٣ ص ٢٤١) هكذا: «قال ابن شهاب فأخبرني إبراهيم بن عبدالرحمن بن أبي ربيعة أن أمه أم كلثوم بنت أبي بكر حدثته عن عائشة

قالت: لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين قالت: إذ صدرنا هي عرفة مررت بالمحصب سمعت رجلاً على راحلته يقول: أين كان عمر أمير المؤمنين فسمعت رجلاً آخر يقول: ها هنا كان أمير المؤمنين. قال: فأناخ راحلته ثم رفع عقيرته...

شديد متون الشعر أشدّ كلاماً^(١) من لييد، وفيه كزّازة^(٢)، ولييد أسهل منه منطقاً. أخبرنا بذلك أبو خليفة عنه.
قال الحطّية إنه أشعر غطفان:

وقد قال الحطّية في وصيته: أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان، قد كُتب ذلك في شعر الحطّية^(٣).

/ هو أوصف الناس للحمير:

[١٦١/٩]

وهو أوصف الناس للحمير. أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثني عمي عن ابن الكلبي قال: أنشد الوليد بن عبد الملك شيئاً من شعر الشماخ / في صفة الحمير فقال: ما أوصفه لها! إني لأحسب أن أحد أبويه كان حماراً.

أخبرني إبراهيم بن عبدالله قال حدّثنا عبدالله بن مسلم قال: كان الشماخ يهجو قومه ويهجو ضيفه ويمنّ عليه بقراه. وهو أوصف الناس للقوس والحمار وأزجّر الناس على البديهة.

حديث الشماخ ومزّده مع أمهما:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثنا عبدالرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمّه قال: قال مُزَرَّد لأمّه: كان كعب بن زهير لا يهابني وهو اليوم يهابني. فقالت: يا بنيّ نعم! إنه يرى جرّو الهراش مؤثّقاً ببابك. تعني أخاه الشماخ. وقد ذكر محمد بن الحسن الأحول هذا الخبر عن ابن الأعرابي عن المفضل قال: قالت مُعَاذَةُ بنت بُجَيْر بن خَلَف للشماخ ومُزَرَّد: عرّضتُماني لشعراء العرب الحطّية وكعب بن زهير. فقال: كلا! لا تخافي. قالت: فما يؤمّنتني؟ قال: إنك ربّطتِ بباب بيتك جرّوي هراش لا يجترىء أحدٌ عليهما. يعينان أنفسهما. منازعته قوم امرأته إلى كثير بن الصلت:

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلام قال أخبرني شعيب بن صخر قال:

كانت عند الشماخ امرأة من بني سُلَيْم أحد بني حَرَام بن سِمَاك، فنازعته وأدّعته طلاقاً وحضر معها قومها فأختصموا إلى كثير بن الصلت - وكان عثمان بن عفّان أقمعه للنظر بين الناس، وهو رجل من كندة وعدّاه في بني جُمَح [وقد ولدتهم بنو جمح^(٤)] ثم تحوّلوا إلى بني العبّاس فهم فيهم اليوم - فرأى كثيرٌ عليهم يميناً، فالتوى الشماخ باليمين يحرضهم عليها، ثم حلف وقال:

[١٦٢/٩]

/ اتّني سُلَيْم قَضُها وقَضِضُها تمسّح حولي بالبقيع سبالها
يقولون لي يا أحلف^(٥) ولستُ بحالف أخاتلهم عنها لكيما أنالها

(١) عبارة ابن سلام «أشدّ أسر الكلام من لييد».

(٢) الكزّازة: اليبس والتقبض.

(٣) راجع الجزء الثاني ص ١٩٦ من هذه الطبعة.

(٤) هذه الجملة في الأصول ولم ترد في «طبقات لابن سلام».

(٥) في الأصول: «فاحلف» والتصويب عن «دير».

ففرجت هم النفس عني بحلفه كما شقت الشفراء عنها جلالها

أخبرني الحرَمي قال حدثنا الزُّبير بن بَكَار قال:

قَدِمَ نَاسٌ مِنْ بَهْزِ الْمَدِينَةِ يَسْتَغْدُونَ عَلَى الشَّمَاخِ وَزَعَمُوا أَنَّهُ هَجَاهُمْ وَنَفَاهُمْ، فَجَحَدَ ذَلِكَ الشَّمَاخُ. فَأَمَرَ عِشْمَانُ كَثِيرَ بَنِ الصَّلْتِ أَنْ يَسْتَحْلِفَهُ عَلَى مَنَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ: مَا هَجَاهُمْ. فَأَنْطَلَقَ بِهِ كَثِيرٌ إِلَى الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَتَتْحَاهُ دُونَ بَنِي بَهْزٍ - وَبَهْزُ: اسْمُهُ تَيْمٌ بَنُ سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ - فَقَالَ لَهُ: وَتِلْكَ يَا شَمَاخُ! إِنَّكَ لَتَحْلِفُ عَلَى مَنَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ حَلَفَ بِهِ آتِمًا يَتَبَوَّأُ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ! قَالَ: فَكَيْفَ أَفْعَلُ فِدَاؤُكَ أَبِي وَأُمِّي؟! قَالَ: إِنِّي سَوْفَ أَحْلِفُكَ مَا هَجَوْتَهُمْ، فَأَقْلِبَ الْكَلَامَ عَلَيَّ وَعَلَى نَاحِيَتِي فَقُلْ: وَاللَّهِ مَا هَجَوْتَكُمْ، فَأَرَدَنِي وَنَاحِيَتِي بِذَلِكَ، وَإِنِّي سَادَفَعْتُ عَنْكَ. فَلَمَّا وَقَفَ حَلَفَ كَمَا قَالَ لَهُ وَأَقْبَلَ كَثِيرٌ فَقَالَ: مَا هَجَوْتَكُمْ. فَقَالَتْ بَهْزُ: مَا عَنَى غَيْرُكُمْ، فَأَعَادَ الْيَمِينِ عَلَيْهِ. فَقَالَ: مَالِي أَتَاوَلَهُ! هَلْ أَسْتَحْلِفُهُ إِلَّا لَكُمْ! وَمَا الْيَمِينُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً! أَنْصَرَفَ يَا شَمَاخُ. فَانْصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَتَنِي سُلَيْمٌ قَضُّهَا وَقَضِيضُهَا تَمَسَّحُ حَوْلِي بِالْبَقِيعِ سِبَالُهَا
يَقُولُونَ لِي يَا أَحْلِفْ وَلَسْتُ بِحَالِفٍ أُخَادِعُهُمْ عَنْهَا لَكَيْمًا أَنْالُهَا
فَلَوْ لَا كَثِيرٌ نَعَمَ اللَّهُ بِأَلِهِ أَزَلْتُ^(١) بِأَعْلَى حُجَّتَيْكَ نَعَالُهَا
/ ففرجت هم الموت عني بحلفه كما شقت الشفراء عنها جلالها

١٠٤
٨

[١٦٣/٩] / سأله امرأة لا تعرفه عن قصته مع زوجته، وشعره في ذلك:

ونسخت هذا الخبر على التمام من كتاب يحيى بن حازم قال حدثني علي بن صالح صاحب المصلى قال قال

القاسم بن مَعْن:

كَانَ الشَّمَاخُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ فَأَسَاءَ إِلَيْهَا وَكَسَرَ يَدَهَا. فَعَرَضَتْ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهَا، يُقَالُ لَهَا أَسْمَاءُ ذَاتَ يَوْمٍ لِلطَّرِيقِ تَسْأَلُ عَنْ صَاحِبَتِهَا. فَأَجْتَاكَ الشَّمَاخُ وَهِيَ لَا تَعْرِفُهُ: فَقَالَتْ لَهُ: مَا فَعَلَ الْخَبِيثُ شَمَاخُ؟ فَقَالَ لَهَا: وَمَا تَرِيدِينَ مِنْهُ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ فَعَلَ بِصَاحِبَةٍ لَنَا كَيْتَ وَكَيْتَ. فَتَجَاهَلَ عَلَيْهَا وَقَالَ: لَا أَعْلَمُ لَهُ خَبْرًا، وَمَضَى وَتَرَكَهَا وَهُوَ يَقُولُ:

تُعَارِضُ أَسْمَاءُ الرِّفَاقَ عَشِيَّةً تَسَائِلُ عَنْ ضَمْنِ النِّسَاءِ التُّوَكَحِ
وَمَاذَا عَلَيْهَا إِنْ قَلَّوْصُ تَمَرُّغَتْ بِعَذْلِينَ أَوْ أَلْقَتْهُمَا بِالصَّحَاصِحِ^(٢)
فَإِنَّكَ^(٣) لَوْ أَنْكِحْتَ دَارَتْ بِكَ الرِّحَا وَأَلْقَيْتَ رَحْلِي سَمْعَةً غَيْرَ طَامِحِ
أَلْأَسْمَاءُ إِنْ نَسِيْتُ قَدْ أَتَانِي مَجْبُرٌ بِفَيْقَةٍ^(٤) يُنْبِيْ مَنْطِقًا غَيْرَ صَالِحِ

(١) أزلت: أزلقت. ومرجع الضمير فيه سليم خصومه.

(٢) كذا في ج: والصحاح: جمع صحصح وهو الأرض الجرداء المستوية. يريد: ماذا يهمها من امرأة أساءت عشرة زوجها فأدبها.

وفي سائر الأصول: «الصحاح» وهو تحريف.

(٣) كذا في «ديوانه»: يريد: لو تزوجتك دارت بك الرحى أي انقلب أمرك وتغير. وألقيت رحلي أي أنزلتني عندك وأكرمت مثواي.

وسمحة: منقاد. وغير طامح: غير ملتفتة إلى الرجال. وفي الأصول: «فإياك إن أنكحت».

(٤) فيقة الضحى: أولها وارتفاعها.

بَعَجْتُ إِلَيْهِ الْبَطْنَ ثُمَّ أَنْتَصَحْتُهُ وَمَا كُلُّ مَنْ يُفْشَى إِلَيْهِ بِنَاصِحٍ
وَأَنِّي مِنْ قَوْمٍ عَلَى أَنْ ذَمَّتِهِمْ^(١) إِذَا أَوْلَمُوا لَمْ يُؤْلَمُوا بِالْأَنَافِحِ^(٢)
وَأَنَّكَ مِنْ قَوْمٍ تَحِنُّ نَسَاؤُهُمْ إِلَى الْجَانِبِ الْأَقْصَى حِينَ الْمَنَائِحِ^(٣)

/ ثم دخل المدينة في بعض حوائجه، فتعلقت به بنو سليم يطلبونه بظلامه صاحبته، فأنكر. فقالوا: احلف، [١٦٤/٩] فجعل يطلب إليهم ويغلظ عليهم أمر اليمين وشدها عليه ليرضوا بها منه حتى رضوا، فحلف لهم وقال:

أَلَا أَصَبَحْتُ عَرْسِي مِنَ الْبَيْتِ جَامِحاً بَغِيرِ^(٤) بَلَاءٍ أَيُّ أَمْرِ بَدَا لَهَا
عَلَى خَيْرَةٍ^(٥) كَانَتْ أُمُّ الْعَرَسِ جَامِحٌ فَكَيْفَ وَقَدْ سُقْنَا إِلَى الْحَيِّ مَا لَهَا
سَتَرْجِعُ غَضَبِي رُتَّةَ الْحَالِ عِنْدَنَا كَمَا قَطَعْتُ مَنَّا بَلِيلَ وَصَالَهَا
فذكر بعد هذه الأبيات قوله:

أَتَنِي سُلَيْمٌ قَضَاهَا وَقَضِيضُهَا

إلى آخر الأبيات.

خطب امرأة فتزوجها أخوه جزء فماتا متهاجرين:

وقال ابن الكلبي:

كَانَ الشَّمَاخُ يَهْوَى امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهَا كَلْبَةٌ بَنَتْ جَوَالَ أَخْتِ جَبَلِ بْنِ جَوَالِ الشَّاعِرِ ابْنِ صَفْوَانَ بْنِ يِلَالِ بْنِ
أَصْرَمَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ عَبْدِ تَمِيمٍ بْنِ جَحَّاشِ بْنِ بَجَالَةَ بْنِ مَارِزَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وَكَانَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا وَيَقُولُ فِيهَا الشَّعْرَ؛ فَخَطَبَهَا
فَأَجَابَتْهُ وَهَمَّتْ أَنْ تَتَزَوَّجَهُ. ثُمَّ خَرَجَ إِلَى سَفَرٍ لَهُ فَتَزَوَّجَهَا أَخُوهُ جَزْءُ بْنُ ضِرَارٍ، فَأَلَى الشَّمَاخُ أَلَا يَكْلُمُهُ أَبَدًا، وَهَجَاهُ
بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

لَنَا صَاحِبٌ قَدْ خَانَ مِنْ أَجْلِ نَظَرَةٍ سَقِيمُ الْفَوَادِ حُبُّ كَلْبَةٍ شَاغِلَةٍ

فماتا متهاجرين.

/ استنشد المهدي بن دأب من أشعر ما قالت العرب فأنشده من شعره: [١٦٥/٩]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ الْوَرَّاقُ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ بَكْرِ
الزُّبَيْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى بْنِ رَبَاحٍ مَوْلَى الْأَنْصَارِ عَنْ أَبِي غَزِيَّةَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ:

كَنتُ عَلَى بَابِ الْمَهْدِيِّ يَوْمًا، فَخَرَجَ حَاجِبُهُ فَقَالَ: أَيْنَ ابْنُ دَأَبٍ؟ فَقَالَ: هَازِلًا. فَقَالَ: أَدْخُلْ؛ فَدَخَلَ ثُمَّ
خَرَجَ فَجَلَسَ. فَقُلْتُ: يَا بْنَ دَأَبٍ، / مَا جَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ قَالَ لِي: أَنْشِدْنِي آيَاتًا مِنْ أَشْعَرِ مَا ١٠٥

(١) كذا في «ديوانه» وفي الأصول: «قضيتهم».

(٢) الأنافح: جمع إنفحة (بكسر الهمزة وفتح الفاء) وهي كرش الحمل والجدي ما لم يأكلا، فإذا أكلا فهي كرش.

(٣) المنائح: جمع منيحة وهي المعارة للبن فهي تحن لوطنها.

(٤) كذا في «تجريد الأغاني». وفي «ديوانه»: «على غير شيء». وفي الأصول: «بغير بلاء» وهو تحريف.

(٥) أي على حالة خيرة. وأم للإضراب بمعنى بل.

قالت العرب؛ فأردت أن أنشده قولَ صاحبك أبي صِرْمةَ الأنصاري التي يقول فيها:

لنا صُورٌ يؤول الحقُّ فيها وأخلاقٌ يَسُود بها الفقيرُ
ونصحٌ للعشيرة حيث كانت إذا مُلئت من الغشِّ الصدور
وجِلْمٌ لا يَصُوب الجهلُ فيه وإطعامٌ إذا قَحِطَ الصَّيْرُ^(١)
بذات يدٍ على ما كان فيها نجود^(٢) به قليلٌ أو كثير

فتركها وقلت: إن من أشعر ما قالت العرب قولَ الشَّماخ:

وأشعثٌ قد قَدَّ الشَّفارُ^(٣) قميصه يجرُ شِواءً^(٤) بالعصا غيرَ مُنْضَج
دعوتُ إلى ما نابني فأجابني كريمٌ من الفتيان غيرَ مُزَلَّج^(٥)
فتى يملأ الشَّيزى^(٦) ويُرْوي سِنانه ويضرب في رأس الكَمِيِّ المُدَجَّج
فتى ليس بالراضى بأدنى معيشة ولا في يسوت الحيِّ بالمتولِّج

[١٦٦/٩] / فقال: أحسنت! ثم رفع رأسه إلى عبدالله بن مالك فقال: هذه صفتك يا أبا العباس. فأكبَّ عليه عبدالله فقبَّل رأسه وقال: ذكرك الله بخير الذكر يا أمير المؤمنين. قال أبو عُزَيَّة فقلت له: الأبيات التي تركت والله أشعرُ من التي ذكرت.

عرابة الذي مدحه ونسبه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

عَرَابَةُ الذي عناه الشَّماخ بمدحه هو أحد أصحاب النبي ﷺ وهو عرابة بن أَوْس بن قَيْظِي بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث بن الخَزَرَج. وإنما قال له الشَّماخ: عرابة الأَوْسِي، وهو من الخَزَرَج، نسبةً إلى أبيه أَوْس بن قَيْظِي. ولم يصنع إسحاق في هذا القول شيئاً. عَرَابَةُ من الأَوْس لا من الخَزَرَج؛ وفي الأَوْس رجل يقال له الخَزَرَج ليس هذا هو الجدُّ الذي ينتهي إليه الخَزَرَجِيُّونَ الذي هو أخو الأَوْس، هذا الخَزَرَج بن النَّبِيَّت بن مالك بن الأَوْس، وهكذا نسبه النسابون.

أتى عرابة النبي في غزاة أحد مع غلْمة فردَّهم:

وأخبرني به الحَرَمِي بن أبي العَلَاء عن عبدالله بن جعفر بن مُصْعَب عن جده مصعب الزُّبَيْرِي عن ابن القَدَّاح: وأتى النبي ﷺ في غَزَاة أُحُد ليغزو معه؛ فردَّه في غِلْمة استصغروهم: منهم عبدالله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأُسَيْد بن حُضَيْر والبراء بن عازب وعَرَابَةُ بن أَوْس وأبو سعيد الخُدْرِي.

(١) الصبير: السحاب الأبيض لا يكاد يطر.

(٢) في الأصول: «يجود». والسياق يقتضي ما أثبتناه.

(٣) الشفار: السفر، أي رب أشعث شقت كثرة السفر وكثرة العمل لرفقائه ثوبه.

(٤) في «ديوانه»: «وجر الشواء بالعصا غير منضج».

(٥) المزلاج: الملتصق بالقوم وليس منهم، والرجل الناقص المروءة.

(٦) الشيزي: خشب تتخذ منه القصاع.

أخبرني بذلك محمد بن جرير الطبري عن الحارث بن سعد عن الواقدي عن محمد بن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق.

قصة أبي عرابة وعنه مع النبي:

وأوس بن قنظي أبو عرابة من المنافقين الذين شهدوا أحداً مع النبي ﷺ وهو الذي قال له: إن بيوتنا عورة. وأخوه مزبع^(١) بن قنظي الأعمى / الذي حنّ في وجه رسول الله ﷺ التراب لما خرج إلى أحد وقد مرّ في حائطه^(٢) ١٦٧/٩ وقال له: إن كنت نبياً فما أحلّ لك أن تدخل في حائطي. فضربه سعد بن زيد الأشهلي بقوسه فشجّه وقال: دغني يا رسول الله أقتله فإنه منافق. فقال ﷺ: «دعوه فإنه أعمى القلب أعمى البصر». فقال أخوه أوس بن قنظي أبو عرابة: لا والله / ولكنها عداوتكم يا بني عبد الأشهل. فقال رسول الله ﷺ: «لا والله ولكنه نفاقكم يا بني قنظي».

١٠٦
٨

كان عرابة سيداً في قومه وأبوه من وجوه المنافقين:

أخبرنا بذلك الحرّمي عن عبدالله بن جعفر الزبيري عن جده مضعب عن ابن القدّاح:

أن عرابة كان سيداً من سادات قومه وجواداً من أجوادهم، وكان أبوه أوس بن قنظي من وجوه المنافقين.

لقي الشماخ بالمدينة فأكرمه فمدحه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جعْدبة، وأخبرني عليّ بن سليمان عن محمد بن يزيد، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبدالله بن مسلم:

أن الشماخ خرج يريد المدينة، فلقاه عرابة بن أوس فسأله عما أقدمه المدينة، فقال: أردت أن أمتار لأهلي. وكان معه بغيران فأوقرهما له بُراً وتمراً وكساه وبرّه وأكرمه. فخرج عن المدينة وأمتدحه بهذه القصيدة التي يقول فيها:

رأيت عرابة الأوسيّ يسمو إلى الخيرات منقطع القرين

سأله معاوية بأي شيء سدت فأجابه:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثنا الرياشي قال حدّثنا الأصمعيّ قال:

/ قال معاوية لعرابة بن أوس: بأي شيء سدت قومك؟ فقال: أعفو عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى ١٦٨/٩ في حاجاتهم، فمن فعل كما أفعل فهو مثلي، ومن قصّر عنه فأنا خير منه، ومن زاد فهو خير مني. قال الأصمعيّ: وقد انقرض عقب عرابة فلم يبق منهم أحد.

اعترض عليه ابن دأب في شعره لابن جعفر:

أخبرني أحمد بن يحيى بن محمد بن سعيد الهمداني قال قال يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال ابن دأب وسمع قول الشماخ بن ضرار في عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

(١) كذا في «سيرة ابن هشام» ص ٥٥٩. وفي الأصول: «مرفع» بالفاء.

(٢) الحائط: البستان.

إنك يَا بَنَ جَعْفَرٍ نِعَمَ الْفَتَى ونعم مأوى طارقي إذا أتى
وجارُ ضيفِ طَرَقِ الْحَيِّ مُرَى صادف زاداً وحديثاً ما أشتهى
إن الحديثَ طَرَفٌ مِنَ الْقَرَى

فقال ابن دأب: الْعَجَبُ لِلشَّمَاخِ! يقول مثل هذا لابن جعفر ويقول لعرابة:

إذا ما رايَةً رُفِعَتْ لمجد تلقّاها عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ
ابن جعفر كان أحقّ بهذا من عرابة!

نقد أبو نواس بيتاً له ووازنه بشعر الفرزدق:

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكَيْعٍ قال حَدَّثَنِي الْكُرَانِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قال حَدَّثَنِي طَائِعٌ قال أَخْبَرَنِي أَبُو عَمْرٍو
الْكَيْسُ قال قال لي أَبُو نَوَاسٍ: ما أحسن الشَّمَاخُ في قوله:

إذا بَلَّغْتَنِي وحملتِ رحلي عَرَابَةٌ فَأَشْرَقِي بدمِ الْوَتِينِ^(١)

[١١٦٩/٩] / لا كما قال الفرزدق:

عَلَامٌ تَلَفَّتَيْنِ وَأَنْتِ تَحْتِي وخيرُ النَّاسِ كُلُّهُمْ أَمَامِي
مَتَى تَرِدِي الرُّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي من التَّهْجِيرِ^(٢) وَالذَّبْرِ الدَّوَامِي

قلت أنا: وقد أخذ معنى قول الفرزدق هذا داوُدُ بْنُ سَلَمٍ في مدحه قُثَمُ بْنُ الْعَبَّاسِ فَأَحْسَنَ فَقَالَ:

نَجَوْتُ مِنْ حِلِّي وَمِنْ رِخْلَتِي يَا نَسَاقُ إِنْ أَدْنَيْتَنِي مِنْ قُثَمٍ
إِنَّكَ إِنْ أَدْنَيْتَ مِنْهُ غَدَاً حَالَفْنَا الْيُسْرُ وَمَاتَ الْعَدَمُ
/ فِي كَفِّهِ بَحْرٌ وَفِي وَجْهِهِ بَدْرٌ وَفِي الْعِرْنَيْنِ مِنْهُ شَمَمُ
أَصَمُّ عَنْ قَيْلِ الْخَنَّا سَمْعُهُ وَمَا عَنِ الْخَيْرِ بِهِ مِنْ صَمَمٍ
لَمْ يَذِرْ مَا «لَا» وَ«بَلَى» قَدْ دَرَى فَعَافَهَا وَاعْتَاضَ مِنْهَا «نَعَم»

١١٧
٨

نقد عبدالملك بن مروان شعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حَدَّثَنَا الْخَرَّازُ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ:

أَنشَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَوْلَ الشَّمَاخِ فِي عَرَابَةِ بْنِ أَوْسٍ:

إذا بَلَّغْتَنِي وحملتِ رحلي عَرَابَةٌ فَأَشْرَقِي بدمِ الْوَتِينِ

فقال: بشت المكَافأةُ كَافَاها! حملتُ رحله وبَلَّغْتُهُ بُغْيَتَهُ فجعل مكافأتها نَحْرَهَا!

(١) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

(٢) التهجير: المشي في الهاجرة. والدبر (بفتحتين) جمع دبرة (بفتحتين) وهي قرحة الدابة.

المهلب والشعراء:

قال الخَرَّاز: ومثل هذا ما حدثناه المدثني عن ابن دأب أن رجلاً لقي المهلبَ فتمحَّر ناقتَه في وجهه؛ فتطَيَّر من ذلك وقال له: ما قصَّتكَ؟ فقال:

إنني نذرتُ لثَن لَقِيْتُكَ سالماً أن تستمرَّ بها شِفَارُ الجازر
فقال المهلب: فأطعمونا من كَبِد هذه المظلومة، ووصله.

قال المدائني: ولقيته امرأة من الأزد وقد قَدِم من حرب كان نهض إليها، فقالت: أيها الأمير، إنني نذرتُ إن وافيتك سالماً أن أقبل يدك وأصوم يوماً / وتهب لي جارية صُغدية^(١) وثلاثمائة درهم. فضحك المهلب وقال: قد [١٧٠/٩] وفينا لك بنذرِكَ فلا تعاودي مثله، فليس كل أحد يفِي لك به.

المهدي وأبو دلامة:

وأخبرني الحسن قال حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدثني بعض أصحابنا عن القَحْذَمي: أن أبا دُلامة لقي المهديَّ لما قَدِم بغداد، فقال له:

إنني نذرتُ لثَن رأيتُكَ وارداً أرضَ العراق وأنت ذو وَفَر
لَتَصْلِيَنَّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَلَتَمْلَأَنَّ دِرَاهِمًا حِجْرِي
فقال له: أما النبيَّ فصلَّى الله على النبيِّ محمد وآله وسلَّم، وأما الدراهم فلا سبيلَ إليها. فقال له: أنت أكرمُ من أن تُعْطِيَنِي أسهلَّهما عليك وتمنَّعني الأخرى. فضحك وأمر له بما سأل. وهذا مما ليس يجري في هذا الباب ولكن يُذكر الشيء بمثله.

لطيفة الأهرابي على مائدة عبدالملك بن مروان بسبب بيت له:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهرِي قال حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدثنا مسعود بن عيسى العبديُّ قال حدثني أحمد بن طالب الكتاني (كنانة تَغْلِب)، وأخبرني به محمد بن أحمد بن الطَّلَّاس عن الخَرَّاز عن المدائني لم يتجاوز به قال:

نصَّب عبدالملك بن مروان الموائد يُطعم الناس؛ فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد. فنظر إليه خادمٌ لعبدالملك فأنكره، فقال له: أعراقي أنت؟ قال: نعم. قال: أنت جاسوس؟ قال: لا. قال: بكى. قال: وَيَحَاكَ! دَعْنِي أتهنأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغصني به. ثم إن عبدالملك وقف على تلك المائدة فقال مَنِ القائل:

/ إذا الأَرطَى^(٢) توسَّد أبْرَدَيْهِ خدودُ جوازيءٍ بِالرَّمْلِ عَيْنِ [١٧١/٩]

(١) صغدية: نسبة إلى الصغد وهي كورة قصبتها سمرقند.

(٢) قال البغدادي نقلاً عن ابن قتيبة: الأَرطَى: شجر من أشجار البادية تدبغ به الجلود. وهو مفعول لفعل محذوف أي إذا توسَّد الأَرطَى. وأبرديه بدل اشتغال من الأَرطَى. ومعنى توسَّد أبرديه: اتخذهما كالوسادة. والأبردان: الظل والقيء، سمياً بذلك لبردهما، والأبردان أيضاً: الغداة والعشي. وخدود فاعل توسَّد. والجوازيء: الظباء وبقر الوحش، سميت جوازيء لأنها اجتازت بأكل الثبث الأخضر عن الماء. قال في «اللسان» في مادة جزأ: الظباء لا تعني في هذا البيت كما ذهب إليه ابن قتيبة؛ لأن الظباء لا تجزأ بالكلأ عن الماء، وإنما عني البقر. ويقوي ذلك أنه قال عين، والعين من صفات البقر لا من صفات الظباء. والعين: الواسعات العيون، =

وما معناه؟ ومن أجاب فيه أجزأه، والخادم يسمع. فقال العراقي للخادم: أتحب أن أشرح لك قائله وفيه قاله؟ قال: نعم. قال: يقوله عدي بن زيد في صفة البطيخ الرئسي. فقال ذلك الخادم. فضحك عبد الملك حتى سقط. فقال له الخادم: أخطأت أم أصبت؟ فقال: بل / أخطأت. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا العراقي فعل الله به وفعل لقنتيه. فقال: أي الرجال هو؟ فأراه إياه. فعاد إليه عبد الملك وقال: أنت لقنته هذا؟ قال: نعم. قال: أخطأ لقنته أم صواباً؟ قال: بل خطأ. قال: ولم؟ قال: لأنني كنت متحرماً بمائدتك فقال لي كيت وكيت، فأردت أن أكف عني وأضحكك. قال: فكيف الصواب؟ قال: يقوله الشماخ بن ضرار الغطفاني في صفة البقر الوحشية قد جزأت بالرطب عن الماء. قال: صدقت وأجازه، ثم قال له: حاجتك؟ قال: تنحني هذا عن بابك فإنه يشينه.

سأل كثير يزيد بن عبد الملك عن معنى بيت له فسيه:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال كتب إلي إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن أبا عبيدة حدثه عن غير واحد من أهل المدينة:

١٧٢/٩ / أن يزيد بن عبد الملك لما قدم عليه الأحوص وصله بمائة ألف درهم. فأقبل إليه كثير يرجو أكثر من ذلك، وكان قد عوده من كان قبل يزيد من الخلفاء أن يلقي عليهم بيوت الشعر ويسألهم عن المعاني. فلقى على يزيد بيتاً وقال: يا أمير المؤمنين، ما يعني الشماخ بقوله:

فما أروى وإن كرمث علينا بأدنى من موقفة حرون^(١)

تطيف على الرماة فتقيهم بأوعالٍ مغطفة القرون^(٢)

فقال يزيد: وما يضر يا ماص بظير أمه ألا يعلم أمير المؤمنين هذا! وإن احتاج إلى علمه سأله عبداً مثلك عنه! فندم كثير وسكته من حضر من أهل بيته، وقالوا له: إنه قد عوده من كان قبلك من الخلفاء أن يلقي عليه أشباه هذا، وكانوا يشتهونه منه ويسألونه إياه؛ فطفيء عنه غضبه. وكانت جائزته ثلاثين ألفاً، وكان يطعم في أكثر من جائزة الأحوص.

وأخبرنا أبو خليفة بهذا الخبر عن محمد بن سلام فذكر أنه سأل يزيد عن قول الشماخ:

وقد عرقت مغابنها وجادت بدرتها قرى حجن قتين^(٣)

= جمع عيناء. والمعنى: أن الوحوش تتخذ كناسين عن جانبي الشجر تستتر فيهما من حر الشمس فتترقد قبل زوال الشمس في الكناس الغربي، فإذا زالت الشمس إلى ناحية المغرب وتحول الظل فصار فينا زالت عن الكناس الغربي ووقدت في الكناس الشرقي. (راجع «ديوانه» ص ٩٤).

(١) كذا في جـ و «ديوانه». وقد جاء فيه شرح هذا البيت هكذا: الموقفة: الأروية (أنثى الوعل) التي في قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل. والوقف: الخلاخال. والتوقيف: البياض مع السواد. فأراد أن في قوائمها خطوطاً تخالف لونها. والحرون: التي تحرن في أعلى الجبل فلا تبرح. وأروى: اسم محبوبته. يريد أن محبوبته ليست بأقرب من هذه الأروية التي لا تتال. وفي سائر الأصول: «مفوقة» وهو تحريف.

(٢) أي تطيف بهذه الأروية الرماة فلا تبرح لأنها في أعلى الجبل ودونها أو عال فلا يصل إليها نبل الرماة، لأنهم يرمون الأوعال لأنها أقرب إليهم فكانها بقي نفسها بها. وإنما يؤكد بهذا بعدها وأنها لا يقدر عليها.

(٣) كذا في «ديوانه» و «اللسان» مادة «حجن وجمحن» والمغابن: الآباط، وقيل: الأرفاغ. والقنتين: مثل الحجن، أراد به قراداً سعى «الغذاء، وجعل عرق هذه الناقة قوتاً له. وفي الأصول: «بدرتها بها حجن قتين».

/ فسكت عنه يزيد، فقال يزيد: وما على أمير المؤمنين لا أم لك ألا يعرف هذا! هو القُرَاد أشبه الدواب بك! [١٧٣/٩]
تمثل ابن الزبير بييت له في حوار له معاوية:

نسخت من كتاب يحيى بن حازم حدثنا علي بن صالح صاحب المصلى قال حدثنا ابن دأب قال:

قال معاوية لعبدالله بن الزبير وهو عنده بالمدينة في أناس: يَا بَنَ الزُّبَيْرِ، أَلَا تَعْدِرُنِي فِي حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ! مَا رَأَيْتَهُ مُذْ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ إِلَّا مَرَّةً. قال: دَغَ عَنْكَ حَسَنًا، فَأَنْتَ وَاللَّهِ وَهُوَ كَمَا قَالَ الشَّمَاخ:

أَجَامِلُ أَقْوَاماً حَيَاءً وَقَدْ أَرَى صَدُورَهُمْ تَغْلِي عِلِّيَّ مِرَاضُهَا

والله لو يشاء حسن أن يضربك بمائة ألف سيف ضربك! والله لأهل العراق أراهم له من أم الحُوار لحوارها. فقال معاوية رحمه الله: أردت أن تُغريني به! والله لأصلن رَحِمَهُ ولأقيلن عليه، وقال:

أَلَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْمُحَرِّشُ بَيْنَنَا أَلَا أَقْتُلُ أَخَاكَ لَسْتُ قَاتِلَ أَرْبَدٍ

أَبَى قُرْبُهُ مِنِّي وَحَسَنُ بِلَائِهِ وَعِلْمِي بِمَا يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ فِي غَدٍ

- والشعر لعروة بن قيس - فقال ابن الزبير: أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي وَإِيَّاهُ لَيَكِدُ عَلَيْكَ بِحِلْفٍ^(١) / الفضول. فقال معاوية: من [١٧٤/٩] أنت! لا أعرض لك وحلف الفضول! والله ما كنت فيها إلا كالرَّهينة / تُتَخَنُ معنا وتزدى هزلاً، كما قال أخو^{١٠} هَمْدَان:

إِذَا مَا بَعِيرٌ قَامَ عَلَّقَ رَحْلَهُ وَإِنْ هُوَ أَبْقَى بِالْحَيَاةِ مُقَطَّعًا^(٢)

صوت من مدن معبد

صوت معبد في شعر كثير بن كثير بن المطلب:

وهو الذي أوله:

كم بذاك الحَجُون من حيِّ صدقي

أَسْعِدَانِي بِعَبْرَةِ أَمْرَابٍ مِنْ شَوْوَن كَثِيرَةِ التَّشْكَابِ

إِنْ أَهْلَ الْحِصَابِ قَدْ تَرَكُونِي مُوزَعًا مُوَلَّعًا بِأَهْلِ الْحِصَابِ

كَمْ بِذَاكَ الْحَجُون مِنْ حَيِّ صِدْقِي وَكَهُولِ أَعْفَى وَشَبَابِ

سَكَنُوا الْجَزْعَ جَزَعُ بَيْتِ أَبِي مَوْ سَى إِلَى النَّخْلِ مِنْ صُفِيِّ السَّبَابِ

(١) حلف الفضول: حلف تداعت له قريش واجتمعوا من أجله في دار عبدالله بن جدعان تعاهدوا فيه على ألا يجدوا بمكة مظلوماً إلا ردوا عليه مظلّمته، كان قبل البعث بعشرين سنة. وأول من دعا إليه الزبير بن عبدالمطلب. ومسيبه أن رجلاً من زبيد قدم مكة بتجارة له، فاشترها منه العاص بن وائل وحبس عنه ثمنها. فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف من قريش فأبوا أن يعينوه على العاص لمكانته فيهم. فأرقى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة فصاح بأعلى صوته:

يَا آلَ فَهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتِهِ يَبْطُلُنْ مَكَّةَ نَائِسِي الْبَدَارِ وَالنَّفْسِ

فقام الزبير بن عبدالمطلب واجتمعت هاشم وزهرة وقيم في دار ابن جدعان وتعاهدوا ليكونون يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي عليه حقه. فسمي ذلك الحلف حلف الفضول وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر. ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي وردوها إليه.

(٢) كذا ورد هذا البيت في الأصول.

فَارَقُونِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِيناً مَا لِمَنْ ذَاقَ مَيْتَةً مِنْ إِيَابِ
فَلَيْ الْوَيْلُ بَعْدَهُمْ وَعَلَيْهِمْ صَرْتُ فَرِداً وَمَلَّنِي أَصْحَابِي

عَرَوْضُهُ مِنَ الْخَفِيفِ. الشُّوْنُ: الشُّعْبُ الَّذِي يَتَدَاخَلُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ مِنْ عِظَامِ الرَّأْسِ، وَاحِدُهَا شَأْنٌ مَهْمُوزًا. وَالْجِزْعُ: مَنَعَطُ الْوَادِي. وَصُفِيٌّ^(١) السَّبَابُ: جَمْعُ صَفَاةٍ وَهِيَ الْحِجَارَةُ. وَلُقُبْتُ صُفِيَّ السَّبَابِ لِأَنِّي قَوْمًا مِنْ قُرَيْشٍ وَمَوَالِيهِمْ كَانُوا يَخْرُجُونَ إِلَيْهَا بِالْعَشِيَّاتِ يَتَشَاتَمُونَ وَيَذْكُرُونَ الْمَعَابِ وَالْمَثَالِبَ الَّتِي يُرْمَوْنَ بِهَا؛ فَسُمِّيَتْ تِلْكَ الْحِجَارَةُ صُفِيَّ السَّبَابِ.

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ التُّوفَلِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ يَقَالُ: صَفَا السَّبَابِ وَصُفِيَّ السَّبَابِ [١٧٥/٩] بِفَتْحِ الْفَاءِ وَكسرها جميعاً، وَهُوَ شُعْبٌ مِنْ / شُعَابِ مَكَّةَ فِيهَا صَفَاٌ أَيْ صَخْرٌ مَطْرُوحٌ. وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَخْرُجُ فَتَقِفُ عَلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَيَفْتَخِرُونَ ثُمَّ يَتَشَاتَمُونَ وَذَلِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَا يَفْتَرِقُونَ إِلَّا عَنْ قِتَالٍ؛ ثُمَّ صَارَ ذَلِكَ فِي صَدْرِ مِنَ الْإِسْلَامِ أَيْضاً حَتَّى نَشَأَ سُذَيْفٌ مَوْلَى عُتْبَةَ^(٢) بْنِ أَبِي سُذَيْفٍ وَشَيْبٌ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ، فَكَانَ هَذَا يَخْرُجُ فِي مَوَالِي بَنِي هَاشِمٍ وَهَذَا فِي مَوَالِي بَنِي أُمَيَّةَ، فَيَفْتَخِرُونَ ثُمَّ يَتَشَاتَمُونَ ثُمَّ يَتَجَالَدُونَ بِالسُّيُوفِ. وَكَانَ يَقَالُ لَهُمُ الشُّذَيْفِيَّةُ وَالشُّيْبِيَّةُ. وَكَانَ أَهْلُ مَكَّةَ مُقْتَسِمِينَ بَيْنَهُمَا فِي الْعَصِيَّةِ؛ ثُمَّ دَرَسَ ذَلِكَ فَصَارَتِ الْعَصِيَّةُ بِمَكَّةَ بَيْنَ الْجَزَارِينَ وَالْحَنَاطِينَ، فَهِيَ بَيْنَهُمْ إِلَى الْيَوْمِ، وَكَذَلِكَ بِالْمَدِينَةِ فِي الْقِمَارِ وَغَيْرِهِ.

الشَّعْرُ لِكَثِيرٍ بِنِ كَثِيرٍ بِنِ الْمُطْلَبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ السَّنْهَمِيِّ، وَقِيلَ: بَلْ هُوَ لِكَثِيرٍ عَزَّةَ. وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ خَبَرٌ نَذَرَهُ. وَالْغِنَاءُ لِمَعْبَدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاقَ. وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّ فِيهِ ثَقِيلًا أَوَّلًا بِالْخَنْصَرِ لِلْغَرِيضِ وَلِحْنًا آخَرَ لِابْنِ عَبَّادٍ وَلَمْ يَجُثَّهِ. وَلِابْنِ جَامِعٍ فِي الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى. وَلِابْنِ سُرَيْجٍ فِي الْأَرْبَعَةِ الْأَوَّلِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ. وَلِابْنِ أَبِي دُبَاكِلَ الْخُزَاعِيِّ فِيهَا ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ وَأَبِي أَيُّوبَ الْمَدَنِيِّ وَحَبَشٍ. فَمَنْ رَوَى هَذَا الشَّعْرَ لِكَثِيرٍ عَزَّةَ يَرُوهُ:

إِنَّ أَهْلَ الْخَضَابِ قَدْ تَرَكَونِي

١١٠ / وَيَزْعَمُ أَنَّ كَثِيرًا قَالَهُ فِي خَضَابٍ / خَضَبَتْهُ عَزَّةُ بِهِ.

ابْنُ عَائِشَةَ يَذْكُرُ بِحَادَّةٍ لِكَثِيرٍ وَعَزَّةٌ فِيغْنِي بِشَعْرٍ:

أَخْبَرَنِي بِخَبْرِهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شَبَّةَ وَلَمْ يَتَجَاوِزْهُ، وَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّبَيْرِيُّ / قَالَ حَدَّثَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ أَيْضاً وَفِيهِ زِيَادَةٌ وَخَبْرُهُ أَحْسَنُ وَأَكْثَرُ تَلْخِيصاً وَأَدْخَلَ فِي مَعْنَى الْكِتَابِ، قَالَ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ:

خَرَجْتُ إِلَى نَاحِيَةِ فَيْدٍ^(٣) مَنَزَّهَا، فَرَأَيْتُ ابْنَ عَائِشَةَ يَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْ آلِ الزُّبَيْرِ وَإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى يَدِ هَذَا وَالْآخَرَى عَلَى يَدِ هَذَا، وَهُوَ يَمْشِي بَيْنَهُمَا كَأَنَّهُ امْرَأَةٌ تُجَلِّي عَلَى زَوْجِهَا. فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ دَنَوْتُ فَسَلَّمْتُ وَكُنْتُ أَحَدُ الْقَوْمِ سِنَاءً، فَأَشْتَهَيْتُ غِنَاءَ ابْنِ عَائِشَةَ فَلَمْ أَدْرِ كَيْفَ أَصْنَعُ. وَكَانَ ابْنُ عَائِشَةَ إِذَا هَيَّجَتْهُ تَحَرَّكَ. فَقُلْتُ: رَحِمَ اللَّهُ كَثِيرًا

(١) صُفِيٌّ: جَمْعُ صَفَاةٍ، وَصَفَاةٌ جَمْعُ صَفَاةٍ. فَصُفِيٌّ جَمْعُ الْجَمْعِ لَصَفَاةٍ.

(٢) فِي جَدِّ: «مَوْلَى بَنِي عُتْبَةَ بْنِ سُدَيْفٍ».

(٣) فَيْدٌ: مَنَزَلٌ بِطَرِيقِ مَكَّةَ.

وعزة! ما كان أوفاهما وأكرمهما لأنفسهما! لقد ذكرتُ بهذه الأودية التي نحن فيها خبر عزة حين خضبت كثيراً. فقال ابن عائشة: وكيف كان حديث ذلك؟ قلت: حدثني من حضره بذلك - ومن ها هنا تتفق رواية عمر بن شبة والزبير - قال: خرج كثير يريد عزة وهي منتجة بالصواري وهي الأودية بناحية فذك، فلما كان منها قريباً وعلم أن القوم جلسوا عند أنديةهم للحديث بعث أعرابياً فقال له: اذهب إلى ذلك الماء فإنك ترى امرأة جسيمة لحيمة تبالط الرجال الشعر - قال إسحاق: المبالطة: أن تُنشد أول الشعر وآخره - فإذا رأيته فناد: من رأى الجمال الأحمر؟ مراراً. ففعل. فقالت له: ويحك قد أسمعت فأنصرف إليه فأخبره. فلم يلبث أن أقبلت جارية معها طشت وتور^(١) وقربة ماء حتى أنتهت إليه، ثم جاءت بعد ذلك عزة فرأته جالساً محتبياً قريباً من ذراع راحلته. فقالت له: ما على هذا فارتكتك! فركب راحلته وهي باركة وقامت إلى لحيته فأخذت التور فخضبت به وهو على ظهر جملة حتى فرغت من خضابه، ثم نزل فجعل يتحدثان حتى علق الخضاب، ثم قامت إليه فغسلت لحيته ودهنته، ثم قام فركب وقال:

/ إن أهل الخضاب قد تركوني / مُوزعاً مُولماً بأهل الخضاب [١٧٧/٩]

وذكر باقي الأبيات كلها. وإلى ها هنا رواية عمر بن شبة. فقال ابن عائشة: فانا والله أغني وأجيد، فهل لكم في ذلك؟ فقلنا: وهل لنا عنه مدفع! فاندفع يغني بالأبيات، فحُيِّل إلي أن الأودية تنطق معه حسناً. فلما رجعنا إلى المدينة قصصت القصة، فقل لي: إن ذلك أحسن صوت يغني ابن عائشة؟ فقلت: لا أدري إلا أنني سمعت شيئاً وافق محبتي.

معبد وابن سريج يكيان أهل مكة بفنائهما:

وقال عبدالله بن أبي سعد حدثني عبدالله بن الصباح عن هشام بن محمد عن أبيه قال:

زار معبد ابن سريج والغريض بمكة؛ فخرجا به إلى التنعيم^(٢) ثم صاروا إلى الشيبة العليا ثم قالوا: تعالوا حتى نُبكي أهل مكة؛ فاندفع ابن سريج فغنى صوته في شعر كثير بن كثير السهمي:

أسمع ديني بعبرة أنراب / من دموع كثيرة الشكاب

فأخذ أهل مكة في البكاء وأثوا حتى سُمع أنيهم. ثم غنى معبد:

صوت

يا راكباً نحو المدينة جسرة / أجداً^(٣) تلاعب حلقه وزماما

/ اقرأ على أهل البقيع من أمرى / كمد على أهل البقيع سلاما

كم غيوا فيه كريماً ما جداً / شهماً ومقتبل الشباب غلاما

ونفيسة في أهلها مرجوة / جمعت صباحة صورة وتماما

(١) تور: إناء صغير.

(٢) التنعيم: موضع بمكة على بعد فرسخين منها. ومنه يحرم المكيبون بالعمرة.

(٣) ناقة جسرة: ضخمة. وأجد: قوية موقفة الخلق.

فنادوا من الدروب بالويل والحرب والسلب، وبقي الغريض لا يقدر من البكاء والصراخ أن يغني.

[١٧٨/٩] / الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لمعبد ثقل أول بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أنه ليحيى المكي، وقد غلط. وذكر حبش أن لعلويه فيه ثقيلاً أول آخر.

صوت من مدن معبد في شعر قيس بن ذريح:

ومن مدن معبد.

صوت

وقد أضيف إليه غيره من القصيدة:

سلي^(١) هل قلاني من عسير صحتي
وهل يجتوي القوم الكرام صحابي
ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني
تكاد بلاد الله يا أم معمر
أدود سوام الطرف عنك وهل لها
وحدثني يا قلب أنك صابر
مث كمداً أو عيش سقيماً فإنما
بلبني أنادي عند أول غشية
إذا ذكرت لبني تجلثك زفرة
وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق
إذا أغبر مخشي الفجاج عميق
لكم والهدايا المشعرات صديق
بما رحت يوماً علي تضيق
إلى أحد إلا إليك طريق
على الين من لبني فسوف تذوق
تكلنني مالا أراك تطيق
ولو كنت بين العائدات أفيق
ويثني لك الداعي بها فتفيق

عروضه من الطويل. الشعر لقيس بن ذريح. والغناء لمعبد في اللحن المذكور ثقل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق في الأول والثاني والثالث. وذكر في موضع. آخر وافقته^(٢) دنانير أن لمعبد ثقيلاً أول بالبنصر في مجرى الوسطى أوله:

صوت /

[١٧٩/٩]

أنجم قلباً بالعراق فريقه
فكيف بها لا الدار جامعة النوى
ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني
ومنه بأطلال الأراك فريق
ولا أنت يوماً عن هواك تفيق
لكم والهدايا المشعرات صديق

البيتان الأولان يرويان لجرير وغيره، والثالث لقيس بن ذريح أضافه إليهما معبد. وذكر عمرو ويونس أن لحن معبد

(١) في الأصول: «سلا» والخطاب لأنثى. وقبل البيت:

وإن كنت لما تخبريني فإثلي فبعض الرجال للرجال رموق

(راجع هذه القصيدة بتمامها في «الأمال» ج ٢ ص ٢٥٧) والقصيدة فيه منسوبة لمضر بن قريط بن الحارث المزني.

(٢) كذا بالأصول: ولعله: ومراقته دنانير. أو: وافقته دنانير.

الأول في خمسة أبيات أولى من الشعر. وذكر عمرو بن بانة أن لبذل الكبيرة خفيف رمل بالوسطى في الرابع من الأبيات وبعده:

دَعَوْنَ الهوى ثم أَرْتَمَيْنَ قلوبنا بأعين أعداء وهن صديق

وبعده الخامس من الأبيات وهو «أذود سَوَامَ الطَّرْفِ». وزعم حَبَش أن في لحن معبد الثاني الذي أوله: «أتجمع قلباً» لابن سُرَيْج خفيف رمل بالنصر، وذكر أيضاً أن للغريض / في الأول والثاني والسابع ثاني ثقيل بالنصر، ولابن ١١٢/ مَسْجَع خفيف رمل بالنصر. وفي السادس وما بعده لحكم الوادي ثقيل أول بالسبابة في مجرى النصر عن إسحاق. وذكر حَبَش أن للغريض فيها ثقيل أول بالوسطى.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسنادی

/ ذكر قيس بن ذريح ونسبه وأخباره

[١٨٠/٩]

نسبه:

هو، فيما ذكر الكلبي والقحذمي وغيرهما، قيس بن ذريح بن سُنَّة بن حُذَافَة بن طَريف بن عَتَوَارَة بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبد مَنَاة وهو علي بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُذَرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار. وذكر أبو شُرَاعَة القَيْسِي^(١) أنه قيس بن ذريح بن الحُبَاب بن سُنَّة؛ وسائر النسب متفق. واحتج بقول قيس:

فإن يك تهَيامي بلبَنى غَوَايَة فقد يا ذَرِيحُ بنَ الحُبَابِ غَوَيْتُ

وذكر القحذمي أن أمه بنتُ سُنَّة بن الذاهل^(٢) بن عامر الخُزَاعِي، وهذا هو الصحيح؛ وأنه كان له خال يقال له عمرو بن سُنَّة شاعر، وهو الذي يقول:

ضربوا الفيلَ بالمغمس^(٣) حتى ظلَّ يَجْبو كأنه محمومٌ

وفيه يقول قيس:

أُبَيِّتُ أن لخالِي هَجْمَةً^(٤) حَسْبًا كأنهن بَجَنِبِ المَشْعَرِ الثُّصُلُ^(٥)

قد كنتَ فيما مضى قِذْمًا تَجَاوَرْنَا لا ناقةً لك ترعاها ولا جملُ

ما ضَرَّ خالِيَ عمراً لو تَقَسَّمَهَا بعضُ الحياضِ وجَمُّ البشرِ مُخْتَفِلُ^(٦)

هو رضيع الحسين بن علي:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن موسى بن حَمَاد قال حدثني أحمد بن القاسم بن يوسف قال [١٨١/٩] حدثني جَزْء بن قَطَن قال حدثنا جَسَّاس بن محمد بن عمرو / أحد بني الحارث بن كعب عن محمد بن أبي السري عن هشام بن الكلبي قال حدثني عدد من الكنانيين:

أن قيس بن ذريح كان رضيعَ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أرضعته أم قيس.

(١) كذا في جـ «الأغاني»: (ج ٧ ص ٢٣٢ من هذه الطبعة). وفي سائر الأصول: «أبو شُرَاعَة الضبي». وهو تحريف.

(٢) في «تجريد الأغاني»: «الكاهل».

(٣) المغمس: موضع قرب مكة في طريق الطائف.

(٤) الهجمة من الإبل: أولها أربعون إلى ما زادت، أو ما بين السبعين إلى المائة.

(٥) الثصل: جمع نصيل، وهو حجر طويل رقيق كهيئة الصفيحة المحددة، يشبه به رأس البعير وخرطومه إذا رجف في سيره.

(٦) جم الماء: معظمه. ومحتفل: ملان. يريد: ما على خالي أن نصيب من ماله وهو غني أكثر.

أول عشيقه لبني ثم زواجه بها:

أخبرنا بخبر قيس ولُبْنَى أُمْرَأَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ مَشَائِخِنَا فِي قِصَصٍ مُتَّصِلَةٍ وَمُنْقَطَةٍ وَأَخْبَارٍ مُثَوَّرَةٍ وَمَنْظُومَةٍ، فَأَلْفَتْ ذَلِكَ أَجْمَعَ لِيَتَسَّقَ حَدِيثُهُ إِلَّا مَا جَاءَ مُفْرَدًا وَعَسُرَ إِخْرَاجُهُ عَنْ جُمْلَةِ النِّظْمِ فَذَكَرْتُهُ عَلَى حِدَةٍ. فَمَنْ أَخْبَرَنَا بِخَبَرِهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ وَلَمْ يَتَجَاوِزْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي نُتَيْبَةَ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ مُوسَى بْنِ حَمَّادِ الْبَرْبَرِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ يُونُسَ عَنْ جَزْءِ بْنِ قَطَنٍ عَنْ جَسَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي السَّرِيِّ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ وَعَلَى رَوَايَتِهِ أَكْثَرُ الْمَعْوَلِ. وَنَسَخْتُ أَيْضًا مِنْ أَخْبَارِهِ الْمَنْظُومَةِ أَشْيَاءَ ذَكَرَهَا الْقَحْذَمِيُّ عَنْ رِجَالِهِ، وَخَالِدُ بْنُ كُلْثُومٍ عَنْ نَفْسِهِ وَمَنْ رَوَى عَنْهُ، وَخَالِدُ بْنُ جَمَلٍ وَتُفَعَّالٌ حَكَاهَا الْيُوسُفِيُّ صَاحِبُ الرِّسَالِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَمَّادٍ عَنْ جَمِيلٍ عَنْ أَبِي جَنَاحٍ الْكَعْبِيِّ. وَحَكَيْتُ كُلَّ مُتَّفِقٍ فِيهِ مُتَّصِلًا، وَكُلَّ مُخْتَلِفٍ فِي مَعَانِيهِ مَنْسُوبًا إِلَى رَاوِيهِ. قَالُوا جَمِيعًا:

كَانَ مَنَزَلُ / قَوْمِهِ فِي ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ هُوَ وَأَبُوهُ مِنْ حَاضِرَةِ الْمَدِينَةِ. وَذَكَرَ خَالِدُ بْنُ كُلْثُومٍ أَنَّ مَنَزْلَهُ كَانَ ١١٢
بَسْرَفٍ^(١)، وَأَحْتَجَّ بِقَوْلِهِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ أَمْسَتْ مُجَاوِرَةً أَهْلَ الْعَقِيقِ وَأَمْسَيْنَا عَلَى سَرِفٍ

قَالُوا: فَمَرَّ قَيْسٌ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ بِخِيَامِ بَنِي كَعْبٍ بْنِ خُزَاعَةَ، فَوَقَفَ عَلَى خَيْمَةٍ مِنْهَا وَالْحَيُّ خُلُوفٌ^(٢) وَالْخَيْمَةُ خَيْمَةُ لُبْنَى بِنْتِ الْحُبَابِ الْكَعْبِيَّةِ، فَامْتَسَقَى مَاءً، فَسَقَتُهُ وَخَرَجَتْ / إِلَيْهِ بِهِ، وَكَانَتْ امْرَأَةً مَدِيدَةً الْقَامَةِ شَهْلَاءَ^(٣) [١٨٢/٩] حُلُوةَ الْمَنْظَرِ وَالْكَلَامِ. فَلَمَّا رَأَاهَا وَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ، وَشَرِبَ الْمَاءَ. فَقَالَتْ لَهُ: أَتَنْزِلُ فَتَتَبَرَّدُ عِنْدَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَتَزَلَّ بِهِمْ. وَجَاءَ أَبُوهُا فَنَحَرَ لَهُ وَأَكْرَمَهُ. فَأَنْصَرَفَ قَيْسٌ وَفِي قَلْبِهِ مِنْ لُبْنَى حَرٌّ لَا يَطْفَأُ، فَجَعَلَ يَنْطِقُ بِالشَّعْرِ فِيهَا حَتَّى شَاعَ وَرُوي. ثُمَّ أَتَاهَا يَوْمًا آخَرَ وَقَدْ أَشْتَدَّ وَجْدُهُ بِهَا، فَسَلَّمَ فَظَهَرَتْ لَهُ وَرَدَّتْ سَلَامَهُ وَتَحَفَّتْ بِهِ؛ فَشَكَا إِلَيْهَا مَا يَجِدُ بِهَا وَمَا يَلْقَى مِنْ حُبِّهَا، وَشَكَتَ إِلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ فَأُطَالَتْ؛ وَعَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا لَهُ عِنْدَ صَاحِبِهِ. فَأَنْصَرَفَ إِلَى أَبِيهِ وَأَعْلَمَهُ حَالَهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يَزُوجَهُ إِيَّاهَا. فَأَبَى عَلَيْهِ وَقَالَ: يَا بَنِي، عَلَيْكَ بِوَاحِدَةٍ مِنْ بَنَاتِ عَمِّكَ فَهِيَ أَحَقُّ بِكَ. وَكَانَ ذَرِيْعٌ كَثِيرُ الْمَالِ مُوسِرًا، فَأَحَبَّ أَلَّا يَخْرُجَ ابْنُهُ إِلَى غَرِيبَةٍ. فَأَنْصَرَفَ قَيْسٌ وَقَدْ سَاءَ مَا خَاطَبَهُ أَبُوهُ بِهِ. فَأَتَى أُمَّهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهَا وَأَسْتَعَانَ بِهَا عَلَى أَبِيهِ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهَا مَا يَحِبُّ. فَأَتَى الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَبْنَ أَبِي عَتِيقٍ فَشَكَا إِلَيْهِمَا مَا بِهِ وَمَا رَدَّ عَلَيْهِ أَبُوهُ. فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: أَنَا أَكْفِيكَ. فَمَشَى مَعَهُ إِلَى أَبِي لُبْنَى. فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ أَعْظَمَهُ وَوَثَبَ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ فَاتَيْتُكَ؟ قَالَ: إِنَّ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ يُوجِبُ قَصْدَكَ وَقَدْ جِئْتُكَ خَاطِبًا أَبْتَنِكَ لُبْنَى لَقَيْسِ بْنِ ذَرِيْعٍ. فَقَالَ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا كُنَّا لَنَنْعَصِي لَكَ أَمْرًا وَمَا بَنَا عَنْ الْفَتَى رَغْبَةً، وَلَكِنْ أَحَبَّ الْأَمْرَ إِلَيْنَا أَنْ يَخْطُبَهَا ذَرِيْعٌ أَبُوهُ عَلَيْنَا وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَنْ أَمْرِهِ، فَإِنَّا نَخَافُ إِنْ لَمْ يَسْعَ أَبُوهُ فِي هَذَا أَنْ يَكُونَ عَارًا وَسُبَّةً عَلَيْنَا. فَأَتَى الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَرِيْعًا وَقَوْمَهُ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ، فَقَامُوا إِلَيْهِ إِعْظَامًا لَهُ وَقَالُوا لَهُ مِثْلَ قَوْلِ الْخُزَاعِيِّينَ. فَقَالَ لَذَرِيْعٍ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا خَطَبْتَ لُبْنَى لَابْنِكَ قَيْسٍ. قَالَ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِأَمْرِكَ. فَخَرَجَ مَعَهُ فِي وَجْهِهِ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى أَتَوْا لُبْنَى فَخَطَبُوهَا / ذَرِيْعٌ عَلَى ابْنِهِ إِلَى أَبِيهَا فَزُوجَهُ إِيَّاهَا، وَزُفَّتْ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ. [١٨٣/٩]

(١) سرف: موضع على ستة أميال من مكة.

(٢) خلوف: غيب.

(٣) الشهلاء: التي يخالط سواد عينيها زرقه.

أبواه يغريانه بطلاقها ويأبى هو:

فأقامت معه مدة لا يُنكر أحدٌ من صاحبه شيئاً. وكان أبرّ الناس بأُمّه، فآلهته بُنّى وعكوفه عليها عن بعض ذلك، فوجدت أمّه في نفسها وقالت: لقد شغلت هذه المرأة أبنى عن برّي؛ ولم ترّ للكلام في ذلك موضعاً حتى مرض مرضاً شديداً. فلما برأ من علته قالت أمّه لأبيه: لقد خَشِيتُ أن يموت قيسٌ وما يتركُ خلفاً وقد حُرِمَ الولدُ من هذه المرأة، وأنت ذو مال فيصيرُ مالك إلى الكَلالة^(١)، فزوّجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولداً، والنّحتُ عليه في ذلك. فامهلَ قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال: يا قيس، إنك اعتللتَ هذه العلةَ فحُفَّتْ عليك ولا ولد لك ولا لي سواك. وهذه المرأة ليست بولود؛ فتزوّج إحدى بناتِ عمك لعلّ الله أن يهبَ لك ولداً تُقرُّ به عينك وأعيشتنا. فقال قيس: / لست متزوّجاً غيرها أبداً. فقال له أبوه: فإن في مالي سعةً فَتَسَرَّ بالإماء. قال: ولا أسوءها بشيء أبداً والله. قال أبوه: فإني أقسم عليك إلا طَلَقْتُهَا. فأبى وقال: الموتُ والله عليّ أسهل من ذلك، ولكنني أخيرُك خَصْلَةً من ثلاث خصال. قال: وما هي؟ قال: تتزوّج أنت فلعلّ الله أن يرزُقكَ ولداً غيري. قال: فما فيّ فضلةٌ لذلك. قال: فدعني أرتحلّ عنك بأهلي وأصنع ما كنتُ صانعاً لو متُّ في علتي هذه. قال: ولا هذه. قال: فادع بُنّى عندك وأرتحلّ عنك فلعلّني أسلوها فإني ما أحبّ بعد أن تكون نفسي طيبةً أنها في خيالي. قال: لا أرضى أو تطلّقها، وحلف لا يَكُنْهُ سقفُ بيت أبداً حتى يطلق بُنّى، فكان يخرج فيقف في حرّ الشمس، ويحيى قيسٌ فيقف إلى جانبه فيظلمة بردائه ويصلي هو بحرّ الشمس / حتى يقيء القيء فينصرف عنه، ويدخل إلى بُنّى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له: يا قيس، لا تطع أباك فتَهْلِك وتُهْلِكُنِي. فيقول: ما كنت لأطيع أحداً فيك أبداً. فيقال: إنه مكث كذلك سنة. وقال خالد بن كلثوم: ذكر ابنُ عائشة أنه أقام على ذلك أربعين يوماً ثم طلقها. وهذا ليس بصحيح.

طلاقه لبني ثم ندمه على فراقها، وشعره في ذلك:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثني يحيى بن معين قال حدثنا عبدالرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني عمر بن أبي سفيان عن ليث بن عمرو:

أنه سمع قيس بن ذريح يقول لزيد بن سليمان: هجرني أبواي في بُنّى عشر سنين استأذن عليهما فبرّذاني حتى طلقتهما. قال ابن جريج: وأخبرت أن عبدالله بن صفوان الطويل لقي ذريحا أبا قيس فقال له: ما حملك على أن فرقتَ بينهما؟ أما علمت أن عمر بن الخطاب قال: ما أبالي أفرقتَ بينهما أو مشيتُ إليهما بالسيف. وروى هذا الحديث إبراهيم بن يسار الزمادني عن سُفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار قال قال الحسين بن علي رضي الله عنهما لذريح بن سُنّة أبي قيس: أحلّ لك أن فرقتَ بين قيس ولبني؟ أما إني سمعت عمر بن الخطاب يقول: ما أبالي أفرقتَ بين الرجل وامرأته أو مشيتُ إليهما بالسيف. قالوا: فلما بانّت لبني بطلاقه إياها وفرغ من الكلام، لم يلبث حتى استطير عقله وذهب به ولحقه مثل الجنون. وتذكر بُنّى وحالها معه فأسف وجعل يبكي ويتشجج أحراً نسيج. وبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحتملها، وقيل: بل أقامت حتى أنقضت عدتها وقيسٌ يدخل عليها. فأقبل أبوها بهودج على ناقة وبابل تحمل أثاثها. فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال: وَيَحَكِّ! ما دهاني فيكم؟ فقالت:

(١) اختلف في معنى الكَلالة فقيل: إن الكَلالة الرجل الذي لا ولد له ولا والد؛ أو من عدا الأب والابن من الورثة؛ وقيل من عدا الأب والابن والأخ؛ وقيل ما لم يكن من النسب لهما، أي لاصقاً؛ وقيل الإخوة لأم.

لا تسألني وسلُّ بُنَى. فذهب لُبَيْمٌ بِخَبَائِهَا / فَيَسْأَلُهَا، فَمَنْعَهُ قَوْمُهَا. فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ أَمْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَتْ لَهُ: مَا لَكَ [١٨٥/٩] وَيَحْكُ تَسْأَلُكَ جَاهِلٌ أَوْ تَتَجَاهَلُ! هَذِهِ بُنَى تَرْتَحِلُ اللَّيْلَةَ أَوْ غَدًا. فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ لَا يَغْفِلُ ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ:

وإني لمُفْنٍ دَمَعٌ عَيْنِي بِالْبُكَ
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ
وما كنتُ أخشى أن تكون منيتي
حِذَارُ الَّذِي قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ
فراقٍ حبيبٍ لم يَبْنَ وَهُوَ بِائِنُ
بِكَفِّكَ إِلَّا أَنَّ مَا حَانَ حَائِنُ

/ في هذه الأبيات غناء ولها أخبار قد ذكرت في أخبار المجنون. قال وقال قيس:

يقولون لبُنَى فتنَةٌ كنتَ قبلها
فطاولتُ أعدائي وعاصيتُ ناصحي
وَدِدْتُ وَيَسَّ الله أنسي عَصِيَّتُهُمْ
وَكُلَّفْتُ خَوْضَ الْبَحْرِ وَالْبَحْرَ زَاخِرُ
كَأَنِّي أَرَى النَّاسَ الْمَحْيِينَ بَعْدَهَا
فَتُكْرِ عَيْنِي بَعْدَهَا كُلَّ مَنْظَرٍ
بَخِيرُ فَلَا تَنْدَمُ عَلَيْهَا وَطَلَقِ
وَأَقْرَزْتُ عَيْنَ الشَّامِتِ الْمُتَخَلِّقِ^(١)
وَحُمِلْتُ فِي رِضْوَانِهَا كُلُّ مُوَبِقِ^(٢)
أَيِّتُ عَلَى أَثْبَاجِ مَوْجٍ مُغْرَقِ
عُصَارَةَ مَاءِ الْحَنْظَلِ الْمُتَفَلِّقِ
وَيَكْرَهُ سَمْعِي بَعْدَهَا كُلَّ مَنْطِقِ

قال: وسقط غرابٌ قريباً منه فجعل يَنْتَقِ مراراً، فتطيرُ منه وقال:

لقد نادى الغرابُ بَيْنَ بُنَى
وقال غداً تَبَاعَدُ دَارُ بُنَى
فقلتُ تَعِسَتْ وَيَحْكُ مِنْ غَرَابِ
فَطَارَ الْقَلْبُ مِنْ حَذَرِ الْغَرَابِ
وَتَنَآى بَعْدُ وَدُّ وَأَقْتَسَرَابِ
وكان الدهرُ سَعِيكَ فِي تَبَابِ

/ وقال أيضاً وقد منعه قومه من الإلمام بها:

[١٨٦/٩]

قصود

ألا يا غرابَ اليِّن وَيَحْكُ نَبِي
فإن أنتَ لم تُخَبِرْ بما قد علمته
وَدُرْتُ بِأَعْدَاءِ حَبِيْبِكَ فِيهِمْ
بَعْلَمَكَ فِي بُنَى وَأَنْتَ خَبِيرُ
فَلَا طَرَزْتَ إِلَّا وَالْجَنَاحَ كَسِيرُ
كما قد تَرَانِي بِالْحَبِيبِ أَدُورُ

غنى سليمان أخو حَجَبَةَ رَمَلًا بِالْوَسْطَى.

قالوا: وقال أيضاً وقد أَدْخَلَتْ هُودَجَهَا وَرَحَلَتْ وَهِيَ تَبْكِي وَتَبْعُهَا:

(١) المتخَلِّق: الذي يتكلف ما ليس في خلقه.

(٢) الموبِق: المهلك.

صوت

الآ يا غرابَ البَيْنِ هل أنت مُخِيرِي بخيرٍ كما خَبَّرْتَ بالنَّاي والشرِّ
وقلتَ كذاك الدهرُ ما زال فاجعاً صدقتَ وهل شيءٌ بباقٍ على الدهرِ
غنى فيهما أبْنِ جامعَ ثانِيٍ ثَقِيلٍ بالبَصْرِ عن الهشامِي. وذكر حَبَشَ أَنَّ لَقَفَا النِّجَارَ فِيهِمَا ثَقِيلًا أَوَّلَ بِالْوَسْطَى. قالوا:
فلما أَرْتَحِلَ قَوْمُهَا أَتَبَعَهَا مَلِيًّا، ثُمَّ عَلِمَ أَنَّ أَبَاهَا سَيَمْنَعُهُ مِنَ الْمَسِيرِ مَعَهَا، فَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي حَتَّى غَابُوا عَنْ
عَيْنِهِ فَكَرَّرَ رَاجِعاً. وَنَظَرَ إِلَى أَثَرِ خُفِّ بَعِيرِهَا فَأَكْبَّ عَلَيْهِ يَقْبَلُهُ وَرَجَعَ يَقْبَلُ مَوْضِعَ مَجْلِسِهَا وَأَثَرَ قَدَمِهَا. فَلَيَّمْ عَلَى ذَلِكَ
وَعَتَفَهُ قَوْمُهُ عَلَى تَقْيِيلِ التُّرَابِ؛ فَقَالَ:

وَمَا أَحْيَيْتُ أَرْضَكُمْ وَلَكِنْ أَقْبَلُ إِثْرَ مَنْ وَطِئَ التُّرَابَا
لَقَدْ لَاقَيْتُ مَنْ كَلَّفَنِي بُلْبُنَى بَلَاءَ مَا أُسِيغَ بِهِ الشُّرَابَا
إِذَا نَادَى الْمَنَادِي بِأَسْمِ لُبْنَى عَيْتُ فَمَا أَطِيقُ لَهُ جَوَابَا

[١٨٧/٩] / وقال وقد نظر إلى آثارها:

صوت

/ الْآ يَا رَبِّعَ لُبْنَى مَا تَقُولُ ١١٦
فَلَوْ أَنَّ الدِّيَارَ تُجِيبُ صَبَاً ٨
وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ غَدَاةَ قَالَتْ غِيْدَرْتُ^(١) وَمَاءُ مُقْلَتِهَا يَسِيلُ
نَحَرْتُ النَّفْسَ حِينَ سَمِعْتُ مِنْهَا مَقَالَتُهَا وَذَاكَ لَهَا قَلِيلُ
شَفَيْتُ غَلِيلَ نَفْسِي مِنْ فِعَالِي وَلَمْ أَغْبُزْ بِلَا عَقْلٍ أَجُولُ

غنى فيه حسين بن مخرز خفيف ثقیل من روايتي بَذَلُ وَقَرِيضُ. وتما هذه الأبيات:

كَأَنِّي وَإِلَهُ بِفِرَاقٍ لُبْنَى تَهَيَّمُ بِفَقْدِ وَاحِدِهَا تُكْوِلُ
الآ يَا قَلْبُ وَيَخُكُ كَنَ جَلِيداً فَقَدْ رَحَلَتْ وَفَاتَ بِهَا الذَّمِيلُ^(٢)
فَإِنَّكَ لَا تُطِيقُ رَجُوعَ لُبْنَى إِذَا رَحَلَتْ وَإِنْ كَثُرَ الْعَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ عِشْتَ كَمْ بِالْقَرَبِ مِنْهَا وَلَكِنَّ الْفِرَاقَ هُوَ السَّيْلُ
فَصَبِراً كُلُّ مُؤَلَّفَيْنِ يَوْمَاً مِنَ الْإِيَامِ عِشُّهُمَا يَزُولُ

قال: فلما جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَأَنْفَرْدَ وَأَوَى إِلَى مَضْجَعِهِ لَمْ يَأْخُذْهُ الْقَرَارُ وَجَعَلَ يَتَمَلَّمُ فِيهِ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ، ثُمَّ وَثَبَ حَتَّى
أَتَى مَوْضِعَ خِيَابَتِهَا، فَجَعَلَ يَتَمَرَّغُ فِيهِ وَيَبْكِي وَيَقُولُ:

(١) كذا في «تجريد الأغاني»: وفي ب، س: «ودرت» وهو تحريف. وقد سقط هذا البيت من سائر الأصول.

(٢) الذميل: السير اللين.

قصود

بِئْسَ وَالْهَمُّ يَا لُبْنَى ضَجِيعِي وجرت مُذْ نَأَيْتِ عَنِّي دُمُوعِي
وَتَنَفَّسْتُ إِذْ ذَكَرْتُكَ حَتَّى زالت اليومَ عن فؤادي ضلُوعِي
/ أَتَنَاسَاكَ كَيِّ يُرِيغُ^(١) فؤادي ثم يشتدُّ عند ذاك وَلُوعِي
يَا لُبْنَى فَذَنْكَ نَفْسِي وَأَهْلِي هل لدهرٍ مضى لنا من رجوع

[١٨٨/٩]

غنت في البيتين الأولين شاريةً خفيفةً رمليً بالوسطى. وغنى فيهما حسين بن مُحَرِّز ثاني ثقل، هكذا ذكر الهشامي؛ وقد قيل إنه لهاشم بن سليمان.

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكَيْعٌ قال قال الزُّبَيْرُ بن بَكَّارٍ حَدَّثَنِي عبد الجبار بن سعيد المُسَاحِقِيُّ عن محمد بن مَعْنٍ الغِفَارِيِّ عن أبيه عن عَجُوزٍ لهم يقال حَمَادَةُ بنت أبي مُسَافِرٍ قالت:

جاورت آلَ ذَرِيحٍ بَقْطِيعٍ لِي فِيهِ الرَّائِمَةُ^(٢) وذات البَوِّ والحائلُ والمُتَبِّعُ. قالت: فكان قيسُ بن ذَرِيحٍ إلى شَرَفٍ^(٣) في ذلك القطيع ينظر إلى ما يَلْقَيْنِ فيتعجب. فقلما لَبِثَ حتى عزم عليه أبوه بطلاق لُبْنَى فكاد يموت، ثم أَلَى أبوه لئن أقامت لا يُسَاكِنُ قيساً. فظعنَتْ فقال:

أَيَا كَبِدًا طَارَتْ صُدُوعًا نَوَافِذَا وَيَا حَسْرَتًا مَاذَا تَغْلَغَلَ فِي الْقَلْبِ
فَأَقْسِمُ مَا عُمُشُ الْعَيُونِ شَوَارِفُ^(٤) رَوَائِمُ بَوِّ حَائِمَاتٍ عَلَى سَقَبِ^(٥)
تَشْمَنْتُهُ لَوْ يَسْتَطِيعُنَّ ارْتِشْفُنِيهِ إِذَا سَفَنَتُهُ يَزْدَدَنَّ نَكْبًا عَلَى نَكْبِ^(٦)
رَثْمَنَ فَمَا تَنْحَاشُ مِنْهُنَّ شَارِفُ وَحَالِقَنَ^(٧) حَبْسًا فِي الْمُحُولِ وَفِي الْجَذْبِ
/ بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ وَلَّيْتُ حُمُولَهَا وَقَدْ طَلَعْتُ أَوْلَى الرُّكَّابِ مِنَ الثَّقَبِ
وَكُلُّ مُلِمَّاتِ الزَّمَانِ وَجَدْتُهَا سَوَى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ هَيْئَةَ الْخَطْبِ

[١٨٩/٩]

/ أخبرني عمي قال حَدَّثَنِي الكُرَّانِيُّ قال سمعتُ أَبَنَ عَائِشَةَ يَقُولُ: قال إِسْحَاقُ بن الفَضْلِ الهاشمي: لم يقل الناسُ^{١١٧} في هذا المعنى مثل قول قيس بن ذريح:

وَكُلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمَانِ وَجَدْتُهَا سَوَى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ هَيْئَةَ الْخَطْبِ
قال وقال ابن النطاح قال أبو دَعَامَةَ:

(١) كذا في «تجريد الأغاني»: ويرى: يحيد. وفي الأصول: «يرى» بالعين المهملة وهو تصحيف.
(٢) الرائمة: العاطفة على غير ولدها. واليؤ: جلد الحوار يحشى تماما أو تبناً أو غيرها فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدّر.
والحائل: الناقة التي لا تحمل. والمتبع: التي يتبعها ولدها.
(٣) الشرف: المكان العالي.
(٤) الشوارف: جمع شارقة وهي الناقة المسنة.
(٥) السقب: ولد الناقة.
(٦) ساف الشيء: شمه. والنكب (محرقة وقد سكنت لضرورة الشعر): ظلع البعير، وقيل: داء يأخذ الإبل في مناكبها تطلع منه وتمشي منحرفة.
(٧) كذا في «تجريد الأغاني»: وفي الأصول: «وحاولن» وهو تحريف.

خرج في فتية إلى بلادها حتى رآها، وشعره في ذلك:

خرج قيس في فتية من قومه وأعتل على أبيه بالصيد، فأتى بلاد لبني، فجعل يتوقع أن يراها أو يرى من يرسل إليها. فأشتغل الفتيان بالصيد؛ فلما قضا وطرحهم منه رجعوا إليه وهو واقف، فقالوا له: قد عرفنا ما أردت بإخراجنا معك وأنت لم ترد الصيد وإنما أردت لقاء لبني، وقد تعدر عليك فأنصرف الآن. فقال:

وما حائما حُنَّ يوماً و ليلةً على الماء يغشَيْن العَصِيَّ حَوَانِ
عَوَافِي^(١) لا يَصْدُرْنَ عنه لوجهة ولا هنَّ من بَرْد الحِياض دَوَانِ
يَبْرَيْن حَبَاب الماء والموت دونه فهنَّ لأصوات الشَّقَاةِ رَوَانِ
بأجهد مُني حَرَّ شوقٍ ولوعة عليك ولكنَّ العدوَّ عَدَانِي
خليلي إني ميّتٌ أو مُكَلِّمٌ لبني بسري فأمضيا وذَرَانِي
أتل حاجتي وخدي ويا ربَّ حاجة قضيتُ على هَوٍ وخوفٍ جَنَانِ
فإنَّ أحقَّ الناسِ ألا تُجاوِزاً^(٢) وتطرحا من لو يشاء شفاني
ومن قادني للموت حتى إذا صفتُ مشاربه السِّمِّ الذُّعَافَ سَقَانِي

[١٩٠/٩] / قال: فأقاموا معه حتى لقيها، فقالت له: يا هذا، إنك متعرّضٌ لنفسك وفاضحي. فقال لها:

صدعت القلب ثم ذررت فيه هواك فليسم فالتام الفطور^(٣)
تغلغل حيث لم يبلغ شرابك ولا حزنٌ ولم يبلغ سرور

أبو السائب المخزومي وشعر قيس:

وقال القحذمي حدثني أبو الوردان قال حدثني أبي قال: أنشدت أبا السائب المخزومي قول قيس:

صدعت القلب ثم ذررت فيه هواك فليسم فالتام الفطور

فصاح بجارية له سندية تسمى زبدة، فقال: أي زبدة عجلي. فقالت: أنا أعجن. فقال: ويحك! تعالني ودعي العجين. فجاءت فقال لي: أنشد بيتي قيس فأعدتهما. فقال لها: يا زبدة، أحسن قيس وإلا فأنت حرة! إرجعي الآن إلى عجينك أذكره لا يبرؤ.

حسرتة على فراقها وتأنيبه نفسه:

قالوا: وجعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه في طلاقه لبني ويقول: فالأ رحلت بها عن بلده فلم أر ما يفعل ولم يرني! فكان إذا فقدني أفلح عما يفعله وإذا فقدته لم أتحرج من فعله! وما كان عليّ لو أعتزلته وأقمت في حبيها أو في بعض بؤادي العرب، أو عصيته فلم أطعه! هذه جنائتي على نفسي فلا لوم على أحد! وهانذا ميّت مما فعلته،

(١) العوافي: جمع عافية وهي التي ترد الماء.

(٢) كذا في ج: وفي سائر الأصول: «فإنني أحق الناس ألا تحاورا».

(٣) الفطور: الشقوق.

فمن يردُّ رُوحِي إليَّ وهل لي سبيل إلى بُني بعد الطلاق؟ وكلُّما قرَّع نفسه وأثبها بلونٍ من التقرُّيع والتأنيب بكى
أحرَّ بكاء وألصق خدَّه بالأرض ووضعته على آثارها ثم قال:

[١٩١/٩]

/ صوت

١١٨
٨

/ وَبَلِي وَعَوَّلِي وَمَالِي حِينَ تَفْلَتَنِي / من بعد ما أحرزت كَفِّي بها الظفرا
قد قال قلبي لظرفي وهو يعدُّله / هذا جزاؤك مِنِّي فأكدمُ الحجرا
قد كنتُ أنْهاك عنها لو تُطاوِعُنِي / فأصبرُ فما لك فيها أجرٌ من صبرا

غثاه الغريض خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى عن عمرو. وفيه لإبراهيم ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى عن حَبَش. وفي الثالث
والأَوَّلُ خفيفٌ رَمَلٍ يقال إنه لابن الهَرِيد.
قالوا وقال أيضاً:

بانَتْ لُبِّي فانت اليوم متبول / والرأي عندك بعد الحزم مخبول
استودع الله لُبِّي إذ تفارقني / بالرغم مِنِّي وقولُ الشيخ مفعول
وقد أراني بلبني حقَّ مُقتنِعٍ / والشملُ مجتمعٌ والحبل موصول
قال خالد بن كلثوم وقال:

ألا ليت لُبِّي في خلأٍ تزورني / فأشكو إليها لَوْعتي ثم ترجعُ
صحا كلُّ ذي لبٍّ وكلُّ متيمٍ / وقلبي بلبِّي ما حييتُ مروء
فيا من لقلبٍ ما يُفريق من الهوى / ويا من لعينٍ بالصَّابة تَدْمَعُ
قالوا وقال في ليلته تلك:

قد قلتُ للقلب لا لُبَّناك فأعترف / وأقضي اللبَّانة ما قضيتُ وأنصرف
قد كنت أحلف جَهْدًا لا أفارقها / أفُ لكثرة ذاك القيل والحلف
حتى تكفَّنني الواشون فأفْلَتْتُ^(١) / لا تَأْمَنُ أبداً من غشٍ مُكتنِف
هيهات هيهات قد أَمَسْتُ مُجاورةً / أهلَ العقيقِ وأمسينا على سَرَف

[١٩٢/٩]

/ - قال: وسَرَفٌ على ستة أميال^(٢) من مكة. والعقيق: واد باليمامة -

حَيٍّ يَمَانُونَ والبَطَحَاءُ منزلنا / هذا لعَمْرُكَ شملٌ غيرُ مؤتلفٍ

من شعره في لبني وقد سنحت له ظبية:

قالوا: فلما أصبح خرج متوجَّهاً نحو الطريق الذي سلكته يتنَّسَّم روائحها، فسَنَحَتْ له ظبيةً فقصدتها فهرَّبَتْ
منه فقال:

(١) افلئت: أخذت بغتة.

(٢) كذا في «معجم ما استعجم» للبكري: وفي الأصول: «أيام» وهو تحريف من النساخ.

أَلَا يَا شَبَّهَ لُبْنَى لَا تُرَاعِي وَلَا تَتِيئَمِي قُلْلَ الْقِلَاعِ
وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

فَوَا كَيْدِي وَعَاوَدَنِي رُدَاعِي^(١) وَكَانَ فِرَاقُ لُبْنَى كَالْخِدَاعِ
تَكْتَفَنِي الْوُشَاةُ فَأَزْعَجُونِي فَيَالَهُ لِلْوَاثِسِي الْمُطَاعِ
فَأَصْبَحْتُ الْغَدَاةَ الْيَوْمَ نَفْسِي عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسَ بِمُسْتَطَاعِ
كَمَغْبُونٍ يَغْضُ عَلَى يَدَيْهِ تَبَيَّنَ غَبْنُهُ بَعْدَ الْبِيَاعِ
بِدَارٍ مَضِيعَةٍ تَرَكْتُكَ لُبْنَى كَذَاكَ الْحَيْنُ يُهْدَى لِلْمُضَاعِ
وَقَدْ عَشْنَا نَلْدُ الْعَيْشَ حِينًا لَوْ أَنَّ السُّدُورَ لِلْإِنْسَانِ دَاعِ
وَلَكِنْ الْجَمِيعَ إِلَى أَفْرَاقِ وَأَسْبَابِ الْخُتُوفِ لَهَا دَوَاعِ

١١٩ غناه الغرييض من القدر الأوسط من الثقليل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن / إسحاق. وفيه لمعبد خفيف
ثقليل أول بالوسطى عن عمرو والهشامي. ولشارية في البيتين الأولين ثقليل أول آخر بالوسطى. ولابن سريج رمل
بالوسطى عن الهشامي في:

بِدَارٍ مَضِيعَةٍ تَرَكْتُكَ لُبْنَى

[١٩٣/٩] / وقبله:

فَوَا كَيْدِي وَعَاوَدَنِي رُدَاعِي

ولسائط في البيتين الأولين خفيف رمل بالبنصر عن حبش.

أغرث أمه فتيات الحي بأن يعين عنده لبنى ليسلوها فلم يسل، وشعره في ذلك:

حَدَّثَنِي عُمِّي عَنِ الْكَرَّانِيِّ عَنِ الْعَتَبِيِّ عَنِ أَبِيهِ قَالَ:

بَعَثْتُ أُمَّ قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ بِفَتَيَاتٍ مِنْ قَوْمِهِ إِلَيْهِ يَعْينَ إِلَيْهِ لُبْنَى وَيَعِينُهُ بِجَزَعِهِ وَبِكَائِهِ وَيَتَعَرَّضُنَ لَوْصَالِهِ، فَاتَيْنَهُ
فَأَجْتَمَعْنَ حَوْلَيْهِ وَجَعَلْنَ يَمَازُحَتَهُ وَيَعِينُ لُبْنَى عِنْدَهُ وَيَعِيزُنَهُ مَا يَفْعَلُهُ. فَلَمَّا أَطْلُنَ أَقْبَلَ عَلَيْهِنَّ وَقَالَ:

صَوْت

يَقَرُّ بَعِينِي قَرْبُهَا وَيَزِيدُنِي بِهَا كَلْفًا مَنْ كَانَ عِنْدِي يَعْينُهَا
وَكَمْ قَائِلٍ قَدْ قَالَ تُبْ فَعَصِيَّتُهُ وَتِلْكَ لَعْنَتِي تَوْبَةٌ لَا أَتُوبُهَا
فِيَا نَفْسُ صَبْرًا لَسْتَ وَاللَّهِ فَأَعْلَمِي بِأَوَّلِ نَفْسٍ غَابَ عَنْهَا حَبِيبُهَا

- غناه دَحْمَانُ ثَقِيلًا أَوَّلَ بِالْوَسْطَى. وفيه هَزَجٌ بِالْبِنْصَرِ لِسُلَيْمٍ، وذكر حبش أنه لإسحاق - قال: فَأَنْصَرَفْنَ عَنْهُ إِلَى أُمِّهِ
فَأَيَّاسَتْهَا مِنْ سَلُوتِهِ. وقال سائر الرواة الذين ذكروهم: اجتمع إليه النسوة فأطلن الجلوس عنده ومحدثته وهو ساه

عنهن، ثم نادى: يا بُنَيَّ! فقلن له: مالك وَيْحَكَ! فقال: خَدِرْتُ رجلي، ويقال: إن دعاء الإنسان بأسم أحب الناس إليه يُذهب عنه خَدَرُ الرَّجُلِ فناديتها لذلك. فقمعن عنه، وقال:

إذا خَدِرْتُ رجلي تذكرتُ مَنْ لها / فناديتُ بُنَيَّ بِأَسْمِهَا ودعوتُ
دعوتُ التي لو أن نفسي تُطِيعني / لفارقتها من حبِّها وقَضِيتُ
بَرَّتْ نَبْلَهَا للصَّيْدِ لَبَنَى ورِيَّتُ / ورِيَّتُ أُخْرَى مِثْلَهَا ورِيَّتُ
فلَمَّا رَمَتْنِي أَقْصَدْتَنِي بِسَهْمِهَا / وأخطأتُهَا بِالسَّهْمِ حينَ رَمِيتُ
/ وفارقتُ لَبَنَى ضَلَّةً فكأنني / قُرِنتُ إِلَى الْعَيُوقِ ثُمَّ هَوَيْتُ
فيا لَيْتَ أَنِّي كُنْتُ قَبْلَ فِرَاقِهَا / وهَلْ تَرْجِعُنْ فَوْتَ الْقَضِيَّةِ لَيْتُ
فصرتُ وشيخي كالذي عَثَرْتُ بِهِ / غَدَاةَ الْوَعَى بَيْنَ الْعُدَاةِ كُنَيْتُ
فقامت ولم تُفَرِّزْ هناك سَوِيَّةً / وفارستها تحت السَّنَابِكِ مَيْتُ
فإن يك تَهْيَامِي بِلُبْنَى غَوَايَةً / فَقَدْ يَا ذَرِيحُ بَنَ الْحُبَابِ غَوَيْتُ
فلا أنت ما أَثَلْتَ فسي رأيتَه / ولا أنا لَبَنَى وَالْحَيَاةَ حَوَيْتُ
فوطُنْ لَهْلُكِي مِنْكَ نَفْساً فإِنِّي / كَسَانِكَ بِي قَدْ يَا ذَرِيحُ قَضَيْتُ

[١٩٤/٩]

حديثه في مرضه مع عواده ومع طبيبه عن لبنى، وشعره في ذلك:

وقال خالد بن كلثوم: مَرِضَ قَيْسٌ، فَسَالَ أَبُوهُ فَتَيَاتِ الْحَيِّ أَنْ يُعْذِنَهُ وَيُحَدِّثَنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يَتَسَلَّى أَوْ يَتَلَقَّ بَعْضَهُنَّ، ففعلن ذلك. ودخل إليه طبيب ليداويه والفتيات معه، فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علته، فقال:

صوت

١٢٠ / عِيدَ قَيْسٍ مِنْ حَبِّ لُبْنَى وَلُبْنَى
أ إذا عادني الموائدُ يوماً
قالت العين لا أرى من أريد / لَيْتَ لُبْنَى تَعُودَنِي ثُمَّ أَقْضِي
إنها لا تعود فيمن يعود / وَيُحَ قَيْسٍ لَقَدْ تَضَمَّنَ مِنْهَا
دَاءَ قَيْسٍ وَالْحَبِّ دَاءٌ شَدِيدُ / دَاءَ خَبَلِي فَالْقَلْبُ مِنْهُ عَمِيدُ

- غَنَاءُ ابْنِ سُرَيْجٍ خَفِيفَ رَمَلٍ عَنِ الْهَشَامِيِّ. وفيه لِلْحَجَّاجِيِّ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى. وفيه ليحيى المكي رَمَلٌ - قالوا: فقال له الطبيب: منذ كم هذه العلة؟ ومنذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت؟ فقال:

صوت

تعلق رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا / وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنَّا نَطَافاً فِي الْمَهْدِ
فزاد كما زدنا فأصبح نَامِيَا / وَلَيْسَ إِذَا مِثْنَا بِمُنْصَرِمِ الْمَهْدِ
/ وَلَكِنَّهُ بَاقٍ عَلَى كُلِّ حَادِثٍ / وَزَائِرُنَا فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَاللَّخْدِ

[١٩٥/٩]

- غنّاه الغرييض ثقيلاً أولً بالوسطى من رواية حبش - قالوا: فقال له الطبيب: إن مما يُسْلِك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوىء والمعايب وما تعافه النفس من أقدار بني آدم؛ فإن النفس تنبو حينئذ وتسلو ويخف ما بها. فقال:

إذا عِبْتُهَا شَبَّهْتُهَا الْبَدْرَ طَالِعاً وَحَسْبُكَ مَنْ عَيْبٍ لَهَا شَبَّهَ الْبَدْرَ
لَقَدْ فُضِّلْتُ لِبْنَى عَلَى النَّاسِ مِثْلَ مَا عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فُضِّلْتُ لَيْلَةُ الْقَدَرِ

صوت

إذا ما مشت شبراً من الأرض أَرْجَفَتْ من البُهر حتى ما تَزِيدُ على شبرٍ
لَهَا كَفَلُ يَرْتَجُّ مِنْهَا إِذَا مَشَتْ وَمَنْ كَخَصْنِ الْبَانِ مُضْطَمِرُّ الْخَصْرِ
- غنّى في هذين البيتين ابن المَكِّي خفيف رَمَلٍ بالوسطى. وفيهما رمل يُنسب إلى ابن سُرَيْج وإلى ابن طَنْبُورَةَ عن الهشامي - قالوا: ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة، فأثبه ولامه وقال له: يا بني! الله الله في نفسك! فإنك ميت إن دمت على هذا! فقال:

وفي عُرْوَةَ^(١) الْعُذْرِيَّ إِنَّ مَكَّ أَسْوَدَ وعمرو^(٢) بن عَجْلَانَ الَّذِي قَتَلْتُ هَنْدُ
وَبِي مِثْلُ مَا مَاتَا بِهِ غَيْرَ أَنَسِي إِلَى أَجَلٍ لَمْ يَأْتِنِي وَقْتُهِ بَعْدُ

صوت

[١٩٦/٩]

هل الحبّ إلّا عَبْرَةٌ بَعْدَ زَفَرَةٍ وَحَرٌّ عَلَى الْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ
وَقَيْضُ دَمْعٍ تَسْتَهْلِكُ إِذَا بَدَأَ لَنَا عِلْمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَدُو
غنّى في هذين البيتين زيد بن الخطّاب مولى سليمان بن أبي جعفر، وقيل: إنه مولى سليمان بن عليّ، ثقيلاً أولً بالوسطى عن الهشامي.

إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له:

وأخبرني الحرّميّ بن أبي الغلاء قال حدّثنا الزُّبَيْرُ، وأخبرنا اليَرْبُودِيُّ عن ثَعْلَبٍ عن الزُّبَيْرِ قال حدّثني إسماعيل بن أبي أُوَيْسٍ قال:

جلستُ أنا وأبو السائب في النَّبَالِينِ، فأنشدني قولَ قيس بن ذَرِيح:

/ عَيْدَ قَيْسٍ مِنْ حَبِّ لُبْنَى وَلُبْنَى دَاءُ قَيْسٍ وَالْحَبِّ دَاءٌ شَدِيدُ
لَيْتَ لُبْنَى تَعُودُنِي ثُمَّ أَقْضِي إِنَّهَا لَا تَعُودُ فِيمَنْ يَعُودُ

١٢١
٨

(١) هو عروة بن حزام بن مهاصر أحد بني حزام بن ضبة بن عبد بن كبير بن عذرة، شاعر إسلامي، أحد المتيّمين الذين قتلهم الهوى، لا يعرف له شعر إلا في عفرات بنت عمه. (انظر ترجمته في ج ٢٠ ص ١٥٢ من «الأغاني» طبع بولاق).

(٢) ورد هذا الاسم في تزيين الأسواق كما جاء في الأصول. وذكره البحرني أيضاً فقال:

هوى لا جميل في بنية ناله بمثل ولا عمرو بن عجلان في هند

وذكر أبو الفرج ترجمته (في ج ١٩ ص ١٠٢ من «الأغاني» طبع بولاق) فقال: هو عبدالله بن العجلان بن عبد الأحب، شاعر جاهلي أحد المتيّمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم. وكان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم عليها. ولما زوجت زوجاً غيره مات أسفاً.

قال : فأنشدته أنا لقيس :

تعلّق رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا ومن بعد ما كُنَّا نَطَافاً وفي المهد
فزاد كما زِدْنَا وأصبح نامياً وليس إذا مثنا بمنتَقِضِ العهد
ولكنّه باقٍ على كلِّ حادثٍ وزائرُنَا في ظلمة القبر واللّحد
فحلف لا يزال يقوم ويقعد حتى يرويهَا . فدخل رُقَاقُ النَّبَالِينِ وجعلتُ أرُدُّهَا عليه ويقوم ويقعد حتى رواها .
رجع الخبر إلى سياقته .

زوجه أبوه غيرها ليسلوها فتزوجت لبني ، وما قال في ذلك من الشعر :

وقال خالد بن جَمَل : فلمّا طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأة جميلة فلمعلّه أن يسلو بها
عن لبني . فدعاه إلى ذلك فأباه وقال :

لقد خِفْتُ ألا تَقْنَعُ النفسُ بعدها بشيءٍ من الدنيا وإن كان مَقْنَعَا
وأزجر عنها النفس إذ حيل دونها وتأسى إليها النفسُ إلا تَطْلَعَا

/ فأعلمهم أبوه بما ردّ عليه . قالوا : فمُرّه بالمسير في أحياء العرب والنزول عليهم فلمعلّ عينه أن تقع على امرأة [١٩٧/٩] تُعجبه . فأقسم عليه أبوه أن يفعل . فسار حتى نزل بحيٍّ من قُرارة ، فرأى جاريةً حسناء قد حسرت برقع خَزْ عن وجهها وهي كالبدْر ليلة تَمّ ، فقال لها : ما أسمك يا جارية ؟ قالت : لُبْنَى . فسقط على وجهه مغشياً عليه ، فنضحت على وجهه ماء وأرتاعت لِمَا عراه ، ثم قالت : إن لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لمجنون ! فأفاق فنسبته فانتسب . فقالت : قد علمتُ أنك قيس ، ولكن نَشَدْتُكَ بالله ويحقُّ لبْنَى إلّا أصبت من طعامنا . وقَدِّمْتُ إليه طعاماً ، فأصاب منه بإصبعه . وركب فأنى على أثره أخ لها كان غائباً ، فرأى مُناخ ناقتة ، فسألهم عنه فأخبروه ، فركب حتى رَدّه إلى منزله ، وحلف عليه ليُقيمَنَّ عنده شهراً . فقال له : لقد شَقَقْتُ عليّ ، ولكنّي سأُتبع هواك ، والفَزَارِيُّ يزداد إعجاباً بحديثه وعقله وروايته ، فعرض عليه الصُّهْرَ . فقال له : يا هذا إن فيك لرغبةً ، ولكنّي في شغل لا يُنتفع بي معه . فلم يزل يعاوده والحيّ يلومونه ويقولون له : قد خشينا أن يصير علينا فعلك سُبّة . فقال : دعوني ، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام . فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصُّهْرَ بينه وبينه على أخته المسماة لُبْنَى ، وقال له : أنا أسرق عنك صداقها . فقال : أنا والله يا أخي أكثر قومي مالا ، فما حاجتك إلى تكلف هذا ؟ أنا سائر إلى قومي وسائق إليها المهر . ففعل وأعلم أباه الذي كان منه ، فسَرّه وساق المهرَ عنه . ورجع إلى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته ، فلم يَرَوْهُ هَسَّ إليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرفٍ ولا نظر إليها . وأقام على ذلك أياماً كثيرة . ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياماً فأذنوا له في ذلك ، فمضى لوجهه إلى المدينة . وكان له صديق من الأنصار بها ؛ فاتاه فأعلمه الأنصاريُّ أن خبر تزويجه بلغ لبْنَى فغمّها وقالت : إنه لغدار ! ولقد كنت أمتنع من إجابة قومي إلى التزويج فأنا الآن أجيبهم ، وقد كان / أبوها شكاً قيساً إلى معاوية / وأعلمه تعرّضه لها بعد الطلاق . فكتب إلى مروان بن الحكم يُهدِر^{١٢٢} دمّه إن تعرّض لها ، وأمر أباه أن يزوجه رجلاً يعرف بخالد بن حلّزة من بني عبدالله بن غطفان - ويقال : بل أمره بتزويجها رجلاً من آل كثير بن الصلت الكندي حليف قريش - فزوجه أبوها منه . قال : فجعل نساءً الحيّ يقلن ليلة زفافها :

لُبَيْتِي زَوْجَهُـا أَصْبَحَ لَا حَرَّ بِوَادِيهِ^(١)
 لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ بِمَا بَاتَتْ تُنَاجِيهِ
 وَقِيْسٌ مَيِّتٌ حَيٌّ صَرِيحٌ فِي بَوَاكِيهِ
 فَلَا يُبْعِدُهُ اللَّهُ وَبُعْدًا لَنَوَاعِيهِ

قال: فجزع قيس جزعاً شديداً وجعل ينشج أحرَّ نشيج ويبكي أحرَّ بكاء. ثم ركب من فؤره حتى أتى مَحَلَّة قومها، فناداه النساء: ما تصنع الآن ها هنا! قد نُقِلْتُ لُبَيُّ إلى زوجها!. وجعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يُجيبهم حتى أتى موضع خبائها فنزل عن راحلته وجعل يتمكك^(٢) في موضعها ويُمَرِّغُ خَدَّه على ترابها ويبكي أحرَّ بكاء. ثم قال:

صوت

إلى الله أشكو فَقَدْ لُبَيْ كَمَا شكا
 يَتِيْمٌ جَفَاهُ الْأَقْرَبُونَ فَجَسُمُهُ
 بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ نَائِيهِمْ فَتَهَلَّلْتُ
 أُمُتْعِرًا يَبْكِي مِنَ الشَّوْقِ وَالْهَوَى
 إِلَى اللَّهِ فَقَدْ الْوَالِدَيْنِ يَتِيْمٌ
 نَحِيْلٌ وَعَهْدُ الْوَالِدَيْنِ قَدِيْمٌ
 دُمُوعِي فَأَيُّ الْجَازِعَيْنِ الْيَوْمِ
 أَمْ آخِرَ يَبْكِي شَجْوَءَهُ وَيَهِيْمُ

[١٩٩/٩] / لابن جامع في البتين الأولين ثَقِيْلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ. وَلَعَرِبَ فِيهِمَا ثَانِي ثَقِيْلٌ. وَفِي الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ لَمِيَّاسَةٌ خَفِيْفٌ رَمَلٍ بِالْبَصْرِ عَنْ عَمْرٍو وَحَبَشٍ وَالْهَشَامِيِّ وَتَمَامُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ، وَلَيْسَتْ فِيهَا صَنْعَةٌ، قَوْلُهُ:

تَهَيَّضْنِي مِنْ حُبِّ لُبَيْ عِلَاقُ
 وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حُبَّ لُبَيْ فَوَادُهُ
 فَلَنَاقِي وَإِنْ أَجْمَعْتُ عَنْكَ تَجَلُّدًا
 وَإِنْ زَمَانًا شَتَّتَ الشَّمْلَ بَيْنَنَا
 أَفِي الْحَقِّ هَذَا أَنَّ قَلْبِي فَارِغٌ
 وَأَصْنَافُ حُبِّ هَوْلُهُنَّ عَظِيْمٌ
 يَمُتُّ أَوْ يَعْشُ مَا عَاشَ وَهُوَ كَلِيْمٌ
 عَلَى الْعَهْدِ فِيمَا بَيْنَنَا لِمُقِيْمٍ
 وَبَيْنَكُمْ فِيهِ الْعِدَا لِمَشُومٍ
 صَحِيحٌ وَقَلْبِي فِي هَوَاكِ سَقِيْمٍ

وقد قيل: إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خلطت بشعره، ولكنّها في هذه الرواية منسوبة إليه.

قال: وقال أيضاً في رحيل لُبَي عن وطنها وانتقالها إلى زوجها بالمدينة وهو مقيم في حيّها:

صوت

بَانَتْ لُبَيْتِي فَهَاجَ الْقَلْبَ مَنْ بَانَا^(٣) وَكَانَ مَا وَعَدْتُ مَطْلًا^(٤) وَتَيَانًا

(١) في تزيين الأسواق (ج ١ ص ٥٦ طبع بلاق): «يوازيه».

(٢) يتمكك: يتمرغ.

(٣) في ج: «بانت لبيني قلبي اليوم من بانا».

(٤) ليان ومثله لِي (بفتح اللام فيهما وكسرها): مصدر لوى بمعنى مغل. تقول لواء دينه وبدينه. وقال أبو الهيثم: لم يجيء من المصادر على فعلان إلا ليان. وعن ابن زيد أن كسر اللام في هذا المصدر لغية.

وأخلفنك متى قد كنت تأملها
الله يدري وما يدري به أحد
/ يا أكمل الناس من قرنٍ إلى قدم
نعم الضجيجُ بعيد النوم تجلبه

فأصبح القلبُ بعد البين حيرانا
ماذا أجمع من ذاكراك أحيانا
وأحسن الناس ذا ثوبٍ وعُريانا
إليك ممثلاً نوماً ويقظانا

١٢٢
٨

/ للغريض في هذه الأبيات ثاني ثقلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو. وذكر الهشامي أن فيه لابن مخزوم [٢٠٠/٩] ثاني ثقلٍ آخر. وقال أحمد بن عبيد: فيه لحنانٍ ليحيى المكيّ وعَلَوِيه. وتمايم هذه القصيدة:

لا براك الله فيمن كان يحسبكم
حتى استفتت أخيراً بعد ما نُكحت
قد زراني طيقكم ليلاً فأزفني
إن تضرمي الجبل أو تُمسي مُفارقةً
وما أرى مثلكم في الناس من بشرٍ

إلا على العهد حتى كان ما كانا
كأنما كان ذاك القلب حيرانا
فيث للشوق أذري الدمع تهاننا
فالدهر يحدث للإنسان ألوانا
فقصد رأيت به حياً ونسوانا

شكاه أبوها إلى معاوية فأهدر دمه، وشعره في ذلك:

وقال ابن قتيبة في خبره عن الهيثم بن عديّ، ورواه عمر بن شبة أيضاً: أن أبا لُبي شَخَص إلى معاوية فشكا إليه قيساً وتعرضه لابنته بعد طلاقه إياها. فكتب معاوية إلى مروان أو سعيد بن العاص يُهْدِر دمه إن أَلَم بها وأن يشتد في ذلك. فكتب مروان أو سعيد في ذلك إلى صاحب الماء الذي ينزله أبو لُبي كُتاباً وكيداً، ووجهت لُبي رسولاً قاصداً إلى قيس تُعلمه ما جرى وتحذره. وبلغ أباه الخبر فعاتبه وتجهمه وقال له: انتهى بك الأمر إلى أن يُهْدِر السلطان دمك! فقال:

هوى

فلن يخبجوها أو يحل دون وصلها
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا
إلى الله أشكو ما أَلَقِي من الهوى
ومن حرقٍ^(١) للحب في باطن الحشى
/ سأبكي على نفسي بعين غزيرة
وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى
فما برح الواشون حتى بدت لهم
لقد كنت حَسْب النفس لو دام وصلنا

مقاله واشٍ أو وعيد أمير
ولن يُذهبوا ما قد أجن ضميري
ومن حرقٍ تعتادني وزفير
وليل طويل الحزن غير قصير
بكاء حزين في الوثاق أسير
بأنعم حالي غبطة وسرور
بطون الهوى مقلوبة لظهور
ولكنما الدنيا متاع غرور

[٢٠١/٩]

- هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذريح. وذكر الزبير بن بكار أنه لجده عبدالله بن مُضَعَب - غنى يزيد حوراء

(١) الحرق بالتحريك: النار، ويحتمل أن تكون حرق بضم أوله جمع حرقه.

في الأول والثاني والسادس والثالث من هذه الأبيات خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى. وغنّى إبراهيم في الأول والثاني لحناً من كتابه غيرَ مجنّس. وذكر حبّش أنّ فيهما لإسحاق خفيفَ ثَقِيلٍ بالوسطى. وفي الخامس وما بعده لَعَرِيبَ ثَقِيلٍ أَوَّلُ ابتداءه نشيد. وقال ابن الكلبي في خبره: قال قيس في إهدار معاوية دمه إن زارها:

إن تك لُبْنَى قد أتى دون قربها حجابٌ منيعٌ ما إليه سبيل
فلنّ نسيمَ الجوّ يجمع بيننا وتُبصرَ قرْنَ الشمس حين تزول
/ وأرواحنا بالليل في الحيّ تلتقي ونعلم أنّا بالنهار نَقِيل
وتجمعنا الأرضُ القَرارُ وفوقنا سماء نرى فيها النجومَ تجول
إلى أن يعود الدهر سَلماً وتنقضي تراثُ بغاها عندنا وذُحول

١٢٤
٨

شعره فيما حين صادفها في موسم الحج:

ومما وجد في كتاب لابن النطّاح قال العُثَيّ حَدَّثَنِي أَبِي قال: حَجَّ قيس بن ذَرِيح، واتفق أن حجّت لُبْنَى في تلك السنة، فرآها ومعهام امرأة من قومها، فذهش وبقي واقفاً مكانه ومضت لسبيلها. ثم أرسلت إليه بالمرأة تُبلغه السلام وتساله عن خبره؛ فألفته جالساً وحده يُنشد ويكي:

ويومَ مَنَى أعرضت عني فلم أقل بحاجة^(١) نفس عند لُبْنَى مقالها
/ وفي اليأس للنفس المريضة راحة إذا النفسُ رامت حُطّةً لا تنالها
فدخلت خباءه وجعلت تحدّثه عن لُبْنَى ويحدّثها عن نفسه مَلِيّاً، ولم تُعلِّمه أنّ لُبْنَى أرسلتها إليه. فسألها أن تُبلغها عنه السلام، فامتنعت عليه؛ فأنشأ يقول:

[٢٠٢/٩]

إذا طلعت شمسُ النهار فسَلِّمي فبأية تسليمي عليكِ طلوعُها
بعشر تحيّاتٍ إذا الشمسُ أشرقت وعشر إذا أصفرّت وحن رجوعُها
ولو أبلغتها جارةً قولِي أسَلِّمي بكث جَزَعاً وأرفض منها دموعُها
وبأن الذي تُخفي من الوجد في الحشَى إذا جاءها عني حديث يروّعُها

- غنّى في البيتين الأولين علّويه خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى - قال: وقضى الناس حجّهم وأنصرفوا. فمرض قيس في طريقه مرضاً شديداً أشقى منه على الموت، فلم يأت رسولها عائداً لأن قومها رأوه وعلموا به؛ فقال:

أَلْبَنَى لَقَدْ جَلَّتْ عَلَيْكَ مَصِيتِي غَدَاةَ غَدٍ إِذْ حَلَّ مَا أَتَوَّقُعُ
تُمَيِّنِّي نَيْلاً وَتَلَوِينَنِي بِهِ^(٢) فَنَفْسِي شَوْقاً كُلَّ يَوْمٍ تَقْطَعُ
وَقَلْبِكَ قَطُّ مَا يَلِينُ لِمَا يَرَى فسواك بدي قد طال هذا التضرُّعُ
أَلَوْمُكَ فِي شَأْنِي وَأَنْتِ مُلِيمَةٌ لَعَمْرِي وَأَجْفَى لِلْمَحَبِّ وَأَقْطَعُ

(١) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «لحاجة نفس» باللام.

(٢) كذا في جـ و«تجريد الأغاني» و«تزيين الأسواق». وفي سائر الأصول «وتلوينني قلى».

أُخْبِرْتُ أَنِّي فِيكَ مَيِّتٌ حَسْرَتِي فما فاض من عينيك للوَجْدِ مَذْمَعُ
ولكن لَعَمْرِي قد بكَيْتُكَ جَاهِداً وإن كان دائي كُلُّهُ مِنْكَ أَجْمَعُ
صَبِيحَةً جَاءَ الْعَائِدَاتُ يُعَذِّنِي فَظَلَلْتُ عَلَى الْعَائِدَاتُ تَفْجَعُ
فَقَائِلَةٌ جَنَّا إِلَيْهِ وَقَدْ قَضَى وقائلةٌ لا، بل تركناه يَنْزِعُ

وروى القَحْذَمِيُّ هَا هُنَا:

فَمَا غَشِيَتْ عَيْنِيكَ مِنْ ذَاكَ غَبْرَةٌ وعيني على ما بي بِذِكْرِكَ تَدْمَعُ
/ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْكِي عَلَيَّ جِنَازَةً^(١) لَدَيْكَ فَلَا تَبْكِي غَدَاً حِينَ أُرْفَعُ

[٢٠٣/٩]

قال: فبلغتها الأبيات، فجزعت جزعاً شديداً وبكت بكاءً كثيراً. ثم خرجت إليه ليلاً على موعد فاعتذرت وقالت: إنما أبقى عليك وأخشى أن تقتل، فأنا أتحامك لذلك، ولولا هذا لما / افرقنا. وودعته وأنصرفت.

١٢٥
٨

شعره فيها وقد بلغه أنها كذبت مرضه:

وقال خالد بن كلثوم: فبلغه أن أهلها قالوا لها: إنه غليل لما به وإنه سيموت في سفره هذا. فقالت لهم لتدفعهم عن نفسها: ما أراه إلا كاذباً فيما يدعي ومتعللاً لا عيلاً. فبلغه ذلك فقال:

تَكَادُ بِلَادُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَغَمَّرِ بِمَا رُجِبْتُ يَوْمًا عَلَيَّ تَضِيقُ
تَكْذِبُنِي بِالْوَدِّ لُبْنَى وَلَيْتَهَا تُكَلِّفُ مِثْلِي مِثْلَهُ فَتَذُوقُ
وَلَوْ تَعْلَمِينَ الْغَيْبَ أَيْقَنْتِ أَنِّي لَكُمْ وَالْهَدَايَا الْمُشْعِرَاتِ صَدِيقُ
تَتَوَقَّعُ إِلَيْكَ النَّفْسُ ثُمَّ أَرُدُّهَا حَيَاءً وَمِثْلِي بِالْحَيَاءِ حَقِيقُ
أَذُودَ سَوَامٍ النَّفْسُ عَنْكَ وَمَالَهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ طَرِيقُ
فَلَانِي وَإِنْ حَاوَلْتَ صُرْمِي وَهَجْرَتِي عَلَيْكَ مِنْ أَحْدَاثِ الرَّدَى لَشَفِيقُ
وَلَمْ أَرِ أَيْمَامًا كَأَيْمَانَا الَّتِي مَرَزَنَ عَلَيْنَا وَالزَّمَانَ أُنِيقُ
وَوَعْدُكَ إِيَّانَا، وَلَوْ قُلْتَ عَاجِلٌ، بَعِيدٌ كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ سَحِيقُ
وَحَدَّثْتَنِي يَا قَلْبُ أَنَّكَ صَابِرُ عَلَى الْيَمِينِ مِنْ لُبْنَى فَسَوْفَ تَذُوقُ
فُمْتُ كَمَدًا أَوْ عِشْ سَقِيمًا فَلِئِمَّا تَكْلُفْنِي مَالًا أَرَاكَ تُطِيقُ
أَطَعْتَ وَشَاءَ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِيهِمْ خَلِيلٌ وَلَا جَارٌ عَلَيْكَ شَفِيقُ
فَإِنْ تَكْ لَمَّا تَسَلُّ عَنْهَا فَلَانِي بِهَا مُغْرَمٌ صَبُّ الْفُؤَادِ مَشُوقُ
/ بَلْبُنَى أُنَادِي عِنْدَ أَوَّلِ غَشِيَةٍ وَيَتَنِي بِهَا الدَّاعِي لَهَا فَافِيقُ

[٢٠٤/٩]

(١) الجنَازة (بالكسر ويفتح): الميت. وقيل: الجنَازة بالكسر الميت وبالفتح السرير، وقيل عكس ذلك. والمراد هنا المريض المشرف على الموت.

شَهِدْتُ عَلَى نَفْسِي بِأَنَّكَ غَادَةٌ
وَأَنَّكَ لَا تَجْزِيَتْنِي بِصَحَابَةٍ
وَأَنَّكَ قَسَمْتَ الْفَوَادَ فَنَصْفُهُ
صَبُوحِي إِذَا مَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ ذَكَرُكُمْ
إِذَا أَنَا عَزَيْتُ الْهَوَى أَوْ تَرَكْتُهُ
كَأَنَّ الْهَوَى بَيْنَ الْحَيَازِيمِ وَالْحَشَى
فَإِنْ كُنْتَ لَمَّا تَعْلِمِي الْعِلْمَ فَاسْأَلِي
سَلِي هَلْ قَلَانِي مِنْ عَشِيرِ صَحْبَتِهِ
وَهَلْ يَجْتَوِي الْقَوْمُ الْكِرَامُ صَحَابَتِي
وَأَكْتُمُ أَسْرَارَ الْهَوَى فَأُمِيتَهَا
سَعَى الدَّهْرِ وَالْوَاشُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
هَلِ الصَّبْرُ إِلَّا أَنْ أَصُدَّ فَلَا أَرَى

رَدَّاحٌ وَأَنَّ السَّوْجَةَ مِنْكَ عَتِيقٌ^(١)
وَلَا أَنَا لِلْهَجْرَانِ مِنْسِكٌ مُطِيقٌ
رَهْمِي وَنَصْفٌ فِي الْحَبَالِ وَثِيقٌ
وَلِي ذَكَرُكُمْ عِنْدَ الْمَسَاءِ غَبُوقٌ
أَتَتْ عَبْرَاتُ بِالْدموعِ تَسُوقٌ
وَبَيْنَ التَّرَاقِي وَاللَّهَاءِ^(٢) حَرِيقٌ
فَبَعْضٌ لِبَعْضٍ فِي الْفَعَالِ فَوْوقٌ
وَهَلْ مَلَّ رَحْلِي فِي الرِّفَاقِ رَفِيقٌ
إِذَا أَغْبَرَ مَخْشِي الْفِجَاجِ عَمِيقٌ
إِذَا بَاحَ مَسْرَاحٍ بِهِنَ بَرُوقٌ^(٣)
فَقَطَّعَ حَبْلُ الْوَصْلِ وَهُوَ وَثِيقٌ
بَارِضُكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ طَرِيقٌ

قصته مع لبنى وزوجها وقد باعه ناقة وهو لا يعرفه:

قال: ثم أتى قومه فأقتطع قطعة من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة لبيعها ويمتار لأهله بشمنها. فعرف أبوه أنه إنما يريد لبنى، فعاتبه وزجره عن ذلك؛ فلم يقبل منه، وأخذ إبله وقدم بها المدينة. فبينما هو يعرضها إذ ساومه زوج لبنى ١٢٦ بناقة منها وهما لا يتعارفان، فباعه إياها. / فقال له: إذا كان غداً فأُتني في دار كثير بن الصلت فاقبض الثمن؛ قال: نعم. [٢٠٥/٩] ومضى زوج لبنى إليها فقال لها: إني أبتعت ناقة من / رجل من أهل البادية وهو يأتينا غداً ليقبض ثمنها، فأعدي له طعاماً، ففعلت. فلما كان من الغد جاء قيس فصوت بالخادم: قولي لسيدك: صاحب الناقة بالباب. فعرفت لبنى نغمته فلم تقل شيئاً. فقال زوجها للخادم: قولي له: ادخل، فدخل فجلس. فقالت لبنى للخادم: قولي له: يا فتى، مالي أراك أشعث أغبر؟ فقالت له ذلك. فتنفس ثم قال لها: هكذا تكون حال من فارق الأحبة وأختار الموت على الحياة، وبكى. فقالت لها لبنى: قولي له: حدثنا حديثك. فلما أبتدأ يحدث به كشفت الحجاب وقالت: حسبك! قد عرفنا حديثك! وأسبلت الحجاب. فبُهِت ساعة لا يتكلم ثم انفجر باكياً ونهض فخرج. فناداه زوجها: وَيْحَكَ! ما قصتك؟ إرجع اقبض ثمن ناقتك، وإن شئت زدناك. فلم يكلمه وخرج فأغترز^(٤) في رحله ومضى. وقالت لبنى لزوجها: وَيْحَكَ! هذا قيس بن دريح. فما حملك على ما فعلت به؟ قال: ما عرفته. وجعل قيس يبكي في طريقه ويندب نفسه ويؤيخها على فعله ثم قال:

(١) الرداح: الثقبلة الأوراك. والعتيق: الجميل الكريم.

(٢) الحيازيم: جمع حيزوم وهو وسط الصدر. والتراقي: جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق. واللهاء: اللحمه المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

(٣) في «الأمالي»: «نزوق».

(٤) أي ركب، والغرز للجعل مثل الركاب لليل.

قصود

أتبكي على لبني وأنت تركتها وأنت عليها بالملأ أنت أقدر
فإن تكن الدنيا لبني تقلبت عليّ فللدنيا بطون وأظهر
لقد كان فيها للأمانة موضع وللكف مرتاد وللعين منظر
وللحائم العطشان ريّ بريقها وللمريح المختال خمر ومسكر
كأنّي لها أزجوحة بين أخبل إذا ذكّرت منها على القلب تخطر

للغريض في البيتین الأولین ثقیلاً أوّل بالوسطی عن عمرو والهشامي وفيهما لعرب رمل. ولشارية خفيف رمل من رواية أبي العباس.

/ أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبدالعزيز قال: [٢٠٦/٩]

تزوج رجل من أهل المدينة يقال له أبو ذرة امرأة كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بطينة؛ فلقية زوجها الأول فضربه ضربة شلت يده منها. فلقية أبو السائب المخزومي فقال له: يا أبا ذرة! أضربك أبو بطينة في زوجته؟ قال: نعم. قال: أما إني أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذريح في زوجته لبني:

لقد كان فيها للأمانة موضع وللكف مرتاد وللعين منظر
وللحائم العطشان ريّ بريقها وللمريح المختال خمر ومسكر

قال: وكانت زوجة أبي ذرة هذه سوداء كأنها خنفساء.

مرضه بعد هذه الحادثة:

قال: وعاد إلى قومه بعد رؤيته إيّاها وقد أنكر نفسه وأسف ولحقه أمر عظيم؛ فأنكره وسأله عن حاله فلم يخبرهم، ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت. فدخل إليه إيوه ورجال قومه فكلموه وعاتبوه وناشدوه الله. فقال: ويحكم! أنروني أمرض نفسي أو وجدت لها سلوة بعد اليأس فأخترت الهَمَّ والبلاء، أو لي في ذلك صنْع! هذا ما اختاره لي أبواي وقتلاني به. / فجعل أبوه يبكي ويدعوه بالفرج والسلوة. فقال قيس:

لقد عدّبتني يا حبّ لبني فقّع إمّا بموتٍ أو حياة
فإن الموت أزوح من حياة تدوم على التباعد والشتات
وقال الأقربون تعزّ عنها فقلت لهم إذا حانت وفاتي

دمت إليه رسولا يسأله لم تزوج حتى تزوجت هي:

قال: ودسّت إليه لبني بعد خروجه رسولا وقالت له: استنشد، فإن سألك عن سبتك فانتسب له خزاعياً؛ فإذا أنشدك فقل له: لم تزوجت بعدها حتى أجابت / إلى أن تزوج بعدك؟ وأحفظ ما يقول لك حتى تردّه عليّ. فأنشده [٢٠٧/٩] الرسول فسلم وانتسب خزاعياً، وذكر أنه من أهل الشام وأستنشدته؛ فأنشده قوله:

فأقسم ما عُمش العيون شوارف روائس بؤ حانيات على سقبي

- وقد مضت هذه الأبيات - فقال له الرجل: فلم تزوجتَ بعدها؟ فأخبره الخبر، وحلف له أن عينه ما اكتحلَتْ
بالمرأة التي تزوجها، وأنه لو رآها في نسوة ما عرفها، وأنه ما مدَّ يده إليها ولا كلمها ولا كشف لها عن ثوب. فقال
له الرجل: فإني جازٍ لها وإنها من الوجد بك على حالٍ قد تمئى زوجها معها أن تكون بقرها لتصلحَ حائلها بك؛
فحملني إليها ما شئت أوذه إليها: قال: تعود إلي إذا أردت الرحيل، فعاد إليه لما أراد الرحيل. فقال تقول لها:

ألا حيُّ بُنَى اليوم إن كنت غادياً وألمم بها من قبل أن لا تلاقياً
وأفد لها منك النصيحة إنها قليل ولا تخش الوشاة الأديا
وقل إنني والراقصات إلى منى بأجبل جمع^(١) ينتظرن المناديا
أصونك عن بعض الأمور مضنة وأخشى عليك الكاشحين الأعاديا
تساقط نفسي حين ألقاك أنفساً يرذن فما يضذن إلا صواديا
فإن أخى أو أهلك فليست بزائل لكم حافظاً ما بل ريق لسانيا
أقول إذا نفسي من الوجد أضعدت بها زفرة تعتادني هي ما هيا
وبين الحشى والنحر مني حرارة ولوعة وجد ترك القلب ساهيا
ألا ليت بُنَى لم تكن لي خلة^(٢) ولم تسرني بُنى ولم أدر ما هيا
سلي الناس هل خبرت سرك منهم أختة أو ظاهر الغش باديا
يقول لي الواشون لما تظاهروا عليك وأضحى الجبل للين واهيا
/ لعفري قبل اليوم حملت ما ترى وأنذرت من بُنى الذي كنت لاقيا
خليلي مالي قد يليت ولا أرى لبُنَى على الهجران إلا كما هيا
ألا يا غراب الين مالك كلما ذكرت لبُنَى طرت لي عن شماليا
أعندك علم الغيب أم لست^(٣) مخبري عن الحي إلا بالذي قد بدا ليا
جزعت عليها لو أرى لي مجزعا وأنيث دمع العين لو كان فانيا
/ حياتك لا تغلب عليها فإنه كفى بالذي تلقى لنفسك ناهيا
تمر الليالي والشهور ولا أرى ولوعي بها يزداد إلا تماديا
فما عن نوال من لبُنَى زيارتي ولا قلة الإمام أن كنت قاليا
ولكنها صدت وحملت من هوى لها ما يؤود الشامخات الرواسيا

[٢٠٨/٩]

١٢٨
٨

وهذه القصيدة تُخلط بقصيدة المجنون التي في وزنها وعلى قافيتها لتشابههما، فقلما يتميزان.

(١) جمع: المزدلفة.

(٢) خلة: صديقة.

(٣) كذا في س: وفي جميع الأصول: «أم أنت».

غنى الحسين بن مُحرز في البيت الأول والبيت الخامس من هذه القصيدة ثقبلاً أولَ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من روايتي بَذل والهشامي.

أنب لبني زوجها لافتضاح أمره بشعر قيس فغضبت:

حدّثني المدائني عن عوانة عن يحيى بن علي الكِناني قال:

شهر أمرُ قيس بالمدينة وغنى في شعره الغريض ومعبّد ومالك وذووهم، فلم يبق شريف ولا وضيع إلا سمع بذلك فأطربه وحزن لقيس ممّا به. وجاءها زوجها فأنبها على ذلك وعاتبها وقال: قد فضحتني بذكرك. فغضبت وقالت: يا هذا، إني والله ما تزوّجتك رغبةً فيك ولا فيما عندك ولا دُلّسُ أمرِي عليك، ولقد علمتُ أنّي كنتُ زوجته قبلك وأنه أكره على طلاقِي. والله ما قبلتُ التزويجَ حتى أهدِرَ / دمه إن أَلَمَ بحيّنا، فخشيتُ أن يحمله ما يجد على [٢٠٩/٩] المخاطرة فيقتل، فتزوّجتك. وأمرُك الآن إليك، ففارقني فلا حاجة بي إليك. فأمسك عن جوابها وجعل يأتيها بجواري المدينة يغنيها بشعر قيس كيما يستصلحها بذلك؛ فلا تردّادُ إلاّ تمادياً وبعداً، ولا تزال تبكي كلّما سمعت شيئاً من ذلك أحرَّ بكاءً وأشجاء.

وسط بريكة في لقائها، وشعره في ذلك:

رجع الحديث إلى سياقه.

وقال الحرّمازي وخالد بن جَمَل: كانت امرأة من موالي بني زُهرة يقال لها بُريكة من أظرف النساء وأكرمهن، وكان لها زوج من قريش له دارُ ضيافة. فلما طالت علّةُ قيس قال له أبوه: إني لأعلم أن شفائك في القرب من لبني فأرحل إلى المدينة. فرحل إليها حتى أتى دارَ الضيافة التي لزوج بُريكة. فوثب غلمانُه إلى رَحَل قيس ليحطّوه. فقال: لا تفعلوا فلستُ نازلاً أو ألقى بُريكة فإني قصدتها في حاجة؛ فإن وجدتُ لها عندها موضعاً نزلتُ بكم وإلاّ رحلت. فأتوها فأخبروها. فخرجتُ إليه فسَلَّمْتُ عليه ورَحَّبْتُ به وقالت: حاجتك مقضيةٌ كائنةً ما كانت، فأنزل. فنزل ودنا منها فقال: أذكرُ حاجتي؟ قالت: إن شئت. قال: أنا قيس بن ذريح. قالت: حيّاك الله وقربك! إنّ ذكرك لجديدٌ عندنا في كل وقت. قال: وحاجتي أن أرى لبني نظرةً واحدةً كيف شئت. قالت: ذلك لك عليّ. فنزل بهم وأقام عندها وأخفت أمره، ثم أهدى لها هدايا كثيرةً وقال: لأطفيها وزوجها بهذا حتى يأنس بك. ففعلتُ وزارتها مراراً، ثم قالت لزوجها: أخبرني عنك: أنت خيرٌ من زوجي؟ قال: لا. قالت: فلُبني خيرٌ مني؟ قال: لا. قالت: فما بالي أزورها ولا تزورني؟ قال: ذلك إليها. فأتتها وسألته الزيارة وأعلمتها أن قيساً عندها. فتسارعتُ إلى ذلك وأتتها. فلما رآها / ورأته بكيا حتى كادا يتلفان. ثم جعلت تسأله عن خبره وعِلّته فيخبرها، ويسألها فتخبره. ثم [٢١٠/٩] قالت: أنشدني ما قلتُ في علّتك؛ فأنشدها قوله:

أعالج من نفسي بقايا حُشاشة^(١) على رَمَقٍ والعائِداتُ تعود
/ فإنْ ذُكرتُ لبني هَشِنْتُ لذكرها كما هَشَّ للثدي الدُّورِ وليدُ
أجيب لبني مَنْ دعاني تجلداً وبني زَفَراتٍ تتجلى وتعود

تُعِيدُ إِلَى رُوحِي الْحَيَاةَ وَإِنِّي بِنَفْسِي لَسَوْ عَسَايَتُنْسِي لِأَجْسُودِ
قال: وفي هذه القصيدة يقول:

صوت

أَلَا لَيْتَ أَيْاماً مَضَيْنَ تَعُودُ فإِنْ عُدْنَ يَوْماً إِنِّي لَسَعِيدُ
سَقَى دَارَ بُنَى حَيْثُ خَلْتُ وَخَيْمْتُ مِنْ الْأَرْضِ مُنْهَلُ الْغَمَامِ رَعُودُ
في هذين البيتين لَعَرِيبٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَطْلُقٍ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى، وَقِيلَ: إِنَّهُ لَغَيْرَهَا. وَتَمَامُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:
عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنْ دَنَتْ أَوْ تَبَاعَدَتْ فإِنْ تَدُنْ مِنَّا فَالْدُنُّ مَزِيدُ
فَلَا الْيَأْسُ يُسْلِينِي وَلَا الْقُرْبُ نَافِعِي وَلُبْنَى مُنَوِّغٌ مَا تَكَادُ تَجُودُ
كَأَنِّي مِنْ بُنَى سَلِيمٍ مُسَهَّدُ يَظَلُّ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ يَمِيدُ
رَمْتَنِي لُبْنَى فِي الْفَوَادِ بِسَهْمِهَا وَسَهْمٌ لِبْنَى لِلْفَوَادِ صَبُودُ
سَلَا كُلُّ ذِي شَجْوٍ عَلِمْتُ مَكَانَهُ وَقَلْبِي لِلْبْنَى مَا حَيِّثُ وَدُودُ
وَقَائِلَةٌ قَدْ مَاتَ أَوْ هُوَ مَيِّتٌ وَلِلنَّفْسِ مَنِّي أَنْ تَقْبِضَ رَصِيدُ
أَعَالِجُ مِنْ نَفْسِي بِقَايَا حُشَاشَةٍ عَلَى رَمَقِي وَالْعَائِدَاتُ تَعُودُ
[٢١١/٩] / وَقَالَ الْحَرَمَازِيُّ فِي خَبْرِهِ خَاصَّةً: وَعَاتَبَنِي عَلَى تَزَوُّجِي؛ فَحَلَفَ أَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا مَلَأَ عَيْنِيهِ وَلَادَنَا مِنْهَا، فَصَدَّقْتُهُ.
وقال:

صوت

وَلَقَدْ أَرَدْتُ الصَّبْرَ عَنْكَ فَعَاقَنِي عَلَّقَ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكَ قَدِيمُ
يَقَى عَلَى حَدِّ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ وَعَلَى جَفَائِكَ، إِنَّهُ لَكَرِيمُ
فَصَرَمْتَهُ وَصَحَّخْتُ وَهُوَ بِدَائِهِ شَتَّانَ بَيْنَ مُصَحَّحٍ وَسَقِيمِ
وَأَرَيْتُهُ^(١) زَمناً فَعَادَ بِحِلْمِهِ إِنَّ الْمَحَبَّ عَنْ الْحَيِّبِ حَلِيمُ
- لَعَرِيبٌ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ، وَلِلدَّرَامِيِّ خَفِيفٌ رَمَلٌ مِنْ رِوَايَةِ الْهَشَامِيِّ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْسُبُ خَفِيفَ
الثَّقِيلِ إِلَيْهِ وَخَفِيفَ الرَّمْلِ إِلَيْهَا - قَالُوا: فَلَمْ يَزَلْ يَوْمَهُ مَعَهَا يَحْدِثُهَا وَيَشْكُو إِلَيْهَا أَغْفَ شَكْوَى وَأَكْرَمَ حَدِيثَ حَتَّى
أَمْسَى؛ فَانْصَرَفْتُ وَوَعَدْتُهُ الرُّجُوعَ إِلَيْهِ مِنْ غَدٍ فَلَمْ تَرْجِعْ. وَشَاعَ خَبْرُهُ فَلَمْ تُرْسَلْ إِلَيْهِ رَسُولًا. فَكَتَبَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ فِي
رُقْعَةٍ وَدَفَعَهَا إِلَى بُرَيْكَةَ وَسَلَّاهَا أَنْ تُوصِلَهَا إِلَيْهَا، وَرَحَلَ مُتَوَجِّهاً إِلَى مُعَاوِيَةَ. وَالْأَبْيَاتُ:

صوت

بِنَفْسِي مَنْ قَلْبِي لَهُ الدَّهْرُ ذَاكِرُ وَمَنْ هُوَ عَنِّي مُعْرِضُ الْقَلْبِ صَابِرُ
وَمَنْ حُبُّهُ يَزْدَادُ عِنْدِي جِدَّةً وَحُبِّي لَدَيْهِ مُخْلِقُ الْعَهْدِ دَائِرُ

شكا إلى يزيد ما به وأمتدحه فحقن دمه:

/ غَنَّتْ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ضَنِينَ جَارِيَةً خَاقَانَ بْنَ حَامِدٍ خَفِيفَ رَمَلٍ قَالُوا: ثُمَّ أَرْتَحِلُ إِلَى مَعَاوِيَةَ، فَدَخَلَ إِلَى ^{١٣٠}_٨ يَزِيدَ فَشَكَا مَا بِهِ إِلَيْهِ وَأَمْتَدَحَهُ؛ فَفَرَّقَ لَهُ وَقَالَ: سَلْ مَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى زَوْجِهَا فَأَحْتَمَّ عَلَيْهِ أَنْ يَطْلُقَهَا فَعَلْتُ. / قَالَ: لَا أُرِيدُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَحَبُّ أَنْ أَقِيمَ بِحَيْثُ تَقِيمُ مِنَ الْبِلَادِ، أَتَعْرِفُ أَخْبَارَهَا وَأَقْنَعُ بِذَلِكَ مَنْ غَيْرِ أَنْ يُهَذَّرَ دَمِي. قَالَ: لَوْ سَأَلْتَ هَذَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَرَحَّلَ إِلَيْنَا فِيهِ لَمَا وَجِبَ أَنْ تُنْفَعَهُ، فَأَقِمَ حَيْثُ شِئْتَ؛ وَأَخَذَ كِتَابَ أَبِيهِ لَهُ بِأَنْ يُقِيمَ حَيْثُ شَاءَ وَأَحَبُّ وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَأَزَالَ مَا كَانَ كَتَبَ لَهُ فِي إِهْدَارِ دَمِهِ؛ فَقَدِمَ إِلَى بَلَدِهِ ٢٠. وَبَلَغَ الْفَزَارِيِّينَ خَبْرَهُ وَالْمَأْمُومَةُ بَلْبَنَى، فَكَاتَبُوهُ فِي ذَلِكَ وَعَاتَبُوهُ. فَقَالَ لِلرَّسُولِ: قُلْ لِلْفَتَى (يَعْنِي أَخَا الْجَارِيَةِ الَّتِي تَزَوَّجَهَا): يَا أَخِي مَا غَرَّرْتُكَ مِنْ نَفْسِي، وَلَقَدْ أَعْلَمْتُكَ أَنِّي مُشْغُولٌ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ أَمْرَ أُخْتِكَ إِلَيْكَ فَأَمُضِ فِيهِ مِنْ حَكْمِكَ مَا رَأَيْتَ. فَتَكَرَّمَ الْفَتَى عَنْ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا، فَمَكَثَتْ فِي حِجَالِهِ ^(١) مَدَّةً ثُمَّ مَاتَتْ.

لقية عياش السعدي ذاهلاً شارد القلب وأنشده من شعره فيها:

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عَيَّاشٍ السَّعْدِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَقْبَلْتُ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْغَايَةِ ^(٢)؛ فَلَمَّا كُنْتُ بِالْمَدَّادِ ^(٣)، إِذَا رَنْعٌ حَدِيثُ الْعَهْدِ بِالسَّاكِنِ، وَإِذَا رَجُلٌ مُجْتَمِعٌ فِي جَانِبِ ذَلِكَ الرَّبْعِ يَبْكِي وَيَحْدُثُ نَفْسَهُ. فَسَلَّمْتُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ سَلاماً. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: رَجُلٌ مُلْتَبِسٌ ^(٤) بِهِ فَوَلَّيْتُ عَنْهُ. فَصَاحَ بِي بَعْدَ سَاعَةٍ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، هَلُمَّ هَلُمَّ إِلَيَّ يَا صَاحِبَ السَّلَامِ! فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ فَهِمْتُ سَلامَكَ وَلَكِنِّي رَجُلٌ مُشْتَرِكُ اللَّبِّ يَصِلُ عَنِّي أحياناً ثُمَّ يَعُودُ إِلَيَّ. فَقُلْتُ: وَمَنْ / أَنْتَ؟ قَالَ: قَيْسُ بْنُ ذَرِيحِ اللَّيْثِيِّ. ^(٥) [٢١٣/٩] قُلْتُ: صَاحِبُ لُبْنَى؟ قَالَ: صَاحِبُ لُبْنَى لَعَمْرِي وَقَتِيلُهَا. ثُمَّ أَرْسَلَ عَيْنِيهِمَا كَأَنَّهُمَا مَزَادَتَانِ؛ فَمَا أُنْسَى حَسَنَ قَوْلِهِ:

أَبَائِنَا لُبْنَى وَلَمْ تَقْطَعْ الْمَدَى	بِوَصْلٍ وَلَا صُرْمٍ فَيَأْسَ طَامِعُ
نَهَارِي نَهَارُ الْوَالِهَيْنِ صَبَابَةٌ	وَلَيْلِي تَبُو فِيهِ عُنِي الْمَضَاجِعُ
وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلُوعاً وَإِنَّمَا	تُقَسِّمُ بَيْنَ الْهَالِكِينَ الْمَصَارِعُ
فَلَوْلَا رَجَاءُ الْقَلْبِ أَنْ تُسْعِفَ ^(٥) التَّوَى	لَمَّا حَشَّه بَيْنَهُنَّ الْأَضَالِعُ
لَهُ وَجَبَاتٌ إِثْرَ لُبْنَى كَأَنَّمَا	شَقَائِقُ بَرْقٍ فِي السَّمَاءِ لَوَامِعُ
أَبَى اللَّهُ أَنْ يَلْقَى الرَّشَادَ مُتِيئُ	أَلَّا كُلَّ أَمْرٍ حُمٌّ لَا بُدَّ وَاقِعُ
هَمَّا بَرَّحَابِي مُغْوِلَيْنِ كِلَاهُمَا	فَوَازٌ وَعَيْنٌ جَفَتْهَا الدَّهْرُ دَامِعُ

(١) كَذَا فِي جَدِّ وَتَجْرِيدِ الْأَغَانِي. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «فِي خِيَابِ لَهُ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) الْغَايَةُ: بَرِيدٌ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى طَرِيقِ الشَّامِ.

(٣) الْمَدَّادُ: مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ حَيْثُ حَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَنْدَقَ. وَقِيلَ: هُوَ وَادٍ بَيْنَ سُلْعٍ وَخَنْدَقِ الْمَدِينَةِ. (رَاجِعٌ «مَعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَمَ» لِلْبُكْرِيِّ وَ«مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ» لِيَاقُوتَ وَ«لِسَانُ الْعَرَبِ» مَادَّةُ مَدَدٍ).

(٤) فِي «تَجْرِيدِ الْأَغَانِي»: «مُلْتَبِسٌ» بِدُونِ كَلِمَةِ «بِهِ». وَفِي الْأَصُولِ: «مُكْتَنَسٌ عَنْهُ». وَقَدْ اعْتَمَدْنَا فِي إِصْلَاحِهِ عَلَى مَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ الْمُبَيْثِ: «فَجَاءَ الْمَلِكُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ قَالَ فَخَفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ اتَّبَسَ بِي» أَيِ اخْوَلَطَتْ فِي عَقْلِي.

(٥) كَذَا فِي «تَجْرِيدِ الْأَغَانِي». وَفِي الْأَصُولِ: «تُسْعِرُ» وَلَعَلَّهَا مُحَرَّفَةٌ عَنْ «تُسْعِدُ».

عبد الله بن مسلم بن جندب ينشد من شعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزُّبَيْر قال، وأخبرنا به وكيع عن أبي أيُّوب المَدِينِي، قال الزُّبَيْر قال حدّثني ظَبْيَةُ قالت:

سمعتُ عبد الله بن مُسلم بن جُنْدَب يُنشد زوجي قولَ قيس بن ذَرِيح:

إذا ذُكِرَتْ لُبْنَى تَأْوَهُ وأشكى تأوّه محموم عليه البَلابلُ
بَيْتٌ ويُضْحِي تحتِ ظِلِّ مَيْتَةٍ به رَمَقٌ تَبْكِي عليه القَبائلُ
قَتِيلٌ لِلْبُنَى صَدْعُ الحَبِّ قَلْبَهُ وفي الحبِّ شغلٌ للمُحِبِّينَ شاغلُ

١٣١ فصاح زوجي: أوّه! وأخرباه واسلباه! ثم أقبل على ابن جندب فقال: ويَلَك! أنشد هذا كذا! / قال: فكيف أنشدّه؟ قال: لم لا تتأوّه كما يتأوّه وتشتكي كما يشتكي!.

استنشد ابن أبي عتيق أحرّ ما قال في لبني:

وقال القَحْذَمِيّ: قال ابن أبي عتيق لقيس يوماً: أنشدني أحرّ ما قلت في لُبْنَى. فأنشده قوله:

/ وإنّي لأهوى النّومَ في غيرِ حِينِهِ لعلّ لقاءَ في المنامِ يكونُ
تَحَدَّثَنِي الأحلامُ أنّي أراكمُ فياليتَ أحلامَ المنامِ يقيُنَ
شهدتُ بأنّي لم أحلّ عن مَوْدَةٍ وأنّي بكم لو تعلّمينَ ضَينَ
وأن فسّادي لا يَلِينُ إلّا هَوًى مسواك وإن قالوا بَلَى سِيلِينِ

[٢١٤/٩]

فقال له ابن أبي عتيق: لَقَلَّ ما رَضِيتَ به منها يا قيس. قال: ذلك جُهدُ المُقِلِّ.

غنى في البيتين الأولين قفا النجار ثانيّ ثقيل بالوسطى عن حبّس.

أنشد ثعلب من شعره وكان يستحسنه:

أخبرني أحمد بن جعفر جَعْفَةُ قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لقيس بن ذَرِيح وكان يستحسن هذه الأبيات من شعره:

سَقَى طَلَلَ الدَّارِ التي أنتمُ بها حَيًّا ثم وَبِلَ صَيِّفٌ^(١) ورَيِّعُ
مَضَى زَمَنٌ والناسُ يستشفعون بي فهل لي إلى لُبْنَى الغداة شَفِيعُ
سَأَصْرِمُ لُبْنَى حَبْلِكَ اليومَ مُجَمِّلاً وإن كان صَرْمُ الجبلِ منك يَرُوعُ
وسوف أسلّي النفسَ عنكِ كما سَلَ عن البلدِ النَّائِي البعيدِ نَزِيعُ^(٢)
وإن مَسْنِي للضُّرِّ منك كَأَبَةٌ وإن نال جسمي للفراق خُشوعُ
يقولون صَبَّ بالنساءِ موَكَّلُ وما ذاك من فعلِ الرجالِ بَدِيعُ

(١) في ب، س: «صيب» بالباء الموحدة.

(٢) نزيع: غريب.

نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي نَدَامَةً كَمَا نَدِمَ الْمَغْبُونُ حِينَ يَبِيعُ
فَقَدْتُكَ مِنْ نَفْسِ شِعَاعِ الْمَأْكَنِ نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتَ جَمِيعُ
فَقَرَبْتَ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتَ هُنَاكَ ثَنَائِيَا مَا لَهْنُ طُلُوعِ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نَيْكَةً شَقَّتِ الْعَصَا هِيَ الْيَوْمَ شَتَّى وَهِيَ أَمْسُ جَمِيعِ
فِيَا حَجَرَاتِ الدَّارِ حَيْثُ^(١) تَحْمَلُوا بِذِي سَلِيمٍ لَا جَادَكُنَّ رِيْعِ

[٢١٥/٩]

/ صوت

فَلَوْ لَمْ يَهْجُنِي الظَّاعِنُونَ لَهَا جَنِي حَمَائِمُ وَزُقُ فِي الدِّيَارِ وَقُوعِ^(٢)
تَدَاعَيْنِ فَاسْتَبَكَيْنِ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى نَوَائِحَ لَمْ تَقْطُرْ لَهْنُ دُمُوعِ
- غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَبْنُ سُرَيْجٍ خَفِيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ عَنِ الْهَشَامِيِّ -

/ صوت

إِذَا أَمَرْتَنِي الْمَآذِلَاتُ بِهَجْرِهَا أَبْتُ كَيْدَ عَمَّا يَقْلُنَ صَدِيعِ
وَكَيْفَ أَطِيعَ الْعَآذِلَاتِ وَذَكَرُهَا بِوُزْنَتِي وَالْعَآذِلَاتُ مُجْبِوعِ
غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِبْرَاهِيمُ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو.
فَكَاهَاتُ لِأَبِي السَّائِبِ الْمَخْزُومِي فِي شِعْرِهِ وَفِي سِيرَتِهِ:
أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ:
أَنْشَدْتُ أَبَا السَّائِبِ الْمَخْزُومِي قَوْلَ قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ:

/ صوت

أَحْبَبُّكَ أَصْنَافًا مِنَ الْحُبِّ لَمْ أَجِدْ لَهَا مَثَلًا فِي سَائِرِ النَّاسِ يُوصَفُ
/ فَمَنْهُمْ حُبٌّ لِلْحَبِيبِ وَرَحْمَةٌ بِمَعْرِفَتِي مِنْهُ بِمَا يَتَكَلَّفُ
وَمَنْهُمْ إِلَّا يَغْرِضُ الدَّهْرَ ذَكَرُهَا عَلَى الْقَلْبِ إِلَّا كَادَتْ النَّفْسُ تَتَلَفُ
وَحُبٌّ بَدَأَ بِالْجِسْمِ وَاللَّوْنِ ظَاهِرٌ وَحُبٌّ لَسَى نَفْسِي مِنَ الرُّوحِ الْطَفِ

١٣١
٨

قال أبو السائب: لَا جَرَمَ وَاللَّهِ لَاخْلِصَنَّ لَهُ الصَّفَاءُ وَلَاغْضِبَنَّ لَغْضَبِهِ وَلَارْضَيْنَ لِرِضَاهُ. غَنَى فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ
الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ خَفِيفَ ثَقِيلٍ عَنِ الْهَشَامِيِّ وَبَذَلَ.

/ أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِي السَّائِبِ الْمَخْزُومِيِّ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ [٢١٦/٩]
أَنَّهُ كَانَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ فِي سَقِيفَةِ دَارِ كَثِيرٍ، إِذْ مَرَّ بِجَنَازَةٍ؛ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا السَّائِبِ، جَارُكَ أَبْنُ

(١) كَذَا فِي جَم: وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «كَيْفَ».

(٢) يُقَالُ: وَقَعَ الطَّيْرُ عَلَى شَجَرٍ أَوْ أَرْضٍ، إِذَا نَزَلَتْ، فَهِيَ وَقُوعٌ وَوَقْعٌ.

كَلْدَة، أَلَا تَقُومُ بِنَا فَتَصْلِيْ عَلَيْهِ! قَالَ: قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ فَدَيْتُكَ! فَقَمْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا عِنْدَ دَارِ أُوَيْسَ إِذْ ذَكَرْتُ أَنْ جَدَّهُ كَانَ تَزَوَّجَ لُبْنَى وَنَزَلَ بِهَا الْمَدِينَةَ، فَرَجَعْتُ فَطَرَحْتُ نَفْسِي فِي السَّقِيْفَةِ وَقُلْتُ: لَا يَرَانِي اللَّهُ أَصْلِي عَلَيْهِ. فَرَجَعَ الْكَثِيرِيُّ فَقَالَ: أَكُنْتُ جُنُبًا؟ قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ. قَالَ: فَعَلَى غَيْرِ وَضُوءٍ؟ قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ. قَالَ: فَمَا لَكَ؟ قُلْتُ: ذَكَرْتُ أَنْ جَدَّهُ كَانَ تَزَوَّجَ لُبْنَى وَفَرَّقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ لَمَّا ظَنَّنَ بِهَا مِنْ بِلَادِهَا، فَمَا كُنْتُ لِأَصْلِي عَلَيْهِ.

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُوسَى الْفَرَوِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا الْخَلِيلُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ:

مَرَرْتُ بِسُوقِ الطَّيْرِ، إِذَا النَّاسُ قَدْ اجْتَمَعُوا يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَاطَّلَعْتُ فَأَذَا أَبُو السَّائِبِ الْمَخْزُومِي قَائِمٌ عَلَى غَرَابٍ يُبَاعُ وَقَدْ أَخَذَ بِطَرَفِ رِدَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ لِلْغَرَابِ: يَقُولُ لَكَ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ:

أَلَا يَا غَرَابَ الْبَيْنِ قَدْ طَرُتَ بِالَّذِي أَحَاذِرُ مِنْ لُبْنَى فَهَلْ أَنْتَ وَاقِعٌ

لَمْ لَا تَقْعُ! وَيَضْرِبُهُ بِرِدَائِهِ وَالْغَرَابُ يَصِيحُ. قَالَ: فَقَالَ قَائِلٌ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ يَا أَبَا السَّائِبِ! لَيْسَ هَذَا ذَاكَ الْغَرَابِ. فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ، وَلَكِنْ أَخَذَ الْبَرِيءُ حَتَّى يَقَعَ الْجَرِيءُ^(١).

أَلْتُ لِبْنَى أَلَا تَرَى غَرَابًا إِلَّا قَتَلْتَهُ لَبِيتَ قَالَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ، وَذَكَرَ الْمُخْتَارُ مِنْهَا:

وَقَالَ الْحَزْمَازِيُّ فِي خَبَرِهِ: لَمَّا بَلَغَ لُبْنَى قَوْلَ قَيْسٍ:

أَلَا يَا غَرَابَ الْبَيْنِ قَدْ طَرُتَ بِالَّذِي أَحَاذِرُ مِنْ لِبْنَى فَهَلْ أَنْتَ وَاقِعٌ

[٢١٧/٩] / أَلْتُ أَلَا تَرَى غَرَابًا إِلَّا قَتَلْتَهُ؛ فَكَانَتْ كَلِمًا رَأَتْهُ أَوْ رَأَتْهُ خَادِمٌ لَهَا أَوْ جَارَةٌ أَبْتِيعَ مِمَّنْ هُوَ مَعَهُ وَذَبَحَتْهُ.

وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ الْعَيْنِيَّةُ أَيْضًا مِنْ جَيْدِ شَعْرِ قَيْسٍ. وَالْمُخْتَرُ مِنْهَا قَوْلُهُ:

أَتَبْكِي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرْكَنْهَا وَكُنْتَ كَأَيِّ حَتَفَةٍ وَهُوَ طَائِعٌ

فِيَا قَلْبُ صَبْرًا وَأَعْتَرَفًا لَمَّا تَرَى^(٢) وَيَا قَلْبُ خَجَرْنِي إِذَا شَطَطَتِ النَّوَى

أَتَصْبِرُ لِلْبَيْنِ الْمُشِثِّ مَعَ الْجَوَى أَم أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ

وَلَمْ يَطْلُغْكَ الدَّهْرُ فِيمَنْ^(٤) يُطَالَعُ أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ

أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ

أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ

أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ

أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ

أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ

أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ

أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ

أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ

أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ أَمْ أَنْتِ أَمْرُؤُ نَاسِي الْحَيَاءِ^(٣) فَجَاوِزُ

(١) فِي جَدِّ: «النَّطْفُ»، وَالنَّطْفُ: الْمَرْيَبُ.

(٢) كَذَا فِي «الْأَمَالِيِّ» (جَدِّ ٢ ص ٣١٥) وَ«لِسَانِ الْعَرَبِ» مَادَّةُ عَرَفَ. وَاعْتَرَفَ لِلْأَمْرِ: صَبَرَ. وَفِي الْأَصُولِ: «وَاعْتَرَفًا بِجَبْهَا».

(٣) كَذَا فِي «تَجْرِيدِ الْأَغَانِي» وَ«الْأَمَالِيِّ». وَفِي الْأَصُولِ: «الْحَيَاءُ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٤) الْبَدْعُ: الْفَعْرُ مِنَ الرِّجَالِ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ.

(٥) كَذَا فِي «الْأَمَالِيِّ». وَفِي الْأَصُولِ: «فِيمَا».

(٦) كَذَا فِي «الْأَمَالِيِّ»: وَفِي الْأَصُولِ: «وَحَشَّ بِلَاقِعَ».

فما أنت إذ بانست لُبْنَى بهاجع إذا ما اطمأنت بالثَّيَّام المضاجع

صوت

أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا دَجَا^(١) لَيْلِي اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ

لَقَدْ رَسَخْتُ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَوْدَّةٌ كَمَا رَسَخْتُ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

/ أَحَالَ عَلَيَّ الْهَمُّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَدَامَتْ فَلَمْ تَبْرَحْ عَلَيَّ الْفَوَاجِعُ

أَلَا إِنَّمَا أَبْكِي لِمَا هُوَ وَاقِعٌ فَهَلْ جَزَعَنِي مِنْ وَشْكِ ذَلِكَ نَافِعٌ

وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي وَالنَّوَى مَطْمَئِنَّةٌ بَنَّا وَبِكُمْ مِنْ عِلْمٍ مَا الْبَيْنُ صَانِعٌ

وَأَهْجُرْكُمْ هَجَرَ الْبَغِيضِ وَحُبِّكُمْ عَلَى كِبْدِي مِنْهُ كُلُّوْمٌ^(٢) صَوَادِعُ

لَتَرْجِعَنِي يَوْمًا إِلَيْكَ الرَّوَاجِعُ لَتَرْجِعَنِي يَوْمًا إِلَيْكَ الرَّوَاجِعُ

مَخَافَةٌ وَشْكِ الْبَيْنِ وَالشَّمْلُ جَامِعٌ مَخَافَةٌ وَشْكِ الْبَيْنِ وَالشَّمْلُ جَامِعٌ

تُلَاقِي وَلَا كُلُّ الْهَوَى أَنْتَ تَابِعٌ تُلَاقِي وَلَا كُلُّ الْهَوَى أَنْتَ تَابِعٌ

لَعَمْرِي لَمَنْ أَمْسَى وَلُبْنَى ضَجِيعُهُ مِنْ النَّاسِ مَا أَخْتِيرْتُ عَلَيْهِ الْمَضَاجِعُ

فَتِلْكَ لُبْنَى قَدْ تَرَاحَى مَزَارُهَا وَقَلَّكَ نَوَاهَا غُرْبَةً مَا تُطَاوَعُ^(٣)

وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَاوِلِ اللَّهِ جَمْعُهُ مُشْتَكٌّ وَلَا مَا فَرَّقَ اللَّهُ جَامِعٌ

فَلَا تَبْكِينَ فِي إِثْرِ لُبْنَى نَدَامَةً وَقَدْ نَزَعَتْهَا مِنْ يَدَيْكَ النِّوَازِعُ

غنى الغريضة في الثالث والرابع والأول والعشرين وهو «لعمري لمن أمسى ولبنى ضجيعه» ثقبلاً أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وغنى إبراهيم الموصلي في العاشر وهو: «أقضي نهاري بالحديث وبالمنى» والحادي عشر والثاني عشر زملاً بالوسطى عن عمرو. وقد قيل: إن ثلاثة أبيات من هذه وهي: «أقضي نهاري بالحديث وبالمنى» [والبيتان اللذان بعده^(٤)] لابن الدُمَيْنَةِ الْخَثْعَمِيّ؛ وهو الصحيح؛ وإنما أدخلها الناس من هذه الأبيات لتشابهها.

/ مصير قيس ولبنى وهل ماتا زوجين أو مفترقين:

وقد اختلف في آخر أمر قيس ولبنى؛ فذكر أكثر الرواة أنهما ماتا على افتراقهما، فمنهم من قال: إنه مات قبلها وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه. ومنهم من قال: بل ماتت قبله ومات بعدها أسفاً عليها، ومنهم من ذكر ذلك

(١) في الأصول: «بدا».

(٢) كذا في «الأمالي» وفي الأصول: «شؤون».

(٣) رواية «الأمالي»:

ألا تلك لبني قد تسراخى مزارها ولليين غم ما يـزال يـنازع
(٤) زيادة يقتضيها السياق. (راجع «الأغاني» ج ١٥ ص ١٥٤ طبع بولاق).

اليوسُفِي عن علي بن صالح المُصَلِّي؛ قال قال لي أبو عمرو المَدَنِي:

ماتت لُبْنَى، فخرج قيسٌ ومعه جماعةٌ من أهله فوقف على قبرها فقال:

ماتت لُبْنَى فموتها مَوْتِي هل تنفعن حَسْرَتِي على الفَوْتِ

وسوف أبكي بكاءً مكثبٍ قضى حياةً وَجْداً على مَيِّتِ

ثم أَكَبَّ على القبر يبكي حتى أغمي عليه؛ فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل، فلم يزل عليلًا لا يُفِيق ولا يجيب مكلِّماً ثلاثاً حتى مات فدفن إلى جنبها.

١٣٤
وذكر القَحْذَمِي وأبن عائشة / وخالد بن جمل أن أبن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب وعبدالله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعة من فريش، فقال لهم: إن لي حاجةً إلى رجل أخشى أن يرُدَّنِي فيها، وإنني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه. قالوا: ذلك لك مُبْتَدَلٌ مِنَّا. فاجتمعوا اليوم وعدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لُبْنَى. فلما رآهم أعظم مصيرهم إليه وأكبره. فقالوا: لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق. قال: هي مقضية كائنة ما كانت. قال أبن أبي عتيق: قد قضيتها كائنة ما كانت من ملك أو مال أو أهل؟ قال نعم. قال: تَهَبْ لهم ولي لُبْنَى زوجتك وتطلقها. قال: فإني أشهدكم أنها طالقٌ ثلاثاً. فاستحيا القوم وأعتذروا وقالوا: والله ما عرفنا حاجته، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إياها. وقال أبن عائشة: فعوضه الحسنُ من ذلك مائة ألف درهم وحملها أبن أبي عتيق إليه. فلم تزل عنده حتى أنقضت عدتها. / فسأل القوم أباهما فزوجهما قيساً، فلم تزل معه حتى ماتا. قالوا: فقال قيس يمدح أبن أبي عتيق:

جزى الرحمنُ أفضلَ ما يُجْازِي علي الإحسان خيراً من صديق

فقد جَرَّيْتُ إخواني جميعاً فما أَلْقَيْتُ كَأَبْنِ أَبِي عَتِيقِ

سعى في جمع شَمْلِي بعد صَدْعٍ ورأي حِذْتُ فيه عن الطريق

وأطفأ لوعةً كانت بقلبي أغصشتني حرارتها برريقي

قال: فقال له أبن أبي عتيق: يا حبيبي أَمْسِكْ عن هذا المديح؛ فما يسمعه أحد إلا ظنني قَواداً. مضى الحديث.

صوت من مدن معبد في شعر عنترة:

ومن مُدُن مَعْبَدٍ وهو الذي أوله:

يا دارَ عَبْلَةٍ بالجِواءِ تكلمي

وقد جُمع معه سائرُ ما يغنى فيه من القصيدة.

منها:

جوت

هل غادر الشعراءُ من مُتَرَدِّمٍ أم هل عَرَفَت الدارُ^(١) بعد تَوَهْمِ

يا دارَ عَبْلَةٍ بالجِواءِ تكلمي وعِمي صَباحاً دارَ عَبْلَةٍ وأَسْلَمِي

(١) ويروي: «أم هل عرفت الربع» وهي الرواية التي كتب عليها المؤلف.

[٢٢١/٩]

١٣٥
٨

وَتَحَلَّ عِبْلَةً بِالْجَوَاءِ وَأَهْلُنَا
كَيْفَ الْقَرَارُ^(٢) وَقَدْ تَرُبَّعَ أَهْلُهَا
حُيِّتَ مَنْ طَلَّلِي تَقَادَمَ عَهْدُهُ
/ وَلَقَدْ نَزَلَتْ فَلَا تَغْلُظِي غَيْرَهُ
وَلَقَدْ خَشِيتُ بَأْنَ أَمُوتَ وَلَمْ تَذُرْ
الشَّائِمِي عِرْضِي وَلَمْ أَشْتُمْهُمَا
وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا
/ مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثَغْرَةٍ تَخْرِه
هَلَّا سَأَلْتُ الْخَيْلَ بِأَبْنَةَ مَالِكِ
يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي
يَذْعُونَ عَتَرَ وَالرَّمَاخُ كَانَتْهَا
فَشَكَّكْتُ بِالرُّمُحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ
فَإِذَا شَرِبْتُ فَلِأَنَّنِي مُسْتَهْلِكُ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصُرُ عَنْ نَدَى

بِالْحَزْنِ فَالضَّمَانِ فَالْمُتَلْسِمِ^(١)
بَعْنِي زَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْفَيْلَمِ
أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ
مَنْ فِي بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكْرَمِ
لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى أَبْنِي ضَنْفَمِ
وَالْكَافِرِينَ إِذَا لَمْ أَلْقَهُمَا دَمِي
قِيلَ الْفَوَارِسُ وَنِكَ عَتَرُ فَأَقْدَمُ
وَلَبَّائِهِ حَتَّى تَسْرِبَلَ بِالْدَمِ
إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
أَغْشَى الْوَعَى وَأَعْفَى عِنْدَ الْمَغْنَمِ
أَشْطَانُ بَشَرٍ فِي لَبَّانِ الْأَدَمِ
لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمَحْرَمِ
مَالِي، وَعِرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكَلِّمْ
وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرَمِي

الشعر لعنترة بن شدَّاد العبسي، وقد تقدَّمت أخباره ونسبه، وغنى في البيت الأول، على ما ذكره ابن المكي، إسحاق خفيف ثقيل أول بالوسطى، وما وجدت هذا في رواية غيره. وغنى معبد في البيت الثاني والثالث خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وهو الصوت المعداد في مَدُن معبد. وغنى سَلَامُ الْغَسَّالِ في السابع والثامن والثالث والعاشر رَمَلًا بالسَّابَةِ في مجرى البنصر، ووجدت في بعض الكتب أن له أيضاً في السابع وجده ثاني ثقيل أيضاً، وذكر عمرو بن بانه أن هذا الثقيل الثاني بالوسطى لمعبد ووافقه يونس، وذكر ابن المكي أن هذا الثقيل الثاني للهذلي، وذكر غيره أنه لابن مُحْرِز. وذكر أحمد بن عبيد أن في السابع ثقيل أول للهذلي، ووافقه حبش. وذكر حبش أن في الثاني لمعبد ثقيل أول، وأن لابن سُرَيْج فيه رَمَلًا آخر غير رمل ابن الغَسَّال، وأن لابن مِسْجَح / أيضاً فيه خفيف ثقيل بالوسطى. وفي كتاب أبي العيَّس: له في الثالث لحن. وفي كتاب أبي أيوب [٢٢٢/٩] المديني: لابن جامع في هذه الأبيات لحن. ولمعبد في الحادي عشر والثاني عشر والخامس عشر والسادس عشر خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً. ولعلَّوه في السادس والرابع ثاني ثقيل، وله أيضاً في الرابع عشر والثالث عشر رَمَلٌ. وفي كتاب هارون بن الزُّيَّات لعبد آل في الخامس ثقيل أول؛ وقد نسب الثقيل الثاني المختلف فيه لابن مُحْرِز. وفي كتاب هارون: لأحمد النَّصْبِي في الرابع والخامس لحن.

«هل غادر الشعراء» البيت، يدفع أكثر الرواة أن يكون لعنترة؛ ومن يدفعه الأصمعي وأبن الأعرابي. وأول

(١) الصمان: موضع، ويقال: هو جبل. وقال أبو جعفر: الجواء بنجد، والحزن لبني يربوع، والصمان لبني تميم. والمتلسم: مكان.

(انظر «شرح القصائد العشر» للتبريزي).

(٢) في «المعلقات»: «كيف المزارة».

القصيد عندهما «يا دار عبلة». فذكر أبو عمرو الشَّيباني أنه لم يكن يزويه حتى سمع أبا حزام العُكيلي يرويه له. قوله: «هل غادر الشعراء من متردّم» يقول: هل تركوا شيئاً يُنظر فيه لم ينظروا فيه؟. والمتردّم: المتعطف، وهو مصدر. يقول: هل تركوا شيئاً يُتردّم عليه أي يتعطف؛ ويقال: تردّمت الناقة على ولدها إذا تعطفت عليه، وثوبٌ مردّم وملدّم إذا سُدّت خروقه بالرقاع. والرَّبع: المنزل، سُمّي ربعاً لارتباعهم فيه؛ والرَّبيعة: الصخرة. حكى أبو نصر أنه يقول: هل ترك الشعراء من خرقٍ لم يرقعوه وقتي لم يرقعوه! وهو أشبه بقوله من متردّم. وقال غيره: يعني بقوله من متردّم البناء وهو الرَّدَم، أي لم يتركوا بناءً إلا بنؤه؛ قال الله عز وجل: «أَجْمَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا»^١ يعني بناء؛ وردّ فلان حائطه أي بناه. / والجواء: بلد بعينه؛ والجواء أيضاً: جمع جَوٌّ وهو البطن الواسع من الأرض. عَمِي صباحاً، وأنعمي صباحاً: تحية. تَرَبّع أهلها: نزلوا في الرَّبيع. وعُتَيْرَتَيْن: أكمة سوداء بين البصرة ومكة. والغَيْلم: موضع. والظَّلَل: ما كان / له شخص من الدار مثل أنفية^(١) أو وِدٍ أو نُؤي، وتقول العرب: حياً الله ظَلَلَك، أي شخصك. وأبنا ضَمَضَم: حُصَيْن وهَرِم المُرَّيَان. وثغرة نحره: موضع لَبته. واللَّبَان: مَجْرَى لَبِّهِ من صدره وهو الصدر نفسه. ويروى «بغرة وجهه». وتَسْرِبِل، أي صار له سِرْبِل من الدم. وقوله: «هَلَا سَأَلَت الْخَيْلَ» يريد فرسان الخيل؛ كما قال الله تعالى: «وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ». والوَقِعة: الوَقعة. والوَعَى والوَحَى: أصوات الناس وجَلَبَتُهُم في الحرب؛ وقال الشاعر:

وليلي كَسَاجٍ^(٢) الحَنِيَرِي أَدْرَعْتُهُ كَأَنَّ وَغَى حَافَاتِهِ لَغَطُ الْعُجَمِ

والأشطان: الحبال، واحداً شَطَن. شبه اختلاف الرِّمَاح في صدر فرسه بالأشطان. وشَكَّكَت بالرمح: نظمت. وقال أبو عمرو: يعني بشيابه قلبه. والعِرْض: موضع المدح والذم من الرجل؛ يقال: طيَّب العِرْض أي طيَّب ربح الجسم. والكُلوم: الجراح. والوافر: التام. وشمالتي: أخلاقي، واحداً شِمَال. يقال: فلان حُلُو الشَّمائل والنَّحائت والضرائب والغرائز.

عنترة يقول معلقته لأن رجلاً سبه وعيره سواده:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد الشُّكْرِي قال قال أبو عمرو الشَّيباني:

قال عنترة هذه القصيدة لأن رجلاً من بني عَبْس سابه فذكر سواده وسواد أمه وإخوته وعيره ذلك. فقال عنترة: والله إن الناس لَيَتَرَفَّدُونَ^(٣) بالطُّعْمَة، فوالله ما حضرت مَرَفَدَ الناس أنت ولا أبوك ولا جدك قط. وإن الناس لَيُدْعَوْنَ في الفزع فما رأيك في خيلٍ قط، ولا كنت في أول النساء. وإن اللبس (يعني الاختلاط) ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أحدٌ من أهل بيتك لِخُطَةِ فَيَصِل قط، / وكنت فقراً بقرقرة^(٤). ولو كنت في مَرَبَّتِكَ وَمَغْرِسِكَ الذي أنت فيه ثم ما جدتك لمجدتك، أو طاولتك لَطُلْتُكَ. ولو سألت أمك وأباك عن هذا لأخبراك بصحته. وإني لأحتضِر الوَعَى،

(١) الأنفة: الحجر توضع عليه القدر.

(٢) الساج: الطيلسان الأسود.

(٣) يترافدون: يتعاونون.

(٤) ويقال أيضاً فقع قرقرة. وهو مثل يضرب للضعيف الدليل الذي لا يمتنع على من يضيئه. والفقع: هجين الكماء، وهو أبيض ضخم سريع الفساد قليل الصبر عن الحيا لا يمتنع على من اجتناءه، وقيل: لأنه يداس دائماً بالأرجل، وقيل: لأنه لا أصل له ولا أغصان. والقرقرة والقرقر: الأرض المستوية السهلة. (انظر ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه).

وَأَوْفَى الْمَغْنَمِ، وَأَعِفُّ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، وَأَجُودُ بِمَا مَلَكَتُ، وَأَفْصِلُ الْخُطَّةَ الصَّمْعَاءَ^(١). فقال له الآخر: أنا أشعرُ منك. فقال: ستعلم! وكان عنترة لا يقول من الشعر إلا البيت أو البيتين في الحرب فقال هذه القصيدة. ويزعمون أنها أول قصيدة قالها. وكانت العرب تسميها المَذْهَبَةَ.

بقية مدن معبد:

نسبة الأصوات التي جُعِلَتْ مكان بعض هذه الأصوات في مدن معبد، وهنّ:

صوت من مدنه في شعر كثير عزة:

صوت

تَقَطَّعَ مِنْ ظَلَامَةِ الْوَصْلِ أَجْمَعُ أَخِيرًا عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ يَنْقَطَعُ
وَأَصْبَحْتُ قَدْ وَدَعْتُ ظَلَامَةَ النَّسِي تَضُرُّ وَمَا كَانَتْ مَعَ الضَّرِّ تَنْفَعُ

الشعر لكثير. والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالنصر عن عمرو ويونس.

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي قال قال السائب راوية كثير، وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال زعم / ابن الكلبي عن أبي المقوم قال حدثني^{١٣٧} سائب راوية كثير قال:

كُنْتُ مَعَ كَثِيرٍ عِنْدَ ظَلَامَةٍ فَأَقَمْنَا أَيَّامًا. فلما أردنا الانصرافاً عقدت له في علاقة سوطه عُقْدًا وقالت: احفظها. ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبني ضمرة، / فقال: إن في هذه الأخبية جاريةً ظريفةً ذات جمال، فهل لك أن [٢٢٥/٩] تستبرزها؟ فقلت: ذاك إليك. قال: فمِلْنَا إِلَيْهِمْ فَخَرَجَتْ إِلَيْنَا جَارِيَتُهَا فَأَخْرَجَتْهَا إِلَيْنَا، فإذا هي عَزَّة، فجلس معها يحادثها، وطرح سوطه بينه وبينها إلى أن غلبته عيناه. وأقبلت عَزَّة على تلك العُقْد تَحُلُّهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً. فلما أَسْتَيْقِظُ أَنْصَرَفْنَا. فنظر إلى علاقة سوطه فقال: أَحَلَّتْهَا؟ قلت: نعم! فلا وصلها الله! والله إنك لمجنون. قال: فسكت عني طويلاً ثم رفع السوط فضرب به واسطة رَحْله وأنشأ يقول:

تَقَطَّعَ مِنْ ظَلَامَةِ الْوَصْلِ أَجْمَعُ أَخِيرًا عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ يَنْقَطَعُ
وَأَصْبَحْتُ قَدْ وَدَعْتُ ظَلَامَةَ النَّسِي تَضُرُّ وَمَا كَانَتْ مَعَ الضَّرِّ تَنْفَعُ
وَقَدْ سُدَّ مِنْ أَبْوَابِ ظَلَامَةِ النَّسِي لَنَا خَلْفٌ لِلنَّفْسِ مِنْهَا وَمَقْنَعُ

ثم وصل عَزَّة بعد ذلك وقطع ظلامه.

ومنها:

وهو الذي أوله: «خَمَصَانَةٌ قَلِقَتْ مُوَشَّحُهَا».

صوت من مدنه في شعر الحارث بن خالد:

صوت

أَقْوَى مِنْ آلِ ظَلِيمَةِ الْحَزْمِ فَالْعَمْرَتَانِ فَأَوْحَشِ الْخَطْمِ^(١)
 فَجَنُوبُ أَثِيرَةٍ فَمُلْحَدُهَا فَالسُّدْرَتَانِ فَمَا حَوَى دَسْمِ^(٢)
 وَبِمَا أَرَى شَخْصاً بِهِ حَسْناً فِي الْقُومِ إِذْ حَيَّكُمُ نُفْعُ
 إِذْ وَدَّهَا صَافٍ وَرَوَيْتُهَا أَمْنِيَّةً وَكَلَامُهَا غُنْمُ
 / لَفَاءً^(٣) مَمْلُوءٌ مُخْلَخِلُهَا عَجْزَاءُ لَيْسَ لِعَظْمِهَا حَجْمُ
 خَمَصَانَةٌ قَلِقٌ مَوْشَحُهَا رُؤْدُ الشَّبَابِ عَلا بِهَا عَظْمُ
 وَكَأَنَّ غَالِيَةً^(٤) تُبَاشِرُهَا نَحْتِ الثِّيَابِ إِذَا صَفَا^(٥) النَّجْمُ
 أَظْلِيْمُ إِنَّ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَفَدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ
 أَقْصَرِيَّةً وَأَرَادَ سَلَمَكُمْ فَلَيَهْنُوه إِذْ جَاءَكَ السَّلْمُ

[٢٢٦/٩]

عروضه من الكامل. الشعر للحارث بن خالد المخزومي. والغناء لمعبد، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر. قال: ولحن معبد^(٦):

خَمَصَانَةٌ قَلِقٌ مَوْشَحُهَا

وَأَوَّلُ لَحْنٍ^(٧) مَالِكُ:

أَقْوَى مِنْ آلِ ظَلِيمَةِ الْحَزْمِ

- (١) أقوى: خلا. والحزم: موضع أمام خطم الحجل. والغمرة: منهل من مناهل طريق مكة ومنزل من منازلها.
 (٢) أثيرة: عدة جبال بمكة، واحدها ثبير. والسدرتان: موضع. ودسم: موضع قرب مكة فيه قبر ابن سريج المغني.
 (٣) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «هيفا». ولفاء: ضخمة الفخذين مكتنزة.
 (٤) الغالية: ضرب من الطيب.
 (٥) صفا النجم: مال للغروب.
 (٦) لعله: «وأول لحن معبد».
 (٧) يلاحظ أنه لم يتقدم لمالك لحن في هذا الشعر.

[٢٢٢٧/٨]

/ ذكر الحارث بن خالد ونسبه وخبره في هذا الشعر

الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عُمَر بن مخزوم؛ وقد تقدّم ذكره وأخباره في كتاب المائة المختارة في بعض الأغاني المختارة التي شعرها له وهو:

إِنَّ أَمْرًا تَعْتَادُهُ ذِكْرُ

تَرْوِجُ حَمِيدَةَ بِنْتِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ثُمَّ طَلَّقَهَا:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال:

بلغني / أن الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة - ويقال: بل خالد بن المهاجر بن خالد بن ١٣٨ الوليد بن المغيرة - كان تَرْوِجُ حَمِيدَةَ بِنْتِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ بِدَمَشْقَ لَمَّا قَدِمَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. فقالت فيه:

نَكَحْتُ الْمَدِينِيَّ إِذْ جَاءَنِي فَيَا لَكَ مِنْ نَكْحَةٍ غَاوِيَةٍ
كَهَوْلٍ دِمَشْقٍ وَشُبَّانُهَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْجَالِيَةِ
صُنَانٌ لَهُمْ كَصُنَانِ الثُّيُو سِ أَعْيَا عَلَى الْمَسْكِ وَالْغَالِيَةِ

فقال الحارث يجيبها:

صوت

أَسْنَا ضَوْءَ نَارِ ضَمْرَةٍ بِالْقَفِّ رة أَبْصَرْتُ أَمْ سَنَّا ضَوْءَ بَرْقِ
قَاطِنَاتُ الْحُجُوجِ أَشْهَى إِلَى قَلْدِ بِيَّ مِنْ سَاكِنَاتِ دُورِ دِمَشْقِ
يَتَضَوُّ عَنْ لَوْ تَضَمَّنْ بِالْمَسِّ بِكَ صُنَانًا كَأَنَّهُ رِيحُ مَرْقِ^(١)

غناء مالك بن أبي السَّمْعِ خَفِيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ مِنْ رِوَايَةِ إِسْحَاقَ. وفيه لابن مُخَرِّزٍ^(٢) لَحْنٌ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرٍو بْنِ بَانَةَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى.

(١) المرق (بالفتح): صوف المعجاف والمرضى وهو متن، أو هو الجلد المتن.

(٢) في ج: لابن مسجع.

/ رجعت الرواية إلى خبر الحارث

قال: وطلّقها الحارث؛ فخلّف عليها رَوْحُ بن زُنْبَاع. قال: وكان الحارث خطب أمةً لمالك بن عبدالله بن خالد، بن أسيد، وخطبها عبدالله بن مُطِيع. فتزوّجها عبدالله ثم طلقها أو مات عنها، فتزوّجها الحارث بن خالد بعد ذلك وقال فيها قبل أن يتزوّج:

أَقْوَى مِنْ آلِ ظَلِيمَةِ الْحَزْمِ فَالْغَمْرَتَانِ فَأَوْحَشَ الْخَطْمُ

الآبيات التي فيها الغناء.

قال وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا محمد بن الحكم عن عَوَانة بهذا الخبر فذكر مثله، ولم يذكر أنّ الحارث هو المتزوّجها، وفسّر قولها:

أحبّ إلينا من الجالية

وقال: الجالية أهل الحجاز، كان أهل الشام يسمّونهم بذلك لأنهم كانوا يَجْلُون عن بلادهم إلى الشام. وقال في الحديث: فبلغ عبد الملك قولها فقال: لولا أنها قدّمت الكهول على الشبان لعاقبتها.

قتل مصعب أختها عمرة بعد قتل زوجها المختار:

قال عَوَانة: وكانت لَحْمِيْدَة أختٌ يقال لها عَمْرَة، وكانت تحت المختار بن أبي عُبَيْدِ الثَّقَفِي، فأخذها مُصْعَب بعد قتله المختار وأخذ أمراته الأخرى وهي بنت سَمُرَة بن جُنْدَب، فأمرهما بالبراءة من المختار. أمّا بنت سَمُرَة فبرئت منه، وأبث ذلك عَمْرَة. فكتب به مُصْعَب إلى أخيه عبدالله. فكتب إليه: إن أبت أن تبرأ منه فأقتلها. فأبث فحفر لها حَفِيرَة وأقيمت فيها فقتلت. فقال عمر بن أبي ربيعة في ذلك:

/ إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي قَتَلَ بِيضَاءَ حُرَّةً عَطْبُول^(١)

[٢٢٩/٩]

قَتَلْتُ حُرَّةً عَلَى غَيْرِ جُزْمِ إِنَّ اللَّهَ دَرَاهِمًا مِنْ قَتِيلِ

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الذِّبُولِ

رجع الحديث إلى رواية عمر بن شبة

/ قال أبو زيد وحدّثني أبْنُ عَائِشَة عن أبيه بهذا الخبر ونحوه، وزاد فيه أن الحارث لما تزوّجها قالت فيه:

١٣٩
٨

نَكَحْتُ الْمَدِينِيَّ إِذْ جَاءَنِي فَيَا لَكَ مِنْ نَكْحَةٍ غَاوِيَةٍ

تهاجي حميدة مع زوجها روح بن زنباع:

وذكر الآبيات المتقدمة. وقال عمر بن شبة فيه: وتزوّجها رَوْحُ بن زُنْبَاع؛ فنظر إليها يوماً تنظر إلى قومه جَذَامَ، وقد اجتمعوا عنده فلامها. فقالت: وهل أرى إلّا جَذَامَ! فوالله ما أحبّ الحلالَ منهم فكيف بالحرام! وقالت تهجوه:

(١) العطبُول: المرأة الفتيّة الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.

بكى الخُرُّ من رَوْحٍ وأنكر جِلْدَه
وقال العَبَا قد كنتُ حيناً لباسكم
فقال رَوْح:

إن تَبَكَّ مِنَّا تَبَكَّ مِمَّنْ يُهَيِّئُهَا
وإن تَهَوَّكُم تَهَوَّ اللُّثَامُ المَقَارِفَا^(١)
وقال رَوْح:

أَنْتِي^(٢) عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتَ فَلِأَنْتِي
مُثْنٍ عَلَيْكَ لِبَسِ حَشْوُ المِنْطَقِ^(٣)
فقالت:

أَنْتِي عَلَيْكَ بِأَنْ بَاعَكَ ضَيْقُ
وبأن أضلك في جُذَامٍ مُلْصَقُ
/ فقال رَوْح:

أَنْتِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتَ فَلِأَنْتِي
مُثْنٍ عَلَيْكَ بِمِثْلِ رِيحِ الجَوْرَبِ
فقالت:

فَنَاوِنَا شَرُّ الثَّنَاءِ عَلَيْكُمْ
أَسْوَا وَأَنْتُنَّ مِنْ مُسْلَاحِ الثَّغْلَبِ
وقالت:

وهل أنا إلا مُهْرَةٌ عَرِيَّةٌ
فإن تُتَجِّثْ مُهْرًا كَرِيمًا فبالْحَرَى
فقال رَوْح:

فَمَا بَالُ مُهْرٍ رَائِعٍ عَرَضْتَ لَهُ
إِذَا هُوَ وَلَّى جَانِبًا رِبَخْتُ^(٤) لَهُ
وقالت عَمْرَةَ لأخيها أَبَانُ بنِ الثُّعْمَانِ:

أَطَالَ^(٥) اللَّهُ شَاوُكَ مِنْ غُلَامٍ
أَتَرْضَى بِالْأَكَارِ^(٦) وَالذَّنَابِي
متى كَانَتْ مَنَاحِيْنَا جُذَامُ
وقد كُنَّا يَقْرَأُ بِنَا السَّنَامُ

(١) المقارف: الأندال. ويروى: «وما صانها إلا اللثام المقارف».

(٢) الثناء: ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم، وخص بعضهم به المدح.

(٣) المنطق والنطاق (وزان منبر وكتاب): شبه إزار فيه تكة كانت المرأة تتنطق به. وفي حديث أم إسماعيل: أول ما اتخذ النساء المنطق.

(٤) المقرف: الذي أمه عربية وأبوه ليس كذلك، ضد الهجين والمقرف أيضاً: النذل. وعليه وجه هذا البيت.

(٥) الجحفلة: الذي الحافر كالشفة للإنسان.

(٦) ربخت: استرخت.

(٧) القمراء: البيضاء.

(٨) سنائي فيه رواية أخرى (ج ١٤ ص ١٢٩ طبع بولاق): «أضل الله حلمك من غلام».

(٩) في الأصول هنا: «بالفواسق والذنابي». والتصويب عن الموضع المذكور.

وقال أبى عمّ لزّوج:

رَضِي الْأَشْيَاخُ بِالْفِطْيُونِ^(١) فَخَلَا / يهوديّ له بُضْعُ الْعَذَارَى [٢٣١/٩]
فَقَبَحاً لِلْكَهُولِ وَلِلْعَلَامِ
تُزَفُّ إِلَيْهِ قَبْلَ الزَّوْجِ خَوْدُ
كَأَنَّ شَنْسَا تَدَلَّتْ مِنْ عَمَامِ
فَأَبْقَى ذَلِكَ عَاراً وَخِزْيَا
بِقَاءِ الْوَحْيِ^(٢) فِي صُفِّ السَّلَامِ
يَهُودُ جُمُّوا مِنْ كُلِّ أَوْبِ
وَلَيْسُوا بِالْفُطَارِيفِ الْكَرَامِ

وقالت:

سُمِّيتَ رَوْحاً وَأَنْتَ الْغَمُّ قَدْ عَلِمُوا / لَا رَوْحَ اللَّهِ عَنْ رَوْحِ بَنِ زُبَاعِ
فَقَالَ رَوْحُ:

لَا رَوْحَ اللَّهِ عَمَّنْ لَيْسَ يَمْنَعُنَا / مَا لَ رَغِيبٌ وَيَعْلُ غَيْرَ مِمْنَعِ
كَشَافِ^(٣) جَوْنَةٍ تُجَلِّي مَخَاصِرُهَا / دَبَابَةٌ شَنْسَةُ الْكَفَيْنِ جُبَاعِ
قال: والجُبَاعُ: القصيرة. والجُبَاعُ من السهام: الذي لا فصل له. والجُبَاعُ: الرَّصَفُ^(٤). وقالت:

نُكْحَلْ عَيْنُكَ بِرَدِّ الْعِشِيِّ / كَأَنَّكَ مُوسِمَةٌ زَانِيَةٌ ١٤٠
وَأَيَّةُ ذَلِكَ بَعْدَ الْخُفُوقِ / تَغْلُفُ رَأْسَكَ بِالْغَالِيَةِ
وَأَنَّ بَيْتَكَ لَزَيْبِ الزَّمَانِ / نَأْمَلُ رَقَابَهُمْ حَالِيَةٍ
فَلَوْ كَانَ أَوْسٌ لَهُمْ حَاضِراً / لَقَالَ لَهُمْ إِنَّ ذَا مَالِيَةٍ
وَأَوْسٌ رَجُلٌ مِنْ جُذَامٍ يَقَالُ: إِنَّهُ اسْتَوْدَعَ رَوْحاً مَالاً فَلَمْ يَرِدْهُ عَلَيْهِ. فقال لها رَوْحُ:

إِنْ يَكُنِ الْخُلْعُ مِنْ بِالْكَمِ / فَلَيْسَ الْخُلَاعَةُ مِنْ بِالِيَةٍ
/ وَإِنْ كَانَ مَنْ قَدْ مَضَى مَثَلَكُمْ / فَأُفُّ وَتُفُّ عَلَى الْمَاضِيَةِ [٢٣٢/٩]
وَمَا إِنْ بَرَا اللَّهُ فَاسْتَيْقِنِي
سَبِيهَا بِكِ الْيَوْمَ فِيمَنْ بَقِيَ
هـ من ذات بعلى ومن جاريه
ولا كان في الأعْصُرِ الْخَالِيَةِ

(١) كذا في «نسخة الشنقيطي» مصححة بقلمه. والفطيون (بكسر الفاء وسكون الطاء): رجل من اليهود سبى فاجر كانت اليهود تدين له إلى أن كانت لا تتزوج امرأة منهم حتى تدخل عليه قبل دخولها على زوجها، ويقال إنه كان يفعل ذلك بنساء الأوس والخزرج. حتى كان زفاف أخت لمالك بن العجلان فأنارت في أخيها عوامل الحمية والغيرة فقتله. (راجع الجزء الثالث من هذه الطبعة ص ٤٠ الحاشية رقم ٣). وفي «الأصل» هنا: «القيطون» وهو تحريف.

(٢) الوحي: الكتابة. والسلام: الحجارة.

(٣) الشافع من النوق والنساء: التي في بطنها ولد ويتبعها آخر. وجونة: سوداء. وثجل: جمع أثجل أو ثجلاء. والثجل: عظم البطن وسعته. وشننة الكفين: غليظتهما.

(٤) الرصف: جمع رصفة وهي العقبة (والعقب: العصب الذي تعمل منه الأوتار) تلوي فوق الرعظ (ورعظ السهم: مدخل سنخ السهم في النصل).

فَبُعِدْ لَمَخْبِإِكَ إِذْ مَا حَيَّيْتِ وَبُعِدْ لَأَعْظَمِكَ الْبَالِيهِ

تزوجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم:

وقال رَوْحُ فِي بَعْضِ مَا يَتَنَازَعَانِ فِيهِ: اللَّهُمَّ إِنِّ بَقِيْتُ بَعْدِي فَأَبْتَلِهَا بِبَعْلِي يَلْطِمُ وَجْهَهَا وَيَمْلَأُ حِجْرَهَا قَيْشًا: فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ الْفَيْضُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ وَكَانَ شَابًا جَمِيلًا يُصِيبُ مِنَ الشَّرَابِ فَأَحْبَبَتْهُ. فَكَانَ رُبَّمَا أَصَابَ مِنَ الشَّرَابِ مُسْكِرًا فَيَلْطِمُ وَجْهَهَا وَيَقِيءُ فِي حِجْرِهَا؛ فَتَقُولُ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا زُرْعَةَ! قَدْ أَجَبْتُ دَعْوَتَهُ فِي. وَقَالَتْ لِفَيْضٍ:

سُمِيتَ فَيْضًا وَمَا شَيْءٌ تَفَيْضُ بِهِ إِلَّا سُلَاخَكَ بَيْنَ الْبَابِ وَالْدَارِ

فَتَلَكَ دَعْوَةَ رَوْحٍ الْخَيْسِرِ أَعْرِفُهَا سَقَى الْإِلَهَ صَدَاهُ الْأَوْطَفَ^(١) السَّارِي

وقالت لفَيْضٍ أَيْضًا:

أَلَا يَا فَيْضُ كُنْتُ أَرَاكَ فَيْضًا فَلَا فَيْضًا أَصَبْتُ وَلَا فَرَاتًا

وقالت:

وَلَيْسَ فَيْضٌ بِفَيْضِ الْعَطَاءِ لَنَا لَكِنْ فَيْضًا لَنَا بِالْقَنِيِّ فَيْاضُ

لَيْتُ الْيُوثِ عَلَيْنَا بِاسِلْ شَرِسُ وَفِي الْحُرُوبِ هَيْبُوثُ الصَّدْرِ جَيْاضُ^(٢)

تزوج ابنتها من الفيض الحجاج بن يوسف:

فُولِدَتْ مِنَ الْفَيْضِ ابْنَةُ فَتَزَوَّجَهَا الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ؛ وَقَدْ كَانَتْ قَبْلَهَا عِنْدَ الْحَجَّاجِ أُمُّ أَبَانَ بِنْتُ التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ. فَقَالَتْ حُمَيْدَةَ لِلْحَجَّاجِ:

إِذَا نَذَّغَرْتُ نِكَاحَ الْحَجَّاجِ مِنْ النَّهَارِ أَوْ مِنَ اللَّيْلِ الدَّاجِ

فَاضْتُ لَهُ الْعَيْنُ بِسَدْمِ نَجَّاجِ وَأَشْعَلُ الْقَلْبُ بِوَجْدِ وَهَّاجِ

/ لَوْ كَانَ نُعْمَانُ قَتِيلُ الْأَغْلَاجِ^(٣) مُنْتَوِي الشَّخْصِ صَحِيحِ الْأَوْدَاجِ

لَكُنْتُ مِنْهَا بِمَكَانِ الشَّجَاجِ قَدْ كُنْتُ أَرْجُو بَعْضَ مَا يَرْجُو الرَّجَاجِ

أَنْ تَنْكِحَهُ مَلِكًا أَوْ ذَاتَ نَاجِ

فَقَدِمْتُ حُمَيْدَةَ عَلَى ابْنَتِهَا زَائِرَةً. فَقَالَ لَهَا الْحَجَّاجُ: يَا حُمَيْدَةَ، إِنِّي كُنْتُ أَحْتَمِلُ مُزَاحَكَةَ مَرَّةً^(٤)، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَلَئِنِّي بِالْعِرَاقِ وَهُمْ قَوْمٌ سَوُوْهُ فَيَاكَ! فَقَالَتْ: سَأَكْفُ حَتَّى أَرْحَلَ.

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَعْبٌ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ مُحَارِبٍ قَالَ:

قَالَتْ حُمَيْدَةُ بِنْتُ التُّعْمَانِ لَزَوْجِهَا رَوْحُ بْنُ زُنْبَاعٍ، وَكَانَ أَسْوَدَ ضَخْمًا: / كَيْفَ تَسُودُ وَفِيكَ ثَلَاثُ خِصَالٍ: ١٤١

(١) الأوطف من السحاب: الداني من الأرض.

(٢) الجياض: الرواغ.

(٣) في ج: «قتيل الإدلاج».

(٤) لعله: «معدة».

أنت من جُدَام، وأنت جَبَان، وأنت غَيُور. فقال: أَمَا جُدَام فَأَنَا فِي أُرُومَتِهَا^(١)، وَبَحْسَبِ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فِي أُرُومَةِ قَوْمِهِ. وَأَمَا الْجُبْنُ فَإِنَّمَا لِي نَفْسٌ وَاحِدَةٌ، وَلَوْ كَانَ لِي نَفْسَانِ لَجُدْتُ بِإِحْدَاهُمَا. وَأَمَا الْغَيَرَةُ فَهُوَ أَمْرٌ لَا أَحِبُّ أَنْ أَشَارَكَ فِيهِ، وَإِنْ الْمَرْءُ لَحَقِيقٌ بِالْغَيَرَةِ عَلَى الْمَرْأَةِ مِثْلَكَ الْحَمَقَاءِ الْوَزَهَاءِ لَا يَأْمَنُ أَنْ تَأْتِيَهُ بَوْلِدٌ مِنْ غَيْرِهِ فَتَقْذِفَهُ فِي حَجَرِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَّ خَبَرِهَا مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ، وَقَالَ فِيهِ: فَخَلَفَ بَعْدَهُ عَلَيْهَا الْفَيْضُ بْنُ مُحَمَّدٍ عُمُ يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِ، فَكَانَ يَشْرَبُ وَيَلْطِمُهَا وَيَقِيءُ فِي حَجَرِهَا، فَقَالَتْ:

سُمِّيتَ فَيْضًا وَمَا شَيْءٌ تَفِيضُ بِهِ إِلَّا سُلَاحَكَ بَيْنَ الْبَابِ وَالْدَارِ
قَالَ الْمَدَانِيُّ: وَتَمَثَّلَ فَيْضٌ يَوْمًا بِهَذَا الْبَيْتِ:
إِنْ كُنْتُ سَاقِيَةً يَوْمًا عَلَى كَرَمٍ صَفَوُ الْمُدَامَةِ فَاسْقِيهَا بَنِي قَطْنٍ
ثُمَّ تَحَرَّكَ فَضَرَطَ. فَقَالَتْ: وَأَسْقِي هَذِهِ أَيْضًا بَنِي قَطْنٍ!

[٢٣٤/٩] / أَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِي وَالْوَائِقُ:

وَهَذَا الصَّوْتُ أَغْنَى:

أَقْوَى مِنْ آلِ ظُلَيْمَةَ الْحَزْمِ

هُوَ الصَّوْتُ الَّذِي أَشْخَصَ الْوَائِقُ لَهُ أَبَا عَثْمَانَ الْمَازِنِي بِسَبَبِ بَيْتٍ مِنْهُ اخْتَلَفَ فِي إِعْرَابِهِ بِحَضْرَتِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ:
أُظْلِمُ إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ
وَقَالَ آخَرُونَ: «رَجُلٌ». حَدَّثَنِي بِذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ وَعَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَعَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ وَالطَّيِّبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَاهِلِيُّ، يَزِيدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِي قَالَ:
كَانَ سَبَبُ طَلَبِ الْوَائِقِ لِي أَنْ مُخَارِقًا غَنَى فِي مَجْلِسِهِ:

أُظْلِمُ إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ

فَغَنَاهُ مُخَارِقُ «رَجُلٌ» فَتَابَعَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ وَخَالَفَهُ آخَرُونَ. فَسَأَلَ الْوَائِقُ عَمَّنْ بَقِيَ مِنْ رُؤَسَاءِ النُّحَوِيِّينَ فَذَكَرَتْ لَهُ، فَأَمَرَ بِخَمْلِي. فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ قَالَ: مَعْنَى الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: مِنْ بَنِي مَازِنٍ. قَالَ: أَمِنْ مَازِنٍ تُمِيمُ أَمْ مَازِنٍ قَيْسُ أَمْ مَازِنُ رِبِيعَةَ أَمْ مَازِنُ الْيَمَنِ؟ قُلْتُ: مِنْ مَازِنٍ رِبِيعَةَ. فَقَالَ لِي يَا أَسْمُكَ؟ (يُرِيدُ مَا أَسْمُكَ وَهِيَ لُغَةٌ كَثِيرَةٌ فِي قَوْمِنَا) فَقُلْتُ عَلَى الْقِيَاسِ: مَكْرُ (أَيُّ بَكَرٍ). فَضَحِكَ فَقَالَ^(٢): اجْلِسْ وَاطْبَنْتَ (يُرِيدُ: وَاطْمَنْتَ) فَجَلَسْتُ. فَسَأَلَنِي عَنِ الْبَيْتِ. فَقُلْتُ: «إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلًا» فَقَالَ: أَيْنَ خَبْرُ «إِنْ»؟ قُلْتُ: «ظَلَمٌ» وَهُوَ الْحَرْفُ الَّذِي فِي آخِرِ الْبَيْتِ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ [٢٣٥/٩] فِي خَبَرِهِ: وَقُلْتُ لَهُ: إِنْ مَعْنَى «مُصَابِكُمْ» إِمَّا صَابَتُكُمْ، مِثْلُ مَا تَقُولُ: / إِنْ قَتَلْتُمْ رَجُلًا حَيَّاكُمْ ظَلَمٌ. ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ الْبَيْتُ كُلُّهُ مَعْلُوقٌ لَا مَعْنَى لَهُ حَتَّى يَتِمَّ بِقَوْلِهِ «ظَلَمٌ». أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ: أُظْلِمُ إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً، لَمَّا أَحْتِيجَ إِلَى «ظَلَمٍ» وَلَا كَانَ لَهُ مَعْنَى، إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ التَّحِيَّةَ بِالسَّلَامِ ظَلَمًا، وَذَلِكَ مُحَالٌ، وَيَجِبُ حَيْثُذُ أَنْ يَقُولَ:

(١) الأرومة (بالفتح وتضم): الأصل.

(٢) لعله: «وقال».

أَظْلِمُ إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلٌ أَهْدَى السَّلَامَ نَحْيَةً ظُلُمًا
ولا معنى لذلك، ولا هو، لم كان له وجه، معنى قول الشاعر في شعره. فقال: صدقت، ألك ولد؟ قلت: بنية لا
غير. قال: فما قالت حين ودعتها؟ قال قلت: أنشدت شعر الأعشى:

نقول أبتني حين جد الرجيل / أنا ساء ومَنْ قد يئكم
أبانا فلا رمت من عندنا / فلنا بخير إذا لم ترم
أرانا إذا أضمرت لك البلا / دُنْجَفَى وتقطع منا الرجيم
قال: فما قلت لها؟ قال: قلت لها قول جرير:

ثقي بالله ليس له شريك / ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال: ثق بالنجاح إن شاء الله تعالى. إن ها هنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحنهم، فمن كان منهم عالماً يُنتفع به
الزمناهم إياه، ومن كان بغير هذه الصورة قطعناه عنهم. فأمر فجمعوا إليّ فامتحنتهم فما وجدت فيهم طائلاً؛
وحذروا ناحيتي، فقلت: لا بأس على أحد. فلما رجعت إليه قال: كيف رأيتهم؟ قلت: يفضل بعضهم بعضاً في
علوم، ويفضل الباكون في غيرها، وكلُّ يُحتاج إليه. فقال لي الوراق: إني خاطبتُ منهم واحداً فكان في نهاية من
الجهل في خطابه ونظره. فقلت: يا أمير المؤمنين، أكثر من تقدم منهم بهذه الصفة؛ ولقد أنشدت فيهم:

[٢٣٦/٩]

/ إنَّ المَعْلَمَ لا يَزَالُ مُضْعَفًا وَلَوْ أَبْتَنَى فَوْقَ السَّمَاءِ بِنَاءً
مَنْ عَلَّمَ الصَّيَّانَ أَضْنَوْا عَقْلَهُ مِمَّا يَرْقِي غُدُوَّةَ وَمَسَاءِ

مضى الحديث:

صوت من مدن معبد في شعر الأعشى:

ومنها:

صوت

يَوْمَ تُبْدِي لَنَا قَتِيلَةً عَنْ جِدِّ
وَشَتِيَّتِ كَالْأَفْخُوَانِ جَلَاءِ السَّطَلِّ فِيهِ عُذُوبَةٌ وَأُتْسَاقُ

الشعر للأعشى. والغناء لمعبد. وذكر إسحاق أن لحنه خفيف ثقيل من أصوات قليات الأشباه، وذكر عمرو بن بانه
أن لحنه من الثقيل الأول بالنصر. ولإسحاق لحن من الثقيل أيضاً وهو مما عارض فيه معبداً فأنصف منه، ومن
أوائل أغانيه وصدورها.

أخبرنا إسماعيل بن يونس الشيباني قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال ذكر الحسن بن عتبة اللّهي
المعروف بفوزك قال:

قليات معبد:

قال لي الوليد بن يزيد: أريد الحج، فما يمنعني منه إلا أن يلقاني أهل المدينة بقليات معبد ويقصره ونخله

فأفتضح به طرباً. يعني ثلاثة أصوات لمعبد من شعر الأعشى في قتيلة هذه، ونسبتها تأتي بعد. ويعني بقصره ونخله لحته:

القصرُ فالنخلُ فالجماء بينهما

قال أبو زيد قال إسحاق وحدثني عبد الملك بن هلال: وبلغني أن فتنة من قريش دخلوا إلى قتيمة ومعهم روح بن حاتم المهلب، فتماروا فيما يختارونه من الغناء. فقالت لهم: أغني لكم صوتاً يُزيل الاختلاف ويوقع بينكم الاجتماع، فرضوا بها. فغنت:

[٢٣٧/٩] / يوم تُبدي لنا قتيلة عن جـ / أسيل تزيته الأطواق
فرضوا به واتفقوا على أنه أحسن صوت يعرفونه، وأقاموا عندها أسبوعاً لا يسمعون غيره.

نسبة أصوات معبد في قتيلة

الصوتان الباقيان من قتيلات معبد في شعر الأعشى:

منها:

أثوى وقصر ليلة ليزودا / فمضى وأخلف من قتيلة موعدا
يجحدن ديني بالنهار وأقتضي / ديني إذا وقذ^(١) الثعاس الرقدا
/ وأرى الغواني لا يواصلن أمراً / فقد الشباب وقد يصلن الأمردا
الشعر للأعشى. والغناء لمعبد خفيف ثقیل أول بالوسطى.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو شراة في مجلس الرياشي قال:

حدثت أن رجلاً نظر إلى الأعشى يدور بين البيوت ليلاً؛ فقال له: يا أبا بصير، إلى أين في هذا الوقت؟ فقال:

يجحدن ديني بالنهار وأقتضي / ديني إذا وقذ الثعاس الرقدا

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثني أبي قال:

غنيت بين يدي الرشيد وستارته منصوبة:

وأرى الغواني لا يواصلن أمراً / فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

[٢٣٨/٩] / فطرب وأستعاده وأمر لي بمال. فلما أردت أن أنصرف قال لي: يا عاض كذا وكذا! أتغني بهذا الصوت وجواري من وراء ستارة يسمعه! لولا حُرمتك لضربت عنقك! فتركته والله حتى أنسيته.

ومنها:

صوت

ألم خيال من قتيلة بعدما / وهى حبها من جلنا فصرما

(١) وقذ الثعاس: غلبه.

فِيكَ كَأَنِّي شَارِبٌ بَعْدَ هَجْعَةٍ سَخَامِيَّةٍ^(١) حَمْرَاءَ تُحَسَّبُ عِنْدَمَا
الشعر للأعشى. والغناء لَمَعْبِدٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبِنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو. وفيه لابن مُخَرِّزٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْهُ وَعَنْ
أَبْنِ الْمَكِّيِّ.

سبعة ابن سريج:

فَأَمَّا السَّبْعَةُ الَّتِي جُمِعَتْ لِابْنِ سُرَيْجٍ بِإِزَارِ سَبْعَةِ مَعْبِدٍ فَإِنِّي قَرَأْتُ خَبْرَهَا فِي كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، قَالَ
حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَكْثَمِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

ذَكَرْنَا عِنْدَ إِسْحَاقَ يَوْمَ أَصَوَاتِ مَعْبِدِ السَّبْعَةِ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا سَبْعَةُ ابْنِ سُرَيْجٍ بِدُونِهِنَّ. فَقُلْنَا لَهُ: وَأَيُّ سَبْعَةٍ؟
فَقَالَ: إِنَّ مُغْنِيَّ الْمَكِّيِّنَ لَمَّا سَمِعُوا بِسَبْعَةِ مَعْبِدٍ وَشَهْرَتِهَا لِحَقَّتْهُمْ لَذَلِكَ غَيْرَةٌ، فَاجْتَمَعُوا فَأَخْتَارُوا مِنْ غِنَاءِ ابْنِ سُرَيْجٍ
سَبْعَةً فَجَعَلُوهَا بِإِزَاءِ سَبْعَةِ مَعْبِدٍ، ثُمَّ خَايَرُوا^(٢) أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَأَنْتَصَفُوا مِنْهُمْ. فَسَأَلُوا إِسْحَاقَ عَنِ السَّبْعَةِ الشَّرِيعَةِ؟
فَقَالَ: مِنْهَا.

تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَزْيِيُّ لَمَّا جَهَدَتْهُ

وَقَدْ مَضَتْ نَسْبَتُهُ فِي الثَّلَاثَةِ الْأَصْوَاتِ الْمُخْتَارَةِ.

و لَقَدْ حَبَّبْتُ نَغْمَ إِلَيْنَا بِوَجْهِهَا
/ و قَرَّبَ جِيرَانُنَا جِمَالَهُمْ
و أَرَقْتُ رَمَا هَذَا الشَّهَادَ الْمُؤَرَّقُ

وَقَدْ مَضَى فِي أَخْبَارِ الْأَعْشَى الْمَذْكُورَةِ فِي مَدُنِ مَعْبِدٍ -

و بَيْنَا كَذَاكَ إِذَا عَجَاجَةُ مُؤَكِّبٍ
و فَلَمْ أَرُ كَالْتَّجْمِيرِ مَنْظَرٍ نَاطِرٍ

- وَقَدْ مَضَى فِي الْأَرْمَالِ الْمُخْتَارَةِ -

و تَضَوَّعَ مِنْكَأَ بَطْنُ نَعْمَانَ إِنْ مَشَتْ

- وَقَدْ ذُكِرَ فِي الْمَائَةِ مَعَ غَيْرِهِ فِي شَعْرِ التَّمِيرِيِّ -

و إِنْ جَاءَ فَلْيَأْتِ عَلَى بَغْلَةٍ

(١) خمر سخام وسخامية: لينة سلسة.

(٢) أي غالبوهم، يقال: خايره في العلم وخيره مخايرة فخاره، أي غالبه فغلبه وكان خيراً منه.

نسبة ما لم توضح نسبته من هذه الأصوات إذ كان
بعضها قد مضى متقدماً

الكلام على ما لم يمتض الكلام عليه من هذه السبقة:
فمنها:

صوت

١٤٤
أ

/ لقد حَبِثْتُ نَعْمَ إلينا بوجهها / مساكن ما بين الرتائر^(١) فالنقع
ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي / أكلفها سير الكلال مع الظلوع

عروضه من الطويل. والشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالنصر. وذات الخال التي عنها
ها هنا عمر امرأة من ولد أبي سفيان بن حرب، كان عمر يكنى عنها بذلك.

عمر بن أبي ربيعة وذات الخال:

حدثني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن الزبير والمسيبي
ومحمد بن سلام والمدائني، وأخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي ولم يتجاوزوه:

/ أن عمر بن أبي ربيعة وأبن أبي عتيق كانا جالسين بفناء الكعبة، إذ مرّت بهما امرأة من آل أبي سفيان، فدعا
عمر بكثف^(٢) فكتب إليها وكنى عن أسمها:

صوت

ألمّا بذات الخال فاستطلعا لنا / على العهد باقي ودها أم تصرّما
وقولا لها إن التوى أجنبيّة / بنا وبكم قد خفت أن تتيّما

- غناه ابن سريج خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى النصر عن إسحاق - قال فقال له أبن أبي عتيق: سبحان الله! ما
تريد إلى امرأة مسلمة مُحَرَمَة أن تكتب إليها مثل هذا! قال: فكيف بما قد سيرته في الناس من قولي:

لقد حَبِثْتُ نَعْمَ إلينا بوجهها / مساكن ما بين الوتائر والنقع
ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي / أكلفها سير الكلال مع الظلوع
ومن أجل ذات الخال يوم لقيتها / بمُندَفَعِ الأخاب^(٣) أخضلني دمعي
ومن أجل ذات الخال ألف منزلاً / أحلّ به لا ذا صديق ولا زرع
ومن أجل ذات الخال عذت كأني / مُخامر سقم داخل أو أخو ربع^(٤)

(١) الوتيرة: ماء بأسفل مكة لخزاعة. والنقع: موضع قرب مكة في جنبات الطائف.

(٢) في ب، س: «بكاتب» وهو تحريف.

(٣) موضع قرب مكة. وفي الأصول: «الأجباب» بالجيم والنون وهو تصحيف.

(٤) الربع: النعش، ويكنى به عن الموت.

أَلَمَّا بَذَاتِ الْخَالِ إِنْ مُقَامَهَا لَدَى الْبَابِ زَادَ الْقَلْبَ صَدْعاً عَلَى صَدْعٍ
وَأُخْرَى لَدَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ نَظَرْتُهَا إِلَيْهَا تَمَشَّتْ فِي عِظَامِي وَفِي سَمْعِي
وَقَالَ الْحَرَمِيُّ فِي خَبْرِهِ: أَمَّا تَرَى مَا سَارَ لِي مِنَ الشَّعْرِ! مَا عَلَّمَ اللَّهُ أَنِّي أَطْلَعْتُ حَرَاماً قَطًّا! ثُمَّ أَنْصَرَفْنَا. فَلَمَّا كَانَ مِنَ
الْغَدِ التَّقِينَا. فَقَالَ عَمْرٌ: أَشَعَرْتَ أَنَّ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ قَدْ رَدَّ الْجَوَابَ؟ قَالَ: وَمَا كَانَ مِنْ رَدِّهِ؟ قَالَ: كَتَبَ.

٢٤١/٩]

١ / هَوْت

أَمْسَى قَرِيبُكَ بِالْهَوَى نَمَامَا فَأَرْبَعٌ هُدَيْتَ وَكَانَ لَهُ كَنَامَا
وَأَعْلَمَ بِأَنَّ الْخَالَ حِينَ وَصَفْتَهُ قَعْدَ الْعَدُوِّ بِهِ عَلَيْكَ وَقَامَا
لَا تَحْسَبَنَّ الْكَاشِحِينَ عَدِمَتَهُمْ عَمَّا يَسُوءُكَ غَافِلِينَ نِيَامَا
لَا تَمَكِّنَنَّ مِنَ الدَّفِينَةِ كَاشِحاً يَتَلَوُّ بِهَا حَفْظاً عَلَيْكَ إِمَامَا

غَنَى فِيهِ سُلَيْمٌ خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو. قَالَ: وَفِيهِ لِفَرِيدَةٍ وَإِبْرَاهِيمَ لِحَنَانٍ.

وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: لِإِسْحَاقَ فِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ غَيْرٌ مَنْسُوبٌ. وَذَكَرَ حَبَشٌ أَنَّ خَفِيفَ الرَّمَلِ لِفَرِيدَةٍ.

/ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَخَلْفٌ وَكَعْبٌ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ وَأَخْبَرَنِي حَمَادُ بْنُ ^{١٤٥}/_٨
إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ:

سَأَلْتُ عَمْرَ بْنَ خَلِيفَةَ الْعَبْدِيِّ - وَكَانَ عَابِداً وَكَانَ يُعْجِبُهُ الْغِنَاءُ - أَيُّ الْقَوْمِ كَانَ أَحْسَنَ غِنَاءً؟ قَالَ: ابْنُ سُرَيْجٍ إِذَا
تَمَعَّبَدَ - يَرِيدُ: إِذَا غَنَى فِي مَذْهَبِ مَعْبَدٍ مِنَ الثَّقِيلِ - قُلْتُ: مِثْلَ مَاذَا؟ قَالَ: مِثْلَ صَوْتِهِ ^(١):

هَوْت

لَقَدْ حَبِثْتُ نَعْمٌ إِلَيْنَا بِوَجْهِهَا مَسَاكِنَ مَا بَيْنَ الْوَتَائِرِ فَالْتَقِعْ

وَقَالَ حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَامِرِيُّ قَالَ:

جَلَسَ مَعْبَدٌ وَالْأَبَجَرُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمَغَنِّينَ فَتَذَاكُرُوا أَبْنَ سُرَيْجَ وَمَا أَشْتَهَاهُ النَّاسُ مِنْ غِنَاءِهِ، فَقَالُوا: مَا هُوَ إِلَّا
مِنْ غِنَاءِ الرُّقَافِ وَالْمَخَشَّيْنِ. فَنُمِّي الْحَدِيثَ إِلَى أَبْنِ سُرَيْجَ فغَنَى:

لَقَدْ حَبِثْتُ نَعْمٌ إِلَيْنَا بِوَجْهِهَا

/ فَلَمَّا جَاءَ مَعْبَدٌ وَأَصْحَابُهُ وَاجْتَمَعُوا غَنَّاهُمْ إِيَّاهُ. فَلَمَّا سَمِعُوهُ قَامُوا هَارِبِينَ، وَجَعَلَ أَبْنُ سُرَيْجَ يَصْفُقُ خَلْفَهُمْ [٤٢/٩]

وَيَقُولُ: إِلَى أَيْنَ؟! إِنَّمَا هُوَ أَبْنُ لَيْلَتِهِ فَكَيْفَ لَوْ أَخْتَمَرَا. قَالَ فَقَالَ مَعْبَدٌ: دَعُوهُ مَعَ طَرَائِقِهِ الْأَوَّلِ وَلَا تَهَيِّجُوهُ عَلَى
طَرَائِقِكُمْ، وَإِلَّا لَمْ يَدْعُ لَكُمْ وَاللَّهِ خَبِراً تَأْكُلُونَهُ.

قَالَ الزُّبَيْرُ فِي خَبْرِهِ عَنْ عَمِّهِ: وَعَلِقَ نُعْمًا هَذِهِ فَقَالَ فِيهَا شِعْراً كَثِيراً. وَنَحْنُ نَذْكُرُهَا هُنَا مَا فِيهِ غِنَاءٌ مِنْ ذَلِكَ.
فَمِنْهُ قَوْلُهُ:

(١) كَذَا فِي أ، م وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «قَوْلُهُ».

صوت

خَطَرْتُ لَذَاتِ الْخَالِ ذِكْرِي بعدما
 أَنْصَابِ عَمْرَةَ وَالْمَطِيِّ كَأَنَّهَا
 فَاتَّهَلَّ دَمْعِي فِي الرُّدَاءِ صَبَابَةً
 فَارَأَى سَوَابِقَ دَمْعَةٍ مَسْكُوبَةٍ
 سَلَكَ الْمَطِيَّ بِنَا عَلَى الْأَنْصَابِ^(١)
 قَطَعُ الْقَطَا صَدْرْتُ عَنِ الْأَخْبَابِ^(٢)
 فَسْتَرْتُهُ بِالْبُرْدِ عَنْ أَصْحَابِي
 بَكَرْتُ فَقَالَ بَكَى أَبُو الْخَطَّابِ

عروضه من الكامل. «بكر» الذي ذكره ها هنا عمر هو ابن أبي عتيق وهو يسميه في شعره بيكر وبعتيق، وإياه يغني بقوله:

لَا تَلْمِزْنِي عَتِيقُ حَسْبِي الَّذِي بِي
 الْغَنَاءُ فِي «خَطَرْتُ لَذَاتِ الْخَالِ» لِلغَرِيضِ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ. وَذَكَرَ
 عَمْرُو بْنُ بَاثَةَ أَنَّ فِيهِ ثَقِيلًا أَوَّلَ بِالْبِنْصَرِ لِأَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى فَائِدٍ.

وَأَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عُمِّي:

أَنَّ عَمْرُو بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَافَقَهَا وَهِيَ تَسْتَلِمُ الرُّكْنَ، فَقَرُبَ مِنْهَا. فَلَمَّا رَأَتْهُ تَأَخَّرَتْ وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا. فَقَالَتْ لَهُ:
 [٢٤٣/٩] تَقُولُ لَكَ ابْنَةُ عَمِّكَ: إِنَّ هَذَا مَقَامٌ / لَا يَدْءُ مِنْهُ كَمَا تَرَى، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ سَتَقُولُ فِي مَوْقِفِنَا هَذَا فَلَا تَقُولَنَّ هُجْرًا.
 فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا: لَسْتُ أَقُولُ إِلَّا خَيْرًا. ثُمَّ تَعَرَّضَ لَهَا وَهِيَ تَرْمِي الْجِمَارَ، فَأَعْرَضَتْ عَنْهُ وَأَسْتَرَتْ؛ فَقَالَ:

صوت

دِيسَنَ هَذَا الْقَلْبُ مِنْ نُغْمٍ
 إِنْ نُغْمًا أَقْصَدْتُ رَجُلًا
 / اِسْمَعِي مِنَّا تَحَاوُزَنَا
 بِشْتِيتِ^(٣) نَبْؤُهُ رَتَلِي
 بِسَقَامٍ لَيْسَ كَالشَّقَمِ
 آمِنًا بِالْخَيْفِ إِذْ تَرْمِي
 وَأَحْكُمِي رُضِيْتُ بِالْحَكَمِ
 طَيِّبِ الْأَنْبَابِ وَالطُّغَمِ^(٤)
 بِأَنْتِكُمْ^(٥) مِنْهُ بِحُجَّتِهِ
 فَلَهُ الْعُتْبَى وَلَا أُخْمِي^(٦)

عروضه من المديد. الغناء لإسحاق خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيها لمالك ثقیلٌ أَوَّلُ من أصوات قليات الأشباه عن إسحاق. وفيه لابن سريج رملٌ بالبِنْصَرِ عَنْ حَبَشٍ. وفيه لابن منجج ثقیلٌ أَوَّلُ بالوسطى عن حبش أيضاً. وذكر الهشاميُّ أَنَّ الصَّوْتَ مِمَّا يُشَكُّ فِيهِ أَنَّهُ لِمَعْبُدٍ أَوْ غَيْرِهِ.

(١) الأنصاب: موضع.

(٢) الأجباب: جمع جب وهو البشر التي لم تطو أي لم تن.

(٣) الشيت: المظرق. والرتل: بياض الأسنان وحسن تناسقها.

(٤) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «واللغم».

(٥) كذا في «ديوانه». وقد ورد فيه قبل هذا البيت بيت يرجح رواية «الديوان» وهو:

وَأَنْشُدِيهِ هَلْ أَتَيْتَ لِيهِ سَخَطًا مِنْي عَلَى عِلْمِ

وفي الأصول: «ولياؤكم».

(٦) كذا في «الديوان». وفي الأصول: «ولم أحم».

قال: وقال فيها أيضاً:

صوت

أَبْنِي الْيَوْمَ أَيُّ نَعْمٍ أَوْضَلُ مِنْكَ أَمْ صُرْمٌ
فَإِنْ يَكُ صُرْمٌ عَاتِبَةٌ^(١) فَقَدْ نَفَقْتُ وَهُوَ سَلَمٌ
/ تَلُومَكَ فِي الْهَوَى نَعْمٌ وَلَيْسَ لَهَا بِهِ عِلْمٌ
صَحِيحٌ لَوْ رَأَى نَعْمًا لَخَالَطَ جِسْمَهُ سَقَمٌ

[٢٤٤/٩]

عروضه من الهَزَج. غثاء مالك ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالسَّيَّابَةِ في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لَمَتِيمٌ خَفِيفٌ رَمَلٌ بالبَنْصَرِ عن إسحاق^(٢)، وذكر أَنَّ فيه أيضاً صِنْعَةً لابن سُرَيْجٍ. ومما يُغَنَّى فيه مما قاله فيها - وهو من قصيدة طويلة -:

صوت

فَقُلْتُ لَجَنَّادٍ خُذِ السِّيفَ وَأَشْتَمِلْ عَلَيْهِ بِحَزْمٍ وَأَنْظُرِ الشَّمْسَ تَغْرُبُ
وَأَسْرِجْ لَنَا الدَّهْمَاءَ وَأَعْجَلْ بِمَنْطَرِي^(٣) وَلَا تُغْلِمَنَّ خَلْقًا مِنَ النَّاسِ مَذْهَبِي

عروضه من الطَوِيل. غثاء زُرُورٌ غَلَامٌ المَارِقِي خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بالبَنْصَرِ. أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنَا عَمِي قَالَ:

قيل لعمر بن أبي ربيعة: ما أَحَبُّ شيءٍ أَصَبْتَهُ إِلَيْكَ؟ قال: بينا أنا في منزلي ذات ليلة إذ طرَّقني رسول مُضْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ بكتابه يقول: إنه قد وقعت عندنا أثوابٌ مما يُشْبِهُكَ، وقد بعثتُ بها إِلَيْكَ وِبدنانيرَ ومِسْكٍ وطيِّبٍ وبغلة. قال: فإذا بـشبابٍ من وَشْيٍ وخَزَرٍ العراقِ لم أَرِ مثلها قطُّ وأربعمئة دينارٍ ومِسْكٍ وطيِّبٍ كثيرٍ وبغلة. فلَمَّا أَصْبَحْتُ لَيْسَتْ بَعْضُ تِلْكَ الثِّيَابِ وَتَطْيِيبٌ وَأَحْرَزْتُ الدَّنَانِيرَ وَرَكِبْتُ الْبَغْلَةَ وَأَنَا نَشِيطٌ لَا هَمَّ لِي قَدْ أَحْرَزْتُ نَفَقَةً سَتِي؛ فَمَا أَفَدْتُ فَائِدَةً كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهَا. وقلتُ في ذلك:

/ أَلَا أَرْسَلْتُ نَعْمًا إِلَيْنَا أَنْتِنَا فَأَخْبِتَ بِهَا مِنْ مُرْسِلٍ مُتَغَضِّبٍ
فَأَرْسَلْتُ أَنْ لَا اسْتَطِيعُ فَأَرْسَلْتُ تَوَكُّدَ أَيْمَانَ الْحَيِّبِ الْمُؤْتَبِ
فَقُلْتُ لَجَنَّادٍ خُذِ السِّيفَ وَأَشْتَمِلْ عَلَيْهِ بِحَزْمٍ وَأَنْظُرِ الشَّمْسَ تَغْرُبُ
وَأَسْرِجْ لِي الدَّهْمَاءَ وَأَعْجَلْ بِمَنْطَرِي وَلَا تُغْلِمَنَّ خَلْقًا مِنَ النَّاسِ مَذْهَبِي
وموعِدُكَ الْبَطْحَاءُ أَوْ بَطْنُ يَاجِجٍ^(٤) أَوْ الشُّعْبُ بِالْمَمْرُوحِ^(٥) مِنْ بَطْنِ مُغَرِّبٍ

[٢٤٥/٨]

(١) كَذَا فِي «دِيوانه». وَفِي الْأَصُولِ: «غَانِيَةٌ» وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٢) فِي جَدِّ: «عَنْ حَبِشٍ».

(٣) الْمَمَطَرُ: مَا يَلْبَسُ لِلْوَقَايَةِ مِنَ الْمَطَرِ.

(٤) يَاجِجٌ: مَكَانٌ مِنْ مَكَّةَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ.

(٥) كَذَا فِي «الدِّيوان». وَفِي الْأَصُولِ: «أَوْ الشُّعْبُ ذِي الْمَرْوَحِ».

/ فلما ألتقينا سَلَّمْتُ وتَبَسَّمْتُ
أَمِنْ أَجْلِ وَاشِ كَاشِحٍ بَنَمِيمَةٍ
قَطَعْتَ وَصَالَ الْجَبَلَ مِنَّا وَمَنْ يُطِيعُ
فَبَاتَ وَسَادِي ثَنِي كَفِّ مُخَضَّبِ
إِذَا مِلْتُ مَالَتْ كَالْكَثِيبِ رَخِيمَةٍ
أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ:
بَلَغَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ أَنَّ نُعْمًا أَغْتَسَلَتْ فِي غَدِيرٍ؛ فَتَزَلَّ عَلَيْهِ وَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ مِنْهُ حَتَّى نَضَبَ.
قَالَ الزُّبَيْرُ قَالَ عَمِّي: «وَقَالَ فِيهَا أَيْضًا:

صَوْت

طَالَ لَيْلِي وَعَادَنِي الْيَوْمَ سُقْمٌ وَأَصَابَتْ مَقَاتِلِي بِسَهَامٍ
وَأَصَابَتْ مَقَاتِلِي بِسَهَامٍ نَافِذَاتٍ وَمَا تَبَيَّنَ كَلْمٌ
حُرَّةُ الْوَجْهِ وَالشَّمَائِلِ وَالْجَوْرِ هَرَّ تَكْلِيمُهَا لِمَنْ نَالَ غُنْمٌ
/ هَكَذَا وَضَفْتُ مَا بَدَأَ لِي مِنْهَا لَيْسَ لِي بِالَّذِي تَغَيَّبَ عِلْمٌ
غَيْرَ أَنِّي أَرَى الثِّيَابَ مِلَاءَ فِي يَقَاعٍ يَزِينُ ذَلِكَ جِسْمٌ
وَحَدِيدٌ بِمِثْلِهِ تَنْزِلُ الْعُضْدُ كُمٌ رَخِيمٌ يَشُوبُ ذَلِكَ حِلْمٌ

[٢٤٦/٩]

عروضه من الخفيف. غنى ابن سريج في الأربعة الأبيات لحناً ذكره إسحاق وأبو أيوب المديني في جامع غنائه ولم يجتسه، وذكر حبش أنه خفيف رمل بالبنصر.

مناقشة بين إسحاق وإبراهيم بن المهدي في معبد وأبن سريج:

أخبرني عمي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال حدثني عمرو بن بانة قال:

كنتُ حاضراً مع إسحاق بن إبراهيم الموصلي عند إبراهيم بن المهدي. فتفاوضنا حديث المغنين، حتى انتهوا إلى أن حكى إسحاق قولَ عمر بن أبي خليفة: «إِذَا تَمَعَّبَدَ أَبْنُ سُرَيْجٍ كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ غَنَاءً». فقال إبراهيم لإسحاق: حاشاك يا أبا محمد أم تقول هذا! فقد رفع الله علمك وقدرَ ابن سريج عن مثل هذا القول، وأغنى ابن سريج بنفسه عن أن يقال له تَمَعَّبَدَ؛ وما كان مَعْبَدٌ يضع نفسه هذا الموضع؛ وكيف ذلك وهو إذا أحسن يقول: أَصْبَحْتُ الْيَوْمَ سُرَيْجِيًّا. وما قد أنصف أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي معبداً في هذا القول؛ لأن معبداً وإن كان يعظم ابن سريج ويوقيه حقّه فليس بدونه ولا هو بمرذول عنده. وقد مضى في صدر الكتاب خبرُ ابن سريج لما قدم المدينة مع الغريض ليستمنحها أهلها، فسمعاه وهو يصيد الطير يغني لحنه:

الْقَصْرُ فَالَنْخَلُ فَالْجَمَاءُ بَيْنَهُمَا

فرجع ابن سريج وردَّ الغريص وقال: لا خير لنا عند قوم هذا غناء غلام فيهم يصيد الطير، فكيف بمن داخل الجونة!

[٢٤٧/٩]

/ تعظيم ابن سريج لمعبد وأخذه عنه:

وأظرف من ذلك من أخباره وأدل على تعظيم ابن سريج معبداً ما أخبرني به أحمد بن عبدالعزيز الجوهري قال حدثني علي بن سليمان التؤفلي، قال حدثني أبي قال:

التقى ابن سريج ومعبد ليلة بعد أفراق طويل وبُعْد عهد؛ فتساءلا عما صنعا من الأغاني بعد أفترافهما؛ فتغنّى هذا وتغنّى هذا؛ ثم تغنّى ابن سريج لحنه في:

١٤٨
٨

/ أنا الهالك الملسوب مهجة نفسه إذا جاوزت مراً^(١) وعُشفان عيرها

فغنّاه مُرسلاً لا صيحة فيه. فقال له معبد: أفلاً حسنته بصيحة! قال: فأين أضعها؟ قال: في:

غدث سافراً والشمس قد ذرَّ قرنها

قال: فصيح أنت فيه حتى أسمع منك. قال: فصاح فيه معبد الصيحة التي يُغنّى بها فيه اليوم. فاستعاده ابن سريج حتى أخذه فغنّى صوته كما رسمه معبد فحسّن به جداً. وفي هذا دليل يبين فيه التحامل على معبد في الحكاية.



غَدَث سافراً والشمس قد ذرَّ قرنها فأغشني شعاع الشمس منها سفورها
وقد علمت شمس النهار بأنها إذا ما بدت يوماً سيذهب نورها
أنا الهالك الملسوب مهجة نفسه إذا جاوزت مراً وعُشفان عيرها
أهاجتك سلمى إذ أجذ بكورها وهجر يوماً للرواح بغيرها

الشعر يقال: إنه لطريف العنبري. والغناء لابن سريج خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن ابن المكي، وذكر عمرو أنه لسياط. ولإبراهيم في الثالث والأول والرابع خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو. وفيه لبساسة ثقيل / أول بالبصر عن حبش. وفيه لابن جامع لحن عن حبش من رواية أبي أيوب المدني.

[٢٤٨/٩]

ومن سبعة ابن سريج:

سَوْت

أصوات من سبعة ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة:

قَرَّب جيراننا جمالهم ليلاً فأضحوا معاً قد أرتفعوا
ما كنت أذري بوشك بينهم حتى رأيت الحداة^(٢) قد طلّعا

(١) يريد مر الظهران وهو موضع على مرحلة من مكة. وعشفان على مرحلتين منها.

(٢) كذا، م. وفي سائر الأصول: «الغداة» وهو تحريف.

على مصكّين من جمالهم وعتّريسين فيهما شجع^(١)
يا نفس صبراً فإنه سفة بالحرّ أن يستفزه الجرّع

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج ثقيلاً أوّل بالوسطى عن عمرو. وذكر حبّش أن فيه للغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر. وذكر ابن أبي حسان أن هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ حدّثه عن أبيه عن ابن جامع قال: عيب على ابن سريج خفة غنائه، فأخذ أبيات عمر بن أبي ربيعة:

قرب جيراننا جمالهم

فغنّى فيها في كل إيقاع لحنًا. فجميع ما فيها من الألحان له.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني منصور بن أبي مزاحم قال حدّثني رزام أبو قيس مولى خالد بن عبدالله قال:

قال لي إسماعيل بن عبدالله: يا أبا قيس، أي رجل أنت لولا أنك تحب السماع! قلت: أصلحك الله! أما والله لو سمعت فلانة تُغنّيكَ:

قرب جيراننا جمالهم ليلاً فأضحوا معاً قد ارتفعوا
لعدرتني. فقال: يا أبا قيس، لا عاتبتك بعد هذا أبداً.

[٢٤٩/٩] / ومنها:

١٤٩
٨

يئنا كذلك إذ عجاجة مؤكّب رفعوا ذميل العيس في الصحراء
قالت أبو الخطّاب أعرف زيه^(٢) ولباسه لا شك غير خفاء

الشعر لابن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج ثقيلاً أوّل بالبنصر، وذكر الهشاميّ وأبو العيس أنه لمعبد؛ وليس الأمر كما ذكرنا.

ومنها:

صوت

وهو الذي أوله:

إن جاء فليأت على بغلة

(١) المصك: القوي. والعتريس: الناقة الغليظة الوثيقة. والشجع في الإبل: سرعة نقل القوادم.

(٢) كذا في «ديوانه». وقبل البيت:

قالت لجارتها انظري ها من أولى وتأملي من راكب الأدماء

وفي الأصول: «تعرف».

سَلَمَى عِديهِ سَرَحَتِي مَالِكٍ أَوِ الرُّبَا دَوْنَهُمَا مَنَزَلَا
 إِنْ جَاءَ فَلْيَأْتِ عَلَى بَغْلَةٍ إِنِّي أَخَافُ الْمُهْرَ أَنْ يَضْهِلَا
 الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج من رواية يحيى بن المكيّ والهشاميّ ثقيلٌ أولٌ بالبصر، وذكر يونس أنه للغريض، وذكره إسحاق في أغاني الغريض ولم يجنسه.



/ أغاني الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم

من ثبت عنه من الخلفاء أنه غنى ومن لم يثبت عنه ذلك :

قال مؤلف هذا الكتاب: المنسوب إلى الخلفاء من الأغاني والمُلصق بهم منها لا أصل لجُلّه ولا حقيقة لأكثره، لا سيما ما حكاه ابن خردادبة فإنه بدأ بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر أنه تغنى في هذا البيت:

كَأَنَّ رَاكِبَهَا غَصْنٌ بِمَرْوَحَةٍ

ثم وإلى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد، حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بد منه ولا مَعْدِل عنه، يَخِيطُ خَبِطَ الْعَشَوَاءِ وَيَجْمَعُ جَمْعَ حَاطِبِ اللَّيْلِ. فأما عمر بن الخطاب فلو جاز هذا أَنْ يُرَوَى عَنْ كُلِّ أَحَدٍ لَبُعْدَ عَنْهُ؛ وَإِنَّمَا رُوِيَ أَنَّهُ تَمَثَّلَ بِهَذَا الْبَيْتِ وَقَدْ رَكِبَ نَاقَةً فَاسْتَوَطَّاهَا، لَا أَنَّهُ غَنَّى بِهِ، وَلَا كَانَ الْغِنَاءُ الْعَرَبِيُّ أَيْضاً عُرِفَ فِي زَمَانِهِ إِلَّا مَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَسْتَعْمَلُهُ مِنَ النَّصَبِ^(١) وَالْحَدَاءِ، وَذَلِكَ جَارٍ مَجْرَى الْإِنْشَادِ إِلَّا أَنَّهُ يَقَعُ بِتَطْرِيبٍ وَتَرْجِيعٍ يَسِيرُ وَرَفْعٍ لِلصَّوْتِ. وَالَّذِي صَنَعَ مِنْ ذَلِكَ عَنْ رِوَاةِ هَذَا الشَّأْنِ فَأَنَا ذَاكِرٌ مِنْهُ مَا كَانَ مَتَقَنَ الصَّنْعَةِ لَاحِقاً بِجَيْدِ الْغِنَاءِ قَرِيباً مِنْ صُنْعَةِ الْأَوَائِلِ وَسَالِكاً مَذَاهِبَهُمْ لَا مَا كَانَ ضَعِيفاً سَخِيفاً، وَجَامِعٌ مِنْهُ مَا اتَّصَلَ بِهِ خَبْرٌ لَهُ يُسْتَحْسَنُ وَيَجْرِي مَجْرَى هَذَا الْكِتَابِ وَمَا تَقَصَّيْتُهُ.

فَأَوَّلُ مَنْ دُوِّنَتْ لَهُ صُنْعَةٌ مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؛ فَإِنَّهُ ذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ صَنَعَ فِي أَيَّامِ إِمَارَتِهِ عَلَى الْحِجَازِ سَبْعَةَ الْهَاجِزِ يَذْكُرُ سَعَادَ فِيهَا كُلَّهَا؛ فَبَعْضُهَا عَرَفْتُ الشَّاعِرَ الْقَائِلَ لَهُ فَذَكَرْتُ خَبْرَهُ، وَبَعْضُهَا لَمْ أَعْرِفْ قَائِلَهُ فَأَتَيْتُ بِهِ كَمَا وَقَعَ إِلَيَّ. فَإِنْ مَرَّ / بِي بَعْدَ وَقْتِي هَذَا أَثْبَتُهُ فِي مَوْضِعِهِ وَشَرَحْتُ مِنْ أَخْبَارِهِ مَا اتَّصَلَ بِي، وَإِنْ لَمْ يَقَعْ لِي وَوَقَعَ إِلَى بَعْضٍ مِنْ كُتُبِ هَذَا الْكِتَابِ فَمِنْ أَقْلِ الْحَقُوقِ عَلَيْهِ أَنْ يَتَكَلَّفَ إِثْبَاتَهُ وَلَا يَسْتَقْبِلَ تَجَسُّمَ هَذَا الْقَلِيلِ فَقَدْ وَصَلَ إِلَى فَوَائِدِ جَمَّةٍ تَجَسَّمْنَاهَا لَهُ وَلِنَظَرَاتِهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَحِظِي بِهَا مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ وَلَا كَذْحٍ؛ فَإِنْ جَمَالَ ذَلِكَ مَوْفَرٌ عَلَيْهِ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ، وَعَيْيَهُ عَنَّا سَاقِطٌ مَعَ / اعْتِذَارِنَا عَنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُنْكِرُ أَنْ تَكُونَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ هَذِهِ الصَّنْعَةُ وَيَقُولُ: إِنَّهَا أَصَوَاتٌ مُخَكَّمَةُ الْعَمَلِ لَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهَا إِلَّا مَنْ طَالَتْ دُرَيْتُهُ بِالصَّنْعَةِ وَحَذَقَ الْغِنَاءَ وَمَهَّرَ فِيهِ وَتَمَكَّنَ مِنْهُ. وَلَمْ يَوْجَدْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَلَا حَالٍ مِنَ الْحَالَاتِ أَشْتَهَرَ بِالْغِنَاءِ وَلَا عُرِفَ بِهِ وَلَا بِمَعَاشَرَةِ أَهْلِهِ، وَلَا جَالِسٍ مِنْ يُثْقَلُ ذَلِكَ عَنْهُ وَيُؤَدِّيهِ؛ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَحْسُنُ الْمَغْنُونُ نَسَبَتَهُ إِلَيْهِ. وَرُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ خِلَافٍ لَذَلِكَ وَإِثْبَاتٍ لَصُنْعَتِهِ إِيَّاهَا، وَهُوَ أَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ لَمْ يَأْتُوا عَلَى إِنْكَارِهِمْ بِحُجَّةٍ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الظَّنِّ وَالِدَعْوَى، وَمَخَالَفَتِهِمْ قَدْ أَيْدَتَهُمْ أَخْبَارُ رُؤْيَتْ.

(١) النصب: غناء للعرب يشبه الحداء إلا أنه أرق.

عمر بن عبدالعزيز والغناء :

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق قال حدثني أبي عن أبيه وعن إسماعيل ابن جامع عن سباط عن يونس الكاتب عن شهدة أم عاتكة بنت شهدة عن كزدم بن معبد عن أبيه :
أن عمر بن عبدالعزيز طارحه لحنه في :

أَلَمَّا صَاحِبِي نَزَرُ سَعَادَا

ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسين الكاتب قال حدثني أبو يعلَى زُرْقَانُ غلامُ أبي الهذيل وصاحب أحمد بن أبي داود قال حدثني محمد بن يونس قال / حدثني هاتفت أراه قال أم ولد المعتصم قالت حدثني عُلَيْة بنت [٢٥٢/٩] المهدي قالت حدثني عاتكة بنت شهدة عن أمها شهدة عن كزدم قال :
طرح علي عمر بن عبدالعزيز لحنه :

عَلِقَ الْقَلْبُ سَعَادَا	عَادَتِ الْقَلْبَ فَعَادَا
كَلَمَا عُوتِبَ فِيهَا	أَوْ نُهِِيَ عَنْهَا تَسْمَادَا
وَهُوَ مَشْغُوفٌ بِسُغْدَا	قَدْ عَصَى فِيهَا وَزَادَا

قال كزدم : وكان عمر أحسن خلق الله صوتاً، وكان حسن القراءة للقرآن .

ونسخت من كتاب أبي الكرنبي بخطه حدثني أحمد بن الفتح الحجاجي في مجلس حماد بن إسحاق قال أخبرني أحمد بن الحسين قال :

رأيت عمر بن عبدالعزيز في النوم وعليه عمامة ورأيت الشجة في وجهه تدل على أنها ضربة حافر، فسمعتة يقول : قال عمر بن الخطاب : لا تعلموا نساءكم الخلع^(١) . قال حدثني محمد^(٢) بن الحسين : فأقبلت عليه في نومي فقلت له : يا أمير المؤمنين ، صوت يزعم الناس أنك صنعت في شعر جرير :

أَلَمَّا صَاحِبِي نَزَرُ سَعَادَا	لَوْشَكَ فِرَاقِهَا وَذَرَا الْبِعَادَا
لَعَنَرُكَ إِنْ نَفَعَ سَعَادَا عُنِي	لَمَصْرُوفٌ وَنَفَعِي عَنْ سَعَادَا
إِلَى الْفَارُوقِ يَتَسَبُّ أَبْنُ لَيْلَى	وَمِرْوَانَ الَّذِي رَفَعَ الْعِمَادَا

فتبسّم عمر ولم يرد علي شيئاً .

[٢٥٣/٩]

/ نسبة هذين الصوتين

صوت

أَلَمَّا صَاحِبِي نَزَرُ سَعَادَا	لَوْشَكَ فِرَاقِهَا وَذَرَا الْبِعَادَا
/ لَعَنَرُكَ إِنْ نَفَعَ سَعَادَا عُنِي	لَمَصْرُوفٌ وَنَفَعِي عَنْ سَعَادَا

(١) الخلع : تطليق المرأة بئذ منها للزوج .

(٢) كذا في الأصول . ولعل صوابه «أحمد بن الحسين» .

إلى الفاروقِ يَنْسَبُ أبْنُ لَيْلَى ومروانُ الَّذِي رَفَعَ الْعِمَادَا
الشعر لجريز يمدح عمر بن عبدالعزيز بن مروان. والغناء لعمر بن عبدالعزيز ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبِنْصَر. وفيه
خَفِيفٌ ثَقِيلٌ يُنْسَبُ إِلَى مَعْبَدٍ.

صَوْت

عَلِقَ الْقَلْبُ سَعَادَا عَادَتِ الْقَلْبَ فَعَادَا
كُلَّمَا عُسِرَتْ فِيهَا أَوْ نُهِتِ عَنَّا تَمَسَادِي
وَهُوَ مَشْغُوفٌ بِسُغْدَى قَدْ عَصَى فِيهَا وَزَادَا

الغناء لعمر بن عبدالعزيز خَفِيفٌ ثَقِيلٌ. وفيه ثاني ثَقِيلٌ يُنْسَبُ إِلَى الْهَذَلِي.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی ایران

/ ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من أخباره

[٢٥٤/٩]

هو أشج بني مروان:

عمر بن عبد العزيز مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. ويكنى أبا حفص. وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان يقال له أشج قريش؛ لأنه كان في جبهته أثر يقال إنه ضربة حافر. فذكر يحيى بن سعيد الأموي عن أبيه أن عبد الملك بن مروان كان يؤثر عمر بن عبد العزيز ويرق عليه ويُدنيه، وإذا دخل عليه رفعه فوق ولده جميعاً إلا الوليد. فعاتبه بعض بنيته على ذلك، فقال له: أو ما تعلم لم فعلت ذلك؟ قال لا. قال: إن هذا سبلي الخلافة يوماً وهو أشج بني مروان الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن تُنلأ جوراً، فمالي لا أحبه وأذنيه!

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا الرياشي قال حدثنا سالم بن عجلان قال:

خرج عمر بن عبد العزيز يلعب فرمخته بغلة على جبينه. فبلغ الخبر أمه أم عاصم، فخرجت في خدمتها، وأقبل عبد العزيز بن مروان إليها فقالت: أما الكبير فيخدم، وأما الصغير فيكرم، وأما الوسط فيضيع! لم لا تتخذ لابني حاضناً حتى أصابه ما ترى! فجعل عبد العزيز يمسح الدم عن وجهه، ثم نظر إليها وقال لها: ونحك! إن كان أشج بني مروان، أو أشج بني أمية، إنه لسعيد!

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن أحمد المَقْدَمي قال حدثنا عبيد الله بن سعد الزُّهري قال حدثنا هارون بن معروف قال حدثنا ضمرة قال سمعت ثروان مولى عمر بن عبد العزيز قال:

/ دخل عمر بن عبد العزيز وهو غلام إصطبل أبيه، فضربه فرس على وجهه، فأتي به أبوه يُحمَل. فجعل أبوه [٢٥٥/٩] يمسح الدم عن وجهه ويقول: لئن كنت أشج بني أمية إنك لسعيد.

أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب:

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدثنا مُصْعَب الزُّبيري قال:

كانت بنت لعبيد الله بن عمر بن الخطاب تحت إبراهيم بن نعيم النخام فماتت، فأخذ عاصم بن عمر بيده فأدخله منزله، وأخرج إليه أبتيه حفصة وأم عاصم، فقال له: اختر فأختار حفصة فزوجها إياه. فقيل له: تركت أم عاصم وهي أجملهما! فقال: رأيت جارية رائعة، وبلغني أن آل مروان ذكروها فقلت: علهم أن يُصيبوا من / دنياهم. ^{١٥٢} فتزوجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له أبا بكر وعمر وكانت عنده. وقتل إبراهيم بن نعيم يوم الحرّة. وماتت أم عاصم عند عبد العزيز بن مروان؛ فتزوج أختها حفصة بعدها، فحملت إليه بمصر؛ فمرت بأيلة^(١) وبها مكثت أو

(١) أيلة: هي المعروفة الآن باسم «العقبة» وهي التي تقع على نهاية الساحل الشرقي لخليج العقبة. وكانت قديماً تابعة لمصر، وهي الآن من بلاد إمارة شرق الأردن.

معتوه وقد كان أهدى لأم عاصم حين مرت به فأنابته. فلما مرت به حفصة أهدى لها فلم تثنه. فقال: «ليست حفصة من رجال أم عاصم» فذهبت مثلاً.

لما ولي بدأ بأهل بيته وأخذ ما كان في أيديهم وسمى أعمالهم المظالم:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أبو بكر الرَّمَادِيّ وسليمان بن أبي شيخ قالا حدثنا أبو صالح كاتب الليث قال حدثني الليث قال:

لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، بَدَأَ بِلُحْمَتِهِ^(١) وَأَهْلِ بَيْتِهِ، فَأَخَذَ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ وَسَمَّى أَعْمَالَهُمُ الْمَظَالِمَ. [٢٥٦/٩] فَفَزَعَتْ بَنُو أُمَيَّةَ إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ مَرْوَانَ عَمَّتِهِ. فَأَرْسَلَتْ / إِلَيْهِ: إِنَّهُ قَدْ عَنَانِي أَمْرٌ لَا بَدَّ مِنْ لِقَائِكَ فِيهِ. فَأَتَتْهُ لَيْلًا فَأَنْزَلَهَا عَنْ دَابَّتِهَا. فَلَمَّا أَخَذَتْ مَجْلِسَهَا قَالَ: يَا عَمَّةُ، أَنْتِ أَوْلَى بِالْكَلَامِ لِأَنَّ الْحَاجَةَ لَكَ فَتَكَلَّمِي. قَالَتْ: تَكَلَّمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ رَحْمَةً، لَمْ يَبْعَثْ عَذَابًا، إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، ثُمَّ اخْتَارَ لَهُ مَا عِنْدَهُ فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ، وَتَرَكَ لَهُمْ نَهْرًا شَرِبُهُمْ فِيهِ سِوَاءً. ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَتَرَكَ النَّهْرَ عَلَى حَالِهِ. ثُمَّ وَلِيَ عُمَرُ فَعَمِلَ عَلَى عَمَلِ صَاحِبِهِ، فَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ أَشْتَقُّ مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ نَهْرًا. ثُمَّ وَلِيَ مُعَاوِيَةُ فَشَقَّ مِنْهُ الْأَنْهَارَ. ثُمَّ لَمْ يَزَلْ ذَلِكَ النَّهْرُ يَشُقُّ مِنْهُ يَزِيدُ وَمَرْوَانُ وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدُ وَسُلَيْمَانُ حَتَّى أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَيَّ، وَقَدْ يَسَّ النَّهْرُ الْأَعْظَمَ وَلَنْ يَزُولَ أَصْحَابُ النَّهْرِ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِمُ النَّهْرُ الْأَعْظَمُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ. فَقَالَتْ لَهُ: قَدْ أُرِدْتُ كَلَامَكَ وَمُذَاكَرَتَكَ. فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ هَذِهِ مَقَالَتُكَ فَلَسْتُ بِذَاكَرَةٍ لَكَ شَيْئًا أَبَدًا. وَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ فَأَبْلَغْتُهُمْ كَلَامَهُ.

وقال سليمان بن أبي شيخ في خبره: فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ قَالَتْ لَهُمْ: ذُوقُوا مَغَبَّةَ أَمْرِكُمْ فِي تَزْوِيجِكُمْ آلَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

كثير والأحوص ونصيب عند عمر بن عبدالعزيز:

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ مَوْلَى بَنِي نَصْرٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّيْمِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُهَيْلٍ عَنْ حَمَّادِ الرَّائِيَةِ، وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنٍ الْكِنْدِيُّ خَطِيبُ الْقَادِسِيَّةِ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّيَّاشِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْجَعْفَرِيُّ عَنْ حَمَّادِ الرَّائِيَةِ، وَالرَّوَايَتَانِ مُتَقَارِبَتَانِ وَأَكْثَرُ اللَّفْظِ لِلرَّيَّاشِيِّ، قَالَ:

دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ أَلْتَمَسُ الْعِلْمَ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِيتُ كَثِيرُ عَزَّةَ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا صَخْرَ، مَا عِنْدَكَ مِنْ بَضَاعَتِي؟ [٢٥٧/٩] قَالَ: عِنْدِي مَا عِنْدَ الْأَحْوَصِ وَنُصَيْبٍ. قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟ / قَالَ: هُمَا أَحَقُّ بِإِخْبَارِكَ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَمْ نَحُثِ الْمَطِيَّ نَحْوَكُمْ شَهْرًا نَطْلُبُ مَا عِنْدَكُمْ إِلَّا لِيَقْبَلَ لَكُمْ ذِكْرٌ، وَقُلْ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَنِي عَمَّا سَأَلْتُكَ، لِيَكُونَ مَا تُخْبِرُنِي بِهِ حَدِيثًا أَخَذَهُ عَنْكَ. فَقَالَ: إِنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا كَانَ، قَدِمْتُ أَنَا وَنُصَيْبُ وَالْأَحْوَصُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مَنَا يُدِلُّ بِسَابِقَتِهِ عِنْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَإِخْوَانِهِ لِعُمَرَ. فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ فَتَى الْعَرَبِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مَنَا يَنْظُرُ فِي عِطْفِيهِ لَا يَشُكُّ أَنَّهُ شَرِيكَ الْخَلِيفَةِ فِي الْخَلِافَةِ، فَأَحْسَنَ ضِيَافَتَنَا وَأَكْرَمَ مَثْوَانَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا عَلِمْتُمْ ١٥٣ أَنْ إِمَامَكُمْ لَا يُعْطِي الشُّعْرَاءَ شَيْئًا؟ قُلْنَا: قَدْ جِئْنَا الْآنَ، فَوَجَّهْ لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ / وَجْهًا. فَقَالَ: إِنْ كَانَ ذُو دِينٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ قَدْ وَلِيَ الْخَلِيفَةَ فَقَدْ بَقِيَ ذُوِي دُنْيَاهُمْ مِنْ يَقْضِي حَوَائِجِكُمْ وَيَفْعَلُ بِكُمْ مَا أَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ. فَأَقَمْنَا عَلَى بَابِهِ

أربعة أشهر لا نصل إليه، وجعل مسلمة يستأذن لنا فلا يؤذن. فقلت: لو أتيت المسجد يوم الجمعة فتحفظت من كلام عمر شيئاً! فأتيت المسجد فأنا أول من حفظ كلامه، سمعته يقول في خطبة له: لكل سفر زاد لا محالة، فتزودوا من الدنيا إلى الآخرة الثقوى، وكونوا كمن عابن ما أعد الله له من ثوابه وعقابه، فعمل طلباً لهذا وخوفاً من هذا. ولا يطولن عليكم الأمد فتقشروا قلوبكم، وتنقادوا لعدوكم. وأعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الله في الآخرة. فاما من لا يداوي جرحاً إلا أصابه جرح من ناحية أخرى، فكيف يطمئن بالدنيا! أعوذ بالله أن أمركم بما أنهى نفسي عنه فتخسر صفقتي، وتبدؤ عيلتي، وتظهر مسكنتي يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق. فأرتج المسجد بالبكاء، وبكى عمر حتى بل ثوبه، حتى ظننا أنه قاض نحبته. فبلغت إلى صاحبي فقلت: جددا لعمر من الشعر غير ما أعددناه، فليس الرجل بدنيوي. ثم إن مسلمة استأذن لنا يوم الجمعة بعد ما أذن للعامة. فدخلنا فسلمنا عليه بالخلافة فرد علينا. فقلت له: / يا أمير المؤمنين، طال الثواء وقلبت الفائدة وتحذث بجفائك إيانا وفود [٢٥٨/٩] العرب. فقال: يا كثير، أما سمعت إلى قول الله عز وجل في كتابه ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أفمن هؤلاء أنت؟ فقلت له وأنا ضاحك: أنا ابن سبيل ومقطع به. قال: أولست ضيف أبي سعيد؟ قلت بلى. قال: ما أحسب من كان ضيف أبي سعيد ابن سبيل ولا مقطوعاً به. ثم استأذنته في الإنشاد، فقال: قل ولا تقل إلا حقاً؛ فإن الله سائلك. فقلت:

وَلَيْتَ فَلَم تَشْتُم عَلَيَّ وَلَمْ تُخَفِّرْ
وَقُلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالَّذِي
أَلَّا إِنَّمَا يَكْفِي الْفَتَى بَعْدَ زَيْغِهِ
لَقَدْ لَيْسَتْ لُبْسَ الْهَلُوكِ بِيَابِهَا^(١)
وَتَوْمَضُ أَحْيَاناً بَعِينَ مَرِيضَةٍ
فَاعْرَضْتَ عَنْهَا مَشْمُزاً كَأَنَّمَا
وَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَجْبَالِهَا فِي مُنْتَعِ
وَمَا زِلْتَ سَبَاقاً إِلَى كُلِّ غَايَةٍ
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمَلِكُ عَفْوَاً وَلَمْ يَكُنْ
تَرَكْتَ الَّذِي يَقْنَى وَإِنْ كَانَ مُونِقاً
فَأَضْرَزْتَ بِأَلْفَانِي وَشَمَّرْتَ لِلَّذِي
وَمَا لَكَ أَنْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعُ
/ سَمَّاكَ هُمْ فِي الْفُؤَادِ مَوْزُقُ

وَلَيْتَ فَلَم تَشْتُم عَلَيَّ وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مُجْرِمٍ
فَعَلْتَ، فَأُضْحَى رَاضِياً كُلُّ مُسْلِمٍ
مِّنَ الْأَوْدِ الْبَاقِي ثِقَافُ الْمُقُومِ
وَأَبْدَتْ لَكَ الدُّنْيَا بِكَفٍّ وَمِغْصَمٍ
وَتَبَسُّمٍ عَنِ مِثْلِ الْجُمَانِ الْمُنْظَمِ
سَقَشَكَ مَدُوفاً^(٢) مِنْ سِمَامٍ وَعَلَقَمٍ
وَمِنْ بَحْرَمَا فِي مُزِيدِ الْمَوْجِ مُفْعَمٍ
صَعِدْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمَقْدَمِ
لَطَالِبِ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمٍ
وَأَثَرَتْ مَا يَبْقَى بِرَأْيٍ مَصْمُومٍ
أَمَامَكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْهَوْلِ مُظْلَمٍ
سِوَى اللَّهِ مِنْ مَالٍ رَغِيبٍ وَلَا دَمٍ
صَعِدَتْ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي بِسُلْمٍ

(١) الهلوك من النساء: الفاجرة المتساقطة على الرجال. وفي الأصول: «لبس الملوك بياها». وظاهر «أنه تحريف».

(٢) مدوفاً: مخلوطاً. وأكثر ما يستعمل هذا اللفظ في الدواء والطيب. والسمام: السم.

/ فما بين شرق الأرض والغرب كلها
يقول: أمير المؤمنين ظلمتني
ولا بسط كفت لا مريء ظالم له
فلو يستطيع المسلمون تقسموا
فعيشت به ما حجج الله راكب
فأزبخ بها من صفقة لمبايع

مُنادٍ ينادي من فصيح وأعجم
بأخذ لدينار ولا أخذ درهم
ولا السفك منه ظالماً ملء مخجّم
لك الشطر من أعمارهم غير ندم
مغذّ مطيف بالمقام وزمزم
وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

فقال لي: يا كثير، إن الله سائلك عن كل ما قلت. ثم تقدّم إليه الأحوص فاستأذنه فقال: قل ولا تقل إلا حقاً؛ فإن الله سائلك. فأنشده:

وما الشعر إلا خطبة من مؤلف
فلا تقبلن إلا الذي وافق الرضا
رأيناك لم تعدل عن الحق يمنة
ولكن أخذت القصد جهداً كله
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا
ومن ذا يرد السهم بعد مروقته^(١)
ولولا الذي قد عودتنا خلافت
لما وخذت شهراً برحلي جصرة
ولكن رجونا منك مثل الذي به
/ فإن لم يكن للشعر عندك موضع
وكان مصيباً صادقاً لا يعيبه
فإن لنا قزبي ومخض مودة
فذاذوا عدو السلم عن عقر دراهم
فقبلك ما أعطى الهنيئة^(٢) جلّة
رسول الإله المصطفى بيؤة

بمنطقي حق أو بمنطقي باطل
ولا تخرجنا كالنساء الأرامل
ولا ينسرة فعل الظلوم المجادل
وتقفو مثالي الصالحين الأوائل
ومن ذا يرد الحق من قول عاذل
على فرقه إن عاز^(٣) من نزع نابيل
غطاريف كانت كالليوث البواسل
تقل متون اليد بين الرّواحل
صرفنا قديماً من ذويك الأفاضل
وإن كان مثل الدّر من قول قائل
سوى أنه يئس بنساء المنسازل
وميراث آباء مشوا بالمناسل
وأزسوا عمود الدين بعد تماسيل
على الشعر كعباً من مديس وبازل
عليه سلام بالضحى والأصائل^(٤)

[٢٦٠/٩]

(١) كذا في أ. وفي سائر الأصول: «صدوفه» وهو تحريف.

(٢) السهم العائر: «الذي لا يدري من أين أتى». وأنشد أبو عبيدة:
أخشى على وجهك يا أمير

وفي الأصول: «عاد» بالدال وهو تحريف.

(٣) هنيئة: اسم للمائة من الإبل خاصة، وقيل اسم للمائة من الإبل وغيرها. ويريد بكعب كعب بن زهير. والسديس من الإبل ما دخل في السنة الثامنة. والبازل الذي فطر نابه أي أنشق، وذلك في السنة التاسعة.

(٤) المعروف المحفوظ في كتب السير أن رسول الله ﷺ لما أنشده كعب بن زهير قصيدته اللامية «بانت سعاد» ووصل فيها إلى قوله: =

عوثرأ من جنسدل تعير

فكلّ الذي عدّدتُ يَكْفِيكَ بعضه وتَيْلُك خَيْرٌ من بحور السوائل فقال له عمر: يا أحوص، إنّ الله سائلُك عن كلّ ما قلت. ثم تقدّم إليه نُصَيْبُ فاستأذن في الإنشاد، فأبى أن يأذن له وغَضِبَ غضباً شديداً، وأمره باللّحاق بدابّق^(١). وأمر لي وللأحوص لكل واحد بمائة وخمسين درهماً.

وقال الرّياشيّ في خبره: فقال لنا: ما عندي ما أعطيكم، فانتظروا حتى يَخْرُجَ عطائي فأواسيكم منه. فانتظرنا حتى خرج، فأمر لي وللأحوص بثلاثمائة درهم، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهماً. فما رأيت أعظم بركة من الثلاث المائة التي أعطاني، إبتعتُ بها وَصِيفَةً فعَلِمْتُهَا الْغِنَاءَ فبِعْتُهَا بِالْفِ دينار.

خبر دكين الراجز معه:

أخبرني عمّي عبدالعزيز بن أحمد قال حدّثنا أحمد بن الحارث الحرّاز عن المدائني قال:

/ قال دُكَيْنُ / الراجز: إمتدحتُ عمر بن عبدالعزيز وهو والي المدينة، فأمر لي بخمسة عشرة ناقة كرائم، فكرهتُ أن أزميَ بهنّ الفجاج، ولم تَطِبْ نفسي ببيعهنّ. فقدمت علينا رُفْقَةً من مصر، فسألتهنّ الصُّحْبَةَ، فقالوا: ^{٢٦١/٩١} ^{١٥٥} ^٨ ذاك إليك، ونحن نخرج الليلة، فأتيته فودّعته وعنده شيخان لا أعرفهما. فقال لي: يا دُكَيْنُ، إن لي نفساً تَوَاقَةً، فإن صِرْتُ إلى أكثر مما أنا فيه فأتني ولك الإحسان. قلت: أشهد لي بذلك. قال: أشهد الله به. قلت: ومن خلّقه؟ قال: هذين الشيخين. فأقبلتُ على أحدهما فقلت: من أنت أعرفك؟ قال: سالم بن عبدالله بن عمر. فقلت له: لقد استسمت الشاهد. وقلت للآخر: من أنت؟ قال: أبو يحيى مولى الأمير. فخرجتُ إلى بلدي بهنّ، فرمى الله في أذناهنّ بالبركة حتى اعتقدتُ^(٢) منهنّ الإبل والعبيد. فإني لبصّخراء فلج^(٣) إذا ناع ينعى سليمان. قلت: فمن القائم بعده؟ قال: عمر بن عبدالعزيز. فتوجّهت نحوه، فلقيني جزيّ متصرفاً من عنده. فقلت: يا أبا حَزْرَةَ، من أين؟ فقال: من عند من يُعْطِي الفقراء، ويمنع الشعراء. فأنطلقتُ فإذا هو في عَرَصَةِ دار وقد أحاط الناسُ به، فلم أخلص إليه فنأديتُ:

يسا حَمَرَ الخيَراتِ والمَكَارِمِ وعَمَرَ الدَّسائِعِ^(٤) العِظائِمِ
إنّي أمرؤٌ من قَطَنِ بنِ دارِمِ طلبتُ دَيْنِي من أخي مَكَارِمِ
إذ تَنَحَّيَ والليلُ غيرُ نائمٍ^(٥) عند أبي يَحْيَى وعند سالمِ

فقام أبو يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، لهذا البدوي عندي شهادة عليك، فقال: أعرُفُها؛ أَدُنُّ يا دُكَيْنُ، أنا كما ذكرتُ لك، إن نفسي لم تنل شيئاً قط إلا تاقَت / لما هو فوقه، وقد نلتُ غايةَ الدنيا فنفسِي تَتَوَقُّ إلى الآخرة، والله ^{٢٦٢/٩١}

مهندس من سيفوف الله مسلول

إن الرسول لنور يستضاء به

ألقى عليه بردة كانت عليه، بلذ له فيها معاوية عشرة آلاف درهم، فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً. فلما مات كعب

بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفاً فأخذها منهم.

(١) دابّق: قرية قرب حلب بينها وبين حلب أربعة فراسخ.

(٢) اعتقد الشيء: اشتراه أو اقتناه.

(٣) فلج: واد بين البصرة وحمى ضربة.

(٤) الدسائِع: الشماغل أو العطايا.

(٥) كذا في «المقد الفريد»: وفي الأصول: إذا تنحى والله غير نائم.

ما رَزَأْتُ من أموال الناس شيئاً، ولا عندي إلا ألف درهم، فخذ نصفها. قال: فوالله ما رأيت ألفاً كان أعظم بركة منه. قال: ودُكِّن الذي يقول:

إذا المرء يَذْنُس من اللؤم عِزُّهُ فكلُّ رِداءٍ يَرتسديه جميلٌ
وإن هو لم يَرْفَعْ عن اللؤم نفسه فليس إلى حُسنِ الثَّناء سبيلٌ^(١)

زهده بعد أن ولي الخلافة:

أخبرني الحرَّمي عن الزُّبير عن هارون بن صالح عن أبيه قال:

كنا نعطي الغَسَّال الدراهم الكثيرة حتى يَغْسِل ثيابنا في أثر ثياب عمر بن عبدالعزيز من كثرة الطَّيب فيها يعني المِسْك. قال: ثم رأيت ثيابه بعد ذلك وقد وَلِيَ الخلافة فرأيتُ غيرَ ما كنتُ أعرف.
حبه آل البيت:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدَّثنا الرياشي قال حدَّثنا الأصمعي عن نافع بن أبي نُعيم قال:

قدم عبدالله بن الحسن بن الحسن على عمر بن عبدالعزيز فقال: إنك لا تُغْنِمُ أهْلَكَ شيئاً خيراً من نفسك فأرجع، وأتبعه حوائجُه.

قال الرياشي وحدَّثنا نصر بن علي قال حدَّثنا أبو أحمد محمد بن الزُّبير الأسدي عن سعيد بن أبان قال:

رأيت عمر بن عبدالعزيز أخذاً بُسرةً عبدالله بن حسن وقال: أذكُرُها عندك تَشْفَعُ لي يومَ القيامة.

/ حدَّثني أبو عبيد الصَّيرفي قال حدَّثنا الفضل بن الحسن المصري قال حدَّثنا عبدالله بن عمر القَوَاريري قال حدَّثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبان القُرشي قال:

دخل عبدالله بن حسن على عمر بن عبدالعزيز وهو حديث السنَّ وله وَفرة^(٢)، فرفع مجلسه وأقبل عليه / وقضى حوائجَه، ثم أخذ عُنْكَةً من عُنْكَته فغمَزها حتى أوجعه وقال له: أذكُرُها عندك للشَّفاعة. فلما خرج لأمه أهله وقالوا: فعلتَ هذا بغلام حديث السنَّ! فقال: إن الثَّقة حدَّثني حتى كَأَنِّي أسمعُه من في رسول الله ﷺ قال: «إنما فاطمة بضعةٌ منِّي يسرُّني ما يسرُّها» وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حَيَّة لسرَّها ما فعلتُ بأبنها. قالوا: فما معنى غَمَزِكَ بطنَه وقولك ما قلت؟ قال: إنه ليس أحدٌ من بني هاشم إلا وله شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا.

أكرم يزيد بن عيسى لأنه مولى علي:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثنا عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي قال أخبرني يزيد بن عيسى بن مَورِق قال:

كنت بالشام زمنَ وَلِيَّ عمر بن عبدالعزيز، وكان بَخْناصِرة^(٣)، وكان يعطي الغرباء مائتي درهم. قال: فجنَّته

(١) المعروف أن هذين البيتين للسموئيل بن عدياء اليهودي. ويروى، كما في «الحماسة والأمال» لأبي علي القالي، صدر البيت الثاني:

وإن هو لم يحمل عن النفس ضيمها

(٢) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس.

(٣) خناصرة: بلدة من أعمال حلب.

فَأَجِدُهُ مَتَكِنًا عَلَى إِزَارٍ وَكِسَاءٍ مِنْ صُوفٍ. فَقَالَ لِي: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ. قَالَ: مِنْ أَيِّهِمْ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. قَالَ: مِنْ أَيِّهِمْ؟ قُلْتُ: مِنْ قُرَيْشٍ. قَالَ: مِنْ أَيِّ قُرَيْشٍ؟ قُلْتُ: مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. قَالَ: مِنْ أَيِّ بَنِي هَاشِمٍ؟ قُلْتُ: مِنْ مَوْلَى عَلِيٍّ. قَالَ: مَنْ عَلِيٌّ؟ فَسَكَتُ. قَالَ: مَنْ؟ فَقُلْتُ: ابْنُ أَبِي طَالِبٍ. فَجَلَسَ وَطَرَحَ الْكِسَاءَ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: وَأَنَا وَاللَّهِ مَوْلَى عَلِيٍّ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى عَدَدٍ مِمَّنْ أَدْرَكَ النَّبِيُّ ﷺ / يَقُولُ: قَالَ [٢٦٤/٩] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ». أَيْنَ مُزَاحِمٌ^(١)؟ كَمْ تُعْطِي مِثْلَهُ؟ قَالَ: مِائَتِي دِرْهَمٍ. قَالَ: أَعْطَاهُ خَمْسِينَ دِينَارًا لَوْلَا أَنَّهُ مِنْ عَلِيٍّ. ثُمَّ قَالَ: أَفِي فَرَضٍ أَنْتَ؟ قُلْتُ لَا. قَالَ: وَأَفَرِضُ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: الْحَقُّ بِلَادِكَ فَإِنَّهُ سَيَأْتِيكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا يَأْتِي غَيْرَكَ.

سمى عمر بن علي نحله غلامه مورقا:

قال أبو زيد فحدثني عيسى بن عبدالله قال حدثني أبي عن أبيه قال قال أبي:

وُلِدَ لِي غُلَامٌ يَوْمَ قَامَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَغَدَوْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: وُلِدَ لِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ غُلَامٌ. فَقَالَ لِي: مِمَّنْ؟ قُلْتُ: مِنَ الثَّقَلَيْنِ. قَالَ: فَهَبْ لِي أَسْمَهُ. قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ: قَدْ سَمَّيْتُهُ أَسْمَى وَنَحَلْتُهُ غُلَامِي مُورِقًا، وَكَانَ نُورِيًّا فَأَعْتَقَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَوُلِدَ الْيَوْمَ مَوَالِينَا.

كان يكرم عبدالله بن الحسن:

أخبرني محمد بن العباس قال حدثنا عمر قال حدثنا عيسى بن عبدالله قال أخبرني موسى بن عبدالله بن حسن عن أبيه قال:

كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَرَانِي إِذَا كَانَتْ لِي حَاجَةٌ أُرْزَدُ إِلَى بَابِهِ. فَقَالَ لِي: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فَارْفَعْ بِهَا إِلَيَّ! فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنْ اللَّهِ أَنْ يَرَاكَ عَلَى بَابِي.

لم يفد من ولايته شيئا وخلف ولده فقراء:

أخبرني عمي قال حدثني الكُرَائي قال حدثني العُمَري عن العُتَبي عن أبيه قال:

لَمَّا حَضَرْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْوَفَاةَ جُمِعَ وَلَدُهُ حَوْلَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ أَسْتَغْبَرُ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبِي وَأُمِّي مَنْ خَلَفْتُهُمْ بَعْدِي فَقَرَاءَ! فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَعَقَّبَ فَعَلَّكَ وَأَغْنَاهُمْ، فَمَا يَمْنَعُكَ أَحَدٌ فِي حَيَاتِكَ وَلَا يَرْتَجِعُهُ الْوَالِي بَعْدَكَ. فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرٌ مُغْضَبٌ مَتَعَجِّبٌ فَقَالَ: يَا مَسْلَمَةُ، مَنْعْتُهُمْ إِيَّاهُ فِي حَيَاتِي وَأَشْفَى بِهِ / بَعْدَ [٢٦٥/٩] وَفَاتِي! إِنْ وَلَدِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ: إِمَّا مَطِيعٌ لِلَّهِ فَاللَّهُ مُصْلِحٌ لَهُ شَأْنَهُ وَرَازِقُهُ مَا يَكْفِيهِ، أَوْ عَاصٍ لَهُ فَمَا كُنْتُ لِأَعِينَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ. يَا مَسْلَمَةُ، إِنِّي حَضَرْتُ أَبَاكَ لَمَّا دُفِنَ فَحَمَلْتَنِي عَيْنِي عِنْدَ قَبْرِهِ فَرَأَيْتُهُ قَدْ أَفْضَى إِلَى أَمْرٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَاعِيًا وَهَالِيًا، فَعَاهَدْتُ اللَّهَ الْأَعْمَلَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ إِنْ وَلَّيْتُ؛ وَقَدْ أَجْتَهَدْتُ فِي ذَلِكَ طَوْلَ حَيَاتِي، وَأَرْجُو أَنْ أَفْضِيَ إِلَى عَفْوٍ مِنَ اللَّهِ / وَغُفْرَانٍ. قَالَ مَسْلَمَةُ: فَلَمَّا دُفِنَ حَضَرْتُ دَفْنَهُ، فَمَا فُرِغَ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى حَمَلْتَنِي عَيْنِي، فَرَأَيْتُهُ فِيمَا يَرَى^{١٥٧} النَّائِمَ وَهُوَ فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ نَضْرَةٍ فَيَحْيَا وَأَنْهَارٍ مُطَرِّدَةٍ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: يَا مَسْلَمَةُ، لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ. هَذَا أَوْ نَحْوَهُ، فَإِنَّ الْحِكَايَةَ تَزِيدُ أَوْ تَنْقُصُ.

(١) هو مزاحم بن أبي مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز.

رثاه مسلمة بن عبد الملك :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ عن يحيى بن سَعِيد الأمويّ قال :

لَمَّا مَاتَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقَفَ مُسْلِمَةُ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أُذْرِجَ فِي كَفْنِهِ فَقَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَدْ أَوْرَثْتَ صَالِحِينَ بِكَ اقْتِدَاءً وَهُدًى ، وَمَلَأْتَ قُلُوبَنَا بِمَوَاعِظِكَ وَذَكَرِكَ خَشْيَةً وَتَقَى ، وَأَثَلْتَ لَنَا بِفَضْلِكَ شَرَفًا وَفَخْرًا ، وَأَبْقَيْتَ لَنَا فِي الصَّالِحِينَ بَعْدَكَ ذِكْرًا .

كتابه إلى أسارى قسطنطينية :

أخبرني الحسن قال أخبرنا الغلابي عن ابن عائشة عن أبيه :

أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ إِلَى الْأَسَارَى بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكُمْ تَعُدُّونَ أَنْفُسَكُمْ أَسَارَى وَلَسْتُمْ أَسَارَى . مَعَاذَ اللَّهِ ! أَنْتُمْ الْحُبَسَاءُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَأَعْلَمُوا أَنِّي لَسْتُ أَقْسِمُ شَيْئًا بَيْنَ رِعْيَتِي إِلَّا خَصَصْتُ أَهْلَكُمْ بِأَوْفَرِ ذَلِكَ وَأَطْيَبِهِ . [٢٦٦/٩] وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ ، خَمْسَةَ دَنَانِيرَ . وَلَوْلَا أَنِّي خَشِيتُ إِنْ زِدْتُكُمْ أَنْ يَحْبِسَهُ عَنْكُمْ / طَاغِيَةُ الرُّومِ لَزِدْتُكُمْ . وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ فَلَانُ بْنُ فُلَانٍ يُفَادِي صَغِيرَكُمْ وَكَبِيرَكُمْ ، ذَكَرَكُمْ وَأَنَاكُمْ ، حُرَّكُمْ وَمَمْلُوكَكُمْ بِمَا يَسَالُ ، فَأَبْشِرُوا ثُمَّ أَبْشِرُوا .

كتاب الحسن البصري له ورده عليه :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم قال زَعَمَ لَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَرْقَمَ قَالَ :

كَتَبَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَكَانَ يَكَاتِبُهُ ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ كَتَبَ إِلَيْهِ : «مَنْ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ» . فَقِيلَ لَهُ : إِنْ الرَّجُلُ قَدْ وَلِيَ وَتَغَيَّرَ . فَقَالَ : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيْهِ لَاتَّبَعْتُ مُحِبَّهُ . ثُمَّ كَتَبَ : «مَنْ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ . أَمَّا بَعْدُ ، فَكَأَنَّكَ بِالْدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ ، وَكَأَنَّكَ بِالْآخِرَةِ لَمْ تَزَلْ» . قَالَ : فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ بِالْكِتَابِ فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ بِهِ . فَإِنِّي عِنْدَهُ أَتَوَقَّعُ الْجَوَابَ إِذْ خَرَجَ يَوْمًا غَيْرَ يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى صَعِدَ الْمَنِيرَ وَأَجْتَمَعَ النَّاسُ . فَلَمَّا كَثُرُوا قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ فِي أَسْلَابِ الْمَاضِينَ ، وَسَيَرَتُكُمْ الْبَاقُونَ حَتَّى تَصِيرُوا إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ . كُلُّ يَوْمٍ تَجْهَؤُنَ غَادِيًا إِلَى اللَّهِ وَرَاحَتًا ، قَدْ حَضَرَ أَجَلُهُ ، وَطُوبَى عَمَلُهُ ، وَعَايِنِ الْحِسَابَ ، وَخَلْعِ الْأَسْلَابَ ، وَسَكُنِ التَّرَابَ ، ثُمَّ تَدْعُوهُ غَيْرَ مُؤَسَّدٍ وَلَا مُمَهَّدٍ . ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى وَجْهِهِ فَبَكَى مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَهُمَا فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْكُمْ بِحَاجَتِهِ لَمْ نَأْلَهُ خَيْرًا ، وَمَنْ عَجَزَ فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ وَالَّ عُمَرَ فِي الْعَجْزِ سَوَاءٌ . قَالَ : ثُمَّ نَزَلَ . فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ؛ فَكَتَبَ : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِأَوَّلِ مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ ، وَقَدْ مَاتَ . وَالسَّلَامُ» .

آخر خطبة له :

أخبرني ابن عَمَّار قال حدّثني سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا أَبُو مُطَرِّفٍ الْمُغِيرَةِ بْنِ مُطَرِّفٍ عَنْ شُعَيْبِ بْنِ صَفْوَانَ عَنْ أَبِيهِ :

/ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ خَطَبَ بِخُتَابٍ خُطْبَةً لَمْ يَخْطُبْ بَعْدَهَا ، حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، [٢٦٧/٩]

إِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا وَلَمْ تُتْرَكُوا سُدىً؛ وَإِنْ لَكُمْ مَعَادَا يَتَوَلَّى اللَّهُ فِيهِ الْحَكَمَ فِيكُمْ وَالْفَصْلَ بَيْنَكُمْ، / فخاب وخسر ^{١٥٨} من خرج من رحمة الله التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَحُرِّمَ الْجَنَّةُ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَانَ غَدًا لِمَنْ حَذَرَ اللَّهَ وَخَافَهُ، وَبَاعَ قَلِيلًا بِكَثِيرٍ، وَنَافِدًا بِبَاقٍ، وَخَوْفًا بِأَمَانٍ. أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ فِي أَسْلَابِ الْهَالِكِينَ وَسَيُخْلَفُهَا مِنْ بَعْدِكُمُ الْبَاقُونَ، وَكَذَلِكَ حَتَّى تُرَدُّوا إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ تُشْعَمُونَ غَادِيًا إِلَى اللَّهِ وَرَاحَةً، قَدْ قَضَى نَحْبَهُ، وَأَنْقَضَى أَجَلُهُ، ثُمَّ تَضَعُونَهُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ فِي بَطْنٍ لَخْدٍ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ غَيْرَ مُوسِدٍ وَلَا مَمْهَدٍ، قَدْ خَلَعَ الْأَسْلَابَ، وَفَارَقَ الْأَحْبَابَ، وَوَجَّهَ لِلْحِسَابِ، غَنِيًّا عَمَّا تَرَكَ، فَقِيرًا إِلَى مَا قَدَّمَ. وَأَيُّمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَقُولُ لَكُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَلَا أَعْلَمُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدِي، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ. وَمَا يُبْلَغُنَا أَحَدٌ مِنْكُمْ حَاجَتَهُ يَسْعَاهَا مَا عِنْدَنَا إِلَّا سَدَدُنَا مِنْ حَاجَتِهِ مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ، وَلَا أَحَدٌ يَتَسَّعُ لَهُ مَا عِنْدَنَا إِلَّا وَدِدْتُ أَنَّهُ بُدِيَءَ بِي وَبِلُحْمَتِي الَّذِينَ يَكُونُونِي حَتَّى يَسْتَوِيَ عَيْشُنَا وَعَيْشُكُمْ. وَأَيُّمُ اللَّهِ لَوْ أَرَدْتُ غَيْرَ هَذَا مِنْ عَيْشٍ أَوْ غَضَارَةٍ لَكَانَ اللِّسَانُ بِهِ مَتْنِي نَاطِقًا ذُلُولًا عَالِمًا بِأَسْبَابِهِ، وَلَكِنَّهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كِتَابٌ نَاطِقٌ، وَسُنَّةٌ عَادِلَةٌ، دَلَّ فِيهِمَا عَلَى طَاعَتِهِ وَنَهَى فِيهِمَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ. ثُمَّ بَكَى فَتَلَقَّى دَمُوعَهُ بِطَرَفِ رِدَائِهِ؛ ثُمَّ نَزَلَ فَلَمْ يَرِ عَلَى تِلْكَ الْأَعْوَادِ بَعْدُ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ. رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

اشترى موضع قبره بعشرة دنانير:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو سلمة المديني. عن إبراهيم بن ميسرة: أن عمر بن عبدالعزيز اشترى موضع قبره بعشرة دنانير.

/ وفاته:

أخبرني اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو سلمة المديني قال أخبرني ابن مسleme بن عبد الملك قال حدثني أبي مسleme قال:

كنا عند عمر في اليوم الذي توفي فيه أنا وفاطمة بنت عبد الملك؛ فقلنا له: يا أمير المؤمنين، إنا نرى أننا قد منعناك النوم، فلو تأخرنا عنك شيئاً عسى أن تنام! قال: ما أبالي لو فعلتما. قال: فتنحيت أنا وهي وبيننا وبينه ستر. قال: فما شئبنا أن سمعناه يقول: حيّ الوجوه حيّ الوجوه. فأبتدزناه أنا وهي فجئناه وقد أغمض ميتاً، فإذا هاتفت يهتف في البيت لا نراه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

من أصواته في سعاد:

ومن أصوات عمر في سعاد:

صوت

أَلَا يَا دِينَ قَلْبُكَ مِنْ سُلَيْمَى	كَمَا قَدْ دِينَ قَلْبُكَ مِنْ سَعَادَا
هَمَّا سَبَّحَا الْفَوَادَ وَأَضْبَاهَا	وَلَمْ يُسْذِرْكَ بِذَلِكَ مَا أَرَادَا
فَقَا نَعْرِفُ مَنَازِلَ مِنْ سُلَيْمَى	دَوَارِسَ بَيْنَ حَوْمَلٍ أَوْ عُرَادَا ^(١)

ذَكَرْتُ بِهَا الشَّبَابَ وَآلَ لَيْلَى فَلَمْ يَرُدِّ الشَّبَابُ بِهَا مَرَادَا
فَإِنْ تَشِبَّ الدُّوَابُ أُمَّ زَيْدٍ فَقَدْ لَا قِيَسَ أَيْاماً شِدَادَا

عروضه من الوافر. الشعر لأشهب بن رُمَيْلة فيما ذكر ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني. وحكى ابن الأعرابي أنه ^{١٥٩}/_٨ سمع بعض بني ضَبَّة يذكر أنها لابن أبي رُمَيْلة الضَّبِّي. والغناء لعمر / بن عبدالعزيز رَمَلٌ بالوسطى عن الهشامي وَحَبَشٍ وغيرهما. وفي نسخة عمرو بن بانة الثانية: لَخَزَرَجَ رَمَلٌ بالبصرة.



مركز تحفة مكتبة التراث العربي

[٢٦٩/٩]

/ نسب الأشهب بن رَمَيْلة وأخباره

نسبه:

رَمَيْلةُ أُمُّهُ، وهي أُمُّ لَخْلَاحِ بْنِ مَالِكِ بْنِ رَبِيعِ بْنِ سَلَمَى بْنِ جَنْدَلِ بْنِ نَهْشَلِ بْنِ دَارِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ. وهو الأشهب بن ثُورِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ جَنْدَلِ بْنِ نَهْشَلِ بْنِ دَارِمِ فِي النَّسَبِ. قال أبو عمرو: وولدها يزعمون أنها كانت سبيّة من سبَايا العرب، فولدت لثور بن أبي حارثة أربعة نفر، وهم رَبَابٌ، وَحَجَنَاءُ، والأشهب، وسُوَيْدٌ.

إخوانه وهرّهم في الجاهلية والإسلام:

فكانوا من أشدّ إخوة في العرب لساناً ويداً، وأمنعهم جانباً. وكثرت أموالهم في الإسلام. وكان أبوهم ثُورٌ ابتاع رَمَيْلةً في الجاهلية، وولدتهم في الجاهلية، فعزّوا عزّاً عظيماً، حتى كانوا إذا وردوا ماءً من مياه الصّمان^(١) حظّروا على الناس ما يريدون منه. وكانت لرَمَيْلة قطيفة حمراء، فكانوا يأخذون الهدب من تلك القطيفة فيلقونه على الماء، أي قد سبقنا إلى هذا، فلا يرده أحدٌ لعزهم، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه ويدعون ما يستغنون عنه.

يوم الصّمان بينهم وبين أبناء عمومتهم:

فوردوا في بعض السنين ماءً من مياه الصّمان وورد معهم ناسٌ من بني قطن بن نَهْشَلِ. وكانت بنو قطن بن نَهْشَلِ وبنو زيد بن نَهْشَلِ وبنو منّاف بن درام حلفاء. وكانت الأعجاز حلفاء عليهم، وهم جَنْدَلُ وَجَرْوَلُ وَصَخْرُ بنو نَهْشَلِ. فأورد بعضهم بغيره فأشرعه حوضاً قد حظّروا عليه. وبلغهم ذلك فغضبوا منه واجتمعوا وأحلافهم، واجتمعت الأحلاف عليهم، فأقتلوا قتالاً شديداً، فضرب رَبَابُ بن رَمَيْلة رأسَ نُسيْرِ بن صُبَيْحِ المعروف بأبي بَدَالٍ، وأُمُّهُ بنتُ أبي الحُمَامِ بن قُرَادِ بن مَخْزُومٍ. وقال رَبَابٌ في ذلك:

[٢٧٠/٩] / ضَرَبْتُهِ عَشِيَّةَ الْهِلَالِ أَوَّلَ يَوْمٍ عُذٌّ مِنْ شَوَالِ
ضَرِباً عَلَى رَأْسِ أَبِي بَسْدَالٍ ثُمْتُ مَا أُبْتُ وَلَا أَبَالِي

الْأَيُّوبَ آخِرَ اللَّيَالِي

فجمع كلُّ واحدٍ منهما لصاحبه. فقالت بنو قطن: يا بني جَرْوَلُ ويا بني صَخْرُ ويا بني منّاف^(٢)، ضرب صاحبكم صاحبنا ضربة لا نذري أيموت منها أم يعيش، فأنصفونا؛ فأبى القوم أن يفعلوا؛ فأقتلوا يومهم ذلك إلى الليل. وكان أُنَيْسُ بن أَشِيَمَ أخو بني جَرْوَلُ وهو سيدهم خرج في حاجة له، فلقيه بعض بني قطن فأسرّه وأتى به أصحابه. فقال نَهْشَلُ^(٣) بن حَرْيٍّ: يا بني قطن، أطيعوني اليوم وأعصوني أبداً. قالوا: نعم، فقل. فقال: إن هذا لم يشهد

(١) الصّمان: جبل في أرض تميم.

(٢) يلاحظ أن بني مناف ليسوا حلفاء لبني جرول وبني صخر، وإنما هم حلفاء بني قطن بن نَهْشَلِ وبنو زيد بن نَهْشَلِ.

(٣) هو نَهْشَلُ بن حَرْيٍّ بن ضمرة، كان شاعراً وهو القاتل:

شَرَكُم وَلَا حَرْبَكُم، وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ دُمُهُ، وَإِنْ قَوْمُهُ أَحْرُ مَنْ يِقَاتِلُكُمْ وَشَوْكُتُهُمْ؛ فَخَذُوا عَلَيْهِ الْعَهْدَ أَنْ يَصْرِفَهُمْ عَنْكُمْ وَخَلُّوا سَبِيلَهُ. قَالُوا: اِفْعَلْ مَا رَأَيْتَ. فَأَتَاهُ نَهْشَلُ بْنُ حَرْيٍّ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا أَسْمَاءَ، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ حَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ حَقِّنَا وَقَاتَلُوا دُونَهُ، وَقَدْ أَمَكَّنَا اللَّهُ مِنْكَ، وَأَنْتَ وَاللَّهُ أَوْفَى دَمًا عِنْدَنَا مِنْ بَنِي رُمَيْلَةَ، فَوَاللَّهِ لَا قَتْلَتَكَ أَوْ تُعْطِيَنِي مَا أَسْأَلُكَ. قَالَ: سَلْ. قَالَ: تَجْعَلُ أَنْ تَصْرِفَ بَنِي جَزُولَ جَمِيعًا، فَإِنْ لَمْ يَطِيعُوكَ انصَرَفَتْ بَنِي أَشِيمَ، فَإِنْ لَمْ يَطِيعُوكَ أَتَيْتَنَا. ^{١٦١}/_٨ قَالَ نَعَمْ. فَخَلَّى سَبِيلَهُ / تَحْتَ اللَّيْلِ. فَأَتَاهُمْ وَهُمْ بِحَيْثُ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَقَالَ: يَا بَنِي جَزُولَ انصَرَفُوا؛ أَعْتَرِضُونَ عَلَى قَوْمٍ يَرِيدُونَ حَقَّهُمْ! أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ! وَاللَّهُ لَقَدْ أَسْرَنِي الْقَوْمَ وَلَوْ أَرَادُوا قَتْلِي لَكَانَ فِيهِ وَقَاءٌ بِحَقِّهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يَكْرَهُونَ حَرْبَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ. فَأَنْصَرَفَ مِنْهُمْ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بَنُو صَخْرَ وَبَنُو جَزُولَ قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ لَنْظَلُمَ ^(١) قَوْمَنَا إِنْ قَاتَلْنَاهُمْ؛ وَأَنْصَرَفُوا، وَتَخَاذَلَ الْقَوْمُ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْأَشْهَبُ بْنُ رُمَيْلَةَ قَالَ: وَيْلَكُمْ! أَفِي ضَرْبَةٍ مِنْ عَصَا لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ! وَاللَّهُ مَا بِهِ مِنْ بَأْسٍ، فَأَعْطُوا قَوْمَكُمْ حَقَّهُمْ. فَقَالَ حَجْنَاءُ وَرَبَابُ: وَاللَّهُ لَنْتَصْرِفَنَّ فَلْنَلْحَقَنَّ بِغَيْرِكُمْ وَلَا نُعْطِيَ مَا بِأَيْدِينَا. فَجَعَلَ الْأَشْهَبُ بْنُ رُمَيْلَةَ يَقُولُ: وَيْلَكُمْ! أَتُخَرَّبُونَ دَارَ قَوْمِكُمْ فِي ضَرْبَةِ عَصَا لَمْ تَبْلُغْ شَيْئًا! فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى جَاءُوا بِرَبَابٍ فَدَفَعُوهُ إِلَى بَنِي قَطْنٍ، وَأَخَذُوا مِنْهُمْ أَبَا بَدَّالٍ وَهُوَ الْمَضْرُوبُ فَمَاتَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فِي أَيْدِيهِمْ؛ فَكَتَمُوهُ، وَأَرْسَلُوا إِلَى عَبَادِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَمَالِكِ بْنِ رَبِيعٍ، وَمَالِكِ بْنِ عَوْفٍ، وَالْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبُدٍ، فَعَرَضُوا عَلَيْهِمُ الدِّيَةَ. فَقَالُوا: وَمَا الدِّيَةُ وَصَاحِبُنَا حَيًّا! قَالُوا: فَإِنْ صَاحَبَكُمْ لَيْسَ بِحَيٍّ. فَأَمْسَكُوا وَقَالُوا: نَنْظُرُ. ثُمَّ جَاءُوا إِلَى رَبَابٍ فَقَالُوا: أَوْصِنَا بِمَا بَدَا لَكَ. قَالَ: دَعُونِي أَصْلِي. قَالُوا: صَلِّ. فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي إِلَى رَبِّي لِذُو حَاجَةٍ، وَمَا مَعْنِي أَنْ أَزِيدَ فِي صَلَاتِي إِلَّا أَنْ تَرَوْا أَنَّ ذَلِكَ فَرَقَ مِنَ الْمَوْتِ، فَلْيُضْرِبْنِي مِنْكُمْ رَجُلٌ شَدِيدُ السَّاعِدِ حَدِيدُ السِّيفِ. فَدَفَعُوهُ إِلَى أَبِي خُزَيْمَةَ بْنِ نُسَيْرِ الْمَكْنِيِّ بِأَبِي بَدَّالٍ فَضَرَبَ عُنُقَهُ، فَدَفَنُوهُ؛ وَذَلِكَ فِي الْفِتْنَةِ بَعْدَ مَقْتَلِ عِشْمَانَ بْنِ عَفَّانَ. فَقَالَ الْأَشْهَبُ يَرْنِي أَخَاهُ وَيَلُومُ نَفْسَهُ فِي دَفْعِهِ إِلَيْهِمْ لَتَسْكُنَ الْحَرْبُ:

بِأَنْ تَسْهَرَا لَيْلَ الثَّمَامِ وَتَجْزَعَا
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَا أَعَفَّ وَأَمْنَعَا
وَأَطْعَمَ إِذْ أَمْسَى الْمَرَاضِعُ جُوعَا
رَوِينَا وَلَمْ نَشْفِ الْغَلِيْلَ فَيَنْقَعَا
وَدَعَا دَاعٍ قَدْ دَعَانَا فَاسْمَعَا
بَشْدِي إِلَى أَوْلَادِ ضَمْرَةٍ أَقْطَعَا
بِمَا قَالَ رَأْيِي فِي رَبَابٍ وَضِيْعَا

أَعَيْنِي قَلْتُ عَبْرَةً مِنْ أَخِيكَمَا
وَبَاكِةً تَبْكِي الرَّبَابَ وَقَائِلِي
وَأَضْرَبَ فِي الْهَيْجَا إِذَا حَمَسَ الْوَعْيُ
/ إِذَا مَا اعْتَرَضْنَا مِنْ أَحِينَا أَخَاهُمْ
قَرَوْنَا دَمًا وَالضَّيْفُ مَتَّظَرُ الْقِرَى
مَرَدَّنَا ^(٢) وَكَانَتْ هَفْوَةٌ مِنْ حُلُومِنَا
وَقَدْ لَامَنِي قَوْمِي وَنَفْسِي تَلُومُنِي

[٢٧٢/٩]

عنه ولا هو بالأبناء يشرينا
تلقى السوابق منا والمصلينا

إنا بنو نهشل لا ندعي لأب
إن تبدر غاية يوما لمكرمة

(انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص ٤٠٤ - ٤٠٥).

(١) في أ، م: «الضيق».

(٢) مرد الصبي ثدي أمه: مرسه.

فلو كان قلبي من حديدٍ أذابَه ولو كان من صُمِّ الصَّفَا لتصدَّعا
مضى الحديث.

أصوات عمر في سعاد:

ونسختُ من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدَّثني محمد بن أحمد بن يحيى المَكِّي عن أبيه قال:
لِعَمْرٍ بن عبد العزيز في سَعَادٍ سبعةُ ألحان.

منها:

يا سَعَادُ التي سَبَّخْتُني فؤادي ورُقَادِي هَبِي لعيني رُقَادِي
ولحنه رَمَلٌ مطلق.

ومنها:

حفظُ عيني من سَعَاد أبداً طولُ الشَّهاد
ولحنه رَمَلٌ بالسَّابَةِ في مجرى النِّصر.

ومنها:

سبحان رُبِّي برا سَعَادَا لا تعرف الوصلَ والوداد
/ ولحنه خفيفٌ ^(١) رَمَلٍ.

/ ومنها:

لَعَمْرِي لئن كانت سعادُ هي المُنَى وجئةٌ خُلد لا يُعَلُّ خلودُها
ولحنه ثقيلٌ أول.

ومنها:

أَسْعَادُ جُودِي لا شَقِيتِ سَعَادَا وأَجْزِي مُحِبِّكِ رَأْفَةً وودادَا
ولحنه خفيفٌ رَمَلٍ.

ومنها:

أَلَمَّا صاحبي نَزَرُ سَعَادَا

ومنها:

أَلَا يَا دِينَ قَلْبِكَ مِنْ سُلَيْمَى

وقد ذكرتُ طريقتَهُما.

(١) في ج: «خفيف ثقيل».

كان محدثاً وفقهاً وراويّاً:

وقد رُوي عن عمر بن عبدالعزيز حديثٌ كثيرٌ وفقهٌ، وحملَ عنه أهلُ العلم.

أخبرنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا عمران بن بكار الكلاعي قال حدثنا خالد بن علي قال حدثنا بَقِيَّةُ بن الوليد عن مبشر بن إسماعيل عن بشر بن عمر بن عبدالعزيز عن أبيه عمر عن جده عبدالعزيز عن معاوية بن أبي سفيان قال:

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَمُثَلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَاماً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي قالا حدثنا العززي قال حدثني وزير بن محمد أبو هاشم الغساني قال حدثني محمد بن أيوب بن سعيد الشكري عن عمر بن عبدالعزيز عن أمه عن أبيها عاصم بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال:

قال رسول الله ﷺ: «نِعَمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ».

[٢٧٤/٩] / غناء يزيد بن عبد الملك:

وممن حُكي عنه أنه صنَّع في شعره غناءً يزيدُ بن عبد الملك، ولم يأت ذلك بروايةٍ عمن يحصلُ قوله كما حُكي عن عمر بن عبدالعزيز، وإنما وُجد في الكتب أنه صنَّع لحناً في شعره، وذكره من لا يُوثق به، ولم نَرَوْه عن أحد فلم نأت بأخباره ها هنا مشروحةً، وأُتيت بها في أخباره مع حَبَابَةٍ بحيث يصلح. وأما اللحن الذي ذكر أنه صنعه فهو:

صوت

أَبْلَغُ حَبَابَةٍ أَسْقَى رَبْعَهَا الْمَطَرُ مَا لِلْفَوَادِ سِوَى ذِكْرَاكُم وَطَرُ
إِنْ سَارَ صَخْبِي لَمْ أَفْلَلْ بِذِكْرِكُمْ أَوْ عَرَّسُوا فَهَمُومُ النَّفْسِ وَالْفِكْرِ

في هذين البيتين ثَقِيلٌ أَوَّلُ يقال إنه ليزيد بن عبد الملك. وذكر ابن المكي أنه لحَبَابَةٌ.

وحُكي عن الهيثم بن عدي أن يزيد بن عبد الملك لما رأى حَبَابَةً تعلقها ولم يقدر على أبتباعها خوفاً من أخيه سليمان أو من عمر بن عبدالعزيز، وقال فيها هذين البيتين وهو راحل عن الحجاز، وغنَّاهُ فيهما مَعْبُدٌ، فوصله بعد ذلك بما كان يُغنيهِ، وأخذته حَبَابَةٌ وَغَيْرُهَا عنه. وذكر الهشامي أنه مما لا يُشَكُّ فيه من غناء معبد. وقد مضت أخبار يزيد بن عبد الملك وحَبَابَةٌ في صدر هذا الكتاب فاستغني عن إعادتها هنا.

غناء الوليد بن يزيد:

وممن غنَّى منهم الوليد بن يزيد:

وله أصوات صنَّعها مشهورةٌ، وقد كان يَضْرِبُ بالعود ويوقع بالطلل ويمشي بالدُّفِّ على مذهب أهل الحجاز.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن الفطراتي

$\frac{172}{8}$ عن محمد بن جبر قال حدثني مَنْ سَمِعَ خَالِدَ / صَامَةً يَقُولُ:

[٢٧٥/٩] / كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أغنيهِ:

أَرَانِي اللهُ يَا سَلَمَى حَيَاتِي

وهو يشرب حتى سكر. ثم قال لي: هات العود، فدفعته إليه، فغناه أحسن غناء؛ ففكست عليه إحسانه، ودعوت بطبل فجعلت أوقع عليه وهو يضرب حتى دفع العود وأخذ الطبل فجعل يوقع به أحسن إيقاع، ثم دعا بدف فأخذه ومشى به وجعل يغني أهزاج طويس حتى قلت قد عاش، ثم جلس وقد أنبهر. فقلت: يا سيدي، كنت أرى أنك تأخذ عتاً ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ منك! فقال: أسكت ويحك! فوالله أن سمع هذا منك أحد ما دمت حياً لأقتلك. فوالله ما حكيت عنه حتى قُتل.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرنا أبو أيوب المديني قال ذكر أبو الحسن المدائني أن يحيى مولى العَبَلات المعروف بفيل وهو الذي غنى:

أَزْرَى بنا أننا شالت نعامتنا

كان مقيماً بمكة. فلما قدمها الوليد بن يزيد سأل عن أحسن الناس غناءً وحكايةً لابن سريج؛ ففيل له: فيل. فدعاه وقال له: امش لي بالدف، ففعل. ثم قال له الوليد: هاته حتى أمشي به، فإن أخطأت فقومني. فمشى به أحسن من مشية فيل. فقال له يحيى: جعلت فداءك! إيذن لي حتى أختلف إليك لأتعلّم منك. فمن مشهور صنعتته في شعره:

وَصَفْرَاءُ فِي الْكَاسِ كَالزَّعْفَرَانِ سِهَاهَا التَّجِييُّ مِنْ عَسَقَلَانِ
تُرِيكَ الْقَسَاةَ وَعَرَضُ الْإِنَاءِ سِتْرٌ لَهَا دُونَ لُمُسِ الْبَنَانِ

لحنه فيه خفيف رمل. وفيه لأبي كامل ثاني ثقل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. ولعمَرَ الوادي فيه ثقل أول بالوسطى عن يونس والهشامي. وقد مضت أخباره مشروحة في المائة الصوت المختارة.

[٢٧٦/٩]

/ غناء الوائق:

وممن دُوِّنت صنعتُهُ من خلفاء بني العباس الوائق بالله.

ولم نعلمه حكى ذلك عن أحد منهم قبله إلا ما قدّمنا سوء العهدة فيه عن ابن خردادبة؛ فإنه حكى أن للسَّاق والمنصور وسائرهم غناء وأتى فيها بأشياء غثّة لا يحسن لمحصّل ذكرها.

غنى الوائق في شعر لأبي العتاهية بحضرة إسحاق ووصله:

وأخبرني يحيى بن محمد الصُّولي قال حدّثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثنا حَمَاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخلت يوماً دارَ الوائق بغير إذن إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالساً. فسمعت صوت عود من بيت وترئماً لم أسمع أحسن منه قط، فأطلعت خادماً رأسه ثم ردّه وصاح بي فدخلت فإذا الوائق. فقال: أي شيء سمعت؟ فقلت: الطلاق لازم لي وكلّ مملوك لي جرّ لقد سمعت ما لم أسمع مثله قط حسناً! فضحك فقال: وما هو! إنما هذه فضلة أدب وعلم مدحه الأوائل وأشتهاه أصحاب رسوا الله ﷺ وسلم ورحمهم والتابعون بعدهم وكثُر في حرَم الله ومهاجر رسول الله. أتحب أن تسمعه مني؟ قلت: إي والذي شرفني بخطابك وجميل رأيك. فقال: يا غلام، هات العود وأعطِ إسحاق رطلاً. فدفع الرطل إليّ وضرب وغنى في شعر لأبي العتاهية بلحن صنعته فيه:

أَضَحَّتْ قُبُورُهُمْ مِنْ بَعْدِ عِزِّهِمْ تَسْفِي عَلَيْهَا الصَّبَا وَالْحَرْجَفُ الشَّمْلُ

/ لَا يَذْقَعُونَ هَوَاماً عَنْ وَجُوهِهُمْ / كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ بِالْقَاعِ مُنْجَدِلٌ

فَشَرِبْتُ الرُّطْلَ ثُمَّ قَمْتُ فِدَعَوْتُ لَهُ؛ فَأَجْلَسَنِي وَقَالَ: أَتَشْتَهِي أَنْ تَسْمَعَهُ ثَانِيَةً؟ فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ، فَعِنَّا نِيهِ وَدَعَا لِي بِرُّطْلٍ، فَفَعَلْتُ كَمَا فَعَلْتُ ثَانِيَةً ثُمَّ ثَالِثَةً. وَصَاحَ بِيَعُضَ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ: إِحْمِلْ إِلَى إِسْحَاقَ ثَلَاثَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْحَاقُ، / قَدْ سَمِعْتَ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ وَشَرِبْتَ ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ وَأَخَذْتَ ثَلَاثَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَأَنْصَرِفْ إِلَى أَهْلِكَ لِيُسْرُوا بِسُرُورِكَ؛ فَأَنْصَرَفْتُ بِالْأَرْطَالِ.

صنع مائة صوت ليس فيها صوت ساقط:

أخبرني محمد قال سمعت أحمد بن محمد بن الفُرات يقول سمعت عَرِيبَ تقول: صنع الواثق مائة صوت ما فيها صوت ساقط. ولقد صنع في هذا الشعر:

هَلْ تَعْلَمِينَ وَرَاءَ الْحَبِّ مَنْزِلَةً / تُذْنِي إِلَيْكَ فَإِنَّ الْحَبَّ أَقْصَانِي
هَذَا كِتَابٌ فَتَى طَالَتْ بِلَيْثِهِ / يَقُولُ يَا مُشْتَكِي بُئِي وَأَحْزَانِي

لَحْنًا مِنَ الرَّمْلِ تَشَبَّهُ فِيهِ بِصِنْعَةِ الْأَوَائِلِ.

نسبة لهذا الصوت

الشعر ليعقوب بن إسحاق الرِّبَيعِي المَخْزُومِي. والغناء للواثق رَمَلٌ بِالْوَسْطَى مِنْ رِوَايَةِ الْهَشَامِيِّ. أخبرني محمد بن العباس الزُّبَيْرِيُّ وَالْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ وَعَلِيٌّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالُوا حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ قَالَ قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ:

كُتِبَ أَبْنُ أَبِي مَسْرَةَ الْمَكِّيُّ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَيْتَيْنِ وَهُمَا:

هَذَا كِتَابٌ فَتَى طَالَتْ بِلَيْثِهِ / يَقُولُ يَا مُشْتَكِي بُئِي وَأَحْزَانِي
هَلْ تَعْلَمِينَ وَرَاءَ الْحَبِّ مَنْزِلَةً / تُذْنِي إِلَيْكَ فَإِنَّ الْحَبَّ أَقْصَانِي

قَالَ الزُّبَيْرُ: وَكُنْتُ غَائِبًا، فَلَمَّا قَدِمْتُ قَالَ لِي أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَلِكَ. فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْكُتُبُ إِلَيْكُمْ صَاحِبَكُمْ يِعَاتِبُكُمْ فَلَا تُجِيبُونَهُ!

شعر يعقوب بن إسحاق الرِّبَيعِي:

أُنْشَدَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الرِّبَيعِي الْمَخْزُومِي لِنَفْسِهِ:

قَالَ الْوُشَاةُ لَهْنِدٍ عَنْ تَصَارُمِنَا / وَلَسْتُ أَنْسَى هَوَى هِنْدٍ وَتَسَانِي
يَعْقُوبُ لَيْسَ بِمَتَبُولٍ وَلَا كَلِيفٍ / وَنَحَ الْوُشَاةُ فَإِنَّ الدَّاءَ أَضْغَانِي
/ مَا بِي سِوَى الْحَبِّ مِنْ هِنْدٍ وَإِنْ بَخِلْتُ / حُبِّي لَهْنِدٍ بَرَى جَسْمِي وَأَبْلَانِي
قَدْ قَلْتُ حِينَ بَدَا لِي بُخْلُ سَيْدَتِي / وَقَدْ تَتَابَعَ بِي بُئِي وَأَحْزَانِي
هَلْ تَعْلَمِينَ وَرَاءَ الْحَبِّ مَنْزِلَةً / تُذْنِي إِلَيْكَ فَإِنَّ الْحَبَّ أَقْصَانِي
قَالَتْ نَعَمْ قُلْتُ مَا ذَاكُمُ أَسِيدَتِي / وَطَاعَةُ الْحَبِّ تَنْفِي كُلَّ عِضْيَانِ

قالت فدَعْنَا بلا صُرْمٍ ولا صَلَاةٍ ولا صدودٍ ولا في حال هجران
حتى يَشْكُ وُشَاةٌ قد رَمَوْكُ بنا وأعلنوا بك فينا أي إعلان

ومن غناء الوائق بالله:

صوت

غناؤه في شعر لذي الرمة:

خليلي عوجاً من صدور الرّواجل بجزعاً حُزَوِي وأبكيا في المنازل
/ لعل أنحدارَ الدمع يُغْفِبَ راحةً من الوجدِ أو يَشْفِي نَجِيّ البلايل

١٦٤
٨

الشعر لذي الرمة. والغناء للوائق بالله رَمَلٌ مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي. ولإسحاق فيهما رَمَلٌ بالسبابة في مجرى البنصر. ولحنُ الوائق منهما الذي أوله البيت الثاني وهو اللحن المَحْثُوثُ المُسَجَّحُ وله رَدَّةٌ في «لعل». ولحنُ إسحاق أوله البيت الأول ثم الثاني وهو أشدهما إمساكاً وفيه صياح.

غنى إسحاق الموصلي بحضرته صوتاً أخذته عنه شاجي فأجازه:

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا محمد بن عبدالله بن مالك الخزازي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهري وقد كان تكلم له في حاجة فقصيت. فقال له: أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحِطْ به أُمْنِيَّةٌ ولم تَبْلُغْه رَغْبَةٌ. قال: فاشتبهى هذا الكلام فاستعاده فأعدته. قال: ثم مكثنا ما شاء الله؛ وأرسل الوائق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإشخاصي إليه في الصوت الذي أمرني أن أتغنّي فيه وهو:

لقد بَخِلْتُ حتى لو أني سألتها

/ فأمر لي بمائة ألف درهم. فأقمت ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدّر على أن يأخذ هذا الصوت منّي. فلما طال [٢٧٩/٩] مُقامي قلت: يا أمير المؤمنين، ليس أحدٌ من هؤلاء المغنّين يقدّر على أن يأخذ هذا الغناء منّي. فقال لي: ولمَ وَيَحْكُ؟ قلت: لأنني لا أصحّحه ولا تسخو نفسي لهم به. فلما فعلت يا أمير المؤمنين في الجارية التي أخذتها منّي؟ (يعني شجاً، وهي التي كان أهداها إلى الوائق وعمل لها المصنّف الذي في أيدي الناس لإسحاق). قال: وكيف؟ فقلت: لأنها تأخذ منّي وأطيبُ به لها نفساً، وهم يأخذونه منها. قال: فأمر بها فأخرجت وأخذته على المكان. فأمر لي بمائة ألف درهم أخرى، وأذن لي في الانصراف. وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهري حاضراً عنده، فقلت له عند وداعي إياه: أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِطْ به أُمْنِيَّةٌ ولم تَبْلُغْه رَغْبَةٌ. فالتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي: وَيَحْكُ يا إسحاق! تعيد الدعاء! فقلت: إي والله أعيده قاصصاً أنا أو مغنّ. فأنصرف إلى بغداد وأقمت، حتى قدم إسحاق فجنّته مسلماً. فقال: وَيَلَلَك يا إسحاق! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده؟ قلت: لا، أيها الأمير. قال: قال لي: وَيَحْكُ! كُنا أغنى الناس عن أن نبعث إسحاق على لحننا فيفسده علينا. هذه رواية أبي أيوب.

تقدير إسحاق لغناء الواثق:

قال أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى وأخبرني أبي رحمه الله عن إسحاق أنه قال: لَمَّا صَنَعْتُ لِحْنِي فِي:

خَلِيلِي عُوجًا مِنْ صُدُورِ الرُّوَاهِلِ

غَنَيْتُهُ الْوَائِقَ فَاسْتَحْسَنَهُ وَعَجِبَ مِنْ صَحَّةِ قِسْمَتِهِ، وَمَكَثَ صَوْتُهُ أَيَّامًا ثُمَّ قَالَ لِي: يَا إِسْحَاقُ، قَدْ صَنَعْتُ لِحْنًا فِي صَوْتِكَ وَفِي إِيقَاعِهِ، وَأَمَرَ فَعُنَيْتُ بِهِ؟ فَقُلْتُ: / يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بَغَضْتَ إِلَيَّ لِحْنِي وَسَمَّجْتَهُ عِنْدِي. وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَأْذِنُهُ مَرَّاتٍ فِي الْإِنْحِدَارِ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ أَنْ أَلْقَيْتُ اللَّحْنَ الَّذِي كَانَ أَمْرُنِي بِصَنْعِهِ فِي:

لَقَدْ بَخِلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا

فَمَنْعَنِي وَدَافَعَنِي بِذَلِكَ. فَلَمَّا صَنَعَ لِحْنَهُ الرَّمْلَ فِي:

خَلِيلِي عُوجًا مِنْ صُدُورِ الرُّوَاهِلِ

قُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ وَاللَّهِ أَقْتَصَصْتَ وَزِدْتَ؟ فَأَذِنَ لِي بَعْدَ ذَلِكَ. قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قُلْتُ لِإِسْحَاقَ: ^{١٦٥}فَأَيُّهُمَا أَجُودُ الْآنَ لِحْنُكَ / فِيهِ أَوْ لِحْنُهُ؟ فَقَالَ: لِحْنِي أَجُودُ قِسْمَةً وَأَكْثَرُ عَمَلًا، وَلِحْنُهُ أَظْرَفُ، لِأَنَّهُ جَعَلَ رَدَّتَهُ مِنْ نَفْسِ قِسْمَتِهِ، فَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى أَدَائِهِ إِلَّا مَتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِهِ. قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: فَتَأَمَّلْتُ اللَّحْنَيْنِ بَعْدَ ذَلِكَ فَوَجَدْتُهُمَا كَمَا ذَكَرَ إِسْحَاقُ. قَالَ وَقَالَ لِي إِسْحَاقُ: مَا كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ الْوَائِقِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِالْغِنَاءِ.

فَأَمَّا نِسْبَةُ هَذَيْنِ الصَّوْتَيْنِ، فَإِنْ أَحَدُهُمَا قَدْ مَضَى وَمَضَتْ نَسْبَتُهُ. وَالْآخَرُ:

صَوْت

أَيَا مُنْشِرَ الْمَوْتِ أَقِذْنِي مِنَ الَّتِي بِهَا نَهَلْتُ نَفْسِي سَقَامًا وَعَلَّتِ
لَقَدْ بَخِلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا قَذَى الْعَيْنِ مِنْ ضَاحِي الثَّرَابِ لَضَلَّتْ

الشعر لأعرابي رواه إسحاق عنه ولم يذكر أسمه، والناس يغلطون فينسبونه إلى كثير ويظنون أنه من قصيدته التي أولها:

خَلِيلِي هَذَا رَنْمٌ عَسْرَةٌ فَأَغْفِلَا قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ أَبْكِيَا حَيْثُ خَلَّتِ

وهذا خطأ ممن قال ذلك. والغناء للواثق ثاني ثقل بالوسطى. ولإسحاق في البيت الثاني وبعده بيت الحق به ليس من الشعر ثقل أول بالسبابة في مجرى الوسطى. والبيت الذي ألحقه إسحاق به من شعره:

/ فَإِنْ بَخِلْتُ فَالْبَخْلُ مِنْهَا سَجِيَةٌ وَإِنْ بَذَلْتُ أَعْطْتُ قَلِيلًا وَأُكْذِبَتْ ^[٢٨١/٩]

كان يعرض غنائه على إسحاق فيدلي فيه برأيه:

أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني أبو جعفر بن الدهقانة النديم قال:

كان الواثق إذا أراد أن يعرض صناعته على إسحاق نسبها إلى غيره وقال: وقع إلينا صوت قديم من بعض العجائز ما سمعته أحدًا، ويأمر من يغنيه إياه. وكان إسحاق يأخذ نفسه في ذلك بقول الحق أشدَّ أخذًا، فإن كان جيدًا من صناعته قرظه ووصفه وأستحسنه، وإن كان مُطَرِّحًا أو فاسدًا أو متوسطًا ذكر ما فيه. فربما كان للواثق فيه هوى فيسأله عن تقويمه وإصلاح فساده، وربما أطرّحه بقول إسحاق فيه؛ إلى أن صنع لحنًا في قول الشاعر:

لقد بَخِلْتُ حتى لَوَّ أُنِّي سألْتُها قَدَى العين من ضاحِجِي التراب لَفُتَّتِ

كان عنده مخارق لإسحاق فجفاه وأصلحت بينهما فريدة:

فَأَعْجَبَ به وأستحسنه، وأمر المغنِّين فغَنُّوا فيه، وأمر بإشخاص إسحاق إليه من بغداد ليسمعه.

فكاده مخارق عنده وقال: يا أمير المؤمنين، إن إسحاق شيطانٌ خبيث داهية، وإن قولك له فيما تصنعه: هذا صوت وقع إلينا، لا يخفى عليه به أن الصوت لك ومن صَنَعْتِكَ ولا يُوقَعُ في فهمه أنه قديم، فيقول لك ويحضرتك ما يُقارب هواك، فإذا خرج عن حضرتك قال لنا ضدُّ ذلك. فأحفظ الوراق قولَه وغازله، وقال له: أريد على هذا القول منك دليلاً. قال: أنا أقيم عليه الدليل إذا حضر. فلما قَدِمَ به وجلس في أوَّل مجلس أندفع مُخَارِقُ يَغْنِي لحنَ الوراق: لقد بَخِلْتُ حتى لَوَّ أُنِّي سألْتُها

فزاد فيه زوائد أفسدت قِسْمَتَه فساداً شديداً وخفيت على الوراق لكثرة زوائد مُخَارِقِ في غِنائه. فسأله الوراق عنه؛ فقال: هذا غناء / فاسدٌ غيرُ مرضِيٍّ عندي. فغَضِبَ الوراق وأمر بإسحاق فُسِحِبَ حتى أُخْرِجَ من المجلس. فلما كان ١٦٦ من الغد/ قالت فريدة للوراق: يا أمير المؤمنين، إن إسحاق رجل يأخذ نفسه بقول الحق في صناعته على كل حال [٢٨٢/٩] ساءته أو سرَّته، لا يخاف في ذلك ضرراً ولا يرجو نفعاً؛ وما لك منه عوض. وقد كاده مخارقٌ عندك فزاد في صدر الصوت من زوائده التي تَعْرِفُ، وتركه في المِصرَاعِ الثاني على حاله، ونَقَصَ من البيت الثاني، وقد تبيَّنت ذلك. وأنا أعرضه على إسحاق وأغنيَّه إِيَّاه على صِحتِهِ، وأَسْمَعُ ما يقول. وما زالت تَلُطِّفُ للوراق حتى رضي عنه وأمر بإحضاره. فغَنَّتْه إِيَّاه فريدةً كما صنعه الوراق. فلَمَّا سَمِعَهُ قال: هذا صوتٌ صحيحُ الصَّنْعَةِ والقِسْمَةِ والتجزئة، وما هكذا سمعته في المرة الأولى. ثم أخبر الوراق عن مواضع فساده حيثُذِّ، وأبان ذلك له بما فهمه. وغَنَّتْه فريدة عدَّة أصوات من القديم والحديث كلُّها يقول فيها بما عنده من مدحٍ لبعضها وطعنٍ على بعض. فاستحسن الوراق ذلك وأجازهُ يومئذٍ وحبَّاه، وجفا مُخَارِقاً مَدَّةً لَمَّا فعله به. أخبرني جَحْظَةُ قال حدَّثني أبْنُ المَكِّي عن أبيه قال:

كان الوراق إذا صنع شيئاً من الغناء أخبر إسحاق به وعرضه عليه حتى يُصلح ما فيه ثم يُظهره.

وقد أخبرني الحسن بن عليّ عن يزيد بن محمد المهلبِيّ بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكرته ها هنا وفي ألفاظه اختلاف. وقد تقدّم ذكره^(١) وابتدأناه في أخبار إسحاق. والأبيات الثانية التي غَنَّى فيها الوراق وإسحاق أنشدَنيها عليّ بن سليمان الأخفش وعليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى جميعاً عن هارون بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق لأعرابيٍّ، وأنشدَناها محمد بن العباس اليزيدي قال أنشدني أحمد بن يحيى ثَغَلَبَ لبعض الأعراب:

[٢٨٣/٩]

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الحَمَامَةَ غُدُوَّةً	على الغصن ماذا هَيَّجَتْ حين غَنَّتِ
فغَنَّتْ بصوتٍ أعجميٍّ فهَيَّجَتْ	هَوَايَ الذي كانت ضُلُوعِي أَكَّتِ
فلو قَطَرَتْ عَيْنُ أَمْرِي من صَبَابَةٍ	دَمَاءٌ قَطَرَتْ عَيْنِي دَمَاءً وَأَلَمَّتِ
فما سَكَتَتْ حتى أَوَيْتُ لصوتِها	وقلْتُ أرى هَلْذِي الحَمَامَةَ جُنَّتِ

ولبي زَفَرَاتُ لو يَدُنْ مَنْ قَتَلَنِي
إذا قلتُ هُذِي زَفَرَةُ اليَوْمِ قد مضتُ
أيا مُنْشَرَ الموتَى أعْثِي على التي
لقد بَخِلْتُ حتى لَو أَنِّي سَأَلْتُهَا
فقلتُ أَرْحَلَا يا صَاحِبِي فليَتَنِي
حَلَفْتُ لَهَا بالله ما أُمُّ واحدٍ
وما وَجَدُ أَعْرَابِيَّةٍ قَذَفْتُ بها
إذا ذَكَرْتُ مَاءَ الْعِضَاءِ وَطِيَّه
بِأَعْظَمِ من وَجَدِي بها غيرَ أَنِّي

غناه إسحاق فوصله وشعره فيه :

أخبرني جَحْظَةُ وَأَبْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ وَيَحْيَى بن عَلِيٍّ والحسين بن يحيى قالوا جميعاً أخبرنا / حَمَادُ بن إِسْحَاقَ ^{١٦٧}/_٨ عن أبيه، وقد جمعتُ روايتَهُم في هذا الخبر وزدتُ فيه ما نقصه كل واحد منهم حتى كملت ألفاظه، قال :

ما وصلني أحد من الخلفاء بمثل ما وصلني به الواثقُ، وما كان أحدُ منهم يكرمُني إكرامه . ولقد غَنَيْتُهُ لِحْنِي :
لَعَلَّكَ إِنْ طَالَتْ حَيَاتُكَ أَنْ تَرَى بِلَاداً بِهَا مَبْدَى لِلْيَلَى وَمَحْضَرُ

[٢٨٤/٩] / فَأَسْتَعَادَهُ مِنِّي لَيْلَةً ^(٢) لَا يَشْرَبُ عَلَى غَيْرِهِ، ثُمَّ وَصَلَنِي بِثَلَاثَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَلَقَدْ قَدِمْتُ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ قَدَمَاتِي، فَقَالَ لِي : وَيَحْكُ يَا إِسْحَاقُ ! أَمَا أَشْتَقْتُ إِلَيَّ ! فَقُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي ! وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ آيَاتاً إِنْ أَمَرْتَنِي أَنْشُدْتُهَا . قَالَ : هَاتِ ؛ فَأَنْشُدْتُهُ :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ بُعْدِي عَنْ خَلِيفَتِهِ
لَا أَسْتَطِيعُ رَحِيلاً إِنْ هَمَمْتُ بِهِ
أَنُوي الرِّحِيلَ إِلَيْهِ ثُمَّ يَمْنَعُنِي

ثم أَسْتَأذِنُهُ فِي إِنْشَادِ قَصِيدَةٍ مَدَحَتْهُ بِهَا فَأَذِنَ لِي ؛ فَأَنْشُدْتُهُ قَصِيدَتِي الَّتِي أَقُولُ فِيهَا :

لَمَّا أَمَرْتُ بِإِشْخَاصِي إِلَيْكَ هَوَى
ثُمَّ أَعْتَزَمْتُ فَلَمْ أَخْفَلْ بَيْنَهُمُ
كَمْ نِعْمَةٍ لَأَيِّكَ الْخَيْرُ أَفْرَدَنِي
فَلَوْ شَكَرْتُ أَيَادِيكُمْ وَأَنْعَمْتُكُمْ
لَأَشْكُرَنَّكَ مَا غَارَ النُّجُومُ وَمَا
قَلْبِي حَنِيناً إِلَى أَهْلِي وَأَوْلَادِي
وَطَابَتْ النَّفْسُ عَنْ فَضْلٍ وَحَمَادٍ
بِهَا وَخَصَّ بِأَخْرَى بَعْدَ إِفْرَادِي
لَمَّا أَحَاطَ بِهَا وَصْفِي وَتَعْدَادِي
حَدّاً عَلَى الصُّبْحِ فِي إِثْرِ الدُّجَى حَادٍ

(١) ويروى : «صاحي التراب» (راجع ص ٢٨٠ ص ١٥) .

(٢) في حد : «جمعة» .

قال علي بن يحيى خاصةً في خبره: فقال لي أحمد بن إبراهيم: يا أبا الحسن، أخبرني لو قال الخليفة لإسحاق: أخضر لي فضلاً وحماداً أليس كان يفتضح إسحاق! (يعني من دَمَامَة خَلَقْتَهُمَا وتَخَلَّفَ شاهِدُهُمَا).

خرج معه إسحاق إلى النجف، وشعره فيها وفي حنيه إلى ولده:

قال إسحاق: ثم أنحدرت مع الواثق إلى النجف، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد قلت في النجف قصيدة.

فقال: هاتِها؛ فأنشدته قولي:

يا راكبَ العيس لا تَعْجَلْ بنا وقِفْ / نَحْسِي داراً لَسُغْدَى ثم ننصرف
/ لم يَنْزِلِ الناسُ في سهلٍ ولا جبلٍ / أَصْفَى هواءَ ولا أَغْدَى من النَجَفِ
حُقَّتْ بئرٌ وبحرٌ في جوانبها / فالبَرُّ في طَرَفٍ والبحرُ في طَرَفٍ
ما إن يسْزَال نِيسَمٌ من يمانية / يَأْتِيكَ منها بَرِيّاً رَوْضَةٌ أَنْفِ

حتى أنهيت إلى مديحه فقلت وقد أنهيتُ إلى قولي فيه:

لا يَخْسِبُ الجودَ يُقْنِي ماله أبداً / ولا يرى بَذَلٌ ما يَخْوي من السَّرَفِ

فقال لي: أحسنت يا أبا محمداً فكأنني، وأمر لي بألف درهم. وأنحدرنا إلى الصالحية التي يقول فيها أبو نُوَاس:

فالصالحية من أكناف كلواذا^(١)

وذكرتُ الصبيان وبغداد فقلت:

أَتَبَكِّي على بغدادَ وهي قَرْيَةٌ / فكيف إذا ما أزددتَ منها غداً بُعْداً
لَعَمْرُكَ ما فارقْتُ بغدادَ عن قَلَى / لَوْ أَنَا وجدنا من فِراقٍ لها بُداً
/ إذا ذُكِرَتْ بغدادَ نفسي تَقَطَّعَتْ / من الشوقِ أو كادت تموت بها وجداً
كفى حَزْناً أن رُحْتَ لم تستطع لها / وداعاً ولم تُحْدِثْ لساكنها عهداً

فقال لي: يا موصلي، لقد أشتقتُ إلى بغداد! فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكني أشتقتُ إلى الصبيان، وقد حضرني بيتان. فقال هاتِهما. فقلت:

حَسَنَتْ إلى الأصْبِيَّةِ الصُّغَارِ / وشاقَكَ منهم قُرْبُ المَزَارِ
وكلُّ مُفَارِقٍ يزداد شوقاً / إذا دنت الدِّيارُ من الدِّيارِ

فقال لي: يا إسحاق، سِرْ إلى بغداد فأقم شهراً مع صبيانك ثم عُدْ إلينا، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم.

/ امتياز إسحاق على المغنين في مجلسه:

أخبرني جَحْظَةُ عن أبنِ حَمْدُون: أن إسحاق كان يحضرُ مجالس الخلفاء إذا جلسوا للشُّرب في جملة المغنِّين وعودُه معه إلى أيام الواثق، فإنه كان إذا قَدِم عليه يحضرُ مع الجلساء بغير عود، ويُدْنيه الواثق ولا يُعْنِي حتى يقول له: غَنِّ، فإذا قال له غَنِّ جاءوه بعودٍ فغَنَّى به، وإذا فرغ رُفِعَ العود من بين يديه إكراماً من الواثق له.

برز إسحاق عليه في لحن اشتركا فيه :

أخبرني الحسين بن يحيى عن وسوسة بن الموصلي عن حماد بن إسحاق قال :
كتب حمدون بن إسماعيل إلى أبي : إن أمير المؤمنين الوائق يأمر أن تصنع لحناً في هذا الشعر :
لقد بخلت حتى لو آتني سألها

وقد كان الوائق غنى فيه غناءً أعجبه ؛ فغنى فيه أبي . فلما سمعه الوائق قال : أفسد علينا إسحاق ما كنا أعجبنا به من غنائنا . قال حماد : ثم لم أعلم أن أبي صنع بعده غناءً حتى مات .

ومن مشهور أغاني الوائق :

صوت

سقى العَلَمَ الفردَ الذي في ظلاله غزالان مكحولان مؤتلفان
أرغتهما ختلاً فلم استطعهما ورغياً ففاتاني وقد رمياني^(١)
ولحنه فيه من الثقيل الأول . ولإسحاق فيه رمل .

قصة لأعرابي عاشق مع إسحاق بن سليمان بن علي :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن منصور بن عليّة القرشي قال أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر الهاشمي عن إسحاق بن سليمان بن علي قال :

[٢٨٧/٩] / لقيت أعرابياً بالسُّمَيَّةَ^(٢) فصيحاً ، فأستخففته ونأملتُه فإذا هو مُصَفَّرٌ شاحب ناحل الجسم ، فأستنشدته فأنشدني الشيءَ بعد الشيء على أستكراهٍ مني له . فقلت له : ما بالُك؟ فوالله إنك لفصيح ! فقال : أما ترى الجبلين؟ قلت بلى . قال : في ظلالهما والله يمتعني من إنشادك ويشغلني ويذهلني عن الناس . قلت : وما ذاك؟ قال : بنتٌ عمٌ لي قد تيمّنتي وذهبت بعقلي ، والله إنه لتأتي عليّ ساعاتٌ ما أدري أفي السماء أنا أم في الأرض ، ولا أزال ثابت العقل ما لم يُخامرَ ذكراً قلبي ، فإذا خامره بطلت حواسي وعزب عني لبي . قلت : فما يمنعك منها؟ أقلّة ما في يدك؟ قال : والله ما يمنعني منها غير ذلك . قلت : وكم مهرها؟ قال : مائة ناقة . قلت : فأنا أدفعها إليك إذا لتدفعها إليهم . قال : والله لئن فعلت ذلك إنك لأعظم الناس عليّ منّة . فوعدته بذلك وأستنشدته ما قال فيها ، فأنشدني أشياء كثيرة منها قوله :

سقى العَلَمَ الفردَ الذي في ظلاله غزالان مكحولان مؤتلفان

البيتان . فقلت له : يا أعرابي ، والله لقد قتلتني بقولك «فاتاني وقد قتلتني» وأنا بريء من العباس أن لم أقم بأمرك . ثم دعوتُ بمركوب فركبته وحملتُ معي الأعرابي ، فصرنا إلى أبي الجارية في جماعة من أهلي وموالي حتى زوجته إياها وضممت عنه الصداق واشترت له مائة ناقة فسقّتها عنه ؛ وأقمتُ عندهم ثلاثاً ونحرتُ لهم ثلاثين جزوراً ، ووهبت للأعرابي عشرة آلاف درهم وللجارية مثلها ، وقلت : أستعينا بهذا على اتصالكما وأنصرفت . فكان الأعرابي يطرقتنا في كلّ سنة وأمراته معه فأهّب له وأصله وينصرف .

(١) ويروى : «وقد قتلتني» (انظر الصفحة الآتية) .

(٢) السمية : جبل ، كما في «معجم البلدان» لياقوت .

حقائق

(٢) أي أحسننا رأياً وفضلاً. وإنما سمي ذلك بقية، لأن الرجل يستقي مما يخرج من أجمده وأفضله.

حاجة مهمة فيها بعض الشيء. فإن أذنت لنا قلنا. قال: قولوا. فذكر يمين الرجل والشعر. فقال: أما قوله «إن التي ناولتني»^(١) هي الخمرة. وقوله: «قُتِلْتُ» يعني مُزِجْتُ بالماء. وقوله: «كلتاها حَلَبَ العصير» يعني به الخمر ومزاجها، فالخمر عصير العنب، والماء عصير السحاب؛ قال الله عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا﴾ انصرفوا إذا شتم.

غناؤه لحناً على مثال لحن لمخارق:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد المهلب عن أبيه قال:

غنى مُخَارِقُ يوماً بحضرة الوراق:

حتى إذا الليلُ خَبَا ضوؤه / وغابتِ الجوزاءُ والمِرْزَمُ^(٢)

/ خرجتُ والوطءُ خَفِيَّ كما / ينسابُ من مَكَمْنِهِ الأرقمُ [٢٩٠/٩]

فاستملح الوراق الشعر واللحن، فصنع في نحوه:

قالت إذا الليلُ دَجَا فَأَتَيْتَا / فَجِئْتُهُمَا حِينَ دَجَا اللَّيْلُ

خَفِيَّ وَطءِ الرَّجُلِ مِنْ حَارِسٍ / وَلَوْ دَرَى حَلَّ بِي السَّوِيلِ

ولحنه فيه من الرَّمَل. وصنع فيه الناس ألحاناً بعده: منها لعَرِيبَ خَفِيفٌ رَمَلٍ، ومنها ثَقِيلٌ أَوَّلٌ لا أعلم لمن هو؛ وسمعت ذُكَاءً ومحمد بن إبراهيم قُرَيْضاً يَغْنِيَانِهِ وَذَكَرَا أَنَّهُمَا أَخَذَاهُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ، وَلَا أَدْرِي لِمَنْ هُوَ.

تحدث إسحاق إليه بقصة أعرابي عاشق وغنى في شعره فوصله ووصل الأعرابي:

حدثني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال:

سرتُ إلى سُرْمَنْ رَأَى بَعْدَ قَدُومِي مِنَ الْحَجِّ، فَدَخَلْتُ إِلَى الْوَاقِقِ فَقَالَ: بَأَيِّ شَيْءٍ أَطْرَفْتَنِي مِنْ أَحَادِيثِ

الْأَعْرَابِ وَأَشْعَارِهِمْ؟ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَلَسَ إِلَيَّ فَتَى مِنَ الْأَعْرَابِ فِي بَعْضِ الْمَنَازِلِ، فَحَادِثَنِي فَرَأَيْتُ مِنْهُ أَحْلَى مَا رَأَيْتُ مِنَ الْفَتَيَانِ مَنْظَرًا وَحْدِيًّا وَأَدْبًا. فَاسْتَنْشَدَنِي فَأَنْشَدَنِي:

سَقَى الْعَلَمَ الْفَرْدَ الَّذِي فِي ظِلَالِهِ / غَزَالَانِ مَكْحُولَانِ مُؤْتَلِفَانِ

إِذَا أَمِنَا التَّقَا بِجِيْدَيَّ تَوَاصَلِي / وَطَرَفَاهُمَا لِلرَّيْبِ مُسْتَرِقَانِ^(٣)

أَرَعْتُهُمَا خَشَلًا فَلَمْ أَسْتَطِعْهُمَا / وَرَمِيَا فَفَاتَانِي وَقَدْ قَتَلَانِي

ثم تنفّس تنفّساً ظننت أنه قد قطع حَيَازِيْمَهُ. فقلت: مالك بأبي أنت؟ فقال: إن لي وراء هذين الجبلين شَجَنًا، وقد جِئِلَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَرُورِ بِهِ وَنَذَرُوا دَمِي، وَأَنَا أَمْتَمُّعٌ بِالنَّظَرِ إِلَى الْجَبَلَيْنِ تَعَلُّلاً بِهِمَا إِذَا قَدِمَ الْحَاجُّ، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَ ذَلِكَ. فقلت له: زِدْنِي مِمَّا قَلَّتَ فِي ذَلِكَ. فَأَنْشَدَنِي:

/ إِذَا مَا وَرَدَتْ الْمَاءُ فِي بَعْضِ أَهْلِهِ / خَضُورُ فَعَرُضَ بَسِي كَأَنَّكَ مَازِحُ [٢٩١/٩]

(١) الرواية المتقدمة في البيت: «... عاطيتني».

(٢) الجوزاء: برج في السماء، سميت بذلك لأنها معترضة في جِوْزِ السماء أي وسطها. والمرزمان: نجمان مع الشعرين.

(٣) الاستراق: اختلاس النظر والسمع، ومثله التسرُّق والمساوغة.

فإن سألت عني حُصُورُ فقل لها به عُبرٌ^(١) من دائه وهو صالح

فأمرني الواثق فكتب له الشعرين. فلما كان بعد أيام دعاني فقال: قد صنع بعض عجائز دارنا الشعرين لحناً فاسمعه، فإن أرتضيته أظهرناه وإن رأيت فيه موضع إصلاح أصلحته. فغني لنا من وراء الستار، فكان في نهاية الجودة، وكذلك كان يفعل إذا صنع شيئاً. فقلت له: أحسن والله صانعُه يا أمير المؤمنين ما شاء. فقال: بحياتي؟ فقلت: وحياتك، / وحلفتُ له بما وثق به، وأمر لي برطلٍ فشربته، ثم أخذ العود فغناه ثلاث مرات، وسقاني ثلاثة ^{١٧١}/_٨ أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم. فلما كان بعد أيام دعاني فقال: قد صنع أيضاً عندنا في الشعر الآخر، وأمر فغني به؛ فكانت حالي فيه مثل الحال في الأول. فلما استحسسته وحلفت له على جودته ثلاث مرات، سقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم. ثم قال لي: هل قضيت حقَّ هديتك؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين؛ فأطال الله بقاءك، وتم نعمتك، ولا أفقدنيها منك وبك. ثم قال: لكنك لم تقضِ حقَّ جليستك الأعرابي ولا سألتني معونته على أمره، وقد سبقتُ مسألتك وكتبت بخبره إلى صاحب الحجاز وأمرته بإحضاره، وخطبت المرأة له وحملت صداقها إلى قومها عنه من مالي. فقبلت يديه وقلت: السبق إلى المكارم لك، وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس.

[٢٩٢/٩]

/ نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني:

منها الصوتان اللذان في الأخبار المتقدمة.



حتى إذا الليلُ خبا ضوؤه وغابتِ الجوزاءُ والمِرْزَمُ
أقبلتُ والوطءُ خفي كما ينساب من مكمنه الأرقمُ
ذكر يحيى المكي أن اللحن لابن سُرَيج رملٌ بالسبابة في مجرى النصر، وذكر الهشامي أنه منحولٌ.

طرب شيخ لسماح مغنية فرمى بنفسه في الفرات:

فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار وإسماعيل بن يونس وغيرهما قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن ابن كُناسة قال:

إصطحب شيخٌ مع شباب في سفينة في الفرات ومعهم مغنية. فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ: معنا جارية لبعضنا وهي مغنية، فأحببنا أن نسمع غناها فهبتك، فإن أذنت لنا فعلنا. قال: أنا أصعد إلى طلل^(٢) السفينة، فأصنعوا أنتم ما شئتم. فصعد، وأخذت الجارية عودها فغنت:

حتى إذا الصبحُ بدا ضوؤه وغابتِ الجوزاءُ والمِرْزَمُ
أقبلتُ والوطءُ خفي كما ينساب من مكمنه الأرقمُ

(١) عبر الشيء: بقيته.

(٢) في الأصول: «ظلال السفينة» بالطاء المعجمة. والتصويب عن كتب اللغة. وطلل السفينة: جلالها، وهو غطاء تغشى به كالسقف للبيت.

فطرب الشيخ وصاح ثم رمى بنفسه بشيابه في الفرات، وجعل يغوص في الفرات ويطفو ويقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فالقوا أنفسهم خلفه، فبعد لأي ما أخرجوه، وقالوا له: يا شيخ، ما حملك على ما صنعت؟ فقال: إليكم عني! فإني والله أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون. وقال إسماعيل في خبره/ فقلت له: ما أصابك؟ فقال: دب شيء من قدمي إلى رأسي كدبيب النمل ونزل في رأسي مثله، فلما وردا على قلبي لم أعقل ما عملت.

وأما ما في الخبر من الصنعة في: «قالت إذا الليل دجا» فإن لحن الواصل هو المشهور، وما وجدت في كتب «الأغاني» غيره، بل سمعت محمد بن إبراهيم المعروف بقرئض وذكاء وجه الرزة يغنيان فيه لحناً من الثقيل الأول المذموم؛ فسألتهما عن صانعه فلم يعرفاه، وذكرنا جميعاً أنهما أخذهما / عن أحمد بن أبي العلاء. علمه بالغناء وعدد أصواته وذكر المشهور منها:

وأخبرني الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحاق عن حماد بن إسحاق قال:

كان الواصل أعلم الخلفاء بالغناء، وبلغت صنعة مائة صوت، وكان أحذق من غنى بضرب العود. قال: ثم ذكرها فعدها منها:

يفرح الناس بالسماع وأبكي أنا حُزناً إذا سمعتُ السماعا
ولها في الفؤاد صدغٌ مُقيمٌ مثل صدغ الزجاج أغيا الصناعات
الشعر للعباس بن الأحنف. والغناء للواصل خفيفٌ ثقيلٌ. وفيه لأبي ذلفٌ خفيفٌ رملٌ.
ومنها:

ألا أيها النفس التي كادها الهوى أفأنت إذا رميت الشلو غريمي
أفيقي فقد أفيت صبري أو اصبري لما قد لقيتيه عليّ ودومي
الشعر والغناء للواصل خفيفٌ رملٌ.
ومنها:

سقى العَلَمَ الفرد الذي في ظلاله غزالان مكحولان مؤتلفان
أرغتهما ختلاً فلم أستطعهما ورمياً ففاتاني وقد قتلتاني
[٢٩٤/٩] / الغناء للواصل ثقيلٌ أول. وفيه لإسحاق رملٌ وهو من غريب صنعة، يقال إنه صنعه بالرقة.
ومنها:

كل يوم قطيعةٌ وعتابٌ ينقضي دهرنا ونحن غضابٌ
ليت شعري أنا خُصِصْتُ بهذا دون ذا الخلق أم كذا الأحبابُ
فأصبر النفس لا تكونن جزوعاً إنما الحب حشرةٌ وعذاب
فيه للواصل رملٌ، ولزوزور ثقيلٌ أول، ولعريب مزج.
ومنها:

ولم أر ليلي بعد موقف ساعة بخيف مني ترمي جمار المحصب

وَيُبْدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ مِنْ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ
فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَنَاطِرٍ مَعَ الصَّبْحِ فِي أَغْقَابِ نَجْمٍ مَغْرُبٍ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرَتْ يَا أُمَّ مَالِكٍ صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ

الصنعة في هذا الشعر ثقیلٌ أولٌ وهو لحن الواثق فيما أرى. ونسبه حبش، وهو قليل التحصيل، إلى ابن مخرز في موضع، وإلى سُلَيْمٍ في موضع آخر، وإلى مَعْبُدٍ في موضع ثالث.

ومنها:

أَمْسَتْ وَشَأْنُكَ قَدْ دَبَّتْ عَقَارِبُهَا^(١) وَقَدْ رَمَوْكَ بَعَيْنَ الْغِشِّ وَأَبْتَدَرُوا
تُرِيكَ أَعْيُنُهُمْ مَا فِي صُدُورِهِمْ إِنَّ الصَّدُورَ يُوْدِي غِيَهَا النَّظَرَ
الشعر للمجنون. والغناء للواثق ثاني ثقیل. وفيه لمتيم ثقیلٌ أولٌ. وقد نُسِبَ لحنُ كل واحد منهما إلى الآخر.

/ ومنها:

عَجِبْتُ لَسْفِي الدَّهْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا أَنْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
فِيَا هَجَرَ لَيْلَى قَدْ بَلَغَتْ بِيَ الْمَدَى وَزِدْتَ عَلَيَّ مَا لَمْ يَكُنْ بَلَّغَ الْهَجَرَ
الغناء للواثق رَمَلٌ. وفيه لمعبد ثاني ثقیل بالوسطى، ولابن سُرَيْجٍ ثقیلٌ أولٌ بالينصر، / ولعريب ثقیلٌ أولٌ آخر.

ومنها:

كَأَنَّ شَخْصِي وَشَخْصَهُ حَكِيماً نَظَمَ شَامَ شَرِيتَيْنِ فِي غُصْنٍ
فَلَيْتَ لَيْلَى وَلَيْسَهُ أَبْسَدُ دَامَ وَدُنْنَا بِهِ فَلَمْ نَبْنِ
الشعر أظنه لعلي بن هشام أو لمراد^(٢). ولحن الواثق فيه ثقیلٌ أولٌ. وفيه لعريب ثقیلٌ أولٌ آخر. وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ولمتيم لحنان لم يقع إليّ جنسهما.

ومنها:

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةً عَلَيَّ وَلَكِنْ مَلَأَ عَيْنَ حَبِيئِهَا
وَمَا فَارَقْتُكَ النَّفْسُ يَا لَيْلَى أَنَهَا قَلَّتْكَ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيئِهَا
لحن الواثق فيه ثقیلٌ أولٌ مطلق في مجرى الوسطى. وفيه لغيره لحن.

ومنها^(٣):

فِي فَمِي مَاءٌ وَهَلْ يَدُ طَلِقَ مَنْ فِي فِيهِ مَاءٌ
أَنَا مَمْلُوكٌ لِمَمْلُوكِ كَيْ عَلَيْهِ الرُّقْبَاءُ

(١) لو كان: «عقاربهم» لا تحدث الضمائر.

(٢) مراد: شاعرة علي بن هشام وهي التي رثته لما قتله المأمون. (راجع ص ٣٠٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة).

(٣) في الأصول: «ومنه».

كنت حُرّاً هاشمياً / فاسترقّني الإمام
وسباني من له كا / ن على الكُرّه السُّبَاء
/ أحمّد الله على ما / ساقه نخوي القضاء
ما بعيني دموع / أنفد الدمع البكاء

[٢٩٦/٩]

الغناء للوائق رَمَلٌ.

ومنها^(١):

أبي عَزُون على الهموم ثلاث / مُثَرَعَاتٌ^(٢) من بعدهن ثلاث
بعدها أربع تَتَمَّةٌ عَشْرٍ / لا بَطَاءَ لكنهنَّ حَثَاتٌ

فيه رَمَلٌ يُنسب إلى اللوائق وإلى مَنِيَمَ.

ومنها^(٣):

أيا عَبرة العينين قد ظمىء الحد / فما لكما من أن تُلَمَّا به بُدُ
ويا مُقلّة قد صار يُغضها الكرى / كأن لم يكن من قبل بينهما وُدُ
لئن كان طولُ العهد أحدث سَلْوَةً / فموعدٌ بين العين والعبرة الوجود^(٤)
وما أنا إلا كالذين تُخَرُّمُوا / على أن قلبي من قلوبهم فَرَدُ

الشعر والغناء للوائق رَمَلٌ. وفيه لأبي حشيشة هَزَجٌ، ذكر ذلك الهشاميّ الملقّب بالمِسْك، وأخبرني جَحْظَةُ أنه
للمسدود. وأخبرني جَحْظَةُ أن من صنعة أبي حشيشة في شعر اللوائق خفيف رَمَلٍ وهو:

سألته حُورِجَةً فأعرضا / وعَلِقَ القلبُ به ومَرَضَا
فأَسْتَلَّ مني سيفَ عزمٍ مُتَنَفَّسِي / فكان ما كان وكابَرْنَا الْقَضَا

قال: وفي هذا الشعر أيضاً بعينه للوائق رَمَلٌ، وَلَقَلَّم الصَّالِحِيَّةُ فيه هَزَجٌ. وقد غَلِطَ جَحْظَةُ في هذا الشعر،
وهو لسعيد بن حُمَيْد مشهور، وله فيه خبر قد ذكرناه في موضعه^(٥).

[٢٩٧/٩] / غاضبه خادم له فقال فيه شعراً غنى فيه:

أخبرني عمي عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه^(٥) ابن حَمْدُون عن أبيه حمدون بن إسماعيل قال:

كان اللوائق يحبّ خادماً له كان أهدي إليّه من مصر، فغاضبه يوماً وهجره، فسمع الخادم يحدث / صباحاً له

١٧٤
٨

(١) في الأصول: «ومنه».

(٢) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «متبعات».

(٣) الوجد: اللقاء.

(٤) راجع الجزء السابع عشر من «الأغاني» ص ٢ - ٩ طبع بولاق.

(٥) كذا في الأصول. والمعروف أن ابن حمدون خال علي بن محمد بن نصر لا جدّه. (راجع «الاستدراك الأول» في الجزء الخامس ص ٥٣٧ من هذه الطبعة).

بحديث أغضبه عليه، إلى أن قال له: والله إنه ليجهّد منذ أمس على أن أصالحه فما أفعل. فقال الوائق في ذلك:

يا ذا الذي بعذابني ظلّ مفتخراً هل أنت إلاّ مليكٌ جار إذ قدراً
لولا الهوى لتجازينا على قدرٍ وإن أفتق مرةً منه فسوف ترى

قال: وغنى الوائق وعلّويه فيه لحنين، ذكر الهشامي أن لحن الوائق خفيفٌ ثقيل، وفي أغاني علّويه: لحنه في هذا الشعر خفيفٌ رمل.

غنى في شعر لعلي بن الجهم:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني بن أبي العيّناء عن أبيه عن إبراهيم بن الحسن بن سهل قال:

كنّا وقوفاً على رأس الوائق في أوّل مجالسه التي جلسها لمّا وليّ الخلافة، فقال: من يُشدنا شعراً قصيراً مليحاً؟ فحرّضت على أن أعمل شيئاً فلم يجتني، فأنشدته لعلي بن الجهم:

لو تنصّلت إلينا لو هبنا لك ذنبك
ليتني أملك قلبك مثلما تملك قلبك
أيها الوائق بالذّ له لقد ناصحت ربك
سيدي ما أبغض العبد شئ إذا فارقك قربك
أصبححت حُجَّجُك العليّ وأجزب الله جزبك

/ فاستحسنها وقال: لمن هذه؟ فقلت: لعبدك علي بن الجهم. فقال: خذ ألف دينار لك وله؛ وصنع فيها لحناً كنّا [٢٩٨/٩] نغني به بعد ذلك.

يوم له مع المغنين بسر من رأى:

أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عبّاد قال حدّثني أبي قال:

لمّا خرج المعتصم إلى عمورية استخلف الوائق بسرّ من رأى، فكانت أموره كلّها كأمور أبيه. فوجّه إلى الجلساء والمغنين أن يُكرّوا إليه يوماً حدّدهم، ووجّه إلى إسحاق، فحضر الجميع. فقال لهم الوائق: إني عزمْتُ على الصُّبوح، ولست أجلس على سرير حتى أخلط بكم ونكون كالشيء الواحد، فأجلسوا معي حلقة، وليكن كلّ جليس إلى جانبه مغنٍّ، فجلسوا كذلك. فقال الوائق: أنا أبداً؛ فأخذ عوداً فغنى وشربوا وغنى من بعده، حتى أنتهى إلى إسحاق فأعطى العود فلم يأخذه. فقال: دعوه. ثم غنّوا دوراً آخر. فلما بلغ الغناء إلى إسحاق لم يُغنّ، وفعل هذا ثلاث مرّات. فوثب الوائق فجلس على سريره وأمر الناس فأدخلوا، فما قال لأحد منهم: أجلس. ثم قال: عليّ بإسحاق! فلما رآه قال: يا خوزي يا كلب! أنزل لك وأغني وترتفع عني! أترى لو أنّي قتلتك كان المعتصم يقيّدني بك! انطحوه! فبطّح فضرب ثلاثين مِرْعَةً ضرباً خفيفاً، وحلف ألاّ يُغني سائر يومه سواه. فأعذر وتكلّمت الجماعة فيه، فأخذ العود وما زال يغني حتى أنقضى ذلك اليوم، وعاد الوائق إلى مجلسه.

شعره في خادم يهواه:

وجدت في بعض الكتب عن ابن المعتز قال: كان الوائق يهوى خادماً له فقال فيه:

سَأَمْنَعُ قَلْبِي مِنْ مَوْدَّةٍ غَادِرٍ تَعْبُدُنِي خُبْنًا بِمَكْرِ مُكَاشِرٍ
خَطَبْتُ إِلَيْهِ الْوَصْلَ خُطْبَةً رَاغِبٍ فَلَا حَظَّنِي زَهْوًا بِطَرْفِ مُهَاجِرٍ

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز: وللوائق في هذا الشعر لحن من الثقيل الأول.

[٢٩٩/٩] / ألقى على غلمانه صوتاً فأخذه عنه:

١٧٥
٨

/ أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحِمَار قال حدثني عبدُ أمِّ غلام اللائق قال: دعا بنا اللائق مع صلاة الغداة وهو يَسْتَاك فقال: خذوا هذا الصوت، ونحن عشرون غلاماً كلُّنا يُغَنِّي ويضرب، ثم ألقى علينا:

أشكو إلى الله ما ألقى من الكَمَدِ حَسْبِي بَرُّي فلا أشكو إلى أحدٍ
فما زال يردده حتى أخذناه عنه.

نسبة هذا الصوت

أشكو إلى الله ما ألقى من الكَمَدِ حَسْبِي بَرُّي فلا أشكو إلى أحدٍ
أين الزمان الذي قد كنت ناعمةً مُهْلَةً بِدُنُويِّ منك يا سَنَدِي
وأسأل الله يوماً منك يُفْرِجُنِي فَقَدْ كَحَلَّتْ جُفُونُ الْعَيْنِ بِالسَّهَدِ
شوقاً إليك وما تَذِيرِينَ مَا لَقِيتُ نَفْسِي عَلَيْكَ وَمَا بِالْقَلْبِ مِنْ كَمَدِ

الغناء للوائق ثقيلٌ أولٌ بالبصر. وفيه لعريب أيضاً ثقيلٌ أولٌ بالوسطى.

كان إسحاق يصحح له غناه:

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةُ قال حدثني محمد بن أحمد المَكِّي قال حدثني أبي قال:

كان اللائق يَغْرِضُ صِنْعَتَهُ عَلَى إِسْحَاقَ، فَيُصْلِحُ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ مِمَّا يَخْفَى عَلَى الْوَائِقِ؛ فَإِذَا صَحَّحَهُ أَخْرَجَهُ إِلَيْنَا وَسَمِعْنَاهُ.

أمر مخارقاً وعلويه وعريب أن يعارضوا لحناً له:

حَدَّثَنَا جَحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي مُخَارِقُ قَالَ:

لَمَّا صَنَعَ الْوَائِقُ لَحْنَهُ فِي:

حَوْرَاءُ مَمْكُورَةٌ^(١) مُنْعَمَةٌ كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا نُزْفُ

[٣٠٠/٩] / وصنع لحنه في «سأذكر سِرِّياً طال ما كنت فيهم» أمرني وعلويه وعريب أن تعارض صِنْعَتَهُ فِيهِمَا؛ ففعلنا واجتهدنا

ثم غَنَيْنَاهُ. فضحك فقال: أَمِنَّا معكم أن نجد من يَغْضُ إلينا صِنْعَتَنَا كَمَا يَغْضُ إِسْحَاقُ إلينا «أَيَا مُنْشِرَ الْمَوْتَى». قال حَمَادُ: هذا آخر لحنٍ صَنَعَهُ أَبِي. يعني الذي عارض به لحنَ الْوَائِقِ فِي «أَيَا مُنْشِرَ الْمَوْتَى».

(١) الممكورة: المدمجة الخلق من النساء، وقيل: المستديرة الساقين. وقوله: «كأنما شف وجهها نزف» يريد أنها رقيقة المحاسن وكأن دمها ودم وجهها نزف. والمرأة أحسن ما تكون غب نفاسها لأنه يكون قد ذهب تهيج الدم فتصير رقيقة المحاسن.

غناه إسحاق صوتاً فتطير به :

أخبرني جَحْظَةُ قال حَدَّثني حَمَاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخلتُ يوماً إلى الواثق وهو مُصْطَبِحٌ، فقال لي: غَنِّي يا إسحاق بحياتك عليك صوتاً غريباً لم أَسْمعه منك حتى أَسْرَبه بقيَّةَ يومي. فكان الله أنساني الغناء كلَّه إلَّا هذا الصوت :

يا دارُ إن كان البلى قد مَحَاكَ فإِنَّه يُعْجِبُنِي أن أراك

أَبْكِي الذي قد كان لي مَأْلُفاً فيك فأتِي الدارَ من أجل ذاك

- والغناء في هذا اللَّحْن لِلأَبَجَرِ رَمَلٌ بالوسطى عن ابن المَكِّي وهو الصواب، وذكر عمرو بن بانة أنه لُسْلِيم - قال فَنِيثُ الكراهية في وجهه، وَنَدِمْتُ على ما فَرَطْتُ مِنِّي. وتجلَّد فشرِب رِطلاً كان في يده، وعدَلْتُ عن الصوت إلى غيره. فكان والله ذلك اليومَ آخرَ جلوسي معه.

ومِمَّنْ حَكِي عَنْهُ أَنَّهُ صَنَعَ فِي شَعْرِهِ وَشَعْرَ غَيْرِهِ الْمُنْتَصِرُ

غناه المنتصر :

فإنِّي ذَكَرْتُ ما رَوِي عَنْهُ أَنَّهُ غَنَّى فِيهِ عَلَى سِوَةِ الْعُهُدَةِ فِي ذَلِكَ وَضَعَفَ الصَّنْعَةَ، لثَلَا يَشُدُّ عَنِ الْكِتَابِ شَيْءٌ قَدْ رَوِي وَقَدْ تَدَاوَلَهُ النَّاسُ. فَمِمَّا ذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ غَنَّى فِيهِ :



١٧٦
٨

سُقِيْتُ كَأَسْأَ كَشَفْتُ عَنْ نَاطِرِي الْخُمْرَا

فَنَشِطَّنِي وَلَقِيْتُ كُنْتُ حَزِيناً خَائِراً

الشعر للمنتصر، وهو شعرٌ ضعيفٌ رَكِيكٌ إلَّا أَنَّهُ يُغْنِي فِيهِ.

/ كان متخلفاً في قول الشعر ومتقدماً في غيره وكان يغني قبل الخلافة :
وحَدَّثني الصُّورِيُّ عن أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال :

كان طبع المنتصر متخلفاً في قول الشعر وكان متقدماً في كل شيء غيره؛ فكان إذا قال شعراً صنع فيه وأمر المغنِّين بإظهاره، وكان حسنَ العلم بالغناء. فلما ولي الخلافة قطع ذلك وأمر بستر ما تقدَّم منه. من ذلك صَنَعَتُهُ فِي شَعْرِهِ وهو من الثَّقِيلِ الأوَّلِ المذموم :

سُقِيْتُ كَأَسْأَ كَشَفْتُ عَنْ نَاطِرِي الْخُمْرَا

قال : ومن شعره الذي غَنَّى فِيهِ وَلِحْنُهُ ثَانِي ثَقِيلٌ :

صوت

مَتَى تَرْفَعُ الْإِيَّامُ مَنْ وَضَعَتْهُ وَيَقَادُ لِي دَهْرٌ عَلَيَّ جَمُوحٌ

أُعْلِلُ نَفْسِي بِالرَّجَاءِ وَإِنْسِي لَاغْدُو عَلَيَّ مَا سَاءَنِي وَأَرْوَحُ

قال: وكان أبي يستجيد هذين البيتين ويستحسنهما. ونذكرها هنا شيئاً من أخبار المنتصر في هذا المعنى دون غيره أسوة ما فعلنا في نظرائه.

أراد الشرب علانية فجاء الناس لبروه فقال شعراً ففرقوا:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني أبي قال:

أراد المنتصر أن يشرب في الزقاق، فوافى الناس من كل وجه ليروا ويخذه؛ فوقف على شاطئ دجلة وأقبل على الناس فقال:

لَعَنَرِي لَقَدْ أَصْحَرْتُ خَيْلَنَا بِأَكْنَافٍ دَجَلَةَ لِلْمَلْعَبِ
والشعر «بأكناف دجلة للمصعب» ولكنه غيره لأنه تطير من ذكر المصعب -

فَمَنْ يَكُ مِنْ يَثْ آمناً وَمَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنَا يَهْرُبُ

قال: فعلم أنه يريد الخلوة بالثدما والمغنين، فأنصرفوا، فلم يبق معه إلا من يصلح للأنس والخدمة.

[٣٠٢/٩] جفا يزيد المهلبى لاختصاصه بالمتوكل ثم عفا عنه وأكرمه:

حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبى قال: كان أبي أخص الناس بالمنتصر، وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكل. فدخل المتوكل يوماً على المنتصر على غفلة، فسمع كلامه فاستحسنه، فأخذه إليه وجعله في جلسائه. وكان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان، فلم يقدر على ذلك لملازمته أباه؛ فعتب عليه لتأخره عنه على ثقة بمودة وأنس به. فلما أفضت إليه الخلافة استأذن عليه؛ فحجبه وأمر بأن يعتقل في الدار فحس أكثر يومه. ثم أذن له فدخل وسلم وقبل الأرض بين يديه ثم قبل يده، فأمره بالجلوس؛ ثم ألتفت إلى بَنان بن عمرو وقال له: غنّ، وكان العود في يده:

غَدَرْتُ وَلَمْ أَغْدِرْ وَخُنْتُ وَلَمْ أَخُنْ وَرُمْتُ بِدِيلًا بِي وَلَمْ أَتَبَدَّلْ

١٧٧ - قال: والشعر للمنتصر - فغناه بنان. وعلم أبي أنه أراد بذلك فقام فقال: والله ما اخترت / خدمة غيرك ولا صرت إليها إلا بعد إذنك. فقال: صدقت؛ إنما قلت هذا مازحاً؛ أتراني أتجاوز بك حكم الله عز وجل إذ يقول: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾. ثم أستاذنه في الإنشاد فأذن له فأنشده:

أَلَا يَا قَزُومَ قَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ
تَعَجَّبَ صَاحِبِي لَصِيَاعِ مِثْلِي
جَفَانِي سَيِّدٌ قَدْ كَانَ بَرّاً
حَلَلْتُ بِدَارِهِ وَعَلِمْتُ أَنِّي
بَدَارُ لَا يَخِيبُ بِهَا الرِّجَاءُ
فَلَمَّا شَابَ رَأْسِي فِي ذَرَاهِ
حُجِبْتُ بِعُقْبٍ مَا بَعْدَ اللَّقَاءِ^(١)
فَمَا نَأَتْ الْمَحَبَّةُ وَالْتِنَاءُ
فَإِنْ^(٢) تَنَأَى سُتُورُ الْإِذْنِ عَنَّا

(٢) في ح: «فتني».

(١) كذا في أ. وفي سائر الأصول: «ما بعد الرخاء» وهو تحريف.

[٣٠٣/٩]

/ وَإِنْ يَكُ كَادَنِي ظِلْمًا عَدُوًّا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ بِالْأَفْأَقِ مَنَا
وَقَدْ وَصَفَ الزَّمَانَ لَنَا زِيَادًا^(١)
أَلَا يَا رَبِّ مَغْمُومٍ سَيَحْظَى
أَمْتَصِرَ الْخَلَائِفَ جُذْتُ فِينَا
وَسِغَتْ النَّاسَ عَدَلًا فَاسْتَقَامُوا
وَلَيْسَ يَفُوتُنَا مَا عِشْتَ خَيْرٌ
فَعِنْدَ الْبَحْثِ يَنْكَشِفُ الْغِطَاءُ
جَمَاجِمَ حَشَوُ أَقْبَرُهَا الْوَفَاءُ
وَقَالَ مَقَالَةً فِيهَا شَفَاءُ
بِدَوْلَتِنَا وَمَسْرُورٍ يُسَاءُ
كَمَا جَادَتْ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ
بِأَحْكَامٍ عَلَيْهِنَّ الضِّيَاءُ
كَفَانَا أَنْ يَطُولَ لَكَ الْبَقَاءُ

قال: فقال له المنتصر: والله إنك لمن ذوي ثقتي وموضع اختياري، ولك عندي الزُّلْفَى، فطُبْ نفسك. قال ووصلني بثلاثة آلاف دينار.

شعر الحسين بن الضحّاك فيه:

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِيُّ قَالَ:

لَمَّا وَلِيَ الْمُنْتَصِرُ الْخِلَافَةَ دَخَلَ عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ فَهَنَأَهُ بِالْخِلَافَةِ وَأَنشَدَهُ:

تَجَدَّدَتِ الدُّنْيَا بِمُلْكٍ مُحَمَّدٍ
هِيَ الدَّوْلَةُ الْغَرَاءُ رَاحَتْ وَبَكَرَتْ
لَعَمْرِي لَقَدْ شَدَّتْ عُرَا الدِّينِ بَيْعَةً
هَتَّكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خِلَافَةً
فَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالزَّمَانِ الْمَجْدِدِ
مُشْهُرَةً^(٢) بِالرُّشْدِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
أَعَزَّ بِهَا الرَّحْمَنُ كُلَّ مُوَحَّدٍ
جَمَعَتْ بِهَا أَهْوَاءَ أُمَّةٍ أَحْمَدٍ

قال: فأظهر إكرامه والسُرورَ به، وقال له: إن في بقائك بهاءً للملك، وقد ضَعُفَتْ عن الحركة، فكاتِبْنِي بِحَاجَاتِكَ وَلَا تَحْمِلْ عَلَى نَفْسِكَ بَكْرَةَ الْحَرَكَةِ. ووصله بثلاثة آلاف دينار ليقضي بها ديناً بلغه أنه عليه.

[٣٠٤/٩]

/ قَالَ: وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ فِيهِ وَقَدْ رَكِبَ الظُّهُورَ وَرَاءَهُ النَّاسُ، وَهُوَ آخِرُ شَعْرِ قَالِهِ:

أَلَا لَيْسَتْ شَعْرِي أَبْذُرُ بَدَا
إِمَامٌ تَضَمَّنُ أَثْوَابُهُ
حَمَى اللَّهِ دَوْلَةَ سُلْطَانِهِ
فَلَا زَالَ مَا بَقِيََتْ مَدَّةُ
نَهَارًا أَمَ الْمَلِكُ الْمُنْتَصِرُ
عَلَى سَرْجِهِ قَمَرًا مِنْ بَشَرٍ
بِجُنْدِ الْقَضَاءِ وَجُنْدِ الْقَدَرِ
يُروحُ بِهَا الدَّهْرُ أَوْ يَتَكَبَّرُ

/ قَالَ: وَغَنَّى فِيهِ بَنَانٌ وَغَرِيبٌ.

(١) يريد زياد ابن أبيه وهو معروف.

(٢) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «مشهرة».

شعر يزيد المهلبى فيه :

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلبى قال : أوّل قصيدة أنشدّها أبى في المتصر بعد أن ولىّ
الخلافه :

لِيَهْنِكَ مُلْكُ بِالسَّعَادَةِ طَائِرُهُ مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهُ
فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا مُرَجِّي فَلَاحِ نَحْبِ كَمَا يُرْتَجَى مِنْ وَاقِعِ الْغَيْبِ بَاكِرِهِ
بِمَتَصَرِّ بِاللّهِ تَمَثَّلَ أُمُورُنَا وَمَنْ يَتَصَرَّرُ بِاللّهِ فَاللّهُ نَاصِرُهُ

فأمر المتصرّ عَرِيبَ أَنْ تَغْنِيَّ نَشِيداً فِي أَوَّلِ الْآيَاتِ وَتَجْعَلَ الْبَسِيطَ فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ؛ فَعَمِلْتَهُ وَغَنَّاهُ بِهِ .

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني أحمد بن يزيد قال : صَلَّى المتصرُّ بِالنَّاسِ فِي الْأَصْحَى سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ
وَمِائَتَيْنِ؛ فَأَنْشَدَهُ أَبِي لَمَّا أَنْصَرَفَ :

مَا أَسْتَشْرِفُ النَّاسَ عِيداً مِثْلَ عِيدِهِمْ مَعَ الْإِمَامِ الَّذِي بِاللّهِ يَتَصَرَّرُ
عَدَا بَجَمْعٍ كَجُنْحِ اللَّيْلِ يَقْدُمُهُ وَجْهٌ أَغْرُ كَمَا يَجْلُو الدُّجَى الْقَمَرُ
يَوُثُّهُمْ صَادِعٌ بِالْحَقِّ أَحْكَمُهُ حَزْمٌ وَعِلْمٌ بِمَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ
لَوْ خَيْرَ النَّاسِ فَأَخْتَارُوا لَأَنْفُسِهِمْ أَحْظَ مِنْكَ لِمَا نَالُوهُ مَا قَدَرُوا

قال : فأمر له بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَتَقَدَّمَ إِلَى أَبِي الْمَكِّيِّ أَنْ يُغْنِيَ فِي الْآيَاتِ .

[٣٠٥/٩] / غناه بنان بن عمرو بشعر مروان فأمره ألا يغني في شعر آل أبي حفصة :

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال حدّثني بنان بن عمرو المغنّي قال : غَنَيْتُ يَوْمًا بَيْنَ يَدَيِ
المتصر :

هَلْ تَقْلِمُسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجْوَمَهَا بِأَكْفُكُمْ أَوْ تَسْأَلُونَ هِلَالَهَا
فَقَالَ لِي : إِيَّاكَ وَأَنْ تَغْنِيَ بِحَضْرَتِي هَذَا الصَّوْتُ وَأَشْبَاهَهُ، فَمَا أَحَبُّ أَنْ أَغْنِيَ إِلَّا^(١) فِي أَشْعَارِ آلِ أَبِي حَفْصَةَ خَاصَّةً .
غناء المعتز بالله :

وَمِنْ هَذِهِ سَبِيلُهُ فِي صِنْعَةِ الْغِنَاءِ الْمَعْتَزُ بِاللّهِ :

فَإِنِّي لَمْ أَجِدْ لَهُ مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا مَا ذَكَرَهُ الصُّولِيّ فِي أَخْبَارِهِ؛ فَاتَيْتُ بِمَا حَكَاهُ لِلْعَلَّةِ الَّتِي قَدَّمْتُهَا مِنْ أَتَى كَرِهْتُ أَنْ
يُخِلَّ الْكِتَابَ بِشَيْءٍ قَدْ دَوَّنَهُ النَّاسُ وَتَعَارَفُوهُ . فَمَتَى ذَكَرَ أَنَّهُ غَنَى فِيهِ :

صَوْتٌ

لَعَنَرِي لَقَدْ أَصْحَرْتُ خَيْلَنَا بِأَكْنُافٍ دَجَلَةً لِلْمُضْعَبِ
فَمَنْ يَكُ مِنْنَا يَيْتُ آمِنَا وَمَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنَا يَهْرُبُ

(١) لعله : «فما أحب أن أغني في أشعار إلخ» بحذف «إلا»؛ لأن هذا البيت من قصيدة مشهورة لمروان بن أبي حفصة مطلعها :
طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَحَيَّ خِيَالَهَا بِيَضَاءِ تَخْلُطُ بِالْجَمَالِ دَلَالَهَا

الشعر لعدي بن الرقاع. والغناء للمعتر خفيف رمل. وهذه الأبيات من قصيدة لعدي يقولها في الواقعة التي كانت بين عبد الملك بن مزيان والمضعب بن الزبير بطسوج^(١) مسكن، فقتل فيها مصعب بقرية من مسكن يقال لها دِير الجاثليق، وذكرته الشعراء في هذه الأبيات:

لَعْنِي لَقَدْ أَصْحَرْتُ خَيْلُنَا	بِأَكْنَافِ دِجْلَةَ الْمُضْعَبِ
/ يَهْزُونَ كُلَّ طَوِيلِ الْقَنَا	لَكَذَنٍ وَمَعْتَدِلِ الثَّغْلَبِ ^(٢)
فِدَاؤُكَ أُمِّي وَأَبْنَاؤُهَا	وإن شئت زدْتُ عليها أباي
وَمَا قَلَّتْهَا رَهْبَةٌ إِنَّمَا	يَحُلُّ الْعِقَابُ عَلَى الْمُذْنِبِ
/ إِذَا شئتُ نَازَلْتُ مُسْتَقْبَلًا	أَزَاحِمُ كَالْجَمَلِ الْأَجْرِبِ
فَمَنْ يَكُ مَنَّا يَيْتُ آمِنًا	وَمَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنَا يَهْرُبِ

[٣٠٦/٩]

 $\frac{179}{8}$ 

مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(١) الطسوج: القرية أو الناحية. وطسوج مسكن: بالعراق. ودير الجاثليق يقع من طسوج مسكن غربي دجلة قرب بغداد من آخر السواد وأول أرض تكريت.

(٢) الثعلب هنا: رأس الرمح.

/ أخبار محمد بن الرقاع ونسبه

[٣٠٧/٩]

نسبه:

هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عصير بن عك^(١) بن شغل^(٢) بن معاوية بن الحارث وهو عاملة بن عدي بن الحارث بن مرة بن أد. وأم معاوية بن الحارث عاملة بنت وداعة من قضاة، وبها سُموا عاملة. ونسبه الناس إلى الرقاع، وهو جدُّ جدُّه، لشهرته؛ أخبرني بذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام.

شاعر أموي اختص بالوليد بن عبد الملك جعله ابن سلام في الطبقة الثالثة:

وكان شاعراً مقدماً عند بني أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك. وله بنت شاعرة يقال لها سلمى، ذكر ذلك ابن الططاح. وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام. وكان منزله بدمشق. وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم. وقد تعرض لجريز وناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك، ثم لم تتم بينهما مهاجاة، إلا أن جريراً قد هجاه تعريضاً في قصيدته:

حي الهدملة^(٣) من ذات الموائيس

ولم يصرح لأن الوليد حلف إن هو هجاه أشرجه وأنجمه وحمله على ظهره، فلم يصرح بهجائه.

ما جرى بينه وبين جرير في حضرة الوليد بن عبد الملك:

أخبرني أبو خليفة إجازة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني أبو الغراف قال:

دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وعنده عدي بن الرقاع العاملي. فقال الوليد لجرير: أتعرف هذا؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. فقال الوليد: / هذا عدي بن الرقاع. فقال جرير: فشر الثياب الرقاع، قال: ممن هو؟ قال: العاملي. فقال جرير: هي التي يقول [فيها] الله عز وجل «عاملة ناصبة تصلي ناراً حامية». ثم قال: يقصر باع العاملي عن السدى ولكن أير العاملي طويل

فقال له عدي بن الرقاع:

أأمك كانت أخبرتك بطوله أم أنت أمرؤ لم تذر كيف تقول

فقال لا بل أدري كيف أقول. فوثب العاملي إلى رجل الوليد فقبلها وقال: أجرني منه. فقال الوليد لجرير: لن شتمته لأشرجتك ولألجمتك حتى يركبك فيعيرك الشعراء بذلك. فكنى جرير عن اسمه فقال:

(١) كذا في الأصول. وفي شرح «القاموس» مادة (رقع): «عدي». وفي «المقتضب» لياقوت (ص ٧٩): «عدة».

(٢) كذا في شرح «القاموس» و«الاشتقاق» لابن دريد و«المقتضب». وفي الأصول: «شغل» بالعين المعجمة، وهو تصحيف.

(٣) الهدملة والموائيس: موضعان.

إنني إذا الشاعر المغرور حربني
قد كان أشوس آباء فورثنا
أقصر فإن نزاراً لن يفاضلها^(٣)
وأبن اللبون إذا ما لُز في قرن
جاء لقبر على مَرَّان^(١) مَرْمُوس
شَغَباً على الناس في أبنائه الشوس^(٢)
فرغ لثيم وأصل غير مغروس
لم يستطع صولة البزل القناعيس

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة:

دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وعنده عدي بن الرقاع العاملي. فقال له الوليد: أتعرف هذا؟ قال: لا، فمن هو؟ قال: هذا ابن الرقاع. قال فشر الثياب الرقاع، فممن هو؟ قال: من عاملة. قال: أمن التي قال الله تعالى فيها: «عاملة / ناصبة تَصْلِي ناراً حامية»! فقال الوليد: والله ليركبتك! / لشاعرنا ومادحنا والرائي لأمواتنا تقول هذه المقالة! يا غلام بكاف^(٤) ولجام. فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يعفيه فأعفاه. فقال: والله لئن هجوته لأفعلن ولأفعلن. فلم يصرح بهجائه وعرض، فقال قضيدته التي أولها:

حي الهدملة من ذات الموعيس

وقال فيها يعرض به:

قد جرئت عركتي في كل مغترك
غلب الأسود فما بال الضغائيس^(٥)

فضل جرير عليه كثيراً في مجلس بعض الخلفاء:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي قال: ذكر كثير وعدي بن الرقاع العاملي في مجلس بعض خلفاء بني أمية، فامترؤا فيهما أيهما أشعر وفي المجلس جرير. فقال جرير: لقد قال كثير بيتاً هو أشهر وأعرف في الناس من عدي بن الرقاع نفسه؛ ثم أنشد قول كثير:

آن زُم أجمالاً وفارق جيرة
وصاح غراب البيس أنت حزين

قال: فحلف الخليفة لئن كان عدي بن الرقاع أعرف في الناس من بيت كثير ليشرجن جريراً وليلجمته وليركبن عدي بن الرقاع على ظهره. فكتب إلى واليه بالمدينة: إذا فرغت من خطبتك فسل الناس من الذي يقول:

آن زُم أجمالاً وفارق جيرة
وصاح غراب البيس أنت حزين

وعن نسب ابن الرقاع. فلما فرغ الوالي من خطبته قال: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أسألكم من الذي يقول:

آن زُم أجمالاً وفارق جيرة

(١) أراد قبر نعيم بن مر يمران على أربع مراحل من مكة إلى البصرة. وحربي: أغضبني، يقال: منه حرب الرجل بحرب حرباً (من باب فرح).

(٢) الشوس (بالتحريك): التكبر والنظر بمؤخر العين.

(٣) كذا في «ديوانه» المخطوط. وفي أكثر الأصول: «لن يفاخرهم». وفي س: «لن يفاخرهم».

(٤) الإكاف: برذعة الحمام.

(٥) الغلب: جمع أغلب وهو القليظ الرقة. والضغائيس: جمع ضغبوس وهو، ضعيف.

[٣١٠/٩] قال: فأبتدروا من كل وجه يقولون: كُثِيرٌ كَثِيرٌ. ثم قال: وأمرني أن أسأل عن نسب أبْنِ الرُّقَاعِ؛ فقالوا: لا ندرى؛ حتى قام أعرابيٌّ من مؤخَّرِ المسجد فقال: هو من عاملة.

نقد محمد بن المنجم بيتاً من شعره:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه قال قال لي محمد بن المنجم: ما أحدٌ ذُكر لي فأحببتُ أن أراه فإذا رأيته أمرتُ بصَفْعِهِ إلا عَدِيَّ بنَ الرُّقَاعِ. قلت: ولم ذلك؟ قال: لقوله:
وعلمتُ حتى ما أسألُ عالماً عن علمٍ واحدةٍ لكي أزدادها
فكنتُ أعرضُ عليه أصنافَ العلوم، فكلما مرَّ به شيء لا يُحسنه أمرتُ بصَفْعِهِ.

جاءه شعراء ليعارضوه فردت عليهم بته فأنفجحتهم:

حدثني إبراهيم بن محمد بن أيُّوب قال حدثنا عبدالله بن مُسلم قال:
كان عديُّ بن الرُّقَاع يتزل بالشام، وكانت له بنت تقول الشعر. فأتاه ناس من الشعراء ليُماتئوه^(١) وكان غائباً؛ فسمعتُ بنته وهي صغيرة لم تبلغَ دَوْرَ وعيدهم، فخرجت إليهم وأنشأت تقول:
تَجَمُّعْتُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَبَلَدَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لَا زَلَمُ قِرْنٍ وَاحِدٍ
فأنفجحتهم:

كان من أوصاف الشعراء للمطية:

وقال عبدالله بن مُسلم:

ومما ينفرد به ويقدم فيه وصفُ المطية؛ فإنه كان من أوصاف الشعراء لها.

استحسن أبو عمرو شعره:

حدثني أحمد بن عبيدالله بن عَمَّار قال حدثنا محمد بن عَبَّاد بن موسى قال: كنت عند أبي عمرو أعرضُ أو يعرضُ عليه رجلٌ بحضرتي من شعر عَدِيَّ بنِ الرُّقَاعِ، وقرأتُ أو قرأ هذه الأبيات:

[٣١١/٩] / لولا الحياءُ وأنْ رأسي قد عَسَا^(٢) فيه المَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ

/ وكأنها وَسَطُ النساءِ أعارها عينيهِ أَخَوْرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ ١٨١/٨

وَسَنَانُ أَقْصَدِ الثَّمَامِ فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

فقال أبو عمرو: أحسنَ والله! فقال رجل كان يحضر مجلسه أعرابيٌّ كأنه مدنيٌّ: أما والله لو رأيته مشبوحاً بين أربعةٍ وقُضِبَانِ الدَّفْلَى^(٣) تأخذه لكنتُ أشدَّ له استحساناً. يعني إذا كان يُغَنِّي به على العود.

(١) ماته في الشعر: عارضه.

(٢) عسا: اشتد.

(٣) الدفلي: نبت مرزهره كالورد الأحمر وحمله كالخروب

استحسن أبو عبيدة بيتاً له:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدثني عبدالله بن أبي سعد عن علي بن المغيرة قال:

كان أبو عبيدة يستحسن بيت عدي بن الرقاع:

وَسُنَانُ أَقْصَدِ الثَّمَّاسِ فَرَّتْكَ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ
جَدًّا وَيَقُولُ: مَا قَالَ أَحَدٌ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى أَحْسَنَ مِنْهُ فِي هَذَا الشَّعْرِ. وَفِي هَذَا الشَّعْرِ غِنَاءٌ، نَسَبَتْهُ:

صَوْت

لَسَوْلا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأْسِي قَدْ عَسَا فِيهِ الْمَشِيبُ لَزَزْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ
وَكَأَنَّهَا وَمَنْطَ النَّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ
وَسُنَانُ أَقْصَدِ الثَّمَّاسِ فَرَّتْكَ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ
أَلَيْمٌ عَلَى طَلَلٍ عَفَا مُتَقَادِمِ بَيْنَ الدُّؤَيْبِ^(١) وَبَيْنَ غَيْبِ النَّاعِمِ

/ عروضه من الكامل. الجاذر: جمع جُوذُر وهي أولاد البقر الوحشية. وجاسم: موضع. ويروى في هذا الشعر [٣١٢/٩] «عاسم» مكان «جاسم». والوسنان: النائم، والوسن النوم، الواحدة منه سِنَّة. والتزنيق: الدنو من الشيء يريد أن يفعله، يقال: رَنَقَتِ الْعُقَابُ لَصِيدَهَا إِذَا دَنَتْ مِنْهُ، وتَرَنَّقَهَا أَيضاً أَنْ تُقَصِّرَ عَنِ الْخَفَقَانِ بِجَنَاحَيْهَا. ويقال: طِيرَ مَرْتَقَةً إِذَا جَاءَتْ تَطِيرُ ثُمَّ أَرَادَتْ الْوُقُوعَ وَمَدَّتْ أَجْنَحَتَيْهَا فَلَمْ تَخْفُقْ وَتَرَجَّحَتْ. ويقال للقوم إِذَا قَصَّروا فِي سِيرِهِمْ، وَلِلسَّابِغِ إِذَا قَصَّرَ فِي الْخَفَقِ بِيَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ: قَدْ رَنَّقُوا تَرَنِّقًا. الشعر لعدي بن الرقاع. والغناء لابن مسجج خفيف ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ، وَفِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبِنْصَرِ يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَيْضاً، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ مِنْ مَنْحُولِ يَحْيَى بْنِ الْمَكِّيِّ إِلَيْهِ.

استحسن أبو عمرو شعره واستحسن مدني الغناء به:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيُّ قال حدثني محمد بن عبدالله المعروف بِالْحَزَنُوبِلَ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرِو قَالَ:

كنت عند أبي ورجلٌ يقرأ عليه شعر عدي بن الرقاع. فلما قرأ عليه القصيدة التي يقول فيها:

لَسَوْلا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأْسِي قَدْ عَسَا فِيهِ الْمَشِيبُ لَزَزْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ

قال أبي: أحسن والله عدي بن الرقاع! قال: وعنده شيخ مدني جالس، فقال الشيخ: والله لئن كان عدي أحسن لَمَا أَسَاءَ أَبُو عَبَادٍ. قال أبي: ومن هو أبو عَبَادٍ؟ قال: مَعْبَدٌ. والله لو سمعتَ لحنه في هذا الشعر لكانَ طَرَبُكَ أَشَدَّ وَاسْتَحْسَانُكَ لَهُ أَكْثَرَ. فجعل أبي يضحك.

(١) كذا في «معجم البلدان» في الكلام عن الدؤيب وغيب الناعم. وفي الأصول: «الركيك» وهو تحريف. والدؤيب: ماء بنجد لبني دهمان بن نصر بن معاوية. وذكر ياقوت أن غيب الناعم موضع في شعر عدي بن الرقاع، وذكر البيت.

مدح عبدة بن عبدالرحمن حين عزله الوليد فجفاه الوليد ثم رضي عنه :

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال حدثنا أحمد بن جرير عن محمد بن سَلَام قال :

/ عزل الوليدُ بن عبدالمك عبدةَ بن عبدالرحمن عن الأزدِ وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال / للمتوكلين به : من أناه متوجعاً وأنتى عليه فأثوني به . فأتى عدي بن الرقاع ، وكان عبدة إليه محسناً ، فوقف عليه وأنشأ يقول : [٣١٣/٩]
١٨٢
٨

فما عزلوك مسبوقاً ولكن إلى الخيرات سباقاً جواداً

وكنْتَ أخي وما ولدتك أمي وصُولاً بإذلاً لي مستراداً

وقد هيضتْ لِنَكْبَتِكَ الْقُدَامَى كذاكَ الله يفعل ما أراداً

فوثب المتوكلون به إليه ، فأدخلوه إلى الوليد وأخبروه بما جرى . فتغيظ عليه الوليد وقال له : أتمدح رجلاً قد فعلتُ به ما فعلتُ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كان إليّ مُحْسِناً ، ولي مؤثراً ، وبني برّاً ؛ ففي أي وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم ! فقال : صدقتْ وكرمتْ ! فقد عفوتُ عنك وعنه لك ! فخذْه وأنصرف . فأنصرف به إلى منزله .

هذه جرير أنسب الشعراء لشعره :

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أحمد بن يحيى ثعلب قال : قال نوح بن جرير لأبيه : يا أبت ، مَنْ أنسبُ الشعراء ؟ قال له : أتعني ما قلتُ ؟ قال : إني لست أريد من شعرك إنما أريد من شعر غيرك . قال : ابنُ الرقاع في قوله :

لولا الحباء وأن رأسي قد عسا فيه المَشيْب لَزُزْتُ أم القاسم

الثلاثة الأبيات . ثم قال لي : ما كان يُبالي أن لم يقل بعدها شيئاً .

عجب جرير من توفيقه في تشبيه دقيق :

أخبرني الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبدالمك عن أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال :

قال جرير : سمعت عدي بن الرقاع يُشدد :

تُرْجِي أَغْنُ كَأَن إِبرَةَ رَوْقِهِ ^(١)

/ فَرَحِمْتُهُ مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ فَقُلْتُ : بَأْيُ شَيْءٍ يُشَبِّهُهُ تَرَى ! فلما قال :

قَلَمُ أَصَابِ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادُهَا

رَحِمْتُ نَفْسِي مِنْهُ

/ تابع روح بن زنباع ثم خالفه وتابع نائل بن قيس في نسبهم :

أخبرني اليزيدي قال حدثني عمي عبدة الله عن ابن حبيب عن أبي عبدة قال :

مال رُوح بن زنباع الجُدَامِي إلى يزيد بن معاوية لما فصل بين الخطبتين فقال : يا أمير المؤمنين ، ألحقنا

بإخوتنا من معدٍّ فإننا معدِّيون، والله ما نحن من قصب الشام ولا من زعاف^(١) اليمن. فقال يزيد: إن أجمع قومك على ذلك جعلناك حيث شئت. فبلغ ذلك عدي بن الرقاع فقال:

إِنَّا رَضِينَا وَإِنْ غَابَتْ جَمَاعَتُنَا مَا قَالَ سَيُّدُنَا رَوْحُ بْنُ زُبَاعٍ
يَرَعَى ثَمَانِينَ أَلْفًا كَانَ مِثْلُهُمْ مِمَّا يُخَالِفُ أَحْيَانًا عَلَى الرَّاعِي

قال: فبلغ ذلك نائل بن قيس الجذامي، فجاء يركض فرسه حتى دخل المقصورة في الجمعة الثانية. فلما قام يزيد على المنبر، وثب فقال: أين الغادر الكاذب رَوْحُ بْنُ زُبَاعٍ؟! فأشاروا إلى مجلسه. فأقبل عليه وعلى يزيد ثم قال: يا أمير المؤمنين، قد بلغني ما قال لك هذا، وما نعرف شيئاً منه ولا نقرُّ به، ولكننا قوم من قحطان يسعنا ما يسعهم ويعجز عنا ما يعجز عنهم. فأمسك رَوْحُ ورجع عن رأيه. فقال عدي بن الرقاع في ذلك:

اضِلَّالٌ لَيْلٍ سَاقِطٍ أَكْنَافُهُ فِي النَّاسِ اغْدَرُ أَمْ ضَلَالٌ نَهَارٍ
قَحْطَانُ وَالذَّنَا الَّذِي نُذْعَى لَهُ وَأَبُو خُزَيْمَةَ خِنْذَفُ بْنُ نِزَارٍ
/ أَنْبِيعَ وَالذَّنَا الَّذِي نُذْعَى لَهُ بِأَبِي مَعَاثِرَ غَائِبٍ مُتَوَارِي
تِلْكَ التَّجَارَةُ لَا زَكَاءَ لِمِثْلِهَا ذَهَبٌ يَبَاعُ بِأَتْلُكٍ^(٢) وَإِبَارٍ

[٣١٥/٩]

/ فقال له يزيد: غيّرت يابن الرقاع. قال: إن نائلاً والله عليّ أعزهما سُخْطًا، وأنصَحهما لي ولعشيرتي. قال أبو ١٨٣
عبيدة: الإبار: جمع إبرة.

ما كان بينه وبين ابن سريج في حضرة الوليد بن عبد الملك:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم:

أن الأحوص وأبن سريج قَدِمَا المدينة^(٣)، فترلا في بعض الخانات ليُضِلِّحَا من شأنهما، وقد قدم عدي بن الرقاع وكانت هذه حاله، فترل عليهما. فلما كان في بعض الليل أفاضوا في الأحاديث؛ فقال عدي بن الرقاع لابن سريج: والله لخروجنا كان إلى أمير المؤمنين أجدي علينا من المُقام معك يا مولى بني نُوْفَل. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك تُوشِك أن تُلهيّا فتشغلنا عما قصدنا له. فقال له أبن سريج: أَوْ قِلَّةُ شُكْرِ أَيْضًا. فغضب عدي وقال: أنك لتُمرّ علينا أن نزلنا عليك؛ وإني أعاهد الله ألا يُظِلِّلَنِي وإياك سَقَفٌ إلا أن يكون بحضرة أمير المؤمنين. وخرج من عندهما. وقدم الوليد من باديته فأذن لهما فدخلوا. وبلغه خبر أبن الرقاع وما جرى بينه وبين أبن سريج؛ فأمر بأبن سريج فأُخْفِيَ^(٤) في بيت ودعا بعدي فادخله؛ فأنشده قصيدة أمتدحه بها. فلما فرغ، أوما إلى بعض الخدم فأمر أبن سريج فغنّى في شعر عدي بن الرقاع بمدح الوليد:

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُّمًا فَاعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِمَا شَمِلَ الْبَلَى أَبْلَادَهَا^(٥)

(١) كذا في الأصول: ولعله «من رعان اليمن» أي جبالها أو «من زعانف اليمن».

(٢) الآتك: الرصاص.

(٣) كذا في الأصول. والأحرى أن تكون «دمشق» إذ المعروف أن دمشق كانت عاصمة ملك بني أمية التي كان يقصد إليها الرواد والوافدون وبها ينزلون.

(٤) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «فأدخل».

(٥) اعتادها: أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها. وشمل: عم. والأبلاد: الآثار.

[٣١٦/٩] / فطرب عديّ وقال: لا والله ما سمعتُ يا أمير المؤمنين بمثل هذا قطُّ ولا ظننتُ أن يكون مثله طيباً وحُسنًا. ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلتُ طائفٌ من الجن. أياذن لي أمير المؤمنين أن أقول؟ قال: قل. قال: مثلُ هذا عند أمير المؤمنين وهو يبعث إلى ابن سُرَيْج يتخطى به قبائل العرب فيقال: ابنُ سُرَيْج المغنّي مولى بني نُوْفَل بعت أمير المؤمنين إليه. فضحك ثم قال للخادم: أخرجه فخرج. فلما رآه عديّ أطرق خَجَلًا ثم قال: المعذرة إلى الله وإليك يا أخي، فما ظننتُ أنك بهذه المنزلة، وإنك لحَقِيقٌ أن تُحتمَلَ على كل هفوة وخطيئة. فأمر لهم الوليد بمال سوّى بينهم فيه، ونادهم يومئذٍ إلى الليل.

نسبة هذا الصوت المذكور في هذا الخبر وسائر ما مضى في أخبار عديّ قبله من الأشعار التي فيها غناء:

صوت

عَرَفَ الدَّارَ تَوَهُّمًا فَأَعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِ مَا شِئِلَ الْبَلَى أَبْلَادَهَا
إِلَّا رَوَاكِدَ كُلِّهِنَّ قَدْ أَصْطَلَى حَمْرَاءَ أَشْعَلَ أَهْلُهَا إِيْقَادَهَا
عروضه من الكامل. الشعر لعديّ بن الرُّقَاع. والغناء لابن مُخَرِّز خفيفٌ ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أفعمه كثير في حضرة الوليد بن عبد الملك:

أخبرني عيسى بن الحسين الرُّقَاق قال حدّثني أحمد بن الهيثم بن فِرَاس قال حدّثني العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال:

أَنشد عديّ بن الرُّقَاع الوليدَ بن عبد الملك قصيدته التي أوّلها:

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُّمًا فَأَعْتَادَهَا

وعنده كثيرٌ وقد كان يُلغّيه عن عديّ أنه يطعن على شعره ويقول: هذا شعر حجازيّ مَقْرُورٌ إذا أصابه قُرُ الشَّامِ جَمَدٌ وهلك. فأنشده إياها حتى أتى على قوله:

[٣١٧/٩]
١٨٤
أ

/ وقصيدة قد بئتُ أجمع بينها حتى أقوّمَ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا^(١)

فقال له كثير: لو كنتَ مطبوعاً أو فصيحاً أو عالماً لم تأتِ فيها بميلٍ ولا سِنَاد فتحتاج إلى أن تقوّمها. ثم أنشد:

نَظَرَ الْمُثَقَّفَ فِي كُعُوبِ قَنَاتِهِ حتى يُقَيِّمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا

فقال له كثير: لا جَرَمَ أَنَّ الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء، ولأن تكونَ مستقيمة لا تحتاج إلى ثِقَافٍ أجود لها. ثم أنشد:

وعلمتُ حتى ما أسائل واحداً عن علمٍ واحدةٍ لكبي أزدادها

فقال كثير: كذبتَ وربّ البيت الحرام! فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك. وما كنتَ قطُّ أحقَّ منك الآنَ حيثَ نظنّ هذا بنفسك. فضحك الوليد ومن حضر، وقُطِعَ بعديّ بن الرُّقَاع حتى ما نطق.

(١) يريد بالسناد هنا عيباً في الشعر. والسناد في اصطلاح العروضيين هو اختلاف الحرف الذي قبل الرفع بالفتح والكسر. والردف هو حرف اللين الذي قبل الروي. (انظر الكلام عليه في «العقد الفريد» ج ٣ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ طبع بولاق، و «اللسان» مادة «سند»).

[٣١٨/٩]

أخبار المعتبر في الأغاني ومع المختير وما جرى لهذا المجرى

شعره في جارية يهواها:

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني علي بن محمد بن نصر^(١) قال حدثني جدي حمدون بن إسماعيل قال:

اصطحب المعتبر في يوم ثلثاء ونحن بين يديه ثم وثب فدخل، وأعرضته جارية كان يحبها ولم يكن ذلك اليوم من أيامها فقبلها وخرج؛ فحدثني بما كان وأنشدني لنفسه في ذلك:

صوت

إني قمرتك يا سؤلي يا أملي أمراً مطاعاً بلا مظل ولا عليل
حتى متى يا حبيب النفس تملطني وقد قمرتك^(٢) مرات فلم تف لي
يوم الثلاثاء يوم سوف أشكره إذ زارني فيه من أهوي على عجل
فلم أنل منه شيئاً غير قبلة وكان ذلك عند أعظم الثقل
قال: وعمل فيه لحن خفيف وشرنا عليه سائر يومنا. الغناء في هذه الأبيات لعريب رمل عن الهشامي. ولأبي العباس في الثالث والرابع هزج.

طارحه بنان المغني في بيت من الشعر وتغنى فيه:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلب قال حدثني أبي قال:
كان المعتبر يشرب على بستان مملوء من النعام^(٣) وبين النعام شقائق النعمان، فدخل إليه يونس بن بُغا وعليه قباء أخضر؛ فقال المعتبر:

[٣١٩/٩]

صوت

شبهت حُمرة خذه في ثوبه بشقائق النعمان في النعام
ثم قال: أجزوا. فأبتذر بنان المغني، وكان ربما عث بالبيت بعد البيت، فقال:
والقد منه إذا بدا في قرطقي^(٤) كالغصن في لين وحسن قوام
فقال له المعتبر: فغن في الآن، فعمل فيه لحنًا. لحن بنان في هذين البيتين من خفيف الثقل الثاني وهو الماخوري.

(١) في الأصول: «محمد بن علي بن نصر». وقد تقدّم هذا الاسم غير مرة كما أثبتناه.

(٢) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «قصدتك».

(٣) النعام: نبت ورقة كالسذاب عطري قوي الرائحة. سمي بذلك لسطوع رائحته.

(٤) القرطقي: قباء ذو طاق واحد (معرب).

أخبر بوفاة أم يونس بن بغا ففتر المجلس ثم عاد أحسن ما كان :

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك

قال :

شرب المعتز ويونس بن بغا بين يديه يسقيه والجلساء والمغثون بين يديه وقد أعد الخلع والجوائز، إذ دخل
١٨٥ بَغَا فقال: يا أمير المؤمنين، / والدة عبدك يونس في الموت وهي تُحِبُّ أن تراه؛ فأذن له فخرج. وفتر المعتز ونعس
بعده، وقام المجلسات وتفرق المغثون، إلى أن صليت المغرب، وعاد المعتز إلى مجلسه، ودخل يونس وبين يديه
الشموع. فلما رآه المعتز دعا برطل فشربه وسقى يونس رطلاً وغناه المغثون، وعاد المجلس أحسن ما كان؛ فقال
المعتز:

قصيدة

تَغِيْبُ فَلَا أَفْرَحُ فَلَئِكَ مَا تَبْرَحُ
وإنْ جُنْتُ عَذَّبْتَنِي بِأَنْتِكَ لَا تَسْمَحُ
فَأَصْبَحْتُ مَا بَيْنَ ذِي سِنٍ لِي كَبِدُ تُجْرَحُ
على ذاك يا سيدي دُنُوْكَ لِي أَصْلَحُ

ثم قال: غثوا فيه، فجعلوا يفكرون. فقال المعتز لسليمان بن القصار الطنبوري: وَيْلَكَ! الحان الطنبور أملح وأخف
[٣٢٠/٩] فغث فيه أنت؛ فغثي فيه لحناً؛ فدفع إليه دنائير/ الخريطة وهي مائة دينار مكية ومائتان مكتوب على كل دينار منها
«ضرب هذا الدينار بالجوسق بخريطة»^(١) أمير المؤمنين المعتز بالله، ثم دعا بالخلع والجوائز لسائر الناس، فكان ذلك
المجلس من أحسن المجالس.

لحن سليمان بن القصار في هذه الأبيات رمل مطلق.

لما قتل بغا هناه الناس بالظفر:

حدثني الصولي قال حدثني محمد بن عبد السميع الهاشمي قال حدثني أبي قال:

لَمَّا قُتِلَ بَغَا^(٢) دخلنا فهناك المعتز بالظفر، فأصطحب معه يونس بن بغا، وما رأينا قط وجهين أجمعنا أحسن
من وجهيهما. فما مضت ثلاث ساعات حتى سكر، ثم خرج علينا المعتز فقال:

مَا إِنْ تَرَى مَنْظَرًا إِنْ شِئْتَهُ حَسَنًا إِلَّا صَرِيحًا يُهَادَى^(٣) بَيْنَ سُكْرَيْنِ
سُكْرِ الشَّرَابِ وَسُكْرِ مَنْ هَوَى رَشِيًا تَخَالَهُ وَالَّذِي يَهْشَاهُ غَضَيْنِ

(١) لعله: «الخريطة أمير المؤمنين» أي ضربت لخزائنه الخاصة.

(٢) هو أحد قواد الأتراك المبرزين وقد اشترك في قتل المتوكل بدسيسة من ابنه المنتصر، وكان يتولى الحرس ليلة قتل فسهل للقتلة
الدخول للقصر. خدم عدة خلفاء في الدولة العباسية. وجفاه المعتز فوكل به وليداً مغربي فقتله غيلة وحمل رأسه إليه، فوهبه
عشرة آلاف دينار وخلع عليه خلعة، ونصب رأسه سامرا ثم ببغداد. (راجع الطبري القسم الثالث ص ١٤٥٨ - ١٤٦١، ١٦٩٤ - ١٤٩٧).

(٣) جاء فلان يهادي بين اثنين مهادة (بالبناء للمفعول): جاء يتمايل.

ثم أمر فتغنى فيه بعض المغنين.

قصة المعتز ويونس بن بغا مع ديراني:

حدثني الصُّولِيّ قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق الخُرَّاساني قال حدثني الفضل بن العباس^(١) بن المأمون قال:

/ كنت مع المعتز في الصيد، فأنقطع عن الموكب وأنا ويونس بن بغا معه، ونحن بقرب قنطرة^(٢) وصيف، [٣٢١/٩] وكان هناك دَيْرٌ فيه دَيْرَانِي يعرفني وأعرفه، نظيف ظريف مليح الأدب واللفظ. فشكا المعتز العطش. فقلت: يا أمير المؤمنين، في هذا الدير دَيْرَانِي أعرفه خفيف الروح لا يخلو من ماء بارد، أفترى أن نميل إليه؟ قال نعم. فجئناه فأخرج لنا ماءً بارداً، وسألني عن المعتز ويونس فقلت: فتَيَانٍ من أبناء الجُند؛ فقال: بل مُفْلِتَانٍ من حُورِ الجَنَّة. فقلت له: هذا ليس في دينك. فقال: هو الآن في ديني. فضحك المعتز. فقال لي الدَيْرَانِي: أتأكلون شيئاً؟ قلت نعم. فأخرج شطيريات وخبزاً وإداماً نظيفاً، فأكلنا أطيب أكل، وجاءنا بأطراف^(٣) أشنان. فاستظرفه المعتز وقال لي: قل له فيما بينك وبينه: مَنْ تحب أن يكون معك من هذين لا يفارقك. فقلت له، فقال: «كلاهما»^(٤) وتمرا. فضحك المعتز حتى مال على حائط الدَيْر. فقلت للدَيْرَانِي: لا بدّ من أن تختار. فقال: الاختيار والله في هذا دَمَار، وما خلق الله عقلاً يميّز بين هذين. ولحقهما الموكب، فأرتاع الدَيْرَانِي. / فقال له المعتز: بحياتي لا تنقطع عما كنا^{١٨٦} فيه، فلأتي لِمَنْ نَمُّ مولى وَلِمَنْ هَا هُنَا صديق. فَمَزَحْنَا ساعة؛ ثم أمر له بخمسة^(٥) ألف درهم. فقال^(٦): والله ما أقبلها إلا على شرط. قال: وما هو؟ قال: يجيب / أمير المؤمنين دَعْوَتِي مع من أراد. قال: ذلك لك. فأتعذنا ليوم [٣٢٢/٩] جئناه فيه، فلم يَبْقِ غَايَةً، وأقام للموكب كلّه ما أحتاج إليه، وجاءنا بأولاد النصارى يَخْدُمُونَا. ووصله المعتز يومئذٍ صلةً سنِيَّةً؛ ولم يزل يعتاده ويقيم عنده.

ولي الخلافة وله سبع عشرة سنة، وشعره في ذلك:

حدثني الصُّولِيّ قال حدثنا عبدالله بن المعتز قال:

بُوعٍ للمعتز بالخلافة وله سبع عشرة سنة كاملة وأشهر. فلما أنقضت البيعة قال:

تَوَخَّذْنِي الرَّحْمَنُ بِالْعِزِّ وَالْعَلَا فَاصْبَحْتُ فَوْقَ الْعَالَمِينَ أَمِيرًا

(١) كذا في «مسالك الأبصار» (ح ١ ص ٢٨٢ طبع دار الكتب المصرية) و «معجم البلدان» في كلاهما عن دير مرمار - وفي «معجم البلدان»: «دير مرماري» بياء - وفي الأصول: «العباس بن المفضل بن المأمون». وذكر اليعقوبي في تاريخه أن المأمون خلف من الولد المذكور ستة عشر وذكر منهم «العباس» و«الفضل».

(٢) كذا في ج - و «مسالك الأبصار». وفي سائر الأصول: منطرة وصيف.

(٣) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «بأطرف إنسان» وهو تحريف.

(٤) في «مسالك الأبصار»: «فقال: كلاهما بدون وتمرا». و«كلاهما وتمرا» مثل قائله عمرو بن حمران وقد مر به رجل أضربه العطش والسغب وبين يديه زبد وتامك وتمر. فقال له الرجل: أطعمني من هذا الزبد والتامك. فقال عمرو: «نعم كلاهما وتمرا» فصارت مثلاً في زيادة الإكرام. أي لك كلاهما وأزيد تمراً. ويروي «كليهما وتمرا» بالنصب على تقدير فعل محذوف أي أطعمك.

(٥) في «مسالك الأبصار»: «بخمسين ألف درهم».

(٦) في الأصول: «فقبلها فقال... إلخ» بزيادة كلمة «فقبلها». وظاهر أنها من زيادات النسخ، إذ يابها سياق الكلام، وليست موجودة في «مسالك الأبصار».

هكذا ذكر الصُوليّ في قافية الشعر. ووجدته في أغاني بَنَانٍ مرفوعَ القافية، وله فيه صنعة. ولعلّ المعترّ قال البيت، فأضاف بَنَانٌ إليه آخرَ وجعل المخاطبة عن نفسه للمعترّ فقال:

صوت

تَوَحَّدَكَ الرَّحْمَنُ بِالْعَزِّ وَالْعُلَا فَأَنْتَ عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ أَمِيرُ
تُقَابِلُ عَنْكَ الثُّرُكُ وَالْخُرُزُ كُلُّهَا كَأَنَّهُمْ أَشَدُّ لَهَنَ زَيْرُ
الغناء لبَنَانٍ [لَخْنَانٍ^(١)] خفيفٌ ثَقِيلٌ وخفيفٌ رَمَلٍ. ومما قاله المعترّ وغنّى فيه قوله - ذكر الصُوليّ أن عبد الله بن المعترّ أنشده إِيَّاهُ لَا يَبِيه -:

صوت

أَلَا حَسْبِي الْحَبِيبَ فَدَنُّهُ نَفْسِي بِكَأْسٍ مِنْ مُدَامَةِ خَائِقِيْنَا^(٢)
فَلَأْسِي قَدْ بَقِيَْتُ مَعَ اللَّيَالِي أَقَاسِي الْهَمِّ فِي يَدِهِ سِنِينَا
الغناء فيه لِعَرِيبٍ خفيفٌ رَمَلٍ، وَلِبَنَانٍ هَزَجٌ.

[٣٢٣/٩] / وَمِمَّنْ ذَكَرَ أَنَّ لَهُ صَنَعَةً مِنَ الْخُلَفَاءِ الْمُعْتَمِدِ.

غناء المعتمد:

قال محمد بن يحيى الصُوليّ ذكر عبد الله بن المعترّ عن القاسم بن دُرُزُورٍ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ أَلْقَى عَلَيْهِ لَحْنًا صَنَعَهُ فِي هَذَا الشَّعْرَ وَهُوَ:

لَيْسَ الشَّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مُؤْتَزِرًا مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُزْبَانَا
الشعر للفرزدق. والغناء للمعتمد، ولحنه فيه خفيفٌ ثَقِيلٌ. هذه حكاية الصُوليّ. وفي غناء عَرِيبٍ: لها في هذا البيت خفيفٌ ثَقِيلٌ. ولا أعلم لِمَنْ هُوَ مِنْهُمَا عَلَى صَحَّةٍ، إِلَّا أَنَّ الْمَشْهُورَ فِي أَيْدِي النَّاسِ أَنَّهُ لِعَرِيبٍ. ولم أسمع للمعتمد غناءً إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا.

(١) زيادة عن حـ.

(٢) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همدان من بغداد.

/ ذكر أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة ودون غيره

لأن أخباره كثيرة جداً، فكرهت أن أثبتها ها هنا في غناء مشكوك فيه،

فذكرت نسبه وخبره في هذا الشعر خاصة،

وأخباره تأتي بعد هذا في موضع مفرد يتسع لطول أحاديثه

نسبه:

الفرزدق لقبٌ غلب عليه. وأسمه هَمَام بن غالب بن صَغَصَة بن نَاجِيَة بن عِقَال بن محمد بن سُفْيَان بن مُجَاشِع بن دَارِم بن مالِك [بن حَنْظَلَة بن مالِك] بن زيد مَنَاء بن تَمِيم.

هو وجريز والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين:

وهو وجريز والأخطل أشعرُ / طبقات الإسلاميين والمقدّم في الطبقة الأولى منهم. وأخباره تُذكر مفردة في ١٨٧ موضع آخر يتسع لها، ونذكرها هنا في هذا المعنى. فأخبرني خبره في ذلك جماعة. فممن أخبرني به أحمد بن عبدالعزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبَّة، وأخبرني به أبو خليفة إجازة عن محمد بن سَلَام، وأخبرني به محمد ابن العباس اليزيدي عن الشُّكْرِيِّ عن محمد بن حَبِيب عن أبي عُبَيْدَة وأبن الأعرابي، قال عمر بن شَبَّة خاصة في خبره حدثني محمد بن يحيى قال حدثني أبي:

حديث الفرزدق والنوار وذمه بني قيس وزهيرا وبني أم النسير لمعاونتهم إياها:

أنَّ عبدالله بن الزُّبَيْر تزوّج ثَمَاضِر بنت منظور بن زَبَّان، وأُثِمَّا مَلِيكَة بنت خارجة بن سِنَان بن أبي حارثة، فخاصم الفرزدق امرأته النَّوَّارَ إلى ابن الزُّبَيْر. هكذا ذكر محمد بن يحيى ولم يذكر السبب في الخصومة، وذكرها عمر بن شَبَّة ولم يَزُوها عن أحد، وذكرها ابن حَبِيب عن أصحابه، وذكرها أبو غَسَّان دَمَاز عن أبي عُبَيْدَة: أن رجلاً من بني أُمَيَّة خطب النَّوَّارَ بنت أَعْيَن المَجَاشِعِيَّة، فَرَضِيَّتْه وجعلت أمرها إلى الفرزدق. فقال لها: أشهدي لي بذلك على نفسك شهوداً ففعلت، واجتمع الناس لذلك. فتكلّم الفرزدق ثم قال: اشهدوا أنّي قد تزوّجتها وأصدقتها كذا وكذا، فأنا ابن عمّها / وأحقُّ بها. فبلغ ذلك النَّوَّارَ فأبته وأسترت من الفرزدق وجزعت ولجأت إلى بني قيس بن [٣٢٥/٩] عاصم المِنَقَرِي. فقال فيها:

بَنِي عَاصِمٍ لَا تُلْجِسُوها فإِنَّكُمْ مَلَجِيءٌ لِلشُّؤْءَاتِ دُسْمُ الْعَمَائِمِ^(١)
بَنِي عَاصِمٍ لَوْ كَانَ حَيّاً أَبوكُم لَلَّامٌ بَيْنَهُ الْيَوْمَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ

فقالوا: والله لئن زدت على هذين البيتين لتقتلتك غيلة. فنافرته إلى عبدالله بن الزُّبَيْر وأرادت الخروج إليه؛ فتحامى الناسُ كِراءَها. ثم إن رجلاً من بني عَدِيٍّ يقال له زُهَيْر بن ثَعْلَبَة وقوماً يُعْرِقُونَ ببني أُمِّ التُّسَيْرِ أَكْرَوْها؛ فقال الفرزدق:

(١) دسمت عمامتهم، أي وسخت وقدرت.

ولولا أن تقول بنو عدي
ألتكم يا بني ملكان عني
أليست أم حنظلة الثوار
فواف لا تقسمها^(١) التجار
يعني بالثوار ها هنا بنت جُل^(٢) بن عدي بن عبد مناة وهي أم حنظلة بن مالك بن زيد مناة وهي إحدى جداته . وقال فيها أيضاً:

سرى بالثوار عوهجي^(٣) يسوقه
توأم بلاد الأمن دائبة السرى
عبيد قصير الشبر^(٤) نائي الأقارب
إلى خير وال من لؤي بن غالب
فدونك عرسي^(٥) تبتغي نقض عهدي
وإبطال حقي باليمين الكواذب

[٣٢٦/٩] / وقال أيضاً:

ولولا أن أمي من عدي
إذا لآتى الدواهي^(٦) من قريب
وأنني كاره شخط الرباب
جزاء غير منصرف العقاب
وصلت على بني ملكان مئي
بجيش غير منتظر الإياب^(٧)

وقال لزهير أيضاً:

لبس العبد يحمل زهير
لقد أهدت وليدتنا إليكم
على أعجاز صرمته^(٨) نوار
عوائر^(٩) لا تقسمها التجار

١٨٨
أ

وقال لبني أم النسيير:

لعمري لقد أزدى الثوار وساقها
أطاعت بني أم النسيير فأصبحت
إلى الغور أحلام خفاف عقولها
على قتب يعلو الفلاة دليلها
وقد سخط مئي الثوار الذي أرتضى
به قبلها الأزواج خاب رجيلها

(١) لعله يريد أن التجار يرونها كلها في رحلاتهم لا ينقصون منها شيئاً لجودتها، فلا يختارون بعضها دون بعض لأنها كلها جيدة مختارة.

(٢) كذا في «شرح القاموس» مادة «جلل» و«النقائض» ص ٨٠٤ وفي الأصول: «حل» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

(٣) عوهجي: طولي العنق. يريد جملاً.

(٤) كذا في أ، م: و«النقائض». وقصير الشبر: متقارب الخطو. ونائي الأقارب: غريب بعيد عن أهله. وفي سائر الأصول: «السير» بالسين المهملة وهو تصحيف.

(٥) كذا في «النقائض»، وقد ورد فيها البيت هكذا:

فدونك عرسي تبتغي نقض عهدي
وفي الأصول: «فدونك أرسا» وهو تحريف.

(٦) كذا في «النقائض». وفي الأصول: «الزواهر» وهو تحريف.

(٧) لعله يريد أنه يغزو ويحتل فلا يعود ولا ينتظر إياه.

(٨) الصرمة: القطعة من الإبل نحو الثلاثين.

(٩) عوائر: سوائر. يريد قصائده.

وإن أمراً أمسى تحبب زوجتي كماش إلى أسد الشرى يستيلها^(١)
ومن دون أبوال الأسود بسالة وبسطة أيد يمنح الضيم طولها
وإن أمير المؤمنين لعالم بتأويل ما أوصى العباد رسولها
فدونكها يابن الزبير فإنها مولعة يوهي الحجارة قبلها

استشفعت النوار إلى ابن الزبير امرأته فاستشفع هو بابنه حمزة:

فلما قدمت مكة نزلت على بنت منظور بن زبآن، وأستشفعت بها إلى زوجها عبدالله. وأنضم الفرزدق إلى حمزة بن عبدالله بن الزبير، وأمه بنت منظور هذه، ومدحه فقال:

/ أصبحت قد نزلت بحمزة حاجتي إن المنوء بأسمه الموثوق
[٣٢٧/٩] الأبيات. وقال فيه أيضاً:

يا حمزُ هل لك في ذي حاجة غرَضت^(٢) أنضأؤه بمكان غير مطور
فأنت أخرى قريش أن تكون لها وأنت بين أبي بكر ومنظور
بين الحواري والصديق في شعب نثن في طيب الإسلام والخير

هذه الأبيات كلها من رواية أبي زيد خاصة. قالوا جميعاً: وقال في النوار:

هلمني لابن عمك لا تكوني كمختار على الفرس الحمارا
وقال فيها أيضاً:

تُخاصمني النوارُ وغاب فيها كراس الضب يلتمس الجرادا

قال أبو زيد في خبره خاصة: فجعل أمر الفرزدق يضعف وأمر النوار يقوى. وقال الفرزدق:

أما بُنوه^(٣) فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زبآن

نصوت

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرأ مثل الشفيع الذي يأتيك عرياناً

- غنت في هذا البيت عرب خفيف ثقل أول بالنصر - فبلغ ابن الزبير هذا فدعا النوار فقال: إن شئت فرقت بينكما وقتلته فلا يهجوناً أبداً، وإن شئت سيرته إلى بلاد العدو. فقالت: ما أريد واحدة منهما. قال: فإنه ابن عمك وهو فيك راغب، أفأزوجه إياك؟ قالت نعم. فزوجه إياها. فكان الفرزدق يقول: خرجنا متباغضين ورجعنا متحابين.

(١) كذا في ج: و«اللسان» مادة «بول» أي يأخذ بولها في يده. وفي الأصول: «يستيلها» بالغين المعجمة، وهو تحريف.

(٢) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «عرضت» بالعين المهملة. و«غرض» بالمكان: مل وضجر. والأنضاء: جمع نضو وهو المهزول من الإبل.

(٣) كذا في ج: و«التقاض» وفي سائر الأصول: «بنوك».

[٣٢٨/٩] / هددته ابن الزبير وعيره جلاء قومه تميم عن البيت فقال في ذلك شعراً:

أخبرني أحمد قال حدثني عمرو بن شبة قال قال عثمان بن سليمان:

شهدتُ الفرزدق يوم نازع الثوار فتوجه القضاء عليه، فأشفق من ذلك وتعرض لابن الزبير بكلام أغضبه، وكان
^{١٨٩}أبن الزبير حديداً. فقال له أبن الزبير: أيا ألام الناس! وهل أنت وقومك إلا جالية العرب! وأمر به / فأقيم. وأقبل
 علينا فقال: إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه؛ وأجمعت العرب عليها
 لما أنتهكت ما لم ينتهكه أحد قط فأجلتها من أرض تهامة. فلما كان في طائفة من ذلك اليوم لقيني الفرزدق فقال:
 هيه! أيعيرنا أبن الزبير جلاءنا^(١) عن البيت! إسمع! ثم قال:

فلما تَغَضَّبَ قريشٌ ثم تغضب	فلما الأرض ترعاها ^(٢) تميم
هم عَدَدُ النجوم وكل حي	سواهم لا تعد لهم نجوم
فلولا بنت ^(٣) مُرٍّ من نزار	لما صَحَّ المَنَابِتُ والأديم
بها كثر العديذ وطاب منكم	وغيركم أحد ^(٤) الرِّيشِ هيم
فمهلًا عن تذلل من عززتم	بخولته وعز به الحميم
أعبد الله مهلاً عن أذاتي	فلأني لا الضعيف ولا السؤوم
ولكنني صفاة لم تؤنس ^(٥)	نزل الطير عنها والعصوم ^(٦)
/ أنا أبن العاقِرِ الخور ^(٧) الصَّفَايَا	بصؤور ^(٨) حيث فتحت العكسوم ^(٩)

[٣٢٩/٩]

وذكر الزبير بن بكار عن عمه أن عبدالله بن الزبير لما حكم على الفرزدق قال: إنما حكمت علي بهذا لأفارقها فتشبه
 عليها؛ وأمر به فأقيم، وقال له ما قال في بني تميم. قال: ثم خرج عبدالله بن الزبير إلى المسجد فرأى الفرزدق في
 بعض طرق مكة وقد بلغته أبياته التي قالها، فقبض أبن الزبير على عنقه فكاد يذُقها، ثم قال:

(١) في الأصول: «أيعيرنا ابن الزبير بجلائنا» وهي لغة رديئة.

(٢) كذا صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته. وفي جد: «ترغها» وهو تصحيف عن «ترعها». وفي سائر الأصول: «ترضاها» وهو تحريف.

(٣) كذا صححها الأستاذ الشنقيطي. وفي الأصول: «نبت» وهو تصحيف.

(٤) أحد الريش: قصيره. والهيم: العطاش. ولعله يكنى بذلك عن الضعف والذلة.

(٥) كذا في جد ونسخة الشنقيطي. وتؤنس: تكسر. وفي سائر الأصول: تؤنس بالنون، وهو تصحيف.

(٦) لعله جمع عصم (بالضم) الذي هو جمع عصماء. والعصم الظباء.

(٧) كذا صححها الأستاذ الشنقيطي. والخور: جمع خؤارة، وهي الغزيرة اللبن من النوق والشاء، على غير قياس. وفي جد: «الجول» والجول: الجماعة من الإبل. وفي سائر الأصول: «الحور» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

(٨) صومر: ماء لكلب فوق الكوفة مما يلي الشام، وهو الماء الذي تعافر عليه غالب بن صعصعة أبو الفرزدق وسحيم بن وثيل الرياحي، وكان قد عقر غالب ناقة وفرقها على بيوت الحي، وجاء إلى سحيم منها بجفنة، فغضب سحيم وردّها فقام وعقر ناقة؛ فعقر غالب أخرى وتعافرا حتى أقصر سحيم.

(٩) العكوم: جمع عكم، وهو العدل (بكسر العين) أو الكارة وهي وعاء الثياب والطعام. لعله يريد أنه ينهب ما تحمله هذه النوق ثم يذبحها.

لقد أصبحت عرسُ الفرزدق ناشِراً ولو رضى رَمَحَ أَسْتِه^(١) لاستقرت
قال الزُّبَيْر: وهذا الشعر لجعفر بن الزُّبَيْر.

ما كان بينه وبين ابن الزبير بعد ما قال له ما حاجتك بالنوار وقد كرهتك:

أخبرنا أبو خَلِيفَة قال أخبرنا ابن سَلَام قال أخبرنا إبراهيم بن حَبِيب الشَّهيد قال:

قال ابن الزُّبَيْر للفرزدق: ما حاجتك بها وقد كرهتك! كُنْ لها أكره وخلٌ سبيلها. فخرج وهو يقول: ما أمرني بطلاقها إلا لَيْثَبَ عليها. فبلغ ذلك ابنَ الزُّبَيْر فخرج وقد أستهلَّ هلالَ ذي الحِجَّةِ وليس ثيابَ الإحرام يريد البيتَ الحَرَامَ، فألقى الفرزدقُ بباب المسجد عند الباعة، فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسه بين ركبتيه وقال:

لقد أصبحت عرسُ الفرزدقِ ناشِراً ولو رضى رَمَحَ أَسْتِه لاستقرت

قال الزُّبَيْر: وهذا البيت لجعفر بن الزبير.

[٣٣٠/٩]

/ هجاء جعفر بن الزبير فنهأه أخوه عن ذلك:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّه عن محمد بن يحيى عن أبيه قال:

لما قال الفرزدق في ابن الزُّبَيْر:

أما بنوه فلم تُقْبَلْ شفاعتهم وشُقْعَتْ بنتُ منظور بن زَيْناتَا

قال جعفر بن الزُّبَيْر:

ألا تِلْكُمْ عِرسُ الفرزدقِ جَامِحاً ولو رضى رَمَحَ أَسْتِه لاستقرت

فقال عبدالله بن الزُّبَيْر: أَتَجْزُرُنَا كَلْباً^(٢) من كلاب بني تميم! لئن عُدْتُ لم أَكَلُمُكَ أبداً.

قال: وتَمَاضِرُ التي عَنَاهَا الفرزدقُ أُمُّ حُبَيْبٍ وثابتُ ابْنَيْ عبدالله بن الزُّبَيْر. ومات عند / عبدالله، فتزوج أختها^{١٩٨} أُمُّ هاشم فولدت له هاشماً وحَمْزَةً وَعَبَّاداً.

قال: وفي أم هاشم يقول الفرزدق يستعينا على ابن الزُّبَيْر ويشكو طولَ مُقَامِهِ:

تروِّحُ الرُّكْبَانُ يا أُمُّ هاشم وهُنَّ مُنَاخَاتُ لَهْنٍ خَيْنٍ

وُخَيْسِنٌ^(٣) حتى ليس فيهنَّ نَافِقٌ لَيْسَ ولا مَرَكُوبُهُنَّ سَمِينٌ

قال: وهذا يدلُّ على أن النَّوَارَ كانت استعانتُ بأم هاشم لا بتماضِر.

فلما أذنت النوار في تزويجها منه استعان في مهرها سلم بن زياد فأعانه:

فما أَذْنَتِ النَّوَارُ لعبدالله في تزويجها بالفرزدق حكم لها عليه بمهر مثلها عشرة آلاف درهم. فسأل: هل بمكة

أحد يُعِينُهُ؟ فدلَّ على سَلَم بن زياد، وكان ابنُ الزُّبَيْر حَبْسَهُ، فقال فيه:

(١) رمح الأست: الكناية فيه واضحة.

(٢) يقال: أجزرت القوام إذا أعطيتهم شاة يذبحونها. يريد: أتعرض أعراضنا للفرزدق ينهشها.

(٣) وخيسن: لم يصرحن.

دَعِي مُغْلِقِي الْأَبْوَابِ دُونَ فَعَالِهِمْ وَمُرِّي تَمَشُّي بِي - هُيَلَتْ - إِلَى سَلَمٍ
إِلَى مَنْ يَرَى الْمَعْرُوفَ سَهْلًا سَبِيلَهُ وَيَفْعَلُ أَفْعَالَ الْكَرَامِ الَّتِي تَنْمِي
[٢٣١/٩] / ثم دخل على سلم فأنشده. فقال له: هي لك ومثلها نفقتك، ثم أمر له بعشرين ألفاً فقبضها. فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاصي الثقفي: أنعطي عشرين ألفاً وأنت محبوس! فقال:

أَلَا بَكَرْتُ عِرْسِي تَلُومُ سَفَاهَةً عَلَى مَا مَضَى مِنِّي وَتَأْمُرُ بِالْبَخْلِ
فَقُلْتُ لَهَا وَالْجُودُ مِنِّي سَجِيَّةٌ وَهَلْ يَمْنَعُ الْمَعْرُوفُ سُؤَالَهْ مِثْلِي
ذَرِنِي فَلَاتِي غَيْرَ تَارِكٍ شَيْئِي وَلَا مُقْصِرٍ عَنِ السَّمَاةِ وَالْبَذْلِ
وَلَا طَارِدٍ ضَيْفِي إِذَا جَاءَ طَارِقاً فَقَدْ طَرَقَ الْأَضْيَافُ شَيْخِي مِنْ قَبْلِي
أَبْخَل! إِنَّ الْبَخْلَ لَيْسَ بِمُخْلِدٍ وَلَا الْجُودُ يُذْنِبُنِي إِلَى الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ
أَبِيعْ بَنِي حَرْبٍ بِآلِ خُوَيْلِدٍ^(١) وَمَا ذَاكَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْبَيْعِ بِالْعَدْلِ
وَأَشْرِي^(٢) أَبْنَ مَرْوَانَ الْخَلِيفَةَ طَائِعاً بَنَجْلَ بَنِي الْعَوَّامِ! قُبْحٌ مِنْ نَجْلِ
فَإِنْ تَطَهَّرُوا لِي الْبَخْلَ آلُ خُوَيْلِدٍ فَمَا دَلَّكُمْ دَلِّي وَلَا شَكَلَكُمْ شَكْلِي
وَإِنْ تَقَهَّرُونِي حَيْثُ غَابَتْ عَشِيرَتِي فَمَنْ عَجَبَ الْأَيَّامِ أَنْ تَقَهَّرُوا مِثْلِي

لم تحسن النوار عشرته فتزوج عليها حذراء بنت زيق ومدحها وذم النوار:

قال دَمَازٌ فِي خَبْرِهِ: ثُمَّ اصْطَلَحَا وَرَضِيَتْ بِهِ، وَصَاقَ إِلَيْهَا مَهْرَهَا وَدَخَلَ بِهَا وَأَحْبَلَهَا قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مَكَّةَ ثُمَّ خَرَجَ بِهَا وَهِيَ عَدِيلَانِ فِي مَخْمَلٍ. فَكَانَتْ لَا تَزَالُ تُشَارُهُ وَتَخَالِفُهُ، لِأَنَّهَا كَانَتْ صَالِحَةً حَسَنَةَ الدِّينِ وَكَانَتْ تَكْرَهُ كَثِيرًا مِنْ أَمْرِهِ. فَتَزَوَّجَ عَلَيْهَا حَذْرَاءُ بِنْتُ زَيْقِ بْنِ سِطْطَامِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هَمَّامِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ ذُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ، فَتَزَوَّجَهَا عَلَى مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ. فَقَالَتْ لَهُ النَّوَّازُ: وَيْلَكَ! تَزَوَّجْتَ أَعْرَابِيَّةً دَقِيقَةَ السَّاقِينَ بِوَالَةٍ عَلَى عَقَبَيْهَا عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ! فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ يَفْضُلُهَا عَلَيْهَا وَيُعِيرُهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَرْبِيهَا أُمَةً:

[٢٣٢/٩] / لَجَارِيَةٌ بَيْنَ السَّلِيلِ عُرُوقُهَا وَبَيْنَ أَبِي الصُّهْبَاءِ^(٣) مِنْ آلِ خَالِدٍ
أَحَقُّ بِالْغُلَاءِ الْمُهَوَّرِ مِنَ الَّتِي رَبَّتْ وَهِيَ تَنْزُو فِي حُجُورِ الْوَلَانِدِ
ومدحها أيضاً فقال:

١٩١ / عَقِيلَةٌ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ تَرْفَعُهَا دَعَائِمٌ لِلْعُلَا مِنْ آلِ هَمَّامٍ
مِنْ آلِ مُرَّةَ بَيْنَ الْمُسْتَضَاءِ بِهِمْ مِنْ رَهْطِ صَيْدِ مَصَالِيَتٍ وَحُكَّامٍ
بَيْنَ الْأَحَاوِصِ^(٤) مِنْ كَلْبٍ مُرَكَّبُهَا وَبَيْنَ قَيْسِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسِطْطَامٍ

(١) خويلد: هو الجد الثاني لابن الزبير.

(٢) أشري: أبيع.

(٣) أبو الصهباء: يعني سباطم بن قيس. والسلييل: هو السليل بن قيس أخو سبطام.

(٤) الأحاوِص: عوف وعمرو وشريح وربيعه، أولاد الأحوص بن جعفر بن كلاب.

وقال أيضاً يمدحها ويعرض بالنوار:

لَعَمْرِي لأَعْرَابِيَّةٌ فِي مَظَلَّةٍ^(١) تَظَلُّ بِأَعْلَى^(٢) يَتَهَا الرِّيحُ تَخْفِقُ
كَأَمْ غَزَالٍ أَوْ كَدُرَّةٍ غَائِصٍ إِذَا مَا أَنْتَ مِثْلَ الْغَمَامَةِ تُشْرِقُ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ ضِنَّاكَ^(٣) ضِفْنَسَةٍ إِذَا وَضِعَتْ عَنْهَا الْمِرَاوِحُ تَغْرَقُ
فَقَالَ بَعْضُ^(٤) بَاهِلَةٍ يُجِيبُهُ:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غُولٍ مُغْوَلَةٍ كَأَنَّ حَافِرَهَا فِي الْحَدِّ ظُنْبُوبٌ^(٥)
تَسْتَرْوِحُ الشَّاةَ مِنْ مِيلٍ إِذَا دُبِحَتْ حُبَّ اللَّحَامِ كَمَا يَسْتَرْوِحُ الذَّيْبُ

هاجاء جرير بإغواء النوار:

وَأَغْضَبَ الْفَرَزْدَقُ النَّوَارَ بِمَدْحِهِ إِيَّاهَا، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَأُخْزِيَنَّكَ يَا فَاسِقُ! وَبَعَثَتْ إِلَى جَرِيرٍ فَجَاءَهَا؛ فَقَالَتْ: أَلَا تَرَى مَا قَالَ لِي الْفَاسِقُ! وَشَكَتْ إِلَيْهِ. فَقَالَ:

[٣٣٣/٩]

/ فَلَا أَنَا مُعْطِي الْحُكْمِ عَنْ شَيْءٍ^(٦) مَنَصِبٍ وَلَا عَنْ بَنَاتِ الْحَنْظَلِيِّينَ رَاغِبٍ
وَهَنْ كَمَاءِ الْمُزْنِ يُنْفَى بِهِ الصَّدَى وَكَانَتْ مِلَاحاً غَيْرَهُنَّ الْمَشَارِبُ
لَقَدْ كُنْتُ أَهْلًا أَنْ تَسُوقَ دِيَاتِكُمْ^(٧) إِلَى آلِ زَيْقٍ أَنْ يَعْيِكَ عَائِبُ
وَمَا عَدَلْتُ ذَاتُ الصَّلِيبِ^(٨) ظُعِينَةً عُتْبِيَّةٌ وَالرَّدْفَانِ مِنْهَا وَحَاجِبُ
أَلَا رُبَّمَا لَمْ تُعْطِ زَيْقًا بِحُكْمِهِ وَأَدَّى إِلَيْنَا الْحُكْمَ وَالْعُلَّ^(٩) لَا زِبُ

(١) المظلة (بفتح الميم وكسرهما): الخباء الكبير.

(٢) في حد و«النقائض» «بروقي بيتها». والروق من البيت: رواقه أي شقته التي دون الشقة العليا.

(٣) الضنك (بكسر الضاد): الضخمة من النساء. والصفنة (بكسر الضاد وفتح الفاء وكسرهما وتشديد النون): الحمقاء مع عظم خلق.

(٤) هو عبدالله بن الحجاج بن عبدالله المعروف بالأصم الباهلي.

(٥) في حد و«النقائض»: «في حد ظنبوب». والظنبوب: حرف الساق اليايس من قدم. وبعده في «النقائض»: وركبناها سلاح ما يقوم لها إلا الشياطين في تلك الأعاريب

(٦) الشف (ها هنا) النقصان، وقد يكون الشف الفضل أيضاً. («النقائض» ص ٨٠٧).

(٧) أي لقد كنت أهلاً أن يعيبك عائب لأجل سوقك الديات إلى آل زيق. والمراد بالديات المائة من الإبل التي ساقها الفرزدق مهراً إلى آل زيق.

(٨) ذات الصليب: يريد بها حدراء، وذلك أن أجدادها كانوا نصاري فغيره ذلك. وطمعينة: امرأة. والأصل في الطمعينة المرأة تكون على

البعير، ثم استعمل العرب الطمعينة حتى صيروا المرأة طمعينة بغير بعير. وعتيبة: يريد عتيبة بن الحارث بن شهاب بن عبد قيس بن

كناس بن جعفر بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وقد رأس وكان فارس مضر في زمانه. وحاجب: هو

حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم. والرمدان هما: عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع، وعوف بن عتاب بن

هرمي، والرمد: الذي يردف الملك يعادله في ركوبه ويجلس في مجلسه إذا قام من مجلسه. («النقائض» ص ٨٠٨ إلى ٨٠٩

ببعض تصرف).

(٩) كذا في «النقائض» وفي الأصول: «والنعل» وهو تحريف. ولازب: لازم.

حَوَيْنَا أبا زَيْقٍ وَزَيْقاً وَعَمَّهُ وَجَدُّهُ زَيْقٍ قَدْ حَوْنَهَا الْمَقَانِبُ^(١)

فأجابه الفرزدق بقصيدة منها:

أَلَسْتُ إِذِ الْقَعَاءِ^(٢) أَنْسَلَ^(٣) ظَهْرُهَا إِلَى آلِ بَسْطَامٍ بِنِ قَيْسٍ بِخَاطِبٍ
/ قَتَلَ مِثْلَهَا مِنْ مِثْلِهِمْ ثُمَّ لَمْ يَمْ
فَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَكْفَاءِ حَذْرَاءَ لَمْ تَلُمُ عَلَى دَارِمِيِّ بَيْنَ لَيْلَى وَغَالِبِ
وَأَنِّي لِأَخْشَى إِنْ خَطَبْتَ إِلَيْهِمْ عَلَيْكَ التِّي لَاقَى يَسَارُ الْكَوَاعِبِ

[٣٣٤/٩]

- يَسَارٌ كَانَ عَبْدًا لِبَنِي عُدَانَةَ، فَأَرَادَ مَوْلَاتَهُ عَلَى نَفْسِهَا، فَهَنَتْهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَالْحُ فَوَعَدَتْهُ، فَجَاءَ فَقَالَتْ لَهُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْخُرَكَ فَإِنْ رَاحَتْكَ مَتَغَيَّرَةً؛ فَوَضَعْتُ تَحْتَهُ مِجْمَرَةً وَقَدْ أَعَدْتُ لَهُ حَدِيدَةً حَادَّةً، فَأَدْخَلْتُ يَدَهَا فَقَبَضْتُ عَلَى ذِكْرِهِ وَهُوَ يَرَى أَنَّ ذَلِكَ لَشَيْءٍ، فَقَطَعْتُهُ بِالْمُوسَى؛ فَقَالَ: «صَبْرًا عَلَى مَجَامِرِ الْكَرَامِ» فَذَهَبَتْ مِثْلًا - عَادَ الشَّعْرُ:

وَلَوْ قَبِلُوا مُنِي عَطِيَّةً سَقَتْهُ إِلَى آلِ زَيْقٍ مِنْ وَصِيفٍ مُقَارِبٍ^(٤)
هُمْ زَوَّجُوا قَبْلِي ضِرَارًا وَأَنْكَحُوا لَقِيطًا وَهُمْ أَكْفَاؤُنَا فِي الْمَنَاسِبِ
وَلَوْ تَنَكَّحَ الشَّمْسُ النُّجُومَ بَنَاتِهَا إِذَا لَنَكْنَاهُنَّ قَبْلَ الْكَوَاكِبِ

وقال جرير:

/ يَا زَيْقُ أَنْكَحْتَ قَيْنًا بِاسْتِهِ حَمَمٌ يَا زَيْقُ وَنَحَكَ مَنْ أَنْكَحْتَ يَا زَيْقُ^(٥)
غَابَ الْمَثَلِيُّ فَلَمْ يَشْهَدْ نَجِيكُمَا وَالْحَوْفُ فَزَانٌ وَلَمْ يَشْهَدْكَ مَفْرُوقٌ
أَيْنَ الْأَلَى أَنْزَلُوا النِّعْمَانَ مُقْتَسِرًا أَمْ أَيْنَ أَبْنَاءُ شَيْبَانَ الْغَرَانِيْقُ
يَا رَبُّ قَائِلَةٍ بَعْدَ الْبِنَاءِ بِهَا لَا الصُّهْرُ رَاضٍ وَلَا أَبْنُ الْقَيْنِ مَعشُوقٌ

١٩٢
٨

وقال الفرزدق^(٦) لجرير في هذا:

إِنْ كَانَ أَنْفُكَ قَدْ أَغْيَاكَ مَحْمَلُهُ فَأَرْكَبْ أَتَانَكَ ثُمَّ أَخْطُبْ إِلَى زَيْقٍ

/ قَالَ: وَلا مَهَ الْحَجَّاجَ وَقَالَ: أَنْزَوَجْتَ ابْنَةَ نَصْرَانِيٍّ عَلَى مَائَةِ نَاقَةٍ؟ قَالَ: وَمَا هِيَ فِي جُودِ الْأَمِيرِ قَالَ: فَاشْتَرَى الْإِبِلَ وَسَاقَهَا. [٣٣٥/٩]

رَأَى فِي طَرِيقِهِ إِلَى حَدْرَاءَ كِبْشًا مَذْبُوحًا فَتَشَامَمَ بِمَوْتِهَا وَشَعَرَهُ حِينَ أَخْبَرَ بِوَفَاتِهَا:

فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ وَمَعَهُ أَوْفَى بْنُ خَنْزِيرٍ أَحَدُ بَنِي الثَّيْمِ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ دَلِيلُهُ رَأَى كِبْشًا مَذْبُوحًا،

(١) المقانِب: جمع مقنب، وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة.

(٢) القعساء من النساء: الداخلة الصلب العظيمة البطن. وإنما عني ها هنا أتاناً. يعني أن بني كليب قالوا لجرير: مالك وقد حسنت حال

أعبارك لا تأتي آل بسطام فتخطب إليهم كما فعل الفرزدق. («النقائض» ص ٨١٣).

(٣) كذا في «النقائض». وأنسل ظهرها أي طرقت فسقط وبرها القديم ونبت وبر جديد وذلك لسمتها. وفي الأصول: «أنسل ظهرها».

(٤) عطية: هو أبو جرير. والمقارب: الدون، وقيل: هو الوسط بين الجيد والردى.

(٥) راجع هذا الشعر وشرحه في ترجمة جرير في الجزء الثامن من هذه الطبعة ص (٨٥ - ٨٦).

(٦) في الأصول: «وقال جرير للفرزدق» وقد صححها كما أثبتناها الأستاذ الشنقيطي في نسخته.

فقال: يا أوفى، هلكت والله حذراء! قال: ما لك بذلك من علم! فلما بلغ قال له بعض قومها: هذا البيت فأنزل، وأما حذراء فهلكت. وقد عرفنا الذي يصيبكم في دينكم من ميراثها وهو النصف فهو لك عندنا. فقال: لا والله لا أزرأ منه قطميراً، وهذه صدقتها^(١) فاقبضوها. فقال: يا بني دارم! والله ما صاهرنا أكرم منكم. قال: وفي هذه القصة يقول الفرزدق:

عجبت لحادي بنا المقم سيرة	بنا موجفات من كلال وظلعا
ليذنبنا ممن إلينا لقاءه	حيب ومن دار أزدنا لتجمعنا
ولو يعلم الغيب الذي من أماننا	لكر بنا حادي المطي فأسرعا
يقولون زُر حذراء والثرب دونها	وكيف بشيء وصله قد تقطعا
وما مات عند أبني المراغة مثلها	ولا تبعثه ظاعناً حيث ودعا
يقول أبن خنزير بكيت ولم تكن	على امرأة عينا أخيك لتذمعا
وأهون زُر لأمريء غير جازع	رزئة مُرتج الروادف أفرعا

استعان الحجاج في مهر حذراء فعذله فشفع له عبسة بن سعيد:

وقال ابن سلام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه قال حدثني حاجب بن زيد وأبو الغراف قالا:

تزوج الفرزدق حذراء بنت زيقي بن بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجذنين وهو عبدالله بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان على حكم أبيها، فاحتكم مائة من الإبل. فدخل على الحجاج/ فعذله فقال: أتزوجتها على حكمها وحكم أبيها مائة بعير وهي نصرانية وجئتنا متعرضاً أن نسوقها عنك! [٣٣٦/٩] أخرج ما لك عندنا شيء! فقال عبسة بن سعيد بن العاصي وأراد نفعه: أيها الأمير، إنها من حواشي إبل الصدقة؛ فأمر له بها. فوثب عليه جرير فقال:

يا زيقي قد كنت من شيبان في حسب	يا زيقي وينحك من أنكحت يا زيقي
أنكحت وينحك قيناً بأسته حمم	يا زيقي وينحك هل بارت بك الشوق

ثم ذكر باقي القصيدة بمثل رواية دماذ.

أراد أن تحمل حذراء فاعتلوا بموتها وشعر لجرير في ذلك:

قال ابن سلام: وأراد الفرزدق أن تحمل؛ فاعتلوا عليه وقالوا: ماتت، كراهة أن يهتك جرير أعراضهم. فقال جرير:

/ وأقسم ما ماتت ولكنك التوى	بحذراء قوم لم يرؤك لها أهلاً
رأوا أن صهر القين عار عليهم	وأن لبسطام على غالب فضلاً
إذا هي حلت مسحلان ^(٢) وحاربت	بشيبان لاقى القوم من دونها شغلاً

(١) الصدقة: المهر.

(٢) مسحلان: موضع في بلاد بني يربوع.

وحذرَاء هذه هي التي ذكرها الفرزدق في أشعاره. ومن ذلك قوله:

صوت

عَزَفْتَ بِأَعْيَاشٍ^(١) وَمَا كِدْتَ تَعْرِفُ وَأَنْكَرْتَ مِنْ حَذْرَاءَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ
وَلَسَّ بِكَ الْهَجْرَانُ حَتَّى كَأَنَّمَا تَرَى الْمَوْتَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتَ تَأَلَّفُ^(٢)

عروضه من الطويل. عَزَفْتَ عن الشيء أنصرفت عنه، عَزَفَ يَعْزِفُ عَزُوفًا. الشعر للفرزدق. والغناء لسلسل، ثاني ثقبيل بالوسطى. وفيه لحنٌ للغريض من الثقبيل الأول بالبصر من رواية حَبَش.

[٣٣٧/٩] قصة ما كان بينه وبين ابن أبي بكر بن حزم حين أنشده من شعر حسان في المسجد:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي قالا حدثنا أبو سعيد الشكري قال حدثنا محمد بن حبيب وأبو غسان دَمَازُ عن أبي عبيدة قال قال اليزبوعي:

قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري: قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان. قال: فإني والفرزدق وكثيراً لجلوس في المسجد نتناشد الأشعار، إذ طلع علينا غلامٌ شَخْتُ^(٣) أَدَمٌ في ثوبين مُمَصَّرين (أي مصبوغين بصُفْرَة غير شديدة) ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلم، فقال: أيُّكم الفرزدق؟ فقلنا مخافة أن يكون من قريش: أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها! فقال: لو كان كذلك لم أقل هذا له. فقال له الفرزدق: ومن أنت لا أم لك؟! قال: رجل من بني الأنصار ثم من بني النجار ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم. بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب وتزعم مَضَر ذلك لك، وقد قال صاحبنا حسان شعراً فأردت أن أعرضه عليك وأؤجلك سنة؛ فإن قلت مثله فانت أشعر العرب وإلا فانت كذاب مُتَّحِل.

ثم أنشده قول حسان:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسِيفُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةِ دَمَا

مَتَى مَا تَزُرُنَا مِنْ مَعَدٍّ عَصَابَةٌ وَغَسَّانَ نَمْنَعُ حَوْضَنَا أَنْ يَهْدِمَا

- قيل إن قوله: «وغسان» ها هنا قسم أقسم به، لأن غسان لم تكن تغزوهم مع مَعَدٍّ.

أَبَى فَعَلْنَا الْمَعْرُوفَ أَنْ نَنْطِقَ الْخَنَا وَقَائِلُنَا بِالْعُرْفِ إِلَّا تَكَلَّمَا

وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَأَبْنَى مُحَرَّقٍ فَأَكْرِمَ بَنَا خَالًا وَأَكْرِمَ بَنَا أَبْنَمَا

[٣٣٨/٩] فأنشده القصيدة إلى آخرها وقال له: إني قد أجلك فيها حولاً، ثم أنصرف. وأنصرف الفرزدق مُغَضَّباً يسحب

رداءه ما يَدْرِي أَيَّ طَرِيقٍ يَسْلُكُ، حتى خرج من المسجد. قال: فأقبل كثيرٌ عليّ فقال: قاتل الله الأنصاري! ما أفصح لهجته، وأوضح حجته، وأجودَ شعره! قال: فلم نزل في حديث الفرزدق والأنصاري بقية يومنا. حتى إذا كان الغد خرجت من منزلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس؛ وأتاني كثيرٌ فجلس معي. فإنا لتتذاكر الفرزدق ونقول: ليت

(١) أعشاش: موضع في بلاد بني تميم لبني يربوع بن حنظلة.

(٢) في «النفاذه»: «الذي كنت تألف» وهي لغة تميم.

(٣) الشخت: الدقيق الضامر أصلاً لا هزالاً.

شعري ما فعل، إذ طلع علينا في حِلَّةِ أَفْوَافٍ^(١) يَمَانِيَّةٍ مُوشَّاةٍ، له غَدِيرَتَانِ، حتى / جلس في مجلسه بالأمس، ثم ١٩٤
قال: ما فعل الأنصاري؟ قال: فَنَلْنَا مِنْهُ وَشَتَمْنَاهُ. فقال: قَاتِلْهُ اللَّهُ! مَا رُمِيتُ بِمِثْلِهِ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِ شَعْرِهِ! فَارْقَتُكُمَا
فَأَتَيْتُ مَنْزِلِي فَأَقْبَلْتُ أَصْعَدَ وَأَصَوَّبَ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنَ الشَّعْرِ، فَلَكَائِي مُفَحِّمٌ أَوْ لَمْ أَقُلْ قَطُّ شَعْرًا حَتَّى نَادَى الْمَنَادِي
بِالْفَجْرِ، فَرَحَلْتُ نَاقَتِي ثُمَّ أَخَذْتُ بِزِمَامِهَا فَقُدْتُهَا حَتَّى أَتَيْتُ ذِيَابًا^(٢)، ثُمَّ نَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَخَاكُمُ أَبَا لُبْنَى - وَقَالَ
سَعْدَانُ^(٣): أَبَا لَيْلَى! - فَجَاشَ صَدْرِي كَمَا يَجِيشُ الْمِرْجَلُ، ثُمَّ عَقَلْتُ نَاقَتِي وَتَوَسَّدْتُ ذِرَاعَهَا؛ فَمَا قُمْتُ حَتَّى قَلْتُ
مِائَةً وَثَلَاثَةَ عَشَرَ بَيْتًا. فَبَيْنَا هُوَ يُنْشِدُنَا، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى أُنْتَهَى إِلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا إِنِّي لَمْ أَتِكَ
لَأُعْجِلَكَ عَنِ الْأَجْلِ الَّذِي وَقَّعْتُ لَكَ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَلَّا أَرَكَ إِلَّا سَأَلْتُكَ عَمَّا صَنَعْتَ. فقال: اجلس، ثم أنشده:

عَزَفْتُ بِأَغْشَاشٍ وَمَا كَذْتُ تَغْرِفُ

فَلَمَّا فَرَغَ الْفَرَزْدَقُ مِنْ إِنْشَادِهِ قَامَ الْأَنْصَارِيُّ كَثِيرًا. فَلَمَّا تَوَارَى طَلَعَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ فِي
مَشِيخَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمُوا عَلَيْنَا وَقَالُوا: / يَا أَبَا فِرَاسٍ، قَدْ عَرَفْتَ حَلَلَنَا وَمَكَانَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوَصِيَّتَهُ بِنَا. [٣٣٩/٩]
وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ سَفَهَاتِنَا تَعْرُضُ لَكَ، فَسَأَلْنَاكَ بِاللَّهِ لَمَّا حَفِظْتَ فِينَا وَصِيَّةَ النَّبِيِّ ﷺ وَوَهَبْتَنَا لَهُ وَلَمْ تَفْضَحْنَا.
قال إبراهيم بن محمد: فأقبلتُ أكلِّمُهُ أَنَا وَكَثِيرٌ؛ فَلَمَّا أَكْثَرْنَا عَلَيْهِ قَالَ: إِذْهَبُوا فَقَدْ وَهَبْتُمْ لِهَذَا الْقُرَشِيِّ.

قال: وقد كان جَرِيرٌ قَالَ:

أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الطَّرُوبُ الْمُكَلَّفُ أَفَنُقِ زُبْمًا يَنْأَى هَوَاكَ وَيُسْعِفُ
ظَلَمْتَ وَقَدْ خَبَرْتُ أَنَّ لَسْتَ جَازِعًا لِرَبْعِ بَسُلَمَاتَيْنِ^(٤) عَيْنُكَ تَذْرُفُ

فَجَعَلَ الْفَرَزْدَقُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ نَقِيضَةً لَهَا.

نسبة ما في الخبر من الإكواء

منها:

قصيدة

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَخْدَةٍ دَمًا
وَلَسَدُنَا بَنَى الْعَنْقَاءِ وَأَبْنَى مُحَرَّقٍ فَأَكْرَمُ بِنَا خَالًا وَأَكْرَمُ بِنَا أَبْنَمًا

عروضه من الطويل. الشعر لحسان بن ثابت. والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة.

ما كان بين النابغة وحسان بسوق عكاظ حين مدح النابغة الخنساء:

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثني محمد بن سعد الكُرَاني عن أبي عبد الرحمن الثقفي، وأخبرني

(١) الأفواف: جمع فوف (بالضم) وهو القطن.

(٢) ذياب (رواه الحزامي بكسر أوله والعمرائي بضمه): جبل بالمدينة.

(٣) لم يتقدم في سند هذا الخبر شخص بهذا الاسم.

(٤) سلمانان (بضم أوله وتكرير النون): اسم موضع، تضاف إليه البرقة المعروفة ببرقة سلمانين. (راجع «معجم البلدان» في سلمانين و «برقة سلمانين»).

أحمد بن عبدالعزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب الصائغ عن ابن قتيبة: [٣٤٠/٩] / أن نابغة بني ذبيان كان تُضرب له قبة من آدم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره وأنشدته الخنساء قولها:

قَذَى بَعِينِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ

حتى أنتهت إلى قولها:

وإن صخرأ لتأتُمُّ الهدأة به كأنه عَلمٌ في رأسه ثار
وإن صخرأ لمولانا وسيذنا وإن صخرأ إذا نشئوا لتخار

١٩٥ فقال: لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك لقلت: إنك أشعر الناس! أنت والله أشعر من كل ذات / مثانة^(١). قالت: والله ومن كل ذي خُصيتين. فقال حسان: أنا والله أشعر منك ومنها. قال: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

لنا الجففاتُ الغرَّ يَلْمَعُنُ بالضحى وأسيافنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَمًا
ولذنا بنسي العنقاء وأبني محرقٍ فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا أبتما

فقال: إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. وفي رواية أخرى: فقال له: إنك قلت «الجففات» فقللت العدد ولو قلت «الجفان» لكان أكثر. وقلت «يلمع في الضحى» ولو قلت «يبرقن بالدجى». لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً. وقلت «يقطرن من نجدة دمًا» فدللت على قلة القتل ولو قلت «يجرين» لكان أكثر لانصباب الدم. وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. فقام حسان منكسراً منقطعاً.

مما يغني فيه من قصيدة الفرزدق الفائية قوله:

صوت

تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وإن نحن أَوْمانا إلى الناس وَقَفُوا
فيه رَمَلٌ بالوسطى، يقال: إنه لابن شريح، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي.

[٣٤١/٩] / انتحل بيتا لجميل:

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد الكلابي قال:

وقف الفرزدق على جميل والناس مجتمعون عليه وهو يُشيد:

تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وإن نحن أَوْمانا إلى الناس وَقَفُوا
فأشعر إليه رأسه من وراء الناس وقال: أنا أحقُّ بهذا البيت منك. قال: أنشدك الله يا أبا فراس! فمضى الفرزدق وانتحله.

(١) المثانة: المراد بها هنا موضع الولد من الأنثى.

عرض هو وكثير كل منهما للآخر أنه سرق بيتاً من جميل :

أخبرني الحرَمي بن أبي العلاء قال حَدَّثني الزُّبَيْر قال حَدَّثني أبي عن جَدِّي :

أن الفرزدق لقي كثيراً فقال له : ما أشعرك يا كثير في قولك :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى بكلّ سبيل

فعرض له بسرقة إياه من جميل :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى على كلّ مَرَقِبِ

فقال له كثير : أنت يا فرزدق أشعر مني في قولك :

تَرى الناس ما سِرنا يَسِيرُون خَلْفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

- قال : وهذا البيت لجميل سرقه الفرزدق - فقال الفرزدق لكثير : هل كانت أُمّك تَرُدُّ البصرة؟ قال : لا ولكن أبي كان نزيلاً لأُمّك .

أخبرني الحرَمي قال حَدَّثنا الزُّبَيْر قال حَدَّثني محمد بن إسماعيل عن عبدالعزيز بن عِمْران عن محمد بن عبدالعزيز عن ابن شهاب عن طَلْحَةَ بن عبد الله بن عَوْف قال : لقي الفرزدق كثيراً بقارة البلاط وأنا وهو نمشي ؛ فقال له الفرزدق : يا أبا صخرأ أنت أنسب العرب حيث تقول :

/ أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى بكلّ سبيل

[٣٤٢/٩]

قال : وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول : *مُرْتَجِيَةٌ كُتِبَتْ بِرُحْمِ*

/ تَرى الناس ما سِرنا يَسِيرُون خَلْفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

١٩٦
٨

- قال عبدالعزيز : وهذان البيتان جميعاً لجميل ، سرق أحدهما الفرزدق ، وسرق الآخر كثير - فقال له الفرزدق : يا أبا صخر، هل كانت أُمّك تَرُدُّ البصرة؟ قال : لا ولكن أبي كان كثيراً يَرُدُّها . قال طَلْحَةُ : فوالذي نفسي بيده لقد تعجبت من كثير وجوابه ، وما رأيت أحداً قط أحق منه ؛ لقد دخلت عليه يوماً في نَفَر من قرش ، وكنا كثيراً نَهْزأ به ، وكان يتشيع تشيعاً قبيحاً ، فقلنا له : كيف تجددك يا أبا صخر؟ فقال : بخير . هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ قلت : نعم ! يتحدثون أنك الدجال . قال : والله إن قلت ذلك إني لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام ! .

ولجبر قسيمة يناقض بها هذه القصيدة في أولها غناء نسبه :

ألا أيها القلب الطروب المكلف أفق رُبّما ينأى هواك ويُعِفْ
ظَلَلتَ وقد خَبَرْتَ أن لست جازعاً لربيعِ سُلَمائينِ عِيْنُكَ تَذْرِفُ

الشعر لجبر . والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفي ثاني ثقبيل بالينصر ، عن عمرو بن بانه . وقال حبش : فيه ثقبيل أول بالوسطى . وليس ذلك بصحيح .

رجع الحديث إلى سياقه حديث الفرزدق والنوار :

تزوج رهيمة بنت غنيم اليربوعية :

قال دَمَازِدُ : وتزوج الفرزدق على النوار امرأة من اليرابيع ، وهم بطن من النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد القينّي ، وقد أنتسبوا فيهم . فقالت له النوار : وما عسى أن تكون القينّيّة ؟ فقال :

[٣٤٣/٩] / أرتك^(١) نجوم الليل والشمس حيّة
نساء أبوهن الأغرّ ولم تكن
من الحث^(٢) في أجيالها وهذاد^(٣)
ولا في الهجاريّين رهط زياد
أبوها الذي أذى النعماء بعدما
أبث وائل في الحرب غير تماد

- يعني بأبيها الذي أذى النعماء الحارث بن عباد ، وأراد قوله :

قرباً مربط النعماء مني -

عدلت بها ميل النوار فأصبحت
مقاربة لي بعد طول عباد
ولست وإن أنبات أني أجيها
إلسي دارميّات النجار جيا

وقال أبو عبيدة حدثني أعين بن لبطة قال : تزوج الفرزدق ، مضارة للنوار ، امرأة يقال لها رهيمة بنت غنيم بن دزهم من اليرابيع ، قوم من النمر بن قاسط في بني الحارث بن عباد . وأمها الحميضة^(٥) من بني الحارث . فنافرت الحميضة فاستعدت عليه . فأنكرها الفرزدق وقال : أنا منها بريء ، وطلق أبتها وقال :

إن الحميضة كانت لي ولايتها
مثل الهراصة^(٦) بين النعل والقدم
إذا أتت أهلها مني مطلقاً
فلن أرد عليها زفرة القدم

[٣٤٤/٩] / مضى الحديث . ولم أجد لأحد من الخلفاء الذين ذكرتهم والذين لم أذكرهم ، بعد الواثق ، صنعة يُعتد بها إلا ١٩٧ / المعتمد ، فإنه صنع صنعة متقنة عجيبة ، أبرت^(٧) على صنعة سائر الخلفاء / سوى الواثق ، وفصل فيها أكثر أهل الزمان الذي نشأ فيه . وإنما ذكرت صنعة من بينهما ، لأنها قد رويت ، فأما حقيقة الغناء الجيد فليس بينهما مثلهما .

(١) في «ديوانه» : «أراك» . وفي «النقائض» : «سوف يريك النجم» .

(٢) الحث : قبيلة من كندة .

(٣) هذاد : حي من اليمن .

(٤) الجوف : المعطن من الأرض . ويحتمل أن يكون الغموض بفتح الغين صيغة مبالغة من غمض المكان إذا تظامن وخفي . ويحتمل أن يكون جمع غمض ، وهو المكان المنخفض المعطن . وإنما وصف المفرد بالجمع لإرادة الجنس ، كما يقال الدينار الصفر ، والدرهم البيض . ومنه قول الفرزدق نفسه على رواية «الأغاني» كما تقدّم في صفحة ٣٢٥ من هذا الجزء :

وإبطال حقي باليمن الكواذب

(٥) في «النقائض» ص ٥٩٥ : «الخميصة» بالخاء المعجمة والصاد المهملة .

(٦) الهراصة : واحدة الهراس ، وهو شوك كأنه حسك .

(٧) كذا في جـ . «وأبرأت : علت . وفي سائر الأصول : «أبرزت» وهو تحريف .

وذكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر صنعة المعتضد فقرّظها، وقال: لم أجد لحناً قديماً قد جمع من النغم ما جمعه
لحن ابن مخرز في شعر مسافر بن أبي عمرو وهو:

يَا مَنْ لِقَلْبٍ مُقْصِرٍ تَرَكَ الْمُتَى لِفَوَاتِهَا

فإنه جمع من النغم العشر ثمانياً، ولحن ابن مخرز أيضاً في شعر كثير:

تَوَهَّمْتُ بِالْخَيْفِ رَسْماً مُجِئلاً لِعِزَّةٍ تَغْرِفُ مِنْهُ الطُّلُولا

وهو أيضاً يجمع ثمانياً من النغم. وقد تلطف بعض من له ذربةٌ وحذقٌ بهذه الصناعة حتى جمع النغم العشر في هذا
الصوت الأخير متواليه، وجمعها في صوت آخر غير متواليه، وهو في شعر ابن هرمة:

فإِنَّكَ إِذَا أَطْمَعْتَنِي مِنْكَ بِالرِّضَا وَأَيَّاسْتَنِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالْغَضَبِ

وأعجب من ذلك ما عمله أمير المؤمنين المعتضد بالله؛ فإنه صنع في رَجَزِ دُرَيْدِ بْنِ الصُّمَّةِ «يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ» لحناً
من الثقيل الأول يجمع النغم العشر، فأتى به مستوفى الصناعة مُحْكَمُ البناء، صحيح الأجزاء والقِسْمَة، مُشَبَّعُ
المفاصل، كثير الأدوار، لاحقاً بجيد صنعة الأوائل. وإنما زاد فضله على من تقدّمه لأنه عمله في ضرب من الرجز
/ قصير جداً، وأستوفى فيه الصناعة كلّها على ضيق الوزن، فصار أعجب مما تقدّمه؛ إذ تلك عُمِلَتْ في أوزان تامة [٣٤٥/٩]
وأعريض طوال يتمكن الصانع فيها من الصناعة ويقتدر على كثرة التصرف؛ وليس هذا الوزن في تمكّنه من ذلك فيه
مثل تلك.

نسبة هذا البحر

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ أَخْبْتُ فِيهَا وَأَضَعُ^(١)
أَقُودَ وَطَفَاءَ^(٢) الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعُ^(٣)

الشعر لدُرَيْدِ بْنِ الصُّمَّةِ. والغناء للمعتضد، ولحنه ثقيلٌ أول يجمع النغم العشر.

(١) الجذع: الصغير السن. والخيب والوضع: نوعان من السير.

(٢) الزمع: هنات شبه أظفار الغنم في الرسغ، في كل قائمة زمعتان كأنما خلقتا من قطع القرون؛ أو الزمعة: الشعرة المدلاة في مؤخر رجل الشاة والظبي والأرنب. ووطفاء: كثرة الشعر سابغته. يريد فرساً هذه صفتها.

(٣) الصدع من الأوعال والظباء والإبل والحمر: الفتى الشاب القوي منها.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس موضوعات الجزء التاسع

الموضوع	الصفحة
كثير عزة	٥
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر	٣٠
مسافر بن أبي عمرو بن أمية	٣٦
- خبر عمارة بن الوليد والسبب الذي من أجله سحر	٤٠
- الأرمال الثلاثة المختارة	٤٤
ذكر امرئ القيس ونسبه وأخباره	٥٥
أخبار الأعشى ونسبه	٧٥
نسب عمرو بن سعيد بن زيد وأخباره	٩٠
أصوات معبد المسماة مدن معبد وتسمى أيضاً حصون معبد	٩٤
ذكر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ونسبه	٩٦
- صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن	١٠٥
ذكر الشماخ ونسبه وخبره	١٠٩
- صوت من مدن معبد	١١٩
ذكر قيس بن ذريح ونسبه وأخباره	١٢٤
- صوت من مدن معبد في شعر عنترة	١٥٠
- صوت من مدن معبد في شعر الحارث بن خالد المخزومي	١٥٣
ذكر الحارث بن خالد ونسبه	١٥٥
- نسبه أصوات معبد في قتيلة	١٦٢
- سبعة ابن سريج	١٦٣
أغاني الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم	١٧٢
ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من أخباره	١٧٥
نسب الأشهب بن رميلة وأخباره	١٨٥
- عود إلى أخبار عمر بن عبد العزيز	١٨٨
- غناء الوليد بن يزيد	١٨٨
- غناء الواثق	١٨٩
- غناء المتنصر	٢٠٥
- غناء المعتز بالله	٢٠٨
أخبار عدي بن الرقاع ونسبه	٢١٠
أخبار المعتز في الأغاني ومع المغنّين وما جرى هذا المجرى	٢١٧
ذكر أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة دون غيره	٢٢١

اكتساب الألفاظ

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

(٣٥٦ هـ)

إعداد

مكتب تحقيق دار أحياء التراث العربي



من تحت إشراف
- الجزء العاشر -

طبعة كاملة ومهذبة، مصححة، ملونة
محققة على تسع مخطوطات ومزينة بفهارس شاملة

دار أحياء التراث العربي

بيروت - لبنان



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بيان حول الجزء العاشر

بحمد الله وحسن توفيقه، تمّ هذا الجزء بعد مقابلته بأصوله المخطوطة والمطبوعة، وبعد تصحيح ما وفّقنا له، وضبط ما ينبغي ضبطه من لغة وأسماء، وتحري وجه الصواب جهد الطاقة فيما وضعناه من شروح وتعليقات.

والأصول التي اعتمدنا عليها في المراجعة هي الأصول التي اعتمدنا عليها في مراجعة الأجزاء السابقة، وقد تقدّم وصف هذه الأصول جميعاً في تصدير الجزء الأول. وتقدّم في هذا التصدير أن النسخة التي اصطلحنا على أن نرمز لها بحرف «أ» مكتوبة بخطوط مختلفة.

والمجلد الذي راجعنا عليه في هذا الموضوع من هذه النسخة مكتوب بالخط المغربي، كتبه - كما هو وارد في آخر صفحة منه - بشعر الجزائر محمد بن محمد المدعو السلاوي الحسني الفاسي المنشأ والدار في أواخر جمادي الثانية من سنة ست وتسعين ومائة وألف هجرية. وهو أكبر حجماً من سائر مجلدات هذه النسخة؛ إذ يبلغ طول صفحته ٣١ سنتيمتراً، وعرضها ٢٠ وطول ما رسم من الكتابة في الصفح ٢٢ بعرض ١٣ وفي كل صفحة ٢٩ سطراً. أما سائر الأجزاء فهي دونه في الحجم وفي عدد السطور. وأول هذا المجلد محلى ومجدول بالذهب، ويقع في ٣٠٣ ورقة وباقي الصفح مجدول بالمداد الأحمر.

ويتبدى هذا المجلد بأخبار عنترة بن شدّاد العبسي التي تقع في أول صفحة ٢٣٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة، وينتهي بأخبار أبي زيد وتقع في الجزء الثاني عشر من هذه الطبعة.

وهذا الاختلاف بين هذا المجلد وسائر المجلدات يدل على أنه ليس من أسفار النسخة التي في دار الكتب المصرية والمرقومة برقم ١٣١٨ أدب، وإنما جمع معها وسلك في رقمها. وفي آخره ما يدل على ذلك صراحة إذ ورد فيه: «تم السفر الثالث من كتاب الأغاني...». وهذا السفر يصل إلى قريب من نصف الكتاب مع أن هذه النسخة تقع في أربعة عشر مجلداً كما قلنا في وصفها في تصدير الكتاب. وواضح من هذا أن هذا المجلد لا بد أن يكون جزءاً من نسخة أخرى لا تعدو أسفارها ستة أو سبعة على الأكثر.

وقد اطلع على هذا المجلد كما اطلع على سائر مجلدات هذه النسخة الأستاذ الكبير شيخ الأزهر الشيخ حسن بن محمد العطار من جلة العلماء والأدباء في القرن الثالث عشر الهجري.

وقد وضعت لهذا الجزء فهرس كاملة كالأجزاء السابقة، غير أنا توسعنا في فهرس هذا الجزء عند ذكر أسماء رجال السند؛ إذ لم نكتف بذكر رقم أو رقمين لكل رجل بل أثبتنا كل أرقام الراوي إذا اختلف من روى عنهم أو من روى عنه، ليكون ذلك مرجعاً للرجال الذين روى عنهم أبو الفرج أخباره التي ذكرها في كتابه.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

[٣/١٠]

/ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء العاشر

من كتاب الأغاني

/ أخبار دريد بن الصمة ونسبه

٢/٩

نسبه:

هو دُرَيْدُ بن الصُّمَّة. وأسم الصُّمَّة، فيما ذكر أبو عمرو، معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن علقمة، وقيل علقمة، بن خُزاعة بن غَزِيَّة بن جُشَم بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازِن. وأما أبو عُبَيْدَةَ فقال: هو دُرَيْدُ بن الصُّمَّة، وأسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن علقمة ولم يذكر معاوية. وقال ابن سَلَام: الحارث بن معاوية بن بكر بن علقمة.

صفاته:

ودريد بن الصُّمَّة فارسٌ شجاعٌ فحل، وجعله محمد بن سَلَام أولَ شعراء الفُرسان. وقد كان أطولَ الفُرسان الشعراء غُرُوًا، وأبعدهم أثرًا، وأكثرهم ظُفْرًا، وأيمنهم نَقِيَّةً عند العرب، وأشعرهم دريد^(١) بن الصُّمَّة.

قتل يوم حنين:

وقال أبو عبيدة: كان دريد بن الصُّمَّة سيّد بني جُشَم وفارسهم وقائدهم، وكان مظفرًا ميمونًا النَّقِيَّة، وغزا نحو مائة غَزَاة ما أَخَفَقَ في واحدة منها، وأدرك / الإسلام فلم يُسَلِّمْ، وخرج مع قومه في يوم حُنَيْنٍ مُظَاهِرًا للمُشْرِكِينَ، [٤/١٠] ولا فضلَ فيه للحرب، وإنما أخرجوه تيمُنًا به وليقتبسوا من رأيه، فمنعهم مالكُ بن عَوْفٍ من قبول مَشُورته، وخالفه ثلاثا يكون له ذِكْر، فَقَتِلَ دُرَيْدُ يومئذٍ على شِرْكِهِ. وخبره يأتي بعد هذا.

إخوته:

وكان لدريد أخوة وهم عبدالله الذي قتلته غَطَفَانُ، وعبدُ يَغُوثَ قتلته بنو مُرَّة، وقَيْسُ قتلته بنو أبي بكر بن كِلَاب، وخالدُ قتلته بنو الحارث بن كَعْب، أمهم جميعاً رَيْحَانَةُ بنت مَعْدٍ يَكْرَبُ الزُّبَيْدِي أَخْت عمرو بن معد يكرب كان الصُّمَّة سبأها ثم تزوجها فأولدها يَنِيه. وإياها يَعْنِي أخوها عمرو بقوله في شعره:

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ يُوْرَقْنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ
/ إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا^(٢) فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

٣/٩

(١) يلاحظ بأدنى تأمل أن سياق الكلام مستغن عن ذكر هذا الاسم.

(٢) في «أ»، ح، م، «أمر».

ابنه وبنته شاعران:

وكان لذريرد ابن يقال له سلمة، وكان شاعراً وهو الذي رمى أبا عامر الأشعري^(١) بسهم فأصاب ركبته فقتله وأرتجز فقال:

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَلِإِنِّي سَلَمَةٌ إِبْنُ سَمَادِيرٍ^(٢) لَمَنْ تَوَسَّمَةٌ

* أَضْرِبْ بِالسِّيفِ رُؤُوسَ الْمُسْلِمَةِ *

وكانت لذريرد ابناً أيضاً بنت يقال لها عمرة [وكانت]^(٣) شاعرة، ولها فيه مراث كثيرة.

شعره في الصبر على النوائب:

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة وأخبرني به محمد بن الحسن بن ذريرد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، وأخبرني بأخبار / له مجموعة ومتفرقة جماعة من شيوخنا أذكرهم في مواضعهم، وأخبرني أيضاً بخبره محمد بن خلف بن المرزبان عن صالح بن محمد عن أبي عمرو الشيباني وقد بينت رواية كل واحد منهم في موضعها، قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول ذريرد بن الصمة حيث يقول:

تَقُولُ أَلَا تَبْكِي أَخَاكَ! وَقَدْ أَرَى مَكَانَ الْبُكَاءِ لَكِنْ بَيَّتْ عَلَى الصَّبْرِ
لِمَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ وَالْهَالِكِ الَّذِي عَلَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى قَتِيلِ أَبِي بَكْرٍ
وَعَبْدٍ يُقَوِّثُ أَوْ خَلِيلِي خَالِدٍ وَعَزَّ مُصَاباً حَتُوًّا^(٤) قَبْرِ عَلَى قَبْرِ
أَبَى الْقَتْلِ إِلَّا آلَ صِمَّةٍ إِنَّهُمْ أَبَوْا غَيْرَهُ وَالْقَذْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَذْرِ
فَلَمَّا تَرَيْنَا مَا تَزَالُ دِمَاؤُنَا لَدَى وَاتِرٍ يَشْقَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ
فَلَمَّا لِللَّحْمِ السِّيفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ وَنَلَحْمُهُ^(٥) حِيناً وَلَيْسَ بِذِي نُكْرٍ
يُنَارُ عَلَيْنَا وَاتِرِينَ فَيُشْتَفَى بِنَا إِنْ أَصَبْنَا، أَوْ تُغِيرَ عَلَى وَثَرٍ
بِذَاكَ قَسَمْنَا الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ قِسْمَةً فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ

وأخبرني ابن عمارة قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن القاسم الأسدي عن صاعد مولى الكُمَيْتِ بن زيد يقول: أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول ذريرد بن الصمة، وذكر هذه الأبيات.

يوم اللوى ومقتل أخيه عبدالله وما رثاه به من الشعر:

قال أبو عبيدة: فأما عبدالله بن الصمة فإن السبب في مقتله إنه كان غزا غطفان ومعه بنو جشم وبنو نصر

(١) أبو عامر الأشعري هو ابن عم أبي موسى الأشعري، وقد كان هذا الحادث يوم حنين.

(٢) سمادير اسم أم سلمة امرأة ذريرد بن الصمة.

(٣) الزيادة عن «ح».

(٤) في «أ»: «حتى قبر» يقال: حثوت عليه التراب أحتوه حثوا وحثته أحتية حثيا، والياء أعلى.

(٥) لحمه (من باب فتح): أطعمه اللحم. وفي «الصحاح»: «ولا تقل اللحم والأصمعي يقوله».

أبناء معاوية فظفر بهم وساق أموالهم في يوم يقال له يوم اللوى ومضى بها. ولما كان منهم غير بعيد قال: انزلوا بنا، فقال له / أخوه دُرَيْد: يا أبا فُرْعَانَ - وكانت لعبدالله ثلاث كُنَى: أبو فُرْعَانَ، وأبو دُفَافَةَ، وأبو أَوْفَى، وكلُّها [٦/١٠] قد ذكرها دُرَيْد في شعره -: تَشْدُكَ اللهُ أَلَّا تَنْزِلَ فَإِنَّ غَطَفَانَ لَيْسَتْ بِغَافِلَةٍ عَنْ أَمْوَالِهَا، فَأَقْسِمُ لَا يَرِيْمُ حَتَّى يَأْخُذَ مِرْبَاعَهُ^(١) وَيَنْقَعَ نَقِيعَهُ^(٢)، فَيَأْكُلَ وَيُطْعِمَ وَيَقْسِمَ الْبَقِيَّةَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ وَقَدْ سَطَعَتِ الدَّوَاحِخُنُ، إِذَا بَغْبَارٍ قَدْ أُرْتَفَعَ أَشَدُّ مِنْ دُخَانِهِمْ، وَإِذَا عَبَسَ وَفَزَارَهُ وَأَشْجَعُ قَدْ أَقْبَلْتُ فَقَالُوا لَرَبِّتِهِمْ^(٣): انظر ماذا تَرَى؟ فقال أرى قوماً جَعَاداً كَانَ سَرَايِلَهُمْ قَدْ غُمِسَتْ فِي الْجَادِي^(٤) قال: تلك أشجعُ، ليست بشيء. ثم نظر فقال: أرى قوماً كأنهم الصُّبْيَانُ، أَسْتَهْتُمْ عِنْدَ آذَانِ خَيْلِهِمْ. / قال: تلك فَزَارَةُ. ثم نظر فقال: أرى قوماً أَدْمَاناً^(٥) كأنما يَحْمِلُونَ الْجِبَلَ^(٦) بسوادهم، يَخْذُونَ^(٧) الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ خَذّاً، وَيَجْرُونَ رِمَاحَهُمْ جَرّاً، قال: تلك عَبَسُ والموتُ معهم! فَنَلَّحَقُوا بِالْمُنْتَعِجِ مِنْ رُمْلَةِ اللَّوَى فَأَقْتَلُوا فَقَتَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قَارِبٍ وَهُمْ مِنْ بَنِي عَبَسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصُّمَّةِ فَنَتَادَوْا: قُتِلَ أَبُو دُفَافَةَ! فَعَطَفَ دُرَيْدُ قَدْبَ عَنْهُ فَلَمْ يُغْنِ شَيْئاً وَجُرِحَ دُرَيْدُ فَسَقَطَ فَكَفُّوا عَنْهُ وَهُمْ يَزُونَ أَنَّهُ قُتِلَ، وَأَسْتَقْدُوا الْمَالَ وَنَجَا مَنْ هَرَبَ. فَمَرَّ الزُّهْدَمَانِ وَهُمَا مِنْ بَنِي عَبَسَ، وَهُمَا زَهْدَمٌ وَقِيسٌ أَبْنَا حَزَنَ بْنِ وَهَبِ بْنِ رَوَاحَةَ وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُمُ الزُّهْدَمَانِ تَغْلِيّاً لِأَشْهُرِ الْأَسْمِينَ عَلَيْهِمَا، كَمَا قِيلَ الْعُمَرَانِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَالْقَمَرَانِ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. قال دُرَيْد: فَسَمِعْتُ زَهْدَمَ الْعَبْسِيِّ يَقُولُ لَكَرْدَمَ الْفَزَارِيَّ إِنِّي لَأَحْسَبُ دُرَيْداً حَيّاً / فَانْزِلْ فَأَجْهِزْ عَلَيْهِ، قال: قد مات، قال: أَنْزِلْ فَأَنْظُرْ إِلَى سُبْحَتِهِ^(٨) هل تَرْمُزُ؟ قال دُرَيْد: فَسَدَدْتُ مِنْ [٧/١٠] حِتَارِهَا^(٩) أَيِ مِنْ شَرَجِهَا، قَالَ فَنَظَرَ فَقَالَ: هِيَاتِ، أَيِ قَدْ مَاتَ، فَوَلَّى عَنِّي، قَالَ وَمَالٌ بِالزُّجِّ فِي شَرَجِ دُرَيْدٍ فَطَعَنَهُ فِيهِ فَسَالَ دَمٌ كَانَ قَدْ أَحْتَكَنَ فِي جَوْفِهِ، قَالَ دُرَيْدُ فَعَرَفْتُ الْخَفَّةَ حِينَئِذٍ فَأَمْهَلْتُ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ مَشَيْتُ وَأَنَا ضَعِيفٌ قَدْ نَزَفَنِي^(١٠) الدَّمُ حَتَّى مَا أَكَادُ أَنْبَصِرَ، فَجُرْتُ بِجَمَاعَةٍ تَسِيرُ^(١١) فَدَخَلْتُ فِيهِمْ، فَوَقَعْتُ بَيْنَ عُرْقُوبَيْنِ بَعِيرٍ ظَلَعَيْنَةٍ، فَنَفَرَ الْبَعِيرُ فَنَادَتْ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فَأَنْتَسَبْتُ لَهَا فَأَعْلَمَتِ الْحَيَّ بِمَكَانِي، فَغَسَلَ عَنِّي الدَّمُ وَزُوْدَتْ زَاداً وَسِقَاءً فَنَجَوْتُ، وَزَعَمَ بَعْضُ الْغَطَفَانِيِّينَ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ فَزَارِيَّةً وَأَنَّ الْحَيَّ كَانُوا عِلِمُوا بِمَكَانِهِ فَتَرَكُوهُ فَدَاوَتْهُ الْمَرْأَةُ حَتَّى بَرَأَ وَلِحَقَّ بِقَوْمِهِ، قَالَ: ثُمَّ حَجَّ كَرْدَمَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي عَبَسَ، فَلَمَّا قَارَبُوا دِيَارَ دُرَيْدَ تَنَكَّرُوا خَوْفاً، وَمَرَّ بِهِمْ فَأَنْكَرَهُمْ، فَجَعَلَ يَمْشِي فِيهِمْ وَيَسْأَلُهُمْ مِنْ هُمْ؟ فَقَالَ لَهُ كَرْدَمُ: عَمَّنْ تَسْأَلُ؟ فَدَفَعَهُ دُرَيْدُ، وَقَالَ: أَمَا عَنْكَ وَعَمَّنْ مَعَكَ فَلَا أَسْأَلُ أَبَداً، وَعَانَقَهُ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ فِرْساً وَسِلَاحاً، وَقَالَ لَهُ: هَذَا بِمَا فَعَلْتَ بِي يَوْمَ اللَّوَى.

(١) المرباع بكسر أوله: ربع الغنيمة، وهو حظ الرئيس في الجاهلية.

(٢) نقع الشيء في الماء وغيره ينقعه (من باب فتح) فهو نقيع، ومثله أنقعه. نبذه: أي اتخذ منه النيذ.

(٣) الربيطة: الطليمة.

(٤) الجادي: الزعفران.

(٥) الأدمان: جمع آدم على مثال سودان وحمران. والآدم من الناس: الأسمر.

(٦) في جـ م: «الأرض».

(٧) يخذون: يشقون.

(٨) السبة بالضم: الإست. وترمز (بحذف إحدى تاءيهما): تضطرب وتتحرك.

(٩) الحتار بالكسر: ما أحاط بالشيء كحتار الغريال والمنخل.

(١٠) يقال: نَزَفَ الدَّمُ فَلَاناً فهو منزوف ونزيف أي سال منه دم كثير حتى يضعف.

(١١) في «أ، م»: «قيس».

وقال دُرَيْدُ يرثي أخاه عبداً:

أَرْتُ جَدِيدُ الْجَبَلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ بعاقبة^(١) وَأَخْلَفْتُ كُلَّ مَوْعِدٍ
وَبَانَتْ وَلَمْ أَحْمَدِ إِلَيْكَ جَوَارَهَا وَلَمْ تَرْجُ مَنَارِدَةَ الْيَوْمِ أَوْغِدِ

[٨/١٠] / وهي طويلة وفيها يقول:

أَعَاذَلْتَنِي كُلَّ أَمْرٍ وَأَبْنُ أُمِّهِ متاعُ كَزَادِ الرَّاكِبِ الْمُتَزَوِّدِ
أَعَاذَلْتُ إِنْ الرُّزْءَ أَمْثَالُ خَالِدِ^(٢) وَلَا رُزْءَ مِمَّا أَهْلَكَ الْمَرْءُ عَنْ يَدِ
نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ وَرَهْطُ بَنِي^(٣) السَّوْدَاءِ وَالْقَوْمِ شُهْدِي
فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا^(٤) بِالْفَيِّ مَدَجَّجِ مَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ
أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوِيِّ فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْتَنِي^(٥) غَيْرُ مَهْتَدِ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ^(٦) إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ، وَإِنْ تَرُشِدُ غَزِيَّةٌ أَرُشِدِ
دَعَانِي أَخِي وَالْخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدُ^(٧)

تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرَدَتِ الْخَيْلُ فَارِساً فَقُلْتُ أَعْبَدُ اللَّهَ ذَلِكَ كَمِ الرَّرْدِي
/ فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ فَلَمْ يَكُ وَقَافاً وَلَا طَائِشَ الْيَدِ
/ وَلَا بَرِماً^(٨) إِذَا الرِّيحُ تَنَاضَحَتْ بِرَطْبِ الْعِضَاءِ وَالْهَشِيمِ الْمَعْضَدِ
نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَا حُ تَشُوشُهُ^(٩) كَوَقْعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ
فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَبَدَّدَتْ وَحَتَّى عَلَانِي أَشْقَرُ اللَّوْنِ مُزِيدُ^(١٠)

٥
٩

[٩/١٠]

(١) بعاقبة أي بأخرة.

(٢) ذكر المؤلف فيما مر إخوة دريد وذكر منهم خالداً و عبداً. والتصريح بهذا الاسم في هذا الشعر الذي قاله دريد في رثاء أخيه عبداً خاصة يدل على أن عبداً وخالداً وعارضاً (المذكور في البيت التالي) ثلاثة أسماء لشخص واحد وقد صرح بذلك شارح الحماسة ج ٢ ص ١٥٦ حيث قال: «عارض هو أخو دريد وكانت له ثلاثة أسماء عارض وعبداً وخالداً، وثلاث كنى كان يكنى أبا أوفى وأبا ذفافة وأبا فرغان أو أبا فرغان».

(٣) رهط بني السوءاء يعني بهم أصحاب أخيه عبداً. والقوم شهدي أي شهودي.

(٤) ظنوا: أي أيقنوا أو معناه ما ظنكم بالفين من الأعداء راصدين لكم يرقبونكم. والمدجج: التام السلاح، من الدجة وهي شدة الظلمة لأن الظلمة تستر كل شيء، والمدجج يستر نفسه بالسلاح. وسراتهم: أشرافهم وساداتهم. والفارسي المسرد عني به الدروع المتابعة الحلق في نسجها.

(٥) كذا في «ح» و«الحماسة». وفي «سائر الأصول»: «أو».

(٦) غزية: قبيلة من هوازن. وهي رهط الشاعر.

(٧) القعدد كقنفذ: الجبان اللئيم القاعد عن المكارم.

(٨) البرم: الضجر. وتناوحت الرياح هبت صبا مرة وشمالاً مرة وجنوباً مرة، وذلك آية الجذب. والعضاء: كل شجر يعظم وله شوك. والهشيم: الثبت اليابس المتكسر. والمعضد: المقطع بالمعضد.

(٩) تنوشه: تتناوله. والصياصي: جمع صيصية وهي شوكة الحائك التي يسوى بها السداة واللحمة.

(١٠) هذه رواية الأصول وفيه إقواء. ورواية «الحماسة».

فما رميتُ حتى خرقتُني رماحهم وغودرتُ أكبو في القنا المتقصد^(١)
 قتالَ أمريءِ وأسَى أخاء بنفسه وأيقن أن المرءَ غيرُ مغلّد
 صبور على وقع المصائب حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد
 في بعض هذه الأبيات غناء وهو:

نصوت

تمثل علي عليه السلام بشعره:

أمرتهمُ أمري بمنعرج اللوى فلم يستينوا الرُشد إلا ضحى الغد
 فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى غوايتهم وأنسي غير مهتد
 وهل أنا إلا من غزيرة إن غوت غويتُ وإن ترشّد غزيرة أرشد

الغناء ليحيى المكيّ ثاني ثقليل بالسبابة في مجرى البنصر من رواية ابنه أحمد، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحمد. وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عند مُنصرفه من صفين.

/ حدّثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجليّ قال حدّثنا حسين بن نصر بن مزاحم قال حدّثنا عمر بن [١٠/١٠] سعيد عن أبي مخنف عن رجاله أن عليّاً عليه السلام لما اختلفت كلمة أصحابه في أمر الحكمين وتفرقت الخوارج وقالوا له أرجع عن أمر الحكمين وتب وأعترف بأنك كفرت إذ حكمت، ولم يقبل ذلك منهم، وخالفوه وفارقوه تمثل بقول دُرَيْد:

أمرتهمُ أمري بمنعرج اللوى فلم يستينوا الرُشد إلا ضحى الغد

الأبيات:

أخوه عبدالله وأسماءه وكناه:

قال أبو عبيدة: كانت لعبدالله بن الصمة ثلاثة أسماء وثلاث كنى: عبدالله ومعبّد وخالد. ويكنى أبا دُفافة وأبا فرعان وأبا أوفى.

وقال دُرَيْد:

أبادُفافة من الخيل إذ طردت فأضطرها الطعن في وعث^(٢) وإيجاف
 يا فارس الخيل في الهيجاء إذ شغلّت كلتا اليدين دُروراً غير وقاف

له أفضل بيت في الصبر على النوائب:

= فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست وحنى علاني حالك اللون أسودي
 قال التبريزي: ويروي أسود على الإقواء. وأسودي يريد أسوديا كما قيل في الأحمر أحمر وفي الدوّار دوّاري ثم خففت ياء النسب بحذف إحدىهما.

(١) المتقصد: المتكسر.

(٢) الوعث هنا: الطريق الخشن الغليظ العسر. والإيجاف: سرعة السير.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ يُونُسَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَفْضَلُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ فِي الصَّبْرِ عَلَى النَّوَائِبِ قَوْلُ دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ:

قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابُ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ

عَاتِبَتْهُ زَوْجَتُهُ أَمْ مَعْبِدٌ عَلَى بَكَائِهِ أَخَاهُ فَطَلَّقَهَا وَقَالَ شِعْرًا:

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ عَنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِي الْمُهَاجِرِ، وَذَكَرَ مِثْلَهُ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ، أَنَّ أُمَّ مَعْبِدَ الَّتِي ذَكَرَهَا دُرَيْدٌ فِي شِعْرِهِ هَذَا كَانَتْ امْرَأَتَهُ فَطَلَّقَهَا، لِأَنَّهَا رَأَتْهُ شَدِيدَ الْجَزَعِ عَلَى أَخِيهِ، فَعَاتِبَتْهُ عَلَى ذَلِكَ وَصَغُرَتْ شَأْنُ أَخِيهِ وَسَبَّحَتْهُ، فَطَلَّقَهَا وَقَالَ فِيهَا:

أَرْتِ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أَمْ مَعْبِدٍ بِعَاقِبَةٍ وَأَخْلَفْتُ كُلَّ مَوْعِدٍ

/ وَبَانَتْ وَلَمْ أَحْمَدِ إِلَيْكَ جَوَارَهَا وَلَسَمَ تَرْجُ مِنْ أَرْدَةِ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ مَعْبِدَ: بِسَى وَاللَّهِ مَا أَتَيْتِ عَلَيَّ يَا أبا قُرَّةَ! لَقَدْ أَطْعَمْتُكَ مَأْدُومِي، وَبَكَّيْتُكَ مَكْتُومِي، وَأَتَيْتُكَ بِأَهْلًا^(١) غَيْرَ ذَاتِ صِرَارٍ وَمَا اسْتَقْرَمْتُ^(٢) قَبْلَكَ إِلَّا مِنْ حَيْضٍ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي خَبَرِهِ: بَلَغَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ أَنَّ زَوْجَتَهُ سَبَّحَتْ أَخَاهُ فَطَلَّقَهَا وَأَلْحَقَهَا بِأَهْلِهَا وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

أَعْبَدَ اللَّهُ إِنْ سَبَّحْتَكَ عِرْسِي تَقْدَمُ بَعْضُ لَحْمِي قَبْلَ بَعْضٍ

إِذَا عِرْسُ أَمْرِيءٍ شَتَمَتْ أَخَاهُ فَلَيْسَ فُؤَادُ شَانَتْهِ بِحَمَضٍ^(٣)

مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَشْتُمَنَّ رَهْطِي وَأَنْ يَمْلِكَنَّ إِيرَامِي وَتَقْضِي

حَارِبُ غَطَفَانَ يَوْمَ الْغَدِيرِ طَلِبًا بِشَارِ أَخِيهِ وَقَالَ شِعْرًا:

أَخْبَرَنَا هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ:

أَغَارَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ بَعْدَ مَقْتَلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى غَطَفَانَ يَطَالِبِهِمْ بِدَمِهِ، فَاسْتَقْرَاهُمْ^(٤) حَيًّا حَيًّا، وَقَتَلَ مِنْ بَنِي عَبْسٍ سَاعِدَةَ بْنَ مُرَّةٍ، وَأَسَرَ ذُوَابَ بْنَ أَسْمَاءَ بْنَ زَيْدِ بْنِ قَارِبٍ، أَسْرَهُ مُرَّةُ بْنُ عَرْفِ الْجُشَمِيِّ. فَقَالَتْ بَنُو جُشَمٍ: لَوْ فَادَيْنَاهُ^(٥)! فَأَبَى ذَلِكَ دُرَيْدٌ عَلَيْهِمْ، وَقَتَلَهُ بِأَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَتَلَ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ حِزَامٌ وَإِخْوَةٌ لَهُ، وَأَصَابَ / جَمَاعَةً مِنْ بَنِي مُرَّةٍ وَمِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ وَمِنْ أَحْيَاءِ غَطَفَانَ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ. وَفِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي مَنْ قُتِلَ فِيهِ مِنْهُمْ يَقُولُ:

تَأْبُدُ مِنْ أَهْلِهِ مَغْشَرُ فَجَوْ سُوَيْقَةَ^(٦) فَالْأَصْفَرُ

(١) الْبَاهِلُ «فِي الْأَصْلِ»: النَّاقَةُ لِإِصْرَارِ عَلَيْهَا، تَرِيدُ أَنَّهَا أَبَاحَتْهُ نَفْسَهَا.

(٢) كَذَا فِي «ح» وَاسْتَقْرَمَتْ الْمَرْأَةُ: تَضَيَّقَتْ بِالْفَرْمِ (بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَإِسْكَانِ ثَانِيهِ) أَيِ عَالَجَتْ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مِنْهَا لِيَضِيقَ وَيَسْتَحْصِفَ، وَرَبَّمَا تَتَعَالَجُ بِحُبِّ الزَّيْبِ وَنَحْوِهِ تَضِيقُ بِهِ مَتَاعَهَا.

(٣) فُؤَادُ حَمَضٍ: فَاسِدٌ مُتَغَيِّرٌ.

(٤) اسْتَقْرَاهُمْ: تَتَبَعَهُمْ.

(٥) فَادَاهُ: أَطْلَقَهُ وَقَبْلَ قَدَيْتِهِ. وَفِي «الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ» «وَلَنْ يَأْتِيَكُمُ اسْأَرَى تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ».

(٦) تَأْبُدُ: أَقْفَرُ. وَمَعْشَرُ وَجْهُ سُوَيْقَةُ وَالْأَصْفَرُ أَسْمَاءُ مَوَاضِعَ.

فَجَزَعُ الْحَلِيفِ^(١) إِلَى وَاسِطٍ
فَأَبْلَغَ سُلَيْمَى وَأَلْفَافَهَا^(٢)
بِأَنِّي ثَارَتْ بِإِخْوَانِكُمْ
صَبَحْنَا فَزَارَةَ سُفَرَ الْقَنَا
وَأَبْلَغَ لَدَيْكَ بَنِي مَازِنٍ
فَإِنْ تَقْتُلُوا فَنِيَّةً أَفْرِدُوا
فَإِنْ حَزَامًا لَدَى مَعْرَكٍ
وَيَوْمَ يَزِيدُ بَنِي نَاشِبٍ
أَتَرْنَا صَرِيخَ بَنِي نَاشِبٍ
تَجَرَّ الضَّبَاعُ^(٣) بِأَوْصَالِهِمْ
فَذَلِكَ مَبْدَى وَذَا مَخْضَرُ
وَقَدْ يَغْطِفُ النَّسَبُ الْأَكْبَرُ
وَكُنْتُ كَأَنِّي بِهِمْ مُخْفِرُ^(٤)
فَمَهْلًا فَزَارَةُ لَا تَضْجُرُوا
فَكَيْفَ السَّوْعِيدُ وَلِمَ تَقْرِرُوا
أَصَابَهُمُ الْحَيْنُ أَوْ تَظْفَرُوا
وَأَخْوَتَهُ حَوْلَهُمْ أَنْشُرُ
وَقَبْلُ يَزِيدُكُمْ الْأَكْبَرُ
وَرَهْطُ لَقِيَطٍ فَلَا تَفْخَرُوا
وَيَلْقَحْنَ مِنْهُمْ وَلِمَ يَقْبَرُوا

/ ويقول في ذلك أيضاً دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَةِ في قصيدة له أخرى:

جَزَيْنَا بَنِي عَبَسٍ جَزَاءَ مَوْفَرًا
وَلَوْلَا سَوَادُ اللَّيْلِ أَذْرَكَ رَكْضُنَا
قَتَلْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ
بِذِي الرُّمَثِ وَالْأَرْطَى^(٥) عِيَاضَ بَنِ نَاشِبٍ
ذُؤَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بَنِ زَيْدِ بَنِ قَارِبٍ

قال أبو عبيدة: أنشد عبد الملك بن مروان شعر دريد بن الصمة هذا فقال: كاد دريد أن ينسب ذؤاب بن أسماء إلى آدم. فلما بلغ المُنشِدُ قوله:

وَلَوْلَا سَوَادُ اللَّيْلِ أَذْرَكَ رَكْضُنَا
/ قال عبد الملك: ليت الشمس كانت بقيث له قليلاً حتى يُذْرِكُهُ.

قال أبو عبيدة وقال دريد أيضاً في هذه الواقعة:
قَتَلْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ
ذُؤَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بَنِ زَيْدِ بَنِ قَارِبٍ
فَتَى مَثَلُ مَثْنٍ السِّيفِ يَهْتَزُّ لِللَّدَى
وَخَيْرَ شَبَابِ النَّاسِ لِسَوْضَمٍ أَجْمَعَا
مَنْيُثُهُ أَجْرَى^(٦) إِلَيْهَا وَأَوْضَعَا
كَعَالِيَةِ الرُّمَحِ الرُّدَيْنِيِّ أَرْوَعَا

(١) الجزع: منعطف الوادي. والحليف وواسط: موضعان.

(٢) ألفافها: قومها المجتمعون حولها، مفردة لف بالكسر.

(٣) أخفزه: نفّض عهده وغدره. والهزمة فيه للإزالة أي أزال خفارته كأشكاه إذا أزال شكواه.

(٤) يشير إلى ما هو معروف عن الضبع من أنها إذا لقيت قتيلًا بالعراء وورم وانتفخ غرموله تأتبه فتركبه وتقضي حاجتها منه ثم تأكله (راجع «نهاية الأرب» ج ٩ ص ٢٧٤ طبع دار الكتب المصرية و«الحيوان» للجاحظ طبع مصر ج ٥ ص ٤٠).

(٥) الذنائب يوم من أيام العرب المشهورة (راجع «الأغاني» ج ٥ ص ٣٥ - ٦٣ طبع دار الكتب المصرية).

(٦) ذو الرمث: موضع. والرمث والأرطى نبتان.

(٧) أجرى إليها: قصد إليها.

أغرته أمه بالاستعانة بأخواله في ثار أخيه فأبى وقتل ذؤاب بن أسماء:

وقال ابن الكلبي: قالت رَيْحانة بنت معد يكرِب لدُرَيْد بن الصَّمَّة بعد حولٍ من مَقْتَل أخيه: يا بني إن كنتَ عَجَزْتَ عن طلب الثَّارِ بأخيك فاستعينْ بخالك وعشيرته من زُبَيْد، فَأَنْف من ذلك وحلف لا يَكْتَحِل ولا يَذْهَب ولا يَمَسُّ طَبِيباً ولا يأكل لحماً ولا يشربُ خمرًا حتى يُذْرِكَ ثَارُهُ، فَفَزَا هذه الغَزَاة وجاءها بذؤاب بن أسماء فقتله بفنائها، وقال: هل بلغت ما في نفسك؟! قالت: نعم مُتَعْتُ بك! ورُوِيَ عن ابن الكلبي لرَيْحانة في هذا المعنى أبياتٌ لم تَحْضُرْني وقد كتبتُ خبرها.

[١٤/١٠] / أخوه قيس بن الصمة ومقتله:

وأما قَتيل أبي بكرٍ الذي ذكره دُرَيْد فإنه أخوه قَيْس بن الصَّمَّة، قتله بنو أبي بكر بن كِلاب. وكان السبب في ذلك، فيما أخبرني به هاشم بن محمد عن دَمَاز عن أبي عُبَيْدَة، أَنَّهُ غَزَا في قومه بني خُزَاعَة من بني جُشَم، فَأَغَارُوا على إِبِلِ لبني كَعْب بن أبي بكر بن كِلاب، فَأَنْطَلَقُوا بها. وخرج بنو أبي بكر بن كِلاب في طلبها حتى إذا دَنَوْا منهم قال عمرو بن سُفْيَان الكِلَابِي، وكان حازماً عاقلاً، امكثوا، ومضى هو متنكبراً حتى لَقِيَ رجلاً من بني خُزَاعَة فسَلَّم عليه وأَسْتَسْقَاه فسقاه وأَنْتَسَبَ له هِلَالِيّاً، فسأله عن قومه وأين مَرَعَى إِبِلِهِمْ، وأَعْلَمَهُ أَنَّهُ جَاء رائداً^(١) لقومه يريد مجاورتهم، فخبَّره الرجل بكلِّ ما أَرَادَ، فَرَجَعَ إلى قومه وقد عَرَفَ بُغْيَتَهُ، فصَبَحَ القوم فَظَفِرَتْ بِهِمْ بنو كِلَابٍ وقتلوا قَيْسَ بن الصَّمَّة، وَذَهَبُوا بِإِبِلِ بني خُزَاعَة وَأَرْتَجَعُوا إِبِلَهُمْ^(٢). وكان يقال لعمرو بن سُفْيَان ذُو السِّيفَيْنِ، لَأَنَّهُ كَانَ يَلْقَى الحَرْبَ وَمَعَهُ سَيْفَانِ خَوْفًا مَن أَن يَخُونَهُ أَحَدُهُمَا. وَإِيَّاهُ عَنَى دُرَيْدُ بن الصَّمَّة بقوله:

إِنْ أَمْرَاءُ بَاتَ عَمْرُو بَيْنَ صِرْمَتَيْهِ^(٣) عَمْرُو بَنِ سُفْيَانَ ذُو السِّيفَيْنِ مَغْرُورٌ
يَا آلَ سُفْيَانَ مَا بِإِلِيَّ وَبِالْكُمُورِ هَلْ تَنْتَهَوْنَ وَبَاقِي الْقَوْلِ مَأْثُورٌ؟
يَا آلَ سُفْيَانَ مَا بِإِلِيَّ وَبِالْكُمُورِ أَنْتُمْ كَبِيرٌ وَفِي الْأَحْلَامِ عُضْفُورٌ
هَلَّا نَهَيْتُمْ أَخَاكُمْ عَنْ سَفَاهَتِهِ إِذْ تَشْرَبُونَ وَغَاوِي الْخَمْرِ مَدْحُورٌ؟
لَا أَغْرِفَنَّ لِمَّةً سَوْدَاءَ دَاجِيَةٍ تَدْعُو كِلَاباً وَفِيهَا الرُّمَحُ مَكُورٌ
لَنْ تَسْتَفِقُونِي وَلَوْ أَمَهَلْتُمْ^(٤) شَرْفًا عَقَبَى إِذَا أَبْطَأَ الْفُحْجُ^(٥) الْمَخَاصِيرُ^(٦)

[١٥/١٠] / خبر الحرب بين بني عامر وبني جشم وبين أسد وخطفان:

وأخبرنا بخبر أبتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيدي قال قرأت على أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي

قال:

- (١) في ب، س، ح: «زائراً» وهو تحريف.
- (٢) في ب، س: «أموالهم».
- (٣) الصرمة بكسر الصاد: القطيع من الإبل والغنم يختلف في عدده.
- (٤) في ب، س: «أهملتكم».
- (٥) الفحج بضم الفاء وسكون الحاء: جمع أفحج أو فحجاء، وصف من الفحج بفتح الفاء والحاء وهو تباعد ما بين أوساط الساقين من الرجل والدابة.
- (٦) المخاصير: جمع مخصور وهو الذي يشتكي خصره.

أغارث بنو عامر بن صَعَصَعَة وبنو جُشَم بن معاوية على أَسَدٍ وَعَظْفَان، وكان دُرَيْدُ بن الصُّمَّة وعَمْرُو بن سَفْيَان بن ذِي اللَّحْيَةِ مَتَسَانِدَيْنِ^(١)، فَدُرَيْدُ على بني جُشَم بن معاوية، وعَمْرُو بن سَفْيَان على بني عامر. فقال عبدالله بن الصُّمَّة / لأخيه: إِنِّي غَيْرُ مُعْطِيكَ الرِّيَاسَةَ، وَلَكِنْ لِي فِي هَذَا الْيَوْمِ شَأْنًا. ثُمَّ أَشْرَكَ عَبْدَ اللَّهِ^٩ وَشَرَّاحِيلُ بن سَفْيَان، فَلَمَّا أَغَارَ الْقَوْمُ أَخَذَ عَبْدَ اللَّهِ مِنْ نَعَمِ بَنِي أَسَدٍ سَتِينَ وَأَصَابَ الْقَوْمَ مَا شَاءُوا. وَأَدْرَكَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَدِيمَةَ عَبْدَ اللَّهِ بَنَ الصُّمَّةَ فَقَالَ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ بَنَ الصُّمَّة: أَرْجِعْ فَإِنِّي كُنْتُ شَارِكْتُ شَرَّاحِيلَ بن سَفْيَان، فَإِنْ أَسْتَطَاعَ دُرَيْدُ فُلْيَاتِهِ وَلِيَأْخُذَ مَالِي مِنْهُ. وَأَقَامَ دُرَيْدٌ فِي أَوَاخِرِ الْحَيِّ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: أَرْتَحِلُ بِالنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ الصُّرَاخُ^(٢)، فَقَالَ: إِنِّي أَنْتَظِرُ أَخِي عَبْدَ اللَّهِ. حَتَّى إِذَا أَطَالَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ: إِنْ أَخَاكَ قَدْ أَدْرَكَ فَوَارِسَ مِنَ الْحُلَيْفِيِّينَ يَسُوقُونَ بِظُعُنِهِمْ فَقَتْلُوهُ. فَأَنْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِحَيْثُ يَفْتَرِقُونَ قَالَ دُرَيْدُ لَشَرَّاحِيلَ^(٣): إِنْ عَبْدَ اللَّهِ أَنْبَأَنِي وَلَمْ يَكْذِبْنِي قَطُّ أَنْ لَهُ شَرِكَةٌ مَعَ شَرَّاحِيلَ فَأَذُوا إِلَيْنَا شَرِكَتَهُ. فَقَالُوا لَهُ: مَا شَارَكْنَاهُ قَطُّ. فَقَالَ دُرَيْدُ: مَا أَنَا بِتَارِكِكُمْ حَتَّى أَسْتَحْلِفَكُمْ عِنْدَ ذِي الْخَلَصَةِ (وَتْنٍ مِنْ أَوْثَانِهِمْ). فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ وَحَلَفُوا، ثُمَّ جَاءَ عَبْدَ اللَّهِ بِغَنِيمَةٍ عَظِيمَةٍ فَجَاءُوهُ يَنْشُدُونَهُ الشُّرْكَ. فَقَالَ لَهُمْ دُرَيْدُ: أَلَمْ أَحْلِفْكُمْ حِينَ ظَنَنْتُمْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَدْ قُتِلَ. فَقَالُوا: مَا حَلَفْنَا وَجَعَلُوا يَنْشُدُونَ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يُعْطِيَهُمْ، فَقَالَ: لَا، حَتَّى يَرْضَى دُرَيْدُ، فَأَبَى أَنْ يَرْضَى فَتَوَعَّدُوهُ أَنْ يَشْرُقُوا إِلَيْهِ. فَقَالَ دُرَيْدُ فِي ذَلِكَ:

/ هل مثلُ قلبِك في الأهواءِ معذورُ
والحبُّ بعدَ مَشِيْبِ المرءِ مغرورُ [١٦/١٠]

وذكر الأبيات التي تقدّمت في الخبر قبل هذا وزاد فيها:

إِذَا غَلَبْتُمْ صَسْدِيْقَسًا تَبْطِشُونَ بِهِ
وَأَنْتُمْ مَغْشَرٌ فِي عِرْفِكُمْ شَنْجٌ^(٥)
كَمَا تَهْدِمُ فِي الْمَاءِ الْجَمَاهِيرُ^(٤)
بُزْخُ الظُّهُورِ وَفِي الْأَسْتَاهِ تَأْخِيرُ
قَدْ عَلِمَ الْقَوْمُ أَنِّي مِنْ سَرَاتِهِمْ
وَإِذَا تَقَبَّضَ فِي الْبَطْنِ الْمَذَاكِيرُ
وَقَدْ أَرُوغُ سَوَامَ الْقَوْمِ ضَاحِيَةً
بِالْجُرْدِ يَرْكُضُهَا الشُّعْتُ الْمَغَاوِيرُ^(٦)
يَحْمِلُنْ كُلُّ هِجَانٍ^(٧) صَارِمٍ ذَكَرٍ^(٨)
وَأَوْعَدْتُمُو إِبْلِيَّ كَلًّا سَمِينُهَا
وَتَحْنَهُمْ شُرْبٌ^(٩) قُبٌّ مَضَامِيرُ
بَنُو غَزِيَّةَ لَا مِيلَ وَلَا صُورُ^(١٠)

(١) التساند: التعاضد.

(٢) الصراخ: صوت الاستغاثة.

(٣) بالتأمل في سياق هذه القصة يلاحظ أن هذه الكلمة زائدة.

(٤) الجماهير: الرمال الكثيرة المترامية.

(٥) العرق: الأصل. والشنج: التقبض والتقلص، والبزخ: تقاضى الظهر عن البطن، وقيل هو خروج الصد ودخول الظهر يريد أنهم مشوهو الأجسام غير أهل للرياسة.

(٦) الجرد: جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر. والشعث جمع أشعث وهو المغبر الرأس المتلبد الشعر. والمغاوير جمع مغوار وهو المقاتل الكثير الغارات.

(٧) الهجان: الكريم.

(٨) كذا في «ح»، وفي «سائر الأصول»: «كرم».

(٩) الشرب: جمع شازب، وهو الضامر اليابس، والقب: جمع أقب وهو من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن.

(١٠) الصور: جمع أصور وهو المائل وفي «ح»، أ، م «ولا عور».

أخوه عبد يغوث ومقتله وما رثاه به :

وأما عبد يغوث بن الصَّمَّة وخبرُ مقتله فإنه كان ينزل بين أظهر بني الصَّادر فقتلوه . قال أبو عُبَيْدَةَ في خبره :
قتله مُجَمِّع بن مُزَاحِم أخو شَجَنَةَ بنِ مُزَاحِم وهو من بني يَزْبُوع بن غَيْظ بن مُرَّة . فقال دُرَيْدُ بن الصَّمَّة :

أَبْلَغُ نُعَيْمًا وَأَوْفَى إِنْ لَقَيْتَهُمَا إِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي سَمْعَيْهِمَا صَمَمٌ
فَمَا أَخِي بِأَخِي سَوْءٌ فَيَنْقُصَهُ إِذَا تَقَارَبَ بِأَبْنِ الصَّادِرِ الْقِسَمُ
/ وَلَنْ يَزَالَ شَهَابًا يُسْتَضَاءُ بِهِ يَهْدِي الْمَقَانِبَ ^(١) مَا لَمْ تَهْلِكِ الصَّمَمُ ^(٢)
عَارِي الْأَشَاجِعِ ^(٣) مَغْصُوبٌ بِلَمَّتِهِ أَمْرُ الزَّعَامَةِ ، فِي عِرْنِيهِ شَمَمٌ

[١٧/١٠]

خالد بن الصمة ومقتله :

قال أبو عُبَيْدَةَ : أَمَا قَوْلُهُ «أَوْ نَدِيمِي خَالِدٍ» ، فَإِنَّهُ يَعْنِي خَالِدَ بْنَ الصَّمَّةِ ؛ فَإِنَّ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ غَزَتْ بَنِي جُشَمَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ فَقَاتَلُوهُمْ فَقَتَلَتْ بَنُو الْحَارِثِ خَالِدَ بْنَ الصَّمَّةِ ، وَإِنَاءَهُ عَنِّي . وَقَالَ غَيْرُ أَبِي عُبَيْدَةَ :
٩ خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ ^(٤) الَّذِي عَنْهُ دُرَيْدٌ هُوَ عَمُّهُ خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو الصَّمَّةِ / بَنِي الْحَارِثِ قَتَلْتَهُ أَخْمَسُ (بَطْنٌ مِنْ شَنْوَةَ) ، وَكَانَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ أَغَارَ عَلَيْهِمْ فِي قَوْمِهِ فَظَفِرَ بِهِمْ وَأَسْتَأَقَ إِلَيْهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَسَيَّى نِسَاءَهُمْ وَمَلَأَ يَدَيْهِ وَأَيْدِي أَصْحَابِهِ ، وَلَمْ يُصَبِّ أَحَدٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ إِلَّا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ عَمَّهُ ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ؛ فَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ يَرِثِيهِ :

بَا خَالِدَا خَالِدَ الْأَيْسَارِ وَالْقَادِي وَخَالِدَ الرِّيحِ إِذْ هَبَّتْ بِضُرَادٍ ^(٥)
وَخَالِدَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ الْمَعِيشِ بِهِ وَخَالِدَ الْحَرْبِ إِذْ عَضَّتْ بِأُزْرَادٍ ^(٦)
وَخَالِدَ الرُّكْبِ إِذْ جَدَّ السُّفَارُ بِهِمْ وَخَالِدَ الْحَيِّ لِمَا ضَنَّ بِالزَادِ

[١٨/١٠] / وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : قَالَ دُرَيْدٌ يَرِثِي أَخَاهُ خَالِدًا :

أَمْنِمَ أَجْدِي عَافِي الرُّزْءِ وَأَجْشَمِي وَشُدِّي عَلَى رُزْءِ ضُلُوعِكَ وَأَبَاسِي
حَرَامٌ عَلَيْهَا أَنْ تَرَى فِي حَيَاتِهَا كَمَثَلِ أَبِي جَعْدٍ فَعُودِي أَوْ أَجْلِسِي
أَعَفْتُ وَأَجْدَى نَائِلًا لَعَشِيرَةٍ وَأَكْرَمَ مَخْلُودٍ ^(٧) لَدَى كُلِّ مَجْلِسِ
وَالْيَنْ مَنْسَه صَفْحَةً لَعَشِيرَةٍ وَخَيْرًا أَبَا ضَيْفٍ وَخَيْرًا لِمَجْلِسِ

(١) المقانب: جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة.

(٢) الصمم: جمع صمة وهو الشجاع . ولعله عنى قومه .

(٣) الأشاجع: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، وقيل هي عروق ظاهر الكف واحدها أشجع . والعرنين: الأنف .

(٤) كذا في «الأصول» . ولعله: «خالد الذي عنه دريد هو عمه خالد بن الحارث . . إلخ» .

(٥) الصراد: الغنم الرقيق لا ماء فيه .

(٦) كذا في أ ، م ، . والأزاد: جمع زرد وهي الدرع المزرودة؛ سميت بذلك لئنها وتداخل بعضها في بعض . وفي «سائر الأصول»:

«قصت بأوراد» . والأوراد: جمع ورد ، والورد من معانيه القطيع من الطير والجيش على التشبيه به .

(٧) كذا في الأصول .

تقول هلالاً خارجاً من غمامة
يُشدّ متون الأقربين بهاؤه
وليس بمكبّاب^(٢) إذا الليل جئته
ولكنه مذلّج ليل إذا سرى
إذا جاء يجري في شليل^(١) وقونس
ويخبط نفس الشانيء المتعبس
نؤوم إذا ما أذلجوا في المعرس
يند^(٣) سراه كل هاد مملّس^(٤)

هذه رواية أبي عبيدة.

يوم ثيل:

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن عمه العباس بن هشام عن أبيه أن خالد بن الصمة قُتل في غارة أغارها بنو الحارث بن كعب على بني نصر بن معاوية في يوم يقال له يوم ثيل^(٥)، فأصابوا ناساً من بني نصر. وبلغ الخبر بني جشم فليحقوهم، ورئيس بني جشم يومئذ مالك بن حزن، فاستنقذوا ما كان في أيديهم من غنائم بني نصر، فأصابوا ذا القرن الحارثي أسيراً وفقتوا عين شهاب بن أبان الحارثي بسهم، / وقتل يومئذ خالد بن [١٩/١٠] الصمة وكان مع مالك بن حزن، وأصاب بنو جشم منهم ناساً، وكان رئيس بني الحارث بن كعب يومئذ شهاب بن أبان، ولم يشهد دريد بن الصمة ذلك اليوم؛ فلما رجعوا قتلوا ذا القرن بخالد بن الصمة، ولما قدّم لتضرب عنقه، صاح بأوس بن الصمة، وكان له صديقاً، ولم يكن أوس حاضراً، فلم ينفعه ذلك وقتل. فلما قدّم أوس غضب وقال: أقتلتم رجلاً أستجار بأسمي! فقال عوف بن معاوية في ذلك:

نبت أوساً بكى ذا القرن إذ شربنا
إني حلفت بما جمعت من نشب
علي عكاظ بكاء غال مجهودي^(٦)
وما ذبحت على أنصابك السود
إني رأيتك تبكي لأباعد
لتبكين قتيلاً منك مقترباً

قصة زواجه بامرأة وجدها ثيباً:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة، وأخبرني عبدالله بن مالك النحوي الضرير قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال:
تزوج دريد بن الصمة امرأة فوجده ثيباً، وكانوا قالوا له إنها بكر، فقام عنها قبل أن يصل إليها، / وأخذ سيفه فأقبل به إليها ليضر بها، فتلقت أُمّها لتدفعه عنها، فوقف يديها (أي حرّهما ولم يقطعهما)، فنظر إليها بعد ذلك وهي معصوبة فقال:

أقر العين أن عصب يديها
وما إن تعصبان على خضاب

(١) الشليل: الغلالة تلبس تحت الدرع. والقونس: أعلى بيضة الحديد، وقيل مقدم البيضة.

(٢) المكبّاب: الكثير النظر إلى الأرض.

(٣) يند: يشر، وينفر.

(٤) كذا في الأصول. والظاهر أنها محرفة عن «عملس» وهو القوي الشديد على السفر أو القوي على السير السريع، ومثله «العمرس».

(٥) لم نجد يوماً بهذا الاسم فيما راجعنا من مصادر. وفي ياقوت: «ثيل بالفتح ثم السكون ماء قرب النجاج كانت به وقعة مشهورة».

(٦) في «ج»: «مجلودي».

فأبقاهن أن لهنّ جدّاً وواقية كواقية الكلاب

قالوا: يريد أن الكلب يُصيّبه الجرح فيلخص نفسه فيبرأ.

[٢٠/١٠] / ما جرى بينه وبين عياض الثعلبي:

قال أبو عبيدة وأبن الأعرابي جميعاً في هذه الرواية: أسر دُرَيْدُ بن الصَّمَّة عِياضاً الثَّعلْبِيَّ أحدَ بني ثعلبة بن سعد بن ذُبْيَان فأنعم^(١) عليه. ثم إن دُرَيْداً أتاه بعد ذلك يَسْتِثِيهِ. فقال له: إيتِ رَحْلَكَ حتى أبعثَ إليك بثوابك؛ فأنصرف دُرَيْدٌ. فبعث إليه بوطْطٍ^(٢) نصفه لبن ونصفه بول. فغضب دريد ولم يلبث إلا قليلاً حتى أغار على بني ثعلبة، وأستاق إبلَ عِياض، وأفلت عِياضُ منه جريحاً؛ فقال دُرَيْدُ في ذلك من قصيدة:

فإن تنجُ يَدْمَى عارضاك فلإننا تركنا بنيك للضَّبَاعِ وللرُّخَمِ^(٣)
جزيت عِياضاً كفره وعُقُوقَه وأخرجته من المَدْفَأَةِ^(٤) الدُّهْمِ
الأهل أتاه ما ركبنا سرائرهم وما قد عقرنا من صَفِيٍّ^(٥) ومن قَرَمِ

هجأ عبدالله بن جدعان ثم مدحه:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِي قال حدثنا دِمَازُ عن أبي عبيدة قال: هجأ دُرَيْدُ بن الصَّمَّةَ عبدالله بن جُدعانَ التَّيْمِيَّ تيم قُرَيْش فقال:

هل بالحوادث والأيام من عَجَبٍ أم بأبنِ جُدعانَ عبدالله من كَلَبٍ
إنَّ حميتَ^(٦) وهي في عِكم ربتَه في يوم حرٍّ شديد الشرِّ والهَرَبِ
إذا لقيت بني حَرْبٍ وأخوتهم لا يأكلون عَطِينَ^(٧) الجلد والأهَبِ
لا يَنكِحُونَ ولا تُشْوِي^(٨) رماحهم من الكُمَاةِ ذوي الأبدان والجُبَبِ^(٩)
/ فأقعد بَطِيناً مع الأقوام ما قعدوا وإن غزوت فلا تُبعِذْ من النَّصَبِ
فلو تَقَفْتُكَ^(١٠) وَسَطَ القوم تَرُصُّدُنِي إذا تلبَّس منك العِرْضُ^(١١) بالحَقَبِ

[٢١/١٠]

(١) أنعم عليه: أطلقه.

(٢) الوطط: سقاء اللبن يتخذ من جلد.

(٣) الرخم: (بضم الراء وسكون الخاء): جمع رخمة (بفتح الراء والخاء). وهي طائر أبقع على شكل النسر خلقة إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق.

(٤) المدفأة: الإبل الكثيرة الأوبار والشحوم.

(٥) الصفي: الناقة الغزيرة اللبن. والقرم: الفحل.

(٦) الحميت: المتين. والعكم (بكسر العين وسكون الكاف): العدل يجعل فيه المتاع ويشد عليه بالعكام أي الحبل. ويلاحظ أن هذا الشعر غير واضح.

(٧) العطين: الجلد المدبوغ.

(٨) تشوي: تصيب الشرى ولا تقتل. والشوى: الأطراف.

(٩) الأبدان: جمع بدن وهو هنا الدرع القصيرة. والجبب: جمع جبة وهي هنا الدرع أيضاً.

(١٠) تَقَفْتُكَ: صادقه.

(١١) العِرْضُ هنا: الجسد، والحَقَبُ شيء تتخذه المرأة تعلق به معاليق الحلي تشده على وسطها. يريد إذا صادفتك وسط القوم ليست =

وما سمعتُ بصَفَرٍ ظَلَّ يَرْصُدُه من قبل هذا بَجَنِبِ المَرْجِ^(١) من خَرَبِ^(٢)

قال: فلقية عبدالله بن جُدعانُ بِمُكاظَ فحيّاه وقال له: هل تعرفني يا دُرَيْدُ؟ قال لا. قال: فَلِمَ هجوتني؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا عبدالله بن جُدعان. قال: هجوتك لأنك كنتَ أَمراً كريماً، فأحييتُ أن أضع شعري موضعه. فقال له عبدالله: لئن كنتَ هجوتَ لقد مدحتَ؛ وكساه وحمله على ناقة بِرَحْلها. فقال دُرَيْدُ يمدحه:

إليك أبن جُدعانَ أَعْمَلْتُهَا	مَخْفَفَةً لِلشُّرَى والنَّصَبِ
فلا خَفَضَ حَتَّى تُلاقِي أَمراً	جَوادَ الرُّضَا وحَلِيمَ الغَضَبِ
وجَلَدًا إذا الحَرْبُ مَرَّتْ بِهِ	يُعِينُ عليها بِجَزَلِ الحَطَبِ
رَحَلْتُ البِلادَ فَمَا إن أَرَى	شِيبةَ أبن جُدعانَ وَسَطَ العَرَبِ
سوى مَلِكٍ شامِخٍ مَلِكُهُ	له البحرُ يَجْري وعَيْنُ الذَّهَبِ

تغزل في الخنساء وخطبها فأمتنعت وتهاجيا:

/ أخبرنا أبو خَلِيفَةَ عن محمد بن سَلَامٍ موقوفاً عليه لم يتجاوزهُ إلى غيره، وحدثني حَبِيبُ بن نَصْرِ المهَلْبِيُّ^{١١} وأحمد بن عبدالعزيز الجوهرِيّ قالا حدثنا عمر بن شُبَّة عن الأصمعيّ وأبي عُبَيْدة، وأخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِيّ قال حدثنا أبو عَسَّانَ دَمَاز عن أبي عُبَيْدة، وأخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلَاء قال حدثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال حدثني عليّ بن المُغِيرَةِ عن أبي عُبَيْدة، وأخبرني محمد بن خَلْفِ بن المَرْزُبَانِ/ قال حدثني أبو بكر العامريّ قال [٢٢/١٠] حدثني ابن نوبة^(٣) عن أبي عمرو الشَّيْبَانِيّ، وأخبرني عَمِيّ قال حدثنا ثَعْلَبُ عن ابن الأعرابي^(٤)، وقد جمعتُ أخبارهم على اختلاف ألفاظهم في هذا الموضع، أن دُرَيْدُ بن الصَّمَّةَ مرَّ بالخنساء بنت عمرو بن الشَّرِيد، وهي تَهْتَأُ بعيراً لها وقد تبدّلت حتى فرغت منه، ثم نَضَتْ عنها ثيابها فأغتسلت ودُرَيْدُ بن الصَّمَّةَ يراها وهي لا تشعر به فأعجبته؛ فأنصرف إلى رَحْلِهِ وأنشأ يقول:

حَيُّوا تَمَاضِرَ وأربَعُوا صَخْبِي	وقِفُوا فإن وقوفكم حَنْبِي
أَخْشَسُ قَدَ هَامِ الفَوَادِ بِكُمْ	وأصابه تَبَلُّ مَسْنِ الحُطْبِ
ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بِهِ	كالْيَوْمِ طَالِسي أُنْشِقِ جُزْبِ
متبذلاً تَبَدُّو محاسنُهُ	يضع الهَنَاءَ مواضعَ الثُّقْبِ ^(٥)
متحسِّراً نَضَحَ الهَنَاءُ بِهِ	نَضَحَ العَيْرِ بِرِيطَةِ العَضْبِ ^(٦)

= لبسة النساء واستخفيت.

(١) كذا في «الأصول». ولعله «المرخ» وهو شجر سريع الوري يقتلح به.

(٢) الخرب: ذكر الحباري، وقيل الحباري كلها.

(٣) الذي في ج، أ: «...». وأخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَانِ قال حدثني أبو نوبة... إلخ.

(٤) في أ، م هنا زيادة، هي: «وأخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي».

(٥) الهناء: القطران. والثقب (بضم النون وتسكين القاف أو فتحها): القطع المتفرقة من الجرب. والواحدة ثقب، وقبل هي أول ما يبدو من الجرب.

(٦) في ب، س: «المعطب». والمعطب (بالضم وبضميتين): القطن.

فَسَلِّهِمْ عَنِّي خُنَاسٌ إِذَا عَصَى الْجَمِيعَ الْخَطْبُ مَا خَطْبِي

- قالوا: وَتَمَاضِرُ اسْمُهَا. والخنساء لقبٌ غلبَ عليها - فلما أصبح غداً على أبيها^(١) فخطبها إليه. فقال له أبوها: مرحباً بك أبا قُرّة! إنك للكريم لا يُطعن في حسبه، والسيد لا يُرَدُّ عن حاجته، والفحل لا يُفَرِّع أنفه. - وقال أبو عبيدة خاصة مكان «لا يُطعن في حسبه» «لا يطعن في عيبه»^(٢) - ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها، [٢٣/١٠] وأنا ذاكرتك لها/ وهي فاعلة. ثم دخل إليها وقال لها: يا خنساء، أذاك فارس هوازن وسيد بني جشم دُرَيْد بن الصَّمة يخطبك وهو من تعلمين، ودُرَيْد يسمع قولهما. فقالت: يا أبت، أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرِّمَّاح وناكحة شيخ بني جشم هامة^(٣) اليوم أو غداً! فخرج إليه أبوها فقال: يا أبا قُرّة قد أمتنعت، ولعلها أن تجيب فيما بعد. فقال: قد سمعتُ قولكما، وأنصرف. هذه رواية من ذكرت. وقال ابن الكلبي: قالت لأبيها: أنظرني حتى أشاوَر نفسي، ثم بعثت خلف دريد وليدة فقالت لها: انظري دُرَيْداً إذا بال، فإن وجدت بوله قد خرق الأرض ففيه بقية، وإن وجدته قد ساح على وجهها فلا فضل فيه. فأتبعته وليدتها ثم عادت إليها فقالت: وجدت بوله قد ساح على وجه الأرض، فأمسكت. وعاود دُرَيْد أباه فعاودها فقالت له هذه المقالة المذكورة؛ ثم أنشأت تقول:

أَتَخْطُبْنِي، هُبَلْتُ، عَلَى دُرَيْدٍ وَقَدْ أَطْرَدْتُ^(٤) سَيِّدَ آلِ بَذْرٍ!

مَعَاذَ اللَّهِ يَنْكُحْنِي حَبْرُكِي^(٥) يُقَالُ أَبُوهُ مِنْ جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ

/ وَلَوْ أَمْسَيْتُ فِي جُشَمِ هَدِيَّا^(٦) لَقَدْ أَمْسَيْتُ فِي دَنَسٍ وَفَقْرٍ

١٢

فغضب دُرَيْد من قولها وقال يهجوها:

وَقَالَ اللَّهُ يَا بَنَّةَ آلِ عَمْرِو مِنَ الْفَثِيانِ امْثَالِي وَنَفْسِي

فَلَا تَلِدِي وَلَا يَنْكُحْكِ مِثْلِي إِذَا مَالِيلةٌ طَرَقَتْ بَنَخَسَ

/ لَقَدْ عَلِمَ الْمَرَضُخُ فِي جُمَادَى إِذَا اسْتَعْجَلْنَ عَنْ حَزْزٍ^(٧) بَنَهَسَ

[٢٤/١٠]

بِأَنِّي لَا أَيْبُتُ بغير لحم وَأَبْسَدُ بِالْأَرَامِلِ حِينَ أَمْسِي

وَأَنِّي لَا يَنْتَالُ الْحَيُّ ضَيْفِي^(٨) وَلَا جَارِي يَبِيتُ خَيْبَتُ نَفْسٍ

إِذَا عَقَبَ الْقُدُورُ تَكُنَّ مَالاً^(٩) تَحْكُ حَلَائِلَ الْأَنْرَامِ عَرْمِي

(١) في «الأمالي» ج ٢ ص ١٦١ طبع دار الكتب المصرية أنه خطبها إلى أخيها معاوية.

(٢) كذا في الأصول. ولعلها: «في غيبة» بالغين المعجمة.

(٣) يقال: فلان هامة اليوم أو غداً؛ إذا شاخ وأشرف على الموت.

(٤) أطردت: أمرت بطرده.

(٥) الحبركي: الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين، والأثنى منه حبركة. وقد ورد هذا البيت في «اللسان» هكذا:

ولست بمرضع ثديي حبركي قصير الشبر من جشم بن بكر

(٦) الهدى: العروس.

(٧) الحز: القطع. والنهس: تمرق ما على العظم وانتزاعه بمقدم الأسنان.

(٨) رواية «الأمالي»:

* وَأَنِّي لَا يَهْرُ الضَّيْفُ كَلْبِي *

أي لا ينيح في وجهه لأنسه به.

(٩) كذا في «ح». وفي «سائر الأصول»: «تكن ملأى» وهو تحريف. ورواية هذا الشطر في «الأمالي» و«اللسان» (في مادة برم): «إذا =

وأصفرَ من قِداحِ النَّبَعِ صُلْبٍ خفيَّ الوشمِ في ضَرْسٍ^(١) وَلَفْسٍ
دَفَعْتُ إِلَى الْمُفِيضِ^(٢) إِذَا اسْتَقَلُّوا عَلَى الرُّكْبَاتِ^(٣) مَطْلَعُ كُلِّ شَمْسٍ
فَإِنْ أَكْدَى^(٤) فَتَامِكَةً تُؤَدَّى^(٥) وَإِنْ أَرَزَى فِلَانِي غَيْرُنْكَسٍ
وَتَزْعُمُ أَنْسِي شَيْخٌ كَبِيرٌ وَهَلْ خَبَّرْتُهَا أَنْسِي أَبْنُ أَمْسٍ
/ تَرِيدُ شَرَنْبَثَ^(٦) الْقَدَمِينَ شَتَاً يُبَادِرُ بِالْجَدَائِرِ كُلَّ كِرْسٍ
وَمَا قَصُرْتُ يَدِي عَنْ عَظَمِ أَمْرٍ أَهْمُ بِهِ وَلَا سَهْمِي بِنْكَسٍ
وَمَا أَنَا بِالْمُزَجَّى^(٧) حِينَ يَسْمُو عَظِيمٌ فِي الْأُمُورِ وَلَا بَوَفْسٍ

قال: فقيل للخنساء: ألا تُجيبينه؟ فقالت: لا أجمع عليه أن أرده وأهجوّه.

آخر أيامه وشعره بعد أن أسن وضعف جسمه:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: لَمَّا أَسَنَ دُرَيْدُ جَعَلَ لَهُ قَوْمُهُ بَيْتاً مَفْرَداً عَنْ الْبُيُوتِ، وَوَكَّلُوا بِهِ أَمَةً تُخْدُمُهُ، فَكَانَتْ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تُبْعِدَ فِي حَاجَةٍ قَبْدَتْهُ بِقَيْدِ الْفَرَسِ. فَدَخَلَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَنْتَ يَا دُرَيْدُ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَصْبَحْتُ أَقْذِفُ أَهْدَافَ الْمُنُونِ^(٨) كَمَا يَزِمِي الدَّرِيثَةُ^(٩) أَدْنَى فُوقَةٍ^(١٠) الْوَتْرِ

= عقب القدور عددن مالا. وعقبه القدر: ما التزق بأمتلها من تابل وغيره. وتحت: تعجل، يقال حته دراهمه إذا عجل له النقد. وقد وردت هذه الكلمة في الأصول «تحب» والتصويب عن «اللسان». يريد أنه إذا اشتد القحط وعدت عقب القدور مالا عجلت زوجته العطاء لزوجات الأبرام. والأبرام: اللثام، الواحد: برم، وهو في «الأصل» الذي لا يدخل مع القوم في الميسر.

(١) ضرس السهم: عجمه.

(٢) المفيض: الضارب بالقداح.

(٣) في الأصول: «الركبان» والتصويب عن «الأمالي»؛ ويروى فيه:

دفعْتُ إِلَى النَجِيِّ وَقَدْ تَجَانَرَا عَلَى الرُّكْبَاتِ مَطْلَعُ كُلِّ شَمْسٍ

قال أبو علي قال لنا أبو بكر قال أبو حاتم عن الأصمعي: هذا غلط، إنما هو مغرب كل شمس، لأن الأيسار إنما يتياسرون بالعشيات. (٤) أكدي: أخفق ولم يصب.

(٥) كذلك في الأصول. ويلاحظ أنه لم يرد في «كتب اللغة» إلا التامك بدون هاء التأنيث. والتامك: الناقة العظيمة السنام أو السنام نفسه. والنكس: الرجل الضعيف لا خير فيه.

(٦) الشرنبت: الغليظ. والشثن: الغليظ أيضاً. والكرس: ما تكرس أي صار بعضه فوق بعض. والجداثر: جمع جديرة وهي الحظيرة. وقد رواه أبو علي في «الأمالي»:

تَرِيدُ أَفْجَحَ السَّرْجَلِينَ شَتَاً يَقْلَعُ بِالْجَدِيدَةِ كُلَّ كِرْسٍ

وقال: ويروى:

تَرِيدُ شَرَنْبَثَ الْكَفِينِ شَتَاً يَقْلَعُ بِالْجَدَائِرِ كُلَّ كِرْسٍ

(٧) المزجي من القوم: المزيج وهو الملتصق بالقوم وليس منهم، والرجل الناقص المروءة، والدون من كل شيء، والبخل. والوهس: الذليل الموطوء.

(٨) في أ، م: «السنين». وفي ح: «المئين».

(٩) الدريثة: حلقة يتعلم عليها الرامي الرمي؛ قال عمرو بن معد يكرب:

ظَلَمْتُ كَأَنِّي لِلرَّمِيحِ دَرِيثَةٌ أَقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جِسْمٍ وَفِرَتِ

(١٠) في «اللسان»: «الفوق: مشق رأس السهم حيث يقع الوتر. وحرفاه: زنمته. وهذيل تسمى الزنمتين فوقتين.

فِي مُنْصَفٍ^(١) مِنْ مَدَى تَسْعِينَ مِنْ مَائَةٍ كَرَمِيَّةِ الْكَاعِبِ الْعَذْرَاءَ بِالْحَجَرِ
فِي مَنْزِلٍ نَازِحٍ مِ الْحَيِّ مُتَبَدِّلٍ كَمَرَبَطِ الْعَيْتَرِ لَا أَدْعَى إِلَى خَبَرِ
/ كَأَنِّي خَرَبْتُ^(٢) قُصَّتْ قَوَادِمُهُ أَوْ جُئْتُ مِنْ بُغَاثٍ فِي يَدَيَّ خَصِرٍ^(٣)
يُمَضُّونَ أَمْرَهُمْ دُونِي وَمَا فَقَدُوا مَنِّي عَزِيمَةً أَمْرٍ مَا خَلَا كِبَرِي
وَنَوْمَةً لَسْتُ أَفْضِيهَا وَإِنْ مَتَعْتُ^(٤) وَمَا مَضَى قَبْلُ مِنْ شَأْوِي وَمَنْ عُمُرِي
وَأَنَّنِي رَأَيْتَنِي قَبْلَ حُسْنَتٍ بِهِ وَقَدْ أَكُونُ وَمَا يُمَشَى عَلَيَّ أَثَرِي
إِنْ السَّيِّئِينَ إِذَا قَرَّرْتَنَ مِنْ مَائَةٍ لَوَيْنَ مِرَّةً^(٥) أَحْوَالٍ عَلَيَّ مِرَرٍ

[٢٦/١٠]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَمَازُ عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ قَالَ: قَالَتْ امْرَأَةٌ دَرِيدٌ لَهُ: قَدْ أَسْتَنْتَ وَضَعُفَ جِسْمِكَ وَقُتِلَ أَهْلُكَ وَفَنِيَ شَبَابُكَ، وَلَا مَالُ لَكَ وَلَا عُدَّةٌ، فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَعُولُ إِنْ طَالَ بِكَ الْعُمْرُ أَوْ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُخَلِّفُ أَهْلَكَ إِنْ قُتِلْتَ؟ فَقَالَ دُرَيْدٌ:

/ صوت

١٣
٩

أَعَاذَلُ إِنَّمَا أَفْتَى شَبَابِي رَكُوبِي فِي الصَّرِيخِ إِلَى الْمُنَادِي
مَعَ الْفَتَيَانِ حَتَّى كَلَّ جِسْمِي وَأَفْرَحَ عَائِقِي حَفْلُ الثَّجَادِ
أَعَاذَلُ إِنَّهُ مَالٌ طَرِيفٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَالِ تِلَادِ
أَعَاذَلُ عُدَّتِي بَسَدَنِي^(٦) وَرُمَحِي وَكُلُّ مَقْلَصٍ شَكْسُ الْقِيَادِ
وَيَنْقَى بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حِلْمِي وَيَنْقَى قَبْلَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي

هذا الشعر رواه أبو عُيَيْدَةَ لِلدَّرِيدِ، وَغَيْرُهُ يَرْوِيهِ لِعَمْرُو بْنِ مَعَدٍ يَكْرُبُ، وَقَوْلُ أَبِي عُيَيْدَةَ أَصَحُّ. لَابِنُ^(٧) [٢٧/١٠] مَحْرُزٌ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ/ عَنْ إِسْحَاقَ. وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّ لَابِنَ سُرَيْجَ فِيهَا ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْبِنْصَرِ. وَخَلَطَ الْمَغَنُّونَ بِهَذَا الشَّعْرَ قَوْلَ عَمْرُو بْنِ مَعَدٍ يَكْرُبُ فِي هَذَيْنِ اللَّحْنَيْنِ:

أُرِيدُ حَيَاتَهُ^(٨) وَيُرِيدُ قَتْلِي عَزِيدُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ
وَلَوْ لَا قَيْتَنِي وَمَعِي سِلَاحِي تَكْشِفُ شَخْمُ قَلْبِكَ عَنْ مَسَوَادِ

(١) منصف الشيء: وسطه.

(٢) الخرب: ذكر الحباري.

(٣) كذا في الأصول. ولعلها «مصر». ويقال ليث هصور ومصر (ككتف) ومصر (كصرد).

(٤) متعت: طابت.

(٥) المرة: طاقة الجبل.

(٦) البدن هنا: الدرع. وفرس مقلص (بكسر اللام): طويل القوائم منضم البطن.

(٧) في الأصول هنا: «ولابن محرز... إلخ».

(٨) في ب، س: «حياته».

قتلت بنو يربوع الصمة أباه فغزاهم:

وقال أبو عبيدة فيما رويناه عن دماذ عنه: قتل بنو يربوع الصمة أبا دريد غدرًا، وأسروا ابن عم له؛ فغزاهم دريد ببني نصر فأوقع ببني يربوع وبني سعد جميعاً، فقتل فيهم . وكان فيمن قتل عمار بن كعب؛ وقال فيهم:

دعوت الحَيِّ نصرأ فاستهلوا
على جُرْدٍ كأمثال السَّعَالِي
فما جَبُّوا ولكنَّا نصَبْنَا
فكم غاذن من كَابٍ صَرِيحٍ
وتلكم عادة لِنَبِي رَبَابٍ
فأجلَّوا والسَّوَامُ لنا مُبَاحٍ
وقد تُسرك أبْنُ كَعْبٍ في مَكْرٍ
بشُّبَّانٍ ذوي كَرَمٍ وشِيَبٍ
ورَجُلٍ مثلي أُمِيَّةٌ^(١) الكَثِيبِ
صدور الشَّرْعِيَّةِ^(٢) للقلوب
يُمِجُّ نَجِيعَ جَائِفَةٍ^(٣) ذُنُوبٍ
إذا ما كان موتٌ من قَرِيبٍ
وكلُّ كَرِيمَةٍ خَوْعَرُوبٍ
حَيِّسًا بَيْنَ ضَبْعَانٍ وَذِيَبٍ

كان أبوه شاعراً:

قال أبو عبيدة: وكان الصمة أبو دريد شاعراً، وهو الذي يقول في حرب الفجار التي كانت بينهم وبين قريش:

/ لاقت قُرَيْشٌ غَدَاةَ الْعَقِيْبِ
وجئنا إليهم كموج الأتْيِ^(٤)
وأغددتُ للحَرْبِ خَيْفَانَةً^(٥)
ومُخَكَّمَةً من دروع القيـو
ق أمراً لها وجدتُها وَيِيلاً
يعلو النُّجَادَ وَيَمْلَأُ الْمَيْيلاً
ورمحاً طويلاً وسيفاً صقيلاً
ن تسمع للسيف فيها صليلاً

وكان أخوه مالك شاعراً:

قال: وكان أخوه مالك بن الصمة شاعراً؛ وهو القائل يَرثِي أخاه خالدًا:

أَبْنِي غَزِيَّةً إِنْ شِلُّوا^(٦) مَا جَسَدًا
لا تَسْقِنِي بِيَدِيكَ إِنْ لَمْ أَلْتَمِسْ
وَسَطَ الْبَيْتِ الشُّوْدَ مَذْفَعَ كَرْكَرٍ^(٧)
بِالْخَيْلِ بَيْنَ هَبُولَةٍ^(٨) فَالْقَرْقَرِ

(١) كذا في أكثر الأصول. وفي م، حد: «أمية» ولا معنى لهما. فلعل الصواب «أهيلة» جمع هيال وهو ما انهال من الرمال.

(٢) الشرعية: الطويلة، يريد الرماح.

(٣) الجائفة: الطعنة التي تنفذ إلى الجوف. وذنوب: طويلة الشر والأذى؛ ومثله قولهم: يوم ذنوب إذا كان طويل الشر لا ينقضي.

(٤) الأتي: السيل لا يدري من أين أتى.

(٥) الخيفانة: الفرس.

(٦) الشلو (بالكسر) هنا: الجسد.

(٧) كركر: علم على عدة مواضع.

(٨) هبولة والقرقر: موضعان.

تحالف مع معاوية بن عمرو بن الشريد ورثاء:

١٤ / أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: تحالف دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ومعاوية بن عمرو بن الشريد وتوثقا إن هلك أحدهما أن يرثيه الباقي بعده، وإن قُتل أن يطلب بثأره. فقتل معاوية بن عمرو بن الشريد، قتله هاشم بن حرملة بن الأشعر المُرِّي. فرثاه دُرَيْدُ بقصيدته التي أولها:

الْأَهْبَتْ تَلُومُ بَغِيرَ قَنْدَرٍ وَقَدْ أَحْفَظْتَنِي وَدَخَلْتَ سِثْرِي
وَلَا تَتْرُكِي لِسُؤْمِي سَفَاهَاً تَلْفُكُ عَلَيْهِ نَفْسُكَ غَيْرَ عَضْرِ
وفيها يقول:

فَإِنَّ الرُّزَاةَ يَوْمَ وَقَفْتُ أَدْعُو فَلَمْ أَسْمَعْ مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرٍو
وَلَوْ أَسْمَعْتَهُ لَأَتَاكَ يَسْعَى حَيْثُ السَّغْيِ أَوْ لَأَتَاكَ يَجْرِي
بِشَكَّةٍ^(١) حَازِمٌ لَا غَمَزَ فِيهِ إِذَا لَيْسَ الْكُمَاةُ جُلُودَ نَمْرٍ^(٢)
/ عَرَفْتُ مَكَانَهُ فَعَطَفْتُ زُورًا^(٣) وَأَيْنَ مَكَانُ زُورٍ يَا أَبَنَ بَكْرٍ
عَلَى إِرَمٍ^(٤) وَأَحْجَارِ ثِقَالٍ وَأَغْصَانٍ مِنَ السَّلَمَاتِ سُفْرٍ
وَبُيُوتِ الْقُبُورِ أَتَى عَلَيْهَا طَوَالَ السَّهْرِ شَهْرًا بَعْدَ شَهْرِ

[٢٩/١٠]

مركزية مكتبة التراث

حديث عارض الجشمي عنه وقد خرف:

أخبرني عبدالله بن مالك النحوي قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: وقف عارض الجشمي على دُرَيْدٍ وقد خرف وهو عُزَيَّانٌ وهو يَكُومُ كُومَ بَطْحَاءَ^(٥) بين رجله يلعب بذلك؛ فجعل عارض يتعجب مما صار إليه دُرَيْدُ. فرفع رأسه دُرَيْدُ إليه وقال:

كَأَنَّني رَأْسُ حَضَنٍ^(٦) فَمِ يَوْمَ غَنِمٍ وَدُجَنٍ^(٧)
يَا لَيْتَنِي عَنْهُ زَمَنٌ أَنْفَضُ رَأْسِي وَذَقَنُ
كَأَنَّني فَخْلُ حُصْنٍ أُرْسِلَ فِي حَبْلِ عُنْ
أُرْسِلَ كَالظُّبْيِ الْأَرَنِ^(٨) أَلَصَّقَ أُذُنًا بِأُذُنٍ

قال: ثم سقط؛ فقال له عارض: إنهض دُرَيْدُ! فقال:

- (١) الشكة: السلاح.
(٢) يقال: لبس فلان لفلان جلد النمر إذا تنكر له. وكانت ملوك العرب إذا جلست لقتل إنسان لبست جلود النمر ثم أمرت بقتل من تريد قتله.
(٣) الزور في اللغة: الجمل القوي، ولعله هنا اسم جملة.
(٤) الإرم: حجارة تنصب علماً في المفازة.
(٥) البطحاء هنا: الحصى الصغار.
(٦) حضن: سم جبل.
(٧) الدجن: جمع دجنة وهي الظلمة.
(٨) الأرن: النشط.

لَا نَهَضَ فِي مِثْلِ زَمَانِي الْأَوَّلِ مُحَنَّبَ السَّاقِ شَدِيدًا^(١) الْأَعْصَلَ
ضَخَمَ الْكَرَادِيسَ^(٢) خَمِصَ الْأَشْكَالِ^(٣) ذِي^(٤) حَنْجَرٍ رَحْبٍ وَصُلْبٍ أَعْدَلِ

/ خرج في حرب حنين وهو شيخ ونصح مالك بن عوف فخالفه: [٣٠/١٠]

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ أَقَامَ بِهَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً يَقْصُرُ^(٥)، وَكَانَ فَتْحُهَا فِي عَشْرِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: لَمَّا سَمِعْتُ بِهِ هَوَازُنُ جَمَعَهَا مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ ثَقِيفٌ مَعَ هَوَازُنَ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ إِلَيْهِ مِنْ قَيْسِ إِلَّا هَوَازُنُ وَنَاسٌ قَلِيلٌ مِنْ بَنِي هِلَالٍ، وَغَابَتْ عَنْهَا كَعْبٌ وَكِلَابٌ، فَجَمَعَتْ نَصْرٌ وَجُشْمٌ وَسَعْدٌ وَبَنُو بَكْرٍ وَثَقِيفٌ وَاحْتَشَدَتْ، وَفِي بَنِي جُشْمٍ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ شَيْخٌ كَبِيرٌ فَإِنْ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا التَّيْمُنُ بِرَأْيِهِ وَمَعْرِفَتُهُ بِالْحَرْبِ، وَكَانَ شَيْخًا مَجْرُبًا، وَفِي ثَقِيفٍ فِي الْأَحْلَافِ قَارِبُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَفِي بَنِي مَالِكٍ ذُو الْخِمَارِ سُبَيْعُ / بْنِ الْحَارِثِ، وَجَمَاعُ أَمْرِ النَّاسِ إِلَى ١٥ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ. فَلَمَّا أَجْمَعَ مَالِكُ الْمَسِيرَ حَطَّ مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ. فَلَمَّا نَزَلُوا بِأَوْطَاسٍ^(٦) أَجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَفِيهِمْ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فِي شِجَارٍ^(٧) لَهُ يُقَادُ بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ دُرَيْدُ: بَأَيِّ وَادٍ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: بِأَوْطَاسٍ. قَالَ: نَعَمْ مَجَالُ الْخَيْلِ، لَيْسَ بِالْحَزْنِ الْفُرْسِ^(٨) وَلَا السَّهْلِ الدَّهْسِ^(٩). مَالِي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْإِبِلِ وَنَهَيْقَ الْحَمِيرِ وَبِكَاءَ الصَّغِيرِ وَثَغَاءَ الشَّاءِ؟ قَالُوا: سَاقِ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مَعَ النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ. فَقَالَ: أَيْنَ مَالِكُ؟ فَدُعِيَ لَهُ بِهِ. فَقَالَ لَهُ: يَا مَالِكُ، إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ، وَإِنَّ هَذَا الْيَوْمَ كَانَتْ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَيَّامِ. مَالِي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْبَعِيرِ وَنَهَيْقَ الْحَمِيرِ وَبِكَاءَ الصَّيَّانِ وَثَغَاءَ الشَّاءِ؟ قَالَ: سَقَتْ مَعَ النَّاسِ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ. قَالَ: / وَلِمَ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ أَهْلَهُ وَمَالَهُ لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ. قَالَ: فَانْقَضَ بِهِ [٣١/١٠] وَوَيْخَهُ وَلَامَهُ، ثُمَّ قَالَ: رَاعِي ضَائِنَ وَاللَّهِ (أَيَّ أَحْمَقَ!) وَهَلْ يَرُدُّ الْمَنْهَزَمَ شَيْءٌ! إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ لَكَ لَمْ يَنْفَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرَمَحِهِ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ فَضَحَتْ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ. ثُمَّ قَالَ: مَا فَعَلْتَ كَعْبُ وَكِلَابُ؟ قَالَ: لَمْ يَشْهَدْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ. قَالَ: غَابَ الْحَدُّ وَالْجَدُّ لَوْ كَانَ يَوْمَ عَلَاءٍ وَرَفْعَةٍ لَمْ تَغِبْ عَنْهُ كَعْبُ وَكِلَابُ! وَلَوْ دِدْتُ أَنْكُمْ

(١) التَّحْنِيبُ: أَحْدِيدَابُ فِي وَطِيفِي يَدِي الْفَرَسِ، وَهُوَ مِمَّا يُوصَفُ صَاحِبُهُ بِالشَّدَةِ. وَالْأَعْصَلُ: الْمَعْوَجُ الصُّلْبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهُ نَابُ أَعْصَلِ أَيَّ مَعْوَجٍ شَدِيدٍ؟ قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ:

* رَأَيْتُ لَهَا نَابًا مِنْ الشَّرِّ أَعْصَلًا *

وَفِي الْأَصُولِ: «أَعْصَلُ» بِالضَّادِ وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٢) الْكَرَادِيسُ: جَمْعُ كَرْدُوسٍ وَهُوَ كُلُّ عَظْمٍ تَامَ ضَخَمٌ.

(٣) لَيْسَ فِي «كُتُبِ اللُّغَةِ» إِلَّا الشَّكْلَةُ بِمَعْنَى الْخَاصِرَةِ وَهِيَ الْمُرَادَةُ فِي هَذَا الشَّعْرِ.

(٤) كَذَا فِي «جَمِيعِ الْأَصُولِ»: الْمُرَادُ بِهِ لَيْسَ وَاضِحًا.

(٥) قَصَرَ الصَّلَاةَ: أَنْ يَتْرَكَ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ رَكْعَتَيْنِ وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ.

(٦) أَوْطَاسٌ: وَادٍ بِدِيَارِ هَوَازُنَ.

(٧) الشَّجَارُ: مَرْكَبٌ أَصْغَرُ مِنَ الْهُودُجِ.

(٨) الْفُرْسُ: الصَّعْبُ.

(٩) الدَّهْسُ: اللَّيْنُ السَّهْلُ.

فعلتم مثل ما فعلوا. فَمَنْ شَهِدَهَا مِنْهُمْ؟ قالوا: بنو عمرو بن عامر وبنو عوف بن عامر. قال: ذَاكَ الْجَدَّعَانِ^(١) من عامرٍ لا ينفعان ولا يضرَّان. ثم قال: يا مالِكُ إنك لم تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ الْبَيْضَةِ^(٢) بَيْضَةَ هَوَازَنَ إِلَى نُحُورِ الْخَيْلِ شَيْئاً. إِزْفَعُهُمْ إِلَى أَعْلَى^(٣) بِلَادِهِمْ وَعَلِيَاءِ قَوْمِهِمْ ثُمَّ أَلَقَ الْقَوْمَ بِالرِّجَالِ عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ لَحِيقُ بَكٍ مِنْ وِرَاءِكَ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ وَلَمْ تُفْضَحْ فِي حَرِيمِكَ. قال: لا والله ما أفعل ذلك أبداً! إنك قد خَرِفْتَ وَخَرِفَ رَأْيُكَ وَعَلِمُكَ. وَاللَّهِ لَتَطِيعُنِي يَا مَعْشَرَ هَوَازَنَ أَوْ لَا تَكْتَنَنَّ عَلَى هَذَا السِّيفِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ وِرَاءِ ظَهْرِي - فَنَفْسٌ عَلَى دَرِيدٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ذِكْرٌ وَرَأْيٌ - فَقَالُوا لَهُ: أَطَعْنَاكَ وَخَالَفْنَا دُرَيْدًا. فَقَالَ دَرِيدٌ: هَذَا يَوْمٌ لَمْ أَشْهَدْهُ وَلَمْ أَغِبْ عَنْهُ. ثُمَّ قَالَ:

يَا لَيْتَنِي فِيهِ جَزَعٌ أَخُوبٌ فِيهِ وَأَضْعُجُ
أَقْدُودَ وَطَفَاءِ السَّرْمِجِ كَأَنَّهُ شَاةٌ صَدَعُ

قال: فلما لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ فَأَتَوْا الطَّائِفَ وَمَعَهُمَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ، وَعَسْكَرُ بَعْضِهِمْ بِأَوْطَاسٍ وَتَوَجَّهَ بَعْضُهُمْ نَحْوَ نَخْلَةٍ^(٤)، وَتَبِعَتْ خَيْلُ / رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَلَكِ نَخْلَةٍ، فَأَدْرَكَ رَبِيعَةُ بْنُ رُفَيْعٍ الشُّلَمِيَّ أَحَدَ بَنِي يَزِيدَ بْنِ سَمَّالٍ^(٥) بَنَ عَوْفٍ دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ فَأَخَذَ بِخَطَامِ جَمَلِهِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ^(٦) امْرَأَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ فِي شَجَارٍ لَهُ، فَأَنَاحَ بِهِ فإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ شَيْخٍ كَبِيرٍ وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْغَلَامُ. فَقَالَ لَهُ دَرِيدٌ: مَاذَا تَرِيدُ؟ قَالَ: أَقْتُلُكَ. قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا رَبِيعَةُ بْنُ رُفَيْعٍ الشُّلَمِيَّ. فَأَنشَأَ دُرَيْدٌ يَقُولُ:

وَيْحَ ابْنِ أَكْمَةَ^(٧) مَاذَا يُرِيدُ مِنَ الْمُزْعَشِ الذَّاهِبِ الْأَذْرَدِ
فَأَقْسِمُ لَوْ أَنَّ بَنِي قَوْوَةَ لَوَلَّيْتُ فَرَانُصَهُ تُزْعَرَدُ
وَيَا لَهْفَ نَفْسِي أَلَا تَكْسِمُونَ مَعِيَ قَوْوَةَ الشَّارِخِ^(٨) الْأُمْرَدِ

١٦ / ثُمَّ ضَرَبَهُ الشُّلَمِيُّ بِسَيْفِهِ فَلَمْ يُغْنِ شَيْئاً. فَقَالَ لَهُ: بَشْ مَا سَلَحْتُكَ أُمَّكَ! خَذْ سَيْفِي هَذَا مِنْ مُؤَخَّرِ رَحْلِي فِي الْقِرَابِ فَأَضْرِبْ بِهِ وَأَرْقِعْ عَنِ الْعِظَامِ وَأَخْفِضْ عَنِ الدُّمَاغِ، فَإِنِّي كَذَلِكَ كُنْتُ أَفْعَلُ بِالرِّجَالِ، ثُمَّ إِذَا أَتَيْتَ أُمَّكَ فَأَخْبِرْهَا أَنَّكَ قَتَلْتَ دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ، فَرُبَّ يَوْمٍ قَدْ مَنَعَتْ فِيهِ نِسَاءَكَ! فَرَعِمَتْ بَنُو سُلَيْمٍ أَنَّ رَبِيعَةَ قَالَ: لَمَّا ضَرَبَتْهُ بِالسِّيفِ سَقَطَ فَانْكَشَفَ، فَإِذَا عِجَانُهُ^(٩) وَيَطْنُ فَخِذَيْهِ مِثْلُ الْقِرَاطِيسِ مِنْ رُكُوبِ الْخَيْلِ أَعْرَاءَ^(١٠). فَلَمَّا رَجَعَ رَبِيعَةُ

(١) الجدع: الشاب المحدث.

(٢) بيضة القوم: أصلهم ومجتمعهم.

(٣) في السيرة: «متمنع بلادهم».

(٤) نخلة: المراد هنا نخلة اليمانية، وهي وادٍ يصب فيه يدعان (اسم وادٍ) وبه مسجد لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وبه عسكرت هوازن يوم حنين («معجم البلدان» لياقوت).

(٥) في الأصول: «سماك» والتصويب من «السيرة لابن هشام» و«القاموس».

(٦) كذا في السيرة. وفي الأصول: «أنها».

(٧) كذا في الأصول. وفي «مختصر الأغاني»: «نكمة». وقد جاء في «سيرة ابن هشام» (ج ٢ ص ٨٥٢) أن ربيعة بن ربيعة هذا يقال له ابن الدغنة وهي أمه فغلبت على اسمه، ويقال: ابن لدغة.

(٨) كذا في «مختصر الأغاني». وفي سائر الأصول: «الشامخ» والشارخ: الشاب.

(٩) العجنان: الدبر، وقيل هو ما بين الدبر والقبل.

(١٠) فرس عري: غير مسرج، وصف بالمصدر، ثم جعل اسماً فجمع فقيل خيل أعراء. ولا يقال فرس عريان كما لا يقال رجل عري.

إلى أمه أخبرها بقتله إياه؛ فقالت له: لقد أعتق قتيْلُك ثلاثاً من أمهاتك. وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قبَل أوطاس أبا عامر الأشعري ابن عم أبي موسى الأشعري، فهزمهم/ الله جلّ وعزّ وفتح عليه. فيزعمون أنّ [٣٣/١٠] سلّمة بن دُرَيْد بن الصّمة رماه بسهم فأصاب رُكْبته فقتله (يعني أبا عامر).

فقالت عَمْرَةُ بنتُ دُرَيْد ترثيه:

جَزَى عَنَّا الإلهُ بنِي سُلَيْمٍ وَأَسْقَانَا إِذَا سَرَرْنَا إِلَيْهِمْ
وَأَعْقَبَهُمْ بِمَا فَعَلُوا عَقَاقٍ^(١) فَرُبُّ مَثْوٍ بِكَ مِنْ سُلَيْمٍ
دُمَاءَ خِيَارِهِمْ يَسُومُ التَّلَاقِي وَرُبَّ كَرِيمَةٍ أَعْتَقَتْ مِنْهُمْ
أُجِيبَ وَقَدْ دَعَاكَ بِلَا رِمَاقٍ^(٢) وَقَالَتْ عَمْرَةُ ترثيه أيضاً:

قَالُوا قَتَلْنَا دُرَيْدًا قَدْ صَدَقُوا وَظَلَّ دَمْعِي عَلَى الْخَدَيْنِ يَنْتَدِرُ^(٣)
لَوْلَا الَّذِي فَهَرَّ الْأَفْوَامَ كُلَّهُمْ رَأَتْ سُلَيْمٌ وَكَغَبَ كَيْفَ تَأْتِمُرُ
إِذَا لَصَبَّحَهُمْ غَيْبًا وَظَاهِرَةً^(٤) حَيْثُ اسْتَقَرَّ نَوَاهِمُ جَحْفَلُ ذِفَرٍ^(٥)

استحثه قومه على الأخذ بشار أخيه خالد من بني الحارث فقال شعراً وأجابه عبدالله بن عبد المदान: ونسختُ من كتاب مترجمٍ بأنه نُسخ من نسخة عمرو بن أبي عمرو الشَّيباني يَأْتِرُهُ عن أبيه قال قال محمد بن السائب الكلبي:

كَانَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ يَوْمًا يَشْرَبُ مَعَ نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا دُفَافَةَ - وَكَانَ يُكْنَى بِأَبِي دُفَافَةَ وَبِأَبِي قُرَّةَ - أَيْنَجُو بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ مِنْكَ وَقَدْ قَتَلُوا/ أَخَاكَ خَالِدًا؟ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ الْقَوْمَ جَمْرَةٌ^(٦) مَذْحِجٌ، وَهُمْ [٣٤/١٠] أَكْفَاءُ جُشَمٍ، وَلَا يَجْمُلُ بِي هِجَاؤُهُمْ. فَأَحْفَظُوهُ بِكَثْرَةِ الْقَوْلِ وَأَغْضِبُوهُ، فَقَالَ:

يَا بَنِي الْحَارِثِ أَنْتُمْ مَغْشَرٌ زَنَدُكُمْ وَارٍ وَفِي الْحَرْبِ يُهُمُّ^(٧)

(١) في «لسان العرب» و«السيرة لابن هشام»: «وعقبتهم» بدل «وأعقبهم». وعقاق (بالبناء على الكسر): العقوق.

(٢) الرماق من العيش: البلغة والقليل يمسك الرمح.

(٣) في أ، م: «ينحدر». وفي «سيرة ابن هشام»: «فظل دمعِي على السربال ينحدر».

(٤) كذا في «السيرة» لابن هشام. وقد جاء في «لسان العرب» (في مادة «غيب»): «ومن كلامهم لأضربنك غيب الحمار وظاهرة الفرس؛ فغيب الحمار أن يرعى يوماً ويشرب يوماً، وظاهرة الفرس أن يشرب كل يوم نصف النهار». وفي الأصول: «عنا وظاهرهم» وهو تحريف.

(٥) كذا في «السيرة». والذفر: المتغير الرائحة؛ يقال: كتيبة ذفراً. أي إنها سهكة من الحديد وصدته. وفي الأصول «زفر» بالزاي وهو تحريف.

(٦) يقال: بنو فلان جمرّة، إذا كانوا أهل منعة وشدة. والجمرة: كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يخالفون أحداً ولا ينضمون إلى أحد، تكون القبيلة نفسها جمرّة تصبر لفراغ القبائل، كما صبرت عبس لقبائل قيس. قال أبو عبيدة: جمرات العرب ثلاثة بنو ضبة بن أد، وبنو الحارث بن كعب، وبنو نمير بن عامر، وطفئت منهم جمرتان: طفئت ضبة لأنها حالفت الرباب، وطفئت بنو الحارث لأنها حالفت مذحج، وبقيت نمير لم تطفأ لأنها لم تحالف.

(٧) بهم: جمع بهمة وهو الشجاع.

ولكم خيلٌ عليها فتيةٌ
ليس في الأرض قَيْلٌ مثلكم
لستُ للصُّمة إن لم أتكم
فتَقَرُّ العينُ منكم مرةً
وتُرى نَجْرانُ منكم بَلْقَعاً
فأنظروها كالسَّعالي (٣) شُزْباً
كأُسود الغاب يَحْمِيَن الأَجَمَ
حين يَرْفُضُ العِداً غيرَ جُشَمَ
بالخَنَازِيذِ (١) تَبَارَى في النُّجَمِ
بانبعاثِ الحُرِّ نَوْحاً تَلْتَدِمُ (٢)
غيرَ شَفْطَاءَ وطفلي قد يَتُّمِ
قبل رأسِ الحَوولِ إن لم أُخَرِّمِ

قال: فَنُمِّي قوله إلى عبد الله بن عبد المَدَّان، فقال يُجيبه:

تُبَيِّتُ أن دُرَيْداً ظَلَّ مُعْتَرِضاً
كالكلبِ يَغْوِي إلى بِيءٍ مُقْفِرَةٍ
إن تَلَقَّ حَيٌّ بَنِي الدُّيَّانِ تَلْقَهُمُ
ما كان في الناسِ للدُّيَّانِ من شَبِّهِ
/ أَغْمَضُ جَفونَكَ عَمَّا لَسْتَ نائِلَهُ
نحن الذين تركنا خالداً عَطِياً
إن تَهْجُنَا تَهْجُ أَنجَاداً شَرَامِجَةً (٧)
أُورِي زِيادُنا زَيْداً ووالدُنا
يُهْدِي الوَعِيدَ إلى نَجْرانٍ من حَضَنِ (٤)
من ذا يُوَاعِدُنَا بالحربِ لم يَحِنِ (٥)
شُمُّ الأنوفِ إليهم عِزَّةٌ (٦) أَلِيَمِنِ
إِلَّا رُعَيْنٌ وإِلَّا آلُ ذِي يَزَنِ
نحن الذين سَبَقْنَا الناسَ بالدمِ
وَسَطَ العَجَاجِ كأنَّ المرءَ لم يَكُنْ
يَبْضُ الوجوهَ مَرافِيداً على الزَمَنِ
عَبْدُ المَدَّانِ وأُورِي زَنْدَهُ قَطَنُ (٨)

١٧

[٣٥/١٠]

رده أسماء بن زنباع عن ظعبيته زينب وطعنه فأصاب عينه:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي قال:

أغار دُرَيْدُ بن الصُّمَّة في نفر من أصحابه، فمروا بأسماء بن زنباع الحارثي ومعه ظعبيته زينب، فأحاطوا به لينتزعوها في يده، فقاتلهم دونها فقتل منهم وجرح، ثم اختلف هو ودُرَيْد طعتين: فطعنه دُرَيْدُ فأخطأه، وطعنه أسماءُ فأصاب عينه، وأنهزم دُرَيْدُ ولحق بأصحابه؛ فقال دُرَيْدُ في ذلك:

سَلْتُ يميني ولا أشرب معقَّةً
إذ أخطأ الموت أسماء بن زنباع

قال: وهي قصيدة.

(١) الخنازيد: جياذ الخيل، واحدها خنازيد.

(٢) تلتدم: تضرب صدرها في النياحة.

(٣) السعالي: الغيلان، واحدها سعلاة. والشرب: جمع شازب وهو الضامر.

(٤) حضن: جبل بنجد.

(٥) لم يحن: لم يهلك.

(٦) في الأصول: «غرة» بالراء المهملة وهو تصحيف.

(٧) الشرامحة: جمع شرمح وهو القوي والطويل.

(٨) في هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي.

قصته مع أنس بن مدركة الخثعمي ويزيد بن عبد المذنان وشعره في ذلك:

ونسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني الذي ذكرته يأثره عن محمد بن السائب الكلبي قال:

جاور رجل من ثمالة عبدالله بن الصمة، فهلك عبدالله وأقام الرجل في جوار دريد. وأغار أنس بن مدركة الخثعمي على بني جشم، فأصاب مال الثمالي وأصاب ناساً من ثمالة كانوا جيراناً لدريد؛ فكف دريد عن طلب القوم وشغل بحرب من يليه، وقال لجاره ذلك: أمهلني عامي هذا. فقال الثمالي: قد أمهلتك عامين. وخرج دريد ليلة لحاجته وقد أبطأ في أمر الثمالي، فسمعه يقول:

[٣٦/١٠]

كساك دُرَيْدُ الدَّهْرِ ثَوْبَ خَزَايَةِ / وَجَدَعَكَ الْحَامِي حَقِيقَتَهُ أَنْسُ
دَعِ الْخَيْلَ وَالشُّمَرَ الطُّوَالَ لَخَنَعِمِ / فَمَا أَنْتَ وَالرُّمَحُ الطُّوِيلُ وَمَا الْفَرَسُ
وَمَا أَنْتَ وَالْغَزْوُ الْمُتَابِعُ لِلْعِدَا / وَهَتَكَ سَوْقُ الْعَوْدِ وَالذَّلْوُ وَالْمَرَسُ^(١)
فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ حَيًّا لَرَدَّهَا / وَمَا أَصْبَحْتَ عِرْسِي بِأَشَقَى مَعِيشَةٍ
وَلَا أَصْبَحْتَ نَجْوَى اللَّيْلِ مِنْ بَعْدِ هَجْعَةٍ / وَشَيْخٌ كَبِيرٌ مِنْ ثُمَالَةٍ فِي تَعَسٍ
وَكُنْتُ وَعَبْدُ اللَّهِ حَيًّا وَمَا أَرَى / إِلَى الصَّبْحِ مُحْزُونًا يُطَاوِلُهُ النَّفْسُ
فَأَصْبَحْتُ مَهْضُومًا حَزِينًا لَفَقْدِهِ / أَبَالِي مِنَ الْأَعْدَاءِ مَنْ قَامَ أَوْ جَلَسَ
وَهَلْ مِنْ نَكِيرٍ بَعْدَ حَوْلَيْنِ تَلْتَمِسُنِ / وَهَلْ مِنْ نَكِيرٍ بَعْدَ حَوْلَيْنِ تَلْتَمِسُنِ

قال: فضاق دريد ذرعاً بقوله، وشاور أولي الرأي من قومه؛ فقالوا له: أرحل إلى يزيد بن عبد المذنان؛ فإن أنساً قد خلف المال والعيال بنجران للحرب التي وقعت بين خثعم، وإن يزيد يردها عليك. فقال دريد: بل أقدم إليه قبل ذلك مذحة ثم أنظر ما موقعي من الرجل، فقال هذه القصيدة وبعث بها إلى يزيد:

١٨/٩

بَنِي الدَّيَّانِ رُدُّوا مَالَ جَارِي / وَأَسْرَى فِي كُبُولِهِمْ^(٢) الثُّقَالِ
وَرُدُّوا السَّبْيَ إِنْ شِئْتُمْ بِمَنْ / وَإِنْ شِئْتُمْ مُفَادَاةً بِمَالِ
فَأَنْتُمْ أَهْلُ عَائِدَةٍ وَفَضْلٍ / وَأَيْدٍ فِي مَوَاهِبِكُمْ طِوَالِ
مَنْ مَاتَ تَمْنَعُوا شَيْئاً فَلَيْسَتْ / حَبَائِلُ أَخَذَهُ غَيْرَ السُّوَالِ
وَحَرْبُكُمْ بَنِي الدَّيَّانِ حَرْبٌ / يَغْصُ الْمَرْءُ مِنْهَا بِالزُّلَالِ
وَجَارُكُمْ بَنِي الدَّيَّانِ بَسَلٌ^(٣) / وَجَارُكُمْ يُعَدُّ مَعَ الْعِيَالِ
حَذَا عَبْدُ الْمَذْنَانِ لَكُمْ حِذَاءً / مُحْصَرَةً الصَّدُورَ عَلَى مِثَالِ
بَنِي الدَّيَّانِ إِنْ بَنِي زِيَادٍ / هُمْ أَهْلُ التَّكْرُمِ وَالْفَعَالِ
فَأَوْلُونِي بَنِي الدَّيَّانِ خَيْرًا / أَقْرَ لَكُمْ بِهِ أُخْرَى اللَّيَالِي

[٣٧/١٠]

(١) العود: المسن من الإبل. والمرس: الحبل، والمراد هنا حبل الاستقاء.

(٢) في أ، م، حد: «في كبولكم».

(٣) البسل: الحرام.

قال: فلما بلغ يزيد شعره قال: وجب حق الرجل! فبعث إليه أن أقدم علينا. فلما قدم عليه أكرمه وأحسن مثواه. فقال له دريد يوماً: يا أبا النضر، إني رأيت منكم خصالاً لم أرها من أحد من قومكم: إني رأيت أبنيتكم متفرقة، ونتائج خيلكم قليلاً، وسرحكم يجيء مُعْتَمًا، وصبيانكم يتضاغون^(١) من غير جوع. قال: أجل! أما قلّة نتائجنا فتناج حوازين يكفيننا وأما تفرّق أبنيتنا فللغيرة على النساء. وأما بكاء صبياننا فإننا نبدأ بالخيل قبل العيال. وأما تمسّينا بالنعم فإن فينا الغرائب والأرامل، تخرج المرأة إلى مالها حيث لا يراها أحد. قال: وأقبلت طلائعهم على يزيد، فقال شيخ منهم:

أنتك السلامة فأزع النعم ولا تقل الدفسر إلا نعم
وسرخ دريداً بنعمى جشتم وإن سالك المرء إحدى القحم^(٢)

فقال له دريد: من أين جاء هؤلاء؟ فقال: هذه طلائعنا لا نسرخ ولا نصطريح حتى يرجعوا إلينا. فقال له: ما ظلمكم من جعلكم جفرة مذجج. وردّ يزيد عليه الأسارى من قومه وجيرانه، ثم قال له: سلني ما شئت؛ فلم يسأله شيئاً إلا أعطاه إياه. فقال دريد في ذلك:

مدحت يزيد بن عبد المذان فأكرم به من فتى مُتَدَخ
إذا المذح زان فتى مغشّر فإن يزيد يزير المذح
حللت به دون أصحابه فأوزى زنادي لَمّا قَدَح
/ وردّ النساء بأطهارها ولو كان غير يزيد فضح
وفك الرجال وكلّ امرئ إذا أصلح الله يوماً صلح
وقلت له بعد عثق النساء وفك الرجال وردّ اللّقح^(٣)
أجزلي فوارس من عامر فأكرم بتفتحته إذا نقح
وما زلت أعرف في وجهه بكري السؤال ظهور الفرح
رأيت أبا النضر في مذجج بمنزلة الفجر حين أفتح
إذا قارعوا عنه لم يُقرعوا وإن قدّموه لكبش نطح
/ وإن حضر الناس لم يُخزهم وإن وازنوه بقزنج
فذاك فتاهها وذو فضلها وإن نابح بفخار نبج

[٣٨/١٠]

١٩
٩

قصته مع مسهر بن يزيد الحارثي وشعره:

قال وقال ابن الكلبي: خرج دريد بن الصّمّة في فوارس من قومه في غزاة له، فلقيه مسهر بن يزيد الحارثي، الذي فقاً عين عامر بن الطفيل، يقود بامرأته أسماء بنت حزن الحارثية. فلما رآه القوم قالوا: الغنيمة،

(١) تضاغى من الطوى: تضرّ من الجوع وصاح.

(٢) القحم: جمع قحمة وهي الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد.

(٣) اللّقح: جمع لقحة وهي الناقة الحلوب.

هذا فارسٌ واحد يقود ظَئِينَةً، وخليقُ أن يكون الرجل قرشيّاً. فقال دريد: هل منكم رجل يمضي إليه فيقتله ويأتينا به وبالظَئِينَةِ؟ فانتدب إليه رجلٌ من القوم فحمل عليه، فلقيه مُسْهِرٌ فأختلفا طعنتين بينهما، فقتله مُسْهِرٌ بن الحارث. ثم حمل عليه آخر فكانت سبيله سبيلَ صاحبه؛ حتى قتل منهم أربعة نفر. وبقي دريد وحده فأقبل إليه؛ فلما رآه ألقى الخطامَ من يده إلى المرأة وقال: خُذِي خِطَامَكَ؛ فقد أقبل إليّ فارسٌ ليس كالفُرسان الذين تقدّموه؛ ثم قصد إليه وهو يقول:

أَمَا تَرَى الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ أَرَدَاهُمْ عَامِلُ رَمَحِ يَابَسِ

/ فقال له دُرَيْدُ: من أنتَ لله أبوك؟ قال: رجلٌ من بني الحارث بن كعب. قال: أنتَ الحُصَيْنُ؟ قال لا. قال: [٣٩/١٠] فَاَلْمُحَجَّلُ هُوَذَةٌ؟ قال لا. قال: فمن أنتَ؟ قال: أنا مُسْهِرُ بن يزيد. قال: فانصرف دُرَيْدُ وهو يقول:

أَمِنْ ذِكْرِ سَلَمَى مَاءِ عَيْنِكَ يَهْمِلُ كَمَا أَنهْلَ خَزْرُ مِنْ شُعَيْبٍ مُشْلِشِلُ^(١)

وَمَاذَا تُرَجِّي بِالسَّلَامَةِ بَعْدَمَا نَأَتْ حَقَبٌ وَأَيَّضَ مِنْكَ الْمُرَجَّلُ^(٢)

وَحَالَتْ عَوَادِي الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَحَرْبٌ تَعْلَلُ الْمَوْتَ صِرْفاً وَتُنْهَلُ

فِرَاهَا إِذَا بَاتَتْ لَدَيَّ مُفَاضَةٌ وَذُو خُصَلٍ نَهْدُ الْمَرَائِلِ هَيْكَلُ^(٣)

كَمِيشُ^(٤) كَتَيْسِ الرَّمْلِ أَخْلَصَ مَتْنَهُ ضَرْيبُ^(٥) الْخَلَايَا وَالْتَفِيعُ الْمَعْجَلُ

عَتِيدٌ لَا يَأْمُ الْحُرُوبِ كَأَنَّهُ إِذَا أَنْجَابَ رَيْعَانُ الْعَجَاجَةِ أَجْدَلُ^(٦)

يُجَاوِبُ^(٧) جُرْدًا كَالسَّرَاحِينِ^(٨) ضُمَّرَ تَرُودُ بِأَبْوَابِ الْبُيُوتِ وَتَضْهَلُ

عَلَى كُلِّ حَيٍّ قَدْ أَطْلَتْ بِغَارَةٍ وَلَا مِثْلَ مَا لَأَقَى الْجِمَاسُ وَزَعْبَلُ

- الْجِمَاسُ وَزَعْبَلُ: قَبِيلَتَانِ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ -

غَدَاةَ رَأُونَا بِالْغَرِيفِ^(٩) كَأَنَّنَا حَيٍّ^(١٠) أَدْرَتْهُ الصَّبَا مَتَهْلُ

بِمُشْعَلَةٍ تَدْعُوهُوَ وَهَوَازَنَ، فَوْقَهَا نَسِجٌ مِنَ الْمَازِي^(١١) لَأَمْ مُرْقَلُ

/ لَدَى مَعْرَكٍ فِيهَا تَرَكْنَا سَرَائِهِمْ يُبَادُونَ، مِنْهُمْ مُوْتَقٌ وَمُجَدَّلُ

[٤٠/١٠]

(١) شلشل الماء: قطر.

(٢) المرجل: الشعر؛ يقال: رجل الشعر إذا سرحه.

(٣) المفاضة هنا: الدرع. وذو خصل: يريد فرساً. والمراكل: جمع مركل وهو حيث تصوير رجلك من الدابة؛ يقال فرس نهد المراكل أي واسع الجوف. والهيكل: الضخم.

(٤) الكميش: السريع.

(٥) الضريب: اللبن. والخلايا: جمع خلية وهي الناقة المخلاة للحلب. يريد أن هذا الفرس معتنى به.

(٦) الأجذل: الصقر.

(٧) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «يخارب» وهو تحريف.

(٨) السراحين: الذئاب واحدها سرحان.

(٩) كذا في الأصول. ولعلها المزيف أو نحو ذلك.

(١٠) الحيي: السحاب المتراكم. وفي الأصول: «حيي» بياءين.

(١١) المازي: الدروع اللينة السهلة. واللام: الدروع، واحدها لامة. والمرفل: المسيف.

تَجْدُ جَهَاراً بِالسِّيفِ رُؤُوسَهُمْ وَأَرْمَاحُنا مِنْهُمْ تَعْلُ وتَنْهَلُ
تَسْرِى كُلَّ مَسْودِّ الْعِذارَيْنِ فَارِسِ يُطْلِفُ بِهِ نَسْرٌ وَعَرْفَاءُ^(١) جَيْالِ

قال مؤلف هذا الكتاب: هذه الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعة كلها، والتوليد بين فيها وفي أشعارها، وما رأيت شيئاً منها في ديوان دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ على سائر الروايات. وأعجب من ذلك هذا الخبر الأخير؛ فإنه ذكر فيه ما لحق دريداً من الهُجْنَةِ والفضيحة في أصحابه وقتل من قُتِلَ معه وأنصرافه منفرداً، وشعر دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ / بأنه ظفر بيني الحارث وقتل أمائهم؛ وهذا من أكاذيب ابن الكلبي. وإنما ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء قد رواه الناس وتداولوه.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(١) كذا في جـ والعرفاء: الضبع؛ سميت بذلك لكثرة شعر رقبتها. وجيال: من أسماء الضبع أيضاً، معرفة بغير ألف ولام. وقال كراع: الجيال، فأدخل عليها الألف واللام، وشاهده قول العجاج:
يسدعن ذا الثروة كالمجبل وصاحب الإقنار لحم الجيال
وفي سائر الأصول: «وغيرال جيال» وهو تحريف.

١ / أخبار الْمُخْتَصِر في صنعة هذا اللحن وغيره من الأغاني

- دَوْنُ أخباره في غير ذلك لأنها كثيرة تخرج عن حدِّ الكتاب -
وشيء من أخباره مع المغنين وغيرهم يصلح لما هنا

راسل عبيد الله بن عبدالله بن طاهر في أمر النغم العشر حتى فهمها وجمعها في صوت:

حدّثني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني عبيد الله بن عبدالله بن طاهر أن المعتضد بعث إليه - لما صنعت جاريته شاجي اللحن الذي يجمع النغم العشر - بظني وحيب جاريته أخيه سليمان بن عبدالله بن طاهر حتى أخذنا اللحن عنه ونقلناه إليه وألقناه على جواريه. قال: ولم يزل يُرسلني مع عبدالله بن أحمد بن حمدون في أمر النغم العشر ويسألني عنها وأشرحها له، حتى فهمها جيّداً وجمعها في صوت صنعه في شعر دُرَيْد بن الصُّمَّة:

يا ليتني فيها جَذَعٌ أَخْلَبَ فيها وَأَضْعُ

وألقاه عليهما حتى أدّاه إليّ مستعلماً بذلك هل هو صحيحُ القِسمة والأجزاء أم لا، فعرفته صحته ودلّته على ذلك حتى تيقّنه فسُرَّ بذلك؛ وهو لَعْمَرِي من جيّد الصنعة ونادرها. وقد صنع الْمُعْتَضِدُ أَلْحاناً في عدّة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء والمُخَدِّثين وعارضهم بصنعة فأحسن وشاكل وضاهى، فلم يَنْجَز ولا قَصُر ولا أتى بشيء يُعْتَدَر منه. فمن ذلك أنه صنع في:

أما القطاة فإني سوف أنعتها نَعْتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

لحناً في الثقل الأول بالبصر في نهاية الجودة، سمعت إبراهيم بن القاسم بن رَزْزُور يُعَنِّيهِ، فكان من أحسن ما صنّع في هذا الصوت على كثرة الصنعة فيه واشتراك / القدماء والمُخَدِّثين في صنعة مثل مَعْبَدٍ وَتَشْبِيطٍ [٤٢/١٠] ومالك وابن مُخَرِّزٍ وسنانٍ وعَمَرُ الوادي وأبن جامع وإبراهيم وأبنة إسحاق وعَلَوِيه. وأظرف من ذلك أنه صنع في:

تَشَكَّى الكَمِينُ الجَرِي لَمَّا جَهِدَتْهُ وَيَّيِّنَ لَوِيسْطِيْعُ أَنْ يَتَكَلَّمَا

لحناً من الثقل الأول^(١) بالوسطى، وقد صنع قبله أبن سُرَيْجٍ لحناً هو من الألحان الثلاثة المختارة من الغناء كلّهُ، فما قَصُر في صنعة ولا عَجَزَ عن بلوغ الغاية فيها؛ هذا بعد أن صنع إسحاق فيها لحناً من الثقل الثاني عارض أبن سُرَيْجٍ به في لحنه، فما أمتنع من أن يتلو مثل هذين ولا نظيرَ لهما في القدماء والمُخَدِّثين، ثم جَوَّد غاية التجويد فيما أتبعهما به وعارضهما فيه. هذا مع أصوات له صنعها تَزَاهِي^(٢) المائة صوت، ما فيها ساقطٌ ولا مَرْدُول، وسأذكر منها ما يَصْلُحُ ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.

(١) في أ، م: «الثاني».

(٢) تَزَاهِي: تضاهي. وزهاء الشيء: قدره.

ومن نادر صنعة المعتضد:

صوت

أناة فإن تُغْنِ عَقَّبَ بَعْدَهَا وَعِيداً، فإن لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ

٢١ / الشعر لإبراهيم بن العباس، والغناء للمعتضد ثقیلاً أول. هذا بيت قاله إبراهيم وهو لا يعلم أنه شعر، وإنما كتب به في رسالة عن المعتصم^(١) إلى بعض أصحاب الأطراف فقال في فصل منه: «وإن عند أمير المؤمنين في أمرك أناة، فإن لم تُغْنِ عَقَّبَ بَعْدَهَا وعِيداً، فإن لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ». فلما تأمله أنه شعر وأنه بيت نادر فأخرجه في شعره.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

(١) في ج: «عن المعتضد».

[٤٣/١٠]

/ أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه

نسبه، وشيء من آبائه:

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، وكان صول رجلاً من الأتراك، ففتح يزيد بن المهلب بلده وأسلم على يديه، فهم موالي يزيد. ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به صول لينصره فصادقه قد قُتل. وكان يقاتل كل من بينه وبين يزيد من جيش بني أمية ويكتب على سهامه: صول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك، فأغتاظ وجعل يقول: وَيْلِي عَلَى أَبْنِ الْغُلَفَاءِ! وماله وللدُّعَاءِ إلى كتاب الله وسنة نبيه! ولعله لا يَفْقَهُ صَلَاتَهُ! وكان أبوه محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودُعَاتِهَا، وقد كان بعض أهلهم أَدْعَوْا أَنَّهُ عَرَبٌ وَأَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ الْأَحْنَفِ خَالَهُمْ. وَأَمَّا صَوْلُ فَإِنَّ خَالِدَ بْنَ خِدَاشٍ^(١) ذَكَرَ عَنْ أَهْلِهِ قَالُوا: كَانَ صَوْلٌ وَفَيْرُوزُ أَخَوَيْنِ مَلَكَا عَلَى جُرْجَانَ، وَكَانَا تَرْكِيَيْنِ تَمَجَّسَا وَتَشَبَّهَا بِالْفُرْسِ. فَلَمَّا حَضَرَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ جُرْجَانَ أَمْنَهُمَا، فَأَسْلَمَ صَوْلٌ عَلَى يَدَيْهِ وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ الْعَقْرِ^(٢). وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ صَوْلٍ يُكْنَى^(٣) أَبَا عُمَارَةَ، أَحَدَ الدُّعَاءِ، وَقَتْلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ لَمَّا خَالَفَ مَعَ مُقَاتِلِ بْنِ حَكِيمٍ الْعُكِّيِّ^(٤) وَعِدَّةٍ آخَرِينَ. كَانَ يَقُولُ الشَّعْرَ ثُمَّ يَخْتَارُهُ:

وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَأَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ فَإِنَّهُمَا كَانَا مِنْ وَجْهِ الْكِتَابِ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَسْنَهُمَا وَأَشَدَّهُمَا تَقَدُّمًا، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ أَدْبَهُمَا وَأَحْسَنَهُمَا شِعْرًا، وَكَانَ يَقُولُ الشَّعْرَ ثُمَّ يَخْتَارُهُ، وَيُسْقِطُ رَذْلَهُ، ثُمَّ يُسْقِطُ الْوَسْطَ، ثُمَّ يَسْقِطُ مَا يُسَبِّقُ إِلَيْهِ، فَلَا يَدْعُ مِنَ الْقَصِيدَةِ إِلَّا الْيَسِيرَ، وَرَبَّمَا لَمْ يَدْعُ مِنْهَا إِلَّا بَيْتًا أَوْ بَيْتَيْنِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

[٤٤/١٠]

/ وَلَكِنَّ الْجَوَادَ أَبَا هِشَامٍ وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ

وهذا ابتداء يدل على أن قبله غيره؛ وقوله في أخيه:

ولكنَّ عبد الله لما حوى الغنى وصار له من بين إخوته مالٌ

وهذا أيضاً ابتداء يدل على أن قبله غيره. وكان إبراهيم وأخوه عبدالله من صنائع ذي الرِّياستين، اتَّصَلَا بِهِ فَرَفَعَ مِنْهُمَا. وَتَنَقَّلَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ وَالِدَوَاوِينَ إِلَى أَنْ مَاتَ وَهُوَ يَتَقَلَّدُ دِيوَانَ الضِّيَاعِ وَالنَّفَقَاتِ بِسُرٍّ مَنْ رَأَى فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ لِلنَّصَفِ مِنْ شَعْبَانَ.

قال محمد^(٥) بن داود وحدثني أحمد بن سعيد بن حسان قال حدثني ابن إبراهيم قال سمعت دُعِيلاً يقول:

(١) فِي الْأَصُولِ «خَرَّاشٌ» بِالرَّاءِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ غَيْرَ مَرَّةٍ فِي الْأَجْزَاءِ السَّابِقَةِ.

(٢) هُوَ عَقْرُ بَابِلَ وَهُوَ مَوْضِعٌ عِنْدَ كَرْبِلَاءَ قُتِلَ عِنْدَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ (انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٢ ح ٩ من «الأغاني» طبع دار الكتب المصرية).

(٣) كَذَا فِي الْأَصُولِ. وَلَعَلَّهُ: «وَيُكْنَى أَبَا عِمَارَةَ إلخ».

(٤) هُوَ أَحَدُ قُرَادِ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ صَاحِبِ الدَّعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ. (انظر الكلام عليه فِي «تاريخ الطبري» ق ٢ ص ٢٠٠١ - ٢٠٠٣، ٢٠٠٥، ٢٠١٦ طبعة أوروبا).

(٥) كَذَا فِي ب، س. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «أَحْمَدُ بْنُ دَاوُدَ».

لو تكتب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء. قال: ثم أنشدنا له، وكان يستحسن ذلك من قوله:

إنّ امرأ ضنّ بمعروفه عني لمبذولٍ له عذري
ما أنا بالراغب في عرفه إن كان لا يرغب في شكري

هجاؤه محمد بن عبد الملك الزيّات وتشفيه بموته:

٢٢ / وكان إبراهيم بن العباس صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيّات، ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شحنة عظيمة لم يمكن تلافيها، فكان إبراهيم يهجوّه؛ فمن قوله فيه:

أبا جعفر خفّ خفّضةً بعد رفعة وقصّر قليلاً عن مدى غلوائكا
لئن كان هذا اليوم يوماً حويّته فإن رجائي في غدٍ كرجائك
وله فيه أيضاً:

دعوتك في بلوى المثلّ صروفها فأوقدت من ضغنٍ عليّ سعيّرها
فلئنّي إذا أدعوك عند ملّة كداعية عند القبور نصيرها
/ وقال فيه لمّا مات: [٤٥/١٠]

لما أتاني خبر الزيّات وأنت قد صار في الأموات
* أيقنت أن موته حياتي *

هجره صديقه الحارث بن بسخر مرضاة لمحمد بن عبد الملك الزيّات فقال في ذلك شعراً:

أخبرني حنظلة قال حدّثني ميمون بن هارون قال: لما أنحرف محمد بن عبد الملك الزيّات عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقّوه، وكان الحارث بن بسخر صديقاً له مصافياً، فهجره فيمن هجره من إخوانه؛ فكتب إليه:

تغيّر لي فيمن تغيّر حارث وكم من أخ قد غيّرته الحوادث
أحارث إن شورك فيك فطالما غيّنا وما بيني وبينك ثالث
وقد قيل: إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصلي.
ومن جيّد قول إبراهيم بن العباس وفيه غناء:

صوت

خلّ النفاق لأهلـه وعليك فالتمس الطريـقا
وأذهب بنفسك أن تُرى إلّا عدوّاً أو صديقاً
الغناء لأبي العباس بن حمدون، ثقیلٌ أول.

قصة عشقه لقينة وانكماشه لتأخرها وشعره فيها:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: كان إبراهيم بن العباس يهوى قينة بسرٍّ مَنْ رأى، فكان لا يكاد يفارقها. فجلس يوماً للشرب ومعه إخوان له، ودعا جماعة من جوارى القيان، ودعاها فأبطأت، فتنغص عليهم يومهم لما رأوا من شغل قلبه بتأخرها، ثم وافث فسُرِّي عنه وطابت نفسه وشرب وطرب، ثم دعا بدواة فكتب:

ألم تَرْنَا يَوْمَنَا إِذْ نَأَتْ فلم تَأْتِ مِنْ بَيْنِ أَثَرِهَا
وقد غمرتْنا دواعي السرور بإشعاليها وبإلهابها
/ ومَدَّتْ علينا سماء النعيم وكلُّ المُنَى تحت أظنابها^(١)
ونحن فُتُورٌ إلى أن بدت ويدرُّ الدُّجَى بين أثوابها
فلَمَّا نَأَتْ كَيْفَ كُنَّا لَهَا ولمَّا دَنَتْ كَيْفَ صِرْنَا بِهَا

[٤٦/١٠]

وأمر من حضر فقرأ عليها الأبيات؛ فتجثت وقالت: ما القصّة كما وصفت، وقد كنتم في قصفكم مع مَنْ حضر. وإنما تجملتم لي لما حضرت. فأنشأ يقول:

يا مَنْ حنيني إليه ومن فؤادي لديه
/ ومَنْ إذا غاب من بي نهم أسفت عليه
إذا حضرت فما^(١) مني نهم مَنْ أصبو إليه
من غاب غيرك منهم فأمره في يديه

٢٣
٩

قال: فرضيت عنه، وأتممتنا يومنا على أحسن حال.

أجازه دعبل في شعر:

وقال محمد بن داود حدثني محمد بن القاسم قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال حدثني إبراهيم بن العباس - قال حدثني به دعبل أيضاً فكانا متفقين في الرواية - قال: كنّا نطلب جميعاً بالشعر، فخرجنا وكنا في مخمل، فابتدأت أقول في المطلّب بن عبدالله بن مالك:

* أمطلّب أنت مُستغذِبٌ *

فقال دعبل:

* لسمّ الأفاعي ومُستقتلٌ *

فقلت:

* فإن أشف منك تكن سُبّةٌ *

فقال دعبل:

(١) الأطناب: جمع طنّب: وهو جبل طويل يشدّ به سراقق البيت.

* وإن أغفُ عنك فما تفعل *

[٤٧/١٠] / روى له الأخفش أبياتاً كان يفضلها ويستجيدها:

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يُفضلها ويستجيدها:

أميل مع الذمام على ابن أُمي وأخذ للصديق من الشقيق
وإن ألفيتني حُرّاً مطاعاً فإنك واجدي عبد الصديق
أفرق بين معروفِي ومثي وأجمع بين مالي والحقوق

جوابه لأبي أيوب:

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسن بن أبي البغل قال حدثني عمي قال:

اجتاز محمد^(١) بن عليّ برد الخيار على أبي أيوب ابن أخت الوزير وهو متولّي ديار مُضَر فلم يتلقّه، ونزل الرقّة فلم يصل إليه ولم يبرّه، وخرج عنها فلم يُشيعه. فلامه إخوانه وقالوا: يشكوك إلى إبراهيم بن العباس. فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعلة.

فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه:

أبدأ مُعتَـذِرٌ لا يُغـذِرُ ورَكُوبٌ للتسي لا تُغفِرُ
ومُلَقَّـى بمسـاءٍ كلّهـا منه تبدو وإليه تصدُرُ
هي من كل الوري مُنكَرَةٌ وهي منه وحده لا تُنكَرُ

كان يهوى جارية اسمها «سامر» أهدت له جارتين:

أخبرني عمي قال حدثني ابن برد الخيار عن أبيه قال:

كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنّين بسرّ من رأى يقال لها سامر، وشهر بها، فكان منزله لا يخلو منها. ثم دُعيت في وليمة لبعض أهلها فغابت عنه أياماً ثم جاءت ومعه جارتان لمولاتها. وقالت له: قد أهديت صاحبتيّ إليك عوضاً من مغيبتي عنك؛ فأنشأ يقول:

أهوت

[٤٨/١٠]

أقبلن يحفّفن مثل الشمس طالعةً قد حنّ الله أولاهما وأخراها
ما كنت فيهن إلا كنت واسطةً وكنّ دونك يُمناهما ويُسراها

الغناء لسلسل مولى بني هاشم، ثاني ثقيل بالوسطى مطلق. وليس لسلسل خبر يُدَوّن ولا هو من المشهورين ولا ممّن خدم الخلفاء أو دُوّن له حديث. وذكر حبّش أنه لسلسل مولاة محمد بن حرب الهلالي. وسلسل هذه كانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً، وكانت لبعض المغنّين بالبصرة، وكان محمد بن حرب هذا

(١) كذا في الأصول و«تاريخ الطبري» (ق ٣ ص ١٤٩٩). وفي «معجم الأدباء» لياقوت في الكلام على إبراهيم بن العباس: «محمد بن علي بن برد الخباز» بالزاي.

يتعشّقها ولم تكن مولاته. فأخبرني الحرّميّ بن أبي / العلاء قال حدّثنا إسحاق بن محمد النّخعيّ قال حدّثني $\frac{٢٤}{٩}$ حمّاد بن إسحاق قال: أتى أبان بن عبد الحميد الشاعر رجلاً بالبصرة وله قينة يقال لها سلسل، فصادف عندها محمد بن قطن الهلاليّ وعثمان بن الحَكَم بن صخر الثّقفيّ فقال:

فتنّث سلسلُ قلبِ أبْنِ قَطْنِ ثم ثكّث بابن صخر فأفتنّ
فأتيتُ اليومَ كي أنقذهم فإذا نحن جميعاً في قرنٍ
فأظنّ الغلظَ وقع على حبّش من ها هنا أو سمع هذا الخبر فتوهم أنّها مولاة محمد بن حرب.

ذهابه مع دعبل ورزين وركوبهم حمير أهل الشوك وشعرهم في ذلك:

أخبرني عمّي ووكيع قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال حدّثني محمد بن عيسى بن عبد الرحمن قال:
خرج إبراهيم بن العباس ودِغِيل بن عليّ وأخوه رَزِين في نظرائهم من أهل الأدب رجالة إلى بعض البساتين
في خلافة المأمون، فلقيهم قوم من أهل السواد من أصحاب الشوك، فأعطوهم شيئاً وركبوا تلك الحمير؛ فأنشأ
إبراهيم يقول:

[٤٩/١٠] / أبيضت بعد حمل الشو ك أحمالاً من الحرف^(١)
نشاوى لا من الصّهباء بل من شدة الضّغف
فقال رزين:

فلو كنتم على ذاك تؤولون إلى قصف
تساروت حالكم فيه ولم تبّقوا على خسف
فقال دِغِيل:

وإذا فات الذي فات فكونوا من بني الظّرف
ومروا نقصف اليوم فلاني بئاع خُفّي
فأنصرفوا معه فباع خُفّه وأنفقه عليهم.

رثاؤه لابنه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال لي عليّ بن الحسين الإسكافي:
كان لإبراهيم أبْنٌ قد يّقَع وتَرَعَرَع، وكان مُعْجَباً به فأعتلّ عِلّة لم تطل ومات؛ فرتاه بمرات كثيرة، وجزع
عليه جَزَعاً شديداً. فمما رثاه به قوله:

كنت السواد لمُقلتي فبكى عليك النّاظرُ
من شاء بعدك فليُمُت فعليك كنت أحاذرُ
فيه رمل لابن القصار. ومن مراثيه إياه قوله:

وما زلتُ مُذَلَّدُ أُعْطِيَتْهُ أَدَاقَ عَنْهُ جِمَامُ الْأَحْلُ
أَعُوذُهُ دَائِباً بِالْقُرَانِ وَأَزْمِي بِطَرْفِي إِلَى حَيْثُ حَلْ
فَأُضْحَتِ يَدِي قَصْدُهَا وَاحِدُ إِلَى حَيْثُ حَلْ فَلَمْ يَرْتَحِلْ

عائبه أبو وائلة في لهوه فقال شعراً:

وقال أحمد بن أبي طاهر حدّثني أبو وائلة قال: قلت لإبراهيم بن العباس: قد أخملت نفسك ورضيت أن تكون تابعاً أبداً لاقتصارك على القَصْف واللعب؛ فأنشأ يقول:

[٥٠/١٠] / إِنَّمَا الْمَرْءُ صُورَةٌ حَيْثُ حَلَّتْ تَنَاهَتْ
أَنَا مَذْكَ كُنْتُ فِي التَّنَصُّفِ لِي حَالٌ سَاعَتِي

وهبه أخوه عبدالله ثلث ماله وأخته الثلث الآخر وشعره في ذلك:

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولي قال حدّثني ابن السَّخِي قال:

وهب عبدالله بن العباس لأخيه إبراهيم ثلث ماله، وهب لأخته الثلث الآخر، فسار مساوياً لهما في الحال؛ فقال إبراهيم:

٢٥ / وَلَكِنْ عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا حَوَى الْغَنَى وَصَارَ لَهُ مِنْ بَيْنِ أَخَوَتِهِ مَا
رَأَى خَلَّةً مِنْهُمْ تُسَدُّ بِمَالِهِ فَسَاهَمَهُمْ حَتَّى اسْتَوَتْ بِهِمُ الْحَالُ
وهذا مما عيبَ على إبراهيم قوله ابتداءً «ولكنَّ عبدالله». وقد كرّره في شعره فقال:

ولكنَّ الجَوَادَ أَبَا هِشَامٍ وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ
بَطِيءٌ عَنْكَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ وَطَلَّحْتُ عَلَيْكَ مَعَ الْخَطْبِ
والسبب في ذلك اختياره شعره وإسقاطه ما لم يَرْضَ منه.

عزله عن الأهواز:

وقرأت في بعض الكتب: لَمَّا عَزَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ عَنِ الْأَهْوَازِ فِي أَيَّامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ
أَعْتَقِلَ بِهَا وَأَوْذِيَ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَبْلَ الْوِزَارَةِ صَدِيقَهُ، وَكَانَ يَوْمُئِذٍ مِنْهُ أَنْ يُسَامَحَهُ وَيُطْلَقَ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ:

فَلَوْ إِذْ نَبَا دَهْرٌ وَأَنْكَرَ صَاحِبٌ وَسُلْطَ أَعْدَاءُ وَغَابَ نَصِيرُ
تَكُونُ عَنِ الْأَهْوَازِ دَارِي بَنَجْوَةٍ وَلَكِنْ مَقَادِيرُ جَرَتْ وَأُمُورُ
وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَ هَذَا مَجْمُوداً لَأَفْضَلَ مَا يُرْجَى أَخٌ وَوَزِيرُ

فأقام محمد على قصده وتكشّفه والإساءة إليه حتى بلغ منه كلّ مكروه، وأنفجرت الحال بينهما على ذلك، وهجاه إبراهيم هجاء كثيراً.

[٥١/١٠] / أُرْسِلَ ابْنُ الزِّيَّاتِ أَبَا الْجَهْمِ لِلنَّكَايَةِ بِهِ:

وأخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدّثني أبو عبدالله البافطاني أو الطّائفي قال حدّثني علي بن الحسين بن

عبد الأعلى قال:

وجّه محمد بن عبد الملك بأبي الجهم أحمد بن سيف إلى الأفواز ليكشف إبراهيم بن العباس، فتحامل عليه تحاملاً شديداً. فكتب إبراهيم إلى محمد بن عبد الملك يُعرّفه ذلك ويشكوه إليه ويقول له: أبو الجهم كافر لا يُبالي ما عمل، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت:

وأقبلت تسعى إلى واحد
تركت عبيد بني طاهر
ضراراً كأنني قتلْتُ الرسولا
وقد ملثوا الأرضَ عرضاً وطولاً
فسوف أدين بترك الصلاة
وأضطبح الخمر صرّفاً شمولاً

فكان محمد لعصيته على إبراهيم وقصده له يقول: ليس هذا الشعر لأبي الجهم، إنما إبراهيم قاله ونسبه إليه.

مدح المتوكل ببنتين وغنى بهما جعفر بن رفة:

أخبرني أحمد بن جعفر بن رفة قال حدثني أبي قال دعاني إبراهيم بن العباس وقال: قد مدحت أمير المؤمنين المتوكل ببنتين، فغنّ فيهما وأشغهما، ودعا لي بطيب كثير فأعطانيه، وخلع عليّ خلعة سرّية، فغنّيت فيهما. والبيتان:

ما واحدٌ من واحدٍ أولى بفضل أو مُروّة
ممن أبوه وجده بين الخلافة والنبوّة
وأشغتهما وغنى فيهما المتوكل فاستحسنهما ووصله صلة سنّة.
لحن جعفر بن رفة في هذين البيتين زمل بالنصر.

مدح الرضا لما عقدت ولاية العهد فأجازه:

/ أخبرني محمد بن يونس الأنباري قال حدثني أبي:

أن إبراهيم بن العباس الصولي دخل على الرضا لما عقد له المأمون وولاه العهد، فأنشده قوله:

أزال عزاء القلب بعد التجلّد
مصارع أولاد النبي محمد

/ - فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت بأسمه. فلم تزل عند إبراهيم، وجعل منها مهور ٢٦ نسائه، وخلّف بعضها لكفنه وجهازه إلى قبره.

أذى إسحاق ابن أخي زيدان فهذه فكف عنه:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو العباس بن القرات والباقراني قال:

كان إسحاق بن إبراهيم ابن أخي زيدان صديقاً لإبراهيم بن العباس، فأنسخه شعره في مدح الرضا، ثم ولي إبراهيم بن العباس في أيام المتوكل ديوان الضياع، فعزله عن ضياع كانت بيده بخلوان، وطالبه بمال وجب عليه، وتباعد بينهما. فقال إسحاق لبعض من يثق به: قل لإبراهيم بن العباس: والله لئن لم يكفّف عما يفعله في

لأخرجن قصيدته في الرضا بخطه إلى المتوكل. فأحجم عنه إبراهيم وتلافاه، ووجه من أرتجع القصيدة منه وجعله على ثقة من أنه لا يظهرها، ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به.

نادرته في ثقل:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا إبراهيم بن المُدَبَّر قال:

راكبت إبراهيم بن العباس، فلقينا رجلاً كان إبراهيم يستثقله، فسلم عليه. فلما مضى قال: يا أبا إسحاق إنه جرّمي. فقلت: ما كان عندي إلا أنه من أهل السواد. فضحك وقال: إنما أردت قول الشاعر:

تُسَائِلُ عَنْ أَخِي جَزَمَ ثَقِيلٌ وَالَّذِي خَلَقَهُ

كتابه في شفاعته لرجل إلى بعض إخوانه:

أخبرني الصُّوْلِيّ قال حدثني محمد^(١) بن السَّخِيّ قال حدثني الحسن بن عبدالله الصُّوْلِيّ قال:

[٥٣/١٠] / كتب عُمِّي إبراهيم بن العباس شفاعته لرجل إلى بعض إخوانه: فلان ممن يزكو شكره، ويحسن ذكره، ويغني أمره، والصنعة عنده واقعة موقعها، وسالكة طريقها.

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحجا إصابة شكر لم يَضِعْ مَعَهُ أَجْرُ

مدحه عبيدالله بن يحيى عند المتوكل:

أخبرني عُمِّي عن أبي العيْناء قال:

كان عبيد الله بن يحيى يقول للمتوكل: يا أمير المؤمنين، إن إبراهيم بن العباس فضيلة خبأها الله لك، وذخيرة دُخِرَها لدولتك.

طلب إليه المتوكل وصف القُدور الإبراهيمية ومجونهما في ذلك:

وذكر عن علي بن يحيى:

أن المتوكل بعث إلى إبراهيم بن العباس يأمره أن يصف له القُدور الإبراهيمية، وكان أبتدعها؛ فكتب له صفتها، وكتب في آخرها في ذكر الأبايزر: «ووزن ذاتي» ونسي أن يكتب من أي شيء. فلما وصلت إليه الصفة أغتاظ ثم قال لعلي بن يحيى: أحلف بحياتي أن تقول له ما أمرك به، ففعل. فقال له: قل وزن دائق من أي شيء؟ أمِنْ بَطَرِ أَمَك! قال علي بن يحيى: فدخلتُ إليه فقلت: إني جئتُك في رسالة عزيز علي أن أؤدبها؛ فقال: هاتها، فأدبته. قال: فأرجع إليه وقل له عني: يا سيدي، إن علي بن يحيى أخي وصديقي وقد أدّى الرسالة؛ فإن رأيت أن تجعل وزن الدائق من بَطَرِ أُمِّي وبَطَرِ أُمِّهِ جمعاً تفضلتُ بذلك. فقلت: قبحك الله! وأنا أئيش ذنبي! قال: قد أدبت الرسالة وهذا جوابها. فدخلتُ إلى المتوكل فقال: إيه ما قال لك؟ فقلت: قبح الله ما جئتُك به! وأخبرته بالجواب؛ فضحك حتى فحَصَ برجله وجعل يشرب عليه بقيّة يومه. وإذا لقيته قال لي: يا علي، وزن دائق أئيش! فأقول: لعنة الله على إبراهيم.

(١) كذا في جميع الأصول هنا. وقد جاء في صفحة ٥٥ في جميع الأصول أيضاً: «أحمد بن السخي». وليس لدينا ما يرجع إحدى الروايتين.

/ دأب الحسن بن وهب وشعره في ذلك :

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال :

دعا الحسن بن وهب إبراهيم بن العباس ؛ فقال له : أركب وأجيتك عشياً فلا تنتظرنني بالغداة . / فأبطأ $\frac{٢٧}{٩}$ عليه ، وأسرع الحسن في شربه فسكر ونام ، وجاء إبراهيم فرآه على تلك الحال ، فدعا بدواة وكتب :

رُحْنَا إِلَيْكَ وَقَدْ رَاحَتْ بِكَ الرَّاحُ وَأَسْرَعْتَ فِيكَ أَوْتَارُ وَأَقْدَاحُ

قال : وحدثني محمد بن موسى قال :

نظر إبراهيم بن العباس الحسن بن وهب وهو مخمور فقال له :

عَيْنَاكَ قَدْ حَكَّتَا مَيِّدَكَ كَيْفَ كُنْتَ وَكَيْفَ كَانَا

وَلِبَرُّ عَيْنِي قَدْ أَرَدَ لَكَ مَيِّتَ صَاحِبَهَا عِيَانَا

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتاً وطالبه بمثلها ؛ فكتب إليه بأربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتاً . وأبيات إبراهيم :

أَبَا عَلِيٍّ خَيْرُ قَوْلِكَ مَا حَصَّلَتْ أَنْجَعُهُ وَمُخْتَصَرُهُ

مَا عِنْدَنَا فِي الْبَيْعِ مِنْ غَبْنٍ نَلْمُسْتَقِيلُ بِوَاحِدٍ عَشْرَةَ

أَنَا أَهْلُ ذَلِكَ غَيْرُ مُخْتَشِمٍ أَرْضَى الْقَدِيمَ وَأَقْتَفِي أَثَرَهُ

هَـا نَحْنُ وَفَيْنَاكَ أَرْبَعَةً وَالْأَرْبَعُونَ لَدَيْكَ مُنْتَظَرُهُ

أخبرني الصُّولِيّ قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال :

سمعتُ إبراهيم بن العباس وقد ليس سواده يوماً يقول : يا غلامُ هاتِ ذلك السيفَ الذي ما ضرَّ الله به أحداً قطُّ غيري .

كان يستقل ابن أخيه وحكايات عنه في ذلك :

قال : وسأل يوماً عن ابن أخيه طماس وهو أحمد بن عبدالله بن العباس ف قيل له :

هو مشغول بطبيب ومُنْجَم عنده ، وكان يستثقله ، فقال قل له يا غلام : والله ما لك في الناس طَبْعٌ ؛ ولا في السماء نجم ، فما لك تَكَلَّفُ هذا التكلّف .

/ أخبرني الصُّولِيّ قال حدثني أحمد بن السَّخِيّ قال :

أمر إبراهيم بن العباس أن يُجْمَعَ كُلُّ أَعْوَرٍ يَمْرُ فِي الطَّرِيقِ ، فجمعوهم ووقفوهم وخرج ومعه طماس ، فلما رأى العَوْرَ مجتمعين قال لطماس : كُلُّهُمْ مِثْلُكَ ، فاترك هذا الصِّلَفَ فإنه داعية إلى التَّلَف .

أخبرني الصُّولِيّ قال حدثني مَيْمُون بن موسى قال :

قال الحسن بن وهب لإبراهيم بن العباس : تعالَ حتى نَعُدَّ الْبُعْضَاءَ ؛ قال : ابدأ بي أولاً من أجل ابن أخي طماس ثم ثَنِّ بمن شئت .

أمر الحسن بن مخلد بأمر فأبطأ فيه فقال شعراً:

أخبرني الصُّولي قال قال جعفر بن محمود:

رَكِبْتُ بَيْنَ يَدَيَّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ. فَأَمَرَ الْحَسَنَ بْنُ مُخَلَّدٍ^(١) بِأَمْرِ فَاسْتَبْطَأَ فِيهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ:

مُعْجِبٌ عِنْدَ نَفْسِهِ	وَهَوْلِي غَيْرُ مُعْجِبٍ
إِنْ أَقْلُ لَا يَقْلُ نَعَم	عَاتِبٌ غَيْرُ مُعْتَبِ
مَوْلَعٌ بِالْخِلَافِ لِي	عَامِئِدٌ وَالتَّجْنِبِ
قَلْتُ فِيهِ بَضْدٌ مَا	قِيلَ فِيَّ أَمْ جُنْدُبِ

يريد قول امرئ القيس:

* «خَلِيلِي مُرَا بِي عَلَى أَمْ جُنْدُبِ» *

أي فأنا لا أريد أن أمر بك.

تنادر بابن الكلبي عند المتوكل لما جاء كتابه:

قال وأخبرني الصُّولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المُهَلَّبِيُّ عن أبيه قال:

كان المتوكل قد ولَّى ابْنَ الْكَلْبِيِّ الْبَرِيدَ، وَاحْلَفَهُ بِالطَّلَاقِ إِلَّا يَكْتُمُهُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ النَّاسِ جَمِيعاً وَلَا مِنْ أَمْرِهِ
هو في نفسه. فكتب إليه يوماً أن أمراته / خرجت مع حُبَّتْهَا فِي نَزْهَةٍ، وَأَنْ حُبَّتْهَا^(٢) / عَزِيدَتْ عَلَيْهَا فَجَرَحَتْهَا
فِي صُدْغِهَا. فَقَرَأَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ صَحَّفَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ، إِنَّمَا
هُوَ: «جَرَحَتْهَا فِي سُرْمِهَا»^(٣)، فَضَحِكَ الْمُتَوَكِّلُ وَقَالَ: صَدَقْتَ. مَا أَظُنُّ الْقِصَّةَ إِلَّا هَكَذَا. قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ ابْنُ
الْكَلْبِيِّ هَذَا مِنَ الْعَرَبِ، إِنَّمَا كَانَ أَبُوهُ يُقَلَّبُ «كَلْبُ الرَّحْلِ» فَقِيلَ لَهُ الْكَلْبِيُّ.

[٥٦/١٠]
٢٨
٩

استعطفه محمد بن عبد الملك الزيات:

أخبرني عمِّي قال حدثنا ميمون بن هارون قال:

كتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه: كتبت إليك وقد بلغت المُدِيَّةَ الْمَحَزَّةَ^(٤)،
وَعَدَتِ الْآيَامُ بِكَ عَلَيَّ، بَعْدَ عَذْوِي بِكَ عَلَيْهَا، وَكَانَ أَسْوَأَ ظَنِّي وَأَكْثَرَ خَوْفِي، أَنْ تَسْكُنَ فِي وَقْتِ حَرَكَتِهَا،
وَتَكُفَّ عِنْدَ أَذَاهَا، فَصَرْتَ عَلَيَّ أَضَرَّ مِنْهَا، وَكَفَّ الصَّدِيقُ عَنْ نُصْرَتِي خَوْفاً مِنْكَ، وَبَادَرَ إِلَيَّ الْعَدُوُّ تَقَرُّباً إِلَيْكَ.
وكتب تحت ذلك:

أَخْ بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ — رَصَاحِبَ أَيْتَا غَلَبَا

(١) هو الحسن بن مخلد بن الجراح. تولى «ديوان الضياع» للمتوكل بعد موت إبراهيم بن العباس هذا. (انظر الكلام عليه في «تاريخ الطبري»: ق ٣ ص ١٤٣٥ و ١٤٤٤ - ١٤٤٧ و ١٦٤٧ - ١٦٤٨).

(٢) الحبة: المحبوبة.

(٣) في الأصول: «صرمها» بالصاد. وهو تحريف.

(٤) كذا في «معجم الأدباء» لياقوت. وفي الأصول: «المحزة».

صديقي ما أستقام فإن نبأ دهرٍ عليّ نبأ
وثبت على الزمان به فعاد به وقد وثبأ
ولو عاد الزمان لنا لعاد به أخاً حديباً

قال وكتب إليه: أما والله لو أمنتُ ودَّك لقلت؛ ولكني أخاف منك عتياً لا تُصِفني فيه، وأخشى من نفسي لائمة لا تحتملها لي. وما قد قُدِّر فهو كائن، وعن كل حادثة أحوثة. وما استبدلت بحالة كنتُ فيها مغتبطاً حالة أنا في مكروها وألمها أشدَّ عليّ من أتى فزعت إلى ناصري عند ظلمٍ لحقني، فوجدتُ من يظلمني أخفَّ نية في ظلمي منه، وأحمدُ الله كثيراً. ثم كتب في أسفلها:

[٥٧/١٠] / وكنْتَ أخِي بإخاء الزمانِ فلما نبأ صرتَ حَرْباً عواناً
وكنْتَ أذمُّ إليك الزمانَ فأصبحْتَ فيكَ أذمُّ الزمانِ
وكنْتَ أعذُّ للنائبات فأصبحْتَ أطلبُ منك الأمانِ

هجا محمد بن عبد الملك وكان قد أغرى به الواثق:

أخبرني الصُّولي قال أخبرني الحسين بن فهم قال:

كان محمد بن عبد الملك قد أغرى الواثق بإبراهيم بن العباس، وكان إبراهيم يُعاتبه على ذلك ويُداريه، ثم وقف الواثق على تحامله عليه فرفع يده عنه وأمر أن يُقبَل منه ما رفعه، وردَّه إلى الحضرة مَصُوناً، فلما أحسَّ إبراهيم بذلك بسط لسانه في محمد، وحسُن ما بينه وبين^(١) ابن أبي دؤاد. وهجا محمد بن عبد الملك هجاء كثيراً؛ منه قوله:

قَدَرْتُ فلم تَضُرُّ عِدوًّا بقُدرة وسمُتَ بها أخوانك الدُّلُّ والرَّغما
وكنْتَ مليئاً بالثي قد يعافها من الناس من يأبى الدَّنيئةَ والدُّما

تمادح هو وأبو تمام:

أخبرني الصُّولي قال حدَّثنا ابن السَّخِّي قال حدَّثني الحسين بن عبد الله قال:

سمِعْتُ إبراهيم بن العباس حدَّثنا يقول لأبي تَمَّام الطائي وقد أنشده شعراً له في المعتصم: يا أبا تَمَّام، أمراءُ الكلام رعيَّةٌ لإحسانك. فقال له أبو تَمَّام: ذلك لأنِّي استضيء بك وأردُّ شريعَتَكَ.

اعتذر له إبراهيم بن المدبر عن أخيه فقال شعراً:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال سمعت إبراهيم بن المُدَبِّر يقول:

جرى بين إبراهيم / بن العباس وبين أخي أحمد بن المدبر شيء، وكان يُوَدُّني دون أخي؛ فَلَقِيته فَأَعْتذرت^{٢٩} إليه عنه؛ فقال لي: يا أبا إسحاق:

(١) يعني بهذا أن محمد بن عبد الملك كان يعادي أحمد بن أبي دؤاد يهجو. (انظر خبر ذلك مفصلاً في ج ٢٠ ص ٥١ من «الأغاني» طبع بلاق).

/ صوت

خَلَّ الثَّقَاقَ لِأَهْلِهِ وَعَلَيْكَ فَالْتِمِسِ الطَّرِيقَا
وَأَذْهَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُرَى إِلَّا عُدْوًا أَوْ صَدِيقَا

الغناء لأبي العُبَيْس.

احتال على المتوكل لينجي بعض عماله من العقوبة:

أخبرني الصُّولِيّ قال حَدَّثَنِي القاسم بن إسماعيل قال:

انصرف إبراهيم بن العباس يوماً من دار المتوكل فقال لنا: أنا والله مسرورٌ بشيءٍ مغمومٍ منه. فقلنا له: وما ذلك أَعَزَّكَ الله؟ قال: كان أحمد بن المُدَبَّرَ رَفَعَ إلى أمير المؤمنين أن بعض عُمَالي أَقْتَطَعَ مَالاً، وَصَدَّقَ فِي الَّذِي قاله، وَكُنْتُ قَدْ رَأَيْتُ هَلَالَ الشَّهْرِ وَنَحْنُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى وَجْهِهِ فَدَعَوْتُ لَهُ، وَضَحِكُ إِلَيَّ فَقَالَ لِي: إِنْ أَحْمَدُ قَدْ رَفَعَ عَلَى عَامِلِكَ كَذَا وَكَذَا فَاصْدُقْنِي عَنْهُ؛ فَضَاقَتْ عَلَيَّ الْحُجَّةُ، وَخِفْتُ أَنْ أَحَقِّقَ قَوْلَهُ إِنْ أَعْتَرَفْتُ، ثُمَّ لَا أَرْجِعُ مِنْهُ إِلَى شَيْءٍ فَيَعُودُ عَلَيَّ الْغُرْمُ، فَعَدَلْتُ عَنِ الْحُجَّةِ إِلَى الْحِيلَةِ فَقُلْتُ: أَنَا فِي هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قُلْتُ فَيْكَ:

/ صوت

رَدَّ قَوْلِي وَصَدَّقَ الْأَقْوَالَ وَأَطَاعَ الْوُشَاةَ وَالْعُذَّالَا
أَتْرَاهُ يَكُونُ شَهْرَ صَدْرِي دَوْدَ وَعَلَى وَجْهِهِ رَأَيْتُ الْهَلَالََا

قال: لَا يَكُونُ وَاللَّهِ ذَلِكَ بِحَيَاتِي يَا إِبْرَاهِيمَ! رَوَّ هَذَا الشَّعْرَ بَنَانًا حَتَّى يُغْنِيَنِي فِيهِ. فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي عَلَى الْآ يَطَالِبُ صَاحِبِي بِقَوْلِ أَحْمَدَ. فَقَالَ لِلْوَزِيرِ: تَقَبَّلْ قَوْلَ صَاحِبِهِ فِي الْمَالِ. فَسُرْتُ بِالظَّفَرِ، وَأَغْتَمَمْتُ لِبُطْلَانِ هَذَا الْمَالِ وَذَهَابِهِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحِيلَةِ، وَلَعَلَّهُ قَدْ جُمِعَ فِي زَمَنِ طَوِيلٍ وَتَعَبٍ شَدِيدٍ.

[٥٩/١٠] / سرق ابن دريد وابن الرومي شعره:

أَنشَدْتُ عَمِّي رَحِمَهُ اللَّهُ أَبْيَاتًا لِابْنِ دُرَيْدٍ يَمْدَحُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ:

يَا مَنْ يُقْبَلُ كَفَّ كُلَّ مَخْرَقٍ هَذَا أَبْنُ يَحْيَى لَيْسَ بِالْمُخْرَاقِ
قَبْلُ أَنَامَلَهُ فَلَسَنُ أَنْامَلَا لَكُنَّهِنَّ مَقَاتِلُ الْأَرْزَاقِ

فقال: يَا بُنَيَّ هَذَا سَرَقَهُ هُوَ وَأَبْنُ الرُّومِيِّ جَمِيعًا مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ؛ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ يَمْدَحُ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ:

لِفَضْلٍ بَنٍ سَهْلٍ يَدُ تَقَاصَّرَ عَنْهَا الْأَمَلُ
فَبَاطَنُهَا لِلنَّادَى وَظَاهَرُهَا لِلْقَبْلِ
وَبَسَطَتْهُمَا لِلْغَنَى وَسَطَوَتْهُمَا لِلْأَجْلِ

وسرقه أَبْنُ الرُّومِيِّ فَقَالَ:

أصبحت بين خصاصة ومذلة والحُرُّ بينهما يموت هزلاً
فأمدُّ إليَّ يداً تعود بطنها بَذَلُ النَّدى وظهورها التَّقِيلا

قال ثعلب إنه كان أشعر المحدثين:

أخبرني الصُّولي قال سمعتُ أحمدَ بن يحيى ثعلباً يقول:

كان إبراهيم بن العباس أشعرَ / المحدثين. قال: وما روى ثعلبُ شعرَ كاتبٍ قطُّ قال: وكان يستحسنُ كثيراً $\frac{3}{4}$ قوله:

لنا إبلٌ كُومٌ^(١) يَضِيقُ بها الفضا ويقتُرُّ عنها أرضُها وسماؤها
فمن دونها أن تُستباح دماؤنا ومن دوننا أن تُستباح دماؤها
جِمْى وقرى فالموثُ دون مرامِها وأيسرُ خطبٍ يوم حَقَّ فناؤها
ثم قال: والله لو كان هذا لبعض الأوائِل لاستُجيدَ له.

/ مدح الحسن بن سهل:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال سمعتُ الحسن بن رَجَاء يقول:
كنا بقم^(٢) الصُّلح أيامَ بَنَى المأمونُ بيورانَ بنتِ الحسن بن سَهْل؛ فقدم إبراهيم بن العباس علينا ودخل إلى
الحسن بن سَهْل فأنشده:

ليَهْتِك أَصهارُ أذَلَّتْ بعزُّها خَدوداً وجَدَّعتْ الأنوفَ الرِّواغما
جمعتَ بها الشُّنلَيْنِ من آلِ هاشمٍ وحُزَّتْ بها للأكرمينَ الأكراما
بُثُوكَ غَدَوَا آلَ النَّبيِّ ووارثو الـ خلافةِ والحاوونَ كِسرى وهاشما

فقال له الحسن: «شِنْشَنَةُ أعرفها»^(٣) من آخرم، أي إنك لم تزل تمدحنا، ثم قال له: أحسنَ الله عنا جزاءك يا أبا إسحاق؛ فما الكثير من فعلنا بك بجزاءٍ لليسير من حقك.

قال شعراً في قبنة اسمها «سامر» كان يهواها فغضبت عليه:

أخبرني عمي قال حدثنا عبدالله بن أبي سَعْد قال:

أنشدني إبراهيم بن العباس لنفسه في قبنة أسمها سامر كان يهواها فغضبت عليه:

وعَلَّمَتْنِي كيف الهوى وجَهِلَتْنِي وعَلَّمَكُم صبري على ظلمكم ظُلُمي
وأعلَمَ مالي عندكم فيردني هوايَ إلى جهل فأقصِر عن عِلْمي

(١) الكوم: الإبل الضخمة العظيمة السنام، الواحد أكوام والأثنى كومان.

(٢) قم الصلح: نهر كبير فوق واسط عليه عدة قرى وفيه كانت دار الحسن بن سهل. («معجم البلدان» لياقوت).

(٣) هذا مثل، قاله أبو أعزم الطائي وكان له ابن يقال له أعزم؛ قيل: كان عاقاً فمات وترك بنين، فوثبوا يوماً على جدهم فادموه، فقال:

إن بني هرجسوني بالدم شِنْشَنَةُ أعرفها مسن أعزم

* من يلق أساد الرجال يكلم *

شعره في قصر الليل:

أخبرني الصولي قال:

سمعتُ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يقول: لا يُعلمُ لقديم ولا لمُحدثٍ في قصر الليل أحسن من قول إبراهيم بن العباس:

[٦١/١٠] / وليلة من الليالي الزهر
قابلتُ فيها بدرها بدر
لم تك غير شفتي وفجر^(١)
حتى تولت وهي بكر الدهر

تكرر له ابن الزيات لصلته بابن أبي دؤاد فاعتذر له بشعر:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثني أحمد بن بشر المَرْتَدِيّ قال: كان إبراهيم بن العباس يوماً عند أحمد بن أبي دؤاد، فلما خرج من عنده لقيه محمد بن عبد الملك الزيات وهو خارج من داره؛ فتيين إبراهيم في وجه محمد الغضب فلم يخاطبه في العاجل بشيء. فلما أنصرف إلى منزله كتب إليه.

دَغْنِي أَوِصِلْ مَنْ قَطَعُ
سَتَ يَرَاكَ بِي إِذَا لَا يَرَاكَ
إِنِّي مَتَى أَهْجُزْ لَهْجُ
سَرَّكَ لَا أَضْرِبُ بِهِ سَوَاكَ
وَإِذَا قَطَعْتُكَ فَمَتَى أَخِي
سَكَ قَطَعْتُ فِيكَ غَدَاً أَخَاكَ
حَتَّى أَرَى مُتَقَسِّمًا
بِيَوْمِي لِمَا وَغَدِي لِمَا

مسح الممداد بكم ثوبه وشعره في ذلك:

أخبرني الصولي قال حدّثني أبو العيّن قال:

كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً، فنقّط من القلم نقطةً مُفْسِدةً فَمَسَحَهَا بِكُمِّهِ؛ فتعجّبتُ من ذلك؛ فقال: لا تَعَجَّبْ، المال / فرع والقلم أصل، ومن هذا السّواد جاءت هذه الثياب، والأصل أحوج إلى المُرَاعاة من الفرع. ثم فكّر قليلاً وقال:

إِذَا مَا الْفَكْرُ وَلَّدَ حُسْنَ لَفْظٍ
وَوَشَّاهُ فَنَمَنَّمَهُ مُسَدَّدًا^(٢)
وَأَسْلَمَهُ الرَّجُودَ إِلَى الْعِيَانِ
فَصِيحٌ فِي الْمَقَالِ بِلَا لِسَانٍ
تَرَى حُلَّ الْبَيَانِ مُنْشَرَاتٍ
تَجَلَّى بَيْنَهَا صُورُ الْمَعَانِي

[٦٢/١٠] اتهمه المأمون بإفشاء سر مقتل الفضل بن سهل ثم عفا عنه بشفاعه هشام الخطيب:

أخبرني الصولي قال حدّثني محمد بن صالح بن النطّاح قال:

(١) في ب وس: «وبدر».

(٢) مسد: مصيب السداد.

لَمَّا عَزَمَ^(١) المأمون على الفتك بالفضل بن سهل، وندب له عبدالعزیز بن عمران الطائي، ومؤنس البصري، وخلفاً المصري، وعلي بن أبي سعد ذا القلمين، وسراجاً الخادم، نُمِيَ الخبر إلى الفضل، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه. فلَمَّا قُتِل الفضلُ وقتل المأمون قتلته، سأل من أين سقط الخبر إلى الفضل؟ فعرف أنه من جهة إبراهيم بن العباس، فطلبه فأستتر. وكان إبراهيم عرف هذا الخبر من جهة عبدالعزیز بن عمران، وكان الفضل أستكتب إبراهيم لعبدالعزیز بن عمران، فأخبر به الفضل. قال: وتحمل إبراهيم بالناس على المأمون، وجرد في أمره هشاماً الخطيب المعروف بالعباسي وكان جريئاً على المأمون لأنه رباه، وشخص إليه إلى خراسان في فتنة إبراهيم بن المهدي، فلم يُجِبْهُ المأمون إلى ما سأل. فلقية إبراهيم مستتراً وسأله عما عمل في حاجته. فقال له هشام: قد وعدني في أمرك بما تُحب. فقال له إبراهيم: أظن أن الأمر على غير هذا! قال: وما تظن؟ قال: محلّك عند أمير المؤمنين أجلُّ من أن يعدّك شيئاً فترضى بتأخيرته، وهو أكرم من أن يعدّ مثلك شيئاً فيؤخّره، ولكنك سمعت ما لا تحب في فكرهت أن تغمّني به فقلت لي هذا القول، وأحسن الله على كل الأحوال جزاءك، فمضى هشام إلى المأمون فعرفه خبر إبراهيم، فعجب من فطنته وعفا عنه. قال: وفي هشام يقول إبراهيم بن العباس:

مَنْ كَانَتْ الْأَمْوَالُ دُخْرًا لَهُ فَإِنْ دُخِرِي أَمَلِي فِي هِشَامِ
فَقِيَ يَقِي اللَّامَةَ عَنْ عِرْضِهِ وَأَنْهَبَ الْمَالَ قِضَاءَ الذُّمَامِ

/ مدح الفضل بن سهل:

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسين بن أبي البغل قال: قال أبو جعفر موسى

دخل إبراهيم بن العباس على الفضل بن سهل فاستأذنه في الإنشاد، فقال هات، فأنشده:

يُمِضِي الْأُمُورَ عَلَى بَدِيهِتِهِ وَثَرِيهَ فِكْرُتِهِ عَوَاقِبَهَا
فِيظُلُّ يُصْدِرُهَا وَيُورِدُهَا فَيَعُمُّ حَاضِرَهَا وَغَائِبَهَا
وَإِذَا أَلَمَتْ صَعْبَةً عَظُمَتْ فِيهَا الرِّزْقُ كَانَ صَاحِبَهَا
الْمُسْتَقِيلَ بِهَا وَقَدْ رَسَبَتْ وَلَسَوْتُ عَلَى الْأَيَّامِ جَانِبَهَا
وَعَدَلْتُهَا بِالْحَقِّ فَأَعْتَدَلْتُ وَوَسَّعَتْ رَاغِبَهَا وَرَاهِبَهَا
وَإِذَا الْحُرُوبُ غَلَّتْ بَعْثَتْ لَهَا رَأْيَا تَقْلُ بِهَ كِتَابَهَا
رَأْيَا إِذَا نَبَتِ السِّيفُ مَضَى عَزَمُ بِهَا فَشَفَى مَضَارِبَهَا
أَجْزَى إِلَى فِتْنَةٍ بِدَوْلَتِهَا وَأَقَامَ فِي أُخْرَى نَوَادِبَهَا
وَإِذَا الْخَطُوبُ تَأَلَّتْ وَرَسَتْ هَدَّتْ فَوَاصِلَهُ نَوَائِبَهَا
وَإِذَا جَرَتْ بِضَمِيرِهِ يَسَدُهُ أَبَدَتْ بِهِ الدُّنْيَا مَنَاقِبَهَا

وأنشدني عمي لإبراهيم بن العباس في الفضل بن سهل وفيه غناء:

(١) راجع الطبري في هذه القصة (ق ٣ ص ١٠٢٥ - ١٠٢٨) ففيها اختلاف عما هنا.

صوت

فلو كان للشكر شخصٌ يبين إذا ما تأمله الناظرُ
لمثلثه لك حتى تراه فتعلم أنني أمرؤ شاكرُ

الغناء لأبي العُبَيْسِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ. وفيه لَرْدَاذٌ ثانيٌ ثَقِيلٌ. حَدَّثَنِي أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ يَعْقُوبَ الثُّوبَخْتِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ عُمُومَتِي وَأَهْلِنَا أَنَّ رَدَّاذًا صَنَعَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِحَنًا أَعْجَبَ بِهِ النَّاسُ وَأَسْتَحْسَنُوهُ، فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ صَنَعَ فِيهِ أَبُو الْعُبَيْسِ لِحَنًا آخَرَ، فَسَقَطَ لِحْنُ رَدَّاذٍ وَأَخْتَارَ النَّاسُ لِحْنَ أَبِي الْعُبَيْسِ.

[٦٤/١٠] / مدح المتوكل وولاية العهد فأجازوه:

أخبرني حَنْظَلَةُ قَالَ حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ:

لَمَّا عَقَدَ الْمُتَوَكِّلُ لَوَاةَ الْعَهْدِ مِنْ وَلَدِهِ رَكِبَ بَسْرٌ مَنِ رَأَى رَكْبَةً لَمْ يُرَ أَحْسَنُ مِنْهَا، وَرَكِبَ وَلَاةَ الْعَهْدِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْأَتْرَافُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَوْلَادُهُمْ يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيِ الْمُتَوَكِّلِ بِمَنَاطِقِ الذَّهَبِ، فِي أَيْدِيهِمُ الطَّبَرَزِينَاتُ^(١) الْمُحَلَّلَةُ بِالذَّهَبِ، ثُمَّ نَزَلَ فِي الْمَاءِ فَجَلَسَ فِيهِ وَالْجَيْشُ مَعَهُ فِي الْجَوَانِحِيَّاتِ^(٢) وَسَائِرِ السُّفُنِ، وَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ فِي الْقَصْرِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْعُرُوسُ، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا إِلَيْهِ. فَلَمَّا تَكَامَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، مَثَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ:

وَلَمَّا بَدَأَ جَعْفَرٌ فِي الْخَمْرِ سِيسَ بَيْنَ الْمَطْلِ^(٣) وَبَيْنَ الْعُرُوسِ
بَدَأَ لَابِسًا بِهِمْ مُحَلَّةً أَزِيلَتْ بِهَا طَالِمَاتُ الثُّحُوسِ
وَلَمَّا بَدَأَ بَيْنَ أَحْبَابِهِ وَلَاةَ الْعَهْدِ وَوَعَزَّ النَّفْسُوسِ
غَدَا قَمَرًا بَيْنَ أَقْمَارِهِ وَشَمْسًا مُكَلَّلَةً بِالشَّمْسُوسِ
لَا يَقْدِرُ نَارٌ وَإِطْفَائِهَا وَيَوْمٍ أَنْيَقٍ وَيَوْمٍ عَبَسُوسِ

ثم أقبل على ولاية العهد فقال:

أَضَحَّتْ عُرَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مَنْوُطَةٌ بِالنَّصْرِ وَالْإِعْزَازِ وَالتَّأْيِيدِ
بِخَلِيفَةٍ مِنْ هَاشِمٍ وَثَلَاثَةِ كَنَفُوا الْخِلَافَةَ مِنْ وَلَاةِ عَهْدِ
قَمَرٌ تَوَافَتْ حَوْلَهُ أَقْمَارُهُ فَحَفَّقَ مَنْ مَطْلَعِ سَعْدِهِ بِسَعْدِ
رَفَعَتْهُمْ الْأَيَّامُ وَأَرْتَفَعُوا بِهِ فَسَعَوْا بِأَكْرَمِ أَنْفُسٍ وَجَدُودِ

قال: فَأَمَرَ لَهُ الْمُتَوَكِّلُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَأَمَرَ لَهُ وَلَاةَ الْعَهْدِ بِمِثْلِهَا.

(١) الطبرزين: آلة من السلاح تشبه الطبر (الفأس) أو هو الطبر بعينه. وهذا أصح لأن أصل معناه الطبر المعلق في السرج. فالفرس كان من عادتهم أن يعلقوا الطبر في السروج. (كتاب الألفاظ الفارسية المعربة).

(٢) الجوانحيات: نوع من السفن كما هو ظاهر من السياق.

(٣) المطل: اسم مكان أو قصر، كما هو ظاهر من السياق. ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من معجمات البلدان.

/ فضل ابن برد الخيار شعره على شعر محمد بن عبد الملك الزيات : [٦٥/١٠]

أخبرني عمي قال: اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبد الملك وأبن برد الخيار في مجلس عبيد الله بن سليمان قبل وزارته، فجعل هارون يُنشد من أشعار أبيه محاسنها، ويفضلها ويقدمها. فقال له أبن برد الخيار: إن كان لأبيك مثل قول إبراهيم بن العباس:

أَسَدٌ ضَارٍ إِذَا هَيَّجَتْهُ وَأَبٌ بَرٌّ إِذَا مَا قَدَّرَا
/ يَعْرِفُ الْأَبْعَدَ إِنْ أَتَى يَعْرِفُ الْأَذْنَى إِذَا أَتَقَرَّا

٢٣
٩

أو مثل قوله:

تَلِجُ السَّنُونُ بِيَوْتَهُمْ وَتَرَى لَهُمْ عَنْ جَارِ بَيْتِهِمْ أَزْوَارَ مَنَاقِبِ
وَتَرَاهُمْ بِسُيُوفِهِمْ وَشِفَارِهِمْ مُنْتَشِرِينَ لِرَاغِبٍ أَوْ رَاهِبِ
حَامِينَ أَوْ قَارِينَ حَيْثُ لَقِيَتْهُمْ نَهَبَ الْعَفَاةَ وَنَهَزَةَ لِلرَّاهِبِ

فأذكره وأفخر به، وإلا فافلل من الافتخار والتطاول بما لا طائل فيه؛ فجعل هارون. وقال عبيد الله بن سليمان: لعمرى ما في الكتاب أشعر من أبي إسحاق وأبي علي، (يعني عمه الحسن بن وهب) ثم أمر بعض كتّابه بكتّب المقطوعتين اللتين أنشدهما أبن برد الخيار.

هنا الحسن بن سهل بصهر المأمون:

أَنشَدَنِي عَلِيٌّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ يُهْنِيءُ الْحَسْنَ بْنَ سَهْلٍ بِصَهْرِ الْمَأْمُونِ:
هَتَّكَ أَكْرَمَةً جُلِّلَتْ نَعْمَتُهَا أَعْلَتْ وَلِيَّكَ وَأَجْتَنَّتْ أَعَادِيكَ
مَا كَانَ يَحْيَا^(١) بِهَا إِلَّا الْإِمَامُ وَمَا كَانَتْ إِذَا قُرْنَتْ بِالْحَقِّ تَعْدُوكَا

هجا محمد بن عبد الملك الزيات:

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني أبو محمد الحسن بن مخلد قال:

/ أودع محمد بن عبد الملك الزيات مالا عظيما وجوهرأ نفيسا، وقد رأى تغيرا من الوائق فخافه وفرق ذلك [٦٦/١٠] في ثقاته من أهل الكرخ ومعامليه من التجار. وكان إبراهيم بن العباس يُعاديهِ وَيُرْصُدُ لَهُ بِالْمَكَارِهِ لِإِسَاءَتِهِ إِلَيْهِ، فقال أبياتا وأشاعها حتى بلغت الوائق يُغريه به:

نَصِيحَةٌ شَانَهَا وَزِيرُ مُسْتَحْفَظٌ سَارِقٌ مُغِيرُ
وَدَائِعُ جَمَّةٍ عِظَامِ قَدْ أَسْبَلَتْ دُونَهَا الشُّتُورُ
تَسْعَةُ آلَافِ أَلْفِ أَلْفِ خِلَالَهَا جِسْمُ هَرَّ خَطِيرِ
بِجَانِبِ الْكَرْخِ عِنْدَ قَوْمِ أَنْتَ بِمَا عِنْدَهُمْ خَيْرِ
وَالْمَلِكُ الْيَوْمَ فِي أُمُورِ تَخْلُذُ مِنْ بَعْدِهَا أُمُورِ

(١) كذا في جميع الأصول ولعلها «يحيو».

قَد شَغَلْتَهُ مُحَقَّرَاتٌ وصاحبُ الكَارَةِ^(١) الوَازِر

مدح المعتز بشعر:

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يمدح المعتز وفيه غناء:

صوت

سُحُورٌ مَحَاجِرِ الْحَدَقَةِ مليحٌ والذي خَلَقَهُ
سَوَاءٌ فِي رِعَايَتِهِ مُجَانِبُهُ وَمَنْ عَشِقَهُ
لِعَيْنِي فِي مُحَاسِنِهِ رِيَاضُ مُحَاسِنِ أَنْقَعِهِ
فَأَحْيَانًا أَنْزَهَهَا وَطُورًا فِي دَمِ غَرِقِهِ

يقول فيها في مدح المعتز بالله:

فِيَا قَمَرًا أَضَاءَ لَنَا يُلْأَلِيءُ نَسُورُهُ أَفْقَهُ
يُشَبِّهُهُ سَنَا الْمُعْتَزِ ذُو مَقْعَةٍ إِذَا رَمَقَهُ
أَمِيرُ قَلْبِ الدَّرَجِ مَنْ أَمَرَ عِبَادَهُ عُثْقَهُ
/ وَفَضْلُهُ وَطِيئُهُ وَطَهَّرَ فِي الْوَرَى خُلُقَهُ

في الأربعة الأبيات الأول رَمَلٌ ذكر الهشامي أنه لابن القصار، ووجدته في بعض الكتب لعريب.

[١٠/٦٧]
٣٤
٩

هنا أحمد بن المدبر وكان يحرض عليه فقال شعراً:

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس يقولها لأحمد بن المدبر وقد جاءه بعد خلاصة من النكبة مهتئاً، وكان أستمع به في أمر نكبته فقعده عنه، وبلغه أنه كان يحرض عليه ابن الزيات:

وَكُنْتُ أَخِي بِالذَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَا نَبَوْتُ فَلَمَّا عَادَ عُدْتُ مَعَ الذَّهْرِ
فَلَا يَوْمَ إِقْبَالِ عَدَدْتُكَ طَائِلًا وَلَا يَوْمَ إِدْبَارِ عَدَدْتُكَ فِي وَثَرِ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامِ نَائِمٍ كِلَا حَالَتَيْكَ مِنْ وَفَاءٍ وَمِنْ غَدْرِ

عابه ابن المدبر فقال شعراً:

وَأُنْشَدَنِي الصَّوْلِيَّ لَهُ فِي أَحْمَدَ بْنِ الْمَدْبَرِ أَيْضًا وَقَدْ عَابَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْمَدْبَرِ عَلَى شَيْءٍ بَلَغَهُ فَقَالَ:
هَسِبَ السَّزْمَانُ رَمْسَانِسِي الشَّانُ فِي الْخُلَانِ
فِيمَنْ رَمَانِي لَمَّا رَأَى السَّزْمَانُ رَمَانِي
وَمَنْ ذَخَرْتُ لِنَفْسِي فَصَارَ ذَخِرَ السَّزْمَانِ
لَوْ قِيلَ لِي خُذْ أَمَانًا مَنْ أَعْظَمَ الْحَدَثَانِ

(١) الكارة: ما يجمع ويشد، ويعني بها السرة التي فيها المال.

لَمَّا أَخَذْتُ أَمَانًا إِلَّا مَسْنِي الْإِخْوَانِ

ومن أخبار المعتضد بالله الجارية مَجْرَى هذا الكتاب.

المعتضد وغلّامه بدر:

حدّثني عمّي عن جدّي رحمهما الله قال قال لي عُبيدالله بن سليمان، وكان يأنس بي أنساً شديداً لقديم الصُّحبة وأتلاف المنشأ: دعاني المعتضد يوماً فقال:

/ أَلَا تُعَاتِبُ بَدْرًا^(١) عَلَى مَا لَا يَزَالُ يَسْتَعْمَلُهُ مِنَ التَّخَرُّقِ فِي التَّفَقُّاتِ وَالْإِنَابَاتِ وَالزِّيَادَاتِ وَالصَّلَاتِ! [٦٨/١٠]
وجعل يؤكّد القول عليّ في ذلك؛ فلم أخرج عن حضرته حتى دخل إليه بدر فجعل يستأمره في إطلاقات مُسْرِفَةٍ ونفقات واسعة وصلات سنّية وهو يأذن له في ذلك كلّهُ. فلما خرج رأى في وجهي إنكاراً لما فعله بعدما جرى بيني وبينه؛ فقال لي: يا عُبيدالله قد عَرَفْتُ مَا فِي نَفْسِكَ، وَأَنَا وَإِيَّاهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

قصيدة

فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ مِنْ الْقُلُوبِ مَطَاغٌ حَيْشَمَا شَفَعَا
مُسْتَقْبَلُ الَّذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ الْإِسَاءَةُ مَغْفُورٌ لَمَّا صَنَعَا
وَفِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ خَفِيفٌ رَمَلٌ.

كان المعتضد يطرب لغناء ابن العلاء في شعر الوليد بن يزيد:

حدّثني محمد بن إبراهيم قُرَيْضُ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ:
غَنَيْتُ الْمُعْتَضِدَ:

كُلُّلَانِي تَوْجَانِي وَبِشْعَرِي غُنِّيَانِي^(٢)
أَطْلِقَانِي مِنْ وَثَاقِي وَأَشْدُدَانِي بِمَعْنَانِي

فَأَسْتَحْسِنُهُ جَدًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ! أَمَا تَرَى زَهْوَ الْمُلْكِ فِي شِعْرِهِ وَقَوْلِهِ:

كُلُّلَانِي تَوْجَانِي وَبِشْعَرِي غُنِّيَانِي

وَأَسْتَعَادَهُ مِرَارًا، ثُمَّ وَصَلَنِي كُلَّ مَرَّةٍ أَسْتَعَادَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَمَا وَصَلَ بِهَا مَغْنًيًا قَبْلِي / وَلَا بَعْدِي. ٣٥
قال: وَأَسْتَعَادَهُ مَنِّي سِتَّ مَرَّاتٍ وَوَهَبَ لِي سِتِّينَ أَلْفًا، وَقَالَ التُّوشْجَانِي: بَلْ وَصَلَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ مَرَّةً وَاحِدَةً.

(١) كان بدر هذا غلام المعتضد، وُلِدَ الشُّرْطَةُ يَوْمَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ، ثُمَّ وَلَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَارِسَ. (انظر «تاريخ ابن الأثير» ص ٣١٧، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٥ ج ٧). قُتِلَ الْمَكْتَفِي سَنَةَ ٢٨٩ لِأَنَّهُ أَبَى أَنْ يَبَايَعَهُ. (انظر سبب مقتله بإسهاب في «تاريخ الطبري» ق ٣ ص ٢٢٠٩ - ٢٢١٦).

(٢) هذا من شعر الوليد بن يزيد (انظر ج ٧ ص ٩٣ من هذه الطبعة).

/ صنعة أولاد الخلفاء المذكور منهم والإناث

فأولهم وأتقنهم صنعة وأشهرهم ذكراً في الغناء إبراهيم بن المهدي؛ فإنه كان يتحقق^(١) به تحققاً شديداً ويبتذل نفسه ولا يستتر منه ولا يُحاشي أحداً. وكان في أول أمره لا يفعل ذلك إلا من وراء ستر وعلى حال تصوّن عنه وترفع، إلا أن يدعوه إليه الرشيد في خلوة والأمين بعده. فلما أئنه المأمون تهتك بالغناء وشرب النبيذ بحضرته والخروج من عنده ثملاً ومع المغنين، خوفاً منه وإظهاراً له أنه قد خلع رتبة الخلافة من عنقه وهتك ستره فيها حتى صار لا يصلح لها. وكان من أعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات وأطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً. وهو من المعدودين في طيب الصوت خاصة؛ فإن المعدودين منهم في الدولة العباسية: ابن جامع وعمرو بن أبي الكئثات وإبراهيم ابن المهدي ومُخارق. وهؤلاء من الطبقة الأولى، وإن كان بعضهم يتقدم. وكان إبراهيم مع علمه وطبعه مُقَصِّراً عن أداء الغناء القديم وعن أن ينحوه في صناعته، فكان يحذف نغم الأغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً ويخففها على قدر ما يصلح^(٢) له وبقي بأدائه. فإذا عيب ذلك عليه قال: أنا ملك وأبن ملك، أغني كما أشتهي وعلى ما ألتذ. فهو أول من أفسد الغناء القديم، وجعل للناس طريقاً إلى الجسارة على تغييره. فآلئنا إلى الآن صنفان: من كان منهم على مذهب إسحاق وأصحابه ممن كان يُنكر تغيير الغناء القديم ويُعظم الإقدام عليه ويعيب من فعله، فهو يُعني الغناء القديم على جهته أو قريباً منها. ومن أخذ بمذهب إبراهيم بن المهدي أو اقتدى به مثل مُخارق وشارية ورّيق ومن أخذ عن هؤلاء إنما يغني الغناء القديم كما/ يشتهي هؤلاء لا كما غناه من يُنسب إليه، ويجد على ذلك مساعدين ممن يشتهي أن يُقرّب عليه مأخذ الغناء ويكره ما ثقل وثقلت أدواره، ويستطيل الزمان في أخذ الغناء الجيد على جهته بِقَصَر معرفته. وهذا إذا أطرد فإنما الصنعة لمن غنى في هذا الوقت لا للمتقدمين؛ لأنهم إذا غيروا ما أخذوه كما يرون وقد غيّره من أخذوه عنه وأخذ ذلك أيضاً ممن غيّره، حتى يمضي على هذا خمس طبقات أو نحوها. لم يتأد إلى الناس في عصرنا هذا من جهة الطبقة غناء قديم على الحقيقة البتة. وممن أفسد هذا الجنس خاصة بنو حمدون بن إسماعيل فإن أصلهم فيه مُخارق، وما نفع الله أحداً قط بما أخذ عنه، وزرياب الواقفية فإنها كانت بهذه الصورة تُغيّر الغناء كما تريد، وجواري شارية ورّيق. فهذه الطبقة على ما ذكرت. ومن عداهم من الدُّور بمثل^(٤) دُور غريب ودُور جواربها والقاسم بن زُرُور وولده ودُور بَذل الكبرى ومن أخذ عنها، وجواري البرامكة وآل هاشم وآل يحيى بن مُعاذ ودُور آل الرّبيع ومن جرى مجراهم ممن^(٥) تمسك بالغناء القديم^{٢٦} وحمله كما سمعه، فعسى أن يكون قد بقي ممن أخذ بذلك المذهب قليل من كثير، وعلى^(٦) أن / الجميع من

(١) كذا في الأصول. ولعلها «يتحفي به تحفياً... إلخ».

(٢) في الأصول: «ما أصلح له» وهو تحريف.

(٣) في الأصول: «فلم».

(٤) لعله: «مثل».

(٥) لعله: «فقد».

(٦) لعله: «على».

الصحيح والمُغَيَّر قد أنقضى في عصرنا هذا.

فمن مشهور غناء إبراهيم بن المهدي:

صوت

هل تَطْمِسُون من السماء نجومها بأَكْفُكُمْ أو تَسْثُرُون هلالها

أو تدفعون مقالة من ربكم جِرِيلُ بَلَّغها النبي فقالها

طرقتك زائرة فحي خيالها زهراء تخلط بالدلال جمالها

الشعر لمروان بن أبي حفصة. والغناء لإبراهيم بن المهدي، ثقیلٌ أوّل بالبصرة، وذكر حبّش أن فيه لآبن جامع لحنًا ماخوريًا.



مرکز تحقیق و پژوهش در تاریخ جمهوری اسلامی ایران

/ أخبار مروان بن أبي حفصة ونسبه

[٧١/١٠]

نسبه وشيء من أخبار آبائه:

هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة. ويكنى أبا السَّمُط. وأسم أبي حفصة يزيد. وذكر الثَّوْفَلِي عن أبيه أنه كان يهودياً، فأسلم على يَدَي مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَم. وأهلُه يُنكرون ذلك ويذكرون أنه من سَنِي إِصْطَخَر^(١)، وأنَّ عثمان أشتراه فوهبه لمروان بن الحكم. وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة بمثل ذلك. قال: وشهد أبو حفصة الدَّار^(٢) مع مولاه مروان بن الحكم، وقاتل قتالاً شديداً وقتل رجلاً من أسْلَمَ يقال له بَنَان. وجرح مروان يومئذٍ، أصابته ضربة قطعت عِلْبَاهُ^(٣) فسقط، فوثب عليه أبو حفصة وأحتمله، فجعل يحمله مرّة على عنقه ومرّة يجرّه، فيتأوّه؛ فيقول له: أَسْكَتَ وَأَصْبِرَ؛ فإنه إن علموا أنك حيٌّ قُتِلْتَ. فلم يزل به حتى أدخله دار امرأة من عَنَزَة فدأواه فيها حتى يرى؛ فأعتقه مروان ونزل له عن أمِّ ولدٍ له يقال لها سُكَّر كانت له منها بنت يقال لها حَفْصَة؛ فحَضَنَهَا، فكنى أبا حَفْصَة؛ فحَفْصَة بنت مروان. قال: وكان مروان إذا ولي المدينة وجّه أبا حَفْصَة إلى اليمامة - وكانت مُضَافَةً إلى المدينة - ليجمع ما فيها من المال ويحمّله إليه. قال: فمرّ أبو حفصة بقرية من قُرَى اليمامة يقال لها العِرْض، فوقف على باب فاستسقى ماء، فخرجت إليه جارية مُعْصِر^(٤) فسقته فأعجبته؛ فسأل عنها ليشترىها؛ فقبل له: هي حرة، وهي مولاة لبني عامر بن حنيفة. فمضى حتى قدّم حَجْرًا^(٥)، ثم تبعها نفسه/ فتزوجها، فلم يخرج من اليمامة حتى حملت بيحيى بن أبي حَفْصَة، ثم حملت بمحمد ثم بعبدة الله ثم بعبدة العزيز. فلما وقعت فتنة ابن الزُّبَيْر خرج أبو حفصة مع مروان إلى الشام.

قال محمد بن إدريس وحدثني أبي قال كان مروان بن أبي الجَنُوب يقول: أم يحيى بن أبي حفصة لحناء^(٦) بنت ميمون من ولد النابغة الجعدي، وإن الشعر أتى آل أبي حفصة بذلك السبب. قال: وشهد أبو حَفْصَة مع مَرْوَانَ يَوْمَ الْجَمَل وقاتل قتالاً شديداً. فلما ظفر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لجأ مروان إلى مالك بن مِسْمَع فدخل داره ومعه أبو حَفْصَة، فقال لمالك: أغلق بابك. فقال له مالك: إن لم أَمْنَعَكَ والبَابُ مَفْتُوحٌ لم أَمْنَعَكَ والبَابُ مُغْلَقٌ. فطلب علي رضي الله عنه مروان منه، فلم يدفعه إليه إلا برهينة، فدفع مالك الرهينة إلى أبي حَفْصَة، ومضى مروان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال لأبي حفصة: إن حدثتْ حَدَثٌ بصاحبك

(١) إصطخر: بلدة بفارس، وهي من أعيان حصونها ومدنها.

(٢) يريد دار عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وذلك أنه يوم هاجت الفتنة عليه لزم داره فحصره فيها حتى قتلوه وسمي ذلك بيوم الدار.

(٣) العلباء: عصابة صفراء في صفحة العنق.

(٤) أعصرت المرأة: بلغت عصر شبابه وأدركت.

(٥) حجر: حاضرة اليمامة.

(٦) في ابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٣): «حيا بنت ميمون».

فعليك بالرهينة. فلما أتى مروان علياً كساه كسوة، فكساها مروانُ أبا حفصة، ففدا فيها أبو حفصة. وبلغ علياً رضي الله عنه ذلك فغضب وقال: كسوته كسوة فكساها عبداً. وشهد أبو حفصة مع مروان مَرَجَ^(١) راهط، وكان له بلاء. وكان أبو حفصة شاعراً.

قال أبو أحمد قال لي محمد بن إدريس أخبرني أبي أن أبا السَّمُطِ مروان بن أبي الجَنُوبِ أنشده لأبي حفصة يوم الدَّار:

وما قلتُ يومَ الدَّارِ للقومِ صالحُوا أجيلُ لا، ولا اخترتُ الحياةَ على القتلِ
ولكنني قد قلتُ للقومِ جالِدُوا بأسيا فكم لا يُخلَصَنَّ إلى الكهلِ

/ قال: وأنشدني لأبي حفصة أيضاً:

لستُ على الزَّحَامِ بالأَصْر^(٢) إني لَوَرَّاذُ حياضِ الشرِّ
مُعَاوِدٌ للكرِّ بعدَ الكرِّ

قال يحيى وأخبرني محمد بن إدريس قال:

عُكْلٌ تدعى أن أبا حفصة منهم، يقولون: هو من كِنَانَةَ بن عَوْفٍ بن عبد مَنَاةَ بن طابخة بن إلياس بن مضر، وقد كانوا استعدوا عليه مروان بن الحَكَم، وقالوا: إنما باعته عُمْتُه لمجاعة؛ فأبى هو أن يُقرَّ لهم بذلك. ثم استعدوا عليه عبد الملك بن مروان أيضاً؛ فأبى إلا أنه رجل من العجم من سَبْيِ فارس، نشأ في عُكْلٍ وهو صغير. قال محمد بن إدريس: وولَدَ السَّمُوءُ بن عاديء يدْعُوهُ، والسَّمُوءُ من غَسَّان. قال محمد: وزعم أهل اليمامة وعُكْلٌ وغيرهم أن ثلاثة نفرٍ أتوا مروان بن الحَكَم وهم أبو حفصة ورجل من تميم ورجل من سُلَيْم، فباعوا أنفسهم منه في مجاعة نالتهم؛ فاستعدى أهل بيوتاتهم عليهم، فأقرَّ أحدهم وهو السُّلَمِيُّ أنه إنما أتى مروان فباعه نفسه وأنه من العرب؛ فدمس إليه مروانُ مَنْ قَتَلَهُ. فلما رأى ذلك الآخرون ثَبَّتَا على أنهما مَوْلِيَانِ لمروان. فأخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال: زعم المدائني أنه كان لأبي حفصة ابنٌ يقال له مروان سَمَّاه مروانُ بن الحَكَم باسمه، وليس بالشاعر، وأنه كان شجاعاً مجرباً، وأمدَّ به عبد الملك بن مروان الحَجَّاج وقال له: قد بعثنا إليك مولاي أَبْنُ أَبِي حفصة وهو يَغْدُلُ ألفَ رجل. فشهد معه محاربة ابن الأشعث، فأبلى بلاءً حسناً وعُقرت تحته عدَّةُ خيول، فأحتسب بها الحَجَّاجُ عليه من عطائه. فشكاه إلى عبد الملك وذمَّ الحَجَّاجُ عنده؛ فعوضه مكانَ ما أغرَمَ الحَجَّاجُ. وكان يحيى جدَّ مروان بن سليمان جواداً مُمَدِّحاً.

/ جرير يودع ابنه يحيى بن أبي حفصة:

أخبرنا محمد العباس اليزيدي قال حدثنا أبو سعيد الشُّكْرِيُّ عن محمد بن حَبِيبٍ عن أبْنِ الأعرابي قال:

أراد جرير أن يوجِّهَ ابنه بلالَ بنَ جريرٍ إلى الشام في بعض أمره، فأتى يحيى بنَ أبي حفصة فأودعه إِيَّاه، ثم بلغ بلالاً أن بعض بني أمية يريد الخروج، فقال لأبيه: لو كَلَّفْتَ هذا القرشيَّ أمري! فقال له جرير:

(١) مرج راهط: في غوطة دمشق من ناحية الشرق، وفيه كانت الواقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس داعية ابن الزبير، فقتل مروان فيها الضحاك وخلصت له الخلافة.

(٢) من الصرير يقال: صر الرجل إذا صاح صياحاً شديداً.

أزاداً سوى يحيى تريد وصاحباً / وما تأمن الوجناء^(١) وقعة سيفه
ألا إن يحيى نعم زاد المسافر / إذا أنفضوا^(٢) أو قل ما في الغرائر

٣٨
٩

يحيى بن أبي حفصة يتزوج بنت زياد بن هودة:

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال:

تزوج يحيى بن أبي حفصة بنت زياد بن هودة بن شماس بن لآي بن أنف الناقة؛ فاستعدى عليه عمها عبد الملك بن مروان وقال: أينك إبراهيم بن عدي وهو من كنانة منك وإليك بنتها، وينكح هذا العبد هذه! فقال عبد الملك: بل العبد ابن العبد والله إبراهيم بن عدي - وكان مغمور النسب في الإسلام - والله لهذا أشرف منه، وإن لأبيه من البلاء في الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيكما، وما أحب أن لي يحيى ألفاً منكما. والله لو تزوج بنت قيس بن عاصم ما نزعتهما منه. ومن زوجه فقد زوج أبني هذا، وأشار إلى ابنه سليمان. فخرجا وتخلف يحيى بعدهما، فقال: يا أمير المؤمنين، إنهما قد أنضبا ركبهما وأخلقا ثيابهما والتزما مؤونة في سفرهما، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعوضهما عوضاً! فقال: أبعد ما قالا فيك!! قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: بل أعطيك أنت ما سألت لهما وتعطيهما ما شئت. فكساه ووصله وحمله. فخرج يحيى إليهما ففرق ذلك عليهما، وزوج ابنه سليمان بنت أحدهما، وولدت بنت زياد منه أولاداً.

[٧٥/١٠] / يهنئ الوليد بن عبد الملك ويمزيه:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الفضل البيهقي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال:

دخل يحيى بن أبي حفصة على الوليد بن عبد الملك لما يبيع له بالخلافة بعد أبيه، فهناه وعزاه وأنشده:

إن المنايا لا تغادر واحداً / يمشي بيزته ولا ذا جنة
لو كان خلق للمنايا مفلتاً / كان الخليفة مفلتاً منها
بكت المنابر يوم مات وإنما / بكت المنابر فقد فارسه
لما علا هن الوليد خليفة / قلن أبنته ونظيره فسكته
لو غيره قرع المنابر بعده / لكرنه فطرخته عنهنه

زوج بنيه من بنات مقاتل المنقري فهجاه القلاح فرد عليه:

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العنزي قال:

خطب يحيى بن أبي حفصة إلى مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري ابنته وأختيه، فأنعم^(٢) له بذلك. فبعث يحيى إلى بنيه سليمان وعمر وجميل، فأتوه بالجفر^(٣) فزوجهن بنيه ثلاثهم، ودخلوا بهن ثم حملوهن إلى حاجر. فقال القلاح بن حزن المنقري في ذلك:

(٢) أنعم له: أفضل وقال نعم.

(١) الوجناء: الناقة الشديدة. وأنفض القوم: أرملوا، وقيل هلك أموالهم وفني زادهم.

(٣) جفر: علم على أسماء مواضع كثيرة. (انظر «معجم البلدان» لياقوت في الكلام عليه).

سلام على أوصال قيس بن عاصم
أضيئتموا خيلاً عراباً فأصبحت
فلم أر أبراداً أجراً لخزيرة
من الخزّ والسلائي بحجر عليكم
وإن كنّ رمساً في التراب بواليا
كواسد لا ينكحن إلا المواليا
والأم مكسوة والأم كاسيا
نشرن فكنّ المخزيات البواقيا

/ فقال يحيى يردّ عليه :

الأقباح الله الفلاح ونسوّة
نكحنا بنات القرم قيس بن عاصم
/ أبا كان خيراً من أيبك أرومة
ليبت بني حزن من الدلّ وهنة
ولم تدّ حزنيّاً، ولو ضمّ أربعاً
وضيف بني حزن يجوع وجارهم
على البشر يعطشن الكلاب من الثّن
وعمداً رغبتنا عن بنات بني حزن
وأوسط في سفد وأرجح في الوزن
كوهنة بيت العنكبوت التي تبنى
وأبرز^(١) ، في فرج يعفّ ولا بطن
إذا أمن الجيران ناء من الأمن

بذكر خروج ابن المهلب :

أخبرنا يحيى بن عليّ قال أنشدني محمد بن إدريس ليحيى يذكر خروج يزيد بن المهلب ويتأسف على الحجاج :
لا يصلح الناس إلا السيف إذ فتنوا
لو كان حياً غداة الأزد إذ نكثوا
لم تأنه الأزد عند الباب ترئصه
من كل أفحج^(٢) ذي حنف مخالفة
لَهْفِي عَلَيْكَ وَلَا حَجَّاجٌ لِلدِّينِ
لَمْ يُخْصِ قِتْلَاهُمْ حَسَابُ دِيرِينَ
مِثْلَ الْجَرَادِ تَنْزَى فِي التَّبَائِينِ^(٣)
أرقت به الشفن عُلْجاً غير مجنون

قال أبو أحمد : وأنشدني ليحيى في سفيان بن عمرو وإلى الإمامة :

لقد عصاني ابن عمرو إذ نصحت له
لو كنت أنفخ في فحم لقد وقدت
ولو أطفئت^(٤) لما زلت به القدم
ناري ولكن رماد ماله حَم

/ بخل مروان بن أبي حفصة ونوادره له في ذلك :

وليحيى أشعار كثيرة ؛ وإنما ذكرنا ها هنا منها ما ذكرنا لنعرف أغراق مروان في الشعر . وكان مروان أبخل
الناس على يساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء ، لا سيما من بني العباس ، فإنه كان رَسْمُهُمْ أَنْ يُعْطَوْهُ بِكُلِّ بَيْتٍ
يَمْدَحُهُمْ بِهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

(١) أبرز : اتخذ الأبرز وهو الذهب الخالص يريد باتخاذ الإبريز كثرة المال .

(٢) تربصه : تنتظره . والتباين : جمع تبان ، وهو سراويل صغير ، فارسي معرب .

(٣) الأفحج : ذر الفحج ، يقال رجل أفحج وأمرأة فحجاء . والفحج هو تداني صدور القدمين وتباعد العقبين . والحنف : اعرجاج الرجل إلى الداخل . وأرقت السفينة : دنت من الشط . وغير مجنون : غير مغفل ، من جنه الشيء إذا ستره يريد عُلْجاً لا شك فيه .

(٤) «أطفئت» بالقاف وظاهر أنه مصحف عما أثبتناه .

أخبرنا أحمد بن عمار وقال حدثنا علي بن محمد التوفلي قال سمعت أبي يقول:

كان المهدي يعطي مروان وسلماً الخاسر عطية واحدة، وكان سلم يأتي باب المهدي على البرذون قيمته عشرة آلاف درهم، والسرّج واللجام المقدوذين^(١)؛ ولباسه الخزّ والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان، ورائحة المسك والغالية والطيب تفوح منه، ويجيء مروان وعليه فروّ كبش، وقميص كرايس^(٢) وعمامة كرايس، وخفّاء كبلي^(٣) وكساء غليظ مثنى الرائحة، وكان لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم^(٤) إليه، فإذا قرّم أرسل غلامه فأشترى له رأساً فأكله. فقيل له: نراك لا تأكل إلا الرؤوس في الصيف والشتاء، فلم تختار ذلك؟ قال: نعم! الرأس أعرف سعره، ولا يستطيع الغلام أن يغبني فيه، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، إن مسّ عيناً أو أذنّاً أو خدّاً وقفّ عليه، فأكل منه ألواناً، أكل عينيه لوناً، وأذنيه لوناً، وغلصمته^(٥) لوناً، وأكفى مؤنة طبخه، فقد اجتمعت لي فيه مرافق.

أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العلاء المنقري قال حدثني موسى بن يحيى قال:

أوصلنا إلى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم، وجمع إليها مالا حتى تمت مائة وخمسين ألف درهم، وأودعها يزيد بن مزيد.

[٧٨/١٠] / قال: فبينما نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مزيد، وكانت فيه دُعابة، فقال: يا أبا علي أودعني ٤٠ مروان خمسين ومائة ألف درهم وهو يشتري الخبز من البقال. قال فغضب يحيى ثم قال: عليّ / بمروان، فأنيّ به. فقال له: أخبرني أبو خالد لما أودعته من المال وما تباعه من البقال، والله لما يرى من أثر البخل عليك أضرب من الفقر لو كان بك.

أخبرنا يحيى قال وحدثني عمر بن شبة عن أبي العلاء المنقري عن موسى بهذا الخبر، إلا أنه قال: فقال له يحيى: يا مروان، والله لا بالبخل أشوأ عليك أثراً من الفقر لو صرت إليه، فلا تبخل.

أخبرنا يحيى قال حدثني عمر بن شبة قال:

بلغني أن مروان بن أبي حفصة قال ما فرحت بشيء قطّ فرحي بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهدي، فوزئتها فزادت درهماً فأشتريت به لحماً.

أخبرنا يحيى قال حكى أبو غسان عن أبي عبيدة عن جهم بن خلف قال:

أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة، فأطعمنا تمرّاً، وأرسل غلامه بفلس وسكرجة^(٦) ليشتري له زيتاً. فلما جاء بالزيت قال لغلامه: خُتنتي! قال: من فلس كيف أخونك! قال: أخذت الفلس لنفسك وأستوهبت الزيت.

(١) المقدوذ: المزين المسوى.

(٢) الكرايس: جمع كرايس وهو هنا الثوب الخشن.

(٣) الكبلي: الكثير الصوف من الفراء.

(٤) كذا في أ، ح وقرم إلى اللحم اشتدت شهوته له. وفي «الأصول»: «يقدم» بالبدال المهملة وهو تحريف.

(٥) الغلصمة: اللحم بين الرأس والعنق، وقيل رأس الحلقوم بشواربه.

(٦) السكرجة: الصلصة.

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التَّوَزِّي عنه قال:

مرَّ مروان بن أبي حفصة في بعض سَفَرَاتِهِ وهو يريد مَنَى^(١) بأمرأة من العرب فأضافته، فقال: لله علي إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لك درهماً، فأعطاه ستين ألف درهم، فأعطاهما أربعة دَوَانِق.

[٧٩/١٠]

/ أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دِعامَةَ قال:

اشترى مروان لحماً بنصف درهم، فلما وضعه في القِدْر وكاد أن ينضج، دعاه صديق له، فردَّه على القَصَاب بنُقْصَان دَانِقٍ. فشكاه القَصَابُ وجعل ينادي: هذا لَحْمُ مروان، وظنَّ أنه يَأْتَفُ لذلك. فبلغ الرشيد ذلك فقال: ويلك! ما هذا! قال: أكره الإسراف.

قصة له مع أبي الشَّمَقْمَق:

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دِعامَةَ قال:

أَنْشَدْتُ لرجل من بني بكر بن وائل في مروان:

وليس لمروان على العِزْسِ غَيْرَةٌ ولكن مرواناً يَغَارُ على القِدْرِ

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبو هِفَّان قال حدَّثني يحيى بن الجَوْن العَبْدِيُّ قال:

فَرَّقَ المَهْدِيُّ على الشعراء جوائزَ، فأعطى مروانَ ثلاثين ألفاً. فجاءه أبو الشَّمَقْمَق فقال له: أَجْزَنِي من الجائزة. فقال له: أنا وأنتُ نأخذ ولا نُعْطِي. قال: فاسمع مِنِّي بيتين. قال: هات. فقال أبو الشَّمَقْمَق:

لِخِيَةِ مروان تَقِي عَنِّي عَنِّي ^{مَرْثِيَةٌ} خَالِصاً أَذْفَرًا^(٢)

فَمَا يُقِيمَان بهَا سَاعَةً إِلَّا يُعَوِّدَان جميعاً خَرّاً

فأمر له بدرهمين. وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جَحْظَةَ عن أبي هِفَّان فذكر مثل الخبر الماضي وزاد فيه. فأعطاه عشرة دراهم، فقال له خذ هذه ولا تكن رواية الصُّبَّان.

مدح الهادي فداهيه في المعجل والمؤجل ووصله:

أخبرني محمد بن مَرْيَد بن أبي الأزهر قال حدَّثنا الزبير بن بَكَّار قال حدَّثني عُمِّي مُصْعَب عن جدِّي عبد الله بن مصعب قال.

[٨٠/١٠]

/ دخل مروان بن أبي حفصة على موسى الهادي، فأنشده قوله فيه:

تَشَابَهَ يوماً بِأَسِه ونوَالِه فَمَا أَحَدٌ يَدْرِي لَأَيُّهُمَا الفضلُ

فقال له الهادي: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ: أَثَلَاثُونَ ألفاً مُعَجَّلَةً أم مائة ألف تدوّن في الدَّوَاوِين؟ فقال له: يا أمير

المؤمنين أنت تُحَسِّن ما هو خير من هذا ولكِنَّكَ نَسِيتَه، أَفَتَأْذَنُ لي / أن أذكرك؟ قال نعم. قال: تُعَجِّلُ لي $\frac{٤١}{٩}$ الثلاثين ألفاً وتدوّن المائة الألف^(٣) في الدَّوَاوِين. فضحك وقال: بل يعجّلان جميعاً؛ فحُمِلَ المالُ إليه أجمع.

(١) كذا في م. وفي ب، ح، س: «وهو يريد مغني امرأة». وفي أ: «وهو يريد مغني بامرأة» وكلاهما تحريف.

(٢) الأذفر: الجيد من المسك.

(٣) في الأصول: المائة ألف.

مدح المهدي فلقته اليزيدي فاعترض على سوء أدبه :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني سليمان بن جعفر قال حدثني أحمد بن عبد الأعلى قال :

اجتمع مروان بن أبي حفصة وأبو محمد اليزيدي عند المهدي؛ فابتدأ مروان يُشدد :

* طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَحَيَّ خِيَالَهَا *

فقال اليزيدي: لَحْنُ وَاللهِ وَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ. فقال له مروان: يَا ضَعِيفَ الرَّأْيِ أَهَذَا لِي يَقَالَ! ثُمَّ قَالَ:

* بِيضَاءُ تَخْلِطُ بِالْجَمَالِ دَلَالَهَا *

فقال له ^(١) بعض من حضر: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَكُنِّي فِي مَجْلِسِكَ! (يعني اليزيدي) فقال: أَعِذُّوْا شَيْخَنَا، فَإِنْ لَهُ حُرْمَةٌ.

سأله الرشيد عن الوليد بن يزيد فأجابه:

أخبرنا أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال قال لي الرشيد: هل دخلت على الوليد بن يزيد؟ فقلت: نعم دخلت مع عمومي إليه. قال: فأخبرني عنه. قال: / فذهبتُ أَتَرَحِّزُ. فقال لي: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَكْرَهُ مَا تَقُولُ، فَقُلْ مَا شِئْتَ. فقلت: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كَانَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ وَأَشَدَّهُمْ وَأَشْعَرَهُمْ وَأَجْوَدَهُمْ. دخلتُ عليه مع عُمومي ولي لَمَّةٍ فَيَنَانَةٍ، فَجَعَلَ يَغْمِزُ الْقَضِيبَ فِيهَا وَيَقُولُ: وَلَدْتُكَ سَكْرًا؟ - وَهِيَ أُمُّ وَلَدٍ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَوَهَبَهَا ^(٢) لَجَدِّي أَبِي حَفْصَةَ فَوَلَدَتْ مِنْهُ - فقلت له: نعم. قال لي الرشيد: فهل تحفظ من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، سمعته يُشدد في خلافته وذكر هشاماً وَتَحَامَلَهُ عَلَيْهِ وَمَا كَانَ يَرِيدُ مِنْ نَقْضِ أَمْرِهِ وَوَلَايَتِهِ:

لَيْتَ هِشَامًا عَاشَ حَتَّى يَرَى مِثْلَهُ ^(٣) الْوَفَرَ قَدْ أَتْرَعَا
كُنَّا لَهُ الصَّاعَ الَّتِي كَالَهَا وَمَا ظَلَمْنَا بِهَا أَضْوَعَا
وَمَا أَتَيْنَا ذَاكَ عَنْ بَذْعَةٍ أَحْلَاهُ الْفُرْقَانُ لِي أَجْمَعَا
فقال الرشيد: يَا غُلَامُ، الدَّوَاءُ وَالْقِرَاطَسُ، فَأَتَيْتَ بِهِمَا، فَأَمَرَ الْآيَاتِ فَكُتِبَتْ.

فضل خلف الأحمر شعراً له على شعر للأعشى:

أخبرنا أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى وحبيب بن نصر المهلبى قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني خَلَادُ الْأَرْقَطُ قَالَ:

جاءنا مروان بن أبي حفصة إلى حَلْقَةِ يونس، فأخذ بيد خَلْفَ الأحمر فأقامه، وأخذ خَلْفُ بيدي فقمنا إلى دار أبي ^(٤) عُمَيْرٍ فجلسنا في الدهليز. فقال مروان لخَلْفٍ: نَشَدْتُكَ اللهُ يَا أَبَا مُخْرَزٍ إِلَّا نَصَحْتَنِي فِي شِعْرِي فَإِنْ

(١) كذا في الأصول ولعلها من زيادات النسخ.

(٢) كذا في الأصول ولعله «وهبها».

(٣) الممثل: زبيل يعمل من الخوص يحمل فيه الثمر وغيره يسع خمسة عشر صاعاً.

(٤) في ج: «ابني عمير».

الناس يُخَدِّعون في أشعارهم، وأنشده قوله:

طرقك زائرة فحيي خيالها بيضاء تخطيط بالجمال دلالها

فقال له: أنت أشعر من الأعشى في قوله:

* رَحَلْتُ سُمَيْةً غَدَوَةً أَجْمَالَهَا *

/ فقال له مروان: أَتَبْلُغُ بِي الْأَعْشَى هَكَذَا! وَلَا كُلَّ ذَا! قال: ويحك! إِنَّ الْأَعْشَى قَالَ فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ: [٨٢/١٠]

* فَأَصَابَ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطَحَالَهَا *

وَالطُّحَالُ مَا دَخَلَ قَطُّ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَفْسَدَهُ، وَأَنْتَ قَصِيدَتُكَ سَلِيمَةٌ كُلَّهَا. فقال له مروان: إني إذا أردتُ أَنْ أَقُولَ الْقَصِيدَةَ رَفَعْتُهَا فِي حَوْلٍ، أَقُولُهَا فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَأَنْتَ تَخْلُهَا^(١) فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَأَعْرِضُهَا فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ.

عرض شعراً له على يونس فمدحه وفضله على شعر للأعشى:

وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخُزَاعِي قال حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ أَبُو دُلْفٍ هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَحَدَّثَنِي بِهِ الرَّيَاشِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ:

جاء مروان بن أبي حفصة إلى حَلَقَةِ يُونُسَ، / فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ لَنَا: أَيُّكُمْ يُونُسُ؟ فَأَوْمَأْنَا إِلَيْهِ. فقال له: $\frac{٤٢}{٩}$ أَصْلَحَكَ اللَّهُ! إني أرى قوماً يقولون الشعر، لَأَنْ يَكْشِفَ أَحَدُهُمْ سُوءَهُ ثُمَّ يَمْشِي كَذَلِكَ فِي الطَّرِيقِ أَحْسَنُ لَهُ مِنْ أَنْ يُظْهَرَ مِثْلَ ذَلِكَ الشَّعْرِ. وَقَدْ قُلْتُ شِعْراً أَعْرِضُهُ عَلَيْكَ، فَإِنْ كَانَ جَيِّداً أَظْهَرْتُهُ، وَإِنْ كَانَ رَدِيئاً سَتَرْتُهُ. فأنشده قوله:

* طَرَقْتُكَ زَائِرَةً فَحَيَّ خَيَالَهَا *

فقال له يونس: يا هذا اذْهَبْ فَأَظْهَرِ هَذَا الشَّعْرَ فَأَنْتَ وَاللَّهِ فِيهِ أَشْعَرُ مِنَ الْأَعْشَى فِي قَوْلِهِ:

* رَحَلْتُ سُمَيْةً غَدَوَةً أَجْمَالَهَا *

فقال له مروان: سررتني وسؤتني. فأما الذي سررتني به فارتضاؤك الشعر. وأما الذي ساءني فتقديمك إيتاي على الأعشى وأنت تعرف محله. فقال: إنما قَدَّمْتُكَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ الْقَصِيدَةِ لِأَنِّي شِعْرُهُ كُلُّهُ لِأَنَّهُ قَالَ فِيهَا:

* فَأَصَابَ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطَحَالَهَا *

وَالطُّحَالُ لَا يَدْخُلُ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَفْسَدَهُ، وَقَصِيدَتُكَ سَلِيمَةٌ مِنْ هَذَا وَشَبِيهِهِ.

/ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ إِنَّهُ مَوْلِدٌ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِاللُّغَةِ: [٨٣/١٠]

أخبرني هاشم بن محمد قال حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ مَيْمُونٍ طَائِعٌ قَالَ:

سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ ذَكَرَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ فَقَالَ: كَانَ مَوْلِداً، لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ بِاللُّغَةِ.

أَنشَدَ شِعْرَ جَمَاعَةٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِنَّهُ أَشْعَرُ النَّاسِ:

أخبرني هاشم بن محمد قال حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ الْعُثْبِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ:

(١) فِي الْأَصُولِ: «أَنْتَ تَخْلُهَا» بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَهِيَ تَصْحِيفٌ.

أَنشدنا مروانُ بن أبي حفصة يوماً شعرَ زهير ثم قال: زُهيرُ والله أشعر الناس، ثم أَنشد للأعشى فقال: الأعشى أشعر الناس، ثم أَنشد شعراً لأمراء القيس فقال: أمروؤ القيس أشعر الناس، ثم قال: والناسُ والله أشعرُ الناس. أي إن أشعر الناس من أَنشدتُ له فوجدته قد أجاد، حتى يُنتقل إلى شعر غيره.

اشترى من أعرابي شعراً مدح به مروان بن محمد فمدح هو به معن بن زائدة فأكرمه:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حَدَّثني علي بن محمد التَّوْفَلِي قال حَدَّثني أبي قال:

إجتاز مروانُ بن أبي حفصة برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو يُشدد قوماً كان جالساً إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد، وإن قُتل قبل أن يلقاه ويُشده إِيَّاه، أوَّلُه:

مَروانُ يَأبَسَنَّ مُحَمَّدٌ أَنْتَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ شَرَفاً بَنُو مَروانِ

فأعجبته القصيدة، فأمهل الباهلي حتى قام من مجلسه، ثم أتاه في منزله فقال له: إني سمعتُ قصيدتك وأعجبني، ومروان قد مضى ومضى أهلُه وفاتك ما قد رُمته^(١) عنده؛ أتبعني القصيدة حتى أنتحلها، فإنه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير؟ قال نعم. قال: بكم؟ قال: بثلاثمائة درهم. قال: قد أبتعتها؛ فأعطاه الدراهم وحلَّفه بالطلاق/ ثلاثاً وبالإيمان المُخرجة ألا يتحلها أبداً ولا ينسبها إلى نفسه ولا يُشدها، وأنصرف بها إلى منزله، فغيَّر منها أبياتاً وزاد فيها، وجعلها في معن، وقال في ذلك البيت:

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ شَرَفاً إِلَى شَرَفِ بَنُو شَيْبَانَ

ووقد بها إلى معن بن زائدة فملا يديه، وأقام عنده مدة حتى أئثرى وأتسعت حاله. فكان معن أول من رفع ذكره ونوّه به. قال: وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومراثٍ حسنة.

نقل قصة فرار معن أن عبداً أسود طلقه تكرماً بعد ما عرفه:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حَدَّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حَدَّثني محمد بن نعيم البلخي أبو يونس قال حَدَّثني مروان بن أبي حفصة وكان لي صديقاً قال:

كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً، وجعل فيه مالا؛ فحدَّثني معن بن زائدة باليمن أنه أضطُرَّ^{٢٣} لشدة / الطلب إلى أن أقام في الشمس حتى لوَّحت وجهه، وخفَّ عارضيه ولحيته، ولبس جبة صوف غليظة، وركب جملًا من الجمال الثقالة ليمضي إلى البادية فيقيم بها، وكان قد أبلى في حرب^(٢) يزيد بن عمر بن هبيرة بلاء حسناً غاظ المنصور وجداً في طلبه. قال معن: فلما خرجتُ من باب حرب^(٣) تبعني أسود متقلداً سيفاً، حتى إذا غيبتُ عن الحرس قبض علي خطام جملي فأناخه وقبض علي؛ فقلت له: مالك؟ قال: أنت طلبتُ أمير المؤمنين. قلت: ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين! قال: معن بن زائدة. فقلت: يا هذا اتَّق الله! وأين أنا من معن! قال: دَع هذا عنك فأنا والله أعرفُ به منك. فقلت له: فإن كانت القصة كما تقول/ فهذا جوهرٌ حملته معي

(١) في جد: «ما قدرته».

(٢) هو يزيد بن عمر بن هبيرة. أبو خالد أحد رجالات بني أمية وفرسانهم وولانهم، أبلى مع مروان بن محمد في الدعوة العباسية، قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٢ هـ (انظر الكلام عليه في الطبري ق ٢ ص ١٣٦٣، ١٣٧٢، ١٩١٣ - ١٩١٦، ق ٣ ص ٦١ - ٧٣).

(٣) موضع ببغداد ينسب إلى حرب بن عبدالله البلخي ويعرف بالراوندي أحد قواد أبي جعفر المنصور. (انظر «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على الحربية).

يَقِي بأضعاف ما بذله المنصورُ لَمَنْ جاءه بي، فحُذِه ولا تَسِفْكُ دمي. قال: هاتِه فأخرجتهُ إليه؛ فنظر إليه ساعة وقال: صدقتَ في قيمته، ولستُ قابِلَةً حتَّى أسألك عن شيء، فإن صدقتني أطلقْتُكَ. فقلت: قُلْ. قال: إن الناس قد وصفوك بالجلود، فأجبرني هل وهبتَ قطَ مالك كلَّه؟ قلت لا. قال: فنصفه؟ قلت لا. قال: فثلثه؟ قلت لا. حتَّى بلغ العُشر فاستحييتُ فقلت: أظنَّ أني قد فعلتُ هذا. فقال: ما أراك فعلته! أنا والله راجل، ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً، وهذا الجوهر قيمتهُ آلافُ دنانير، وقد وهبتُ لك، ووهبتُك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس، ولتعلم أن في الدنيا أجود منك، فلا تُعجِبْك نفسك ولتُخفِرَ بعد هذا كلَّ شيء تفعله، ولا تتوقَّف عن مكرمة. ثم رمى بالعقد في حِجْرِي وغلَى خِطَامَ البعير وأنصرف. فقلت: يا هذا قد والله فضحتني، ولَسَفْكُ دمي أهونُ عليَّ ممَّا فعلتُ، فخذ ما دفعتهُ إليك فإنِّي غنيٌّ عنه. فضحك ثم قال: أردت أن تكذِّبني في مقامي هذا، والله لا آخذه ولا آخذ بمعروف ثمناً أبداً، ومضى. فوالله لقد طلبته بعد أن أمنتُ وبذلتُ لمن جاءني به ما شاء فما عرفتُ له خبراً، وكان الأرض أبْلعتَه.

سبب رضا المنصور عن معن بن زائدة:

قال: وكان سبب رضا المنصور عن معن أنه لم يزل مستترّاً حتَّى كان يومُ الهاشمية^(١)، فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه، وثب معن وهو متلثم فأنقض سيفه وقاتل فأبلى بلاءً حسناً، وذبح القوم عنه حتَّى نجا وهم يُحاربونه بعدُ، / ثم جاء والمنصورُ راكب على بغلة ولجأها بيد الربيع؛ فقال له: تنحْ فإنِّي أحقُّ [٨٦/١٠] باللجام منك في هذا الوقت وأعظمُ فيه غناء. فقال له المنصور: صدق فأدفعه إليه؛ فأخذه ولم يزل يقاتل حتَّى أنكشفت تلك الحال. فقال له المنصور: من أنتَ لله أبوك؟ قال: أنا طلبتُك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة. قال: قد أمنتك الله على نفسك ومالك، ومثلك يُضطَّع. ثم أخذه معه وخلع عليه وحباؤه وزينته. ثم دعا به يوماً وقال له: إنِّي قد أملتُك لأمر، فكيف تكون فيه؟ قال: كما يحبُّ أمير المؤمنين - قال: قد وليتُك اليمنَ، فابسط السيف فيهم حتَّى يُنْقَضَ حِلْفُ ربيعةَ واليمنَ - قال: أبلغ من ذلك ما يحبُّ أمير المؤمنين. فولَّاه اليمنَ وتوجَّه إليها فبسط السيف فيهم حتَّى أسرف.

عاتب المنصور معن على إكرامه له فأجابه إنما أكرمه لمدحه هو:

قال مروان: وقَدِمَ معنٌ بعقب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل: قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيءٌ لولا مكانك عنده ورأيتُ فيك لغضب عليك. قل: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما تعرَّضتُ لك منك، قال: إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألفَ دينار لقوله / فيك:

٤٤
٩

معنُ بن زائدة الذي زِيدَتْ به شرفاً إلى شرف بنو شيبان

إنَّ عُدَّ أيامُ الفِعالِ فلانما يوماه يومُ نَدَى ويومُ طِعان

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُه ما بلغك لهذا الشعر، وإنما أعطيتُه لقوله:

ما زلت يومَ الهاشمية مُعلِّماً بالسيف دون خليفة الرحمن

(١) الهاشمية: مدينة بناها السفاح بالكوفة. وذلك أنه لما ولي الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة واستتم بناءه وجعله مدينة وسماها الهاشمية. فلما توفي دفن بها. واستخلف المنصور فنزلها واستتم بناء كان بقي فيها وزاد فيها ما أراد. وكانت فيها وقعة بين أبي جعفر المنصور والراوندية، وهم قوم يقولون بتناسخ الأرواح ويزعمون أن روح آدم حلت في أحد رجالات المنصور، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور وأن الهيثم بن معاوية جبريل. (راجع «معجم البلدان» لياقوت و«تاريخ الطبري» ق ٣ ص ١٢٩، ١٣١).

فمنعتَ حَوْزَتَهُ وكنْتَ وقاه
من وَفَع كلُّ مُهَيَّسِدٍ وسِنان

فأستحيا المنصور وقال: إنما أعطيتَه ما أعطيتَه لهذا القول؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! والله لولا مخافة النِّقمة^(١) عندك لأمكنْتَه من مفاتيح بيوت الأموال وأبحتَه إياها، فقال له المنصور: لله دُرُك من أعرابي! ما أهونَ عليك ما يَعْزُّ على الرجال وأهل الحزم!

[٨٧/١٠] / مدح المهدي فردَه لمدحه معنا ثم مدحه العام المقبل فأجازه مائة ألف درهم:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدَّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدَّثني عبدالله بن محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن الربيع قال:

رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلَّم الخاسر وغيره، فأنشده مديحاً فيه، فقال له: ومن أنت؟ قال: شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة. فقال له المهدي: ألسن القائل:

أَقْمُنَا بِالْإِمَامَةِ بَعْدَ مَعْنٍ مُقَاماً لَا تُرِيدُ بِهِ زَوَالاً

وَقُلْنَا أَيْنَ نَرْحَلُ بَعْدَ مَعْنٍ وَقَدْ ذَهَبَ الثَّوَالُ فَلَا نَوَالاً

قد ذهب الثَّوَالُ فيما زعمتَ، فلم جئتَ تطلب نَوَالَنَا؟ لا شيء لك عندنا، جُرُّوا برجله؛ فَجَرُّوا برجله حتى أُخْرِجَ. قال: فلما كان من العام المقبل تَلَطَّفَ حتى دخل مع الشعراء - وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كلِّ عام مرّة - فَمَثَلَ بين يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء:

طَرَفَتْكَ زَائِرَةٌ فَحَيَّ خِيَالَهَا بِيضَاءُ تَخْلِطُ بِالْجَمَالِ^(٢) دَلَالَهَا

قَادَتْ فَوَادَكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلَهَا قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصُّبَا فَامَالَهَا

قال: فأنصت الناس لها حتى بلغ إلى قوله:

هَلْ تَطْمِئِنُّونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجْمُومَهَا بَاكُفُّكُمْ أَوْ تَسْتَرُونَ هَلَالَهَا

أَوْ تَجْحَدُونَ مَقَالََةَ عَنْ رَبِّكُمْ جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا

شَهِدْتُ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرَ آيَةٍ^(٣) بِثَرَائِهِمْ فَأَرَدْتُمْ إِنْطَالَهَا

[٨٨/١٠] / قال: فرأيت المهدي قد زَحَفَ من صدر مُصَلَّاهُ حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع، ثم قال: كم هي؟ قال: مائة بيت. فأمر له بمائة ألف درهم. فكانت أول مائة ألف درهم أعطيها شاعرٌ في أيام بني العباس.

مدح الرشيد فردَه لمدحه معنا ثم مدحه بعد أيام فأجازه لكل بيت ألفاً:

قال: ومضت الأيام ووليَّ هارون الرشيدُ الخلافةَ، فدخل إليه مروان؛ فرأيتَه واقفاً مع الشعراء ثم أنشده قصيدة أمتدحه بها. فقال له: من أنت؟ قال: شاعرك وعبدك يا أمير المؤمنين مروان بن أبي حفصة. قال له:

(١) في ج «الشنعة».

(٢) في ج في هذا الموضع: «بالحياء».

(٣) يريد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

أَلَسْتُ الْقَاتِلَ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ! وَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنْشَدَهُ إِيَّاهُمَا الْمَهْدِيُّ، ثُمَّ قَالَ: خَذُوا بِيَدِهِ فَأَخْرِجُوهُ، لَا شَيْءَ لَكَ عِنْدَنَا، فَأَخْرَجَ. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ تَلَطَّفَ حَتَّى دَخَلَ؛ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

لَعَمْرُكَ مَا أَنْسَى غَدَاةَ الْمُحَضَّبِ / إِشَارَةَ سَلَمَى بِالْبِنَانِ الْمُخَضَّبِ
وَقَدْ صَدَرَ الْحُجَّاجُ إِلَّا أَقْلَهُمْ / مَصَادِرُ شَتَّى مَوْكِبًا بَعْدَ مَوْكِبِ

قَالَ: فَأَعْجَبْتُهُ، فَقَالَ: كَمْ قَصِيدَتُكَ مِنْ بَيْتٍ؟ فَقَالَ: سِتُونَ أَوْ سَبْعُونَ. فَأَمَرَ لَهُ بَعْدَ آيَاتِهَا الْوَفَاءَ. فَكَانَ ذَلِكَ رَسْمَ مِرْوَانَ عِنْدَهُمْ حَتَّى مَاتَ.

مدح المهدي في الرصافة فأجازه:

أخبرني عمي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق قال:

دَخَلَ مِرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ فِي أَوَّلِ سَنَةِ قَدِمَ عَلَيْهِ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي قَصْرِهِ بِالرَّصَافَةِ فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلِي فِيهِ:

أَمَرْتُ وَأَخْلَى مَا بَلََا النَّاسُ طَعْمَهُ / عَذَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَائِلِهِ
فَإِنَّ طَلِيقَ اللَّهِ مَنْ أَنْتَ مُطْلِقٌ / وَإِنْ قَتِيلَ اللَّهِ مَنْ أَنْتَ قَاتِلُهُ
كَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا / أَبُو جَعْفَرٍ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَحَاوِلُهُ

قَالَ: فَأَعْجَبَ بِهَا، وَأَمَرَ لِي بِمَالٍ عَظِيمٍ؛ فَكَانَتْ تِلْكَ الصَّلَةُ أَوَّلُ صَلَاةٍ سَنِيَّةٍ وَصَلْتُ إِلَيْهِ فِي أَيَّامِ بَنِي هَاشِمٍ.

/ مدح المهدي وذم عنده يعقوب بن داود فأجازه من خالص ماله: [٨٩/١٠]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عبد الله العبدي الراوية قال حدثني حسين بن الضحّاك قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال:

دَخَلْتُ عَلَى الْمَهْدِيِّ فِي قَصْرِ^(١) السَّلَامِ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ بَعْقِبِ سَخَطِهِ عَلَى يَعْقُوبَ^(٢) بَنِ دَاوُدَ، قُلْتُ^(٣): يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ يَعْقُوبَ رَجُلٌ رَافِضِيٌّ وَإِنَّهُ سَمِعَنِي أَقُولُ فِي الْوَرَاثَةِ:

أَتَى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ / لَبِّي الْبَنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ
فَذَلِكَ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى عِدَاوَتِي. ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ:

كَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا / لَرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالسُّدِّ
عَلَى أَنَّهُ مِنْ خَالَفَ الْحَقَّ مِنْهُمْ / سَقَتْهُ يَدَ الْمَوْتِ الْحُتُوفُ الرُّوَاصِدُ

ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ:

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ. وَالَّذِي فِي كِتَابِي مَا يَعُولُ عَلَيْهِ فِي «الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ» وَ «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» لِيَأْقُوتُ أَنَّ قَصْرَ السَّلَامِ مِنْ أُبْنِيَةِ الرَّشِيدِ بْنِ الْمَهْدِيِّ بِالرَّقَّةِ. وَالَّذِي بَنَاهُ الْمَهْدِيُّ هُوَ قَصْرُ السَّلَامَةِ وَهُوَ الْقَصْرُ الَّذِي بَنَاهُ بِالْأَجَرِ فِي عَيْسَابَاذِ الْكِبْرَى (انظر «تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ» ق ٣ ص ٥٠٢، ٥١٧).

(٢) هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ السَّلْمِيِّ، كَانَ وَزِيرًا لِلْمَهْدِيِّ ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِ وَسَجَنَهُ فِي الْمَطْبِقِ وَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى أَيَّامِ هَارُونَ الرَّشِيدِ. وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ فِي تَرْجُمَةِ بَشَارِ بْنِ بَرْدٍ فِي «الْأَغَانِي» (ج ٣ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ).

(٣) فِي الْأَصُولِ: «فَقُلْتُ».

أحيا أمير المؤمنين محمد
قال فقال لي المهدي: والله ما أعطيك إلا من صُلب مالي فأعْذِرني، وأمر لي بثلاثين ألف درهم، وكساني جُبَّةً ومُطَرَفًا، وفَرَضَ لي على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفاً أخرى.

مدح مغنا فأعطاه عطايا سنية لم يستكثرها عليه ابن الأعرابي:

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرَّاق قال حَدَّثَنَا أحمد بن الحارث الخَرَّاز قال حَدَّثَنَا أبْنُ الأعرابي أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنه وَقَدَ على مَعْن بن زائدة فأنشده قوله:

[٩٠/١٠] / بنو مطرٍ يومَ اللقاء كأنهم
أُسودٌ لها في بطن خَفَّانٍ^(١) أَشْبُلُ
همُ يَمْنَعُونَ الجارَ حتَّى كأنما
لجارهم بين السَّماكين منزل
لَها ميمٌ^(٢) ، في الإسلام سادُوا ولم يكن
كأولهم في الجاهليَّة أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعُوا
أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم
وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا

قال: فأمر لي بصلة سنية وخَلَعَ عليَّ وحملني وزودني. قال ثم قال لنا أبْنُ الأعرابي: لو أعطاه كلُّ ما يملك لَمَّا ٤٦ وفاه حقَّه. قال: وكان أبْنُ الأعرابي يَخْتَمُ به الشعراءُ، وما دَوَّنَ لأحدٍ بعده / شعراً.

سئل عن جرير والفرزدق أيهما أشعر فأجاب بشعر:

أخبرني حبيب بن نصر قال حَدَّثَنِي عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني أحمد بن موسى بن حمزة قال: رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زَيْدَة في دار الخلافة وهو شيخ كبير، فسألته عن جرير والفرزدق أيهما أشعر، فقال لي: قد سُلِّتُ عنهما في أيام المهدي وعن الأخطل قبل ذلك، فقلتُ فيهم قولاً عقدته في شعر ليكُتِبَ. فسألته عنه فأنشدني:

ذهب الفرزدقُ بالهَجاء وإنما
حُلُوُ القريض ومُرُّه لجرير
ولقد هجا فأمضَ أخطلُ تغلِبَ
وحوى التَّهَى بيانه المشهور
كلُّ الثلاثة قد أجاد فمدَّحه
وهجاؤه قد سار كلُّ مَسِير
ولقد جَرَّيْتُ فُكْتُ غيرَ مُهَلِّلٍ^(٣)
بجرا لا قَرِفٍ^(٤) ولا مبهور
إنني لَأَتَفُّ أن أحْجِرَ مَذْحِجَةً
أبدأ لغير خليفة ووزير
ما ضرَّني حَسَدُ اللثام ولم يَزَلْ
ذو الفضل يحسُده ذوو التقصير

قال: فلم يرَ أن يقدِّم على نفسه غيرها. وكتبَتُ الأبيات عن فيه.

(١) خفان كحسان: موضع كثير الغياض قرب الكوفة وهو مأسدة.

(٢) اللهايم: جمع لهيم وهو السابق الجواد.

(٣) هلل الرجل: جبن وفر.

(٤) القرف: الشديد الحمرة ولعله يعني به الهجين.

/ مدح معناه فسأله عن أمله فأعطاه إياه واستقله له :

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِي قَالَ حَدَّثَنِي الْعَنْسِي قَالَ :
لَمَّا قَدِمَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ مِنَ الْيَمَنِ، دَخَلَ عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ وَالْمَجْلِسُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ، فَأَخَذَ
بِعَضَادَتِي^(١) الْبَابَ وَأَنشَأَ يَقُولُ :

وَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بِقِيَّةٍ^(٢) عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْمَعًا
لَهُ رَاحَتَانِ الْجُودُ وَالْحَنُفُ فِيهِمَا أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَضُرَّارًا وَتَنْفَعًا

قَالَ فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : احْتَكِمْ، قَالَ : عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ مَعْنُ : رِيبُنَا عَلَيْكَ تَسْعِينَ أَلْفًا . قَالَ : أَقْلَنِي .
قَالَ : لَا أَقَالَ اللَّهُ مِنْ يُقِيلُكَ .

رمى محرز معناه بالظلم فرد عليه بما أخجله :

أخبرني عمِّي قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ :

لَمَّا قَدِمَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ مِنَ الْيَمَنِ اسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ، وَتَلَقَّاهُ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ، فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةً يَهْتَهُ فِيهَا
بِقُدُومِهِ وَيُرَايَ الْمَنْصُورَ فِيهِ، وَتَلَقَّاهُ فِيمَنْ تَلَقَّاهُ أَبُو الْقَاسِمِ^(٣) مُخْرِزٌ فَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ : سَفَكْتَ الدَّمَاءَ، وَظَلَمْتَ
النَّاسَ، وَتَعَدَّيْتَ طَوْرَكَ بِذَلِكَ . فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَى مَعْنٍ أَلْتَفَتَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا مُخْرِزُ أَخْبِرْنِي بِأَيِّ خُفْيِكَ تَضْرِبُ
الْيَوْمَ : أَبَا الشُّبَاعِيِّ أَمْ بِالْثُّمَانِيِّ؟ قَالَ : فَأَنْقَطَعَ وَسَكَتَ خَجَلًا .

وَدَخَلَ مَعْنُ عَلَى الْمَنْصُورِ، فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَّأَلَهُ قَالَ لَهُ : يَا مَعْنُ، أَعْطَيْتَ أَبْنَ حَفْصَةَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ عَنْ
قَوْلِهِ فِيكَ :

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ شَرَفًا إِلَى شَرَفِ بَنِي شَيْبَانَ
فَقَالَ لَهُ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ أَعْطَيْتُهُ لِقَوْلِهِ :

مَا زِلْتَ يَوْمَ الْهَاشِمِيَّةِ مُعْلِمًا بِالسَّيْفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ
فَاسْتَحْيَا الْمَنْصُورُ مِنْ تَهْجِيئِهِ إِثَاءَ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا مَعْنُ فِي فَعْلِكَ .

/ تَرَكَ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ الشَّعْرَ فَلَمَّا سَمِعَ بِكَرَمِ مَعْنٍ مَدَحَهُ وَقَالَ مَرْوَانُ فِي ذَلِكَ شِعْرًا :

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَصْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ ثَوْرٍ قَالَ
حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْعَدَوِيُّ قَالَ :

لَمَّا وَلِيَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الْيَمْنَ كَانَ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ الدُّهْلِيُّ قَدْ تَنَسَّكَ وَتَرَكَ الشَّعْرَ . فَلَمَّا بَلَغَتْهُ أَعْمَالُ مَعْنٍ
وَقَدَّ إِلَيْهِ وَمَدَحَهُ، فَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ :

(١) عضادتا الباب . خشبته من جانيبه .

(٢) البقية : الإبقاء .

(٣) هو أبو القاسم محرز بن إبراهيم أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية . انظر الكلام عليه في الطبري (ق ٣ ص ١٩٥٥ - ١٩٥٧) .

لا تَقْدَمُوا راحَتِي مَعْنِي فإِنَّهُمَا
/ لما رأى راحَتِي مَعْنِي تَدَفَّقَتَا
ألقى المُسَوِّحَ التي قد كان يَلْبَسُهَا
بِالجود أَفْتَتَا يحيى بنَ منصورٍ
بنائِلٍ من عطاءٍ غيرِ مَنزُورٍ^(١)
وظلَّ للشعر ذا رَصْفٍ وتَخْيِيرٍ

٤٧/٩

تزوجت امرأة من أهله في بني مطر فلم يرضهم وقال شعراً:

أخبرني محمد بن مَرْيَد وعيسى بن الحسين قالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال حَدَّثَنِي عبد الملك بن عبد العزيز قال:

ورد على مروان بن أبي حفصة كتاب وهو بالمدينة أن امرأة من أهله تزوجت في قوم لم يَرْضَ صِهْرَهُمْ
يقال لهم بنو مطر؛ فقال في ذلك لأخيها:

لو كنتَ أَشْبَهْتَ يحيى في مَنَاحِهِ
لما تَنَقَّيْتُ فحلاً جَدُّهُ مَطَرُ
لله دَرَجِيادٌ كُنتَ سائِسُهَا
ضِيَعَتُهَا وبها التَّحْجِيلُ والغُرَرُ
نُبِئتُ خَوْلَةً قالت يومَ أَنْكَحَهَا
قد طالَما كُنتُ منك العارَ أَنْتَظِرُ

تهكم بالجنى الشاعر فهجاه ولم يعف عنه حتى حفره:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حَدَّثَنَا الحسن بن عليّ المعروف بِحَدَّانٍ^(٢) عن محمد بن حفص بن عمرو بن الأيّهم الحنفي قال:

مرَّ مروان بن أبي حفصة برجل من تَيْمِ اللَّاتِ بن ثعلبة يُعْرِفُ بِالْجِنِّي؛ فقال له مروان: زعموا أنك تقول الشعر. فقال له: إن شئتَ عَرَّفْتُكَ ذلك. فقال له مروان: ما أنت والشعر، ما أرى ذلك من طريقتك ولا مذهبك ولا تقوله! فقال الجِنِّي: أَجْلِسْ وأسمع فجلِسْ؛ فقال الجِنِّي يهجو:

/ ثَوَى اللُّؤْمُ في العَجَلانِ يوماً وَليلةً
غدا اللُّؤْمُ يَبْغِي مَطَرَحاً لِرِحالِهِ
فَلَمَّا أَتَى مروانَ خَيْمَ عِنْدَهُ
وَلَيْسَتْ لِمروانِ عَلَى العِزْسِ غَيْرَةٌ
وفي دار مروانِ ثَوَى آخرَ الدَّهْرِ
فَنَقَّبَ فِي بَرِّ البِلادِ وفي البَحْرِ
وقال رَضِينا بِالمُقَامِ إلى الحِشْرِ
ولكنَّ مرواناً يَغَارُ على القِذْرِ

[٩٣/١٠]

فقال له مروان: ناشدُكَ الله إلا كَفَفْتَ، فأنت أشعر الناس. فحَلَفَ الجِنِّي بالطلاق ثلاثاً أنه لا يُكفَّ حتى يصير إليه بنفَرٍ من رؤساء أهل اليمامة ثم يقول بحضرتهم: قاق في أَسْتِي بيضة. فجلِبهم إليه مروان وفعل ذلك بحضرتهم، وكان فيهم جَدِّي يحيى بن الأيّهم، فأنصرفوا وهم يضحكون من فعله.

عزى الهادي في المهدي بيتين تناقلهما الناس:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنِي أبو عبد الله بن سليمان بن زيد الدَّؤَسِي قال حَدَّثَنِي الفضل بن العباس بن سعيد بن سَلَم بن قُتَيْبَةَ الباهلي قال حَدَّثَنَا محمد بن حرب بن قَطَن بن قَيْصَةَ بن مُخَارِق الهلالي قال:

(١) يقال: أعطاه عطاء غير منزور: إذا لم يلح عليه فيه بل أعطاه عفواً.

(٢) سمي بحدان: وحدان بضم أوله وفتح.

لَمَّا مَاتَ الْمَهْدِيُّ وَفَدَتِ الْعَرَبُ عَلَى مُوسَى يَهْتَنُونَ بِالْخِلَافَةِ وَيَعُزُّونَهُ عَنِ الْمَهْدِيِّ؛ فَدَخَلَ مِرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ فَأَخَذَ بَعْضَ دَنِّيِ الْبَابِ ثُمَّ قَالَ:

لَقَدْ أَصْبَحْتُ تَخْتَالُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ بِقَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقَابِرُ
وَلَوْلَمْ تُسَكِّنْ بِأَبْنِهِ فِي مَكَانِهِ لَمَا بَرَحْتَ تَبْكِي عَلَيْهِ الْمَنَابِرُ
قَالَ فَخَرَجَ النَّاسُ بِالْبَيْتَيْنِ.

مدح عمرو بن مسعدة في مرضه:

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ مَهْرُوبِهِ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبِّرِ قَالَ:
مَرَضَ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مِرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ وَقَدْ أَبْلَى مِنْ مَرَضِهِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

صَحَّ الْجِسْمُ يَا عَمْرُو لَكَ التَّنْجِيصُ وَالْأَجْرُ
/ وَلِلَّهِ عَلَيْنَا الْحَمْدُ سُدُّوَالْمِئْتَةَ وَالشُّكْرُ
فَقَدْ كَانَ شَكَا شَوْقًا إِلَيْكَ التَّهْنِئَةُ وَالْأَمْرُ

قَالَ فَتَحَا نَحْوَهُ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَالَ:

قَالُوا أَبُو الْفَضْلِ مَحْمُومٌ فَقُلْتُ لَهُمْ نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مُحْذُورٍ
يَا لَيْتَ عَلَّتْهُ بِي غَيْرُ أَنْ لَيْسَ لِي بِهِ أَجْرُ الْعَلِيلِ وَأَنْتِي غَيْرُ مَاجُورٍ

رَأَى الْغُولُ فِي بَعْضِ سَفَرَاتِهِ فَفَزِعَ:

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمَهْلَبِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ قَالَ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُسْلِمٍ فِي مَسْجِدِ الرُّصَافَةِ قَالَ أَخْبَرَنِي مِرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ:

وَفَدْتُ فِي رَكْبٍ إِلَى الرَّشِيدِ فَصِرْنَا فِي أَرْضٍ مُوحِشَةٍ قَفَرٍ، وَجَرَّ عَلَيْنَا اللَّيْلُ فَسِرْنَا لِنَقْطِعَهَا، فَلَمْ نَشْعُرْ إِلَّا بِأَمْرَةٍ تَسُوقُ بِنَا إِلَيْنَا وَتَحْدُو فِي آثَارِنَا، فَإِذَا هِيَ الْغُولُ. فَلَمَّا لَاحَ الْفَجْرُ عَدَلْتُ عَنَّا وَأَخَذْتُ عُرْضًا^(١) وَجَعَلْتُ تَقُولُ:

يَا كَوَكَبَ الصَّبْحِ إِلَيْكَ عَنِّي فَلَسْتُ مِنْ صَبْحٍ وَلَيْسَ مِنِّي
قَالَ: فَمَا أَذْكَرَ أَنِّي فَرِغْتُ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ فَرَعِي لَيْلَتُنْذ.

عَارِضُهُ التَّغْلِبِيُّ فِي شَعْرِهِ فِي وَرَاثَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ:

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ مَهْرُوبِهِ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْكُوفِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ أَبِي مُرَّةٍ التَّغْلِبِيُّ قَالَ:

مَرَرْتُ بِجَعْفَرِ بْنِ عَفَّانَ الطَّائِيِّ يَوْمًا وَهُوَ عَلَى بَابِ مَنْزِلِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِي: مَرْحَبًا يَا أَخَا تَغْلِبٍ، إِنْ جَلَسْتُ فَجَلَسْتُ. فَقَالَ لِي: أَمَّا تَعَجَّبُ مِنْ أَبْنِ أَبِي حَفْصَةَ لَعَنَهُ اللَّهُ حَيْثُ يَقُولُ:

أَنْى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ لِبَنِي الْبَنَاتِ وَرِاثَةُ الْأَعْمَامِ
فَقُلْتُ بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَا تَعَجَّبُ مِنْهُ وَأَكْثَرُ اللَّعْنِ لَهُ، فَهَلْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ شَيْئاً؟ فَقَالَ: نَعَمْ قُلْتُ:

[٩٥/١٠] / لَمْ لَا يَكُونُ وَإِنَّ ذَاكَ لَكَائِنٌ لِبَنِي الْبَنَاتِ وَرِاثَةُ الْأَعْمَامِ
لِلْبَنَاتِ نَصْفٌ كَامِلٌ مِنْ مَالِهِ وَالْعَمُّ مَتْرُوكٌ بَغِيرِ سِهَامِ
مَا لِلطَّلِيقِ وَلِلثَّرَاتِ وَإِنَّمَا صَلَّى الطَّلِيقُ مَخَافَةَ الصُّمُصَامِ

لأزمه صالح بن عطية الأضجم أياماً ثم قتله:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سُلَيْمَانَ التَّوْفَلِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ
عطية الأضجم قال:

لما قال مروان:

أَنْى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ لِبَنِي الْبَنَاتِ وَرِاثَةُ الْأَعْمَامِ
لَزِمْتُهُ وَعَاهَدْتُ اللَّهَ أَنْ أَغْتَالَهُ فَأَقْتَلَهُ أَيَّ وَقْتٍ أَمَكَّنْتَنِي ذَلِكَ، وَمَا زِلْتُ الْأَظْفُفَ وَأَبْرُهُ وَأَكْتُبُ أَشْعَارَهُ، حَتَّى خُصِمْتُ
بِهِ، فَأَنْسَ بِي جَدًّا، وَعَرَفْتُ ذَلِكَ بَنُو حَفْصَةَ جَمِيعاً فَأَنْسَوْا بِي، وَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ لَهُ غِرَّةً حَتَّى مَرِضَ مِنْ حَمَى
أَصَابَتْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَظْهَرُ لَهُ الْجَزَعَ عَلَيْهِ وَالْأَزْمَةَ وَالْأَظْفُفَ، حَتَّى خَلَا لِي الْبَيْتُ يَوْمًا فَوَثَبْتُ عَلَيْهِ فَأَخَذْتُ بِحَلْقِهِ فَمَا
فَارَقْتُهُ حَتَّى مَاتَ، فَخَرَجْتُ وَتَرَكْتُهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ بَعْدَ سَاعَةٍ فَوَجَدُوهُ مَيِّتًا، وَأَرْتَفَعَتِ الصَّيْحَةُ فَحَضَرْتُ
وَتَبَاكَيْتُ وَأَظْهَرْتُ الْجَزَعَ عَلَيْهِ حَتَّى دُفِنَ، وَمَا فَطَنْ بِمَا فَعَلْتُ أَحَدٌ وَلَا أَتَهْمَنِي بِهِ.

نشأته ونسب أمه شكلة:

٤٩ / ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهدي وأمه شكلة^(١). ويكنى أبا إسحاق. وشكلة أمه مولدة، كان / أبوها
من أصحاب المازيار، يقال له شاه أفزند، فقتل مع المازيار وسبيته شكلة، فحملت إلى المنصور، فوهبها
لمُحَيَّةَ أُمٍّ وَلَدَهُ فَرَبَّتَهَا وَبَعَثَ بِهَا إِلَى الطَّائِفِ فَنَشَأَتْ هُنَاكَ وَتَفَصَّحَتْ؛ فَلَمَّا كَبُرَتْ رُدَّتْ إِلَيْهَا. فَرَأَاهَا الْمَهْدِيُّ
عِنْدَهَا فَأَعْجَبَتْهُ، فَطَلَبَهَا مِنْ مُحَيَّةَ فَأَعْطَتْهُ أَيْتَاهَا، فَوَلَدَتْ مِنْهُ إِبْرَاهِيمَ. وَكَانَ رَجُلًا عَاقِلًا فَهَمًّا دَيِّنًا^(٢) أَدِيبًا
شَاعِرًا رَاقِيًا لِلشَّعْرِ وَأَيَّامَ الْعَرَبِ خَطِيبًا فَصِيحًا حَسَنَ الْعَارِضَةِ.

مدحه إسحاق الموصلي:

وكان إسحاق الموصلي يقول: ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن العباس: رجلاً أفضل من إبراهيم بن
المهدي. ف قيل له: مع ما تبدل له من الغناء؟ فقال: وهل تمَّ فضلُه إلا بذلك! حَدَّثَنِي بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ
حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ.

كان ينسب ما يصنع لشاريه وريق جاريته:

وكان أشدَّ خلق الله إعظاماً للغناء، وأحرصهم عليه، وأشدَّهم منافسةً فيه. وكانت صنعتُه لينةً، فكان إذا صنع شيئاً

(١) ضبط في «القاموس» بالقلم بفتح أوله. وفي الطبري بفتح أوله وكسره.

(٢) هذه الكلمة ليس في ج.

كان ينازع إسحاق ويجادله وجرت بينهما مناظرات في الغناء:

ومما خالف إبراهيم بن المهدي ومن قال بقوله على إسحاق فيه: الثَّقِيلَانِ وخفيفهما؛ فإنه سَمَّى الثَّقِيلَ
الأول وخفيفه الثَّقِيلَ الثاني وخفيفه، وسَمَّى الثَّقِيلَ الثاني وخفيفه الثَّقِيلَ الأول وخفيفه؛ وجرت بينهما في ذلك
مناظرات ومجادلات ومراسلة ومكاتبة ومشافهة، وحضرهما الناس، فلم يكن فيهم مَنْ يَقِي بفصل/ ما بينهما
والحكم لأحدهما على صاحبه. ووضَعَ لذلك^(٣) مكاييل لتُعَرَفَ بها أقدارُ الطرائق، وأُتْسِكَ كُلُّ واحدٍ منهما إلى
آخر أقداره، فلم يصحَّ شيء يُعمل عليه، إلَّا أن قول إبراهيم بن المهدي أَضْمَحَلَّ وبَطَلَ وتُرِكَ، وعَمِلَ الناس على
مذهب إسحاق؛ لأنَّه كان أعلَمَ الرجلين وأشهرهما. وأوضح إسحاق أيضاً لذلك وجوهاً فقال: إِنَّ الثَّقِيلَ الأول
يجيء منه قَدْران، الثَّقِيلُ الأول التَّام، والقَدْرُ الأوسط من الثَّقِيلِ الأول، وجميعاً طريقتُه واحدة لا تساعه والتمكُّن
منه، والثَّقِيلُ الثاني لا يجيء هذا فيه ولا يقاربه. والثَّقِيلُ الأول يمكن الإدراج في ضَرْبِهِ لِثِقَلِهِ، والثَّقِيلُ الثاني لا
يُتَدْرَجُ لنقصه عن ذلك. ولهما في هذا كلام كثير ومخاطبات قد ذكرتها في أخبارهما، وشرحتُ العِلَلَ مبسوطةً
في كتابِ أَلْفَتِهِ في التَّعْمِ شرحاً ليس هذا موضعه ولا يصلحُ فيه. وأما التَّجْزِئَةُ والقِسْمَةُ فإنَّهما أَفْنِيَا أعمارهما في
تنازعهما فيهما، حتى كان يَمْضِي لهما الزَّمانُ الطَّوِيلُ لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما في قِسْمَةٍ وتجزئةٍ صوتٍ
واحدٍ فيه، وحتى كانا يخرجان إلى كُلِّ قَبِيحٍ، وحتى إنَّهما ماتا جميعاً وبينهما منازعة في هذا الصوت
/ وقسَّمَتِه:

حَيِّ يَا أُمَّ يَغَمِّسْ رَا قَبْلَ شَخْطٍ مِنَ الْوَى

لم يُفصل بينهما فيها إلى أن أفترقا. ولو ذهب إلى ذكر ذلك وشرح سائر أخبار إبراهيم بن المهدي وقصصه لما ولي الخلاف وغير ذلك من وصفه بفصاحة اللسان، وحسن البيان، وجودة الشعر، ورواية العلم، والمعرفة بالجدل، وجزالة الرأي، والتصرف في الفقه واللغة، وسائر الآداب الشريفة، والعلوم النفيسة، والأدوات الرفيعة، لأطلت. وإنما الغرض في هذا الكتاب الأغاني أو ما جرى مجراها، لا سيما لمن كثرت الروايات والحكايات عنه؛ فلذلك أقتصرت على ما ذكرته من أخباره دون ما يستحقه من التفضيل والتبجيل والثناء الجميل.

(۱) یماظ: ینازع.

(۲) فی: الأصول : «وقت».

(٣) لعله: ووضع كلاهما أو كل منهما أو نحو ذلك.

[٩٨/١٠] كلمة لإبراهيم بن المهدي عن نفسه في صنعة الغناء:

أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني علي بن محمد بن بكر عن جده حمّاد بن إسماعيل قال قال لي إبراهيم بن المهدي:

لولا أنّي أرفع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت فيها ما يعلم الناس معه أنهم لم يروا قبلي مثلي.

غنى الرشيد وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلي فأطرباه:

أخبرني عمي قال حدثنا عبدالله بن أبي سَعْد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال:

دخلت يوماً إلى الرشيد وفي رأسي فضلة خمار، وبين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصلي. فقال: بحياتي يا إبراهيم غثني. فأخذت العود ولم ألتفت إليهما لما في رأسي من الفضلة فغثيت:

أَسْرَى بِخَالِدَةَ^(١) الْخِيَالُ وَلَا أَرَى شَيْئاً أَلْذَّ مِنَ الْخِيَالِ الطَّارِقِ

فسمعت إبراهيم يقول لأبن جامع: لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطلب لَمَّا أكلنا خبزاً أبداً. فقال ابن جامع: صدقت. فلَمَّا فَرَعْتُ من غنائي وضعت العود ثم قلت: خُذَا في حقكما ودعَا باطلنا.

نسبة هذا الصوت

أَسْرَى بِخَالِدَةَ^(١) الْخِيَالُ وَلَا أَرَى شَيْئاً أَلْذَّ مِنَ الْخِيَالِ الطَّارِقِ

إِنَّ الْبَلِيَّةَ مَنْ تَمَلُّ^(٢) حَدِيثُهُ فَأَنْقَعُ فَوَازِكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ

أَفْوَاكِ فَوْقَ هَوَى النُّفُوسِ وَلَمْ يَزَلْ مُذْ بَنَيْتَ قَلْبِي كَالْجَنَاحِ الْخَافِقِ

/ طَرِبَا إِلَيْكَ وَلَمْ تُبَالِي حَاجَتِي لَيْسَ الْمُكَاذِبُ كَالْخَلِيلِ الصَّادِقِ^(٣)

[٩٩/١٠]

الشعر لجريز. والغناء لابن عائشة رَمَلٌ بِالْوَسْطَى عن عمرو.

غنى الرشيد وعنده سليمان بن أبي جعفر وجعفر بن يحيى:

أخبرني جَحْظَةُ قال أخبرني هبة الله بن إبراهيم المهدي قال حدثني أبي، وحدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني هبة الله - ولم يذكر عن أبيه - قال:

كان الرشيد يحب أن يسمع أبي. وقال جَحْظَةُ عن هبة الله عن إبراهيم قال: كان الرشيد يحب أن يسمعني، فخلا بي مَرَاتٍ إِلَى أَنْ سَمِعَنِي. ثُمَّ حَضَرَتْهُ مَرَّةً وعنده سليمان بن أبي جعفر؛ فقال لي: عَمَّكَ وَسَيِّدُ وَلَدٍ

(١) رواية «الديوان»: «أسرى لخالدة إلخ».

(٢) في «ديوان جريز»: «يمل» بالبناء المجهول.

(٣) في الأصول:

المنصور بعد أبيك وقد أحب أن يسمعك؛ فلم يتركني حتى غثيت بين يديه:

إذ أنتِ فينا لمن ينهاك عاصيةً وإذا أجبرُ إليكم سادراً رَسَنِي

/ فأمر لي بألف ألف درهم، ثم قال لي ليلة ولم يبق في المجلس إلا جعفر بن يحيى: أنا أحب أن تشرف ^{٥١}/_٩ جعفرأ بأن تغنيه صوتاً. فغنيته لحناً صنعته في شعر الدارمي:

كأن صورتها في الوصف إذ وصفت دينار عَيْن من المصريّة العُثْقِي

نسبة هذين الصوتين، منهما ^(١)

صوت

سَقِيّاً لِرَبْعِكَ من رُبْعٍ بذي سَلَمٍ وللزمان به إذ ذاك من زَمَنٍ

إذ أنتِ فينا لمن ينهاك عاصيةً وإذا أجبرُ إليكم سادراً رَسَنِي

الشعر للأحوص. والغناء لابن سُرَيْج ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى عن عمرو.

/ أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني أحمد بن زُهَيْر عن مُصْعَب قال: أنشد مُنْشِدٌ وأبْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ عندنا [١٠/١٠٠] قول الأحوص:

إذ أنتِ فينا لمن ينهاك عاصيةً وإذا أجبرُ إليكم سادراً رَسَنِي

فوثب قائماً وألقى طَرْفَ رِداءه وجعل يخطو إلى طَرْفِ المجلس ويَجْرُهُ. ثم فعل ذلك حتى عاد إلينا. فقلنا له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: إني سمعتُ هذا الشعرَ مَرَّةً فاطربني، فجعلت على نفسي ألا أسمعه أبداً إلا جررتُ رَسَنِي.

والآخر من الصوتين:

صوت

كأن صورتها في الوصف إذ وصفت دينار عَيْن من المصريّة العُثْقِي

أو دُرَّةٌ أعيست الغواص في صَدَفٍ أو ذَهَبٌ صاغه الصَّوَاعُغُ في وَرَقٍ

الشعرُ للدَّارِمِيّ. والغناء لمرزوق الصَّوَّاف رَمَلٌ بالبنصر عن ابن المكي. وذكر عمرو أن هذا اللَّحْنَ للدَّارِمِيّ أيضاً. وذكر الهشامي أنه لابن سُرَيْج. وفي هذا الخبر أنه لإبراهيم بن المهدي. وفيه خفيفٌ رَمَلٍ يقال إنه لَحْنُ مرزوق الصَّوَّاف، ويقال إنه لمتيم ثاني ثَقِيلٍ عن الهشامي وأبْنِ المعتز.

غنى صوتاً على أربع طبقات:

أخبرني يحيى بن المنجّم قال ذكر لي عبدالله بن طاهر عن إسحاق بن عمر بن بَرِيح قال:

كنتُ أضرب على إبراهيم بن المهدي صوتاً ^(٢) ذكره فغناه على أربع طبقات. على الطبقة التي كان العود

(١) لعله: «الأول منهما إلخ».

(٢) كذا في أ، م وفي سائر الأصول: «ضرباً».

عليها، وعلى ضِعْفِهَا، وعلى إِسْجَاحِهَا، وعلى إِسْجَاحِ الإِسْجَاحِ. قال أبو أحمد قال عبيد الله: وهذا شيء ما حُكِيَ لَنَا عَنْ أَحَدٍ غَيْرِ إِبْرَاهِيمَ، / وقد تَعَاطَاهُ بَعْضُ الْحُدَّاقِ بِهَذَا الشَّانِ، فوجدته صَعْباً مَتَعَدِّراً لَا يُبْلَغُ إِلَّا بِالصَّوْتِ الْقَوِيِّ وَأَشَدُّ مَا فِي إِسْجَاحِ الإِسْجَاحِ؛ لِأَنَّ الضَّعْفَ لَا يُبْلَغُ إِلَّا بِصَوْتٍ قَوِيٍّ مَائِلٍ إِلَى الدَّقَّةِ، وَلَا يَكَادُ مَا اتَّسَعَ مَخْرَجُهُ يَبْلُغُ ذَلِكَ. فَإِذَا دَقَّ حَتَّى يَبْلُغَ الْإِضْعَافَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الإِسْجَاحِ فَضْلاً عَنْ إِسْجَاحِ الإِسْجَاحِ. فَإِذَا غَلُظَ حَتَّى يَتِمَّكَنَ مِنْ هَذَيْنِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الضَّعْفِ.

غنى صوتاً لمعبد:

أخبرني عمِّي قال حَدَّثَنِي أَبُو سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى الْهَادِي قَالَ:

دعاني إبراهيم بن المهدي يوماً فصرت / إليه، وغنى صوتاً لمعبد:

٥٢
٩

أَفِي الْحَقِّ هَذَا أَنَّنِي بِكَ مُوَلَّعٌ وَأَنْ فَوَادِي نَحْوِكَ الذَّهْرَ نَازِعٌ

فقال لي: لمن هذا الغناء؟ فقلت: يا سيدي يقولون إنه لمعبد، ولا غنى والله معبد كذا قط، ولا سمعتُ أحداً يقول كذا، لا والله ما في الدنيا كذا. قال: فضحك ثم قال: والله يا بُنَيَّ ما قمتُ بنصف ما كان يقوم به معبد.

نسبة هذا الصوت

أما اللَّحْنُ فَمِنْ الثَّقِيلِ الثَّانِي، وقد ذكر في هذا الخبر أنه لمعبد، وما وجدته في شيء من الكتب له. وذكر الهشامي أنه لأبن المكي.

عاب مخارقاً عند المأمون:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار قال حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ نُعَيْمٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي عِيسَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُحْطُبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ بُشَيْرٍ قَالَ:

لَمَّا قَدِمَ الْمَأْمُونُ مِنْ خُرَاسَانَ لَمْ يَظْهَرْ لِمَنْزِلِهِ بِالْمَدِينَةِ مَدِينَةُ السَّلَامِ غَيْرِي، فَكُنْتُ أَنَادِمُهُ سِرّاً، وَلَمْ يَظْهَرْ لِلنَّدَمَاءِ أَرْبَعٌ سَنِينَ، حَتَّى ظَفِرَ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ. / فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِ وَعَفَا عَنْهُ ظَهَرَ لِلنَّدَمَاءِ ثُمَّ جَمَعْنَا؛ وَوَجَّهَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَحَضَرَ فِي ثِيَابٍ مُبْتَذَلَةٍ. لَمَّا رَأَاهُ الْمَأْمُونُ قَالَ: أَلْقَى عَمِّي رِداءَ الْكِبَرِ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِخَلْعٍ فَآخِرَةٌ وَقَالَ: يَا فَتْحُ^(١) غَدَّ عَمِّي؛ فَتَغَدَّى إِبْرَاهِيمَ بِحَيْثُ يَرَاهُ الْمَأْمُونُ ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَيْنَا، وَكَانَ مُخَارِقٌ حَاضِراً، فَغَنَى مُخَارِقُ:

هَذَا وَرُبَّ مُسَوِّفِينَ^(٢) صَبَحْتُهُمْ مِنْ خَمْرٍ بَابِلَ لَذَّةً لِلشَّارِبِ

فقال له إبراهيم: أسأت فأعذ؛ فأعاده، فقال: قاربْت ولم تُصِب. فقال له المأمون: إن كان أساء فأخس أنت. فغناه إبراهيم ثم قال لمخارق: أعذه فأعاده، فقال: أحسنت. فقال للمأمون: كم بين الأمرين؟ فقال:

(١) هو فتح خادم المأمون. انظر الطبري (ق ٣ ص ١٠٤١).

(٢) المسوفون: الصبر؛ يقال: إن فلاناً لمسوف (بالبناء للفاعل) إذا كان صبوراً. (راجع «لسان العرب» في مادة سوف).

كثير. فقال لمخارق: إنما مثلك كمثل الثوب الفاخر إذا غفل عنه أهله وقع عليه الغبار فأحال لونه، فإذا نُفِض عاد إلى جوهره. ثم غنى إبراهيم:

يا صاح يا ذا الضامر العنس والرخل ذي الأفتاد والجلس^(١)
أما الثَّهَّارُ فما نُقِصَّره رُتُكَا^(٢) يزيدك كلما تُفسي

ضنَّ على مخارق بصوت:

قال: وكانت لي جائزة قد خرجت، فقلت: يا أمير المؤمنين، تأمر سيدي بالقاء هذا الصوت عليّ مكان جائزتي فهو أحبُّ إليّ منها. فقال: يا عمّ ألقِ هذا الصوت على مخارق، فألقاه عليّ، حتى إذا كدت أن أخذه قال: أذهب فانت أحذق الناس به. فقلت: إنه لم يصلح لي بعد. قال: فأغدُ عليّ. فغدوت عليه فغنائه متلويًا؛ فقلت: أيها الأمير، لك في الخلافة ما ليس لأحد، أنت أبن الخليفة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة، / تجود [١٠٣/١٠] بالرغائب وتبخل عليّ بصوت! فقال: ما أحملك! إن المأمون لم يستبقني محبةً فيّ ولا صلةً لرحمي ولا رياءً للمعروف عندي، ولكنه سمع من هذا الجرم^(٣) ما لم يسمع من غيره. قال: فأعلمتُ المأمونَ مقالته؛ فقال: إنا لا نكدر على أبي إسحاق عفوًا عنه، فدغّه. فلما كانت أيام المعتصم نشط للصُّبح يوماً فقال: أحضروا عتي. فجاء في دُرّاعة من غير طيلسان. فأعلمتُ المعتصم خبر الصوت سرًّا. فقال: يا عمّ غني:

* يا صاح يا ذا الضامر العنس *

فغنائه؛ فقال: ألقه على مخارق. فقال: قد فعلتُ، وقد سبق مني / قولُ الأُعيده عليه. ثم كان يتجَبَّ أن ^{٥٣}/_٩ يغنيّه حيث أحضره.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

هذا ورُبُّ مُسَوِّفٍ صَبَحَتْهُمْ مَسْنُ خمر بابلَ لَذَّةً للشاربِ
بَكروا عليّ بِسُخْرَةٍ فصَبَحَتْهُمْ بِإِناءِ ذي كَرَمٍ كَقَعْبِ الحالبِ
بِزُجاجةٍ ملءِ اليدين كأنها قَنَدِيلُ فِصْحٍ^(٤) في كنيسة راهبِ

الشعرُ لعديّ بن زيد. والغناء لحُثَيْنٍ خفيفٌ ثَقِيلٌ أوَّلُ بالسبابة في مجرى البُصر عن إسحاق.

صوت

يا صاح يا ذا الضامر العنس والرخل ذي الأفتاد والجلس

(١) يقال جمل ضامر، وناقصة ضامر (بغير هاء) وضامرة. والعنس: الناقة الصلبة القوية. والجلس: كل شيء ولي ظهر البعير والدابة تحت الرجل والقتب والسرّج.

(٢) الرتك: سير للإبل سريع.

(٣) الجرم هنا: الحلق أو الصوت.

(٤) الفصح (بالكسر): عيد للنصارى.

أَمَّا التَّهَارُ فَمَا تَقْصُّرُهُ رُكَّأَيَزِيدُكَ كُلَّمَا تُمْسِي
الشعرُ لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد.

[١٠٤/١٠] / طلبت إليه أخته أسماء سماع غنائه:

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن أبيير مولاة منصور بن المهدي عن ذؤابة مولاته أيضاً قالت قالت لي أسماء بنت المهدي:

قلت لأخي إبراهيم: يا أخي أشتي والله أن أسمع من غنائك شيئاً. فقال: إذا والله يا أختي لا تسمعين مثله، عليّ وعليّ، وغلظ في اليمين، إن لم يكن إبليس ظهر لي وعلمني الثَّقرَ والثَّغَمَ وصافحني وقال لي: اذهب فأنت مني وأنا منك.

غضب عليه الأمين ثم رضي عنه:

أخبرني عمي قال حدثني عبدالله بن أبي سعد قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال: غضب عليّ محمد الأمين في بعض هناته، فسلمني إلى كوثر^(١)، فحبسني في سرداب وأغلقه عليّ فمكثت فيه ليلتي. فلما أصبحت إذا أنا بشيخ قد خرج عليّ من زاوية السرداب، ودفع إليّ وسطاً^(٢) وقال: كُلْ فأكلتُ، ثم أخرج فتينة شراب فقال: أشرب فشربت، ثم قال لي: غنّ:

لِي مُدَّةٌ لَا بُدَّ أَبْلُغُهَا مَعْلُومَةٌ فَإِذَا أَنْقَضْتُ مُبْتُ

لَوْ سَاوَرْتَنِي الْأَسَدُ ضَارِبَةً لَغَلَبْتُهَا مَا لَمْ يَجِ الْوَقْتُ

فغنيته. وسمعتني كوثر فصار إلى محمد وقال: قد جُرَّ عُمُكَ وهو جالس يغني بكيت وكيت. فأمر بإحضاري فأحضرتُ وأخبرته بالقصة، فأمر لي بسبعمئة ألف درهم ورضي عني.

طارح أخته عليّة فأطربا المأمون وأحمد بن الرشيد:

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال سمعت ينشؤ يحدث عن أبي أحمد بن الرشيد قال:

كنت يوماً بحضرة المأمون وهو يشرب، فدعا بياسر وأدخله فساوّه^(٣) بشيء ومضى وعاد. فقام المأمون وقال لي: قم، فدخل دار الحرّم ودخلتُ معه، فسمعت غناءً / أذهل عقلي ولم أقدر أن أتقدّم ولا أتاخر. وفطن المأمون لما بي فضحك ثم قال: هذه عمّتك عُليّة تطارح عمك إبراهيم:

* مَا لِي أَرَى الْأَبْصَارَ بِي جَافِيَةً *

نسبة هبة الصوت

مَا لِي أَرَى الْأَبْصَارَ بِي جَافِيَةً لَمْ تَلْتَقِ مَنِّي إِلَى نَاحِيَةٍ

(١) هو كوثر خادِم محمد الأمين. (انظر فقرأ عليه في الطبري ق ٣ ص ٨٩٩، ٩٢٨، ٩٣٩، ٩٥٦، ٩٦٥).

(٢) كذا في الأصول وظاهر أنه يريد نوعاً من الطعام.

(٣) في الأصول: «فسره».

٥٤ / لا ينظر الناس إلى المُبتلى
وقد جفاني ظالم أسدي
وإنما الناس مع العافية
فأدُمعي مُنهَلَّة هامية^(١)
صَحِيبي سَلُوا رَبُّكُمْ العافية
فقد دهنتي بعدكم داهية
الشعر والغناء لعلية بنت المهدي خفيف رمل. وأخبرني ذكاء وجه الرُزّة أن لعريب فيه خفيف رمل آخر
مزموراً، وأن لحن علية مُطلق.

كتب إليه إسحاق بجنس صوت فغناه من غير أن يسمعه:

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي عن إبراهيم عن علي بن هشام أن إسحاق كتب إلى
إبراهيم بن المهدي بجنس صوت صنعه وإصبعه ومجره وإجراه لحنه؛ فغناه إبراهيم من غير أن يسمعه فأدى ما
صنعه. والصوت:

حَيَّيَا أَمْ يَغْمَرَا قبل شُحْطِ مِنَ التَّوَى
قلت لا تُعْجِلُوا الرُّوَا حَ فَقَالُوا أَلَا بَلَى
أجمع الحَيُّ رِحْلَةً ففَوَادِي كِلْذِي الْأَسَى

نسبة هذا الصوت

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سُرَيْج، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلق في مجرى
الوسطى. وذكر عمرو بن بانة أنه لمالك. وفيه للهُذَلِيّ خفيف ثقيل أول بالبصر عن ابن المكي، وزعم الهشامي أنه
لحن مالك. وفيه/ لَحْنَانٍ من الثقيل الثاني أحدهما لإسحاق وهو الذي كتب به إسحاق إلى إبراهيم بن المهدي. [١٠٦/١٠]
والآخر زعم الهشامي أنه لإبراهيم، وزعم عبدالله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام أنه لابن مُخْرِز.
أخبرني عمي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الجُحَّان: أن إسحاق بن إبراهيم لما صنع صوته:

* قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا *

اتصل خبره بإبراهيم بن المهدي فكتب يسأله عنه؛ فكتب إليه شعره وإيقاعه وبسيطه ومجره وإصبعه
وتجزئته وأقسامه ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير أدواره وأوزانه، فغناه. قال: ثم لَقِينِي فغَنَانِي، ففَضَّلَنِي
فيه بحسن صوته.

نسبة هذا الصوت

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا ونَسَأَى عَنْكَ جَانِبَا
قد بلغَت الْكَذِي أَرْد تَ وَإِنْ كُنْتَ لَا عِبَا

الشعر والغناء في هذا اللحن لإسحاق، ثاني ثقيل بالبصر في مجراها. وفيه لغيره ألحان.

سمعه أحمد بن أبي داود فذهل عن نفسه ورجع عن إنكاره الغناء:

أخبرني ابن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثني إسحاق بن محمد عن أبيه قال:

سمعت أحمد بن أبي داود يقول: كنتُ أعيبُ الغناء وأطعنُ على أهله، فخرج المعتصم يوماً إلى السُّمَّاسِيَّةِ في حَرَّاقَةٍ يشرب، ووجهه في طلبي فصرت إليه؛ فلما قُرْبْتُ منه سمعت غناءً حَبْرَنِي وشَغَلَنِي عن كلِّ شيء، فسقط سَوْطِي من يدي؛ فالتفتُ إلى زنقة غلامي أطلب منه سوطه، فقال لي: قد والله سقط سوطي. فقلت له: فأَيُّ شيء كان سبب سقوطه؟ قال: صوت سمعته شَغَلَنِي عن كلِّ شيء فسقط سوطي من يدي؛ فإذا قَصَصْتَه قِصَّتِي. قال: وكنت أنكر / أمرَ الطَّرَبِ على / الغناء وما يَشْتَفِرُ النَّاسُ منه ويغلب على عقولهم، وأناظر المعتصم فيه. فلما دخلتُ عليه يومئذٍ أخبرته بالخبر؛ فضحك وقال: هذا عمِّي كان يغنيني: [١٠٧/١٠]

إِنَّ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ نَشَرَ الْمَجْدَ بَعْدَ مَا كَانَ مَاتَا

فإن تَبْتُ مِمَّا كُنْتَ تَنَاطَرْنَا عَلَيْهِ فِي ذِمِّ الْغِنَاءِ سَأَلْتُهُ أَنْ يُعِيدَهُ. ففعلتُ وفعل، وبلغ بي الطَّرَبُ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَلَعَّنِي عَنْ غَيْرِي فَأُنْكَرُهُ؛ ورجعت عن رأيي منذ ذلك اليوم. وقد أخبرني بهذا الخبر أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجّم عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فذكر هذه القصة أو قريباً منها لزيادة اللفظ ونقصانه، وذكر أن الصوت الذي غناه إبراهيم:

طَرَفْتُكَ زَائِرَةً فَحَيَّ خِيَالَهَا بِيضَاءُ تَخْلِطُ بِالْحَيَاءِ دَلَالَهَا
هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجْوَاهَا بِأَكْفُكُمْ أَوْ تَسْتُورُونَ هَلَالَهَا

اتخذ لنفسه حَرَّاقَةً بِحِذَاءِ دَارِهِ:

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثني الحسن بن عُثَيْلٍ قال:

سمعتُ هبةَ الله بن إبراهيم بن المهدي يقول: اتَّخَذَ أَبِي حَرَّاقَةً فَأَمَرَ بِشَدِّهَا فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ بِحِذَاءِ دَارِهِ، فمضيت إليها ليله فكان أبي يُخَاطِبُنَا مِنْ دَارِهِ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فنسمعه وَبَيْنَنَا عَرَضٌ دِجْلَةٌ وَمَا أَجْهَدَ نَفْسَهُ.

ثناء ابن أبي ظبية عليه:

أخبرني عمي قال سمعت عبد الله بن مُسْلِمٍ بن قُتَيْبَةَ يقول حدّثني ابن أبي ظبية قال: كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتنحى فأطرب.

غنى وعنده حدة من المغنين وغنى بعده مخارق فأعاد هو فأطرب:

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني القَطْرَانِي الْمُغَنِّي عن محمد بن جبر عن عبد الله بن العباس الرِّبَيعِي قال:

/ كُنَّا عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ دَعَا كُلَّ مُطَرِّبٍ مُحْسِنٍ مِنَ الْمَغَنِّينَ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ جَالِسٌ يُلَاعِبُ أَحَدَهُمَ بِالشُّطْرَنْجِ. فترنم^(١) بصوت فريدة:

(١) كذا في جـ. وفي أ: «فترنم بعضهم». وفي سائر الأصول: «فترنم أحدهم» وكلاهما تحريف. وفي «نهاية الأرب» (ج ٤ ص ٢٢٨.

طبع دار الكتب المصرية): «فترنم إبراهيم».

قال لي أحمدٌ ولم يَذِرْ ما بي أَتَجَبَّ الغداةَ عُثْبَةً حَقًّا

وهو مُتَكَيِّء. فلما فرغ منه ترنم به مُخارق فأحسنَ فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم، فأعاده إبراهيم وزاد في صوته فعَقَى على غناء مُخارق. فلما فرغ رده مُخارق وغنى فيه بصوته كله وتحفظ فيه، فكِدنا نطير سروراً. وأستوى إبراهيم جالساً وكان متكئاً فغناه بصوته كله ووقاه نغمه وشذوره، ونظرتُ إلى كتفيه تهتزّان وبدنه أجمع يتحرك حتى فرغ منه، ومُخارق شاخصٌ نحوه يُرْعِد وقد أنتفع لونه وأصابه تَخَلُّج؛ فحِيلَ لي والله أن الإيوان يسير بنا. فلما فرغ منه تقدّم إليه مُخارق فقبل يده وقال: جعلني الله فداك أين أنا منك! ثم لم ينتفع مُخارق بنفسه بقيّة يومه في غناؤه، والله لكأنما كان يتحدث.

نسبة لهذا الصوت

قال لي أحمدٌ ولم يَذِرْ ما بي أَتَجَبَّ الغداةَ عُثْبَةً حَقًّا

فتنفّستُ ثم قلت نعم حبّ

ما لدمعي عَدِمْتُهُ ليس يَرْقَا^(١) إنما يَسْتَهْلُ غَسَقاً فَغَسَقَا^(٢)

طَرَباً نحوَ ظِيّةٍ تركتُ قلبِي من الوجد قَرْحَةً ما تَفَقَا^(٣)

/ الشعر لأبي العتاهية. والغناء لفريدة خفيف رمل بالوسطى. وفيه لإبراهيم بن المهديّ خفيف رَمَلٍ آخر. [١٠٩/١٠] ٥٦

ولفريدة أيضاً لحنٌ من الثقبيل الثاني في أبيات من هذه القصيدة وهي:

قد لَعَنَرِي مَلَّ الطيّبُ ومَلَّ الـ

أهل مني مما أداوى وأزقى

ليتني مُت فاسترحتُ فلاني

أبدأ ما حييتُ منها مُلَقَى^(٤)

غنى الأمين فأطربه:

أخبرني عمي قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني هبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني عمي منصور بن المهديّ:

أنه كان عند أبي في يوم كانت عليه فيه نوبةٌ لمحمد الأمين، فتشاغل أبي بالشرب في بيته ولم يَمْنُصْ، وأرسل إليه عدّةٌ رُسل فتأخّر. قال منصور: فلما كان من غَدٍ قال: ينبغي أن تَعْمَلَ على الرّواح إليّ لنمضي إلى أمير المؤمنين فنترضاه؛ فما أشك في غضبه عليّ. ففعلتُ وَمَضَيْنا. فسألنا عن خبره فأعلمنا أنه مشرف على خَيْرٍ^(٥) الوحش وهو مخمور، وكان من عادته ألا يشرب إذا لحقه الخمار. فدخلنا؛ وكان طريقنا على حجرة تُصنع فيها الملاهي. فقال لي أخي: أذهب فاخترْ منها عوداً ترضاه، وأصلحْه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج إلى

(١) يرقا: يجف ويقطع، وأصله الهمز.

(٢) الغسق: الانصباب؛ يقال: غسقت العين تغسق (من باب ضرب) غسقا وغسقانا إذا دمعت.

(٣) تفقا: تغلق وتنشق، وأصله الهمز.

(٤) الملقى: الممتحن الذي لا يزال يلقاه مكروه إثر مكروه.

(٥) الحير: الحظيرة والبستان.

تغييره البتة عند الضرب؛ ففعلت وجعلته في كمي. ودخلنا على الأمين وظهره إلينا. فلما بصرنا به من بعيد قال: أخرج عودك فأخرجته، وأندفع يغني:

وكأس شربست علسي لذة / وشاهدنا الجسل^(١) والياسم
لكي يعلم الناس أنني أمرؤ / وبزبطنا^(٢) دائم مغمل
وأخرى تدأويت منها بها / وأي الثلاثة أزرى بها

[١١٠/١٠]

فأستوى الأمين جالسا وطرب طرباً شديداً وقال: أحسنت والله يا عم وأحييت لي طرباً، ودعا برطل فشربه على الرقيق وأمتد في شربه. قال منصور: وغنى إبراهيم يومئذ على أشد طبقة يتناهى إليها في العود، وما سمعت مثل غنائه يومئذ قط. ولقد رأيت منه شيئاً عجيباً لو حدثت به ما صدقت، كان إذا ابتداء يغني أصغت الوحش إليه ومدت أعناقها، ولم تزل تدنو منا حتى تكاد أن تضع رؤوسها على الدكان الذي كنا عليه، فإذا سكنت نقرت وبعدت منا حتى تنتهي إلى أبعد غاية يمكنها التباعد فيها عنا، وجعل الأمين يعجب من ذلك، وأنصرفنا من الجوائز بما لم ننصرف بمثله قط.

كتب له إسحاق بصوت صنعه فغناه وأجاده:

أخبرني عمي والصولي قالاً حدثنا الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجمان أن إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بصوت صنعه في شعر له وهو:

قل لمن صدعائبا / ونأي عنك جائبا
قد بلغت الذي أردت / وإن كنت لأعيبا

ويبين له شعره وإيقاعه ويساطه ومجره وإصبعه وتجزئته وقسمته ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير أوزانه، فغناه إبراهيم، ثم لقيه بعد ذلك فغناه إياه فما خرم منه شذرة ولا نغمة. قال: وفاقني فيه بحسن صوته.

نسبة هذا الصوت

/ قل لمن صدعائبا / ونأي عنك جائبا
قد بلغت الذي أردت / وإن كنت لأعيبا
/ وأعترفنا بما أذعيت / وإن كنت كاذبا
فأفعل الآن ما أردت / فقد جئت تائباً

٥٧/٩

[١١١/١٠]

يقال: إن الشعر لإسحاق، ولم أجذه في مجموع شعره. ووجدت فيه لحناً لحكم الوادي في ديوان أغانيه ولحنه من الماخوري، وهو خفيف من خفيف^(٣) الثقيل الثاني بالبصر. وكذلك ذكرت دنانير أنه لحكم الوادي؛

(١) أنظر شرح هذا البيت مفصلاً في «الأغاني» ج ٦ ص ٢٩٩ من هذه الطبعة.

(٢) البربط: العود، فارسي معرب. وفي أوم: «وإبريقنا دائماً معمل».

(٣) في أوم: «وهو خفيف من الثقيل الثاني... إلخ».

ويُشبه أن يكون الشعرُ لغيره. ولحن إسحاق الذي كتب به إلى إبراهيم بن المهدي ثاني ثقیل بالنصر في مجراها. وفيه ثقیلٌ أول مطلق في مجرى النصر لم يقع إليّ نسبته إلى صانعه، وأظنه لحن حَكَم.

غنى أبا دلف المجلي وأهداه جارية:

أخبرني عمي قال حدثنا أبو عبدالله المَرْزَبَان قال حدثني إبراهيم بن أبي دُلف العجلي قال:

كنا مع المعتصم بالقَاطُول^(١)، وكان إبراهيم بن المهدي في حَرَاقته بالجانب الغربي وأبي وإسحاق الموصلي في حَرَاقتهما في الجانب الشرقي، فدعاهما يوم جمعة فعبرا إليه في زلال^(٢) وأنا معهما وأنا صغير وعليّ آفِيَّةٌ وَمِنْطَقَةٌ. فلما دنونا من حَرَاقَةِ إبراهيم نهض ونهضنا ونهضت بنهوضه صَبِيَّةٌ له يقال لها غَضَّةٌ، وإذا في يديه كأسان وفي يديها كأس. فلما صَعَدْنَا إليه أُنْذِفَ فغَنَى:

حَيَّا كَمَا اللَّهُ خَلِيلِيَا إِنْ مَيَّأَ كُنْتُ وَإِنْ حَيَّا
إِنْ قَلْتُمَا خَيْرًا فَاهْلُ لَهُ أَوْ قَلْتُمَا غَيًّا فَلَا غَيَّا

ثم ناول كلًّا منهما كأساً وأخذ هو الكأس التي كانت في يد الجارية وقال: أشربا على ريقكما، ثم دعا بالطعام فأكلوا وشربوا، ثم أخذوا العيدانَ فغَنَاهُمَا سَاعَةً / وَغَنِيَاهُ؛ وضرب وضربا معه، وغَنَتِ الجارية بعدهم. [١١٢/١٠] فقال لها أبي: أحسنتِ مراراً. فقال له: إن كنت أحسنت فخذها إليك، فما أخرجتها إلّا إليك.

سمع من مخارق لحناً فأطراه:

أخبرني عمي قال حدثنا علي بن محمد بن نصر قال حدثني أبو العُبَيْس بن حمدون قال: لما صنع مخارق في شعر العتّابي.

أَخْضَنِي الْمُقَامَ الْغَمْرَ إِنْ كَانَ غَرْنِي سَنَا خُلْبٍ أَوْ زَلَّاتِ الْقَسْدَمَانِ

غَنَاهُ إبراهيم بن المهدي؛ فقال له: أحسنت وحياتي ما شئت! فسجد مُخَارِقُ سروراً بقول إبراهيم ذلك له.

غنى عمرو بن بانة لحناً وحديثه حديثه:

أخبرني عمي قال حدثني عبدالله بن أبي سعد قال حدثني القِطْرَانِي عن عمرو بن بانة قال: غنى إبراهيم بن المهدي يوماً:

أَدَارًا بِخَزَوَى هَجَّتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةٌ فَمَاءُ الْهَوَى يَرْقُضُ أَوْ يَتَرَقَّرُ

فأستحسنته وسألته إعادته عليّ حتى آخَذَهُ عنه ففعل. ثم قال لي: إن حديث هذا الصوت أحسن منه. قلت: وما حديثه أعزك الله؟ قال: غَنَانِيهِ أَبْنُ جَامِعٍ وَالصَّنْعَةُ فِيهِ لَهُ، فلما أَخَذْتُهُ عنه غَنِيَتِهِ إِيَّاهُ لِيَسْمَعَهُ مِنِّي، فأستحسنه جداً وقال: كَانِي وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُهُ قَطُّ إِلَّا مِنْكَ ثُمَّ كَانَ صَوْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى نَسْبَةِ هَذَا الصَّوْتِ.

(١) القاطول: اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، وهو نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمر، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصراً سماه أبا الجند.

(٢) ظاهر أنه نوع من السفن ولم نقف عليه.

قصته مع ابن بسخر وجاريته شارية ومخارق وعلوية:

٥٨٩ / أخبرني علي بن إبراهيم الكاتب قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة قال حدثني محمد بن الحارث بن بسخر قال:

وجه إلي إبراهيم بن المهدي يوماً يدعوني، وذلك في أول خلافة المعتصم، فصرث إليهِ وهو جالس وحده وشارية جاريته خلف الستارة، فقال: إني قلت شعراً وغنيت فيه وطرحته على شارية فأخذته وزعمت أنها أحذق به مني، وأنا أقول / إني أحذق به منها، وقد تراضينا بك حكماً بيننا لموضعك من هذه الصناعة، فأسمعه مني ومنها وأحكم ولا تعجل حتى تسمعه ثلاث مرات. فقلت نعم. فاندفع يغني بهذا الصوت:

أَصْنُ بَلَيْلَى وَهِيَ غَيْرُ سَخِيَّةٍ وَتَبَخَّلَ لَيْلَى بِالْهَوَى وَأَجُودُ

فأحسن وأجاد. ثم قال لها: تغني، فغنته فبرزت فيه حتى كأنه كان معها في أبيجاد، ونظر إليّ فعرف أنني قد عرفت فضلها عليه، فقال: على رسلك! وتحدثنا ساعة وشرينا. ثم اندفع فغناه ثانية فأضعف في الإحسان، ثم قال لها: تغني، فغنت فبرت وزادت أضعاف زيادته، وكذت أشق ثيابي طرباً. فقال لي: تثبت ولا تعجل. ثم غناه ثالثة فلم يبق غاية في الإحكام، ثم أمرها فغنت، فكانه إنما كان يلعب. ثم قال لي: قل، فقصيت لها؛ فقال: أصبت، فكم تُساوي عندك؟ فحملني الحسدُ له عليها والنقاسةُ بمثلها أن قلت: تُساوي مائة ألف درهم. فقال: أو ما تُساوي على هذا الإحسان وهذا التفضيل إلا مائة ألف! قبح الله رأيك! والله ما أجِد شيئاً أبلغ في عقوبتك من أن أضربك، قم فأنصرف إلى منزلك مذموماً. فقلت له: ما لقولك أخرج من منزلي جواب، وقمت وأنصرفت، وقد أحفظني كلامه وأزمضني^(١). فلما خطوت خطوات التفث إليهِ فقلت له: يا إبراهيم! أتطردني من منزلك! فوالله ما تحسن أنت ولا جاريك شيئاً. وضرب الدهر ضرباته، ثم دعانا المعتصم بعد ذلك وهو بالوزيرية في قصر التل^(٢)، فدخلت أنا ومخارق وعلوية، وإذا أمير المؤمنين مضطجع وبين يديه ثلاث جامات: جام قضة مملوءة دنانير جُددًا، وجام ذهب مملوءة دراهم جُددًا، وجام قوارير مملوءة عنبراً، فظننا أنها لنا بل لم نشك في ذلك، فغنيناه وأجهدنا / أنفسنا، فلم يطرب ولم يتحرك لشيء من غنائنا. ودخل الحاجب فقال: إبراهيم بن المهدي. فأذن له فدخل، فغناه أصواتاً أحسنَ فيها، ثم غناه بصوت من صناعته وهو:

ما بال شمس أبي الخطاب قد غربت يا صاحبي أظن الساعة أقرب

فأستحسنه المعتصم وطرب له، وقال: أحسنت والله! فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين فإن كنتُ أحسنتُ فهَب لي إحدى هذه الجامات؛ فقال: خذ أيتهما شئت، فأخذ التي فيها الدنانير؛ فنظر بعضنا إلى بعض. ثم غناه إبراهيم بشعر له وهو:

فما مُزَّة قهوة قرقف شمول تروق براؤوقها^(٣)

فقال: أحسنت والله يا عم وسررت. فقال: يا أمير المؤمنين إن كنتُ أحسنتُ فهَب لي جاماً أخرى؛ فقال: خذ أيتهما شئت، فأخذ الجام التي فيها الدراهم؛ فعند ذلك أنقطع رجاؤنا منها. وغناه بعد ساعة:

(١) في أ، م: «وأمضني».

(٢) في ب، س: «قصر الليل».

(٣) المزة والقهوة والفرق والشمول: من أسماء الخمر. والراؤوق: باطية الخمر.

/ أَلَا لَيْتَ ذَاتَ الْخَالِ تَلْقَى مِنَ الْهَوَى عَشِيرَ^(١) الَّذِي أَلْقَى فَيَلْتَسِمَ الْحَبْ
فَأَرْتَجَ بِنَا الْمَجْلِسُ الَّذِي كُنَّا فِيهِ، وَطَرِبَ الْمُعْتَصِمُ وَأَسْتَخَفَّهُ الطَّرِبُ فَقَامَ عَلَى رَجْلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ:
أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا هَمَّ مَا شَتَّ! قَالَ: فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَحْسَنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهَبْ لِي الْجَامِ الثَّالِثَةَ؛ فَقَالَ: خُذْهَا
فَاخْذُهَا. وَقَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَدَعَا إِبْرَاهِيمَ بِمَنْدِيلٍ فَثَنَاهُ طَاقَتَيْنِ وَوَضَعَ الْجَامَاتِ فِيهِ وَشَدَّهُ، وَدَعَا بَطِينَ فَخَتَمَهُ
وَدَفَعَهُ إِلَى غَلَامِهِ، وَنَهَضْنَا إِلَى الْإِنْصِرَافِ، وَقُدِّمْتُ دَوَابَّنَا. فَلَمَّا رَكِبَ إِبْرَاهِيمَ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ بْنُ
الْحَارِثِ، زَعَمْتَ أَنَّي لَا أَحْسَنَ أَنَا وَجَارِيَتِي شَيْئًا، وَقَدْ رَأَيْتَ ثَمَرَةَ الْإِحْسَانِ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: قَدْ رَأَيْتُ، فَخُذْهَا
لَا بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا! وَلَمْ أَجِبْهُ بِشَيْءٍ.

[١١٥/١١]

/ نسبه لهذه الأصوات

صوت

مَا بِأَلْ شَمْسِ أَبِي الْخَطَّابِ قَدْ غَرَبَتْ يَا صَاحِبِي أَظَنَّ السَّاعَةَ أَقْتَرَبَتْ
أَمْ لَا فَمَا بِأَلْ رِيحٍ كُنْتُ أَمْلُهَا غَدَتْ عَلَيَّ بِصِرَ^(٢) بَعْدَ مَا خُيِّتُ
أَشْكُو إِلَيْكَ أَيْسَا الْخَطَّابِ جَارِيَةً غَرِيرَةً بِفَوَادِي الْيَوْمِ قَدْ لَعِبَتْ
رَأَيْتُ قِيمَهَا يَوْمًا يَحْدُثُهَا^(٣) يَأْلِيهَا قَرُبَتْ مِنِّي وَمَا بَعُدَتْ
الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي ومُلِّ بالبنصر. وفيه مزج بالبنصر، ذكر عمرو بن بانه أنه لإبراهيم
الموصلِي، وذكر غيره أنه لإبراهيم بن المهدي.

صوت

أَلَا لَيْتَ ذَاتَ الْخَالِ تَلْقَى مِنَ الْهَوَى عَشِيرَ الَّذِي أَلْقَى فَيَلْتَسِمَ الْحَبْ
وَصَالِكُكُمْ صَدُّ وَقَرَبُكُمْ قَلَى وَعُطْفُكُمْ سُخْطٌ وَسَلْمُكُمْ حَرْبُ
الشعر للعبَّاس بن الأحنف. والغناء لإبراهيم.

شعره في باقة نرجس غنى به المعتصم:

وقال ابن أبي طاهر حَدَّثَنِي الْمُؤَمِّلُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: كَانَتْ فِي يَدِ الْمُعْتَصِمِ بَاقَةُ نَرْجَسٍ
فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ: يَا عَمَّ قُلْ فِيهَا أَيْبَاتًا وَغَنُّ فِيهَا. فَكَتَبْتُ فِي الْأَرْضِ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ هَنِيئَةً ثُمَّ قَالَ:

صوت

ثَلَاثُ عِمُونَ مِنَ النَّارِ جِسِ عَلَى قَائِمٍ أَخْضَرِ أَمْلَسِ
يُذَكِّرُنِي طَيْبَ رِيَا الْحَبِيبِ فَيَمْنَعُنِي لَذَّةَ الْمَجْلِسِ

(١) العشير: جزء من عشرة كالعشر.

(٢) ريح صر: شديدة الصوت والبرد.

(٣) كذا في أ، م وفي ج: «والنأي عندكم». وفي سائر النسخ: «والشوق يغلبني».

وصنع فيه لحناً وغنّاه به، فأعجبه وأمر له بجائزة. لحن إبراهيم في هذين البيتين خفيفاً رمل بالبنصر، ذكر لي ذكاءً وغيره ذلك.

[١١٦/١٠] / غضب عليه المأمون وسجنه فاستعطفه حتى عفا عنه:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النخوي عن الجاحظ، وأخبرني به محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يثوث بن المزرع عن الجاحظ قال:

أرسل إلي ثمامة^(١) يوم جلس المأمون لإبراهيم بن المهدي وأمر بإحضار الناس على مراتبهم فحضروا فجيء بإبراهيم، وأخبرني عمي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثني محمد بن عمرو الأنباري من أبناء خراسان قال:

لما ظفر المأمون بإبراهيم بن / المهدي أحب أن يوبّخه على رؤوس الناس. قال: فجيء بإبراهيم يَخْجُلُ في قيوده، فوقف على طرف الإيوان وقال: ^(٢) : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال له المأمون: لا سلم الله عليك ولا حفظك ولا رعاك ولا كلاك يا إبراهيم. فقال له إبراهيم: على رسلك يا أمير المؤمنين! فلقد أصبحت وليّ ثأري، والقدرة تُذهِبُ الحَفيظَةَ، ومن مدّ له الاغترارُ في الأمل هَجَمَتْ به الأناة على الثَلَف. وقد أصبح ذنبي فوق كلّ ذنب، كما أنّ عفوك فوق كلّ عفو - وقال الحسن بن عليل في خبره: وقد أصبحت فوق كلّ ذي ذنب، كما أصبح كلّ ذي عفو دونك - فإن تعاقب فبحقك، وإن تغف فبفضلك. قال: فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال: إنّ هذين أشارا عليّ بقتلك. فالتفت فإذا المعتصم والعبّاس بن المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، أمّا حقيقة الرأي في مُعْظَم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به وما غشاك إذ كان ما كان مني، ولكن الله عودك من العفو عادة جريت عليها دافعاً ما تخاف بما ترجو، فكفاك الله. فتبسّم المأمون وأقبل على ثمامة ثم قال: إنّ من الكلام ما يفوق الدرّ ويغلب السّخر، وإن كلام عمي منه، أطلقوا عن عمي / حديدَه ورُدّوه إليّ مُكرّماً. فلما رُدّ إليه قال: يا عمّ صرّ إلى المنادمة وأزجّع إلى الأنس، فلن ترى مني أبداً إلّا ما تحب. فلما كان من الغد بعث إليه بدرج^(٣) فيه:

يا خيرَ مَنْ دَمَلَتْ يَمَانِيَّةٌ بِهِ	بعد الرسول لآيسٍ أو طامع
وأبرَّ مَنْ عبدَ الإلهَ على الهُدَى	نفساً وأحكَمَه بحقّ صاعد
عَسَلُ الفُوراعِ ما أَطغَتْ فإن تُهَجْ	فالموتُ في جُرْعِ السُّمامِ النَّاقع ^(٤)
متيقِّظاً خَذاً وما يَخشى العدا	نَبْهانَ مَنْ وَمَنّاتِ ليلِ الهاجِع
والله يعلم ما أقول فإنها	جَهْدُ الأليّةِ مِنْ خَيْفِ راكع

(١) ثمامة: هو ثمامة بن أشرس أبو معن النيمري أحد المعتزلة البصريين، ورد بغداد واتصل بهارون الرشيد وغيره من الخلفاء، وله أخبار ونوادر يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغيره. (انظر «تاريخ بغداد» ج ٧ ص ١٤٥).

(٢) انظر في هذا المقام الطبري، ق ٣ ص ١٠٧٦ طبع أوروبا و «تاريخ بغداد» ج ٦ ص ١٤٤ طبع مصر.

(٣) الدرج (بالفتح ويحرك): ما يكتب فيه.

(٤) رواية الطبري:

فَسَمَاءَ وَمَا أَذْلِي إِلَيْكَ بِحُجَّةٍ
 مَا إِنْ عَصَيْتُكَ وَالْغَوَاةُ تَمُدَّنِي
 حَتَّى إِذَا عَلِقْتُ حَبَائِلُ شِقْمُوتِي
 لَمْ أَدْرِ أَنْ لَمْثَلْ ذَنْبِي غَافِرًا
 رَدَّ الْحَيَاةَ إِلَيَّ بَعْدَ ذَهَابِهَا
 أَحْيَاكَ مَنْ وَلَاكَ أَطْوَلَ مَدَّةٍ
 إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْفَضَائِلَ^(٢) حَازَهَا
 كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ لَا تَحْدِثُنِي بِهَا
 أَسَدَيْتَهَا عَفْوًا إِلَيَّ هَنِيئَةً
 وَرَحِمْتَ أَطْفَالَ كَأَفْرَاخِ الْقَطَا
 وَعَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ
 إِلَّا الْعُلُوفُ عَنِ الْعُقُوبَةِ بَعْدَهَا
 إِلَّا التَّضَرُّعَ مِنْ مُحِبِّ خَاشِعٍ
 أَسْبَابُهَا إِلَّا بَنِيَّةَ طَائِعٍ
 بِسَرْدَى عَلَى حُفَرِ الْمَهَالِكِ هَائِعٍ^(١)
 فَأَقَمْتُ أَزْقَبَ أَيِّ حَتَفٍ صَارِعِي
 وَرَعُ الْإِمَامِ الْقَاهِرِ الْمُتَوَاضِعِ
 وَرَمَى عَدُوَّكَ فِي الْوَتِينَ بِقَاطِعِ
 فِي صُلْبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ السَّابِعِ
 نَفْسِي إِذَا أَلَتْ إِلَيَّ مَطَامِعِي
 فَشَكَرْتُ مُضْطَنَعًا لِأَكْرَمِ صَانِعِ
 وَعَوِيلَ عَانِسَةِ كَقُوسِ النَّازِعِ
 عَفْوٌ وَلَمْ يَشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعِ
 ظَفِيرَتِ يَدَاكَ بِعَسْتِكِينَ خَاضِعِ

/ قال: فبكى المأمون ثم قال: عليّ به، فأُتي به فخلع عليه وحمله وأمر له بخمسة آلاف دينار، ودعا^{١٨/١٠} بالفراش فقال له: إذا رأيت عمتي مُقْبِلًا فاطرح له تِكَاءً، فكان يُنادمه ولا يُنكر عليه شيئاً. ورُوي بعضُ هذا الخبر^{١١} عن محمد بن الفضل الهاشمي فقال فيه: لَمَّا فَرَّغَ الْمَأْمُونُ مِنْ خُطَابِهِ دَفَعَهُ إِلَى أَبِي خَالِدٍ^(٣) الْأَحْوَلِ وَقَالَ: هُوَ صَدِيقُكَ فَخُذْهُ إِلَيْكَ. فقال: وَمَا تُغْنِي صِدَاقَتِي عَنْهُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَاخِطٌ عَلَيْهِ! أَمَّا إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ لَهُ صَدِيقًا لَا أَمْتَنُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ فِيهِ. فقال له: قُلْ فَإِنَّكَ غَيْرُ مَثْنَمٍ. قَالَ وَهُوَ يُرِيدُ التَّسَلُّقَ عَلَى الْعَفْوِ عَنْهُ^(٤): إِنْ قَتَلْتَهُ فَقَدْ قَتَلْتَ الْمَلُوكَ قَبْلَكَ أَقَلَّ جُزْأً مِنْهُ، وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ عَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يُغْفَ قَبْلَكَ عَنْ مِثْلِهِ. فَسَكَتَ الْمَأْمُونُ سَاعَةً ثُمَّ تَمَثَّلَ:

فَلَمَنْ عَفَوْتُ لَا عَفْوَكَ جَلَالًا
 وَلَمَنْ سَطَوْتُ لَا وَهْنَنَ عَظَمِي^(٥)
 فَوَيْ هُمُ قَتَلُوا أَمِينًا أَخِي
 فَإِذَا رَمَيْتُ أَصَابَنِي سَهْمِي

خُذْهُ يَا أَحْمَدُ إِلَيْكَ مُكْرَمًا، فَأَنْصَرَفَ بِهِ. ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْمَأْمُونِ قَصِيدَتَهُ الْعَيْنِيَّةَ. فَلَمَّا قَرَأَهَا رَقَى لَهُ وَأَمَرَ بِرَدِّهِ إِلَى مَنْزِلِهِ^(٦) وَرَدَّ مَا قُبِضَ مِنْهُ مِنْ أَمْوَالِهِ وَأَمْلَاكَه. وَفِي خَبَرِ عَمِّي عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ أَبِي دَاوُدَ: أَنَّ الْمَأْمُونَ تَقَدَّمَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَزْدَادٍ لَمَّا أَطْلَقَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَمْنَعَهُ دَارِي الْخَاصَّةَ

(١) الهائغ هنا: المنتشر.

(٢) في الطبري: «الخلافة».

(٣) هو أحمد بن أبي خالد الأحول أحد رجالات المأمون وموضع ثقته. (انظر الطبري ق ٣ ص ١٠٣٨، ١٠٤٢، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٧٥).

(٤) في الأصول: «قال وهو يريد التسلق على العفو عنه فقال... إلخ» وكلمة «فقال» لا موضع لها في الكلام.

(٥) هذا شعر الحارث بن وعلة الذهلي. (انظر أشعار الحماسة ص ٩٦ طبع أوروبا).

(٦) لعله: «منزله».

والعامة، ويؤكد به رجلاً من قبله يتق به ليعرفه أخباره وما يتكلم به. فكتب إليه الموكّل به أن إبراهيم لما بلغه منه من داري الخاصة والعامة تمثل:

يا سرحة الماء قد سدت موارده / أما إليك طريق غير مندود^(١)
لِحائِم حام حتى لا حيام له / مُحَلّأ عن طريق الماء مطرود

[١١٩/١٠]

فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكرماً وإنزاله في مرتبته؛ فصار إليه محمد فبشره بذلك وأمره بالركوب فركب. فلما دخل على المأمون قبل البساط ثم قال:

البري منك وطأ العذر عندك لي / دون اعتذاري فلم تغذل ولم تلم
وقام علمك بي فأحتج عندك لي / مقام شاهد عذل غير منهم
رددت مالي ولم تمن علي به / وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
تعفوا بعذل وتسطو إن سطوت به / فلا عذمناك من عاف ومُنقِم
فبؤث منك وقد كافأتها بيد / هي الحياتان من موت ومن عَدَم

فقال له: أجلس يا عمّ آمناً مطمئناً، فلن ترى أبداً مني ما تكره، إلا أن تُحدثَ حدثاً أو تتغير عن طاعة؛ وأرجو ألا يكون ذلك منك إن شاء الله.

بذ أحمد بن يوسف الكاتب في حسن المحاضرة: *تكملة طبع في*

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أبن حمدون عن أبيه قال:

كنت أحب أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن يوسف الكاتب بما كنت أراه من تقدّم أحمد وعَلَمِهِ الناس جميعاً بحفظه وبلاغته وأدبه في كل مَخْضَر ومَجْلِس. فدخلت يوماً على إبراهيم بن المهدي وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية الخزري، فجعل إبراهيم يحدثنا فيضيف شيئاً إلى شيء، مرة يضحكنا ومرة يعظنا ١٢٩// ومرة يُشَدُّنا ومرة يُذَكِّرنا، وأحمد بن يوسف ساكت. فلما طال بنا المجلس أردت أن أخطب أحمد، فسبقني إليه أبو العالية فقال:

مالك لا تتبّح يا كلب الدؤم / قد كنت نباحاً فمالك اليوم

فتبسّم إبراهيم ثم قال: لو رأيته في يد جعفر بن يحيى لرحمته كما رحمت أحمد مني.

[١٢٠/١٠] / أثنى عليه إسحاق:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني أبي قال قال لي إسحاق: ليس فيمن يدعي العلم بالغناء مثل إبراهيم بن المهدي وأبي دُلف القاسم بن عيسى العجلي. فقل له: فأين محمد بن الحسن بن مُصْعَب منهما؟ فقال: لو قيل لك إن محمد بن الحسن يُبصر الغناء لكان ينبغي لك أن تقول: وكيف يُبصر الغناء من نشأ بخراسان لا يسمع من الغناء العربي إلا ما لا يفهمه!

(١) هذا الشعر لإسحاق الموصلي.

إقرار ابن بانة له وإسحاق بالعلو في فن الغناء:

أخبرني يحيى قال حدثني أبو العباس بن حمدون عن عمرو بن بانة قال:

رأيت إسحاق الموصلي يُناظر إبراهيم بن المهدي في الغناء، فتكلما فيه بما فهماه ولم نفهم منه شيئاً. فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغناء ما نحن منه في قليل ولا كثير.

فضل المأمون غناءه على غناء إسحاق في شعر للأخطل:

أخبرني عمي عن علي بن محمد بن نصر عن جده حمدون: أن المأمون قال لإسحاق: غثي لحنك في شعر الأخطل:

يا قَلَّ خَيْرُ الْغَوَانِي كَيْفَ رُغِنَ بِهِ فِشْرُؤُهُ وَشَلَّ مِنْهُنَّ تَصْرِيْدُ^(١)

فغناه أياه فأستحسنه، ثم قال لإبراهيم بن المهدي: هل صنعت في هذا الشعر شيئاً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فغناه فأستحسنه المأمون وقدمه على صنعة إسحاق، ولم يدفع إسحاق ذلك.

علمه إسحاق لحناً فطرب له الأمين وقصة ذلك:

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى الموصلي قال ذكر أبي عن جدي عن عبدالله بن عيسى الماهاني قال:

دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلي في حاجة، فرأيت عليه مُطْرَفَ خَزْ أسود ما رأيت قط أحسن منه؛ فتحدثنا إلى أن أخذنا في أمر المطرف فقال: لقد كانت / لكم أيامٌ حسنة ودولةٌ عجيبة، فكيف ترى هذا؟^[١١/٢١] فقلت له: ما رأيت مثله. فقال: إن قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب. فقلت له: ما أقوم به إلا نحواً من مائة دينار. فقال إسحاق: اسمع حديثه: شربنا يوماً من الأيام، فبت وأنا مُثَخَّن، فأنتبهت لرسول محمد الأمين، فدخل علي فقال لي: يقول لك أمير المؤمنين عجل إلي - وكان بخیلاً على الطعام فكنث أكل قبل أن أذهب إليه - فقم فتسوك وأصلحت أمري، وأعجلني الرسول عن الغداء. فدخلت عليه وإبراهيم بن المهدي جالس عن يمينه وعليه هذا المطرف وجبة خَزْ دكناء. فقال لي محمد: يا إسحاق تغذيت؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال: إنك لنهم، أهذا وقت غداء! فقلت: أصبحت يا أمير المؤمنين وبني خمار، فكان ذلك ممّا حَدّاني^(٢) على الأكل. فقال لهم: كم شربنا؟ فقالوا: ثلاثة أرطال. فقال: أسقوه مثلها. فقلت: إن رأيت أن تفرقها علي! فقال: تُسَقَى رطلين ورطلاً. فدفع إلي رطلان فجعلت أشربهما وأنا أتوهم أن نفسي تسيل معهما، ثم دفع إلي رطل آخر فشربته فكان شيئاً أنجلي عني. فقال غثي:

كَلَيْبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً وَأَيْسَرَ جُرْماً مِنْكَ ضَرْجٌ بِالسِّمِّ

فغثيته؛ فقال: أحسنت وطرب، ثم قام فدخل. وكان يفعل ذلك كثيراً، يدخل إلى النساء / ويدعُنا. ^{٣٣} فقم في أثر قيامه فدعوت غلاماً لي فقلت: أذهب إلى منزلي وجثني

(١) كذا في «ديوان الأخطل» (طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩١ م). وفي الأصول: «لشربة». والشرب (بالكسر) هنا: الحظ من الماء. والوشل هنا: القليل. والتصريد: السقي دون الري. يريد بهذا الشرط أن حظه منهن قليل.

(٢) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «جراني».

بِزَمَاوَزْدَتَيْنِ^(١) وَلَقَّهْمَا فِي مَنَدِيلٍ وَأَذْهَبَ رَكْضاً وَعَجَلٌ. فَمَضَى الْغَلَامُ فَجَاءَنِي بِهِمَا. فَلَمَّا وَافَى الْبَابَ وَنَزَلَ عَنِ الدَّابَّةِ أَنْقَطَعَ الْبِرْدَوْنُ فَتَفَقَّ مِنْ شِدَّةِ مَا رَكَّضَهُ، فَأَدْخَلَ إِلَيَّ الْبِزَمَاوَزْدَتَيْنِ فَأَكَلْتُهُمَا وَرَجَعْتُ إِلَيَّ نَفْسِي وَعُدْتُ إِلَى مَجْلِسِي. فَقَالَ / لِي إِبْرَاهِيمُ: إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ أَحَبُّ أَنْ تَقْضِيَهَا لِي. فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ وَأَبْنُ عَبْدِكَ، قُلْ مَا شِئْتَ. قَالَ: تَرُدُّ عَلَيَّ:

* كَلَيْبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً *

وَهَذَا الْمِطْرَفُ لَكَ. فَقُلْتُ: أَنَا لَا أَخْذُ مِنْكَ مِطْرَفاً عَلَى هَذَا، وَلَكِنِّي أَصِيرُ إِلَيْكَ إِلَى مَنَزْلِكَ فَأُلْقِيهِ عَلَى الْجَوَارِي وَأُرَدُّهُ عَلَيْكَ مَرَّاراً. فَقَالَ: أَحَبُّ أَنْ تَرُدَّهُ عَلَيَّ السَّاعَةَ وَأَنْ تَأْخُذَ هَذَا الْمِطْرَفَ فَإِنَّهُ مِنْ لُبْسِكَ وَمِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا. فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ الصَّوْتِ مَرَّاراً حَتَّى أَخْذَهُ. ثُمَّ سَمِعْنَا حَرَكَةَ مُحَمَّدٍ فَقَمْنَا حَتَّى جَاءَ فَجَلَسَ ثُمَّ قَعَدْنَا، فَشَرِبَ وَتَحَدَّثْنَا. فَعَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ:

* كَلَيْبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً *

فَكَأَنِّي وَاللَّهِ لَمْ أَسْمِعْهُ قَبْلَ ذَلِكَ حَسْناً، وَطَرِبَ مُحَمَّدٌ طَرِيباً عَجِيباً وَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا عَمُّ! أَعْطِ يَا غَلَامَ عَشْرَ بَدَرٍ لَعَمْرِي السَّاعَةَ، فَجَاءُوا بِهَا. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ لِي فِيهَا شَرِيكاً. قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: إِسْحَاقُ. قَالَ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: إِنَّمَا أَخَذْتُهُ السَّاعَةَ مِنْهُ لَمَّا قَمْتُ. فَقُلْتُ لَهُ: وَلَمْ! أَضَاقَتْ الْأَمْوَالُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يُشْرِكَ فِيمَا تُعْطَاهُ! قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأُشْرِكُكَ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ. فَلَمَّا أَنْصَرَفْنَا مِنَ الْمَجْلِسِ أَعْطَانِي ثَلَاثِينَ أَلْفاً وَأَعْطَانِي هَذَا الْمِطْرَفَ. فَهَذَا أَخْذُ بِهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَهِيَ قِيَمَتُهُ.

حَجَّ مَعَ الرَّشِيدِ وَقَصَّته مَعَ جَارِيَةٍ رَأَاهَا:

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانَ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ: حَجَجْتُ مَعَ الرَّشِيدِ؛ فَلَمَّا صَرْنَا بِالْمَدِينَةِ خَرَجْتُ أَدُورَ فِي عَرَصَاتِهَا، فَأَنْتَهَيْتُ إِلَى بَيْتٍ وَقَدْ عَطِشْتُ وَجَارِيَةٌ تَسْتَقِي مِنْهَا، فَقُلْتُ: يَا جَارِيَّةُ، أَمْتَحِي لِي دَلُوءاً. فَقَالَتْ: أَنَا وَاللَّهِ عَنْكَ فِي شُغْلٍ بِضَرْبَةِ مَوَالِيٍّ عَلَيَّ. فَتَقَرَّرْتُ بِسُوطِي عَلَى سَرَجِي وَغَيْتُ:

أَصَوْتُ

[١٢٣/١٠]

رَامَ قَلْبِي الشُّلُوءَ عَنْ أَسْمَاءٍ	وَتَعَزَّى وَمَا بِهِ مِنْ عَزَاءٍ
سُخْنَةً فِي الشِّتَاءِ بَارِدَةَ الصَّيْفِ	سَفَ سِرَاجٍ فَنَسِيَ اللَّيْلَةَ الظُّلْمَاءِ
كَفَّنَانِي إِنْ يُثِّتُ فِي دِرْعِ أَرْوَى	وَأَمْتَحَالِي مِنْ بَيْتِ عُرْوَةِ مَائِي
الشَّعْرَ لِلْأَحْوَصِ. وَالْغَنَاءَ لِمَعْبِدِ رَمَلٍ مُطْلَقٍ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ - وَتَمَامُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ:	
إِنْسِي وَالَّذِي تَحُجِّجُ قَرِينُشُ	يَتَّهِ سَالِكِينَ نَقَبَ كَدَاءٍ ^(٢)
لَمْلِمٌ بِهَا وَإِنْ أَبُتْ مِنْهَا	صَادِراً كَالَّذِي وَرَدْتُ بِدَاءٍ

(١) البزماورد: طعام يسمى «القمة القاضي» و«فخذ الست» و«القمة الخليفة»، وهو مصنوع من اللحم المقلي بالزبد والبيض. (انظر كتاب «النجاح» للمجاحظ ص ١٧٣ هامش ٣).

(٢) كداء بأعلى مكة عند المحصب.

ولها مَرْزَعٌ يُزْقَعُ خَسَاخُ^(١) وَمَصِيفٌ بِالْقَصْرِ قَصْرُ قَبَاءٍ

قلبت لي ظهرَ المَجَنِّ فأمست قد أطاعت مقالة الأعداء

ولمعد أيضاً في البيت الأخير من هذه الأبيات ثم الأول والثاني خفيفٌ ثقيلٌ عن الهشامي. ولابن سُرَيْجٍ في:

* ولها مَرْزَعٌ يُزْقَعُ خَسَاخُ *

* وكفناني إن مت في درع أزوى *

رَمَلٌ عن الهشامي أيضاً. ولإبراهيم في: «رام قلبي» وما بعده ثاني ثقيلٌ عن حبش - قال إبراهيم / بن المهدي في ٦٤/٩ الخبر: فرفعت الجارية رأسها إليّ فقالت: أتعرفُ بئرَ عُرْوَةٍ؟ قلت لا. قالت: هذه والله بئرُ عُرْوَةٍ، ثم سقّني حتى رَوَيْتُ، وقالت: إن رأيتَ أن تُعيده ففعلتُ، فطربتُ وقالت: والله لأخملنَ قَرْبَةً إلى رَحْلِكَ! فقلت: أفعلني، ففعلتُ وجاءت معي تحملها. فلما رأيتُ الجيشَ والخدمَ فزعْتُ. فقلت / لها: لا بأس عليك! وكسوتُها ووهبتُ (١٢٤/١٠) لها دنائيرَ وحبسْتُها عندي، ثم صِرتُ إلى الرشيد فحدّثته حديثها؛ فأمرَ بابتِباعها وعِثْقها؛ فما بَرَحْتُ حتى أَشْتَرَيْتُ وأُعتقتُ، وأخذتُ لها منه صلةً وأُفترقنا.

حواره مع المأمون حين استعطفه بكلام سعيد بن العاص لمعاوية:

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن خَلَفِ بن المَرْزُبَانِ قالا حدّثنا محمد بن يزيد التَّحَوِّي قال حدّثنا الفضل بن مروان قال:

لَمَّا أُذْخِلَ إبراهيم بن المهدي على المأمون وقد ظَفِرَ به، كَلَّمَهُ إبراهيم بكلام كان سعيد بن العاص كَلَّمَ به معاوية بن أبي سفيان في سَخَطَةٍ سَخَطَهَا عليه وأستعطفه به. وكان المأمون يحفظ الكلام، فقال له المأمون: هيهات يا إبراهيم! هذا كلامٌ سَبَقَكَ به فَخُلُ بنِي العاص بن أمية وقَارِحُهُم سعيد بن العاص وخاطَبَ به معاوية. فقال له إبراهيم^(٢): مَهْ يا أمير المؤمنين؟! وأنت أيضاً إن عفوتَ فقد سَبَقَكَ فَخُلُ بنِي حَرْبٍ وقَارِحُهُم إلى العفو، فلا تكن حالي عندك في ذلك أبعدَ من حال سعيد عند معاوية، فإنك أشرفُ منه، وأنا أشرفُ من سعيد، وأنا أقربُ إليك من سعيد إلى^(٣) معاوية، وإن أعظمَ الهُجْنَةَ أن تسبِقَ أميةً هاشماً إلى مَكْرُمة. فقال: صدقت يا عمّ، وقد عفوتُ عنك.

غَضِبَ عليه الأمين فاستعطفه:

أخبرني محمد بن خَلَفِ بن المَرْزُبَانِ قال حدّثنا حَمَادُ بن إِسْحَاقَ عن أبيه قال:

جَرَى بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المهدي كلامٌ على النَّيِّذِ، فوجَدَ عليه محمد. فلَمَّا كان بعد أيام بعثَ إليه إبراهيم باللطافِ فلم يقبلها؛ فوجّهَ إليه وصيفةً مليحةً مغنّيةً معها عودٌ معمولٌ من عود هنديّ، وقال هذه الأبيات وغنّى فيها وألقاها عليها حتى أخذت الصنعةَ وأحكمتها، ثم وجّهَ بها إليه. فوفقت الجارية بين يديه

(١) بركة خاسخ: قرب المدينة، وكذلك قباء.

(٢) في ب، س: «فقال له إبراهيم فكان مه يا أمير المؤمنين» وكلمة «فكان» لا موقع لها في الكلام.

(٣) كذا في حد. وفي سائر النسخ: «عند».

وقالت له: عثك وعبدك يا أمير المؤمنين يقول لك - وأندفعت تغني بالشعر وهو:-

هَتَكْتَ الضميرَ برْدَ اللَّطَفِ وَكَشَفْتَ هجرَكَ لي فساَنَكْشَفَ
/ وإن كنت تُكرِثُ شيئاً جرى فَهَبْ للخِلافة ما قد سَلَفَ
وَجُدْ لي بصفحك عن زَلَّتِي فبالفضل ياخذ أهلُ الشرفِ

[١٢٥/١٠]

قال: فسُرَّ محمدُ بها، وبعث إلى إبراهيم فأحضره ورضى عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار وتمَّ يومه معه.

صالح جاريته صدوف:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرني سعيد بن صالح الأَسَدِي قال حَدَّثني جعفر بن محمد الهاشمي قال حَدَّثني بعض خدام إبراهيم بن المهدي قال:

كانت لإبراهيم بن المهدي جارية يقال لها صَدُوف، وكان لها من نفسه موضع. فحسدها جواريه على محلها منه، فلم يَزَلْنَ يُبلغنه عنها ما يكره حتى غَضِبَ عليها وجفاها أياماً؛ ثم شقَّ ذلك عليه وأغتمَّ به، ولم يطب نفساً بمراجعتها وصلحها. فدخل عليه الأعرابيُّ أخو مُعَلَّة صاحبة الفضل بن الربيع، وكان حسنَ الشَّعر حُلُوَ اللفظ فصيحاً، وكان إبراهيم يأنس به، فقال له: مالي أرى الأمير منكسراً منذ أيام؟ فأمسك. فقال: قد عرفتُ حالَ الأمير وقلتُ في / أمره أحياناً إن أذن لي أنشدته إياها. فتبسَّم وقال: هاتِ؛ فأنشده:

أَعْتَبْتُ أم عتبتَ عليك صَدُوفُ وَعَتَابُ مثلك مثلهَا تشريفُ
لا تَقْعُدَنَّ تلومَ نفسَكَ دائِياً فيها وأنتَ بحبها مشغوف
إن الصَّريمة لا يُثْوِء بِحَمْلِهَا إلَّا القويُّ بها وأنتَ ضعيفُ

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتي دينار، وبعث إلى صَدُوف فخرجت إليه ورضي عنها، وبعثت إليه صَدُوف بمائة دينار.

قيل له تب وأحرق دفاتر الغناء فقال ريق تحفظ كل غنائي:

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حَدَّثني أحمد بن علي بن حُمَيْدَة قال حَدَّثني رِيقُ قالت:

/ مَرِضَ إبراهيم بن المهدي مَرَضَةً أَشْرَفَ منها على الموت، فجعل يتذكر شغفه بالغناء وما سلف له فيه ويتندَّم عليه. فقال له بعض مَنْ حضر: فثُبَّ وأحرق دفاتر الغناء. فحرك رأسه ساعة ثم قال: يا مجانين! فهَبْنِي أحرقتُ دفاتر الغناء كُلَّهَا، رِيقُ أَيُّشِ أَعْمَلُ بها؟ أَأَقْتُلُها وهي تحفظ كلَّ شيء في دفاتر الغناء!!

[١٢٦/١٠]

رأى علياً في النوم:

أخبرني جعفر بن قُدَّامة والحسين بن القاسم الكوكبي قال حَدَّثني المُبَرِّد عن أحمد بن الربيع عن إبراهيم بن المهدي قال:

رأيتُ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم، فقلت له: إن الناس قد أكثرُوا فيكَ وفي أبي بكر وعمر، فما عندك في ذلك؟ فقال لي: إخساً! ولم يَزِدْني على ذلك. وأخبرني الكوكبي بهذا الخبر عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال:

كان إبراهيم شديد الانحراف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فحدث المأمون يوماً أنه رأى علياً في النوم، فقال له: من أنت؟ فأخبره أنه علي بن أبي طالب. قال: فمشيتنا حتى جئنا قنطرة فذهب يتقدمني لعبورها؛ فأمسكته وقلت له: إنما أنت رجل تدعي هذا الأمر بامرأة ونحن أحق به منك! فما رأيك له في الجواب بلاغة كما يوصف عنه. فقال: وأي شيء قال لك؟ فقال: ما زادني على أن قال سلاماً سلاماً. فقال له المأمون: قد والله أجابك أبلغ جواب. قال: وكيف؟ قال: عرفك أنك جاهل لا يجاوب مثلك؛ قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾. فحجل إبراهيم وقال: ليتني لم أحدثك بهذا الحديث.

تمنى له الأمين طول العمر:

أخبرني الكوكبي قال حدثني المفضل بن سلمة عن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال:

قلت للأمين يوماً: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداءك! فقال: بل جعلني الله فداءك؛ فأعظمت ذلك. فقال: يا عم لا تُعظمه فإن لي عمراً لا يزيد ولا ينقص؛ / فحياتي مع الأخت أطيبت من تجرعي فقدهم، وليس يضرنني [١٢٧/١٠] عيش من عاش بعدي منهم.

غنى للأمين لحناً فطرب وطلب إليه أن يلقيه إحدى جواريه، وقصة ذلك:

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي قال: كنت يوماً بين يدي الأمين أغنيته؛ فغنيته:



مركز بحوث وادب اسلامی

أَقْوَتْ مَنَازِلُ بِالْهَضَابِ	مَنْ آلَ هَنْدٍ وَالرَّيَابِ
خَطَّارَةٌ بِزِمَامِهَا	وَإِذَا وَكُنْتُ ذُلُّ ^(١) الرِّكَابِ
تَرْمِي الْحِصَاءَ بِمَنَاسِمِ	صُمٌّ صَلَادِمَةٍ صِلَابِ

قال: فاستحسن اللحن وسألني عن صانعه؛ فعرفته أن ابن جامع حدثني عن سباط أنه لابن عائشة؛ فلم ^{٦٦} يزل يشرب عليه لا يتجاوزها، ثم أنصرفنا ليلتنا تلك. ووافاني رسوله حين أنتبهت من النوم وأنا أستاك، فقال لي: يقول لك: بحياتي يا عم لا تشتغل بعد الصلاة بشيء غير الركوب إلي. فصليت وتناولت طعاماً خفيفاً وأنا البس ثيابي خوفاً من رجوع رسوله، وركبت إليه. فلما رأي من بعيد صاح بي: يا عم بحياتي:

* خطارة بزمامها *

فلما دخلت المجلس ابتدأته وغنيته؛ فأمر بإحضار صبيته كان يتحفظها، فأخرجت إلي صبيته كأنها لؤلؤة في يدها العود. فقال: بحياتي يا عم ألقه عليها! فأعدته مراراً وهو يشرب؛ حتى إذا ظننت أنها قد أخذته أمرتها أن تغنيته، فغنته، فإذا هو قد أستمى لها إلا في موضع كان فيه وكان صعباً جداً فجهدت جهدي أن يقع لها طلباً لمسرتها، وكان حقيقاً مني بذلك، فلم يقع لها البتة. ورأى جهدي في أمرها وتعدده عليها، فأقبل عليها / وقد سكر ثم [١٢٨/١٠] قال: نُفِيتُ مِنَ الرِّشِيدِ وَكُلُّ أَمَةٍ لِي حُرَّةٌ وَعَلَيَّ عَهْدُ اللَّهِ لَنْ لَمْ تَأْخُذْ بِهِ فِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ لِأَمْرِنَ بِالْقَائِلِ فِي دِجْلَةٍ!

(١) ذلل: جمع ذلول وهو السهل المتقاد من الناس والدواب، الذكر والأنثى فيه سواء.

قال: ودجلة تطفح وبيننا وبينها نحو ذراعين وذلك في الربيع، فتأملت القصّة، فإذا هو قد سكر، وإذا الجارية لا تقول كما أقوله أبداً. فقلت: هذه والله داهية، ويتنقص عليه يومه وأشرك في دمها، فعدلت عما كنت أغنيّه عليه وتركت ما كنت أقوله، وغنيته كما كانت هي تقوله، وجعلت أردده حتى أنقضت ثلاث مرّات أعيدّه فيها على ما كانت هي تقوله، وأريته أنّي أجتهد. فلما أنقضت الثلاث المرّات قلت لها: هاتيه الآن، فغنته على ما كان وقع لها. فقلت: أحسنت يا أمير المؤمنين، ورددته معها ثلاث مرّات، فطابت نفسه وسكن، وأمر لي بثلاثين ألف درهم.

حدث لجحظة مع طرخان ما حدث له هو مع الأمين:

قال جحظة: وقد لحقني مثل هذا؛ فإن طرخان^(١) بن محمد بن إسحاق بن كنداجيق استحسن صوتاً غنيته

وهو:

أعياني الشادن الريب الريب أشكو فلا يجيب
من ابن أبي شفاء دائي وإنما دائي الطبيب

- ولحنه رمل - فقال: أحب أن تطرحه على زهرة جاري، فمكنت أنردد إليها شهراً وأكثر وأردده عليها وهو يصلني ويخلع عليّ ويعطيني كلّ شيء حسن يكون في مجلسه، فلا تأخذه مني ولا يقع لها. فلما كان بعد شهر قلت له: أيها الأمير قد والله استخيت من كثرة ما تعطيني بسبب هذا الصوت، وقد أعياني أن تأخذه زهرة؛ ثم حدثته حديث إبراهيم بن المهدي وقلت له: لولا أنني أملك عليها لقلته أنا كما تقوله هي حتى نتخلص جميعاً. وليس وحياتك تأخذه أبداً كما أقوله ولا فيه حيلة. فقال لي: فدعه إذاً.

[١٢٩/١٠] غنى بحضرة المأمون لحناً وأراد ابن بسخر أن يأخذه عنه فضله:

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم قال حدثني محمد بن الحارث بن بسخر قال:

غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون:

صوت

يا صاح يا ذا الضامر العنس والرخل ذي الأنساع والجلس
أما النهار فأنت تقطعه ركباً وتصبح مثل ما تمسي

- في هذين البيتين لحن لمالك خفيف ثقيل عن يونس والهشامي. قال: ولمعبد فيه ثقل أول، / وقد نسب قوم لحن كل واحد منهما إلى الآخر. قال محمد بن الحارث بن بسخر في الخبر: واللحن لمالك بن أبي السّمح وهو من قصاره. هكذا في الخبر - قال: فاستحسنه المأمون، وذهبت أخذه، ففطن لي إبراهيم فجعل يزيد فيه مرةً وينقص منه أخرى بزوائد التي كان يعملها في الغناء، وعلمت ما هو يصنع فتركته. فلما قام قلت للمأمون: يا سيدي إن رأيت أن تأمر إبراهيم أن يلقي عليّ:

* يا صاح يا ذا الضامر العنس *

(١) كان من الأمراء. (انظر الكلام عليه في «صلة تاريخ الطبري» ص ٦٣).

قال: أفعل. فلما عاد قال له: يا إبراهيم ألقى على محمد:

* يا صاح يا ذا الضامر العنس *

فألقاه عليّ كما كان يغنيهِ مُغَيَّرًا، ثم أنقضى المجلس وسكر المأمون. فقال لي إبراهيم: قم الآن فأنت أحقُّ الناس به، فخرجتُ وخرج. ثم جئتُ إلى منزله فقلت له: ما في الأرض أعجبُ منك! أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة تبخل على وليِّ لك مثلي لا يُفَاخِرُكَ بِالْغِنَاءِ ولا يَكَاثِرُكَ بِصَوْتِ!! فقال لي: يا محمد ما في الدنيا أضعف عقلًا منك! والله ما أستبقاني المأمون محبةً لي ولا صلةً لرحمي، ولكنه سمع من هذا الجرم شيئاً فقدته من سواه فأستبقاني لذلك. فغاظني فعله. فلما دخلت / على المأمون حدثته بما قال لي. فقال المأمون: يا [١٣٠/١٠] محمد هذا أكفر الناس لنعمة! وأطرق ملياً ثم قال لي: لا نكدرُ على أبي إسحاق عفوًا عنه ولا نقطع رَحِمَهُ، فدغ هذا الصوت الذي ضنَّ به عليك إلى لعنة الله.

قال بيتا يكيد به لدعبل:

حدثني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوبِه قال حدثني محمد بن يزيد قال:

قلت لدُعْبِل: بالله أسألك أنت القائل:

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة إذا حُسِبوا يوماً وثامنتهم كلب

فقال: لا والله! فقلت: مَنْ قاله؟ قال: مَنْ حشا الله قبره ناراً إبراهيم بن المهدي، كافاني بذلك عن هجائي إياه لئُشِيط^(١) بدمي.

خطأ مخارقاً في لحن غناه للمأمون ثم لقنه إياه على وجهه:

أخبرني محمد بن مَزِيد قال حدثنا حَمَاد بن إسحاق قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخَر قال:

لَمَّا رَضِيَ المأمون عن إبراهيم بن المهدي ونادمه، دخل عليه متبدلاً في ثياب المغنين وزِيَّهم. فلما رآه وضحك وقال: نزع عَمِّي ثياب الكبر عن مَنَكِبِيهِ. فدخل وجلس، وأمر المأمون بأن يُخْلَعَ عليه فَأُلِيسَ الْخِلْع. ثم أبتدأ مُخَارِقَ فغَنَّى:

صوت

خَلِيلِي مَنْ كَفَبَ أَلَمًا هُدَيْتُمَا بِزَيْنَبَ لَا يَفْقِدُكُمَا أَبَدًا كَعَبُ

مَنْ الْيَوْمَ زَوَّارَهَا فَإِنْ مَطِئْنَا غَدَاةً غَدِ عَنْهَا وَعَنْ أَهْلِهَا نُكَبُ^(٢)

فقال له إبراهيم: أسأت وأخطأت. فقال له المأمون: يا عمّ إن كان أساء وأخطأ فأحسن أنت. فغَنَّى إبراهيم الصوت. فلَمَّا فرغ منه قال لمخارق: أعذه الآن، فأعاده فأحسن. فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين كم بين الصوت الآن وبينه في أوّل الأمر؟ قال: ما أبعد ما بينهما! فالتفت إلى مخارق ثم قال: إنما مثلك يا مُخَارِق [١٣١/١٠] مثل الثوب الوُشِيِّ الفَاخِر، إذا تغافل عنه أهله سقط عليه الغبار فحال لونه، فإذا بُفِضَ عاد إلى جوهره.

(١) أشاط دمه وبدمه: أذهبه.

(٢) نكب: مائلات، واحدها أنكب ونكباء.

سأله الرشيد عن أحسن الأسماء وأسمجها فأجابه:

أخبرني جعفر بن قدامة^(١) قال حدثني شارية الكبرى مولاة إبراهيم بن المهدي قالت: سمعت مولاة إبراهيم بن المهدي يحدث قال:

كُنْتُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ جَالِساً عَلَى طَرَفِ حَرَّاقَةٍ مِنْ حَرَّاقَاتِهِ وَهُوَ يَرِيدُ الْمَوْصِلَ / وَقَدْ بَلَّغْنَا إِلَى السُّودْقَانِيَةِ^(٢) ، وَالْمَدَّادُونَ يَمْدُدُونَ السُّفْنَ ، وَالشُّطْرُنُجُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَالذَّمْتُ مُتَوَجِّةٌ لَهُ ، إِذْ أَطْرُقَ هُنَيْهَةٌ ثُمَّ قَالَ لِي: يَا بَنَ أُمِّ ، مَا أَحْسَنُ الْأَسْمَاءِ عِنْدَكَ؟ قُلْتُ: مُحَمَّدٌ اسْمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ: ثُمَّ أَيُّ شَيْءٍ بَعْدَهُ؟ قُلْتُ: هَارُونَ اسْمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ: فَمَا اسْمُجُ الْأَسْمَاءِ؟ قُلْتُ: إِبْرَاهِيمُ . فَزَجَرَنِي ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ! أَتَقُولُ هَذَا! أَلَيْسَ هُوَ اسْمُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ! فَقُلْتُ لَهُ: بِشُؤْمِ هَذَا الْاسْمِ لَقِيَ مِنْ نَفَرُودٍ مَا لَقِيَ وَطُرِحَ فِي النَّارِ . قَالَ: فَأَبْرَاهِيمُ ابْنُ النَّبِيِّ ﷺ؟ قُلْتُ: لَا جَرَمَ أَنَّهُ لَمْ يُعَمَّرْ مِنْ أَجَلِهِ . قَالَ: فَأَبْرَاهِيمُ الْإِمَامُ؟ قُلْتُ بِحَرْفَةٍ^(٣) أَسْمَهُ قَتَلَهُ مَرْوَانُ فِي حَرَّانَ^(٤) . وَأَزِيدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ خُلِعَ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ قُتِلَ ، وَعُثَّةُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَسَنٍ سَقَطَ عَلَيْهِ السَّجَنُ فَمَاتَ ، وَمَا رَأَيْتُ وَاللَّهِ أَحَدًا يُسَمَّى / بِهَذَا الْاسْمِ إِلَّا قُتِلَ أَوْ نُكِبَ أَوْ رَأَيْتُهُ مُضْرُوبًا أَوْ مَقْدُوفًا أَوْ مَظْلُومًا . ثُمَّ مَا انْقَضَى الْكَلَامُ حَتَّى سَمِعْتُ مَلَأَحًا يَصِيحُ بِآخِرِ: مُدَّ يَا إِبْرَاهِيمُ يَا عَاضٌ بَظَرَ أُمِّهِ مُدَّ . فَقُلْتُ لَهُ: أَبَيْتِي لَكَ شَيْءٌ بَعْدَ هَذَا! لَيْسَ وَاللَّهِ فِي الدُّنْيَا أَسْمُ أَشْأَمَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَالسَّلَامِ . فَضَحِكَ وَاللَّهِ حَتَّى أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ .

غنى المأمون لحناً عرض فيه بالحسن بن سهل:

حدثني جَحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَشَامِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

دَخَلَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ عَلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ يَشْرَبُ؛ فَقَالَ لَهُ: بِحَيَاتِي وَبِحَقِّي عَلَيْكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِلَّا شَرِبْتَ مَعِيَ قَدَحًا، وَصَبَّ لَهُ مِنْ نَبِيذِهِ قَدَحًا. فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ لَهُ: مَنْ تُحِبُّ أَنْ يَغْنِيَكَ؟ فَأَوْمَأَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: غَنَّهُ يَا عَمَّ، فَغَنَّا:

* تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَسَوَاسًا إِذَا أَنْصَرَفَتْ *

يَعْرُضُ بِهِ لِمَا كَانَ لِحَقِّهِ مِنَ السُّودَاءِ وَالِاخْتِلَاطِ . فَغَضِبَ الْمَأْمُونُ حَتَّى ظَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ سَيُوقَعُ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَبَيْتَ إِلَّا كُفْرًا يَا أَكْفَرَ خَلْقِ اللَّهِ لِنِعْمِهِ! وَاللَّهِ مَا حَقَّنَ دَمَكَ غَيْرُهُ! وَلَقَدْ أَرَدْتُ قَتْلَكَ فَقَالَ لِي: إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ فَعَلْتَ فَعَلًا لَمْ يَسْبِقْكَ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَعَفَوْتُ وَاللَّهِ عَنْكَ لِقَوْلِهِ . أَفَحَقُّهُ أَنْ تَعْرُضَ بِهِ وَلَا تَدَّعِ كَيْدَكَ وَلَا دَغْلَكَ! أَوْ أَنْفَتَ مِنْ إِيْمَانِهِ إِلَيْكَ بِالْغِنَاءِ! . فَوَثَبَ إِبْرَاهِيمُ قَائِمًا وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ أَذْهَبْ حَيْثُ ظَنَنْتَ ، وَلَسْتُ بِعَائِدٍ؛ فَأَعْرَضَ عَنْهُ .

(١) في ب ، س : «جعفر بن محمد بن قدامة» . وقد تقدم هذا الاسم في رجال السند غير مرة .

(٢) ظاهر من السياق أنها موضع .

(٣) كذا في الأصول وهو تحريف والمعنى المراد واضح إذ هو يريد بشؤم اسمه أو نحو ذلك .

(٤) في بعض الأصول هكذا: «في جراب النورة» وفي بعضها: «في حراب النورة» وكلاهما تحريف . والمذكور في كتب التاريخ: أن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس القائم بالدعوة العباسية قتل مروان بن محمد وهو في سجنه بحران ، وقيل: إنه مات بالطاعون فيه ، وقيل: إنه مات مسموماً . وحران مدينة عظيمة وهي قصبة ديار مصر على طريق الموصل والشام والروم . (انظر «تاريخ الطبري» ق ٣ ص ٢٤ - ٢٧ «ومعجم البلدان» لياقوت في الكلام على «حران») .

غنى للمعتصم لحناً وسمعه أحمد بن أبي دواد فعال للغناء بعد أن كان يتجنبه :

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني جرير بن أحمد بن أبي دواد قال حدثني أخي عن أبي قال :

كنت أتجنب الغناء وأطعن على أهله وأذم لهم به؛ فوجه المعتصم إلي عند خروجه من مدينة السلام: الحق بي؛ فلحقت به بباب الشماسية ومعني غلامي زنقة، فوجدته قد ركب الزورق، وسمعت عنده صوتاً أذهلني حتى سقط سوطي / من يدي ولم أشعر به، ثم أحتجت وقد أغتق بي برذوني أن أكفّه بسوطي. فقلت [١٣٣/١٠] لغلامي: هات سوطك؛ فقال: سقط والله من يدي لما سمعت هذا الغناء. فغلبني الضحك حتى بان في وجهي. ودخلت إلى المعتصم بتلك الحال. فلما رأي قال لي: ما يضحكك يا أبا عبدالله؟ فحدثته، فقال: أنتوب الآن من الطعن علينا في السماع؟ فقلت له: قبل ذلك من كان يغنيك؟ قال: عمي إبراهيم، كان يغنيني:

إن هذا الطويل من آل حفص أنشر المجد بعدما كان ماتا

ثم قال: أعذه يا عم ليسمعه أبو عبدالله فإني أعلم أنه لا يدع مذهبه. فقلت: بلى والله لأدعته / في هذا ولا ١٩ لمتك عليه. فقال: أما إذ^(١) كانت توبته على يديك يا عم فلقد فزت بفخرها وعدلت برجل ضخم عن رأيه إلى شأننا.



فضله مخارق على نفسه وعلى إبراهيم الموصلي وابن جامع:

حدثني أحمد بن عبيدالله بن عمار قال حدثني طلحة بن عبدالله الطلحي قال حدثني الحسين بن إبراهيم^(٢) قال:

كنت أسأل مخارقاً: أي الناس أحسن غناء؟ فبجيني جواباً مجملًا حتى حققت^(٣) عليه يوماً قال: كان إبراهيم الموصلي أحسن غناء من ابن جامع بعشر طبقات، وأنا أحسن غناء من إبراهيم الموصلي بعشر طبقات، وإبراهيم بن المهدي أحسن غناء مني بعشر طبقات. قال ثم قال لي: أحسن الناس غناءً أحسنهم صوتاً، وإبراهيم بن المهدي أحسن الجن والإنس والوحش والطير صوتاً، وحسبك هذا.

سمع إسحاق الموصلي صوتاً من لحنه وشعره فطرب له واستعاده عامة يومه وقصة ذلك:

حدثني علي بن هارون المنتجم قال حدثني محمد بن أحمد بن علي بن يحيى قال سمعت جدي علي بن يحيى يقول حدثني محمد بن الفضل الجرجاني^(٤) قال:

/ انتهت يوماً مُغلساً، فدخل إلي الغلام فقال لي: إسحاق الموصلي بالباب قبل أن أصلي الغداة. فقلت: [١٣٤/١٠] يدخل، في الدنيا إنسان يستأذن لإسحاق! فدخل فقال: حملني الشوق إليك على أن بكرت هذا البكور، وقد حملت معي نبيذي وعملت على المقام عندك. فقلت: مرحباً بك وأهلاً. ودعوت طبأخي فسألته عما في

(١) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «إذا» وهو تحريف.

(٢) في ب، س: «الحسين بن إبراهيم بن رباح» وورد في الأصول المخطوطة كما أثبتناه.

(٣) يقال حفه القوم وبه وحواليه إذا أحذقوا به وأطافوا وعكفوا، فلعله يريد هنا حتى أحذقت به مضيفاً عليه بالجواب.

(٤) كذا في الطبري (ق ٣ ص ١٣٧٩، ١٤٠٧، ١٥١٤) وفي الأصول: «الجرجاني» وهو تحريف.

المطبخ، فذكر أشياء يسيرة، منها قطعة جُذِي وطَبَاهِجٌ^(١) ودُرَّاجٌ معلق. فقال: ما أريد غير ذلك، هاته الساعة. فقلت للطباخ: عَجِّل بإحضاره، وعملتُ على الأكل معه وعلى أن نأخذ في شأننا. فدخل حاجبي فقال: رسول الأمير إسحاق^(٢) بن إبراهيم بالباب، وإذا فُرَانِقٌ يذكر أنه وجَّه به إلى محمد بن الفضل ليُحضِّره. قال فقال لي إسحاق: قم في حفظ الله وأجتهِد في أن تتعَجَّل. قال: فتقدَّمت إلى الخادم بإخراج الجواري إليه وَوَضَعُ التَّيِّذِ بين يديه، ولبستُ ثيابي وخرجت وركبت. فلَمَّا سِرْتُ قليلاً قلت في نفسي: أنا أخسرُّ النَّاسَ صفقةً إن تركتُ إسحاق بن إبراهيم الموصلي في منزلي ومضيتُ إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبي، ولا أدري ما يُريد مِنِّي. فقلت لفُرَانِقٍ: هل لك في خير؟ قال: وما هو؟ قلت: تأخذ ثلاثين درهماً وتمضي فتقول: إنك وجدتنِي شاربَ دواء. قال نعم. فدفعْتُ إليه ثلاثين درهماً، وختمتُ له ختماً ورجعت. فقال لي إسحاق: أسرعَ الكُرةَ، فأخبرته بما صَنَعْتُ؛ فقال وَفَّقْتُ. فجلست وكان يأكل فأكلت معه، فأخذنا في شأننا. وخرج الجواري إليه فغَنَّين حتى مرَّ صوت إبراهيم بن المهدي في شعره وهو:

جَدَّدَ الْحَبُّ بِلَايَا أَمْرُهُا لَيْسَ يَسِيرَا

[١٣٥/١٠] / - ولحنه من الثَّقِيلِ الثاني - قال: فطرب إسحاق طرباً ما رأيته طرب مثله قط، وعجب من إحسانه في صَنَعته وجودة قسمته، ولم يزل صوتنا يومنا أجمع لا نغني غيره حتى شرب إسحاق قَطَرٌ مِيزَةٍ^(٣)، وفيه من المشمس^(٤) الذي كان يشربه ثلاثة عشر رطلاً، وكلَّما حضرت صلاةً قام إسحاق يصلي بنا، فصلَّى بنا العَتَمَةَ وقد فَنِّي قَطَرٌ مِيزُهُ فشرب من نبيذ رطلين على الصوت. قال: وكان محمد بن الفضل ينزل بسوقِ الثلاثاء وإسحاق ينزل على نهر المهدي. وقد وُزِّرَ محمد بن الفضل للمتوكِّل قبل عبيد الله بن يحيى.

/ نسبة هذه الروايات

٧٠
٩

جَدَّدَ الْحَبُّ بِلَايَا أَمْرُهُا لَيْسَ يَسِيرَا
كَبِيرَ الْحَبِّ وَقَدْ مَاءً كَانَ إِذْ حَلَّ صَغِيرَا
ذَلَّ^(٥) الْحَبُّ رِقَاباً كَانَ أَدْنَاهَا عِيرَا
لَيْسَ لِي مِنْ حَبِّ الْفَقِي غَيْرُ حَرْمَانِي السَّرُورَا

الشَّعْرُ وَالْغِنَاءُ لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل.

أحب جارية عند بعض أهله وقال فيها شعراً:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولِي قال حدَّثني محمد بن موسى بن حمَّاد قال حدَّثني عبد الوهاب بن محمد بن عيسى قال:

(١) الطباخ: الكباب. (فارسي معرب). والدراج: ضرب من الطير يطلق على الذكر والأنثى.
(٢) هو إسحاق بن إبراهيم المصعبي حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والواثق، وهو من أرباب المكانة العالية في الرواية والأدب ونقد الغناء. (انظر الحاشية رقم ١ من كتاب «التاج» للجاحظ ص ٣١).
(٣) القطرميز: قلة كبيرة من الزجاج، فارسي معرب.
(٤) كذا في ج. ولعله يعني به نبيذاً من الأنبذة صنع في الشمس. وفي أ، م: «المشمشي». وفي ب، س: «المشمش».
(٥) في أ، م: «ملك».

استتر إبراهيم بن المهدي عند بعض أهله من النساء، فوكلت بخدمته جارية جميلة وقالت همساً: إن أرادك شيء فطأو عليه وأعلميه ذلك حتى يتسع له، فكانت توفيه حقه في الخدمة والإعظام ولا تعلمه بما قالت لها؛ فجل مقدارها في نفسه إلى أن قبل يوماً يدها، فقبلت الأرض بين يديه. فقال:

يَا غَزَالاً لِي إِلَيْهِ شَافِعٌ مِنْ مُقَلَّتِيهِ
/ وَالَّذِي أَجَلَلْتُ خَدَّ يُنْهَ فَقَبَّلْتُ يَدَيْهِ
بِأَبِي وَجْهَكَ مَا أَك شَرُّ حُسَّادِي عَلَيْهِ
أَنَا ضَيْفٌ وَجَزَاءُ الضَّ يَفِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ

[١٣٦/١٠]

قال: وعمل فيه بعد ذلك لحناً في طريقة الهزج.

غنى للمأمون بشعر له وكان يخشى بطشه فرق له وأمنه:

وقال أحمد بن أبي طاهر:

غنى إبراهيم بن المهدي يوماً والمأمون مضطج، وقد كان خافه وبلغه عنه تنكره:

ذَهَبْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبْتُ مَنِّي هَوَى الدَّهْرِ بِي عَنْهَا وَوَلَّى بِهَا عَنِّي

فرَّق له المأمون لما سمعه، وقال له: والله لا تذهب نفسك يا إبراهيم على يد أمير المؤمنين، فطبت نفسك؛ فإن الله قد أمّنك إلا أن تحدث حدثاً يشهد عليك فيه عدل، وأرجو ألا يكون منك حدث إن شاء الله.

نسبة هذا الصوت

صوت

ذَهَبْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبْتُ مَنِّي هَوَى الدَّهْرِ بِي عَنْهَا وَوَلَّى بِهَا عَنِّي

فَإِنْ أَبْكَ نَفْسِي أَبْكَ نَفْساً نَفِيسَةً وَإِنْ أَخَسِبَهَا أَخَسِبَهَا عَلَى ضَنْ

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقل بالوسطى. وهذا الشعر قاله إبراهيم بن المهدي لما أخرج الجند عيسى^(١) بن محمد ابن أخي خالد من الحبس، وله في ذلك خبر طويل، وقد شرطنا ألا نذكر من أخباره إلا ما كان من جنس الغناء.

وفي هذه القصيدة يقول:

/ وَأَفْلَتَنِي عَيْسَى وَكَانَتْ خَدِيعَةً حَلَلْتُ بِهَا مُلْكِي وَقُلْتُ بِهَا سِنِي

[١٣٧/١٠]

قال ابن أبي طاهر وحدثني أبو بكر بن الخصيب قال حدثني محمد بن إبراهيم قال:

غنى إبراهيم بن المهدي يوماً عند المأمون فأحسن، وبحضرة المأمون كاتب لظاهر يكتي أبا زيد، فطرب

(١) كان من القواد، وقد ناصر إبراهيم بن المهدي في وثوبه على الخلافة، وكان من وجوه شيعة ثم غضب عليه وأمر بضربه وجسه لخيانة ظهرت منه. (انظر «تاريخ الطبري» ج ٣ ص ١٠٠٢، ١٠٠٤، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠١١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٣٠ - ١٠٣٤).

٧١/٩ حتى وثب فأخذ طرف ثوب إبراهيم فقبّله. فنظر إليه المأمون مُنْكَرًا لفعله. فقال / ما تنظرا أقبّله والله ولو قُتِلْتُ عليه! فتبسّم المأمون وقال: أبيتَ إلا ظرفاً.

أراد الحسن بن سهل أن يضع منه فعرض هو به:

قال ابن أبي طاهر وحدثني عليّ بن محمد قال سمعتُ بعض أصحابنا يقول:

اجتمع إبراهيم بن المهديّ والحسن بن سهل عند المأمون؛ فأراد الحسن أن يضع^(١) من إبراهيم فقال له: يا أبا إسحاق أيّ صوت تغنيّه العرب أحسن؟ يريد بذلك أن يُشهر إبراهيم بالغناء والعلم به. فقال إبراهيم: بيت الأعرابي:

* تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَنَوَاسٍ إِذَا أَنْصَرَفَتْ *

أي إنك مؤسوس، وكان بالحسن شيء من هذا.

غنت مغنية بحضرته فداعبها:

أخبرني عمّي عن جدّي عن عليّ بن يحيى المنجّم قال:

غنت مُغْنِيَةً وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ حَاضِرًا:

* مَنْ رَأَى نُوقًا غَدَتْ سَحَرًا *

فقال إبراهيم: أنا رأيتُ هذا. قيل له: وأين رأيته أيها الأمير؟ قال: رأيتُ ولد عليّ بن ربيعة يَمْضُونَ فِي السَّحَرِ إِلَى الصَّيْدِ.

مركز توثيق مكتبة جامعة القاهرة

سمعته رومية أعجمية فبكت تأثراً من صوته:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني الحسن بن عَلِيْلِ الْعَنْزِيّ قال حدثني بعضُ الكتاب عن رِيْقٍ قالت:

[١٣٨/١٠] / خرجتُ يوماً إلى سيدي (تعني إبراهيم بن المهديّ) وقد صنع لحنه في:

وَإِذَا تُبَاعَ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى فَسَوَاكَ بِأَنْعُمِهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرَى

وَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أَتَمَمْتَهَا بِيَدَيْنِ لَيْسَ نَدَاهُمَا بِمُكْدَرٍ

وجارية لنا رومية أعجمية لا تُفصح في أقصى الدار تكس، وهو يطرح الصوت على شارية، والأعجمية تبكي أحرّاً بكاء سمعته قط، فجعلتُ أعجب من بكائها وأنظر إليها حتى سكّت، فلما سكّت قطعَتِ البكاء، فعلمتُ أنّ هذا من غلبته بحسن صوته لكلّ طبع فصيح وأعجمي.

غنى الأمين صوتاً فأجازه:

أخبرني الحسين بن يحيى وابن المكيّ وابن أبي الأزرع عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

غنى إبراهيم بن المهديّ ليلةً محمداً الأمين صوتاً لم أرْضه في شعر لأبي نُوَاسٍ وهو:

يَا كَثِيرَ النَّوْحِ فِي الدُّمْنِ لَا عَلَيْهَا بَلْ عَلَى السَّكَنِ

سُنَّةُ الْعُشَّاقِ وَاحِدَةٌ فَلِذَا أَحْيَيْتَ فَاسْتَكِنِ

ظَنَّ بِي مِنْ قَدْ كَلَّفْتُ بِهِ فَهُوَ يَجْفُونِي عَلَى الظَّنِّ
رَشَاءُ لَوْلَا مَلَأْتُهُ خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفَتَنِ

فأمر له بثلاثمائة ألف درهم^(١). قال إسحاق فقال إبراهيم له: يا أمير المؤمنين قد أجزتني إلى هذه الغاية بعشرين ألف^(٢) درهم، فقال: هل هي إلا خراج بعض الكُور! هكذا ذكر إسحاق. وقد روى محمد بن الحارث بن بُسْخَر هذه الحكاية عن إبراهيم فقال: لما أردت الانصراف قال: أوقروا زورق عمي دنائير، فأنصرفت بمال جليل.

كان يحسن الإيقاع على الطبل والناي:

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون قال ذكر لي أبو عبدالله الهشامي عن أهله قال قال إبراهيم بن المهدي - وقد خرج إلى ذكر الطبل والإيقاع به - فقال إبراهيم:

/ هو من الآلات التي لا يجوز أن تبلغ نهايتها. فقل له: وكيف خصَّ الطبل بذلك؟ فقال: لأن عمل [١٣٩/١٠] اليدين فيه عمل واحد، ولا بد من أن يلجأ اليسار فيه نقص عن اليمين، ودعا بالطبل ليرينا كيف ذلك فأوقع إيقاعاً لم نكن نظن أن مثله يكون، وهو مع ذلك يرينا موضع زيادة اليمين على اليسار. قال وقال له الأمين في بعض خلواته: يا عم أشتهي أن أراك تزمر. فقال: يا أمير المؤمنين، ما وضعت على فمي نايًا قط ولا / أضعه، $\frac{٧٢}{٩}$ ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة - من موالي المهدي - حتى تنفج في الناي وأمر يدي عليه. فأحضرت ووضعت الناي على فيها وأمسكه إبراهيم، فكلما مرَّ الهواء أمر أصابعه، فأجمع سائر من حضر أن لم يسمع مثله قط. حسن ترجمته في لحن:

وأخبرني أبو الحسن علي بن هارون أيضاً قال حدثني أبي قال حدثني عبيدالله بن عبدالله وأبو عبدالله الهشامي قالا:

كان إبراهيم بن المهدي إذا غنى لحنه:

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا بِأَكْفَكُمْ أَوْ تَسْثَرُونَ هَلَالَهَا
فبلغ إلى قوله:

* جبريل بلغها النبي فقالها *

هَزَّ خَلْقَهُ فِيهِ وَرَجَّعَهُ تَرْجِيعاً تَنْزِلُ مِنْهُ الْأَرْضُ.

غنت متيم الهشامية لحناً فاختلف إيقاعه منها:

أخبرني محمد بن إبراهيم قرئض قال حدثني عبدالله بن المعتز قال حدثني الهشامي قال:

كانت متيم الهشامية ذات يوم جالسة بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضراً، فتغنت متيم في الثقل الأول:

(١) في ب، س: «دينار».

(٢) في ب، س: بعشرين ألف ألف درهم هل هي إلخ».

* لزَيْنَب طَيْفٌ تَغْتَرِينِي طَوَارِقُهُ *

[١٤٠/١٠] / فأشار إليها إبراهيم أن تُعيدَه. فقالت مَتِيمٌ للمعتصم: يا سيدي إن إبراهيم يَسْتَعِيدُنِي الصوتَ وأظنّه يريد أن يأخذه. فقال لها: لا تُعيدِه. فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً بمجلس المعتصم وكانت مَتِيمٌ غائبةً عنه، فأنصرف إبراهيم بالليل إلى منزله ومَتِيمٌ في منزلها بالميدان وطريقه عليها وهي في مَنظَرَةٍ لها مُشْرِفَةٌ على الطريق وهي تَطْرَحُ هذا الصوتَ على بعض جَواري بني هاشم، فتقدّم إلى المَنظرة على دابته وتطاوَل حتى أخذ الصوتَ، ثم ضرب بابَ المَنظرة بِمِقْرَعَتِهِ وقال: قد أخذناه بلا حَمْدِكَ.

نسبة هذا الصوت

لَزَيْنَب طَيْفٌ تَغْتَرِينِي طَوَارِقُهُ هُدُوءاً إِذَا النَّجْمُ أَرْجَحَتْ^(١) لَوَاحِقُهُ
سَيِّبُكَ مِرْنَانُ^(٢) الْعَشِيِّ يُجِيئُهُ لَطِيفُ بَنَانِ الْكَفِّ دُرْمٌ^(٣) مَرَاقِقُهُ
إِذَا مَا بِسَاطِ اللَّهْرِ مُدَّ وَقُرْبَتْ لِلذَّاتِ أَنْمَاطُهُ وَنَمَارِقُهُ^(٤)

الشعر للثُمَيْرِيِّ. والغناء لمعبد، ولحنه من القَدَرِ الأوسط من الثَّقِيلِ الأول بالنصر في مجراها عن إسحاق. وفيه لمالك خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالنصر عن يونس والهشاميين. برهان محمد بن موسى المنجم على أنه أحسن الناس غناء: أخبرني علي بن هارون قال حَدَّثَنِي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال:

كان محمد بن موسى المُنَجِّمُ يقول: حَكَمْتُ أَنَّ إبراهيم بن المهدي أحسنُ الناسُ كلَّهم غناءً ببرهان، وذلك أَنِّي كُنْتُ أَرَاهُ بِمَجَالِسِ الْخُلَفَاءِ مِثْلَ الْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ يَغْنِي الْمَغْنُونُ وَيَغْنِي، فَإِذَا أَبْتَدَأَ الصَّوْتُ لَمْ يَبْقَ مِنْ الْغِلْمَانِ وَالْمُتَصَرِّفِينَ فِي الْخِدْمَةِ وَأَصْحَابِ الصَّنَاعَاتِ وَالْمِهْنِ الصُّغَارِ وَالْكِبَارِ أَحَدٌ إِلَّا تَرَكَ مَا فِي يَدِهِ وَقَرَّبَ مِنْ أَقْرَبِ مَوْضِعٍ يُمْكِنُ أَنْ يَسْمَعَهُ، فَلَا يَزَالُ مُضْغِيًّا إِلَيْهِ لَاهِيًّا عَمَّا كَانَ فِيهِ مَا دَامَ يُغْنِي، حَتَّى إِذَا أَمْسَكَ وَتَغَنَّى غَيْرُهُ رَجَعُوا إِلَى التَّشَاغُلِ بِمَا كَانُوا فِيهِ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى مَا يَسْمَعُونَ. / ولا برهان أقوى من هذا في مثل هذا من شهادة الْفِطْنِ لَهُ وَاتِّفَاقِ الطَّبَائِعِ - مع اختلافها وَتَشَعُّبِ طُرُقِهَا - عَلَى الْمِيلِ إِلَيْهِ وَالانْقِيَادَ لَهُ.

كانت له أشياء لم يكن لأحد مثلها:

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ جَحْظَةً قَالَ حَدَّثَنِي هَبَةُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِّيِّ قَالَ:

قُلْتُ لِلْمُعْتَصِمِ: كَانَتْ لِأَبِي أَشْيَاءَ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ / مِثْلُهَا. فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ قُلْتُ: شَارِيَةٌ وَزَامِرُتُهَا مَعْمَعَةٌ. فَقَالَ: أَمَّا شَارِيَةٌ فَعِنْدُنَا، فَمَا فَعَلْتَ الزَّامِرَةَ؟ قُلْتُ: مَاتَتْ. قَالَ: وَمَاذَا؟ قُلْتُ: وَسَاقِيَّتُهُ مَكْنُونَةٌ، وَلَمْ يُرَ أَحْسَنُ وَجْهًا وَلَا أَلْيَنُ وَلَا أَظْرَفُ مِنْهَا. قَالَ: فَمَا فَعَلْتَ؟ قُلْتُ: مَاتَتْ. قَالَ: وَمَاذَا؟ قُلْتُ: نَخْلَةٌ كَانَتْ تَحْمِلُ رُطْبًا طَوِيلَ الرُّطْبَةِ

(١) أرجحن النجم: مال نحو المغرب.

(٢) المرنان: الكثير الرنين، ويقال: سحابة مرنان وقوس مرنان، أي كثيرة الرنين. والمراد هنا: آلة الطرب.

(٣) درم: جمع أدرم وهو من لا حجم لعظامه.

(٤) نسب هذا البيت في «الكامل» للمبرد ص ٧٠٨ طبع أوربا لنصيب.

منها شبر. قال: فما فعلت؟ قلت: جَمَرْتُهَا^(١) بعد وفاته. قال: وماذا؟ قلت: قَدَحُهُ الصُّخْرَاح. قال: وما فعل؟ قلت: الساعةَ وألله حَجَمَنِي فيه أبو حَرَمَلَة فسألته أن يَهَبَ لي ففعل، ووجهْتُ به إلى منزلي فغَسِلَ ونُظِّفَ وأُعيد إلى خزانتي، فرأيتُ أبي فيما يرى النائم في ليلتي تلك وهو يقول لي:

أَيْتَرُعْ صُخْرَاحِي دِمَاءَ بَعْدَمَا غَدَتْ عَلَيَّ بِهِ مَكْنُونَةٌ مُتْرَعًا خَمْرًا
فَإِنْ كُنْتَ مَنِّي أَوْ تَحَبَّ مَسَرَّتِي فَلَا تُغْفَلَنَّ قَبْلَ الصَّبَاحِ لَهُ كُشْرًا
فَأَنْتَبَهُتُ فَرِعًا وَمَا فَرَّقَ^(٢) الصَّبْحُ حَتَّى كَسَرْتُهُ.

كتب إليه إسحاق الموصلي فأجابه:

فَأَمَّا الْمُعَاظَةُ^(٣) التي كانت بينه وبين إسحاق فقد مضى في خبر إسحاق منها طَرَفٌ. ونذكرها هنا منها ما جرى مجرى محاسن إبراهيم والقيام بحجته إن كانت له، وعذره^(٤) فيما عيب عليه لأنه بذلك حقيق. فمن ذلك نسختُ من كتابِ أعطانيه أبو الفضل العباس بن أحمد بن ثَوَابَة رحمه الله بخطِ إسحاق في قِرْطَاسٍ - وأنا أعرف خطَّهُ - وجوابُ لإبراهيم بن المهدي في ظهره بخطِ ضعيف وأظنُّه خطُّه؛ لأنه لو كان خطُّ / كاتبٍ^(٥) لكان أجود [٤٢/١٠] من ذلك الخط، وقد ذهب أولُ الكتاب فذهب منه أولُ الابتداء والجواب، ونسختُ بقيته؛ فكان ما وجدته من ابتداء إسحاق:

وكنْتُ - جُعِلْتُ فِدَاكَ - كتبتُ في كتابك إلى محمد بن واضح تذكر أنك مولاي وسيدي^(٦). فمتى دفعتُ ذلك! وهل لي فخرٌ غيره! أو لأحدٍ عليّ وعلى أبي رحمه الله من قبلي نعمةٌ سواكم! وأحبُّ^(٧) ذلك أن يكون، وأرجو أن أموت قبل أن يَبْتَلِيَنِي اللهُ بذلك إن شاء الله. فأما ذِكْرُكَ - جُعِلْتُ فِدَاكَ - الصَّنَاعَةَ فقد أجلَّ اللهُ قدرَكَ عن الحاجة إلى دفعها والاعتذار عنها. وأما أنا المسكينُ فأنت تعلم أنني لم أَتَّخِذْ ما نحن فيه صنَاعَةً قط، وأنِّي لم أَرِذْهَا إِلَّا لَكُمْ شكرًا لنعمتكم وحبًّا للقرب منكم وإليكم. فليس ينبغي أن يعيبي ذلك عندكم، ولا يجوز لأحدٍ أن يعيبي به إذ كان لكم. وقد علمتُ أنك لم تضعني من علويه ومُخَارِقِ بحيث وضعتني إلا لَغَضَبٍ أَخَوَجَكَ إلى ذلك، وإلا فأنت تعلم أنهما لو كانا مملوكَيْنِ لي لآثرتُ تعجيلَ الرَّاحَةِ منهما بعثتهما أو تَخْلِيَةِ سبيلهما على ثمنٍ أصيبه ببيعهما أو حَمْدٍ أَكْتَسَبَهُ بثنهما، فكيف أظنُّ أنني عندك مثلهما، أو أنك تَقْرُنِي^(٨) إليهما وتذكرني معهما! أو تلومني الآن على أن أخرس فلا أنطق بحرف، وأن أفرَّ من الغناء فِرَارَكَ من الخطأ فيه، وأمتعض منه أمتعضك ممن يُخفي عليك شيئاً من علومه! كيف ترى - جُعِلْتُ فِدَاكَ - الآن سبَابِي وأنت ترى أن أحداً لا

(١) جمر النخلة: قطع جمارها.

(٢) فرق الصبح: تبين واتضح.

(٣) المعاظة: المخاصمة والمنازعة.

(٤) في الأصول: «وعذر» من غير هاء الضمير.

(٥) كذا في ب، س. وفي سائر النسخ: «كتابه».

(٦) كذا في أ، م. وفي سائر النسخ: «مولي وسيد».

(٧) كذا في الأصول ولعل صوابه: «ولا أحب ذلك أن يكون إلخ».

(٨) في الأصول: «تقربني» وهو تحريف.

يحسن^(١) السَّبَّ غيرُك! . قد أحدثت لي - جعلتُ فداءك - أدباً وزِدْتَنِي بصيرةً فيما أَحْبَبْتُ من تَرْكِ الكلام فيه. فإن ظننت أن هذا فرارٌ من الحجَّةِ وتَعْرِيدٌ^(٢) عن المناظرة، كما قلتُ، فقد ظفرت وصرت إلى ما أحببت؛ وإلا فإنه لا ينبغي للحر أن يتلهَّى بما لا تقوم لذَّته بمعرَّته، / ولا لعاقِل أن يبدل ما عنده لمن لا يَحْمَدُه، ولعلَّه لا ٧٤/١ يَقلُّبُ العينَ فيه حتى يلحقَه ما يكره منه. وأما ما قاله أبي - رحمه الله - من أنه لم يزل يتمنَّى أن يرى من / سادته مَنْ يعرف قَدْرَه حقَّ معرفته ويبلغ علمُه بهذه الصناعة الغاية العظمى حتى رآك، فقد صدق، ما زال يتمنَّى ذلك وما زلتُ أتمنَّاه. فهل رأيت - جُعِلْتُ فداءك - حظِّي^(٣) منه إلا بأن ساويت به^(٤) من لم يكن يساوي شِئْنَه، ولعلك لا ترضى في بعض القوم حتى تفضله عليه، لا تنفعه عندك معرفة به، ولا رعاية لطول الصُّحبة والخِدمة، ولا حفظُ لآثارٍ محمودَةٍ باقيةً نذكرها ونحتجُّ بها. ثم ها أنا من بعده تَصَعُّني بالموضع الذي تضعني به، وتنسبني إلى ما تنسبني إليه؛ لأنِّي تَوَخَّيْتُ الصوابَ واجتهدتُ في البذلِّ والمناصحة، لا يدفعك عني حِفْظُ لِسَافٍ، ولا صيانةٌ لِحَلْفٍ، ولا استدامةٌ لقديم ما نعلم، ولا مصانعةٌ لما تطلب، ولا ولاءٌ مما أكره أن أقوله^(٥). فما أرى - جُعِلْتُ فداءك - من معرفتك بما في أيدينا إلا تجرُّعَ الحَسراتِ، وتَطَلُّبَكَ لنا العَثراتِ، والله المستعان. كيف أصنع جُعِلْتُ فداءك! إن سكَّك لم تقبل ذلك مني، وإن صدَّقْتُ كَذْبَتِي، وإن كَذَبْتُ ظَفِرَتِ بي، وإن مَرَحْتُ لأُطربَكَ وأضحَكَ وأقْرَبْتُ من أُنْسِكَ وأَخَذْتُ بنصبي من كرمك غَضِبْتُ وسَيِّتُ، ولو كنتُ قريباً منك لَضَرَبْتُ! ولينك فعلتُ، فكان ذلك أيسرَ من غَضَبِكَ. ثم من أعظم المصائب عندي أمرك إِيَّاي أن أسأل محمد بن واضح عن قولٍ قلَّته فيَّ عند عمرو بن بَآنَةَ. فوالله - جُعِلْتُ فداءك - إني لأَبْشَعُ^(٦) بذكره فكيف أَحْبَبْتُ أن أذكره وأُذَكِّرَ له! . وإني لأرثي لك من النَّظَرِ إليه، وأعجَبُ من صبرك عليه، مع أني - أعوذ بالله من ذلك - لو رغبتُ في هذا منه ومن مثله لكفيتُك ونفسي ذلك بأن أكنُوه ثوبين، أو أهَبَ له دينارين، أو أقول له أحسنت في صوتين، حتى نبلي أكثر مما أردت لي أو أريده لنفسي. فالحمدُ لله الذي جعل / حظِّي منك هذا! ومثله غيرَ مستصْفِرٍ لشأنك ولا مستَقِلٍّ لقليل حسن رأيك. والله أسأل أن يطيل بقاءك، ويحسن جزاءك، ويجعلني فداءك. قد طال الكتاب، وكثر العتاب. وجملة ما عندي^(٧) من الإعظام والإجلال اللَّذَيْن لا أخاف أن أجعلهما عندك، والمحبة التي لا أمتنع منها ولا أعرف سواها، والسمع والطاعة في تسليم ما تحب تسليمه والإقرار بما أحببت أن أقرَّ به، وسأشهد على ذلك محمد بن واضح وأشهد لك به من أحببت وأودِّي الخَراج. ولكن لا بدَّ من فائدة وإلا أنكسر، فهات - جُعِلْتُ فداءك - وأوفِ وأستوفِ فإنك واجدٌ صحةً واستقامةً إن شاء الله. مدَّ الله في عمرك، وصبرني عليك، وقدمني قَبْلَكَ، وجعلني من كل سوء فداءك.

(١) كذا في الأصول.

(٢) التعرید: الفرار.

(٣) لعله: «حظه».

(٤) كذا في ج. وفي سائر الأصول «فيه» وهو تحريف.

(٥) كذا في الأصول.

(٦) بشع بالامر: ضاق به ذرعاً.

(٧) كذا في الأصول ولعلها: «وجملة ما عندي الإعظام والإجلال اللذان إلخ».

نسخة جواب إبراهيم بعدما ذهب منه

... وأية سلامة أقدر لك عليها إلا أسوقها إليك، أعطاني الله ما أحب من ذلك لك. فأما أن أتكلّم من ورائك بشيء تستقله متعمداً؛ فما أنا إذا بحر ولا كريم، معاذ الله من ذلك^(١). ولئن جمعني وإياك وعليّ بن هشام مجلس لأستشهدّه على أشياء لم أذكرها لك، ولم أكتب بها إليك، إجلالاً لقدر حالك عندي من اعتداد بمثل ذلك مني، وأنت عنه غافل، والله به عليم. وأما الرشوة^(٢) فأرجو أن تجيئك على ما تشتهي آتاك الله ما تحب فيما تحب وتكره وجعلك له شاكراً. وأما الفوائد التي وعدت ورودها علينا فإنّي لو اتق أنك لا تُفيديني شيئاً فأنظر فيه إلا وجدّني فيه فطناً أجيد تفتيشه وأعرف كُنْهه وأفيدك فيه وفيما استنبطت منه ما لا تجد عند نفسك / أكثر^(٣) منه، فأما غيرك فآلهاء المشور. ويا رأس المُشنعين^(٤) تقول إني عيّرتك بالصناعة ثم تحتج بحذقك في تحريف الأقوال واكتساب الحجج، لتفحم خصمك، وتعلي حجتك، / فكيف أعيبك بحاجتي إليك، وما أنا داخل فيه^(٥) معك! لا ولكني قلت لك: إني لست كفلان وفلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به ثقل عليك، إنما أنا رجل من مواليك متوسّل إليك بما يسرّك، أو كصاحب لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه، فليكن ذلك بالإنصاف وطلب الصواب أصبته أو أخطأته، لا بالحمية والأنفة والحيلة لتردّ الحق بالباطل. هذا معنى قلبي؛ وقد استشهدت عليك فيه أبا جعفر، وجاءني كتابك وهو عندي يشهد لي. والكتاب الذي هذا فيه بخطي عنده^(٦) لم يرّه عليّ، فتبّع ما فيه وخُذني به. فلعمري لئن كنت قرنتك بمن ذكرت لأعيبك بالتشبيه لك بهم ما عبث غير رأيي، ولا جهلت غير نفسي. ولست أعتذر من هذا لأنك تشهد لي بالحق فيه، وإنما تريد أن تخصمني^(٧) بلا حجة، فيكفيني علمك بما عندي، وإلا فأنت إذا بي أجهل مني بك. وقلت: «تذكرني معهما^(٨)» فقد ذكر الله النار مع الجنة، وموسى مع فرعون، وإبليس مع آدم، فلم يهنّ بذلك موسى ولا آدم ولا أكرم فرعون وإبليس، فأعفني من المغالطة لي والتحريف لقولي، وأستمع بي وأمتنعني بالمصادقة. فإن أنت لم تفعل بقيت واحداً مستوحشاً، ولم تجذّ غيري إن علم ما تعلم لم ينقصك، وإن علم أكثر منك لم يثبّك، وإن أفهمته كافاك، وإن استفهمته شفاك. لا والله ما أردت إلا ما ذكرته لك، ولا أحسبك ظننت في غير ذلك؛ لأنك لا تجهلني فأنا عندك غير جاهل. وواحدة هي لك دوني، والله ما كنت أبالي ألا أسمع من مخارق وعُلّويه شيئاً حتى أسمع بنعيمهما، ولا أراهما حتى أراهما ميّتين، وما في هذا غيرك والإعظام لك والإكرام. وذلك أنهما كانا لك غلامين فصيرتهما نذّين تقول فيهما ويقولان فيك، وإتّما هما صنيعتاك وخريجنا / تأديبك وإن كانا غير طائل. فلو أعرضت^(٩) عن أنتقاصهما ورفعتهما من قدرك عن الإفراط في عييهما، لكان ذلك أشبه بك وأجمل بمحلّك وخطرك ومكانك. وكذلك الذي ترثني له منه وصاحبه محمد بن الحارث، فوالله ما أحب لك في أدبك وفضلك ودينك ومحلّك أن تُشهر نفسك لهما بهذا ومثله، وأن ينتهي إليهما ذلك عنك. أقول يعلم الله في ذلك لا لهما^(١٠). وإن

(١) لعل إبراهيم يشير بهذا ونحوه إلى أشياء خاضة جرت بينه وبين إسحاق.

(٢) كذا في جـ وفي سائر الأصول: «المغنين».

(٣) في ب، س: «عندك لم ترده عليّ».

(٤) خصمه يخصمه (بكسر الصاد في المضارع): غلبه في الخصومة. وكسر عين الفعل في المضارع هنا شاذ في هذا الباب.

(٥) يريد مخارقاً وعُلّويه، كما سيأتي في السياق.

(٦) كذا في الأصول. ولعل صواب العبارة: «أقول - يعلم الله - ذلك لك لا لهما».

ذلك، لو صرّت إليه، لأجمل بك وأجلّ لقدرك وإن كنت لتتخوّلهما به. ولو أردت ذلك، وإن زهدت فيه، لم تضع نفسك ومحلّك مع غلمانٍ أحداثٍ يسطون ألسنتهم فيك بما بسطته منهم على نفسك، ولو لم تفعل لكنت أعظم في عيونهم من بعض مواليتهم الذين تولّوا متّهم. هذا رأيي لك بما هو أكبر لأمرك وأشبّه بمحلّك. والله ما غشيتك ولا أوطأتك عشواء، فأختر لنفسك ما رأيت. ولا والله لا سمعاً بهذا أبداً ولا بما قلته فيّ إلا بخزيّاً حتى يموتا، ولا أردت - يشهد الله - بهذا غيرك. وأمّا من ذكرت أنّي أسويه بأبي إسحاق رحمه الله وهو لا يساوي شيعه فإنك عنيّت ابن جامع. وأنت لا تدخل بيني وبين أبي إسحاق رضي الله عنه، ولا أظنك والله أشدّ حبّاً له مني، ولا كان لك أشدّ حبّاً منه لي، فقد تعلم كيف كان لي، ولكن لا أظلم ابن جامع كما تظلمه أنت / يا أظلم البشر. ولئن ضمنت أن تُصِفني لأكلمتك فيه بما لا تدفعه، ولكني لا أكلمك في شيء حتى أثقّ بهذه منك، وإلاّ وسعني من السكوت ما وسعك. ومن العجب الذي لم أر مثله والمكابرة التي لا يشبهها شيء أعتداؤك عليّ في التجزئة حيث^(١) تقول:

حَيِّـاً أُمُ يَغْمَـراً قَبْلَ شُحْطٍ مِّنَ النَّوَى

[١٤٧/١٠] / يا أخي وحبیب نفسي فأنظر كم في هذا من العيوب!! قولك: «ييا» ليكون مثل «شُحْطٍ» في الوزن، أيكون مثل هذا في الكلام! في الجزء الثاني «حَيِّ» حتى يكون مثل «قبل»، هل يكون مثل هذا! أو ليس في «ييا» المشددة أربع ياءات، وفي «حي» التي عطفّت بها ثلاث فتصير سبع ياءات، وإنما هي ثلاث في الأصل: الياء المشددة وياء الإثنين حيث^(٢) تقول «حييا!». والناس في هذا بيني وبينك بهائم، فمن استعدي عليك! ولو أنصفت لعلمت أنه لا يمكن في:

* حَيِّـاً أُمُ يَغْمَـراً *

غير ما جزأت أنا إلا بهذا الغلط الذي لا يحول من تحريك ساكنٍ تجعله أوّل الكلام فقد زدت قبله حرفاً، أو تسكين متحرك فتريد بعده حرفاً؛ كقولك «أم يعمرأ قابل شحطن» حيث جعلت قبل الباء ألفاً، وكقولك «أم يعمرن قبلاً» فزدت الألف لتسكت عليها لأن السكوت على متحرك لا يمكن. فأية حجة هذه! أو من يصبر لك على هذا! وإنما أردت أنا ما يجوز فجئتني بتجزئة واحدة، لا أريد غير ذلك منك. مالك يا أخي تنفس عليّ الصواب فيما لا نقيصة عليك فيه ولا عيب، ثم أتخذت تحمّدي إليك، بما قلت لك أن تسأل محمداً عن^(٣) قولي فيك بظهر الغيب. ذنباً بطبعك على الظلم والتحريف، حتى كاني أعلمتك أن أحداً تنقصك فحيمت لذلك، ولم يكن غير الردّ عليه. والله ما مثلي بمنّ بهذا، ولكني كنت إذا تحدّثت مع محمد خالياً كلمته بمثل ما أكلمك به من الردّ والجدل، فلما كان عندنا من يُحتشم كان كلامي بما يجب^(٤) أن أنكلم به من الإكرام والتقديم، فقال لي: أي شيء هذا الذي أرى؟ فقلت له: هذا كلام الحشمة وذلك كلام الأنس. فأردت بإعلامك هذا أن تعلم أنّي لا أريد بما أنازعك فيه شيئاً يزيغ عما تعرف مني، وأنّي أذكرك / بما يُشبهك في موضعه. فلو اتّقيت الله ووابقيت على الإخاء لما كنت تحرف هذا بشيء، وهو جميل أراضاه من نفسي، فتصيره قبيحاً تريد أن أعتذر إليك منه.

وأما أداء الخراج والإشهاد، فهذا شيء لم أطلبه منك، إنما أنت طلبته منّي ظالماً لي. وذلك لأنني لم أنازعك إلا منازعةً مناظرٍ يُحبُّ أن يعرف حسنَ فحْصه وثاقبَ نظره.

(١) في ج، ب، س: «حتى».

(٢) في ج، ب، س: «حتى».

(٣) في الأصول: «من».

(٤) في الأصول: «يجب».

وأما الرئاسة فقد جعلها الله لك على أهل هذا العمل، ولا رئاسة لي عليهم ولا لك علي؛ لأنني في العلم مناظر وفي العمل متلذذ. فلا تظلمني ولا نفسك لي.

ومن بعد فإني أحب أن تخبرني كيف أنت اليوم بعد. والله غممتني، لا غمك الله ولا غممني بك. ولو شئت أرسلت إلى يحيى بن خالد طبيب أخي عبيد الله فإنه رفيق مبارك عليم، وهو منك قريب في دار الرُّوم، أخذت برأيه ومن علاجه. وهب الله لك العافية ووهبها لي فيك برحمته.

وإنما ذكرت هذا الابتداء وجوابه على طولهما، وهما قليل من كثير من مكاتباتهما، لتعرف بهما طرفاً من مقدارهما في المنازعة والمجادلة، وأن إسحاق كان يريد من إبراهيم التواضع له والخنيوع برياسته ويتحامل عليه في بعض / الأوقات، وينحو إبراهيم نحو ما فعله به؛ لأن نفسه تأبى ما يريده إسحاق منه، فيستعمل معه من المباينة ^{٧٧}/_٩ مثل ما أستعمله، ويكونان في طرفين من الظلم يُبعد كل واحد منهما عن إنصاف صاحبه. وقد روى يوسف بن إبراهيم أخباراً فيما جرى بينهما - فوجدت كلامهما مرصوفاً رصف إبراهيم بن المهدي ومنظوماً نظم منطوقه - فيها تحامل على إسحاق شديداً، وحكايات ينسب من نقلها إلى جهل بصناعته كان إسحاق بعيداً من مثله، فعلمت أن إبراهيم عمل ذلك وألفه وأمر يوسف بنشره في الناس ليدور في أيديهم ذكر له يفضل به. وذلك بعيد وقوعه، ولن تُدفع الحقائق بالكاذيب، ولا يُزيل الخطأ الصواب، ولا الخطأ السداد. وكفى من نصح عن إسحاق بأن أغاني ^{١٤٩}/_{١٠} إبراهيم بن المهدي لا يكاد يعرف منها صوت ولا يزوي منها إلا اليسير، وأن كلامه في تجنيس الطرائق أطرح، وعمل على مذهب إسحاق، وأنقضى الصنع لإبراهيم بذلك مع أنقضاء مدته، كما يضمحل الباطل مع أهله. فعدلت عن ذكر تلك الأخبار؛ لا لأنها لم تقع إلي، ولكنها أخبار تبين فيها التحامل والحق، وتتضمن من السب لإسحاق والشتيم والتجهيل ما يعلم أنه لم يكن يقضي على مثله لأحد ولو خاف القتل ^(١)، فاستبردت ذلك وأطرحته، وأعتمدت من أخبار إبراهيم على الصحيح، وما جرى مجرى هذا الكتاب من خير مستحسن وحكاية ظريفة دون ما يجري مجرى التحامل؛ فقد مضى في صدر الكتاب من أخبارهما وإغصاص إسحاق إتياء بريقه وتجريعه أمر من الصبر ما ينبىء عن بطلان غيره.

وممن صنع من أولاد الخلفاء عليّة بنت المهدي، ولا أعلم أحداً منهم بعد إبراهيم أخيها كان يتقدمها. وكان يقال: ما أجمع في الجاهلية ولا الإسلام أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وعليّة أخته. وأخبارها تذكر بعد هذا تالية لما أذكره من غنائها. فمن صنعتها:

صوت

تضحك عمّا لو سقت منه شفاً	من أقحوان بكّ قُطر الندى
أغرّ يجلو عن غشا العين العشا	خلو بعيني كل كهل وفتى
إن فسّادي لا تسليه الرقى	لو كان عنها صاحباً لقد صحا

الشعر لأبي التّجّم العجلي. والغناء لعليّة بنت المهدي رمل بالوُسْطَى.

(١) في هذه الجملة غموض. ولعلها تصح على هذا الوجه «... ما يعلم أنه لم يكن يقضي بمثله على أحد ولو خاف القتل» أو نحو ذلك.

[١٥٠/١٠]

/ أخبار أبي النّجم ونسبه

أصله ونسبه، وهو في الطبقة الأولى من الرّجاز:

قال أبو عمرو الشّيباني: اسمه المُفَضَّل، وقال ابن الأعرابي: اسمه الفضل بن قُدّامة بن عُبَيْدالله بن عبدالله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إلياس بن عَوْف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عَجَلِ بن لُجَيْم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هَنْب بن أَفْصَى بن دُعْمَيّ بن جَدِيلَةَ بن أَسَد بن ربيعة بن نِزار. وهو من رُجَاز الإسلام الفُحول المُقدّمين وفي الطبقة الأولى منهم.

هو أبلغ في النّعت من العجاج:

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب الجُمَحِيّ إجازةً عن محمد بن سَلَام وذكر ذلك الأصمعيّ أيضاً قال قال أبو عمرو بن العَلَاء:

كان أبو النّجم أبلغ في النّعت من العجاج.

انتصف مع الرّجاز من الشعراء:

٧٨ / أخبرنا محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثني أبو أيّوب المَدِينِيّ قال حدّثني الفضل بن العباس الهاشمي عن أبي عُبَيْدة قال:

ما زالت الشعراء تُغْلِبُ^(١) حتى قال أبو النّجم:

* الحمد لله الوهُوبِ المُجَزِلِ *

وقال العجاج:

* قد جبرّ الدينَ الإلهُ فَجَبَرُ *

وقال رؤبة:

* وقاتم الأعماق خاوي المُخْتَرَقِ^(٢) *

فأنتصفوا منهم.

[١٥١/١٠] / أعظمه رؤية وقام له عن مكانه:

ووجدت في أخبار أبي النّجم عن أبي عمرو الشّيبانيّ قال:

(١) كذا في جـ. وفي سائر النسخ: «تقصّر بالرجاز حتى... إلخ».

(٢) المُخْتَرَق: الممر.

قال له فتیان من عجل: هذا رؤية بالمزبد^(١) يجلس فيسمع شعره ويُنشد الناس ويجتمع إليه فتیان من بني تمیم، فما يمنعك من ذلك؟ قال: أو تُحبون هذا؟ قالوا نعم. قال: فأتوني بعس^(٢) من نبذ فأتوه به، فشره ثم نهض وقال:

إذا أصطحبت أربعا عرفتني ثم تجشمت الذي جشمتني
فما رآه رؤية أعظمه وقام له عن مكانه وقال: هذا رَجَّاز العرب. وسألوه أن يُنشدهم فأنشدهم:

* الحمد لله الوهوب المجل *
وكان إذا أنشد أزيد ووحش بشيابه (أي رمى بها). وكان من أحسن الناس إنشادا. فلما فرغ منها قال رؤية:

هذه أم الرَجَز. ثم قال: يا أبا النجم، قد قربت مرعاها إذ جعلتها بين رجل وأبنة. يؤهم عليه رؤية أنه حيث قال:

تبَقَّلْتُ^(٣) من أول التَّبْـلِ بين رِمَاحي مالك ونَهْشَلِ

أنه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تمیم. فقال له أبو النجم: هيهات الكمر^(٤) تشابه. أي إني إنما أريد مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. ونهشل قبيلة من ربيعة وهؤلاء يرعون الصَّمان^(٥) / وعرض الدهناء. قال أبو عمرو: وكان سبب ذكر هاتين القبيلتين (يعني بني ٥٢/١٠ مالك ونهشل) أن دماء كانت بين بني دارم وبني نهشل وحروبا في بلادهم، فتحامى جميعهم الرعي فيما بين فلج^(٦) والصَّمان مخافة أن يُعروا^(٧) بشر حتى عفا^(٨) كلؤه وطال، فذكر أن بني عجل جاءت لِعِزِّها إلى ذلك الموضع فرعته ولم تخف من هذين الحيين، ففخر به أبو النجم. قال: ويدل على ذلك قول الفرزدق:

أترتع بالأحياء سعد بن مالك وقد قتلوا مثنى بظنة^(٩) واحد

فلم يئس بين الحي سعد بن مالك ولا نهشل إلا دماء الأساود^(١٠)

ترتيب الرجاز في رأي بعض الرواة:

وقال الأصمعي: قيل لبعض رواة العرب: من أرجز الناس؟ قال: بنو عجل ثم بنو سعد ثم بنو عجل ثم بنو سعد. (يريد الأغلب ثم العجاج ثم أبا النجم ثم رؤية).

(١) يعني مريد البصرة وهو من أشهر محالها، وكانت به سوق الإبل قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء.

(٢) العس: القدح الكبير.

(٣) تبقلت: خرجت لطلب البقل.

(٤) الكمر: جمع كمره، وهي رأس الذكر. يريد أن الرجال اختلطت عليك. وقد صار هذا مثلا، ولفظه «الكمر أشباه الكمر».

(٥) الصمان: أرض فيها غلظ وارتفاع، وفيها قيعان واسعة ورياض معشبة، وإذا أخصبت ربت العرب جميعا. وكان الصمان في قديم الدهر لبني حنظلة، والحزن لبني يربوع، والدهناء لجماعتهم، والصمان متاخم للدهناء والعرض: الوادي.

(٦) فلج: علم على عدة مواضع.

(٧) يعروا: يصابوا. وفي الأصول: «يفروا». بالغين المعجمة وهو تصحيف.

(٨) عفا: كثر.

(٩) الظنة: التهمة.

(١٠) الأساود: شخوص القتلى، وهو جمع الجمع للسواد؛ ومنه قول الأعشى:

تناهيتهم عنا وقد كان فيكم أساود صرعى لم يسود قتيلا

كان يتسرع إلى رؤية فيكفه عنه المسممي:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال عامر بن عبد الملك المسممي:

كان رؤية وأبو النجم يجتمعان عندي فأطلب لهما النبيذ، فكان أبو النجم يتسرع إلى رؤية حتى أكفّه عنه.

ناجز العجاج حتى هرب منه:

ونسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني قال حدثني بعض البصريين منهم أبو برزة المَرْتَدِيّ - قال وكان عالماً

راويّة - قال:

خرج العجاج متحفاً^(١) عليه جُبّة خَزْ وعمامة خَزْ على ناقة له قد أجاد رَحَلَهَا حتى وقف بالمِرْيَد والناس

مجتمعون، فأنشدهم قوله:

* قد جبرَ الدّينَ الإلهُ فَجَبَرَ *

/ فذكر فيها ربيعةً وهجاءم. فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو في بيته فقال له: أنت جالسٌ [١٥٣/١٠]

وهذا العجاج يهجونا بالمِرْيَد قد أجمع عليه الناس!! قال: صِف لي حاله وزِيّه الذي هو فيه، فوصف له. فقال:

٧٩ / أَبْغِنِي / جَمَلًا طَحَنًا قَدْ أَكْثَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْهِنَاءِ^(٢)، فجاء بالجمل إليه. فأخذ سراويلَ له فجعل إحدى رجليه فيها

وَاتَّزَرَ بِالْأُخْرَى وَرَكِبَ الْجَمَلَ وَدَفَعَ خَطَامَهُ إِلَى مَنْ يَقُودُهُ، فَأَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى الْمِرْيَدَ. فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْعَجَّاجِ قَالَ: أَخْلَعُ

خِطَامَهُ فَخَلَعَهُ، وَأَنشَد:

* تَذَكَّرَ الْقَلْبُ وَجَهْلًا مَا ذَكَرَ *

فجعل الجملُ يدنو من الناقة يتشمّمها ويتباعد عنه العجاج لئلا يُقْسِدَ ثيابه وَرَحَلَهُ بِالْقَطِرَانِ، حتى إذا بلغ

إلى قوله:

* شَيْطَانُهُ أَتَى وَشَيْطَانِي ذَكَرَ *

تعلّق الناس هذا البيت وهرب العجاج.

غلب الشعراء عند عبد الملك بن مروان أو سليمان بن عبد الملك وظفر منه بجارية:

ونسخت من كتاب أبي عمرو قال حدثني أبو الأزهر ابن بنت أبي النجم عن أبي النجم أنّه كان عند عبد الملك

بن مروان - ويقال عند سليمان بن عبد الملك - يوماً وعنده جماعة من الشعراء، وكان أبو النجم فيهم والفرزدقُ،

وجارية واقفة على رأس سليمان أو عبد الملك تذبّ عنه، فقال: من صَبَحَنِي بِقَصِيدَةٍ يَفْتَخِرُ فِيهَا وَصَدَقَ فِي فَخْرِهِ فَلَهُ

هَذِهِ الْجَارِيَةُ. فَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ قَالُوا: إِنَّ أَبَا النُّجُمِ يَغْلِبُنَا بِمَقْطَعَاتِهِ (يعنون بالرَّجَزَ)، قال: فَإِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا

قَصِيدَةً. فقال من ليلته قصيدته التي فخر فيها وهي:

* عَلِقَ الْهُوَى بِحِبَائِلِ الشَّعْثَاءِ *

/ ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشده، حتى إذا بلغ إلى قوله:

[١٥٤/١٠]

(١) متحفاً: متزيناً.

(٢) الهناء: القطران.

مِنَّا الَّذِي رَبَعَ^(١) الْجِيُوشَ لظَهْرِهِ عَشْرُونَ وَهُوَ يُعَدُّ فِي الْأَحْيَاءِ

فَقَالَ لَهُ عَبْدِ الْمَلِكِ: قِفْ، إِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ فِي هَذَا الْبَيْتِ فَلَا تُرِيدُ مَا وَرَاءَهُ. فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ: وَأَنَا أَعْرِفُ مِنْهُ سِتَّةَ عَشْرٍ، وَمَنْ وَلَدَ وَلَدَهُ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ قَدْ رُبِعَ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَوْ سَلِيمَانُ: وَمَنْ وَلَدَ وَلَدَهُ هُم وَلَدَهُ، إِدْفَعْ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ يَا غَلَامَ. قَالَ: فَغَلَبَهُمْ يَوْمَئِذٍ.

قَالَ: وَبَلَغَنِي مِنْ وَجْهِ آخِرٍ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: فَإِذَا أَقْرَرْتَ لَهُ بِسِتَّةِ عَشْرٍ فَقَدْ وَهَبْتُ لَهُ أَرْبَعَةً، وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ، فَقَدِمَ بِهَا الْبَادِيَةَ؛ فَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ شَرٌّ مِنْ أَجْلِهَا.

وَصَفَّ جَارِيَةَ لَخَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ لِسَاعَتِهِ فَوَهَبَهَا لَهُ:

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو:

بَعَثَ الْجُنَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرِّيَّ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ بِسَبْيٍ مِنَ الْهِنْدِ بِيضٍ، فَجَعَلَ يَهْبُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ كَمَا هُوَ لِلرَّجُلِ مِنْ قَرِيشٍ وَمِنْ وَجْهِ النَّاسِ، حَتَّى بَقِيَتْ جَارِيَةٌ مِنْهُمْ جَمِيلَةٌ كَانَتْ يَدْخُرُهَا وَعَلَيْهَا ثِيَابُ أَرْضِهَا فُوطَتَانِ. فَقَالَ لِأَبِي التَّجَمِّمِ: هَلْ عِنْدَكَ فِيهَا شَيْءٌ حَاضِرٌ وَتَأْخُذُهَا السَّاعَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ أَصْلَحَكَ اللَّهُ! فَقَالَ الْعُرْيَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ التَّخَعِّي: كَذَبَ وَاللَّهِ مَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ.

فَقَالَ أَبُو التَّجَمِّمِ:

عَلِقْتُ خَوْدًا مِنْ بَنَاتِ الزُّطِّ^(٢) ذَاتَ جَهَازٍ^(٣) مُضْغَطٍ مُلَطِّ^(٤)

رَابِسِي الْمَجَسَّ جَيْدِ الْمَخَطِّ^(٥) كَمَا تَمَاقُطُ عَلَى مَقَاطِ

إِذَا بَدَا مِنْهَا الَّذِي تُغَطِّي^(٦) كَأَنَّ تَحْتَ ثَوْبِهَا الْمُتَعَطِّ^(٧)

/ شَطًّا^(٨) رَمِيتَ فَوْقَهُ بِشَطِّ لَمْ يَنْزُ فِي الْبَطْنِ وَلَمْ يَنْخَطِّ

فِيهِ شِفَاءٌ مِنْ أَذَى التَّمَطِّ^(٩) كَهَامَةِ الشَّيْخِ الْيَمَانِيِّ الشُّطِّ^(١٠)

وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى هَامَةِ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ. فَضَحِكَ خَالِدٌ وَقَالَ لِلْعُرْيَانِ: كَيْفَ تَرَى! أَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُرَوِّيَ^(١١) فِيهَا يَا عُرْيَانُ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ! وَلَكِنَّهُ مَلْعُونٌ أَبْنُ مَلْعُونٍ:

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَأَخْبَرَنِي بِهِ عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ^(١٢) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زُبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ عَنْ فُلَيْحِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ:

(١) ربع الجيوش: أخذ ربع أموالهم، وكان ذلك حظ الرئيس عند الغلبة، واسم هذا النصيب المربع.

(٢) الزط: جبل أسود من السند.

(٣) الجهاز هنا: فرج المرأة.

(٤) ملط: مستور، من أَلَطَ الشيء إذا ستره.

(٥) انعط الثوب: انشق.

(٦) الشط: جانب السنام.

(٧) الشط: الخفيف اللحية.

(٨) يروي: يتروى ويفكر.

(٩) في أ، م: «المغيرة بن محمد».

غضب عليه هشام ثم سمر معه ليلة فرضي عنه :

٨٠
٩ ورد أبو النجيم على هشام / بن عبد الملك في الشعراء . فقال لهم هشام : صِفُوا لي إبلاً فَقَطَّرُوهَا^(١)
وأوردوها وأصدروها حتى كآني أنظر إليها . فأنشدوه وأنشده أبو النجيم :

* الحمد لله الوهوب المَجْزِل *

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال «وهي على الأفق كعين...» وأراد أن يقول «الأحول» ثم ذكر حَوْلَةَ هشام فلم يُتِمَّ البيت وأُزْتُج عليه . فقال هشام : أَجِزْ البيت . فقال «كعين الأحول» وأتم القصيدة . فأمر هشام فُوجِي^(٢) عُنْقَهُ وأُخْرِج من الرُصَافَةِ ، وقال لصاحب شُرْطَتِهِ : يا رَبِيع إِيَّاكَ وَأَنْ أَرَى هَذَا ، فَكَلِّمْ وَجْهَ النَّاسِ صَاحِبَ الشُّرْطَةِ أَنْ يُقَرِّهَ فَعْمَلٌ ، فَكَانَ يُصِيبُ مِنْ فُضُولِ أَطْعَمَةِ النَّاسِ وَيَأْوِي إِلَى الْمَسَاجِدِ . وقال الزُّبَيْرُ فِي خَبَرِهِ قَالَ أَبُو النِّجْمِ : وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِالرُّصَافَةِ يُضِيفُ إِلَّا سُلَيْمَ بْنَ كَيْسَانَ الْكَلْبِيَّ وَعَمْرُو بْنُ سِنْطَامِ التَّغْلِبِيِّ ، فَكَنتُ أَتِي سُلَيْمًا فَأَتَغَدَّى عِنْدَهُ ، وَأَتِي عَمْرًا فَأَتَعَشَّى عِنْدَهُ ، وَأَتِي الْمَسْجِدَ فَأَبِيتُ فِيهِ . قَالَ : فَأَهْتَمَّ هِشَامُ لَيْلَةً وَأَمْسَى لَقِيسَ [١٥٦/١٠] النَّفْسِ / وَأَرَادَ مُحَدَّثًا يَحْدُثُهُ ، فَقَالَ لَخَادِمٍ لَهُ : إِنِّي مَحْدَثٌ أَعْرَابِيًّا أَهْوَجَ شَاعِرًا يَزُوي الشعراء . فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النجيم ، فضربه برجله وقال له : قُمْ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : إِنِّي رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ غَرِيبٌ . قَالَ : إِيَّاكَ أَبْغِي ، فَهَلْ تَزُوي الشعراء ؟ قَالَ : نَعَمْ وَأَقُولُ . فَأَقْبَلَ بِهِ حَتَّى أَدْخَلَهُ الْقَصْرَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ ، قَالَ : فَأَيَقُنَ بِالشَّرِّ ثُمَّ مَضَى بِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى هِشَامٍ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ نِسَائِهِ سِتْرٌ رَقِيقٌ وَالشَّمْعُ بَيْنَ يَدَيْهِ تَزْهَرُ^(٣) . فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لَهُ هِشَامُ : أَبُو النِّجْمِ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ طَرِيدُكَ . قَالَ : أَجْلِس . فَسَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : أَيْنَ كُنْتَ تَأْوِي وَمَنْ كَانَ يُنْزِلُكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ . قَالَ : وَكَيْفَ أَجْتَمَعَا لَكَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَتَغَدَّى عِنْدَ هَذَا وَأَتَعَشَّى عِنْدَ هَذَا . قَالَ : وَأَيْنَ كُنْتَ تَبِيتُ ؟ قَالَ : فِي الْمَسْجِدِ حَيْثُ وَجَدَنِي رَسُولُكَ . قَالَ : وَمَالُكَ مِنَ الْوَلَدِ وَالْمَالِ ؟ قَالَ : أَمَّا الْمَالُ فَلَا مَالَ لِي ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَلِي ثَلَاثُ بَنَاتٍ وَبَنِي يَقَالُ لَهُ شَيْبَان . فَقَالَ : هَلْ زَوَّجْتَ^(٤) مِنْ بَنَاتِكَ أَحَدًا ؟ قَالَ : نَعَمْ زَوَّجْتُ اثْنَتَيْنِ ، وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ تَجْمَزُ^(٥) فِي أَبْيَاتِنَا كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ . قَالَ : وَمَا وَصَّيْتَ بِهِ الْأُولَى ؟ - وَكَانَتْ تَسْمَى «بَرَّةً» بِالرَّاءِ - فَقَالَ :

أَوْصَيْتُ مِنْ بَرَّةٍ قَلْبًا حُرًّا بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحَمَامَةِ شَرًّا
لَا تَسْأَلْنِي ضَرْبًا لَهَا وَجَرًّا حَتَّى تَرَى حُلُومَ الْحَيَاةِ مُرًّا
وإن كَسَنُكَ ذَهَبًا وَدُرًّا وَالْحَيَّ عُمَيْهِمْ بِشَرِّ طَرًّا

فَضَحِكَ هِشَامُ وَقَالَ : فَمَا قُلْتَ لِلْآخَرَى ؟ قَالَ قُلْتَ :

سُبِّي الْحَمَامَةُ وَأَبْهَتِي^(٦) عَلَيْهَا وَإِنْ دَنَيْتُ فَأَزْدِلْفِي إِلَيْهَا

(١) قطر الإبل : قرب بعضها من بعض على نسق .

(٢) في ب ، س : «بوج» عنقه وإخراجه . يقال وجاء باليد وبالسكين إذا ضربه .

(٣) زهر السراج : تلالاً .

(٤) في ح ، ب ، س : «أخرجت» .

(٥) جمز : عدا وأسرع .

(٦) بهته : قذفه بالباطل . وهي هنا على تضمين ابهتي معنى افتري عليها فتتعدى بعلى .

وأَوْجِعِي بِالسَّهْرِ^(١) رَكْبَتَيْهَا وَمِرْقَتَيْهَا وَأَضْرِبِي جَنْبَيْهَا
/ وَظَاهِرِي التُّذْرَ لَهَا عَلَيْهَا لَا تُخِيرِي الدَّهْرَ بِهِ أَبْتَنِيهَا [١٥٧/١٠]
قال: فَضَحِكَ هِشَامُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَسَقَطَ عَلَى قَفَاهُ. فَقَالَ: وَيَحْكَ! مَا هَذِهِ وَصِيَّةُ يَعْقُوبَ وَلَدَهُ!
فَقَالَ: وَمَا أَنَّ كَيْعُقُوبَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَمَا قُلْتَ لِلثَّلَاثَةِ؟ قَالَ قُلْتَ:

أَوْصِيكَ يَا بِنْتِي فَلِمَ نِي ذَاهِبٌ أَوْصِيكَ أَنْ تَحْمَدَكَ الْقُرَائِبُ
وَالْجَارُ وَالضَّيْفُ الْكَرِيمُ السَّاعِبُ لَا يُرْجَعُ الْمُسْكِينُ وَهُوَ خَائِبُ
/ وَلَا تَنِي أَظْفَارُكَ السَّلَاحِبُ^(٢) مِنْهُنَّ فِي وَجْهِ الْحَمَاةِ كَاتِبُ
* وَالزَّوْجَ إِنْ الزَّوْجَ بِشِ الصَّاحِبِ *

قال: فَكَيْفَ قُلْتَ لَهَا هَذَا وَلَمْ تَتَزَوَّجْ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ قُلْتَ فِي تَأْخِيرِ تَزْوِيجِهَا؟ قَالَ قُلْتَ فِيهَا:
كَأَنَّ ظَلَامَةً أَخْتِ شَيْبَانَ يَتِيمَةً وَوَالِدَاهَا حَيَّانُ
الرَّأْسُ قَمَلٌ كُلُّهُ وَصَيْبَانُ^(٣) وَلَيْسَ فِي السَّاقَيْنِ إِلَّا خَيْطَانُ

* تِلْكَ الَّتِي يَقْرَعُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ *

قال: فَضَحِكَ هِشَامُ حَتَّى ضَحِكَ النِّسَاءُ لَضَحِكِهِ، وَقَالَ لِلْخَصِيِّ: كَمْ بَقِيَ مِنْ نَفَقَتِكَ؟ قَالَ: ثَلَاثُمِائَةِ دِينَارٍ.
قال: أَغَطِيهِ إِيَّاهَا لِيَجْعَلَهَا فِي رِجْلِ ظَلَامَةٍ مَكَانَ الْخَيْطَيْنِ.
كَانَ أَسْرَعَ النَّاسِ بِدِيَهَةٍ:

وقال الأصمعي أخبرني عمي وأخبرني ببعض هذا الحديث ابنُ بنت أبي النجم أَنَّ أَبَا النِّجْمِ قَالَ:

* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهُوبِ الْمُجْزِلِ *

فِي قَدَرٍ مَا يَمْشِي الْإِنْسَانُ مِنْ مَسْجِدِ الْأَشْيَاحِ إِلَى حَاتِمِ الْجَزَارِ. وَمَقْدَارُ مَا بَيْنَهُمَا غَلْوَةٌ^(٤) أَوْ نَحْوُهَا.
قال: وَكَانَ أَسْرَعَ النَّاسِ بِدِيَهَةٍ.

[١٥٨/١٠]

/ سَمِلَ الْأَصْمَعِيُّ أَيَّ الرَّجْزِ أَحْسَنَ وَأَجُودَ فَقَالَ رَجَزُ أَبِي النِّجْمِ:

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَعْبٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَسْوَدِ النُّجَشَانِيُّ^(٥) قَالَ:
مَرَّ أَبِي بِالْأَصْمَعِيِّ وَأَنَا عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ أَيُّ الرَّجْزِ أَحْسَنَ وَأَجُودَ؟ قَالَ: رَجَزُ أَبِي النِّجْمِ.

سَأَلَهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ رَأْيِهِ فِي النِّسَاءِ فَأَجَابَهُ:

(١) الفهر: الحجر يملأ الكف.

(٢) السلاهب: الطويلة.

(٣) الصببان: جمع صوبة وهي بيضة الفحل.

(٤) الغلوة: رمية سهم أبعد ما يقدر عليه، ويقال: هي قدر ثلثمائة ذراع إلى أربعمائة.

(٥) كذا في الأصول. ولم نقف على هذه النسبة فيما لدينا من كتب «الأنساب». والظاهر أنها محرفة عن «النوشجاني» نسبة إلى نوشجان بلدة بفارس.

نسختُ من كتاب أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال:

دخل أبو النّجّم على هشام بن عبد الملك وقد أتت له سبعون سنة. فقال له هشام: ما رأيك في النساء؟ قال: إنني لأنظر إليهنّ شزراً^(١) وينظرن إليّ خزراً. فوهب له جارية وقال له: أغدُ عليّ فأغلمني ما كان منك. فلما أصبح غدا عليه. فقال له: ما صنعت؟ فقال: ما صنعتُ شيئاً ولا قدّزتُ عليه، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً. ثم أنشده:

نظرتُ فأعجبها السذي في درعها من حُسنه ونظرتُ في سربالها
فراثُ لها كَفْلاً يَمِيلُ بِخَضَرِها وَغُشّاً^(٢) رَوادِفُه وَأَجْثَمَ^(٣) جَائِها
ورأيْتُ مُتَشَبِّهَ الْعِجْبانِ^(٤) مُقْلَصاً رَخِوْاً مفاصِلُه وجِلْدَ بَالِها
أُذْنِي لِه الرِّكَبِ^(٥) الحَلِيقَ كَأَنما أُذْنِي إِلِيه عَقارِيْاً وَأَفْاعِها
إِنَّ التَّدَامَةَ وَالسَّدَامَةَ فَأَغْلَمَنْ لو قد صَبَرْتُكَ لِلْمَواسِي خالِها
مابالُ رَأْسِكَ مِنْ ورائِي طالِعاً أَظَنَنْتُ أَنَّ حِجْرَ الْفَتاةِ ورائِها
فأذهبُ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ لَا تُرْتَجَى أَبَدَ الْأَيْسِدِ وَلَوْ عَمِرْتَ لِبَالِها
/ أنتَ الْغَرُورُ إِذَا خُبِرْتَ وَرَبِّها كانَ الْغَرُورُ لِمَنْ رَجاه شافِها
لَكِنْ أَنِيرِي لَا يُرْجَى نَفْسُه حَتَّى أَعُودَ أَخاً قَتَاءَ نَاشِها

[١٥٩/١٠]

فضحك هشام وأمر له بجائزة أخرى. *مترجمة كويتية*

حدث هشام بن عبد الملك عن نفسه فأضحكه:

قال أبو عمرو الشَّيباني قال ابن كُناسة:

قال هشام بن عبد الملك لأبي النّجّم: يا أبا النّجّم حدثني. قال: عني أو عن غيري؟ قال: لا بل عنك. قال: إنني لما كبرتُ عَرَضَ لي الْبَوَلُ، فوضعتُ عند رجلي شيئاً أبول فيه. فقمْتُ من الليل أبول، فخرج مني $\frac{٨٢}{٩}$ صوتٌ فتشددت، ثم عُدْتُ فخرج مني صوتٌ آخر، فَأَوَيْتُ إلى فراشي، فقلت: يا أُمّ الْخِيَارِ هل / سَمِعْتَ شيئاً؟ فقالت: لا والله ولا واحدةً منهما! فَضَحِكَ. قال: وأُمّ الْخِيَارِ التي يَعْنِي بقوله:

قد أصبحْتُ أُمّ الْخِيَارِ تَدْعِي عليّ ذنباً كلّه لم أضَعِ

وهي أَرْجُوزة طويلة.

ذكر فتاة في شعره فتزوجت:

وقال أبو عمرو الشَّيباني:

- (١) الشزور: النظر بجانب العين في إعراض. والخزر: هو أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه. وتسكين الزاي في الخزر لغة.
- (٢) الوعث: اللين.
- (٣) الكناية هنا ظاهرة.
- (٤) العجبان: القضيبي الممدود من الخصية إلى الدبر.
- (٥) الركب: الفرج.

أنت مولاة لبني قيس بن ثعلبة أبا النجم فذكرت له أن بنتاً لها أدركت منذ ستين، وهي من أجمل النساء وأمدهن قاماً ولم يخطبها أحد، فلو ذكرتها في الشعر! فقال: أفعل، فما أسمها؟ قالت: نفيسة. فقال:

نَفِيسَ يَا قَتَالََةَ الْأَقْوَامِ أَقْصَدْتَ قَلْبِي مِنْكَ بِالسَّهَامِ
وَمَا يُصِيبُ الْقَلْبَ إِلَّا رَامِ لَوْ يَعْلَمُ الْعِلْمَ أَبُو هِشَامِ
سَاقٍ إِلَيْهَا حَاصِلَ الشَّامِ وَجِزْيَةَ الْأَهْوَازِ كُلِّ عَامِ
وَمَا سَقَى الثَّيْلُ مِنَ الطَّعَامِ إِذْ ضَاقَ مِنْهَا مَوْضِعُ الْإِدْغَامِ^(١)
/ أَجْنَمُ جَسَاتٍ مُنْتَدِيرٌ حَامِ يَعْضُ فِي كَيْنٍ^(٢) لَهُ تُؤَامِ

[١٦٠/١٠]

* عَصُ النَّجَارِيِّ^(٣) عَلَى اللَّجَامِ *

فقالت: حَسْبُكَ حَسْبُكَ! ووفد إلى الشام، فلما رجع سمع الزمر والجلبة، فقال: ما هذا؟ فقالوا: نفيسة تزوجت.

وصف فهوود عبد الملك بن بشر بن مروان:

قال أبو عمرو وذكر علي بن المسور بن عمرو عن الأصمعي قال أخبرني بعض الرواة وحدثني ابن أخت أبي النجم:

أن عبد الملك بن بشر بن مروان قال لأبي النجم: صف لي فهودي هذه. فقال:

إِنَّا نَزَلْنَا خَيْرَ مَنْزِلَاتٍ بَيْنَ الْحُمَيْرَاتِ الْمُبَارَكَاتِ
فِي لَحْمٍ وَخَشٍ وَحَبَارِيَاتٍ^(٤) وَإِنْ أَرَدْنَا الصَّيْدَ ذَا اللَّذَاتِ
جَاءَ مُطِيعاً لِمُطَاوَعَاتِ عَلَّمَنَّا أَوْ قَدْ كُنَّا عَالِمَاتِ
فَسَكَنَ الطَّرْفَ بِمُطَرِفَاتِ تُرِيْسُكَ آمَاقاً مَخْطُطَاتِ

مدح الحجاج برجز وطلب إليه واديا في بلاده:

ونسخت من كتاب الخراز عن المدائني عن عثمان بن حفص أن أبا النجم مدح الحجاج برجز يقول فيه:

وَيَلُ أَمَ دُورَ عَزْرَةٍ وَمَجْدٍ دُورَ ثَقِيفٍ بِسَوَاءِ نَجْدٍ

* أهل الحصون والخيول الجرد *

فأعجب الحجاج رجزه وقال: ما حاجتك؟ قال تقطعني ذا الجبين. فوجم لها وسكت، ثم دعا كاتبه فقال: أنظر ذا الجبين ما هو! فإن ذا الأعرابي سألني لعله نهر من أنهار العراق. فسألوا عنه فقل: واد في بلاد بني عجل أعلاه حشفة^(٥) وأسفله سبخة يخاصمه فيه بنو عم له. فقال: أكتبوا له به. قال: فأهله به إلى اليوم.

(١) الكناية في «موضع الإدغام» ظاهرة يفسرها البيت التالي.

(٢) الكين: لحم باطن الفرج.

(٣) لم نعثر على هذه النسبة في مظاهرها. ولعله يريد به فرساً كريم النجار.

(٤) حباريات: مفردا حباري وهو طائر يضرب به المثل في البلاءة والحمق.

(٥) الحشفة: صخرة رخوة في سهل من الأرض. والسبخة: أرض ذات نر وملح.

١/ ١٦٦ / أخطأ في أشياء أخذت عليه :

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المَدِينِيّ قال قال الأصمعيّ :

أخطأ أبو النّجّمْ في أشياء أُخِذَتْ عليه، منها قوله :

وهي على عَذْبٍ رَوِيّ المنهسلِ دَخَلَ أبي المِرْقَالِ خيرَ الأَدْخِلِ

* من نَحَتِ عادٍ في الزمانِ الأوّلِ *

قال الأصمعيّ: الدّخُل لا تُورَدُه الإبلُ إنما تُورَدُ الرّكَايا^(١) . وقد عِيب بهذا وعِيب بقوله في البيت الذي

٨٣/٩ يَلِيهِ: إِنَّ هَذَا الدّخُلَ من نَحَتِ عاد. قال: والدّخُلان لا تُخَفَرُ ولا تُنَحَتُ، إنما هي / خرووق وشعاب في الأرض

والجبال لا تُصَيِّبُها الشمسُ، فَتَبْقَى فيها المِياه؛ وهي هَوّة في الأرض يَضِيقُ فَمُها ثم يَتَسَعُ فيدخلها ماء السماء.

قال الأصمعيّ: وقال يصف فرسه وقد أجراه في حَلَبَةٍ:

* تَسْبَحُ أخْرَاهُ وَيَطْفُو أَوَّلُهُ *

قال الأصمعيّ: أخطأ في هذا؛ لأنه إذا سَبَحَ أخْرَاهُ كان حِمَارُ الكُفّاحِ أسرعَ منه. قال الأصمعيّ: وحدّثني

أبي أنّه رأى فرسه هذا فقَوَّمَهُ بِسَعِمِينَ درهماً. وإنّما يُوصَفُ الجوادُ بأنّه تَسْبَحُ أَوَلَاهُ وتَلَحُّقُ رجلاه. قال: وخير

عَدُوّ الذكور أن تُشْرِفَ، وخيرُ عَدُوّ الإناث أن تَتَبَسَّطَ وتَصْغَى^(٢) كَعَدُوّ الذئب.

مركز توثيق مكتبة التراث العربي

(١) الركايا: جميع ركية وهي البئر.

(٢) تصغى: تميل.

١ / أخبار عليّة بنت المهدي ونسبها ونصف من أحاديثها

[١١٢/١٠]

أمها مكنونة أم ولد اشترت للمهدي في حياة أبيه :

عليّة بنت المهدي أمها أم ولد مُغْنِيَةٌ يقال لها مكنونة، كانت من جوارى المروانية المغنية.

نسخت من كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن ابن القَدَّاح^(١) حدّثه قال :

كانت مكنونة جارية المروانية - وليست من آل مروان بن الحكم، هي زوجة الحسين بن عبدالله بن عبيد الله بن عباس - مغنية، وكانت أحسن جارية بالمدينة وجهاً، وكانت رَسْحاء^(٢)، وكان بعض من يمازحها يعبّث بها فيصيح: طَسْتُ طَسْتُ^(٣). وكانت حسنة الصدر والبطن، فكانت تُوضِحُ بهما وتقول: ولكن^(٤) هذا! فأشتريت للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم، فعَلَبْتُ عليه، حتى كانت الحَيْزُران تقول: ما ملكَ امرأةَ أغلَظَ عليّ منها. وأستر أمرها عن المنصور حتى مات، فولدت له عليّة بنت المهدي.

بعض صفاتها:

أخبرني عمي قال حدّثني عليّ بن محمد التَّوَقَّلِيّ عن عمّه قال:

كانت عليّة بنت المهدي من أحسن الناس وأظرفهم تقول الشعر الجيّد وتصوغ فيه الألحان الحسنة، وكان بها عيب، كان في جبينها فَضْلٌ سَعَةٍ حتى تسمع^(٥)، فأخذت العصائب المكلفة بالجواهر لتستر بها جبينها، فأحدثت والله شيئاً ما رأيت فيما أبدعته النساء وأحدثته أحسن منه.

[١١٣/١٠]

/ كانت حسنة الدين ولا تشرب ولا تغني إلا أيام حيضها:

أخبرني الحسين بن يحيى ووَكَيْع قالَا حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق قال سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول:

كانت عليّة حسنة الدين، وكانت لا تغني ولا تشرب التَّبِيدَ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة، فإذا طَهَرَتْ أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب، فلا تَلَذُّ بشيءٍ غير قول الشعر في الأحيان، إلا أن يدعوها الخليفة إلى شيءٍ فلا تقدر على خلافه. وكانت تقول: ما حرّم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حلّ منه عَوْضاً، فبأي شيءٍ يحتج عاصيه والمُنْتَهِكُ لحرّماته! وكانت تقول: لا غفر الله لي فاحشةً أرتكبتها قط، ولا أقول في شعري إلا عبثاً.

(١) في أ، م: «أبا القداح».

(٢) الرسحاء: القليلة لحم العجز والفخذين.

(٣) لعل المراد تشبيهها في استواء عجزها مع ظهرها وفخذها باستواء قعر الطست.

(٤) في ب، س: «ويكن هذا».

(٥) في أ، م: «تسفع» (بتشديد الفاء). وفي ح: «تسبح». وعبرة «النجوم الزاهرة» (ج ٢ ص ١٩١ طبع دار الكتب المصرية): «وكان في جبهتها سعة تشين وجهها».

لم يجتمع في الإسلام أخ وأخت أحسن غناء منها ومن أخيها:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عَوْن بن محمد الكِنْدِي قال سمعت عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع يقول:

ما اجتمع في الإسلام قط أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عُلَيْة، وكانت تُقدِّم عليه.

كانت تحب المكاتب بالشعر وكاتب تلاً فمَنَعها الرشيد:

أخبرني محمد قال حدثنا عَوْن بن محمد الكِنْدِي قال حدثنا سعيد بن إبراهيم قال:

كانت عُلَيْة تحب أن تُراسِل بالأشعار مَنْ تختصُّه، فأختصَّت خادماً يقال له «طَلٌّ» من خَدَم الرشيد، فكانت تراسله بالشعر، فلم تره أَيْاماً، فَمَشَتْ على مِيزَابٍ وحدثته وقالت في ذلك:

٨٤ / قَدْ كَانَ مَا كَلَّفْتُهُ زَمناً / يَا طَلٌّ مَنْ وَجَدَ بِكُمْ يَكْفِي
حَتَّى أَتَيْتُكَ زَائِراً عَجِلاً / أَمْشِي عَلَى خَنْفٍ إِلَى خَنْفٍ

فحلَفَ عليها الرشيد ألا تكلم طلاً ولا تسميه بأسمه، فضمِنَتْ له ذلك. وأستمع عليها يوماً وهي تَدْرُسُ^(١) آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ لَمْ يَصْبِهْهَا / وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ وأرادت أن تقول: «فَطَلٌّ» فقالت: فالذي نهانا عنه أمير المؤمنين. فدخل فقبل رأسها وقال: قد وهبت لك طلاً، ولا أمتنعك بعد هذا من شيء تريدينه. ولها في طَلٍّ هذا عِدَّةُ أشعارٍ فيها لها صنعة. منها:

يَا رَبِّ إِنِّي قَدْ غَرَضْتُ^(٢) بِهِجْرَهَا / فَإِلَيْكَ أَشْكُو ذَاكَ يَا رَبِّاهُ
مَوْلَاةٌ سَوَاءٌ تَسْتَهِينُ بَعْدَهَا / نِعَمَ الْغِلَامِ وَبَشَتْ الْمَوْلَاةُ
«طَلٌّ» وَلَكِنِّي حُرِمْتُ نَعِيمَهُ / وَوَصَّالَهُ إِنْ لَمْ يُغْنِشِي اللَّهُ
يَا رَبِّ إِنْ كَانَتْ حَيَاتِي هَكَذَا / ضَرَّأَ عَلَيَّ فَمَا أُرِيدُ حَيَاهُ

الشعر والغناء لها خفيفٌ ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى. وقد ذكر ابن خُرَدَّاذِبَه أن الشعر والغناء لِنَبِيَّه الكوفي، وأنه هَوِيَ جارية تُغَنِّي، فتعلَّم الغناء من أجلها وقال الشعر، ولم يزل يتوصَّل إليها بذلك حتى صار مُقَدِّماً في المغنِّين، وأن هذا الشعر له فيها والصنعة أيضاً.

حجب عنها طل فقالت فيه شعراً وصحفت اسمه:

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأَسَدِي قال حدثني محمد بن صالح بن شيخ بن عُمَيْر عن أبيه قال:

حُجِبَ طَلٌّ عَنْ عُلَيْةَ فَقَالَتْ وَصَحَّفَتْ أَسْمَهُ فِي أَوَّلِ بَيْتٍ:

أَبَا سَرَوَةَ^(٣) الْبِسْتَانِ طَالَ تَشَوَّقِي / فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ لَدَيْكَ سَيْلٌ

(١) كذا في أكثر النسخ. وفي أ، م: «تريد» وهي محرفة عن «تدبر» بالذال بمعنى تقرأ.

(٢) غرضت بهجرتها أي ضجرت. وفي الأصول: «عرضت» بالعين المهملة وهو تصحيف.

(٣) السرو: شجر حسن الهيئة قويم الساق، وقد فسر به صاحب «القاموس» العرعر.

متى يلتقي مَنْ ليس يُقضى خروجه / وليس لمن يَهْوَى إليه دخولُ
عسى الله أن نرتاح من كُرْبَةٍ لنا / فيلقَى أَعْبَاطاً خُلَّةً وخليلاً

/ عروضه من الطويل. الشعر والغناء لعلية خفيف رَمَلٍ. كذا ذكر ميمون بن هارون، وذكر عمرو بن بانة أنه [١٦٥/١٠] لسلسل خفيف رَمَلٍ بالوسطى. وأوّل الصوت:

* متى يلتقي مَنْ ليس يُقضى خروجه *

وذكر حبّش أنه للهذليّ خفيف رَمَلٍ بالنصر.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الطالقانيّ قال حدّثني أبو عبدالله أحمد بن الحسين الهشاميّ قال:

قالت عليّة في طَلٍّ وصحّفت أسمه في هذا الشعر وعثت فيه:

صوت

سَلِّمْ على ذاك الغزال / الأغيّد الحسن الدلال
سَلِّمْ عليه وقُلْ له / يا غُلَّ الباب الرجال
خلّيت جسمي ضاحياً / وسكنت في ظلّ الحجال^(١)
وبلغت منّي غايّة / لم أدر فيها ما أحتيالي
الشعر والغناء لعلية خفيف رَمَلٍ. وذكر غير هذا أن الغناء لأحمد بن المكيّ في هذه الطريقة.

أنت تقول الشعر في خادمها رشاً وتكني عنه بزنب:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني ميمون بن هارون عن محمد بن عليّ بن عثمان / الشطرنجيّ: أن عليّة كانت تقول الشعر في خادم لها يقال له «رشاً» وتكني عنه. فمن شعرها فيه وكنت عنه بزنب:

صوت

وجَد الفؤادُ بزنباً / وجَداً شديداً مُنعباً
أصبحتُ من كَلْفِي بها / أذعسى سقيماً^(٢) مُنصباً
/ ولقد كنتُ عن أسمها / عمداً لكّي لا تُغضباً
وجعلتُ زينبَ شُـرّة / وكنمتُ أمراً مُعجِباً
قالت وقد عَزَّ الوصا / لُ ولم أجذلي مذهباً
والله لا نلت المودة - أو نلت الكـوكبـاً

هكذا ذكر ميمون بن هارون، وروايته فيه عن المعروف بالشطرنجيّ ولم يحصل ما رواه. وهذا الصوت شعره لابن

(١) الحجال: جمع حجلة وهي ستر العروس في جوف البيت.

(٢) في أ، م: «شقياً».

رُهِيمَةَ الْمَدَنِيِّ. والغناء ليونس الكاتب، ولحنه من الثقليل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وهو من زيانِبِ يونس المشهورات وقد ذكرته معها^(١). والصحيح أَنَّ عَلِيَّةَ غَنَّتْ فيه لحناً من الثقليل الأول بالوسطى، حكى ذلك ابن المكي عن أبيه، وأخبرني به ذكاء عن القاسم بن زُرْزُور.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني الحسين بن يحيى الكاتب أو الجماز^(٢) قال حدّثني عُبيد الله بن العباس الرِّبَيعِي قال:

لَمَّا عَلِمَ مِنْ عَلِيَّةَ أَنَّهَا تَكْنِي عَنْ رَشَا بَزِينٍ قَالَتْ:

صَوْت

القلبُ مشتاقٌ إلى رَيْنَبٍ يارَبِّ ما هذا من العيب
قد تَيَمَّثَ قلبي فلم أستطع إلا البكا يا عالِمَ الغيب
خبأتُ في شعري اسمَ الذي أردتُه كالخَبءِ في الجيب
قال: وَغَنَّتْ فيه لحناً من طريقه خفيفِ الرَّمَلِ الأولِ فَصَحَّفَتْ أَسْمَهَا في ريب.

[١٦٧/١٠] / هجّت طغيان حين وشت بها إلى رشاً:

قال: وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طُغْيَانُ، فَوَشَّتْ بِعُلَيَّةَ إلى رَشَا وَحَكَتْ عنها ما لم تفل، فقالت عُلَيَّةُ:

لَطُغْيَانُ خُفْتُ مَذْلاَيْنِ حِجَّةً جَدِيدُ فَلَائِي لَا يَتَخَرَّقُ
وكيف بَلَى خُفْتُ هُوَ الدَّفَرُ كُلُّهُ على قَدَمَيْهَا في الهَوَاءِ مُعَلَّقُ
فَمَا خَرَقْتُ خُفّاً وَلَمْ تُبَلِّ جَوْرَباً وَأَمَّا سَرَاوِيلُهَا فَتَمَزَّقُ

شعرها حين امتنع رشاً عن شرب النبيذ:

قال: وَحَلَفَ رَشَا أَلَّا يَشْرَبَ النَّبِيذَ سَنَةً، فقالت:

صَوْت

قد بُتِ^(٣) الخاتمُ في خِنَصْرِي إِذْ جَاءَنِي مِنْكَ تَعَجُّبُكَ
حَرَمْتُ شَرَبَ الرِّاحِ إِذْ عَفَّتْهَا فَلَسْتُ فِي شَيْءٍ أَعَاصِيكَ
فَلَوْ تَطَلَّوْعَتِ لِعَوَضَتْنِي مِنْهُ رُضَابُ الرِّيقِ مِنْ فَيْكَ
فِيهَا عِنْدِي مِنْ نَعْمَةٍ لَسْتُ بِهَا مَا عَشْتُ أَجْزِيكَ
يَا زَيْنَباً قَدْ أَرَقْتُ مُقَلَّتْنِي أَمْتَعْنِي اللهُ بِحَيِّتِكَ

(١) انظر الجزء الرابع من «الأغاني» من هذه الطبعة ص ٤٠٢ وما بعدها.

(٢) مر هذا الاسم في الجزء الخامس ص ٢٧٣ باسم «الحسين بن يحيى أبي الجمان» وفي الجزء السابع ص ٢٠٨ باسم «الحسين بن يحيى أبي الحمار».

(٣) الكناية هنا غير مفهومة وإن كان المعنى الإجمالي واضحاً.

/ غَنَّتْ فِيهِ عَلِيَّةُ هَزَجًا.

غنى عقيد للمعتصم بشعر فسأل عنه فقال محمد بن إسماعيل إنه لها فغضب وأعرض عنه:

أخبرني جَحْظَةُ ومحمد بن يحيى قالا حَدَّثَنَا ميمون بن هارون قال حَدَّثَنِي الحسن^(١) بن إبراهيم بن رِيَّاح قال: قال لي محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي:

كنت عند المعتصم وعنده مُخَارِقٌ وَعَلَوِيَّةٌ ومحمد بن الحارث وعَقِيدٌ، فتَغَنَّى عَقِيدٌ وكنت أضرب عليه:

كسوت

نَامَ عُنْدَ السَّيِّ وَلَسَمَ أَنْسَمَ وَأَشْتَفَى الْوَاشُونَ مِنْ سَقَمِي
وَإِذَا مَا قَلَسْتُ بِسِي أَلَمُ شَكَّ مَنْ أَهْوَاهُ فِي أَلَمِي

/ فَطَرِبَ الْمُعْتَصِمُ وَقَالَ: لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ وَالْغِنَاءُ؟ فَأَمْسَكُوا. فَقُلْتُ: لِأَلِيَّةٍ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَعَرَفْتُ غَلْطِي [١٦٨/١٠] وَأَنَّ الْقَوْمَ أَمْسَكُوا عَمْدًا، فَقُطِعَ^(٢) بِي. وَتَبَيَّنَ جَالِي، فَقَالَ: لَا تُرْغِ يَا مُحَمَّدُ؛ فَإِنَّ نَصِيكَ فِيهَا مِثْلُ نَصِيبي. الْغِنَاءُ لِأَلِيَّةٍ خَفِيفُ رَمَلٍ. وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ: إِنَّ هَذَا اللَّحْنَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ أَشْرَسَ الطُّنْبُورِيِّ مَوْلَى خُرَاعَةَ، وَإِنَّ الشَّعْرَ لَخَالِدِ الْكَاتِبِ.

غنى بنان للمتصر بلحن لها في شعر الرشيد:

أخبرني محمد بن يحيى قال حَدَّثَنِي أحمد بن يزيد قال حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ:
كُنَّا عِنْدَ الْمُتَصَرِّ، فَغَنَّا بَنَانًا لِحَنًا مِنَ الرَّمْلِ الْإِثْنَانِيِّ وَهُوَ خَفِيفُ الرَّمْلِ:

كسوت

يَا رَبَّةَ الْمَنْزَلِ بِالْبَرْكِ^(٣) وَرَبَّةَ السُّلْطَانِ وَالْمُلُوكِ
تَخَرَّجِي بِاللَّهِ مَنْ قَتَلْنَا لَسْنَا مِنَ الذَّيْلِ وَالْأُتْرُكِ

فَضَحِكْتُ. فَقَالَ لِي: مِمَّ ضَحِكْتُ؟ قُلْتُ: مِنْ شَرَفِ قَائِلِ هَذَا الشَّعْرِ، وَشَرَفِ مَنْ عَمِلَ اللَّحْنَ فِيهِ، وَشَرَفِ مُسْتَمِعِهِ. قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: الشَّعْرُ فِيهِ لِلرَّشِيدِ، وَالْغِنَاءُ لِأَلِيَّةِ بِنْتِ الْمُهَدِيِّ. وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَمِعُهُ. فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَمَا زَالَ يَسْتَعِيدُهُ.

أخذت من إسحاق لحنًا وغنته الرشيد ثم غناه هو للمأمون فعنفه:

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَرْكَشَةَ قَالَ سَمِعْتُ شَيْخًا يَحْدُثُ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ فَحَفِظْتُ عَنْهُ مَا حَدَّثَهُ بِهِ وَلَمْ أَعْرِفْ أَسْمَهُ، قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوَصِّلِيُّ قَالَ:

عَمِلْتُ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ لِحَنًا وَهُوَ:

(١) فِي ب، س: «الْحُسَيْن».

(٢) قَطَعَ بِي: يَرِيدُ سَدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكَ الْقَوْلِ.

(٣) الْبَرْكِ: عَلِمَ عَلَى عِدَّةِ مَوَاضِعَ.

صوت

سَقِيَا لَأَرْضٍ إِذَا مَا نَمُتْ نَبْهِنِي بَعْدَ الْهَدُوءِ بِهَا قَرُغُ النَّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سَوَسْنَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَاوِيسِ

[١٦٩/١٠] / قال: فأعجبني وعملتُ على أن أباكر به الرّشيدَ. فلقيتني في طريقي خادماً لعلية بنت المهديّ، فقال: مولاتي تأمرك بدخول الدّهليز لتسمع من بعض جواربها غناءً أخذته عن أبيك وشكّ في الآن. فدخلتُ معه إلى حجرة قد أفردت لي كأنها كانت مُعدّة فجلستُ، وقُدّم لي طعامٌ وشرابٌ فنلت حاجتي منهما، ثم خرج إليّ خادماً فقال لي: تقول لك مولاتي: أنا أعلم أنك قد غدوت إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددتَه له مُحدّث، فأسمعيه ولك جائزة سنّية تتعجلها، ثم ما يأمر به لك بين يديك، ولعله لا يأمر لك بشيء أو لا يقع الصوت منه بحيث توخيتُ، فيذهب سعيك باطلاً. فاندفعتُ فغيتُها إياه، ولم تزل تستعيده مراراً، ثم أخرجتُ إليّ عشرين ألف درهم وعشرين ثوباً، وقالت: هذه جائزتك، ولم تزل تستعيده مراراً. ثم / قالت: اسمعه مني الآن؛ فغنته غناءً ما خرق سمعي مثله. ثم قالت: كيف تراه؟ قلت: أرى والله ما لم أر مثله. قالت: يا فلانة أعيدي له مثلاً ما أخذ؛ فأحضرتُ لي عشرين ألفاً أخرى وعشرين ثوباً. فقالت: هذا ثمنه، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين، أبداً أتغني^(١) به، وأخبر أنه من صنعتي. وأعطني الله عهداً لئن نظمت أن لك فيه صنعة لأقتلك! هذا إن نجوت منه إن علم بمصيرك إليّ. فخرجتُ من عندها والله إنّي لكالموقن^(٢) بما أكره من جائزتها أسفاً على الصوت، فما جَسَرْتُ والله بعد ذلك أن أتغنم به في نفسي فضلاً عن أن أظهره حتى ماتت. فدخلتُ على المأمون في أوّل مجلس جلس له للهو بعدها، فبدأتُ به أوّل ما غنيتُ. فتغيّر لونُ المأمون وقال: من أين لك ويلك هذا؟ قلت: وليّ الأمان على الصدق؟ قال: ذلك لك. فحدّثته الحديث. فقال: يا بغيض! فما كان في هذا من النفاسة حتى شهزته وذكرت هذا منه مع ما قد أخذته من العوض! وهجّنتني فيه هُجْنةً وددتُ معها أني لم أذكره. فأليْتُ ألاّ أغنيه/ بعدها أبداً. الشعْرُ في هذا الصوت لإسماعيل بن يسار التّسائي، وقيل: إنه لإسحاق. ولحنه من الثّقليل الأوّل مُطلّق في مجرى الوسطى. وذكر حبش أنه للهذليّ، ولم يحصل ما قاله.

طارحت أخاها إبراهيم الغناء وسمعتها من في مجلس المأمون:

أخبرني عمّي قال حدّثني الحسن بن عُلَيْل العَترِيّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال قال لي يَنشُو المغنّي حدّثني أبو أحمد بن الرّشيد قال:

كنت يوماً عند المأمون وإلى جانبي منصور وإبراهيم عَمّاي، فجاء ياسر دخلة فسار المأمون. فقال المأمون لإبراهيم: إن شئت يا إبراهيم فأنهض، فنهض. فنظرتُ إلى ستر قد رُفِع مما يلي دار الحرّم، فما كان بأسرع من أن سمعت شيئاً ألقنني. فنظر إليّ المأمون وأنا أميل فقال لي: يا أبا أحمد مالك تميل؟ فقلت: إنني سمعت شيئاً ما سمعتُ بمثله. فقال: هذه عمّتك عليك تطارح عمّك إبراهيم:

* مالي أرى الأبصار بي جافية *

(١) في ب، س: «ولن أبداً بغناء غيره».

(٢) في أ، م: «والله إنّي لأكاد أموت بما أكره إلخ».

نسبة لهذا الصوت:

صوت

ما لي أرى الأبصار بي جافية لم تلتفت مئي إلى ناحية
لا ينظر الناس إلى المبتلى وإنما الناس مع العافية
صحبني سلّوا ربكُم العافية فقد دهنتني بعدكُم داهية
صار منسي بعدكُم سيدي فالعين من هجرانه باكية

الشعر لأبي العتاهية، وذكر ابن المعتز أنّه لعلية وأنّ اللحن لها خفيف رمل. وذكر أنه لغيرها خفيف رمل مطلق، ولحن لعلية مزموم.

[١٧١/١٠]

/ أرسلت إلى الرشيد ومنصور شراباً مع خلوب وغتتهما بلحن لها:

أخبرني عمي قال حدّثني أبو العباس أن بشرأ المَرّثدي قال قالت لي ريق:

كنت يوماً بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان، فدخلت إليه خلوب^(١) (جارية لعلية) ومعها كأسان مملوءتان وتحيتان، ومع خادم يتبعها عود، فغتتهما قائمة والكاسان في أيديهما والتحيتان بين أيديهما:

صوت

حيّاكم الله خليليّا إن ميّا كنت وإن حيّا
/ إن قلتما خيراً فخير لكم أرقلتما غيّاً فلا غيّاً

٨٨
٩

فشراباً. ثم دفعت إليهما رقعة فإذا فيها: «صنعت يا سيدي أختكما هذا اللحن اليوم، وألقته على الجوّاري، وأصطبحت فبعثت لكما به، وبعثت من شرابي إليكما ومن تحياتي وأخذت جوّاري لتغنيكما. هناكما الله وسركما وأطاب عيشكما وعيشي بكما».

دعا إبراهيم بن المهدي إسحاق وأبا دلف وغتتهم جاريته لحناً لها:

أخبرني عمي قال حدّثني بنحو من هذا أبو عبدالله المَرّثبان قال حدّثني إبراهيم بن أبي دلف العجلي قال:

كنا مع المعتصم بالقاطول^(٢) وكان إبراهيم بن المهدي في حرّاقته بالجانب الغربي، وأبي وإسحاق بن إبراهيم الموصلي في حرّاقتهما بالجانب الشرقي. فدعاهما في يوم جمعة، فعبرا إليه من زلال^(٣) وأنا معهما وأنا صغير، عليّ أقيّة ومنطقة فلما دنونا من حرّاقة إبراهيم فرأنا نهض ونهضت بنهوضه صبيّة له يقال لها «غضة» وإذا

(١) في أ، م: «خلوي».

(٢) القاطول: اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، وهو نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمر، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبني على فوهته قصراً.

(٣) ظاهر من السياق أنه نوع من السفن كالزورق ونحوه. وقد ورد هذا الاسم في كتاب «تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي صفحة ٢٥٨ طبع حجر بمصر سنة ١٢٧٩ هجرية في قوله: «فعمزت على واسط لأن لي بها صديقاً من الكتاب فجئت فرأيت زلالاً مهياً فطلبت النزول معهم فقالوا نحملك بدرهمين، ولكن الزلال لهاشمي لا يريد معه غريباً، فتزّي بزينا كأنك بعض الملاحين...» وكتب مصححه بالهامش: «قوله زلالاً كأنه نوع من السفن كالزورق كما يظهر من بقية الكلام» اهـ وانظر الكلام عليه في «قاموس دوزي».

في يديها كأسان وفي يده كأس. فلما صعدا إليه أندفع فغنى:

[١٧٢/١٠] / حَيَّاكُمْ اللَّهُ خَلِيلِيَا إِنَّ مَيِّثًا كُنْتُ وَإِنْ حَيَّا
إِنْ قُلْتُمَا خَيْرًا فَأَفْلًا^(١) بِهِ أَوْ قُلْتُمَا غَيًّا فَلَا غَيَّا

ثم ناول كل واحد منهما كأساً، وأخذ هو الكأس الثالث^(٢) الذي في يد الجارية وقال: هَلُمَّ نشرب على ريقنا قَدْحاً. ثم دعا بالطعام فأكلنا، ووَضِعَ النبيذُ فشرَبنا، وغَنَّيَاهُ وغَنَّاها وضرباً معه وضرباً معها، وغَنَّتِ الصبيَّةُ، فطَرِبَ أبي وقال لها: أَحْسَنْتِ أَحْسَنْتِ! فقال له إبراهيم: إِنْ كَانَتْ أَحْسَنْتِ فَخُذْهَا، فَمَا أَخْرَجْتُهَا إِلَّا لَكَ.

شَكَتْ إِلَيْهَا أُمُّ جَعْفَرٍ انْقِطَاعَ الرِّشِيدِ فَقَالَتْ شِعْراً وَغَنَتْ بِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهَا:

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس قالَا حَدَّثَنَا أَبُو هِفَانٍ قَالَ:

أُهِدِيتُ إِلَى الرِّشِيدِ جَارِيَةً فِي غَايَةِ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ، فَخَلَا مَعَهَا يَوْمًا وَأَخْرَجَ كُلَّ فِينَةٍ فِي دَارِهِ وَأَصْطَبَحَ، فَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ حَضْرِهِ مِنْ جَوَارِيهِ الْمَغَنِّيَّاتِ وَالْخَدَمَةِ فِي الشَّرَابِ زُهَاءُ أَلْفِي جَارِيَةٍ فِي أَحْسَنِ زِيٍّ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ وَالْجَوْهَرِ. وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِأُمِّ جَعْفَرٍ فَغُلْظَ عَلَيْهَا ذَلِكَ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى عُلَيَّةَ تَشْكُو إِلَيْهَا. فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا عُلَيَّةُ: لَا يَهْوُلُكَ هَذَا، فَوَاللَّهِ لَا رَدَّتْهُ إِلَيْكَ، قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أَصْنَعَ شِعْراً وَأَصُوغَ فِيهِ لِحْنًا وَأَطْرَحَهُ عَلَى جَوَارِي، فَلَا تَبْقَى عِنْدَكَ جَارِيَةٌ إِلَّا بَعَثْتُ بِهَا إِلَيَّ وَأَلْبِسِيهِنَّ الرِّانَ الثِّيَابَ لِيَأْخُذْنَ الصَّوْتَ مَعَ جَوَارِي، فَفَعَلْتُ أُمُّ جَعْفَرٍ مَا أَمَرَتْهَا بِهِ عُلَيَّةُ. فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ صَلَاةِ الْعَصْرِ لَمْ يَشْعُرِ الرِّشِيدُ إِلَّا وَعُلَيَّةُ قَدْ خَرَجَتْ عَلَيْهِ مِنْ حُجْرَتِهَا، وَأُمُّ جَعْفَرٍ مِنْ حُجْرَتِهَا مَعَهَا زُهَاءُ أَلْفِي جَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا وَسَائِرُ جَوَارِي الْقَصْرِ، عَلَيْهِنَّ غَرَائِبُ اللَّبَاسِ، وَكُلُّهُنَّ فِي لَحْنٍ وَاحِدٍ هَزَجٍ صَنَعْتَهُ عُلَيَّةُ:

صَوْت

مَنْفَصِلٌ عَنِّْي وَمَا قَلْبِي عَنْهُ مَنْفَصِلٌ
يَا قَاطِعِي الْيَوْمِ لِمَنْ نَوَيْتَ بَعْدِي أَنْ تَصِلَ

[١٧٣/١٠] / فَطَرِبَ الرِّشِيدُ وَقَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ حَتَّى اسْتَقْبَلَ أُمَّ جَعْفَرٍ وَعُلَيَّةُ هُوَ عَلَى غَايَةِ السَّرُورِ، وَقَالَ: لَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ قَطُّ. يَا مَسْرُورَ لَا تُبَيِّنْ فِي بَيْتِ الْمَالِ دِرْهَمًا إِلَّا نَثَرْتَهُ. فَكَانَ مَبْلَغُ مَا نَثَرَهُ يَوْمَئِذٍ سِتَّةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَمَا سُمِعَ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطُّ.

كَانَتْ تَحِبُّ لِحْنَ الرَّمْلِ:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال / حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ قَالَ:

كَانَتْ عُلَيَّةُ تَقُولُ: مَنْ لَمْ يُطَرِّبْهُ الرَّمْلُ لَمْ يُطَرِّبْهُ شَيْءٌ. وَكَانَتْ تَقُولُ: مَنْ أَصْبَحَ وَعِنْدَهُ طَبَاهِجَةٌ^(٣) بَارِدَةٌ وَلَمْ يَصْطَبِحْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ.

(١) كَذَا فِي ح. وَفِي أ، م: «فَأَهْلًا لَهُ». وَفِي ب س: «فَخَيْرَ لَكُمْ».

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ. وَيُلاحِظُ أَنَّ الْكَاسَ مَوْثِقَةً.

(٣) الطَبَاهِجَةُ: ضَرْبٌ مِنَ اللَّحْمِ الْمُقْلِيِّ.

غنت هي وأخوها إبراهيم وزمر عليهما أخوهما يعقوب:

حدّثني عتي قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال قالت لي عريب: أحسن يوم رأيته وأطيبه يوم أجمعت فيه مع إبراهيم بن المهدي عند أخته علية وعندهم أخوهم يعقوب، وكان أحذق الناس بالزمر. فبدأت علية فغنتهم من صنعتها وأخوها يعقوب يزمر عليها:

صوت

تَحَبَّبَ فَإِنِ الْحَبِّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
وغنى إبراهيم في صنعته وزمر عليه يعقوب:

صوت

يا واحد الحُبِّ مالي منك إذ كَلِفْتُ نفسي بحُبِّك إلّا الهمُّ والحَزَنُ
لِمَ يُنْسِينِيكَ سرورٌ لا ولا حَزَنُ وكيف لا! كيف يُنسى وجهك الحَسَنُ
ولا خلا منك قلبي لا ولا جَسَدِي كُلِّي بكُلِّك مشغولٌ ومُرْتَهَنُ
نورٌ تولّد من شمس ومن قمرٍ حتى تكامل منه الرُّوح والبدَنُ
فما سمعتُ مثْلُ ما سمعتهُ منهما قطّ، وأعلم أنّي لا أسمع مثله أبداً.

/ تمارت خشف وعريب في عدد أصواتها بحضرة المتوكل:

قال ميمون بن هارون قلت لعريب:

رأيتُ في النوم كأنّي سألت علية بنت المهدي عن أغانيها فقالت لي: هي نيّف وخمسون صوتاً. فقالت لي عريب: هي كذلك. وقد أخبرني بنحو هذا الخبر عبدالله بن الربيع الربيعي قال حدّثني وسوسة وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني خشف الواضحية أنها تمارت هي وعريب في غناء علية بحضرة المتوكل أو غيره من الخلفاء، فقالت هي: هي ثلاثة وسبعون صوتاً. فقالت عريب: هي أثنان وسبعون صوتاً. فقال المتوكل: غنياً غناءها، فلم تزل تغنيان غناءها حتى مضى أثنان وسبعون صوتاً، ولم تذكر خشف الثالث والسبعين فقطع بها وأستولت عريب عليها وأنكرت. قالت: فلمّا كان الليل رأيت علية فيما يرى النائم فقالت: يا خشف خالفك عريب في غنائي! قلت: نعم يا سيّدي. قالت: الصواب معك، أفندرين ما الصوت الذي أنسيته؟ قلت: لا والله! ولوددتُ أنّي فدّيت ما جرى بكلّ ما أملك. قالت هو:

صوت

بُني الحُبِّ على الجَوْرِ فَلَوُ أنصف المعشوق فيه لَسُمُجُ
ليس يُسْتَحْسَنُ في حكم الهوى عاشقٌ يُحسن تاليفَ الحُجَجِ
لا تَعْيِينُ مَنْ مُحِبُّ ذِلَّةً ذلّةُ العاشق مُفْتاحُ الفرجِ
وقليلُ الحبِّ صِرْفاً خالِصاً لك خيرٌ من كثيرٍ قد مُزجِ

وكانها قد أندفعت تغنيني به، فما سمعت أحسن مما غنّته، ولقد زادت لي فيه أشياء في نومي لم أكن أعرفها. فأنتبهت وأنا لا أعقل فرحاً به. فباكرت الخليفة وذكرت له القصة. فقالت عريب: هذا شيء صنعت أنت ٩٠ لِمَا جرى بالأمس، وأما الصوت فصحيح. فخلفت للخليفة بما رضي / به أن القصة كما حكيت. فقال: رؤياك والله ٩٠ [١٧٥/١٠] / أعجب، ورحم الله عليّ! فما تركت ظرفها حيّة وميتة، وأجازني جائزة سنّة. ولعلّيّة في هذا الصوت أعني:

* بُني الحب على الجور فلو *

لحنان: خفيف ثقيل وهزج. وقيل إن الهزج لغيرها.

سمع الرشيد لحنين لها من جاريتها عند إبراهيم الموصلي فرجع إليها وسمعها منها ومدحهما:

ونسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدّثني أحمد بن محمد الفيرزان^(١) قال حدّثني بعض خدام السلطان عن مسرور الكبير، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن ابن الفيرزان^(٢)، وفيهما خلاف يذكر في موضعه، قال:

اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصلي يوماً، فركب حماراً يقرب من الأرض، ثم أمر بعض خدام الخاصة بالسعي بين يديه، وخرج من داره، فلم يزل حتى دخل على إبراهيم. فلما أحسّ به استقبله وقبّل رجله. وجلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قومٌ ثم مضوا، ورأى عيداناً كثيرة، فقال: يا إبراهيم ما هذا؟ فجعل يدافع. فقال: ويّلك! أضدقني. فقال: نعم يا أمير المؤمنين، جاريتان أطرح عليهما. قال: هاتهما. فأحضر جاريتين ظريفتين، وكانت الجاريتان لعلّيّة بنت المهديّ بعثت بهما يطرح عليهما. فقال الرشيد لإحدهما: غني، فغنّت - وهذا كله من رواية محمد بن طاهر -:

بُني الحب على الجور فلو	أنصف المعشوق فيه لسمج
ليس يستحسن في حكم الهوى	عاشق يحسن تاليف الحنج
لا تعيين من محب ذلّة	ذلّة العاشق مفتاح الفرج
وقليل الحب صرفاً خالصاً	لك خير من كثير قد مزج

فأحسن جداً. فقال الرشيد: يا إبراهيم لمن الشعر؟ ما أمله! ولمن اللحن؟ ما أظرفه! فقال: لا علم لي. فقال للجارية، فقالت: لستّي. قال: ومن سيّك؟ قالت: عليّة / أخت أمير المؤمنين. قال: الشعر واللحن؟ قالت نعم! فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إلى الأخرى فقال: غني؛ فغنّت:

صوت

تعبّبت فإن الحب داعية الحب	وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبصّر فإن حسدك أن أخا هوى	نجا سالماً فارج النجاة من الحب
إذا لم يكن في الحب سُخْط ولا رضاء	فأين حلاوات الرسائل والكُثب

- الغناء لعلّيّة خفيف ثقيل. وفي كتاب علّويه: الغناء له - فسأل إبراهيم عن الغناء والشعر؛ فقال: لا علم

لي يا أمير المؤمنين. فقال للجارية: لمن الشعر واللعن؟ فقالت لستِي. قال: وَمَنْ سِتِّكَ؟ فقالت: عَلِيَّةُ أختُ أمير المؤمنين. فوثب الرشيد وقال: يا إبراهيم احتفظ بالجارتين. ومضى فركب حماره وأنصرف إلى عَلِيَّةَ. هذا كله في رواية محمد بن طاهر، ولم يذكره محمد بن الحسن، ولكنه قال في خبره: إن الرشيد زار الموصلي هذه الزيارة ليلاً، وكان سببها^(١) أنه أتته في نصف الليل فقال: هاتوا حماري فَأَتِي بِحِمَارٍ كَانَ لَهُ أَسْوَدٌ يركبه في القصر قريب من الأرض، فركبه وخرج في دُرَاعَةٍ^(٢) وشيء مثلاً بعمامة وشيء مُلْتَحِفاً برداء وشيء، وخرج بين يديه مائة / خادم أبيض سوى الفَرَّاشين. وكان مسرور الفَرَّغاني جريئاً عليه لمكانته عنده، فلما خرج على باب^(٣) القصر قال: أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة؟ قال: أردتُ منزلَ الموصلي. قال مسرور: فمضى ونحن بين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم، فتلقاه وقبّل حافر حماره وقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك، أفي مثل هذه الساعة تظهر؟! قال: نعم! شوق طرّق بي. ثم نزل فجلس في طرف الإيوان وأجلس إبراهيم. فقال له إبراهيم: يا سيدي / أنتشط لشيء تأكله؟ قال: نعم، وما هو؟ قال: خاميز^(٤) ظبي. فَأَتِي بِهِ كَأَنَّمَا كَانَ مُعَدّاً لَهُ [١٧٧/١٠] فأصاب منه شيئاً يسيراً، ثم دعا بشراب كان حُمِلَ معه. فقال له إبراهيم الموصلي: أَوْغَيْتُكَ يَا سَيِّدِي أَمْ يَغْنِيكَ إِمَاؤُكَ؟ فقال: بل الجواري. فخرج جواري إبراهيم فأخذنَ صَدْرَ الإيوان وجانيه. فقال: أَيُضْرِبْنَ كُلُّهُنَّ أَمْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً؟ فقال: بل تَضْرِبُ اثْنَتَانِ اثْنَتَانِ وَتَغْنِي وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً. ففعلن ذلك حتى مَرَّ صَدْرُ الإيوان وأخذ جانيه والرشيد يسمع ولا يَنْشَطُ شيء من غنائهن، إلى أن غَنَّتْ صَبِيَّةٌ مِنْ حَاشِيَةِ الصَّفِّ.

بصوت

يَا مُؤَرِّي الزُّنْدِ قَدْ أَعَيْتُ قَوَادِحَهُ
مَا أَقْبَحَ النَّاسَ فِي عَيْنِي وَأَسْمَجَهُمْ
إِذَا نَظَرْتُ فَلَمْ أَبْصُرْكَ فِي النَّاسِ
إِذَا شَتَّ مِنْ قَلْبِي بِمُقْبَاسِ

فطرب لغنائها وأستعاد الصوت مراراً وشرب أرطالاً، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكت، فاستدناها فتعاسست، فأمر بها فأقيمت إليه، فأخبرته بشيء أسرته إليه. فدعا بحماره فأنصرف وألقت إلى إبراهيم فقال: ما عليك ألا تكون خليفة! فكادت نفسه تخرج، حتى دعا به بعد وأدناه. هذا نظم رواية محمد بن الحسن في خبره. وقال محمد بن طاهر في خبره: فقال للموصلي: احتفظ بالجارتين، وركب من ساعته إلى عَلِيَّةَ فقال: قد أحببتُ أن أشربَ عندك اليوم. فتقدّمتُ فيما تُصْلِحُهُ، وأخذتُ في شأنهما. فلما أن كان في آخر الوقت حمل عليها بالنيذ، ثم أخذ العودَ من حجر جارية فدفعه إليها، فأكبرت ذلك. فقال: وتُزِيهِ المهدي لتُغْنِيَ! قالت: وما أَغْنِي؟ قال: غَنِّي:

* بُنِيَ الْحَبَّ عَلَى الْجَسُورِ فُلُو *

/ فعلمت أنه قد وقّف على القصة فغَنَّتْ. فلما أتت عليه قال لها غَنِّي:

* تَحَبَّبَ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ *

فَلَجَلَجَلَتْ ثُمَّ غَنَّتْ. فقام وقبّل رأسها وقال: يا سيدي هذا عندك ولا أعلم! وتَمَّ يومه معها.

(١) في الأصول: «سببه».

(٢) الدراعة: ضرب من الثياب، أو هي جبة مشفوقة المقدم.

(٣) الخاميز: مرق السكباغ المبرد المصفى من الدهن. أعجمي معرب.

عاهدها أخوها إبراهيم وكرر السؤال عنها فخجل من جوابها:

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْعُبَيْسِ بْنُ حَمْدُونَ قَالَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ:

مَا خَجَلْتُ قَطُّ خَجَلَتْنِي مِنْ عُلَيَّةَ أُخْتِي. دَخَلْتُ عَلَيْهَا يَوْمًا عَائِدًا فَقُلْتُ: كَيْفَ أَنْتِ يَا أُخْتِي جُعِلْتُ فِدَاكَ
وَكَيْفَ حَالُكَ وَجِسْمُكَ؟ فَقَالَتْ: بِخَيْرٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. وَوَقَعْتُ عَيْنِي عَلَى جَارِيَةٍ كَانَتْ تَذُبُّ عَنْهَا فَتَشَاغَلْتُ بِالنَّظَرِ
إِلَيْهَا فَأَعْجَبْتَنِي وَطَالَ جُلُوسِي، ثُمَّ أَسْتَحْيَيْتُ مِنْ عُلَيَّةَ فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهَا فَقُلْتُ: وَكَيْفَ أَنْتِ يَا أُخْتِي جُعِلْتُ فِدَاكَ
وَكَيْفَ حَالُكَ وَجِسْمُكَ؟ فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى حَاضِنَةٍ لَهَا وَقَالَتْ: أَلَيْسَ هَذَا قَدْ مَضَى مَرَّةً وَأَجَبْنَا عَنْهُ! فَخَجَلْتُ
خَجَلًا مَا خَجَلْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَقَمْتُ وَأَنْصَرَفْتُ.

أمرها الرشيد بالغناء فغنته من وراء ستار وكان معه جعفر فعرفه بها:

أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ الرَّبِيعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ
قَالَ:

شَهِدْتُ أَبِي جَعْفَرَ وَأَنَا صَغِيرٌ وَهُوَ يَحْدِثُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ جَدِّي فِي بَعْضٍ / مَا كَانَ يَخْبِرُهُ بِهِ مِنْ خَلَوَاتِهِ مَعَ
الرَّشِيدِ، قَالَ: يَا أَبَتِ، أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى حُجْرَةٍ يَخْتَرِقُهَا حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى حُجْرَةٍ مُغْلَقَةٍ فَفُتِحَتْ
لَهُ، ثُمَّ رَجَعَ مَنْ كَانَ مَعَنَا مِنَ الْخَدَمِ، ثُمَّ صَرْنَا إِلَى حُجْرَةٍ مُغْلَقَةٍ فَفَتَحَهَا بِيَدِهِ وَدَخَلْنَا جَمِيعًا وَأَغْلَقَهَا مِنْ دَاخِلِ
بِيَدِهِ، ثُمَّ صَرْنَا إِلَى رِوَاقٍ فَفَتَحَهُ وَفِي صَدْرِهِ مَجْلِسٌ مُغْلَقٌ فَقَعَدَ عَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ، فَتَقَرَّ هَارُونَ الْبَابَ بِيَدِهِ نَقَرَاتٍ
فَسَمِعْنَا حَسًّا، ثُمَّ أَعَادَ النَّقْرَ فَسَمِعْنَا صَوْتَ عُودٍ، ثُمَّ أَعَادَ النَّقْرَ ثَلَاثَةً فَغَنَّتْ جَارِيَةٌ مَا ظَنَنْتُ وَاللَّهِ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِثْلَهَا
فِي حُسْنِ الْغِنَاءِ وَجُودَةِ الضَّرْبِ. فَقَالَ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ أَنْ غَنَّتْ أَصَوْتًا: غَنِّي صَوْتِي، فَغَنَّتْ صَوْتَهُ، وَهُوَ:

أَصَوْتِ

[١٧٩/١٠]

وَمُخَنَّنٌ شَهْدَ الزُّفَافِ وَقَبْلَهُ غَنَّى الْجَوَارِي حَاسِرًا وَمُنْقَبًا
لَيْسَ الدَّلَالُ وَقَامَ يَنْقَرُ دُقُّهُ نَقَرًا أَقْرَبَهُ الْعَيُونَ وَأَطْرَبًا
إِنَّ النِّسَاءَ رَأَيْنَهُ فَعَشِقْنَهُ فَشَكُونَ شِدَّةً مَا بَهَنَ فَأَكْذَبًا

- فِي هَذَا اللَّحْنِ خَفِيفٌ رَمَلٌ نَسَبَهُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ إِلَى أَبِي نَسْرٍ وَلَمْ يَصِحَّ لَهُ، وَفِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ فِي كِتَابِ
عُلَيَّةَ أَنَّهُ لَهَا، وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتُ أَنَّهُ لِرَبِيعٍ. وَاللَّحْنُ مَاخُودٌ مِنْ:

* إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ *

وَهُوَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ لِلْمَهْدَلِيِّ، وَيُقَالُ إِنَّهُ لِابْنِ سُرَيْجٍ، وَهُوَ يَأْتِي فِي مَوْضِعٍ آخَرَ - قَالَ: فَطَرِبْتُ وَاللَّهِ طَرِبًا هَمَمْتُ مَعَهُ
أَنْ أَنْطَحَ بِرَأْسِي الْحَائِطَ. ثُمَّ قَالَ غَنِّي:

* طَالَ تَكْذِيبِي وَتَصْدِيقِي *

فَغَنَّتْ:

تَصَوُّتِ

طَالَ تَكْذِيبِي وَتَصْدِيقِي لَمْ أَجِدْ عَهْدًا لِمَخْلُوقٍ

إِنَّ نَاساً فِي الْهَوَى غَدِرُوا أَحَدَثُوا^(١) تَقْبِضَ الْمَوَائِقَ
لَا تَرَانِسِي بَعْدَهُمْ أَبَداً أَشْتَكِي عِشْقاً لِمَعشُوقٍ

- لحنٌ عليّة في هذا الصوت هزج. والشعر لأبي جعفر محمد بن حُمَيد الطوسي وله فيه لحنٌ خفيفٌ ثقيل. ولعريبٌ فيه ثقلٌ أولٌ وخفيفٌ ثقيلٌ آخر. قال: فرقص الرشيد ورقصت معه، ثم قال: امض بنا فإنني أخاف أن يبدو منا ما هو أكثر من هذا، فمضينا. فلما صرنا إلى الدهليز قال وهو قابض على يدي: أعرفت هذه المرأة؟ قال قلت: لا يا أمير المؤمنين. قال: فإنني أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتُم ذلك، وأنا أخبرك / أنها عليّة بنت [١٨٠/١٠] المهدي. ووالله لئن لفظت به بين يدي أحدٍ وبلغني لأقتلنك. قال: فسمعتُ جدي يقول له: فقد والله لفظت به، ووالله ليقتلنك! فأصنع ما أنت صانع.

نسبة الصوت الذي أخذ منه:

* وَمُخَنَّبٌ شَهِدَ الزَّفَافَ وَقَبْلَهُ *

صوت

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنَّ يَأْخُذُوكَ تَكْجَلِي وَتَخْضَبِي
وَأَنَا أَمْرُؤُا إِنْ يَأْخُذُونِي عَنْوَةً أَقْرَنَ إِلَى سَيْرِ الرُّكَّابِ وَأُجْنَبِ
/ ويكون مركبك القعود^(٢) وحذجه وأبن النعامة يوم ذلك مركبي

٩٣/٩

الناس يزؤون هذه الأبيات لعنرة بن شداد العبسي، وذكر الجاحظ أنها لحُرَز^(٣) بن لؤذان، وهو الصحيح. وحُرَزُ شاعرٌ قديم يقال إنه قبل أمرى القيس. وقد أختلَفَ في معنى قوله «أبن النعامة» فقال أبو عبيدة والأصمعي: النعامة فرسه وأبنها ظلُّها. يقول: أفاد في الهاجرة إلى جنبها فيكون ظلِّي كالراكب لظلِّها. وقال أبو عمرو الشَّيْبَانِي: ابن النعامة مُقَدَّمُ رِجْلِهِ مِمَّا يَلِي الْأَصَابِعَ. يقول: فلا يكون لي مركبٌ إلَّا رجلي. وقال خالد بن كلثوم: ابن النعامة الخشبة التي يُصَلَّبُ عليها. يقول: أَقْتُلُ وَأُصَلِّبُ فَتَكُونُ الْخَشْبَةُ مَرْكَبِي. واحتجَّ مَنْ ذكر أنه يَعْنِي ظِلَّ فَرَسِهِ وأنه يكون كالراكب له بقول الشاعر:

إِذْ ظَلٌّ يَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ فَارِساً وَيَرَى نَعَامَةً ظَلُّهُ فَيُحَوِّلُ

قال: وأبن النعامة: ظلُّ كلِّ شيء. وقد مضى هذا الصوت مفرداً مع خبره في موضع آخر.

/ أمرها الرشيد بالغناء فنظمت فيه شعراً وغنته به فطرب:

[١٨١/١٠]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن يزيد المُهَلَّبِي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال:

زار الرشيدُ عليّة فقال لها: بالله يا أختي غيّبي. فقالت: وحياتك لأعملنَّ فيك شعراً ولأعملنَّ فيه لحناً،

فقالت من وقتها:

(١) في ب، س: «حسنوا».

(٢) القعود: من الإبل ما اتخذ الراعي للركوب وحمل الزاد والمتاع. والحدج: مركب من مراكب النساء نحو اليهودج والمحفة.

(٣) كذا في «القاموس» (في مادة «لؤذ»). وفي الأصول: «حزن» وهو تحريف.

صوت

تَقْدِيرِكَ أَخْتُكَ قَدْ حَبَوْتَ بِنِعْمَةٍ لَسْنَا نَعُدُّ لَهَا الزَّمَانَ عَدِيلاً
إِلَّا الْخُلُودَ، وَذَاكَ قَرُبُكَ سَيِّدِي لَا زَالَ قَرُبُكَ وَالْبَقَاءُ^(١) طَوِيلاً
وَحَمِدْتُ رَبِّي فِي إِجَابَةِ دَعْوَتِي فَرَأَيْتُ حَمِيدِي عِنْدَ ذَاكَ قَلِيلاً
وَعَمِلْتُ فِيهِ لِحْنًا مِنْ وَقْتِهَا فِي طَرِيقَةِ خَفِيفِ الرَّمْلِ، فَأَطْرَبَ الرَّشِيدَ وَشَرِبَ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ.

طلب الرشيد أختها ولم يطلبها فقالت شعراً وبعثت من غناه له فأحضرها:

قال: وقالت للرشيد أيضاً وقد طلب أختها ولم يطلبها.

صوت

مَالِي نُسِيْتُ وَقَدْ نُودِي بِأَصْحَابِي وَكُنْتُ وَالذُّكْرُ عِنْدِي رَائِحُ غَادِي
أَنَا الَّتِي لَا أَطِيقُ الدَّهْرَ فُرْقَتَكُمْ فَرِقٌ لِي يَا أَخِي مِنْ طَوْلِ إِبْعَادِ
قال: وَغَنَّتْ فِيهِ لِحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي، وَبَعَثَتْ مِنْ غَنَاهِ لِلرَّشِيدِ، فَبَعَثَتْ فَأَحْضَرَهَا.

حجبت وتأخرت فتكدر الرشيد فنظمت شعراً وغنته فرضي عنها:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد قال حدثني زُرْزُورُ الْكَبِيرِ غلام جعفر بن موسى الهادي:

أَنَّ عَلِيَّةَ حَجَّتْ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَتْ أَقَامَتْ بِطَيْرَنَابَاذَ^(٢) أَيَّامًا، فَانْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الرَّشِيدِ فغَضِبَ. فَقَالَتْ عَلِيَّةُ:

صوت

[١٨٢/١٠]

أَيُّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ أَيُّ ذَنْبٍ أَيُّ ذَنْبٍ لَوْلَا رَجَائِسِي لِرَبِّي
بِمُقَامِي بِطَيْرَنَابَاذٍ يَوْمًا بَعْدَهُ لَيْلَةٌ عَلَى غَيْرِ شُرْبٍ
ثُمَّ بَاكَرْتُهَا عُقَارًا شَمُولًا تَفْتِنُ النَّاسِكَ الْحَلِيمَ وَتُضْبِي
فَرَقَفْنَا قَهْوَةً تَرَاهَا جَهُولًا ذَاتَ حِلْمٍ فَارَاجَةً كُلَّ كَرْبٍ

قال: وصنعت في البيتين الأولين لِحْنًا خفيف الثَّقِيلِ، وفي البيتين الآخرين لِحْنًا مِنْ / الرَّمْلِ. فَلَمَّا جَاءَتْ وَسَمِعَ الشَّعْرَ وَاللَّحْنَيْنِ رَضِيَ عَنْهَا.

اشتاقها الرشيد وهو بالرقعة فطلبها فجاءته وقالت شعراً وعملت فيه لِحْنًا:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبدالله بن المعتز قال حدثني عبدالله بن إبراهيم بن المهدي قال:

(١) فِي أ، م: «فِي الْبَقَاءِ».

(٢) كَذَا فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» لِيَاقُوتَ. وَطَيْرَنَابَاذُ: مَوْضِعٌ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْقَادِسِيَّةِ، كَانَ مِنْ أُنْزِهِ الْمَوَاضِعُ مُحْفُوفًا بِالْكَرُومِ وَالشَّجَرِ وَالْحَانَاتِ وَالْمَعَاصِرِ، وَكَانَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الْمَقْصُودَةِ لِلْهَوِّ وَالْبَطَالَةِ. وَفِي الْأَصُولِ: «طَيْرَنَابَاذُ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

إشتاق الرشيد إلى عَمَّتِي عَلِيَّةَ بِالرَّقَّةِ، فكتب إلى خالها يزيد بن منصور في إخراجها إليه فأخرجها. فقالت في طريقها:

صوت

إشْرَبَ وَغَنَّ عَلَى صَوْتِ النَّوَاعِيرِ مَا كُنْتُ أَعْرِفُهَا لَوْلَا أَبْنُ مَنْصُورٍ
لَوْلَا الرِّجَاءُ لِمَنْ أُمِلْتُ رُؤْيَا مَا جُزْتُ بَغْدَادَ فِي خَوْفٍ وَتَغْرِيرِ
وَعَمِلْتُ فِيهِ لِحْنًا فِي طَرِيقَةِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ.

كانت مع الرشيد في الري فحنت إلى العراق بشعر فردها:

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال: حدّثنا الهشامي أبو عبد الله قال: لما خرج الرشيد إلى الرِّيِّ أخذ أخته عَلِيَّةَ معه. فلَمَّا صار بِالْمَرْجِ^(١) عَمِلَتْ شعراً وصاغت فيه لحناً في طريقة الرمل وغنّت به، وهو:

[١٨٣/١٠]

صوت

/ وَمُتَغَرِّبٍ بِالْمَرْجِ يَبْكِي لِشَجْوِهِ وَقَدْ غَابَ عَنْهُ الْمُسْعِدُونَ عَلَى الْحَبِّ
إِذَا مَا أَتَاهُ الرُّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ تَنَشَّقُ يَسْتَشْفِي بِرَائِحَةِ الرُّكْبِ
فَلَمَّا سَمِعَ الصَّوْتَ عَلِمَ أَنَّهَا قَدْ أَشْتَاكَتْ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَهْلِهَا بِهِ فَرَدَّهَا.

غنت الرشيد في يوم فطر:

ونسخت من كتاب هارون بن محمد الزِّيَّات حدّثني بعض موالي أبي عيسى بن الرشيد عن أبي عيسى: أن عَلِيَّةَ غَنَّتِ الرَّشِيدَ فِي يَوْمِ فِطْرِ:

صوت

طَالَتْ عَلَيَّ لِيَالِي الصَّوْمِ وَأَتَّصَلْتُ حَتَّى لَقَدْ خَلَّتْهَا زَادَتْ عَلَى الْأَبْدِ
شَوْقاً إِلَى مَجْلِسِ يُزْمَى بِصَاحِبِهِ أُعِيدُهُ بِجَلَالِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
الْغِنَاءُ لَعَلِّيَّةَ ثَانِي ثَقِيلٌ لَا يُشَكُّ فِيهِ، وَذَكَرَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ لِلْوَائِقِ، وَذَكَرَ آخَرُونَ أَنَّهُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّيِّعِيِّ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَعَلِّيَّةَ. وَفِيهِ لَعَرِيبٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ غَنَّتْهُ الْمُعْتَمِدَ يَوْمَ فِطْرِ فَأَمَرَ لَهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

ضربت وكيلها سباعا وحبسته لخيانته فشفع فيه جيرانه فقالت شعراً:

وقال ميمون بن هارون حدّثني أحمد بن يوسف أبو الجهم قال:

كَانَ لَعَلِّيَّةَ وَكِيلٌ يُقَالُ لَهُ سِبَاعٌ، فَوَقَفَتْ عَلَى خِيَانَتِهِ فَضَرَبَتْهُ وَحَبَسَتْهُ، فَأَجْتَمَعَ جِيرَانُهُ إِلَيْهَا فَعَرَفُوهَا جَمِيلَ مَذْهَبٍ وَكَثْرَةَ صِدْقِهِ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ رَقْعَةً، فَوَقَعَتْ فِيهَا:

(١) المرج: يريد به مرج القلعة، بينه وبين حلوان منزل إلى جهة همدان. كذا ذكر ياقوت في «معجمه» وذكر البيهقي الواردين في هذه القصة.

أَلَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْعَيْسَ بَلَّغْنِ سِبَاعاً وَقُلْ إِنْ ضَمَّ دَارَكُمْ^(١) السَّفَرُ^(٢)
 أَتَسْلُبُنِي مَالِي وَإِنْ جَاءَ سَائِلٌ رَقَقْتُ لَهُ إِنْ حَطَّه نَحْوُكَ الْفَقْرُ
 كَشَافِيهِ الْمَرَضَى بِعَائِدَةِ الزَّوْا تَوْمُلُ أَجْراً حَيْثُ لَيْسَ لَهَا أَجْرُ

[١٨٤/١٠] / تركت الغناء لموت الرشيد فآلح عليها الأمين فغنته :

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني عَلَمُ السَّمَاءِ جارية عبد الله بن موسى الهادي أنها شهدت عَلِيَّةَ غَنَّتْ الأَمِينَ فِي شعر لها، وهو آخر شعر قالت فيه، وطريقته من الثقيل الثاني. وكانت لما مات الرشيد جَزَعَتْ جَزَعاً شديداً وتركت التَّيِّدَ والغناء. فلم يزل بها الأمين حتى عادت فيهما على كره. والشعر:

صوت

أَطْلَتِ عَاذِلَتِي لَوْمِي وَتَفْنِيدِي وَأَنْتِ جَاهِلَةٌ شَوْقِي وَتَسْهِيدِي
 / لَا تَشْرَبِ الرَّاحَ بَيْنَ الْمُسْمِعَاتِ وَزُرْ ظَنِيّاً غَرِيراً نَقِيَّ الْخَدِّ وَالْجِيدِ
 قَدْ رَنَحْتَهُ شُمُولٌ فَهُوَ مُنْجَدِلٌ يَخْكِي بِوَجَّتِهِ مَاءَ الْعِنَاقِيدِ
 قَامَ الأَمِينُ فَأَغْنَى النَّاسَ كُلَّهُمْ فَمَا فَقِيرٌ عَلَى حَالٍ بِمَوْجُودِ
 لَحْنٌ عَلِيَّةٌ فِي هَذَا الشعرِ ثَانِي ثَقِيلٌ وَلَعَرِيبٌ فِيهِ هَزَجٌ، وَقِيلَ إِنَّ الْهَزَجَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ.

قالت شعراً في لبانة بنت أخيها علي بن المهدي وغنت فيه:

وقال ميمون بن هارون حدثني محمد بن أبي عَوْنٍ قال حدثني عَرِيبٌ أَنَّ عَلِيَّةَ قَالَتْ فِي لُبَانَةَ بِنْتِ أَخِيهَا عَلِيٍّ بْنِ الْمَهْدِيِّ شعراً وَغَنَّتْ فِيهِ مِنَ الثَّقِيلِ الأول:

صوت

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَجْلِسِ كُنْتِ زَيْنَةَ رَسُولُ أَمِيرٍ وَالنِّسَاءُ شُهُودُ
 فَقُلْتُ لَهُ كُرَّ^(٣) الْحَدِيثَ الَّذِي مَضَى وَذَكَرَكَ مِنْ ذَاكَ^(٤) الْحَدِيثَ أَرِيدُ
 وَقَدْ ذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّ هَذَا اللَّحْنَ لِإِسْحَاقَ غَنَّاهُ بِالرَّقَّةِ. وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ.

[١٨٥/١٠] / سمعها إسماعيل بن الهادي تغني مستترة عند المأمون فأذهله غناؤها:

أخبرني محمد بن يحيى عن عَوْنٍ بن محمد عن أبي أحمد بن الرشيد. ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عَوْنٍ بن محمد عن أبي أحمد بن الرشيد واللفظ له قال:

دخل يوماً إسماعيل بن الهادي إلى المأمون، فسمع غناءً أذهله. فقال له المأمون: مالك؟ قال: قد سمعتُ

(١) كذا في الأصول. والأظهر أن تكون «ضم ركبكم» أو «حل» أو «جاز» - داركم السفر» أو نحو ذلك.

(٢) السفر: القوم المسافرون.

(٣) في ح: «فقلت لها كرى».

(٤) في ب، س: «من بين الحديث».

ما أذهلني، وكنتُ أكذبُ بأن الأزعن الرُّومي يقتل طرباً، وقد صدقتُ الآن بذلك. قال: أو لا تَذري ما هذا؟ قال: لا والله! قال: هذه عَمَّتُك عَلِيَّةٌ تُلقِي على عَمِّك إبراهيم صوتاً من غنائها. إلى ها هنا رواية محمد بن يحيى. وفي رواية محمد بن الحسن قال: هذه عَمَّتُك تُلقِي على عَمِّك إبراهيم صوتاً أَسْتَحْسِنُه من غنائها. فأصغيتُ إليه فإذا هي تُلقِي عليه:

صوت

ليس خَطْبُ الهوى بخطبٍ يسير ليس يُنْيِيكَ عنه مثْلُ حير
ليس أمرُ الهوى يُدَبِّرُ بالراً ي ولا بالقياس والتفكير
اللحنُ في هذا لعلِّيَّةٌ ثَقِيلٌ أوَّل. وفيه لإبراهيم بن المهدي ثاني ثَقِيلٌ عن الهشامي.

توفيت ولها خمسون سنة، وسبب وفاتها:

أخبرني جَحْظَةُ قال حَدَّثني هبةُ الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه:

أَنَّ عَلِيَّةَ بِنْتَ المَهْدِيِّ وُلِدَتْ سَنَةَ سِتِينَ وَمِائَةٍ، وَتُوفِيَتْ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَتَيْنِ^(١) وَلَهَا خَمْسُونَ سَنَةً. وَكَانَتْ عِنْدَ مُوسَى بْنِ عِيسَى بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ. وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ عَوْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ: مَاتَتْ عَلِيَّةٌ سَنَةَ تِسْعٍ وَمِائَتَيْنِ، وَصَلَّى عَلَيْهَا الْمَأْمُونُ. وَكَانَ سَبَبُ وَفَاتِهَا أَنَّ الْمَأْمُونَ ضَمَّهَا إِلَيْهِ وَجَعَلَ يَقْبَلُ رَأْسَهَا، وَكَانَ وَجْهُهَا مُغَطًى، فَشَرِقتُ مِنْ ذَلِكَ وَسَعَلْتُ ثُمَّ حُمْتُ بِعَقَبِ هَذَا أَيَّاماً يَسِيرَةً وَمَاتَتْ.

مركز توثيق التراث الحضاري والحضاري

١ / وَمَنْ صَنَعَ أَوْلَادَ الخلفاء أبو عيسى بن الرّشيد

فمن صنّعه:

صوت

فَإِذَا بِقَلْبِي وَقَعْتُ ظَبِي نَفَى عَنِّي الْجَلْدُ
خَلَفَنِي مُذْهَباً أَهِيَمُ فِي كُلِّ بَلْدُ
أَسْهَرَنِي ثُمَّ رَقَدْتُ وَمَارْتِي لِي مِنْ كَمَدُ
ظَبِي إِذَا أَزْدَدْتُ لَهُ تَذَلُّلاً تَهَاهُ وَصَدُ
/ وَاعْطَشَا إِلَى فَمٍ يُمِجُّ خَمِراً مِنْ بَرْدُ

٩٦

عروضه من مجزوء الرّجز. والشعر والغناء لأبي عيسى بن الرّشيد، ولحنه فيه ثَقِيلٌ أوَّل مطلق في مجرى الوسطى من روايتي عبدالله بن المعتزّ والهشامي. وذكر الهشامي أن له أيضاً فيه لحناً من ثَقِيلِ الرَّمَلِ، وذكر حبش أن الرَّمَلِ لحسين بن مُخْرَز. وفيه لأبي العُبَيْس بن حَمْدُون خَفِيفٌ ثَقِيلٌ.

(١) في الأصول: «ست عشرة ومائتين» والتصويب عن «نهاية الأرب» و «النجوم الزاهرة».

/ أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه

[١٨٧/١٠]

شيء من أوصافه:

اسمه أحمد، وقيل بل اسمه صالح بن الرشيد. وهذا النسب أشهر من أن يُشرح. وأمه أم ولد بزريرة. وكان من أحسن الناس وجهاً ومجالسةً وعشرةً، وأمجنتهم وأحدهم نادرةً وأشدّهم عبثاً. وكان يقول شعراً ليّناً طيباً من مثله.

كان جميل الوجه:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد الوراق قال حدّثني محمد بن عبدالله بن طاهر أنه سمع أباه يقول: سمعتُ أبي (يعني طاهر بن الحسين) يحدث أنه سمع الرشيد يقول للمأمون: أنت تعلم أنك أحبّ الناس إليّ، ولو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت.

كان إذا ركب جلس له الناس لرؤية حسنه:

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثني مُسَيِّح بن حاتم العُكَلِيّ قال حدّثنا إبراهيم بن محمد قال: كان يقال: إنتهى جمالٌ ولّد الخلافة إلى أولاد الرشيد، ومن أولاد الرشيد إلى أولاد محمد وأبي عيسى. وكان أبو عيسى إذا عزّم على الركوب جلس الناس له حتى يَرَوْه أكثر مما يجلسون للخلفاء.

مدحت عريب حسنه وغناؤه:

حدّثني محمد قال حدّثني يعقوب بن بَنان قال حدّثني عليّ بن الحسين الإسكافي قال: كنتُ عند أبي الصَّغَرِ إسماعيلَ بن بُبُلٍ وعنده عريبٌ، فسمعتها تقول: إنتهى جمالُ الرشيد إلى محمد الأمين وأبي عيسى، ما رأى الناس مثلهما، وكان المعتبر في طرازهما. قال: وسمعتها تقول لأبي العباس بن حمدون: ما غناؤك^(١) من غناء أبي عيسى بن الرشيد! وما سمعتُ قطُّ غناءً أحسنَ من غِنائه، ولا رأيت وجهاً أحسنَ من وجهه.

[١٨٨/١٠] / عجب الرشيد من جواب له في صباه وقبله:

أخبرني محمد قال حدّثني الغلابيّ قال حدّثنا يعقوب بن جعفر قال: قال الرشيد لأبي عيسى ابنه وهو صبيّ: ليت جمالك لعبدالله (يعني المأمون). فقال له: على أن حظّ منك لي. فعجب من جوابه على صباه وضمّه إليه وقبله.

سخط من رؤية هلال شهر رمضان:

(١) كذا في أ، م. وفي ح: «في غنائك من غناء أبي عيسى إلخ». وفي ب، س: «في غنائك مشابهة من غناء أبي عيسى إلخ».

وأخبرني الحسن بن عليّ وأحمد بن عبيد الله بن عمّار قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن طاهر عن أبيه قال:

حدّثني مَنْ شَهِدَ المأمونَ ليلةَ وهم يترأّونَ هلالَ شهرِ رمضانَ وأبو عيسى أخوه معه وهو مُسْتَلْقٍ على قفاه، فرأوه وجعلوا يَدْعُون. فقال أبو عيسى قولاً أنكر عليه في ذلك المعنى. كأنه كان متسخطاً لورود الشهر، فما صام بعده.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا الحسين بن فهم قال: قال أبو عيسى بن الرشيد:

دهاني شهرُ الصَّومِ لا كان من شهرٍ وما صُنْتُ شهرًا بعده آخرَ الدهرِ
فلو كان يُعَدِّني الإمامُ بقُدرةٍ على الشهر لاستعدّيتُ جهدي على الشهرِ
فقال بعقب قوله هذا الشعر صرّخ، فكان يُصرّخ في اليوم مرّاتٍ إلى أن مات، ولم يبلغ شهرًا آخر.

مدح إبراهيم بن المهدي غناءه:

وذكر عليّ بن الهشاميّ عن جدّه أبْنِ حَمْدُون قال: قلت لإبراهيم بن المهدي: / مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ غَنَاءً؟ ^{٩٧}/
قال: أنا. قلت: ثم مَنْ؟ قال: أبو عيسى بن الرشيد. قلت: ثم مَنْ؟ قال: مُخَارِق.

عابث طاهر بن الحسين أمام المأمون فغضب فترضاه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أبْنُ أَبِي سَعْدٍ قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدّثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصَّعْدِي ^(١) قال:

كان أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين يتغذيان مع المأمون، فأخذ أبو عيسى هِنْدَبَاءً ^(٢) فغمسها في الخلَّ وضرب بها عينَ طاهر الصحيحة. فغضب طاهرٌ / وشقَّ ذلك عليه وقال: يا أمير المؤمنين إحدَى عَيْنِي [١٨٩/١٠] ذاهبةٌ، والأخرى على يَدَيَّ عَذْل، يُفْعَلُ هذا بي بين يَدَيْكَ!! فقال له المأمون: يا أبا الطَّيِّب إنه والله لَيَغْبَثُ بي ^(٣) أكثر من هذا العَبَث.

عرّص يعقوب بن المهدي فضحك المأمون ونهاه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أبْنُ أَبِي سَعْدٍ قال حدّثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدّثني أبو عيسى بن عليّ بن عيسى بن ماهان قال:

بينما المأمون يخطب يومَ الجمعة على المنبر بالرشافة وأخوه أبو عيسى تَلْقَاءَ وجهه في المقصورة، إذ أقبل يعقوب بن المهدي وكان أفسى الناس، معروفًا بذلك. فلما أقبل وضع أبو عيسى كَمَّهُ على أنفه، وفهم المأمون ما أراد فكاد أن يضحك. فلما أنصرف بعث إلى أبي عيسى فأحضره وقال له: والله لهممْتُ أن أبطحك فأضربك مائةَ دِرَّةٍ! ويْلَكَ! أردت أن تفضّحني بين أيدي الناس يومَ جمعة وأنا على المنبر! إيّاك أن تعود لمثل هذه! قال: وكان

(١) هذه النسبة إلى صعدة، وهي من بلاد اليمن.

(٢) الهندباء: صنفان من النبات: أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق، والآخر أدق وأرق منه وفي طعمه مرارة. (انظر مفردات ابن البيطار طبعة بلاق ج ٢ ص ١١٨).

(٣) في ح، ب، س: «معي».

يعقوب بن المهدي لا يقدر أن يمسك الفُساء إذا جاءه. فأتخذت له دابةً مثْلثةً وطَيِّبْتُها وتَنَوَّقْتُ فيها. فلَمَّا وضعْتُها تحتَه فَسَا، فقال: هذه ليست بطَيِّبة. فقالت له الدابة: فديتُك! هذه قد كانت طَيِّبةً وهي مثْلثة، فلَمَّا رُبَعْتُها فسدت. قال: وكان يعقوب هذا مُحَمَّقاً، كان يخطرُ بباله شيءٌ فيشتهيه فيُثَبِّتُه في إحصاء خزائنه. فَصَجَّ خازنُه من ذلك، فكان يُثَبِّتُ الشيءَ ثم يُثَبِّتُ تحتَه أنه ليس عنده، وإنما أثبتَه ليكون ذكرُه عنده إلى أن يملكه. فَوُجِدَ في دفتر له^(١) فيه ثَبْتُ ثياب: «ثَبْتُ ما في الخزانة من الثياب المثقلة الإسكندرانية والهشامية، لا شيء - أستغفر الله - بل عندنا منها زرحية^(٢) كانت للمهدي. الفصوص الياقوت الأحمر التي من حالها كذا وكذا لا شيء - أستغفر الله - بل عندنا منها دُرُجٌ كان فيه / للمهدي خاتمٌ هذه صفته». فَحُمِلَ ذلك الدفتر إلى المأمون، فضحك لما قرأه حتى فحَصَ برجله وقال: ما سمعتُ بمثل هذا قَطُّ!.

كان المأمون يحبه ويتمنى أن يلي الأمر بعده:

أخبرني محمد بن يحيى قال حَدَّثَنَا سليمان بن داود المهلبِيُّ قال حَدَّثَنِي الهَيْثَمُ بن محمد بن عُبَاد عن أبيه قال: كان المأمون أشدَّ الناس حُبّاً لأبي عيسى أخيه، كان يُعِدُّه للأمر بعده، وتذاكرنا ذلك كثيراً، وسمِعْتُه يقول يوماً: إنه لَيَسْهُلَ عليَّ أمرُ الموت وفَقْدُ المُلْكِ، وما يسهل شيءٌ منهما على أحد، وذلك لمحَبَّتِي أن يَلِيَ أبو عيسى الأمرَ من بعدي لشدة حُبِّي إِيَّاه.

كان يحب صيد الخنازير فوق عَن دابته، وكان ذلك سبب موته:

أخبرني محمد بن عليٍّ قال حَدَّثَنِي عبد الله بن المُعْتَزُّ قال: كان سبب موت أبي عيسى بن الرَشِيد أنه كان يحب صَيْدَ الخنازير، فوقع عن دَابَّتِهِ فلم يَسْلَمْ دماغه، فكان يتخَبَّط في اليوم مَرَّاتٍ إلى أن مات. عزاء محمد بن عباد المأمون فيه:

حَدَّثَنِي محمد قال حَدَّثَنَا أبو العَيْنَاء قال حَدَّثَنَا محمد بن عُبَاد المهلبِيُّ قال:

لَمَّا مات أبو عيسى بن الرَشِيد دخلتُ إلى المأمون وعِمامتي عليَّ، فخلعتُ عِمامتي ونَبَذْتُها وراءَ ظهري - ٩٨ والخلفاء لا تُعَزَّى في العمام - ودنوتُ. فقال لي: يا محمد، حال القَدَرُ / دون الوَطَر. فقلت: يا أمير المؤمنين، كُلُّ مصيبةٍ أخطأتُك تَهون، فجعل الله الحزنَ لك لا عليك.

مات سنة تسع ومائتين:

أخبرنا محمد قال حَدَّثَنَا عَوْن بن محمد قال سَمِعْتُ هبةَ الله بن إبراهيم يقول: مات أبو عيسى بن الرَشِيد سنة تسع ومائتين، وصَلَّى عليه المأمون ونَزَلَ في قبره، وأَمْتَنَ من الطعام أياماً حتى خاف أن يَقْصُرَ ذلك به. وجد عليه المأمون وجداً شديداً:

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنِي أبو العَيْنَاء قال سَمِعْتُ محمد بن عُبَاد يقول:

(١) كذا في حد. وفي سائر الأصول: «... دفتر عنده له فيه».

(٢) ظاهر من السياق أنها ضرب من الثياب، ولم نعر عليها فيما عرفناه من مظان.

/ لما تُوفِّي أبو عيسى بن الرشيد وجد المأمون عليه وجداً شديداً، وكان له مُحِبّاً وإليه مائلاً. فركب إلى داره [٩١/١٠] حتى حضر أمره وصلَّى عليه، وحضره الناس، وكنتُ فيمن حضر، فما رأيتُ مُصاباً حزيناً قط أجمل أمراً في مُصيبَةٍ ولا أحرَقَ وجداً منه من رجل صامت تجري دموعه على خديه من غير كَلح^(١) ولا أَسْتِنَارٍ.

بكاه المأمون وتمثل شعراً وعزاء فيه ابن أبي دواد وعمرو بن مسعدة وناحت عليه حبيب:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبدالله بن طاهر قال حدثني أبي قال قال أحمد بن أبي دُؤاد:

دخلتُ على المأمون في أوّل صبحتي آياه وقد تُوفِّي أخوه أبو عيسى وكان له مُحِبّاً وهو يبكي ويمسحُ عينيه بمِندِيل، فقعدتُ إلى جنب عمرو بن مسعدة وتمثلتُ قولَ الشاعر:

نَقَصُ مِنَ الذَّنْبِ وَأَسْبَابُهَا نَقَصُ الْمُنَايَا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ

ولم يزل على تلك الحال ساعة يبكي، ثم مسح عينيه وتمثل:

سَابِكُكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَقَضَّ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تُجِنُّ الْجَوَانِحَ

كَأَنَّ لَمْ يُمْتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ تُنْخَ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَاحِ

ثم التفت إليّ فقال: هيه يا أحمد! فتمثلتُ قولَ عَبْدِ بنِ الطَّيِّب:

عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

تَحِيَّةَ مَنْ أَوْلَيْتَهُ مِنْكَ نَعْمَةً إِذَا زَارَ عَنْ شَخْطِ بِلَادِكَ سَلَمَا

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بَيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا

فبكى ساعة ثم التفت إلى عمرو بن مسعدة فقال: هيه يا عمرو! قال: نعم يا أمير المؤمنين

بُكَوْا حُذَيْفَةَ لَمْ تُبْكَوْا مِثْلَهُ حَتَّى تَعُودَ قِبَائِلٌ لَمْ تُخْلَقِ

/ فإذا عَرِيبٌ وَجَوَارٍ مَعَهَا يَسْمَعْنَ مَا يَدُورُ بَيْنَنَا، فقلن: اجعلوا لنا معكم في القول نصيباً. فقال لها [٩٢/١٠] المأمون: قولي، فَرُبَّ صَوَابٍ مِنْكَ كَثِيرٍ. فقالت:

كَذَا^(٢) فَلْيَجِلْ الْخَطْبُ وَلْيَفْذَحِ الْأَمْرُ وَلَيْسَ لَعَيْنٍ لَمْ يَقْضِ مَاؤُهَا عُذْرُ

كَأَنَّ بَنِي الْعَبَّاسِ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ

فبكى وبكى. ثم قال لها المأمون: نُوحِي، فناحت ورَدَ عليها الجوّاري. فبكى المأمون حتى قلتُ: قد خرجتُ نفسهُ، وبكىنا معه أحرَّ بكاء، ثم أمسكتُ. فقال لها المأمون: اصنعي فيه لحناً وغنّي به. فصنعتُ فيه لحناً على مذهب النُّوحِ وغنّته إياه على العُود. فوالذي لا يُخْلَفُ بأَجَلٍ منه لقد بكينا عليه غناءً أكثر ممّا بكينا عليه نُوحاً.

(١) كذا في الأصول. والذي في «كتب اللغة». كَلَحَ وَجْهَ الرَّجُلِ كَلُوحاً وَكَلَاخاً (كفراب): تَكَشَّرَ فِي عَبُوسٍ أَوْ عَبَسَ فَأَفْرَطَ فِي تَعْبَسِهِ. والاستنار: إخراج ما في الأنف من أذى.

(٢) يلحظ أن هذا الشعر لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي، وقد قتل هذا الأمير في حرب كانت بينه وبين أصحاب بابك الخرمي سنة ٢١٤ هجرية. والمروى هنا أن أبا عيسى بن الرشيد مات سنة ٢٠٩ هجرية، فتأمل هذا، وأصل الشعر «كَأَنَّ بَنِي نِهَانَ» فغير وجعل «كَأَنَّ بَنِي الْعَبَّاسِ».

طلب المأمون من أبي العتاهية أن يسليه عنه :

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الطيب^(١) بن محمد الباهلي قال حدثني موسى بن سعيد عن أخيه عمرو قال :

لَمَّا مَاتَ / أَبُو عِيسَى بْنِ الرَّشِيدِ وَجَدَ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ وَجْداً شَدِيداً حَتَّى أَمْتَنَعَ مِنَ النَّوْمِ وَلَمْ يَطْعَمْ شَيْئاً.
فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: حَدِّثْنِي يَا أَبَا إِسْحَاقَ بِحَدِيثٍ بَعْضُ الْمُلُوكِ مِمَّنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِنَا
وَفَارَقَهَا. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَفْخَرَ ثِيَابِهِ وَمَسَّ أَطْيَبَ طِيْبِهِ وَرَكِبَ أَفْرَةَ خَيْلِهِ
وَتَقَدَّمَ إِلَى جَمِيعِ مَنْ مَعَهُ أَنْ يَرْكَبَ فِي مِثْلِ زِينَةِ وَأَكْمَلَ سِلَاحِهِ، وَنَظَرَ فِي مِرَاتِهِ فَأَعْجَبَتْهُ هَيْئَتُهُ وَحُسْنُهُ، فَقَالَ: أَنَا
الْمَلِكُ الشَّابُّ، ثُمَّ قَالَ لِحَارِيَّةَ لَهُ: كَيْفَ تَرَيْنَ؟ فَقَالَتْ:

أَنْتَ نِعَمَ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
أَنْتَ خَلَوُ مِنَ الْعُيُوبِ وَمِمَّا يَكْرَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَنَانِي

[١٩٣/١٠] / فَأَعْرَضَ بَوَجهَهُ، فَلَمْ تَذُرْ عَلَيْهِ الْجُمُعَةَ إِلَّا وَهُوَ فِي قَبْرِهِ. قَالَ: فَبَكَى الْمَأْمُونُ وَالنَّاسُ، فَمَا رَأَيْتَ بَاكِئاً
أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ. قَالَ: وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ لِمُوسَى شَهَوَاتٍ.
بَعْضُ أَصْوَاتِهِ:

وَمِنْ غِنَاءِ أَبِي عِيسَى وَجَيْدُ صِنْعَتِهِ، وَالشَّعْرُ لَهُ، وَطَرِيقَتُهُ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي مَطْلُوقٌ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ. وَذَكَرَ
حَبِشٌ أَنَّ فِيهِ لِحُسَيْنِ بْنِ مُخْرَزٍ أَيْضاً صِنْعَةً مِنْ خَفِيفِ الرَّمْلِ:

صَوْت

رَقَدْتُ عَنْكَ سَلَوَتِي وَالْهَوَى لَيْسَ يَرْقُدُ
وَأَطَارَ الشَّهَادَتِي مَيِّتٌ قَتَلْتُهُ مَيِّتٌ مُشَرَّدُ
أَنْتَ بِالْحُسْنِ مِنْكَ يَا حَسَنَ السَّوْجِ تَشْهَدُ
وَفَرَادِي بِحُسْنِ وَجْهِ هَكَكَ يَشْقَى وَيَكْمَدُ

وَمِنْ غِنَائِهِ أَيْضاً وَهُوَ مِنْ صُدُورِ صِنْعَتِهِ فِي شَعْرِ الْأَخْطَلِ - وَلَحْنُهُ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ -:

صَوْت

إِذَا مَا زِيدَ عَلَيَّ ثُمَّ عَلَنِي ثَلَاثَ زُجَاجَاتٍ لَهْنٌ هَدِيدُ
خَرَجْتُ أَجْرُ الذِّلِّ حَتَّى كَأَنَّنِي عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
وَلِإِسْحَاقَ فِي هَذَا الشَّعْرِ رَمْلٌ بِالْبِنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو.

وممن عرفت له صنعة من أولاد الخلفاء عبدالله بن موسى الهادي

صوته في شعر له:

فمن صنعته:

صوت

تقاضاك دهرُك ما أسلفا وكذّر عيشك بعد الصفا
فلا تجزعن فإن الزمان رهين بتشتيت ما ألفا
ومسا زال قلبك مأوى السرور كثير الهوى ناعماً مُثرفا
الْحُحُّ عليك برؤعاته وأقبل يرميك مُستهديفا

الشعر والغناء لعبدالله بن موسى. ولحنه ماخوِريّ وهو خفيف الثقل الثاني بالوسطى.

١٩٤/١٠٣

/ اختلف مع ثقيف الخادم في صوت فضرب ثقيف رأسه بالعود فحلم عليه، وكان معربداً:

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدّثني أبو حَشِيشَةَ قال:

كان عبدالله بن موسى الهادي أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناءً. وكان له غلام أسود يقال له قَلَمٌ، فعَلِمَهُ الصوت وحدّقه. فأشترته منه أم جعفر بثلاثمائة ألف درهم. قال أبو حَشِيشَةَ فحدّثني / دلشاد غلام عبدالله بن ١٠٠ موسى قال: كنت أنا وثقيف الخادم الأسود مولى الفضل بن الربيع نُصَارِب مولاي عبدالله بن موسى وقد أخذ النُبَيْذ من الجماعة. فضرب عبدالله وثقيف صوتاً فاختلغا فيه وتشاجرا. فقال عبدالله: كذا أخذته من منصور زَلَزَل. وقال ثقيف: كذا أخذته منه، وطال تشاجرهما فيه. وكان ثقيف مُعَرِّبداً يَذْهَبُ عقله من أدنى شيء يشربه، وكان عبدالله أيضاً معربداً. فغضب ثقيف ورفع العود وهو لا يعقل، فضرب به رأس عبدالله بن موسى فطوقه إيّاه. وأبتدر خدّم عبدالله؛ فقال لهم عبدالله بن موسى: لا تَمْشَوْه وأخرجوا العود من عُتْقِي فأخرجوه. وكان عبدالله بن موسى أشدّ خلق الله عَرَبْدَةً أيضاً، فرزق في ذلك اليوم حِلماً لم يَرِ مثله، وقال لخدمته: إن قتلته قتلْتُ كلباً وتحذت الناس بذلك، ولكن أخلعوا عليه وهبوا له ولا يدخل منزلي أبداً.

دها الحفصي فأثر عليه أخاه إسماعيل:

قال جَحْظَةَ قال أبو حَشِيشَةَ أخبرني الحفصي المِعْرَفِي قال:

دعاني عبدالله بن موسى يوماً ودعاني أخوه إسماعيل؛ فأثرت إسماعيل لما كان في عبدالله من العَرَبْدَةِ. فلم نشعر إلّا بعبدالله قد وافانا وقت العصر على برذونٍ أشهب متقلداً سيفاً وهو سكران. فلما رأيناه تطايرنا في الحُجَر، فنزل عن دابّته وجلس. وجنا إسماعيل بين يديه إجلالاً له، وقال له: يا سيدي قد سررتني بتفضلك ومصيرك إليّ. قال: دَغْنِي من هذا، مَنْ عندك؟ قال: فلان وفلان، فعَدَّ جماعة مَنْ كان عنده. قال له: هاتهم. فدعا بنا فخرجنا وقد مُتْنَا قَزَعاً. فأقبل عليّ من بينهم فقال لي: يا حَفْصِي! أبعثُ إليك ثلاثة أيام تباعاً فتدعني وتجيء إلى إسماعيل! وضرب بيده إلى سيفه، / فقام إسماعيل بيني وبينه وقال: نَعَمْ! يَجِيشُنِي وَيَدْعُكَ؛ لأنه لا ٩٥/١٠٠ ينصرف من عندك إلّا بِشَجَّةٍ أو عَرَبْدَةٍ مع حرمان، ولا ينصرف من عندي إلّا بِبِرٍّ مع خِلْعَةٍ ووعدٍ مُحْصَلٍ، أفتلومُه على ذلك! فكفَّ عبدالله وكان شديد العَرَبْدَةِ وقام وأنصرف.

قال شعراً في خادم لصالح بن الرشيد:

أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال حدثني محمد بن إسماعيل عن أبيه سليمان بن داود - وكان يكتب لأبي جعفر - قال:

كنتُ جالساً مع عبدالله بن موسى الهادي، فمر به خادمٌ لصالح بن الرشيد. فقال له: ما أسمك؟ فقال له: إسمي «لا تسأل». فأعجبه حُسنُه وحُسْنُ مَنْطِقِه فقال لي: قُمْ بنا حتى نُسرَّ اليوم بذكر هذا البدر، فقمتم معه. فأنشدني في ذلك اليوم:

وَشَادِنِ مَرَّ بِنَا	يَجْرَحُ بِاللُّخْظِ الْمُقْلُ
مَظْلُومٍ خَصِرٍ ظَالِمٍ	مِنْهُ إِذَا يَمْشِي الْكَفُّ
إِعْتَدَلْتُ قَامَتُهُ	وَاللُّخْظُ مِنْهُ مَا عَدَلُ
بَدْرٌ تَرَاهُ أَبَدًا	طَالَعَ سَعْدٍ مَا أَقْلُ
سَأَلْتُهُ عَنْ أَسْمِهِ	فَقَالَ لِي أَسْمِي «لَا تَسْأَلُ»
وَأُطْلِعْتُ فِي وَجْهِهِ	وَزِدْتَانِ مِنْ خَجَلُ
فَقُلْتُ مَا أَخْطَأَ مَنْ	سَأَلَكَ بَلْ قَالَ الْمَثَلُ
لَا تَسْأَلُنْ عَنْ شَادِنِ	فَإِقْ جَمْعًا لَا وَكْمَلُ

/ قال: وقال فيه - وقد قيل إنه من هذه الأبيات -:

١٠١
٩

عَزَّ الَّذِي نَهَوَى وَذَلُّ	صَابُ الْفَوَادِ مُخْتَبَلُ
لَجَّ بِهِ الْهَجْرُ وَذَا الـ	هَجْرُ إِذَا لَجَّ قَتْلُ
مَنْ شَادِنِ مُنْتَطِقِي	فَإِقْ جَمْعًا لَا وَكْمَلُ
تَنَاصَفَ الْحُسْنُ بِهِ	فَلَا تَسْأَلْ عَنْ «لَا تَسْأَلُ»

/ ١٩٦/١٠ / كان له ابن جيد الضرب وطلب إلى المكي أن يقومه موهماً أنه مملوك:

وقال حدثني محمد بن أحمد المكي عن أبيه قال:

دعاني عبدالله بن موسى يوماً فقال لي: اتَّقَوْمُ غلاماً ضارباً مُغْنِيّاً قِيَمَةً عَدِلٍ لَا حَيْقَ فِيهِ عَلَى الْبَائِعِ وَلَا عَلَى الْمُشْتَرِي؟ فقلت نعم. فأخرج إليّ ابنه القاسمَ وكنتُ قد عرفتُه، وهو أحسن من القمر ليلة البدر، فأخذ عوداً فضرب، فأكَبْتُ على يديه أَقْبَلَهُمَا. فقال لي عبدالله: أَتَقْبَلُ يَدَ غلامٍ مملوكٍ؟! قلت: بأبي وأُمِّي هو من مملوك! وَقَبَّلْتُ رِجْلَهُ أَيْضاً. فقال: أَمَا إِذْ عَرَفْتَهُ فَأَجِبْ أَنْ تَضَارِبَهُ، ففعلت. فلَمَّا رَأَى الْغلامُ زِيَادَتِي عَلَيْهِ فِي الضَّرْبِ أَغْتَمَ وَأَقْبَلَ عَلَى أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ كَالْمَعْتَذِرِ مِنْ ذَنْبِهِ: أَنَا مُتَلَدِّدٌ وَهَذَا مُتَكَسِّبٌ. فضحكتُ وقلت: هو ذاك يا سيدي. وعَجِبْتُ مِنْ حِدَّةِ جَوَابِهِ مَعْتَذِراً عَلَى صِغَرِ سِنِّهِ.

كان كريماً ممدحاً:

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني عبدالله بن المعتز قال:

كان عبدالله بن موسى جواداً كريماً ممدحاً، وفيه يقول الشاعر - وفيه لعلويه لحن من خفيف الثقليل الأول بالبنصر -:

قصيدة

أعبد الله أنت لنا أميرُ وأنت من الزمان لنا مُجِيرُ
حكيت أباك موسى في العطاء إمام الناس والملك الكبيرُ

غنى بشعر لعمر بن أبي ربيعة:

قال محمد بن يحيى والعتّابي: ولعبدالله بن موسى غناء في قول عمر بن أبي ربيعة:

قصيدة

إن أَسْمَاءَ أَرْسَلَتْ وَأَخَوَ الشُّوقِ مُرْسِلُ
أَرْسَلَتْ تَشْتَرِي رُتْبِي وَتَقْدِي وَتَعْدِلُ
ولحنه فيه رَمْلٌ. قال: وفيه لابن سُرَيْج والغريص ومالك الحان.

[١٩٧/١٠]

/ حريد على المأمون فحبسه ثم سمه فمات:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المُتَالِين قال حدّثني أبو سعيد الشُّكْرِي عن محمد بن حبيب قال:

كان عبدالله بن موسى الهادي مُعَرِّباً، وكان قد أَحْفَظَ^(١) المأمون مما يُعَرِّبُ عليه إذا شرب معه. فأمر بأن يُخْبَسَ في منزله فلا يخرج منه؛ وأُقْعِدَ على بابه حَرَساً. ثم تَدَمَّنَ من ذلك فأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابه، ثم ناداه فَعَرِّبْ عليه أيضاً وكَلِّمْه بكلام أحفظه. وكان عبدالله مُفَرِّمًا بالصَّيْدِ، فأمر المأمون خادماً من خواصّ خدمه يقال له «حسين» فَسَمَّه في دُرَّاج وهو بمرسى^(٢) أباد، فدعا عبدالله بالعشاء، فأتاه حسين بذلك الدُرَّاج فأكله. فلما أَحَسَّ بالسِّمِّ رَكِبَ في الليل وقال لأصحابه: هو آخر ما تروني. قال: وأكل معه من الدُرَّاج خادمان، فأما أحدهما فمات من وقته، وأما الآخر فبقي مَدَّةً ثم مات، ومات عبدالله بعد أيام.

(١) في ج: «وكان قد أعضل بالمأمون» أي أعياء أمره وضاق به الحيل فيه.

(٢) لم تقف على هذا الموضع.

/ وممن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن محمد الأمين

١٠٢
٩

فمن مشهور صنعته :

أَلَا يَا^(١) دَيْسَرَ حَنْظَلَةَ الْمُفْدَى لَقَدْ أَوْرَثَنِي سَقَمًا وَكَدًا
أَزُفُّ مِنَ الْعُقَارِ إِلَيْكَ دَنًا^(٢) وَأَجْعَلْ تَحْتَهُ الْوَرَقَ الْمُتَدَى

الشعر والغناء لعبد الله بن محمد الأمين، أخبرني بذلك محمد بن يحيى الصُّولِيّ عن عبد الله بن المعتزّ وله فيه لحنان خفيف رَمَلٌ وخفيفٌ ثَقِيلٌ. وفيه لعبد الله بن موسى الهادي رَمَلٌ. وفيه ثاني ثَقِيلٌ، وذكر حَبَشٌ - وهو ممن لا يُحَصِّلُ قَوْلُهُ - أَنَّهُ لِحُنَيْنٍ، وَلَمْ يَصِحَّ عِنْدَنَا مَنْ صَانِعُهُ.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

(١) سيذكر المؤلف هذا الدير في ص ٢٠٠ - ٢٠١ من هذا الجزء.

(٢) في أ، م، ح: «زفا» بالفاء وهي مصحفة عن «زفا» بالقاف.

[١٩٨/١٠]

/ أخبار عبدالله بن محمد ونسبه:

نسبه:

عبدالله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب. وأُمُّ عبد الله بن محمد أُمُّ وَلَد. وكان ظريفاً غزلاً يقول شعراً لِيناً ويصنع صنعةً صالحةً. وأُمُّ محمد الأمين زُبَيْدَةُ بنتُ جعفر بن المنصور. وزبيدة لَقَبٌ غَلَبَ عليها، وأسمُها أُمَّةُ العزيز. وكان المنصور يَرْقُصُها وهي صغيرة - وكانت سميئةً حسنةً البدن - فيقول لها: يا زُبَيْدَة يا زُبَيْدَة، فغَلَبَ عليها ذلك.

كان صديقاً لأبي نهشل فأحب جارية اشتراها أخوه فكتب له شعراً فأخذها له منه:

أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال:

كانت بين عبدالله بن محمد الأمين وبين أبي نهشل بن حُمَيْد مودة. فاعترض عبدالله جاريةً مغنيةً لبعض نساء بني هاشم وأعطى بها مالاً عظيماً. فعرفت منه رغبةً فيها فزادت عليه في السَّوْم، فتركها ليكسرهم. فجاء أخ لأبي نهشل بن حُمَيْد فأشترها وزاد. فتبعها نفسُ عبدالله، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزول له عنها، فسأله ذلك فوعده ودافعه. فكتب عبدالله إلى أبي نهشل:

يَا بْنَ حُمَيْدٍ يَا أَبَا نَهْشَلٍ	مِفْتَاحُ بَابِ الْحَدِيثِ الْمُقْفَلِ
يَا أَكْرَمَ النَّاسِ وَدَادًا وَأَرْ	عَاهِمَ لِحَقِّ ضَائِعٍ مُهْمَلٍ
أَحْسَنَتَ فِي وَدِّي وَأَجْمَلَتَ بِلِ	جُزْتَ فِعَالِ الْمُخْصِنِ الْمُجْمَلِ
بِيْثُكَ فِي ذِي يَمَنِ شَامِخٌ	تَقْصُرُ عَنْهُ قُتْنَا يَذْبُلُ ^(١)
خَلَقْتَ فِينَا حَاتِمًا ذَا الثَّلَاثِ	وَجُدْتَ جَوْدَ الْعَارِضِ الْمُسْبِلِ
أَيُّ أَخٍ أَنْتَ لِذِي وَخْدَةٍ	تَرْكَنَهُ بِالْعِزِّ فِي جَحْفَلِ
/ نَجُومٌ حَظَّيْ مِنْكَ مَنَعُودَةٌ	فِيمَا أَرْجِي لَشَنْ بِالْأَفْلِ
فَصَدَّقِ الظَّنَّ بِمَا قَلَّتْ بِهِ	وَمَهْلٍ ^(٢) الْأَمْرِ بِهِ يَسْهُلِ
لَا تَخْرِمْنِي وَلَدَيْكَ الْمُتَى	بِاللَّهِ صَيِّدَ الرَّشَاءِ الْأَكْحَلِ
رُمِيْتُ مِنْهُ بِسَهَامِ الْهُوَى	وَمَا دَرَى بِالرَّفِي ^(٢) فِي مَقْتَلِي
أَدْنَيْتَنِي بِالْوَعْدِ فِي صَيْدِهِ	إِذْ نَاءَ عَطْشَانٍ مِنَ الْمَنْهَلِ

[١٩٩/١٠]

(١) يذبل: جبل مشهور الذكر بنجد.

(٢) في حد: فما الرمي.

ثُمَّ تَنَاسَيْتَ وَأَسْلَمْتَنِي إِلَى مَطَالٍ مُوَجَّشِ الْمَنْزِلِ
تَرَكْتَنِي فِي لُحَّةٍ عَائِمًا لَا أَعْرِفُ الْمَذِيرَ مِنْ مُقْبِلِ
/ صَرَّخَ بِأَمْرٍ وَاضِحٍ يَكُنْ لَا خَيْرَ فِي ذِي لَبْسٍ^(١) مُشْكِلِ
قال: فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نزل له عنها.

١٠٣/٩

خرج إلى ضيعته وتكاتب هو ونديمه أبو نهشل بشعر:

وأخبرني الصولي أيضاً بغير إسناد، ووجدت هذا الخبر في كتاب لمحمد بن الحسن الكاتب يزويه عن أبي حسان الفزاري قال:

كان أبو نهشل بن حميد صديقاً لعبدالله بن محمد الأمين ونديماً. وكانت لعبدالله ضيعة بالسواد تُعرف بالعمرية، فخرج إليها وأقام بها أياماً. فكتب إليه أبو نهشل:

سقى الله بالعمرية الغيث منزلاً حَلَلْتَ بِهِ يَا مَوْئِسِي وَأَمِيرِي
فَأَنْتَ الَّذِي لَا يَخْلُقُ الدَّهْرَ ذَكَرُهُ وَأَنْتَ أَخِي حَقًّا وَأَنْتَ سُرُورِي
فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ:

لئن كنت بالعمرية اليوم لاهياً فإِنَّ هَوَاكُمَ حَيْثُ كُنْتُ ضَمِيرِي
فَلَا تَحْسِبْنِي فِي هَوَاكُمُ مُقْصِراً وَكُنْ شَافِعِي مِنْ سُخْطِكُمْ وَمُجِيرِي
قال محمد بن الحسن في خبره: وصنع عبدالله في هذه الأبيات الأربعة لحنًا، وصنع فيها^(٢) سُلَيْمَ بْنَ سَلَامٍ لحنًا آخر.

[٢٠٠/١٠] / نادم الواقف والخلفاء من بعده إلى المعتمد، وشعر له فيه:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عبدالله بن المعتز قال:

كان عبدالله بن محمد الأمين ينادم الواقف ثم نادم بعده سائر الخلفاء إلى المعتمد.
قال: وأنشدني له في المعتمد:

رَأَيْتُ الْهَلَالَ عَلَى وَجْهِكَ فَمَا زِلْتُ أَدْعُو إِلَهِي لَكَ
فَلَا زِلْتُ تَجِيءُ وَأَحْيَا مَعَا وَأَمْنِي اللَّهُ مِنْ فَقْدِكَ
قال: ومن شعره - وله فيه لحن من الرَّمْلِ الثاني وهو خفيف الرمل -:

صوت

يَا مَنْ بِهِ كُلُّ خَلْقٍ تَرَاهُ صَبَّأً مُتَيِّمٌ
وَمَنْ تَجَالَلَ بِهَا فَمَا تَرَاهُ يُكَلِّمُ

(١) حركه لضرورة الشعر.

(٢) في الأصول: «فيه».

لا شيء أعجب عندي ممن يراك فيسلم
فأما دَيْرُ حَنْظَلَةَ الذي ذكره في شعره وفيه الغناء المذكور من صنعة مُتَقَدِّمًا، فإنه دَيْرٌ بالجزيرة. أخبرني
بخبره هاشم بن محمد أبو دُلَفَ الخُزَاعِي قال حدثنا الرِّبَاسِيُّ قال أنشدني أبو المُحَلَّم لحَنْظَلَةَ بن أبي عَفْرَاء أحد
بني حَيَّة الطائيين وهم رَهْطُ أَبِي زُبَيْد^(١) ورهط إِيَّاس^(٢) بن قَبِيصَةَ:

ومهما يكن رَيْبُ الزمانِ فإنني أرى قمرَ الليل المُغْرَبَ كالفتى
يَهْلُ صغيراً ثم يعظم ضَوْؤُهُ وصورتُهُ حتى إذا ما هو أَسْتَوَى
تقارب يخبو ضَوْؤُهُ وشُعَاعُهُ وَيَمْضَحُ^(٣) حتى يَسْتَسِرَّ فلا يُرى
/ كذلك زَيْدُ المرءِ ثم أُنْقَاصُهُ وتكرارُهُ في دهره^(٤) بعد ما مضى
تُصَبِّحُ أهلَ الدَّارِ والدَّارُ زِينَةٌ^(٥) وتأتي الجبالَ من شَمَارِيخِهَا العُلَا
فلا ذا غَنَى^(٦) يُرْجِئُنَّ عن فضلِ ماله وإن قال أخْرُنِي وخُذْ رِشْوَةَ أَبِي
ولا عن فقيرٍ يَأْتِخِرُنَّ لفقره فتنفعه الشكوى إليهن إن شَكَا

[٢٠١/١٠]

/ قال: وكان حَنْظَلَةُ هذا قد تعبد في الجاهلية وتفكر في أمر الآخرة وتنصر وبني دَيْرًا بالجزيرة؛ فهو الآن ١٠٤
يُعرَف به يقال له دَيْر حَنْظَلَةَ. وفيه يقول الشاعر:
يا دَيْرَ حَنْظَلَةَ المهيِّجِ لِي الهَوَى قد تستطيع دواءَ عشقي العاشقِ



مركز توثيق مكتبة طهران

(١) هو حرملة بن المنذر بن معد يكرب الطائي، كان نصرانياً وهو ممن أدرك الجاهلية والإسلام. (انظر ترجمته في «الأغاني» ج ١١ ص ٢٤ طبع بلاق).
(٢) كان والياً لكسرى على الحيرة بعد قتله النعمان بن المنذر. (انظر «تاريخ ابن الأثير» ج ١ ص ٣٥٦ - ٣٦٩).
(٣) مصحح: ذهب وانقطع.
(٤) في «معجم البلدان»: «في إثره».
(٥) في الأصول: «ربة» والتصويب عن «معجم البلدان».
(٦) يلاحظ أن الضمائر في هذا البيت بعده متباينة، والمراد بها واحد هو الموت، فإذا كان ضمير جمع فالمراد المنايا.

وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن المتوكل

كان عبدالله بن المتوكل جمع له صنعة مقدارها أكثر من ثلثمائة صوت، منها الجيد الصنعة ومنها المتوسط، قد سمعنا كثيراً منها؛ إلا أنني أذكر من ذلك ما عرفتُ شاعره وكان له خبرٌ يتصل به حسب ما شرطناه في هذا الكتاب وضمَّناه إياه من الأخبار، ثم أذكر أخبار أبي عيسى بعد ذلك.

قال ابن المعتز حدثني الثميري قال سمعت أبا عيسى بن المتوكل يقول: إذا أتممتُ صنعةً ثلثمائة صوت وستين صوتاً عدَّدتُ أيام السنة تركتُ الصنعة، فلما صنعها ترك الصنعة. فمنها - وهو لعمري من جيد الغناء وفاخر الصنعة، ولو لم يصنع غيره لكفاه - في شعر أبي العتاهية:

صوت

[٢٠٢/١٠]

يَضْطَرُّ الخوفُ والرجاءُ إذا
حرَّكَ موسى القضيْبَ أو فَكَرُ
ولحنه من الثَّقِيلِ الأوَّل. والشعرُ لأبي العتاهية، وقد مَضَتْ أخبارُه؛ وإنما قَدِمْتُ ذكرَه بجودة صُنْعته وأنه
شُبِّه فيه بصنعة الفحول ومُحْكَمِ أغاني الأوائل.
ومنها:

صوت

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ وللذهر أيام تجور وتغدير
وعاقبة الصَّبرِ الجميلِ جميلة وأفضل أخلاق الرجال التَّجَمُّلُ
الشعرُ لعلي بن الجهم. والغناء لأبي عيسى بن المتوكل، ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى.

[٢٠٣/١٠]

/ أخبار علي بن الجهم ونسبه

نسبه ونسب قبيلته بني سامة:

هو علي بن الجهم بن بذر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كراز بن كعب بن مالك^(١) بن عيينة^(٢) بن جابر بن الحارث^(٣) بن عبدالب بن الحارث بن سامة بن لؤي بن غالب. هكذا يدعون، وقريش تدفعهم عن النسب وتسميهم بني ناجية، يُنسبون إلى أمهم ناجية، وهي امرأة سامة بن لؤي. وكان سامة، فيما يقال، خرج إلى ناحية البحرين مغاضباً لأخيه كعب بن لؤي في مُماظة^(٤) كانت بينهما، فطأطأ ناقة راسها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العشب، فعلق بمشفرها أفعى فعطفته على قتبها فحكته به، فذب الأفعى على القتب حتى نهش ساق سامة فقتله. فقال أخوه يرثيه^(٥):

عَيْنُ جُودِي لَسَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ عَلِفْتُ سَاقَ سَاقَةِ الْعَلَاةِ^(٦)
رُبُّ كَاسٍ هَرَقْتُهَا أَبْنُ لُؤَيٍّ حَذَرَ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مُهْرَاقَةَ

وقال مَنْ يَذْفَعُ بَنِي سَامَةَ مِنْ نَسَابِي قَرِيشٍ: وكانت معه امرأته ناجية. فلما مات تزوجت رجلاً من أهل البحرين فولدت منه الحارث، ومات أبوه وهو صغير. فلما ترعرع طمعت أمه في أن تلحقه بقريش، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤي. فرحل / من البحرين^(٧) إلى عمه / كعب وأخبره أنه ابن أخيه سامة. فعرف كعب أمه وظنه صادقاً في دعواه. ومكث عنده مدة، حتى قدم مكة ركب من أهل البحرين، فرأوا الحارث فسلموا عليه وحادثوه ساعة. فسألهم عنه كعب بن لؤي ومن أين يعرفونه، فقالوا له: هذا ابن رجل من أهل بلدنا يقال له فلان، وشرحوا له خبره. فنفاه كعب ونفى أمه، فرجعا إلى البحرين فكانا هناك، وتزوج الحارث وأعقب هذا العقب. وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «عمي سامة لم يعقب». وكان بنو ناجية ارتدوا عن الإسلام. ولما ولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة دعاهم إلى الإسلام؛ فأسلم بعضهم وأقام الباقون على الردة فسبّاهم وأسترقهم؛ فأشتراهم مصلقة^(٨) بن هبيرة منه وأدى ثلث ثمنهم وأشهد بالباقي على نفسه، ثم اعتقهم وهرب من تحت ليله إلى

(١) في «ابن خلكان»: «بن كعب بن جابر بن مالك».

(٢) في «ابن خلكان»: «عتبة».

(٣) في «ابن خلكان»: «... ابن الحارث بن قطن بن خديج بن قطن بن أحزم بن ذهل بن عمرو بن مالك بن عبيدة بن الحارث بن سامة... إلخ».

(٤) المماظة: المخاصمة والمنازعة.

(٥) ورد في «لسان العرب» (في مادة «فوق») أن امرأة رجل من الأزدي قالت هذا الشعر ترثيه وكان سامة نزل على زوجها ضيفاً. فلما أصبح قعد يستن، فنظرت إليه زوجة الأزدي فأعجبها. فلما رمى سواكه أخذتها فمستها. فنظر إليها زوجها، فحلب ناقة وجعل في حلابها سماً وقدمه إلى سامة، فغمزته المرأة فهراق اللبن وخرج يسير. فبينما كان في موضع يقال له جوف الخمييلة نهش أفعى، كما جاء في الأصل. وانظر بقية هذا الشعر في «لسان العرب».

(٦) العلاقة: في الأصل المنية. ويريد هنا الحية.

(٧) في الأصول: «من أهل البحرين».

(٨) انظر هذه القصة مفصلة في الطبري، ق ١ ص ٣٤٣٩ - ٣٤٤٢.

معاوية، فصاروا أحراراً، ولزِمَ الثمنُ، فشَعَثَ^(١) عليُّ بن أبي طالب شيئاً من داره، وقيل بل هَدَمَهَا. فلم يدخل مَصْقَلَةَ الكوفة حتى قُتِلَ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وزعم ابن الكلبي: أَنَّ سَامَةَ بن لُؤَيٍّ وَلَدَ غَالِبَ بن سَامَةَ وأُمُّهُ نَاجِيَةٌ، ثم هَلَكَ سَامَةُ فخَلَفَ عليها أبوه الحارث بن سَامَةَ، ثم هَلَكَ أبنا سامة ولم يُعْقِبَا^(٢)، وَأَن قوماً من بني نَاجِيَةَ بنت^(٣) جَرْمَ بن رَبَّانٍ^(٤) عِلَاف الذين ادَّعَوْا أَنهم بنو سَامَةَ بن لُؤَيٍّ، وَأَن أُمُّهم نَاجِيَةٌ / هذه ونَسَبوها هذا النسب، وَأَنتمُوا إلى الحارث بن سَامَةَ وهم الذين باعهم عليُّ بن أبي طالب إلى مَصْقَلَةٍ. قال: ودليل ذلك وَأَن هؤلاء بنو نَاجِيَةَ بنت جَرْمَ قولُ علقمة الخَصِي التَّمِيمِي أَحَدِ بني ربيعة بن مالك:

زعمتم أَن نَاجِسِي بنت جَرْمَ عَجُوزٌ بعد ما يَلِي النَّسَامُ
فإن كانت كذاك فَاليسوها فإن الخَلَى لَأَلْتَمَى تَمَامُ

وهذا أيضاً قولُ الهَيْثَمِ بن عدي. فَأَمَّا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار فَإِنَّهُ أدخلهم في قريش وقال: هم قريشُ العَازِيَةِ. وإنما سُمُّوا العَازِيَةَ لأنهم عَزَبُوا عن قومهم فَنُسِبُوا إلى أُمِّهم نَاجِيَةَ بنت جَرْمَ بن رَبَّانٍ وهو عِلَاف، وهو أَوَّلُ من أَتخذ الرِّحَالَ العِلَافِيَّةَ فَنُسِبَتْ إليه. وأسم نَاجِيَةَ ليلي؛ وإنما سُمِّيت نَاجِيَةَ لأنها سارت في مَقَارَةٍ معه فَعَطِشَتْ فاستسقت ماء، فقال لها: الماء بين يديك، وهو يريها الشَّرَابُ، حتى جاءت الماء فشربت وسُمِّيت نَاجِيَةَ. وللزُّبَيْرِ في إدخالهم في قريش مذهبٌ وهو مُخَالَفَةٌ فَعَلَّ أمير المؤمنين عليُّ رضي الله عنه ومَثَلُهُ إليهم لإجماعهم على بُغْضِهِ رضي الله عنه، حَسَبَ المشهور المأثور من مذهب الزُّبَيْرِ في ذلك.

كان شاعراً فصيحاً اختص بالمتوكل وهجاء عليا وشيعته:

وكان عليُّ بن الجَهْمُ شاعراً فصيحاً مطبوعاً؛ وَخُصَّ بالمتوكل حتى صار من جُلَسَائِهِ، ثم أَبْغَضَهُ لأنه كان كثير السَّعَايَةِ إليه بِنَدَمَائِهِ والذِّكْرِ لهم بالقبيح عنده، وإذا خلا به عَرَفَهُ أَنهم يَعْيَبُونَهُ وَيُثْلِبُونَهُ وَيَتَقَصُّونَهُ، فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة، فنفاه بعد أن حَبَسَهُ مدة. وأخبارُهُ تُذَكِّرُ على شرح بعد هذا. وكان ينحو نحو مروان بن أبي حَفْصَةَ في هجاء آل أبي طالب وذمهم والإغراء بهم وهجاء الشيعة، وهو القائل:

ورافضة تقول بشغبِ رَضْوَى إمام، خاب ذلك من إمام
إمام مَنْ له عشرون ألفاً من الأتراك مُشْرِعَةُ السَّهَامِ

[٢٠٦/١٠] / وفيه يقول البُخْتَرِيُّ:
١٠٦

إذا ما حُصِّلَتْ عَلَيَا قُرَيْشٍ فلا في العير أنت ولا التَّغْيِيرِ

(١) يريد أنه نقض بعضاً منها.

(٢) في أ، م: «ثم هلك ابن سامة ولم يعقب».

(٣) في الأصول: هنا: «ابن جرم».

(٤) ربان علاف: بالراء المهملة المفتوحة والباء الموحدة المشددة، وليس في العرب غيره، ومن سواء فبالزاي المعجمة. وقد ورد هذا الاسم في الأصول محرفاً بصور شتى، وفي أكثرها زيادة «ابن» بين ربان وعلاف، وهما لشخص واحد، كما ذكر ذلك المؤلف في الصفحة التالية. (راجع «القاموس» و «شرحه» في مادتي ربن وعلف).

وما رُغْنَاؤُكَ^(١) الجَهْمُ بِنُ بَذِرٍ
ولو أعطاك رؤُك ما تَمَنَّى
عَلَامَ هَجَوْتَ مجتهداً عَلِيّاً
أما لك في أَسِتِكَ الرَّجْعَاءِ شُغْلٌ
من الأَقْمَارِ ثَسَمٌ ولا البَدُورِ
لِزَادِ الخَلْقِ فِي عِظَمِ الأَيُورِ^(٢)
يَمَّا لَقَّيْتِ مَنْ كَذِبٍ وَزُورٍ
يَكْفُوكَ عَنْ أَهْلِ القَبُورِ

وسمعه أبو العيَّان يوماً يطعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له: أنا أدري لِمَ تطعن علي علي أمير المؤمنين. فقال له: أتعني قصّة يّعه أهلي من مَصْقَلَةِ بن هُبَيْرَةَ؟ قال: لا أنت أوضع من ذلك، ولكن لأنه قتلَ الفاعلَ ففعلَ قوم لوطٍ والمفعولَ به، وأنت أسفلُهما.

هجا بختيشوع فسبه عند المتوكل فحبسه سنة ثم نفاه وقال في ذلك شعراً:

أخبرني عمي قال حدّثني محمد بن سعد الهشامي قال:

كان علي بن الجهم قد هجا بختيشوع^(٣)، فسبه عند المتوكل فحبسه المتوكل.. فقال علي بن الجهم في حبسه عِدَّةً قصائد كتب بها إلى المتوكل فأطلقه بعد سنة، ثم نفاه بعد ذلك إلى خراسان. فقال أولَ ما حُسِرَ قصيدة كتب بها إلى أخيه، أولها قوله:

تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ
وَوَطَّئْنَا عَلَى غَيْرِ اللَّيَالِي
وَأَفْنَيْتُ الْمُلُوكَ مُحَجَّجَاتٍ
/ هِيَ الْإِيَّامُ تَكَلَّمْنَا وَنَاسُوا
وما يُجْجِدِي الثَّرَاءُ عَلَى غِنْيِي
حَلَبْنَا الذُّفَرَ أَشْطُرَةً وَمَرَّتْ
وَجَرَّئْنَا وَجَرَّبَ أَوْلُونَا
ولم نَدْعِ الحَيَاءَ لِمَسْ ضَرَّ
ولم نَحْزَنَ عَلَى دُنْيَا تَوَلَّثْ
تَوَقَّ النَّاسَ يَا بَنَ أَبِي وَأُمِّي
ولا يَغْرُزُكَ مَنْ وَغْدٍ إِخَاءُ
أَلَمْ تَرَ مُظْهِرِينَ عَلِيٍّ عَيْنِيَّ^(٥)
وَسَلَّيْنَا لِأَسْبَابِ الْقَضَاءِ
نَفْساً سَامَحَتْ بَعْدَ الْإِبَاءِ
وَبَكَتُ اللَّهُ مِبْذُولُ الْفِنَاءِ
وتأتني بالسعادة والشقاء
إذا ما كان محظورَ العَطَاءِ
بِنَا عَقَبُ^(٤) الشَّدَائِدِ وَالرَّخَاءِ
فلا شيء أعزَّ من الوفاء
وبعض الضرر يذهب بالحياة
ولم نُسَبِّقْ إِلَى حُسْنِ الْعَزَاءِ
فهم تبغ المخافة والرجاء
لأمر ما غدا حَسَنَ الْإِخَاءِ
وهم بالأمس إخوان الصَّفَاءِ

[٢٠٧/١٠]

(١) الرغناء: أصلها عصب أو عرق في الثدي يدر اللبن. واستعملها البحري هنا في الأب.

(٢) في «ديوان البحري» طبع مطبعة الجوائب:

(٣) هو بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع الأكبر المتطب. (انظر الطبري ق ٣ ص ٦٦٧، ١٤٣٧، ١٤٤٧، ١٧٩٠).

(٤) العقب: جمع عقبه وهي النوبة.

(٥) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «عتبا» وهو تصحيف.

فَلَمَّا أَنْ بُلَيْتُ غَدَوًا وَرَاحُوا عَلَيَّ أَشَدُّ أَسْبَابِ الْبَلَاءِ
أَبَتْ أَخْطَارُهُمْ أَنْ يَنْصُرُونِي بِمَالٍ أَوْ بِجَاهٍ أَوْ ثَرَاءٍ
وَخَافُوا أَنْ يَقَالَ لَهُمْ خَذَلْتُمْ صَدِيقًا فَأَدْعَوْا قَدَمَ الْجَفَاءِ
تَصَافَرَتِ الرُّوَافِضُ وَالتَّصَارِي وَاهْلُ الْإِعْتَزَالِ عَلَيَّ هِجَائِي

- يعني بأهل الاعتزال علي بن يحيى المنجم وقد كان بلغه عنه ذكر له: -

وَعَابُونِي وَمَا ذَنْبِي إِلَيْهِمْ سِوَى عِلْمِي بِأَوْلَادِ الزُّنَاءِ
/ فَبَخْتِشَوْعُ يَشْهَدُ لَابْنِ عَمْرٍو وَعَزُّونَ لَهَارُونَ الْمَرَائِي
وَمَا الْجَذْمَاءُ بِنْتُ أَبِي سُمَيْرٍ بِجَذْمَاءِ اللُّسَانِ عَنِ الْخَنَاءِ
إِذَا مَا عُدُّ مِثْلَكُمْ رَجَالًا فَمَا فَضْلُ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ
عَلَيْكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ أَبْتَدَاءُ وَعَوْدًا فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْمَسَاءِ
/ إِذَا سُمِّيْتُمْ لِلنَّاسِ قَالُوا أَوْلَيْكَ شَرٌّ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ
أَنَا الْمَتَوَكِّلِي هَوَى وَرَأْيَا وَمَا بِالْوَائِقِيَّةِ مَنْ خَفَاءِ
وَمَا حَبَسَ الْخَلِيفَةَ لِي بَعَارٍ وَلَيْسَ بِمُؤَيِّسِي مِنْهُ التَّنَائِي

١٠٧
٩

[٢٠٨/١٠]

قال أبو الشبل شعره في الحبس ك شعر عدي بن زيد كجزء من شعره

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال قال لي أبو الشبل البرجمي: ما شعر علي بن الجهم في الحبس بدون شعر عدي بن زيد^(١).

حبسه المتوكل بسعاية جلسائه ونفاه إلى خراسان فعذبه طاهر بن عبدالله فقال شعراً:

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال:

كَانَ سَبَبُ حَبْسِ الْمَتَوَكِّلِ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْجُلَسَاءِ سَعَوْا بِهِ إِلَيْهِ وَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ يُجَمَّسُ^(٢) الْخَدَمَ وَيَغْمِزُهُمْ، وَإِنَّ كَثِيرَ الطَّعْنِ عَلَيْكَ وَالْعَيْبِ لَكَ وَالْإِزْرَاءِ عَلَى أَخْلَاقِكَ؛ وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يُوْغِرُونَ صَدْرَهُ عَلَيْهِ حَتَّى حَبَسَهُ؛ ثُمَّ أبلغوه عنه أنه هجاه. فنفاه إلى خراسان وكتب بأن يُضَلَّبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ. فلما وصل إلى الشاذيخ^(٣) حبسه طاهر بن عبدالله بن طاهر بها، ثم أخرج فصُلِبَ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ مَجْرَدًا ثُمَّ أُنْزِلَ. فقال في ذلك:

لَمْ يَنْصَبُوا بِالشَّاذِيخِ عَشِيَّةَ الْإِثْنَيْنِ مَسْبُوقًا وَلَا مَجْهُولًا

(١) عدي بن زيد الشاعر حبسه النعمان، وله شعر في حبسه. (انظر ترجمته في الجزء الثاني ص ٩٧ وما بعدها من هذه الطبعة).

(٢) يجمش الخدم: يلاعهم ويقرصهم.

(٣) الشاذيخ: من ضواحي نيسابور أم بلاد خراسان، وكانت قديماً بستاناً لعبدالله بن طاهر بن الحسين ملاصقاً بمدينة نيسابور، فبنى فيه داراً له، ثم أمر الجند بالبناء حوله فعمرت حتى اتصل بناؤها ببناء نيسابور وصارت من جملة محالها. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

نصَّبوا بحمد الله مِلَّةً قلوبهم
ما أزداد إلا رفعةً يَنْكُوله^(١)
هل كان إلا الليث فارق غيلَه
/ لا يَأْمَنُ الأعداءُ من شِدَاتِه
ما عابه أن يُزَّ عنه لِبَاسُه
إن يُتَذَلَّ فالبدْرُ لا يُزْري به
أو يَنْسَلِبُوه المالَ يُخْرِنُ فقْدُه
أو يَخْبِسُوه فليس يُخْبِسَ سائرُ
إن المصائبَ ما تعدَّت دينَه
والله ليس بغافلٍ عن أمره
ولتَعْلَمَنَّ^(٢) إذا القلوبُ تَكشَفَتْ

شَرَفًا وَمِلَّةً صَدُورَهُمْ تَبْجِيلاً
وَأَزْدَادُ الأعداءِ عَنْهُ نُكُولا
فَرَأَيْتُه فِي مَحْمَلٍ مَحْمُولا
[١٠٩/١٠] شَدَاً يَفْضُلُ هَامَهُمْ تَفْصِيلاً
فَالسَيْفُ أَهْوَلُ مَا يُرَى مَسْلُولا
أَنْ كَانَ لَيْلَةً تَمُثُّهُ مَبْذُولا
ضَيْفًا أَلَمٌ وَطَارِقًا وَنَزِيلاً
مَنْ شَعْرُهُ يَدْعُ العَزِيزَ ذَلِيلاً
نَعَمٌ وَإِنْ صَعُبَتْ عَلَيْهِ قَلِيلاً
وَكَفَى بِرَبِّكَ نَاصِراً وَوَكِيلاً
عَنْهَا الأَكِنَّةُ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلاً

كتب المتوكل لظاهر بإطلاقه فأطلقه فقال شعراً:

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا محمد بن سعد قال:

كتب المتوكل إلى طاهر بن عبدالله بإطلاق علي بن الجهم. فلما أطلقه قال:

أَطَاهِرُ إِنِّي عَنْ خُرَاسَانَ رَاحِلُ
أَأُضِدُّ أَمْ أَكْنِي عَنْ الصَّدَقِ^(٣) أَيُّمَا
وَسَارَتْ بِهِ الرُّجْبَانُ وَأَضْطَفَقَتْ بِهِ
/ وَإِنِّي بِغَالِي الحَمْدِ والدَّمِ عَالِمُ
وَحَقًّا أَقُولُ الصَّدَقُ إِنِّي لَمَائِلُ
أَلَا حُرْمَةٌ تُرْعَى أَلَا عَقْدُ ذِمَّةٍ
أَلَا مُنْصِفٌ إِنْ لَمْ نَجِدْ مُتَفَضِّلًا
/ فَلَا تَقْطَعَنَّ غِيظاً عَلَيَّ أَنَامِلًا
وَمُسْتَخْبِرٌ عَنْهَا فَمَا أَنَا قَائِلُ
تَخَيَّرْتُ أَذْنُهُ إِلَيْكَ المَحَافِلُ
أَكْفُ قِيَانٍ وَأَجْتَبَيْتُهُ القَبَائِلُ
بِمَا فِيهِمَا نَامِي الرِّمِيَّةِ^(٤) نَاضِلُ
إِلَيْكَ وَإِنْ لَمْ يَخْطَ بِالْوَدِّ مَائِلُ
لَجَارٍ أَلَا فَعْلٌ لِقَوْلٍ مُشَاكِلُ
عَلَيْنَا أَلَا قَاضٍ مِنَ النَّاسِ عَادِلُ
فَقَبْلَكَ مَا عَضَّتْ عَلَيَّ الأَنَامِلُ

(١) يريد بنكوله الأولى التثكيل به، وبالثانية الفرار عنه والإحجام. ويلاحظ في الأولى أنه يقال: نكل به تنكيلاً ونكل به مخفف والاسم النكال بالفتح.

(٢) في أ، م: «وليعلمن» بالياء المثناة من تحت.

(٣) في أ، م: «عن الحق».

(٤) الرمية النامية: التي أصيبت ثم غابت عن الرامي وماتت؛ يقال أنمي فلان الصيد فتمى؛ قال امرؤ القيس يهجو:

فَهْوُ لَا تَنْمِي رَمِيَّتُهُ مَالَهُ لَا عَدَّ مَنْ نَفَرَهُ

يريد علي بن الجهم أنه يصيب مرماه. وناضل: وصف من نضله إذا سبقه أو غلبه في المناضلة وهي المباراة في الرمي.

أطاهرُ إن تُحسِنَ فإني مُحسِنٌ إليك وإن تبخل فإني باخلُ
فقال له طاهر: لا تقل إلا خيراً فإني لا أفعل بك إلا ما تحب؛ فوصله وحمله وكساه.

جمش جارية فباعده ففقال شعراً فأجابته:

أخبرني عمي قال حدثني محمد قال:

كان علي بن الجهم في مجلس فيه قينة، فعابكها وجَمَّشها، فباعده وأعرضت عنه، فقال فيها:
خَفِي^(١) اللهُ فِيمَنْ قَدْ تَبَلَّتْ فَوَادَهُ وَغَادَرَتْهُ نَضُوءاً كَأَن بِهِ وَقَرَا
دَعِيَ الْبَخْلُ لَا أَسْمَعُ بِهِ مِنْكَ إِنَّمَا سَأَلْتُكَ أَمْرًا لَيْسَ يُغْرِي لَكُمْ ظَهْرَا
فَقَالَتْ لَهُ: صَدَقْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ، لَيْسَ يُغْرِي لَنَا ظَهْرًا، وَلَكِنَّهُ يَمْلَأُ بَطْنًا!!

كان ينشأ من الحارثي فرآه فقال شعراً:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال حدثنا
علي بن الجهم قال:

كان الحارثي يحيى إلى حُلُوان^(٢) وأنا أتولأها - وكان علي بن الجهم على مظالمها - فإذا ورد لها وقع
الإرجاف^(٣)، فلم يَزَلْ مُتَّصِلًا حَتَّى يَخْرُجَ، فإذا خَرَجَ سَكَنَ الْإِرْجَافُ. فَأَتَانِي مَرَّةً وَظَهَرَ كَوَكَبُ الذَّنْبِ فِي تِلْكَ
الليلة، فقلت:

لَمَّا بَدَا أَيقَنْتُ بِالْعَطَبِ فَسَأَلْتُ رَبِّي خَيْرَ مُنْقَلَبٍ
لَمْ يَطْلُعْ إِلَّا لِأَبْدَةٍ^(٤) الْحَارِثِيُّ وَكَوَكَبُ الذَّنْبِ

/ قال ابن المدبر: وكان الحارثي أعور مُقْبَحَ الوجه، وفيه يقول أبو علي البصير:

يَا مَعْشَرَ الْبُصَرَاءِ لَا تَتَطَرَّفُوا^(٥) جِيْشِي وَلَا تَعَرَّضُوا لِلْكِيَرِي
رُدُّوا عَلَيَّ الْحَارِثِيَّ فَإِنَّهُ أَعْمَى يُدْزِلُ نَفْسَهُ فِي الْعُورِ^(٦)

انتحل شعراً لإبراهيم بن العباس:

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن المدبر لعلي بن الجهم وذكر أن علياً أنشده
إياه لنفسه:

(١) كذا في «الأصول» بإثبات الياء في «خفي» في هذا البيت، وفي «دعي» في البيت بعده. ونحسب أن هذه الياء من زيادات النسخ، وأن الخطاب لمذكر والمراد به أنثى، كما يدل عليه سياق الكلام. وإلا فبعيد أن يقع مثل علي بن الجهم في هذا الخطأ اللغوي؛ إذ الأمر من «خاف» للمخاطبة «خافي».

(٢) حلوان: مدينة بالعراق.

(٣) الإرجاف هنا: الزلزلة؛ يقال رجفت الأرض وأرجفت.

(٤) الأبدية: الداهية الخالدة الذكر، والأمر العظيم تنفر منه وتستوحش.

(٥) تطرف الشيء: تحيفه وأخذ من أطرافه.

(٦) كذا في ح. وفي سائر النسخ: «بالعور».

أَمِيلُ مَعَ الذُّمَامِ عَلَى ابْنِ أُمِّي وَأَخَذَ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ
وَأَن أَلْفَيْتَنِي حُرّاً مُطَاعاً فَلَمَّا نَكَحَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أَفَرَّقَ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنِّي وَأَجْمَعَ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقِيقِ
فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: كَذَبَ وَاللَّهِ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ وَأَيْمٌ. وَاللَّهُ لَهَذَا الشَّعْرُ أَشْهُرُ^(١) بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ
بِالْعَبَّاسِ أَبِيهِ.

قال المتوكل إنه كذاب وأثبت كذبه بكلامه له :

أخبرني الحسن قال حدثني ابن مَهْرُويه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال قال المتوكل :

علي بن الجهم أكذب خلق الله. حَفِظْتُ عَلَيْهِ أَنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِخُرَّاسَانَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ
أُخْرَى وَأَنْسِيَ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِالشَّوَرِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى وَأَنْسِيَ الْحِكَايَتَيْنِ جَمِيعاً،
فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِالْجَبَلِ / ثَلَاثِينَ سَنَةً، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَيَجِبُ^{١٠٩}
أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَى هَذَا وَعَلَى التَّقْلِيلِ مِائَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً^(٢)، وَإِنَّمَا يُزَاهِي سِتَّةَ الْخَمْسِينَ سَنَةً. فَلَيْتَ شِعْرِي أَيْ
فَائِدَةٌ لَهُ فِي هَذَا الْكَذِبِ وَمَا مَعْنَاهُ فِيهِ !!

/ عَرَبِدَ عَلَيْهِ بَعْضُ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ فَهَجَاهُمْ :

أخبرني محمد بن إبراهيم قال حدثنا عبدالله بن الْمُعْتَزِّ، وَحَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ :
اجْتَمَعَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ مَعَ قَوْمٍ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ فِي مَجْلَسٍ، فَعَزَّيْدٌ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ، فَغَضِبَ وَخَرَجَ مِنَ
الْمَجْلَسِ، وَأَتَّصَلَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ حَتَّى تَقَاطَعُوا وَهَجَرُوهُ وَعَابُوهُ وَأَغْتَابُوهُ. فَقَالَ يَهْجُوهُمْ :

بَنِي مُتَيْكَمَ هَلْ تَذَرُونَ مَا الْخَبْرُ وَكَيْفَ يُنْتَرُ أَمْرٌ لَيْسَ يَسْتَتَرُ
حَاجِبَتُكُمْ : مَنْ أَبُوكُمْ يَا بَنِي عُصْبٍ شَكَى وَلَكُنَّمَا لِلْعَامِرِ الْحَجَرُ
قَدْ كَانَ شَيْخُكُمْ شَيْخاً لَهُ خَطَرُ لَكِنْ أَمَّكُمْ فِي أَمْرِهَا نَظَرُ
وَلَمْ تَكُنْ أَمَّكُمْ - وَاللَّهُ يَكْلُؤُهَا - مُحْجُوبَةً دُونَهَا الْخُرَّاسُ وَالشُّتْرُ
كَانَتْ مَغْنِيَةً الْفَتَيَانَ إِنْ شَرِبُوا وَغَيْرَ مَمْنُوعَةٍ مِنْهُمْ إِذَا سَكَرُوا
وَكَانَ إِخْوَانُهُ غُرّاً غَطَارِفَةً لَا يُنْكِنُ الشَّيْخُ أَنْ يَغْصِي إِذَا أَمَرُوا
قَوْمٌ أَعْقَاءُ إِلَّا فِي بَيْسُونَكُمْ فَإِنَّ فِي مِثْلِهَا قَدْ تُخْلَعُ الْعُدْرُ
فَأَصْبَحَتْ كُمُرَاحٍ^(٣) الشُّوْلُ حَافِلَةٌ مِنْ كُلِّ لَاقِحَةٍ فِي بَطْنِهَا دِرَرُ

(١) في ب، س: «أشبه».

(٢) يلاحظ أن مجموع السنين التي ذكرها لا يبلغ مائة وخمسين.

(٣) في الأصول: «كمريح» والمراح: ماوى الإبل. والشول من النوق: التي خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم
تتاجها أو ثمانية، فلم يبق في ضرعها إلا شول من اللبن أي بقية مقدار ثلث ما كانت تحلب حدثان (بكسر أوله وسكون ثانيه)
تتاجها. وأحدتها شائلة، وهو جمع على غير قياس. وأما الناقة الشائل (بغير هاء) فهي اللاتع التي تشول بذنبها للفحل أي ترفعه،
فذلك آية لقاوحها، وترفع مع ذلك رأسها وتشمخ بأنفها، وهي حينئذ شامد، وجمعها شول وشمد. والمراد من البيت ظاهر.

فَجِئْتُمْ غُصْباً مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ
فَوَاحِدٌ كِشْرُوئِي فِي قَرَاطِقِهِ (٣)
مَا عَلِمُ أُمَّتُكُمْ مَنْ حَلَّ مِثْرَهَا
/ قُومٌ إِذَا تُسِبُّوا فَالْأَمُّ وَاحِدَةٌ
لَمْ تَعْرِفُوا الطُّغْنَ إِلَّا فِي أَصْفَلِكُمْ
أَحْبَبْتُ إِعْسَالَكُمْ إِنِّي بِأَمْرِكُمْ
تَفَكَّهُونَ بِأَعْرَاضِ الْكِرَامِ وَمَا
هَذَا الْهَجَاءُ الَّذِي تَبْقَى مِيَاسِمُهُ (٥)

نوعاً (١) مَخَانِيثٌ فِي أَعْنَاقِهَا الْكَبِيرُ (٢)
وَأَخَرُ قُرْشِي حِينَ يُخْتَبَرُ
وَمَنْ رَمَاهَا بِكُمْ يَسْأَلُهَا الْقَذْرُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْآبَاءِ إِذْ كَثُرُوا
وَأَنْتُمْ فِي الْمَخَازِي فِتْنَةٌ صُبْرُ
وَأَمْرٌ غَيْرُكُمْ مِنْ أَهْلِكُمْ خَيْرُ
أَنْتُمْ وَذَكَرْتُكُمْ السَّادَاتِ يَا عُرْرُ (٤)
عَلَى جَاهِكُمْ مَا أَوْرَقَ الشَّجَرُ

[٢١٣/١]

سمى عند المتوكل بندمائه وبلغه أنه هجاه فحبسه، وأحسن شعره في الحبس:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أبن مَهْرُوبٍ قال حدثني إبراهيم بن المديبر قال:

كتب صاحب الخبر إلى المتوكل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح أحترق فمات. فقال علي بن الجهم: قد بلغني أن العامل قتله وصانع صاحب الخبر حتى كتب بهذا. وكان يسعى بالجلساء إلى المتوكل فأبغضه وأمره بأن يلزم بيته، ثم بلغه أنه هجاه فحبسه. وأحسن شعره قاله في الحبس قصيدته التي أولها:

قَالَتْ (٦) حُسْنَتْ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي
أَوْ مَا رَأَيْتِ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيْلَهُ
وَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مُحْجُوبَةٌ
وَالْبَدْرُ يُذَرِّكُهُ السَّرَارُ (٧) فَتَنْجِلِي
/ وَالغَيْثُ يَخْضِرُهُ الْغَمَامُ فَمَا يُرَى
وَالزَّاعِبَةُ (٩) لَا يُقِيمُ كُتُوبَهَا
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ
حَبْسِي وَأَيُّ مُهْتَدٍ لَا يُغْمَدُ
كِبْرًا وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَرْدُدُ
عَنْ نَظَرِيكَ لَمَّا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ
أَيَّامُهُ وَكَأَنَّهُ مُتَجَدَّدُ
إِلَّا وَرَيْثُهُ يَرُوعُ (٨) وَيَرْعُدُ
إِلَّا الثَّقَافُ (١٠) وَجَذْوَةٌ تَتَوَقَّدُ
لَا تُصْطَلَى إِنْ لَسِمَ تُشْرَهَا الْأَزْنَدُ

١١٠
٩

(١) كذا في الأصل أي وهما نوعا مخانيث... إلخ، فسرهما في البيت الثاني، وإن كان مع ذلك يحتمل أنها حرفت عن كلمة على وزن فعل بضم أوله جمعا لأفعل، مثل نوك جمع أنوك أو نحو ذلك.

(٢) الكبير: الطبل. معرب.

(٣) القراطق: جمع قرطق وهو القباء.

(٤) العرر: جمع عرة وهو الرجل يكون شين القوم؛ يقال: فلان عرة أهله.

(٥) المياسم: جمع ميسم (بكسر الميم) وهو هنا أثر الوسم والجمع مواسم على الأصل باعتباره من وسم، ومياسم على اللفظ.

(٦) في ب، س: «قالوا».

(٧) السرار: (بالفتح والكسر) آخر أيام الشهر.

(٨) في الأصول: «يراع».

(٩) الزاعبية: رماح منسوبة إلى رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الأسنة.

(١٠) الثقف: آلة من خشب تسوي بها الرماح.

[٢١٤/١٠]

/ والحبس ما لم تغشه لذنيّة
بيت يجذد للكريم كرامة
لو لم يكن في الحبس إلا أنه
كم من عليل قد تخطاه الردى
يا أحمد بن أبي دؤاد إنما
أبلغ أمير المؤمنين فدونه
أنتم بنو عيم النبي محمد
ما كان من كرم فأنتم أهله
أمن السويّة يا بن عم محمد
إن الذين سَعَوْا إليك يباطل
شهدوا وغنّوا عنهم فتحكموا
لو يجمع الخصماء عندك مجلس
فبأي جرم أضحت أعراضنا
شعاء نغم المنزل المتورّد^(١)
ويزار فيه ولا يزور ويحمّد
لا يستذلّك بالحجاب الأعبد
فنجاء ومات طبيبه والعود
تدعى لكل عظمة يا أحمد
خوض الردى ومخاوف لا تنفد
أولى بما شرع النبي محمد
كرمت مغارسكم وطاب المختد
خضمت نقره وأخر تبعد
حساد نعمتك التي لا تجحد
فينا وليس كغائب من يشهد
بوما لبان لك الطريق الأفضد
نهباً تقسمها اللئيم الأوغد

دخل على المتوكل والطبيب بفحص عته وكانت جاريته قبيحة أغضبه فضربها ثم اغتم لذلك فقال هو في ذلك شعراً:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو الفضل الربيعي^(٢) قال قال لي علي بن الجهم:

دخلت على المتوكل وقد بلغني أنه كلّم قبيحة جاريته فأجابته بشيء أغضبه، فرماها بمخذة فأصابت عينها فأثرت فيها، فتأوّهت وبكت وبكى المعتز لبكاها؛ فخرج المتوكل وقد حُمّ من الغم والغضب. فلما بصر بي دعاني وإذا الفتح^(٣) يري بخيشوع القارورة ويشاوره فيها. فقال لي: قل يا علي في عِلّتي هذه شيئاً وصِفْ أن الطبيب ليس يَدري ما بي؛ فقلت:

[٢١٥/١٠]

/ تنكّر حال عِلّتي الطيب
جسنت العرق منك فذلّ جسي
فما هذا الذي بك هات قل لي
وقلت أيا طيب الهجر دائي
فحرك رأسه عجباً لقولي
وقال أرى بجسمك ما يريب
على ألس له خبر عجيب
فكان جوابه منّي النجيب
وقلبي يا طيب هو الكئيب
وقال الحب ليس له طيب

(١) المتورد: الذي يورد ويزار مثل المورد. وفي ب، س: «المتودد» وهو تحريف.

(٢) في أ، م: «الربيعي».

(٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل ونديمه.

فأعجبني الذي قد قال جِداً وقلت بلى إذا رضى الحبيب
فقال هو الشفاء فلا تقصُر فقلت أجل ولكن لا يجيب
ألا هل مُسعدٌ يكي لشجوي فساتسي هائم فرّد غريب
فقال: أحسنت وحياتي! يا غلام اسقني قدحاً؛ فجاءه بقدح فشرب وسقيت الجماعة مثله. وخرجت إليه
فصل الشاعرُ بأبياتٍ أمرتها قبيحة أن تقولها عنها. فقرأها فإذا هي:

١١١ / أكتمن الذي في القلب من حُرقي حتى أموت ولم يعلم به الناس
ولا يقال شكاً مَنْ كان يَغشقه إن الشكاة لمن تهوى هي اليأس
ولا أبوح بشيء كنت أكتمه عند الجلوس إذا ما دارت الكأس
فقال المتوكل: أحسنت يا فضل. وأمر لها ولي بعشرين ألف درهم، ودخل إلى قبيحة فترضاها.

خرج مع جماعة إلى الشام فقطع عليهم الأعراب الطريق فقر أصحابه وثبت هو وقال شعراً:

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال:

خرج علي بن الجهم إلى الشام في قافلة، فخرجت عليهم الأعراب في خُساف^(١) فهرب من كان في
القافلة من المُقاتلة، وثبت علي بن الجهم فقاتلهم قتالاً شديداً، وثاب الناس إليه فدفعهم ولم يحفظوا بشيء. فقال
في ذلك:

[٢١٦/١٠] / صبرت ومثلي صبره ليس يُنكر وليس على نرك التَّخَمِ يُغذر
غريزة حرّاً لا اختلاق تكلف إذا خام^(٢) في يوم الوغى المتصبر
ولما رأيت الموت تهفؤ بوذه وبانت علامات له ليس تُنكر
وأقبلت الأعراب من كل جانب ونار عجاج أسود اللون أخذ
بكل مشيح^(٣) مُستعيت مشمر يجول به طرف^(٤) أقب مشمر
بأرض خُفاف حين لم يك دافع ولا مانع إلا الصفيح^(٥) المذكر
فقلل في عيني عظم جموعهم عزيمة قلب فيه ما جل يصغر
بمعترك فيه المنايا جواسر وناز الوغى بالمشرقية تُسعر
فما صنت وجهي عن طبات سيوفهم ولا أنحزت عنهم والقنا تنكسر
ولم أك في حر الكريهة مُخجماً إذا لم يكن في الحرب للورد مضر

(١) في الأصول، «خساف» بالحاء المهملة وهو تصحيف. وخساف: بركة بين بالس وحلب. («معجم البلدان» لياقوت).

(٢) خام: نكس وجبن.

(٣) المشيح: المجند.

(٤) الطرف: الكريم من الخيل. والأقب: الدقيق الخصر الضامر البطن.

(٥) الصفيح هنا: السيف العريض.

إذا سَاعَدَ الطَّرْفُ الْفَتَى وَجَنَانُهُ وَأَسْمَرُ خَطْطِي وَأَيَّضُ مِبْتَرٍ^(١)
 فذاك، وإن كان الكريم بنفسه، إذا أَصْطَكَّتِ الْأَبْطَالُ فِي التَّقَعِّ عَسْكَرُ
 مَنَعْتُهُمْ مَنْ أَنْ يَنَالُوا قُلَامَةً وَكُنْتُ شَجَاهِمَ وَالْأَسِنَّةُ تَقْطُرُ
 وتلك سجايانا قديماً وحادثاً بِهَا عُرِفَ الْمَاضِي وَعَزَّ الْمُؤَخَّرُ
 أَبَتْ لِي قُرُومٌ أَنْجِبْتَنِي أَنْ أَرَى وَإِنْ جَلَّ خَطْبُ خَاشِعاً أَتَضَجَّرُ
 أولئك آل الله فهرب بن مالك بِهِمْ يُجَبَّرُ الْعَظَمُ الْكَسِيرُ وَيُكْسَرُ
 هم المنكب العالي على كل منكب سِيرُفُهُمْ تُفْنِي وَتُغْنِي وَتُقْفِرُ

[١٧/١٠]

/ قال إن أباه حبسه في الكتاب وهو صبي فكتب إلى أمه شعراً فكذبه إبراهيم بن المدبر:

أخبرني عيسى بن الحسين الوزاق والحسن بن علي قالا جميعاً حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال
 حدثني عيسى بن أبي حَرْب قال حدثني علي بن الجهم قال:
 حبسني أبي في الكتاب، فكتبت إلى أمي:

يَا أُمَّتَا أَفَدِيكِ مَنْ أُمِّ أَشْكُو إِلَيْكِ فَظَاظِلَةَ الْجَهْمِ
 قَدْ سُرِحَ الصَّبِيَانُ كُلُّهُم وَبَقِيَْتُ مَحْصُوراً بِسَلَا جُزْمِ

قال: وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمي؛ فأرسلت إلى أبي: والله لئن لم تُطْلِقْهُ لَأَخْرِجَنَّ حَاسِرَةً حَتَّى
 أَطْلِقَهُ. قال عيسى فحدثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبر فقال: علي بن الجهم / كذاب، وما يمنعه من أن يكون ^{١١٢}
 وَلَدَ هَذَا الْحَدِيثِ وَقَالَ هَذَا الشَّعْرُ وَلَهُ سِتُونَ سَنَةً، ثُمَّ حَدَّثَكُمْ أَنَّهُ قَالَ هُوَ صَغِيرٌ، لِيَرْفَعَ مِنْ شَأْنِ نَفْسِهِ.

مدح أحمد بن أبي دواد وكان منحرفاً عنه ليشفع له في حبسه فقعد عنه فهجاه وشمته به بعد أن نفاه المتوكل:
 أخبرني عَمِّي قال حدثنا محمد بن سعد قال:

كان أحمد بن أبي دَوَادٍ مَنَحَرَفًا عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ لِاعْتِقَادِهِ مَذْهَبَ الْحَشَوِيَّةِ^(٢). فلما حُبِسَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ
 مدح أحمد بن أبي دواد عدة مدائح، وسأله أن يقوم بأمره وَيَشْفَعُ فِيهِ، فلم يفعل وقعد عنه. فمنها قوله:
 يَا أَحْمَدُ بَنَ أَبِي دَوَادٍ إِنَّمَا تُذَعِّي لِكُلِّ عَظِيمَةٍ يَا أَحْمَدُ
 أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ خَوْضُ الرَّدَى وَمَخَاوِفُ لَا تَنْفَدُ
 أنتم بنو عم النبي محمد أَوْلَى بِمَا شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ
 وهذه الأبيات من قصيدته التي أولها:

* قَالَتْ حُبِسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي *

(١) المعروف في «كتب اللغة» أن يقال سيف بائر وبئار (بتشديد التاء) وبئار (وزان غراب) وبئور. ولكن علي بن الجهم استعمل هنا هذه الصيغة، فرجحنا هذا الضبط؛ إذ المستعمل في القطع من هذه المادة إنما هو «بئر» الثلاثي، واسم الآلة منه مبتر.
 (٢) الحشوية: طائفة يقولون: حكم الأحاديث كلها واحد، وعندهم أن تارك النفل كتارك الفرض. وهم فرقة من المرجئة. (انظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ج ٤ ص ١٦٢ طبع دار الكتب المصرية).

/ فلما نفى المتوكل أحمد بن أبي دؤاد سميت به علي بن الجهم وهجاه فقال:

يا أحمد بن أبي دؤاد دعوة
ما هذه البدع التي سميتها
أفسدت أمر الدين حين وليته
لا محكما جزلاً^(٢)، ولا مستظرفاً^(٣)
شريهاً، إذا ذكر المكارم والعلا
ويؤد لو مسخت ربيعة كلها
وإذا تررع في المجالس خلته
وإذا تبسم ضاحكاً شبهته
لا أضحت بالخير عين أبصرت
بعثت إليك جنادلاً وحديداً
بالجهل منك العدل والتوحيداً
ورميت به بأبي الوليد^(٤) وليداً
كهللاً، ولا مستخدثاً مغموداً^(٥)
ذكر القلايا^(٦) مبدئاً ومعيداً
وينو إيراد صخفة وثريداً
ضبعاً وخلت بني أبيه قروداً
شرفاً تعجل شربه مروداً
تلك المناخر والثايا السوداً

كتب من حبسه شعراً لطاهر بن عبدالله بن طاهر بن الحسين:

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال:

كتب علي بن الجهم إلى طاهر من الحبس^(٧):

إن كان لي ذنب فلي حُرْمة
وحُرْمَتِي أعظم من زُلْتي
ولي حقوق غير مجهولة
وكل إنسان له مذهب
وسيرة الأملاك منقولة
وقد تعجلت الذي خفته
والحق لا يدفعه الباطل
لونسائي من عذلكم نائل
يعرفها العاقل والجاهل
وأهل ما يفعله الفاعل
لا جائر يخفى ولا عادل
منك ولم يأت الذي أمّل

[٢١٩/١٠] شعره في مقين كان ينزل عنده في جماعة بالكرخ:

حدثني عمي قال حدثنا محمد قال:

كان علي بن الجهم يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أطلق من حبسه ورد من النفي، وكانوا يتقانون^(٧) ببغداد، ويلزمون منزل مقين بالكرخ يقال له المفضل. فقال فيه علي بن الجهم:

(١) أبو الوليد هو محمد بن أحمد بن أبي دؤاد، كان يتولى المظالم بسامرا وعزله المتوكل سنة ٢٣٧ هـ.

(٢) الجزل هنا: الجيد الرأي أصيله.

(٣) لعلها «مستظرفاً» بالظاء المعجمة أي معدوداً ظريفاً.

(٤) لعلها: «محموداً».

(٥) القلايا: المقلبات، مفردة قلية.

(٦) بعد هذه الكلمة وقبل الشعر كلمة «صوت» في ح، ب، س: ولم يذكر فيه ألحاناً حتى يكون لهذه الكلمة موقع.

(٧) ظاهر أن معناه: يجالسون القيان، وأن معنى مقين صاحب قيان.

نزلنا بباب الكرخ أطيّب منزل
/ فلاّبن سُرنج والغريض ومعبّد
أوانس ما للضيف منهنّ حنمة
يُسّر إذا ما الضيف قلّ حياؤه
ويكثر من ذم الوقار وأهله
ولا يدفع الأيدي المريبة غيرة
ويطرق إطرارق الشجاع مهابة
أشرب ييد وأغمز بطرف ولا تخف
وأعرض عن المصباح والهج بمنزله
وسل غير ممنوع وقُل غير مُسكت
لك البيت ما دامت هداياك جمّة
فبادر بأيام الشباب فإنها
ودع عنك قول الناس أتلف ماله
هل الدهر إلا ليلة طرحت بنا
/ سقى الله باب الكرخ من مُتّزّه
مساجب أذيال القيان ومسرح الد
لو أن أمراً القيس بن حُجر يحلّها
إذا لراى^(٥) أن يمتنع الودّ شادناً
إذا الليل أدنى مضجعي منه لم يقل^(٦)
على مُحسِنات من قيان المُفضّل
بدائع في أسماعنال لم تُبدّل
ولا رُبّهنّ بالجليل المُبجّل
ويغفل عنه وهو غير مُغفل
إذا الضيف لم يأنس ولم يتبدّل
إذا نال حظاً من لبوس ومأكّل
ليطلسق طرف الناظر المتأمل
رقيّاً إذا ما كنت غير مُبخل
فإن حمّد المصباح فاذن وقيل
ونم غير مدعور وقم غير مُعجل
وكنّت مليّاً بالتيّذ المعسل
تقصّي وتفتّى والغراية تنجلي
فلان فأضحى مُذيراً غير مُقبل
أواخرها في يوم لهُو مُعجل
إلى قصر^(١) وضاح فيركّة^(٢) زلزل
حسان ومثوى كلّ خرق مُعدّل^(٣)
لأقصر عن ذكر الدخول وخومل^(٤)
مقصّر أذيال القبا غير مُسبل
عقرت بعيري يا أمراً القيس فأنزل

[٢٢٠/١٠]

- (١) قصر وضاح: قصر بني للمهدي قرب رصافة بغداد، وقد تولى النفقة عليه رجل من أهل الأنبار يقال له وضاح فنسب إليه. وقيل وضاح من موالى المنصور. وقال الخطيب: لما أمر المنصور ببناء الكرخ قلّد ذلك رجلاً يقال له الوضاح بن شبا، فبنى القصر الذي يقال له قصر الوضاح. (معجم البلدان: لياقوت).
(٢) بركة زلزل: ببغداد بين الكرخ والصراة (بفتح أوله) وباب المحول (بشديد الواو مع فتحها) وسويقة أبي الورد تنسب إلى زلزل الضارب. (معجم البلدان: لياقوت).
(٣) الخرق من الرجال: الكريم الذي يتخرق في كرمه أي يتسع فيه. والمعدّل: الذي يكثر الناس عدله ولومه على إسرافه في الكرم.
(٤) رواية «معجم البلدان»:

منازل لا يستبغ الغيث أهلها
منازل لو أن أمراً القيس حلّها
ولا أوجه اللذات عنها بمعزل
لأقصر عن ذكر الدخول فحومل

(٥) في ياقوت:

إذا لراّني أمنح الودّ شادناً

مقلص الودّ

(٦) في «الأصول»: «لم أقل». والتصويب من «معجم البلدان» لياقوت عند الكلام على قصر وضاح.

أنشد إبراهيم بن المدبر شعراً لنفسه فكذبه وقال إن الشعر لإبراهيم بن العباس:

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال أنشدني علي بن الجهم لنفسه:

وَإِذَا جَزَى اللَّهُ أَمْرًا بِفِعَالِهِ فَجَزَى أَخَا لِي مَا جِدَا سَمَحَا
نَادَيْتُهُ عَنْ كُرْبَةٍ فَكَأْتَمَا أَطْلَعْتُ عَنْ لَيْلٍ بِهِ صُبْحَا

فقلت له: وَيْلَكَ! هذا لإبراهيم بن العباس يقوله في محمد بن عبد الملك الزيات! فَجَحَدَنِي وكابر. فدخل يوماً علي بن الجهم إلى إبراهيم بن العباس وأنا عنده. فلما رآني قال: اجتمع الإبراهيمان. فتركته ساعة ثم أنشدت البيتين، وقلت لإبراهيم بن العباس: إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَهُ. فقال: كَذَبٌ، هَذَانِ لِي فِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ. فقال له علي بن الجهم بِقَحَّةٍ: أَلَمْ أَنْهَكَ أَنْ تَنْتَحِلَ شعري! فغضب إبراهيم وجعل يقول له بيده: سَوْءَةٌ عَلَيْكَ سَوْءَةٌ لَكَ! مَا أَوْفَحَكَ! وهو لَا يُنْكِرُ^(١) في ذلك وَلَا يُخَجِّلُ. ثم التقينا بعد مدة فقال: أَرَأَيْتَ كَيْفَ أَخْزَيْتَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ!! فجعلت أَعْجَبُ مِنْ صَلَابَةِ وَجْهِهِ.

شعر له في الفراق:

حدثني^(٢) عَمِّي قال أنشدنا محمد بن سَعْدٍ لِعَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ وفيه غناء:
إِعْلِمِي يَا أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيَّ أَنَّ شَوْقِي إِلَيْكَ قَاضٍ عَلَيَّ
/ إِنَّ قَضَى اللَّهِ لِي رَجُوعاً إِلَيْكُمْ لَا ذَكَرْتُ الْفِرَاقَ مَا دُمْتُ حَيًّا
إِنَّ حَرَّ الْفِرَاقِ أَنْحَلَ جِسْمِي وَكَوَى الْقَلْبَ مِنْكَ بِالشَّوْقِ كَيْتَا

كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفاً عنه ويسببه عند الخليفة فهجاه:

حدثني^(٢) عَمِّي قال حدثنا محمد بن سَعْدٍ قال:

كان محمد بن عبد الملك الزيات مُنْحَرِفاً عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ وَكَانَ يَسْبِغُهُ^(٣) عند الخليفة وَيَعِيْبُهُ وَيَذْكُرُهُ بِكُلِّ قَبِيحٍ. فقال فيه علي بن الجهم:

لَعَائِنُ اللَّهِ مُتَابِعَاتٍ مُصَبِّحَاتٍ وَمُهَجَّـرَاتٍ
عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ عَرَّضَ شَمْلَ الْمُلْكِ لِلشَّتَاتِ
وَأَنْقَذَ الْأَحْكَامَ جَائِرَاتٍ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ذَارِيَّاتِ^(٤)
وَعَنْ عَقُولِ النَّاسِ خَارِجَاتٍ يَرْمِي السِّدَاوِينَ بِتَوَقِيعَاتِ

(١) في ح، ب، س: «لا يفكر».

(٢) في ب، س، ح: «قال حدثني إلخ» وكلمة «قال» هنا لا موقع لها.

(٣) سبغه (من باب ضرب ومنع) شتمه ووقع فيه. وهذه الكلمة محرفة في الأصول، ففي ب، س: «يسبه» وفي أ، م: «يشعه» وفي ح: «يسعه».

(٤) كذا في الأصول بالذال المعجمة. وذاريات من ذرت الريح التراب تذرره وتذريه: فرقته وأطارته. يريد أنها تعنى كتاب الله. ويحتمل أن يكون ذاريات بالزاي أي عائبات.

مُعَقَّدَاتٍ كَرُقَى الْحَبَّاتِ سَبْحَانَ مَنْ جَلَّ عَنِ الصُّفَاتِ
 بَعْدَ رَكُوبِ الطُّؤْفِ^(١) فِي الْفُرَاتِ وَبَعْدَ يَبْعِ الزَّيْتِ بِالْحَبَّاتِ
 / صَرَتْ وَزِيْرًا شَامَخَ الثَّبَاتِ^(٢) هَارُونَ^(٣) يَا بَنَ سَيِّدِ السَّادَاتِ
 أَمَّا تَرَى الْأُمُورَ مُهْمَلَاتِ تَشْكُو إِلَيْكَ عَدَمَ الْكُفَاةِ
 فَعَاجِلِ الْعِلَاجِ بِمُزَهَفَاتِ مِنْ بَعْدِ أَلْفِ^(٤) صُخْبِ الْأَصَوَاتِ
 بِمُثْمِرَاتِ^(٥) غَيْرِ مُورِقَاتِ تُرَى بِمُتَتَبِعِهِ مُرَصَّفَاتِ

* تَرَصَّفَ الْإِنْسَانُ فِي الثَّلَاثِ *

استرفد عمر بن الفرج فلم يرفده ثم قبض على عمر فشمت به وقال شعراً:

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال:

كان علي بن الجهم سأل عمر بن الفرج الرُّخَجِيَّ^(٦) معاونته، وأسترفده في نكبه فلم يُعَاوِنِهِ ولم يُرَفِّدْهُ، ثم قبض على عمر بن الفرج وأسلم إلى نَجَاح^(٧) ليصادره. فقال علي بن الجهم له:

أَبْلَغَ نَجَاحاً فَتَى الْفَتِيَانِ مَأْلَكَةً^(٨) تَفْضِي بِهَا الرِّيحُ إِضْدَاراً وَإِيرَاداً
 لَنْ يَخْرُجَ الْمَالُ عَفْوَاً مِنْ يَدَيَّ عُمَيْرٍ أَوْ يُغَمَدَ السَّيْفُ فِي قَوْذِيهِ إِغْمَاداً
 الرُّخَجِيُّونَ لَا يُؤْفُونَ مَا وَعَدُوا وَالرُّخَجِيُّاتُ لَا يُخْلِفْنَ مِيعَاداً
 قال وقال في عمر بن الفرج أيضاً:

جَمَعْتَ أَمْرَيْنِ ضَاعَ الْحَزْمُ بَيْنَهُمَا تَبَةُ أَلْمَلُوكِ وَأَفْعَالِ الْمَمَالِكِ
 / أَرَدْتَ شُكْرًا بَلَا بِرٍّ وَمَرْزُئَةً^(٩) لَقَدْ سَلَكَتَ طَرِيقاً غَيْرَ مَسْلُوكِ
 ظَنَنْتَ عِرْضَكَ لَا يُرْمَى بِقَارَعَةٍ وَمَا أَرَاكَ عَلَى حَالٍ بِمَتْرُوكِ

(١) الطرف: قرب ينفخ فيها ويشد بعضها إلى بعض كهية السطح يركب عليها في الماء ويحمل عليها.

(٢) كذا في الأصول والنفس غير مرتاحة لها (٣).

(٣) يريد هارون الوائلي الخليفة العباسي.

(٤) يريد ألفاً من السباط.

(٥) مشرات: لها ثمر. والثمرة من السوط: عقدة في طرفه تشبهاً بالثمر في الهيشة والتدلي عنه كتدلي الثمر.

(٦) كان هو وأبوه فرج من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل. غضب عليه المتوكل؛ لأن الوائلي وكله به حين غضب عليه يكتب عنه ويحفظ أخباره. فلما ولي الخلافة نكبه في شهر رمضان سنة ٢٣٣ هـ وأمر بحبسه ومصادرة أمواله. (راجع الطبري ق ٣ ص ١٣٧٠ ص ١٣٧٧).

(٧) هو نجاج بن سلمة أبو الفضل، كان على ديوان التوقيع والتبعية على العمال في عهد المتوكل، ثم نكبه عنده عبيد الله بن يحيى بن خاقان سنة ٢٤٥، وكان متمكناً من المتوكل واليه الوزارة وعامة أعماله. (راجع الطبري ق ٣ ص ١٤٤٠ - ١٤٤٧).

(٨) المألكة: الرسالة.

(٩) يقال: رزاه ماله من باب قطع وعلم رزماً ومرزئة إذا أصاب منه خيراً.

تمثل بشعره نديم لسليمان بن وهب وكان عربد عليه وأغضبه فرضي عنه:

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال:

كان لسليمان بن^(١) وهب نديم يأنس به ويألفه، فعربد عليه ليلة من الليالي عربدة قبيحة، فأطرحه وجفاه مدة. فوقف له على الطريق. فلما مر به وثب إليه^(٢) فقال له: أيها الوزير، ألا تكون في أمري كما قال علي بن الجهم:

القوم إخوان صدق بينهم نسب من المودة لم يغدل بها نسب
تراضعوا درة الصهباء بينهم فأوجبوا الرضيع الكأس ما يجب
/ لا تحفظن على السكران زلته ولا تريبينك من أخلاقه ريب

١١٥
٩

فقال له سليمان: قد رضيت عنك رضا صحيحا، فعذ إلى ما كنت عليه من ملازمتي.

وأول هذه الأبيات:

الوزد يضحك والأوتار تصطخب والأي يندب أشجانا ويتحب
والراح تعرض في نور الربيع كما تجلى العروم عليها الذر والذهب
واللهو يلحق مغبوقا بمضطرب والدور^(٣) سيان محثوث ومثخب
وكلما أنسكب في الكأس أونة أقسمت أن شعاع الشمس ينسكب

[٢٢٤/١٠] أنشد عبدالله بن طاهر شعرا وكان مغتما فسرى عنه:

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثني مولى عبدالله بن طاهر قال:

دخل علي بن الجهم يوما على عبدالله بن طاهر في غداة من غدوات الربيع وفي السماء غيم رقيق والمطر يجيء قليلا ويسكن قليلا، وقد كان عبدالله عزم على الصبوح. فغاضبه حظية له، فتنغص عليه عزمه وفتر. فحبر علي بن الجهم بالخبر وقيل له: قل في هذا المعنى شيئا، لعله ينشط للصبوح. فدخل عليه فأنشده:

نصوت

أما ترى اليوم ما أخلى شمائله صخو وغيم وإنراق وإزعاد
كأنه أنت يا من لا شبيه له وصل وهجر وتقريب وإنعاد
فباكر الراح وأشرنها معتقة لم يدخر مثلها كشرى ولا عاد
وأشرب على الروض إذ لاحت زخارفه زهر ونور وأوراق وأوزاد

(١) هو أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد. كتب للأمين وهو ابن أربع عشرة سنة ثم لإيتاخ ثم لأشناس، ثم ولي الوزارة للمهتدي بالله ثم للمعتد على الله، وقد مدحه خلق كثير من أعيان الشعراء كأبي تمام والبحتري. وتغل سليمان المذكور في الدواوين الكبار والوزارة. ولم يزل كذلك حتى توفي مقبوضا عليه في منتصف صفر سنة ٢٧٢. (راجع ابن خلكان).

(٢) في ب، س، ح: «عليه».

(٣) كذا في الأصول.

كَأَنَّمَا يَوْمُنَا فَعَلُ الْحَبِيبِ بِنَا بَذَلْ وَبُخِلْ وَإِعْمَادٌ وَمِعْمَادُ
وَلَيْسَ يَذْهَبُ عَنِّي كُلُّ فَعْلِكُمْ غَيِّ وَرُشْدٌ وَإِصْلَاحٌ وَإِفْسَادُ
فَأَسْتَحْسِنُ الْآيَاتِ وَأَمْرٌ لَهُ بَثْلُ شَمَائَةِ دِينَارٍ؛ وَحَمَلَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَمْرٌ بَأَن يُغْنَى فِي الْآيَاتِ. الْغِنَاءُ لِبَذَلِ
الطَّاهِرَةِ، خَفِيفٌ رَمَلٍ. وَفِيهِ لَغِيرَهَا هَزَجٌ.

جلس في المقابر بعد خروجه من السجن وقال شعراً:

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ قَالَ:
رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْجَهْمِ بَعْدَ مَا أُطْلِقَ مِنْ حَبْسِهِ جَالِساً فِي الْمَقَابِرِ؛ فَقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ! مَا يُجْلِسُكَ هَاهُنَا؟
فَقَالَ:

يَشْتَاكُ كُلُّ غَرِيبٍ عِنْدَ غُرْبَتِهِ وَيَذْكُرُ الْأَهْلَ وَالْجِيرَانَ وَالْوَطَنَ
وَلَيْسَ لِي وَطَنٌ أَمْسَيْتُ أَذْكُرُهُ إِلَّا الْمَقَابِرَ إِذَا صَارَتْ لَهُمْ وَطَناً

/ شعر له وفيه غناء:

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ أَنْشَدَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ لِعَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ وَفِيهِ غِنَاءٌ:

لَوْ تَنَصَّلْتُ إِلَيْنَا لَوَهْنَسَا لَكَ ذَنْبُكَ
بِأَبِي مَا أَبْغَضَ الْعِيْدَ شَسَّ إِذَا فَارَقْتُ قُرْبَكَ
لِيَتَنِي أَمْلِكَ قَلْبِي مِثْلَ مَا تَمْلِكُ قَلْبَكَ
أَيُّهَا الْوَوَائِقُ بِسْأَلِ اللَّهِ لَقَدْ نَاصَحْتَ رَبَّكَ
مَا رَأَى النَّاسُ إِمَاماً أَنَّهُ سَبَّ الْأُمُورَ وَانْتَهَبَكَ
أَصْبَحْتَ حُجَّتُكَ الْعُدَّ يَا وَحْزِبُ اللَّهِ حِزْبَكَ

الْغِنَاءُ لِعَرَبٍ رَمَلٍ. وَفِيهِ لَغِيرَهَا هَزَجٌ.

مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يعطه شيئاً فهجاء:

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ:

كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْجَهْمِ قَدْ مَدَحَ أَبَا أَحْمَدَ بْنِ الرَّشِيدِ فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئاً، فَقَالَ يَهْجُوهُ:

/ يَا أَبَا أَحْمَدَ لَا يَنْدُ حِجِّي مِنَ الشُّغْرِ الْفِرَارُ
لِبَنِي الْعَبَّاسِ أَحْلا مَعْظَمًا وَوَقَارُ
وَلَهُمْ فِي الْحَرْبِ إِقْدَا مُمْرَأً وَأَصْطَبَارُ
وَلَهُمْ أَلْسِنَةُ تَبْدَ رِي كَمَا تَبْرِي الشُّفَارُ

ووجوه كنجـوم اللـيل تـهـدي مـن يـحـار
ونسيبهم كنسيبهم الرّوض جـادثـه القـطـار
ولعطفيك عن المجـد شـمـاس وازورار
إن تكن منهم بـلا شـك فـلـلـه وـد قـتـار^(١)

[٢٢٦/١٠] رثى عبدالله بن طاهر بشعر وأنشده ابنه يعزبه:

حدّثني جحظة وعمي قالّا حدّثنا عبّيدالله بن عبدالله بن طاهر قال:

دخل إلينا عليّ بن الجهم بعقب موت أبي والمجلس حافل بالمعزّين، فمثل قائماً وأنشدنا يرثيه:

أيّ ركن ومي من الإسلام	أيّ يوم أخنى على الأيام
جلّ رزء الأمير عن كل رزء	أدر كنهه خواطر الأوهام
سلبتسا الأيام ظلاً ظليلاً	وأباحث حتى عزيز المرام
يا بني مضعب حلّلتهم من النـا	س محلّ الأرواح في الأجسام
فإذا رآبكم من الدهر ريب	عمّ ما خصّكم جميع الأنـام
أنظروا هل تروّن إلا دموعاً	شاهدات على قلوب دوامـي
من يداوي الدنيا ومن يكلا المـد	لك لدى فادح الخطوب العظام
نحن نثنا بموته وأجلّ الـ	خطيب موت السادات والأعلام
لم يمّث والأمير طاهر ^(٢) حيّ	دائهم الانتقام والإنعام
وهو من بعده نظام المعالي	وقوام الدنيا وسيف الإمام

قال: فما أذكر أني بكيت أو رأيت في دورنا باكياً أكثر من يومئذ.

غنت عريب المعتز بشعر له فطرب وفرّق مالا:

حدّثني عمي قال حدّثنا أبو الدهقانة النديم قال:

دخلنا يوماً إلى المعتز وهو مضطجّ على صوت اختاره واقترحه على عريب، وأظنّ الصنعة لها، فلم يزل يشرب عليه بقيّة يومه، فلما سكر أمر لها بثلاثين ألف درهم، وفرّق على الجلساء كلّهم الجوائز والطيب والخلع والصوت:

[٢٢٧/١٠] / العين بعدك لم تنظر إلى حسن	والنفس بعدك لم تسكن إلى سكن
كأن نفسي إذا ما غبت غائبة	حتى إذا عذت لي عادت إلى بدني

والشعر لعليّ بن الجهم.

(١) القنار: ربح العود المحرق.

(٢) يريد طاهر بن عبدالله بن طاهر بن الحسين.

خرج مع عبدالله بن طاهر للصيد وشربوا فقال شعراً يصف ذلك:

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ وَعَمِّي قَالُوا جَمِيعاً حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ:

لَمَّا أَطْلَقَ أَبِي طَاهِرٌ عَلِيَّ بْنَ الْجَهْمِ مِنَ الْحَبْسِ أَقَامَ مَعَهُ بِالشَّاذِيَاخِ^(١) مَذَّةً. فَخَرَجُوا يَوْمَآ إِلَى الصَّيْدِ، وَاتَّفَقَ لَهُمْ مَرْجٌ كَثِيرُ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ، وَكَانَتْ أَيَّامُ الزَّعْفَرَانِ، فَأَصْطَادُوا صَيْدًا كَثِيرًا حَسَنًا، وَأَقَامُوا يَشْرَبُونَ عَلَى الزَّعْفَرَانِ. فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ يَصِفُ ذَلِكَ:

وَطِنْنَا رِيَاضَ الزَّعْفَرَانِ وَأَمْسَكْتُ	عَلَيْنَا الْبُزَاةَ الْبَيْضُ حُمْرَ الدَّرَاجِ ^(٢)
وَلَمْ تَحْمِهَا الْأَدْعَالُ مِنَّا وَإِنَّمَا	أَبْخُنَا حِمَاهَا بِالْكِلَابِ النَّوَابِجِ ^(٣)
بِمُسْتَرْوِحَاتِ ^(٤) سَابِحَاتٍ بَطُونُهَا	عَلَى الْأَرْضِ أَمْثَالُ السُّهَامِ الزَّوَالِجِ ^(٥)
وَمُسْتَشْرِفَاتٍ بِالْهَوَادِي ^(٦) كَأَنَّهَا	وَمَا عَقَفْتُ مِنْهَا رُؤُوسُ الصَّوَالِجِ
/ وَمِنْ دَالِعَاتِ السُّنَا فَكَأَنَّهَا	لِحَى مِنْ رِجَالٍ خَاضِعِينَ كَوَاسِجِ ^(٧)
/ فَلَيْنَا بِهَا الْغِيْطَانَ قَلِيًّا كَأَنَّهَا	أَنَامُلُ إِحْدَى الْغَنَائِيَاتِ الْحَوَالِجِ ^(٨)
فَقُلْ لِبُغَاةِ الصَّيْدِ هَلْ مِنْ مُفَاخِرٍ	بِصَيْدٍ وَهَلْ مِنْ وَاصِفٍ أَوْ مُخَارِجِ ^(٩)
قَرْنَا بُزَاةً بِالصُّقُورِ وَحَوْمَتْ	شَوَاهِيئَنَا مِنْ بَعْدِ صَيْدِ الزَّمَامِجِ ^(١٠)

كتب من حبسه إلى المتوكل شعراً:

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ:

كتب علي بن الجهم إلى المتوكل وهو محبوس:

نص

أَفْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ	يَقِيكَ وَيَضْرِفُ عَنْكَ السَّرْدَى
وَيُغْذُوكَ بِالنَّعْمِ السَّابِغَاتِ	وَلِيَدًا وَذَا مَيْعَةٍ أَمْرَدَا
وَتَجْرِي مَقَادِيرُهُ بِالذِّي	تُحِبُّ إِلَى أَنْ بَلَغْتَ الْمَدَى

(١) راجع الحاشية رقم ٣ صفحة ٢٠٨ من هذا الجزء.

(٢) الدراج: جمع دراج وهو طير جميل المنظر ملون الريش. وفي الأصول: «التدراج» وهو تحريف.

(٣) نباح الكلب: نباحه. وفي أ، ح، م: «النوابج» بالعاء المهملة، وهو تصحيف. وفي ب، س «البوارج» وهو تحريف.

(٤) استروح الشيء: تشمه. وسابحات: سريعات.

(٥) الزوالج: هنا بمعنى السريعة. يقال سهم زالج أي يزلج على وجه الأرض ثم يمضي.

(٦) الهوادي هنا: الأعناق. وعقفت: عطف وتوجت.

(٧) دالعات السنن: مخرجات السنن من أفواهها. والكوسج: الذي لحبته على ذقنه لا على عارضيه.

(٨) حوالج: جمع حالجة وهي التي تندف القطن حتى يخلص الحب منه.

(٩) خارجة: ناهدة. يريد: هل من مناهض يناهضنا في الصيد.

(١٠) كذا في أكثر الأصول. والزمامج: جمع زمج (وزان سكر) وهو نوع من الطير يصاد به دون العقاب، تغلب على لونه الحمرة. وفي ب، س: «الروامج». جمع رامج، وهو ملوح تصاد به الجوارح كالصقور ونحوها. وهذا لا يصلح في هذا المقام.

وَيُغْلِيكَ حَتَّى لَوْ أَنَّ السَّمَاءَ
فَمَا بَيْنَ رَبِّكَ جَلَّ أَسْمُهُ
فَشَكَرَ لَأَنْعَمَ بِهِ إِنَّهُ
وَعَفْوِكَ عَنْ مُذْنِبٍ خَاصِعٍ
إِذَا أَدْرَعَ اللَّيْلَ أَفْضَى بِهِ
عَفَا اللَّهُ عَنْكَ الْآحْزَمَةُ
لَنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ اعْتَمِدْ
أَلَمْ تَسِرْ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ
/ وَمُقْسِدًا أَمْرٍ تَلَا فَيْتَهُ
فَلَا عُذْتُ أَعْصِيكَ فِيمَا أَمَرَ
وَالْأَفْخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ
وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍ
يَكْثُرُ فِي الْبَيْتِ صِيَانَتُهُ

[٢٢٩/١٠]

شمت بأحمد بن أبي دواد حين فليج وقال شعراً بهجوه:

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ:

لَمَّا فُلِجَ أَبْنُ أَبِي دَوَادٍ شَمِتَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ وَأَظْهَرَ ذَلِكَ لَهُ وَقَالَ فِيهِ:

لَمْ يَتَّقْ مِنْكَ سِوَى خِيَالِكَ لَامِعاً
فَرِحْتَ بِمَضْرَعِكَ الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا
كَمْ مَجْلِسٍ لَلَّهِ قَدْ عَطَلَتْهُ
وَلَكُم مَصَابِيحُ لَنَا أَطْفِئَانَهَا
وَلَكُم كَرِيمَةٌ مَغْشَرِ أَرْمَلَتَهَا
إِنَّ الْأَسَارَى فِي الشُّجُونِ تَفَرَّجُوا
وَعَدَا لِمَصْرَعِكَ الطَّيِّبُ فَلَمْ يَجِدْ
/ فَذُقِ الْهَوَانَ مُعْجَلاً وَمَوْجَلاً
لَا زَالَ فَاَلِجُكَ الَّذِي بِكَ دَائِباً

١١٨

شعر له غنت فيه عريب:

أَنشَدَنِي عَمِّي لَابْنَ الْجَهْمِ وَفِيهِ غِنَاءٌ لِعَرِيبٍ:

نَطَقَ الهَوَى بِجَوَى هُوَ الْحَقُّ وملكنتني فليهنك الرُّقُ
رِفْقاً بقلبي يا معذبَه رفقاً وليس لظالم رِفْقُ
وإذا رأيتُك لا تكلمني ضاقت علي الأرض والأفُقُ

/ وأنشدني له وفيه غناء أيضاً، ويقال إنه آخر شعر قاله :

يا رحمةً للغريب بالبلد الك سألح ماذا بنفسه صنعاً
فأزق أحبابه فما أنتفعوا بالعيش من بعده وما أنتفعوا

هجاء مغنياً بشعر :

وقال لمغنٍ حضر معه مجلساً وكان غير طيب :

كنتُ في مجلس فقال مُغَنِّي ال قنوم كم بيننا وبين الشتاء
فلزغت الساطِ مَنِّي إليه قلتُ هذا المقدارُ قبل الغناء
فإذا ما عَزَمْتَ أن تتغنى آذن الحرُّ كُلُّه بأنقضاء

استشفع بقبيلة إلى المتوكل وهو في حبسه فأرسلت إليه ابنتها الممتر :

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني عبدالله بن الممتر قال :

لما حبس أمير المؤمنين المتوكل علي بن الجهم، واجتمع الجلساء على عداوته وإبلاغ الخليفة عنه كل مكره ووصفهم مساويه، قال هذه القصيدة يمدحه ويذكره حقوقه عليه، وهي :

عفا الله عنك ألا حُرْمَةً تعوذ بعفوك أن أبعدا

ووجه بها إلى بيدون الخادم، فدخل بها إلى قبيحة وقال لها: إن علي بن الجهم قد لاذبك وليس له ناصر سواك، وقد قصده هؤلاء الثمماء والكتّاب لأنه رجل من أهل السنة وهم روافض، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله. فدعت الممتر وقالت له: اذهب بهذه الرقعة يا بُني إلى سيّدك وأوصلها إليه، فجاء بها ووقف بين يدي أبيه. فقال له: ما معك فديتك؟ فدنا منه وقال: هذه رقعة دفعتها إليّ أمي. فقرأها المتوكل وضحك. ثم أقبل عليهم فقال: أصبح أبو عبدالله - فديته - خضّمكم. هذه رقعة علي بن الجهم يستقيل^(١)، وأبو عبدالله شفيعه، وهو ممن لا يُردّ، وقرأها عليهم. فلما بلغ إلى قوله :

فلا عذتُ أغصيبك فيما أمرت إلى أن أحلّ الثرى ملخداً

/ وإلا فخالفت ربّ السماء وخُنتُ الصديق وعُنتُ الثدى

وكنت كعزّون أو كابن عمسرو مبيح العيال لمن أولدا

وثب^(٢) ابن حمّدون وقال للممتر: يا سيدي فمن دفع هذه الرقعة إلى السيّدة؟ قال بيدون الخادم: أنا.

(١) يستقيل: يطلب الإقالة من ذنبه والعفو عنه.

(٢) في الأصول: «وثب».

فقالوا له: أحسن! تُعَادِينَا وتوصل رُقعةَ عدوِّنا في هجائنا! فأنصرف بيدون وقام المُعْتَزَ فأنصرف. وأستلبَ أبْنُ حَمْدُون قوله:

وكنْتُ كَعَزُونٍ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍو مُبِيحِ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَدَا

١١٩ / فجعل يُنْشِدُهُمْ إِيَّاهُ وَهُمْ يَشْتُمُونَ أَبْنَ حَمْدُونٍ وَيَضْجُونَ وَالْمَتَوَكِّلُ يَضْحَكُ وَيَصْفُقُ وَيَشْرَبُ حَتَّى سَكِرَ وَنَامَ، وَسَرَقُوا قَصِيدَتَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ الْمَتَوَكِّلِ وَأَنْصَرَفُوا، وَلَمْ يَوْقِعْ بِإِطْلَاقِهِ وَنَسِيَهُ. فَقَالُوا لِابْنِ حَمْدُونٍ: وَتِلْكَ! تُعِيدُ هِجَاءَنَا وَشَتْمَنَا! فَقَالَ: يَا حَمَقَى وَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ فَيَضْحَكُ وَيَشْرَبُ حَتَّى يَسْكُرَ وَيَنَامَ لَوْقِعَ فِي إِطْلَاقِهِ وَوَقَعْنَا مَعَهُ فِي كُلِّ مَا نَكْرَهُ.

هنا المتوكل بفتح أرمينية:

أخبرني علي بن الحسين قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني أحمد بن حمدون قال: لما أُفْتُتِحَتْ أَرْمِينِيَّةُ وَقُتِلَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ^(١) دخل علي بن الجهم فأنشد المتوكل قصيدته التي يُهَيِّئُهَا فِيهَا بِالْفَتْحِ وَيَمْدَحُهَا، فَقَالَ فِيهَا وَأَوَّمَا بِيَدِهِ إِلَى الرَّسُولِ الْوَارِدِ بِالْفَتْحِ وَبِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ جَنَّتْ بِمَا يَشْفِي مِنَ الْغَلِيلِ
بِجَمَلَةٍ تُغْنِي عَنِ التَّفْصِيلِ بِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلِ
* قَهْرًا بَلَا حَتْلٍ وَلَا تَطْوِيلِ *

٢٣٢/١ / فاستحسن جميع مَنْ حَضَرَ ارْتِجَالَهُ هَذَا وَابْتِدَاءَهُ، وَأَمَرَ لَهُ الْمَتَوَكِّلُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَتَمَّمَ الْقَصِيدَةَ. وَفِيهَا يَقُولُ:

جَاوَزَ نَهْرَ الْكُرِّ^(٢) بِالْخِيُولِ تَرْدِي بِفَثِيَانٍ كَأَمْسِدِ الْغِيلِ
مَعْوَدَاتِ طَلَبِ الدُّحُولِ^(٣) خُزْرُ^(٤) الْعَيُونِ طَيِّبِي^(٥) الثُّصُولِ
شُعْتُ عَلَى شُعْبٍ مِنَ الْفَحُولِ جِيثٌ يَلْفُ الْحَزْنَ بِالشُّهُولِ
كَأَنَّهُ مُغْتَلِجٌ^(٦) الشُّيُولِ يَشُوسُهُ كَهْلٌ مِنَ الْكُهُولِ
لَا يَنْتَشِي لِلصَّغْبِ وَالذُّلُولِ عَلَى أَغَرٍّ وَاضِحِ الْحُجُولِ
حَتَّى إِذَا أَصْحَرَ^(٧) لِلْمَخْذُولِ نَاجِزَهُ بِصَارِمِ صَقِيلِ
ضَرِبًا طَلَحْفَا^(٨) لَيْسَ بِالْقَلِيلِ وَمَنْجَنِيْقٍ^(٩) مِثْلَ حَلْقِ الْفِيلِ

(١) هو إسحاق بن إسماعيل مولى بني أمية، ظفر به بغا وأحرق مدينة تقيس سنة ٢٣٨ هـ.

(٢) الكر (بضم أوله): نهر بين أرمينية وأران يشق مدينة تقيس. وتردى الخيل ردياً وردياناً: ترجم الحصا بحوافرها من شدة وطئها.

(٣) في أكثر الأصول: «الدخول» بالدال والخاء وهو تصحيف وفي ج: «الدحول» بالدال والحاء المهملتين. والدحول: جمع دخل وهو النار.

(٤) خزر: جمع أخزر وخزراء. وخزر العين: ضيقها، وهو كناية عن الغضب.

(٥) في ج: «طيب» وفي أ، م هكذا: «حيثي». وفي ب، س: «صيتي».

(٦) اعتلجت الأمواج والسيول: التلطمت.

(٧) أصحر: برز.

(٨) طلحفا: شديداً.

(٩) المنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة. فارسي معرب.

تَرْفُضُ عَنْ حُرْطُومِهِ الطَّوِيلِ صَوَاعِقُ مِنْ حَجَرِ السَّجِيلِ^(١)
 تَتْرَكَ كَيْدَ الْقَوْمِ فِي تَضْلِيلِ مَا كَانَ إِلَّا مِثْلُ رَجُوعِ الْقَيْلِ
 حَتَّى أَنْجَلَتْ عَنْ حَزْبِهِ الْمَقُولِ وَعَبْنُ نَسَاءٍ حُسْرُ ذُهُولِ
 صَوَارِخٍ يَغْتُرْنَ فِي الذُّيُولِ ثَوَاكِلِ الْأَوْلَادِ وَالْبُعُولِ
 لَا وَالَّذِي يُغْرِفُ الْعُقُولِ مَنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ وَلَا تَمَثِيلِ
 مَا قَامَ لِلَّهِ وَلِلْبُرْسُولِ بِالَّذِينَ وَالذُّنْيَا وَيَا تَنْزِيلِ
 * خَلِيفَةُ كَجَعْفَرِ الْمَأْمُولِ *

٣/١٠]

/ مدح المتوكل بقصيدة وأرسلها من حبسه مع علي بن يحيى:

أخبرني علي بن العباس قال حدثني محمد بن عبد السلام قال:

رَأَيْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْمَنْجَمَ قَصِيدَةَ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ يَمْدَحُ الْمُتَوَكَّلَ وَيَصِفُ الْهَارُونَ^(٢)، فَقُلْتُ لَهُ: يَا
 أَبَا الْحَسَنِ، مَا هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مَعَكَ؟ فَضَحِكَ وَقَالَ: قَصِيدَةٌ لِعَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ سَأَلَنِي عَرْضَهَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 فَعَرَضْتُهَا. فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُ:

١٢٠/٩

/ وَقُبَّةٌ مُلْكٍ كَانَ التُّجُو مَ تَضْغِي^(٣) إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
 تَخِرُّ الْوَفُودُ لَهَا سُجُودًا إِذَا مَا تَجَلَّثَ لَأَبْصَارِهَا
 وَقَوَارِثُ ثَارِهَا فِي السَّمَاءِ فَلَيْسَتْ تُقْصَّرُ عَنْ ثَارِهَا
 تَرُدُّ عَلَى الْمُزْنِ مَا أَنْزَلَتْ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ مِدَارِهَا
 تَهْلُلُ وَجْهَهُ وَأَسْتَحْسِنُهَا. فَلَمَّا أَنْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ:
 تَبَسَّوْا تُبْعِدُكَ قَعَرُ الشُّجُونِ وَقَدْ كُنْتُ أَرْتِي لَزْوَارِهَا

غَضِبَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ وَقَالَ: هَذَا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ، وَلَمْ يَسْمَعْ تَمَامَ الْقَصِيدَةِ.

شاع مذهبه وشبهه فسادا لحلب فقتل في الطريق وقال شعرا قبل موته:

أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن موسى قال:

لَمَّا شَاعَ فِي النَّاسِ مَذْهَبُ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ وَشَرُّهُ وَذِكْرُهُ كُلُّ أَحَدٍ بِسَوْءٍ مِنْ صَدِيقِهِ وَعَدُوِّهِ تَحَامَاهُ النَّاسُ،
 فَخَرَجَ عَنْ بَغْدَادَ إِلَى الشَّامِ، فَاتَّفَقْنَا فِي قَافِلَةٍ إِلَى حَلَبَ. وَخَرَجَ عَلَيْنَا نَفَرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَتَسَرَّعَ إِلَيْهِمْ قَوْمٌ مِنَ
 الْمُقَاتِلَةِ، وَخَرَجَ فِيهِمْ فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا وَهَزَمَ الْأَعْرَابَ. فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدٍ خَرَجَ عَلَيْنَا مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَتَسَرَّعَتْ
 إِلَيْهِمُ الْمُقَاتِلَةُ وَخَرَجَ فِيهِمْ فَأَصَابَتْهُ طَعْنَةٌ قَتَلَتْهُ، فَجِئْنَا بِهِ وَأَحْتَمَلْنَاهُ وَهُوَ يَنْزِفُ دَمَهُ. فَلَمَّا رَأَيْتُ بَكَى وَجَعَلَ يُوصِيَنِي
 بِمَا يَرِيدُ. فَقُلْتُ لَهُ: لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ. فَلَمَّا أَمْسَيْنَا قَلِقَ قَلَقًا شَدِيدًا وَأَحْسَنَ بِالْمَوْتِ، فَجَعَلَ يَقُولُ:

/ أَرِيدُ فِي اللَّيْلِ لَيْلُ أَمَّ سَالٍ بِالصُّبْحِ سَيْلُ

٤/١٠]

(١) السجيل: حجارة كالمدر.

(٢) الهاروني: قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الواثق بالله. وهو على دجلة بينه وبين سامراء ميل.

(٣) يحتمل جداً أن تكون: «تفضي».

ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ^(١) وَأَيُّهَا مَنْ مِثِّي دُجَيْلٌ
فَأَبْكِي كُلَّ مَنْ كَانَ فِي الْقَافِلَةِ، وَمَاتَ مَعَ السَّحَرِ، فَذُفِنَ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ عَلَى مَرَحَلَةٍ مِنْ حَلَبَ.

وَمِنْ صَنَعَةِ أَبِي عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ

نصوت

إِنَّ النَّاسَ غَطَّوْنِي تَغَطِّيَتْ عَنْهُمْ
وَأَنْ بَحْثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ
وَأَنْ حَفَرُوا بَشْرِي حَفَرْتُ بِشَارَهُمْ
الشَّعْرَ لِأَبِي دُلَامَةَ. وَالْغِنَاءُ لِأَبِي عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلُ عَنْ الْمُعْتَزِ.^(٢)



مركز توثيق المكتبة الوطنية العراقية

(١) دجيل: نهر مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية دون سامرا.

(٢) النباتات: جمع نبیثة، وهي تراب البئر.

/ أخبار أبي دلامة ونسبه

نسبه وهو مولى لبني أسد وكان فاسد الدين متهتكاً:

أبو دلامة زُند بن الجَوْن. وأكثرُ الناس يُصَحِّفُ اسمَه فيقول «زيد» بالياء، وذلك خطأ، وهو زُند بالنون. وهو كوفيٌّ أسود، مولى لبني أسد. كان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له فضافض فاعتقه. وأدرك آخرَ أيامِ بني أمية، ولم يكن له في أيامهم نباهة، ونبغ في أيام بني العباس، وأنقطع إلى أبي عباس وأبي جعفر المنصور والمهدي، فكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيون مجالسته ونوادره. وقد كان أنقطع إلى رُوح بن حاتم المُهَلَّبِيِّ أيضاً في بعض أيامه. ولم يصل إلى أحدٍ من الشعراء ما وصل إلى أبي دلامة من المنصور خاصة. وكان فاسد الدين، رديء المذهب، مرتكباً للمحازم، مُضَيِّعاً للفروض، مجاهراً بذلك، وكان يُعَلِّمُ هذا منه ويُعرِّف به، فيُتَجافى عنه لِلطُّفِ مَحَلَّة.

أول شعر عرف به:

وكان أول ما حُفِظَ من شعره وأُسْنِيتَ / الجوائزُ له به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور وذكرَ قَتْلَهُ أبا ١٢١
مسلم. فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدثني محمد بن داود بن الجَرَّاح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حبيب قال: لما قال أبو دلامة قصيدته في قتل أبي مسلم التي يقول فيها:

أبا مُسْلِمٍ خَوَّفَتْنِي الْقَتْلَ فَأَتَتْحَى عَلَيْكَ بِمَا خَوَّفَتْنِي الْأَسَدُ الْوَرْدُ
أبَا مُسْلِمٍ مَا غَيَّرَ اللَّهُ نَعْمَةً عَلَى عَبْدِهِ حَتَّى يَغْيُرَهَا الْعَبْدُ

أنشدها المنصور في مَحْفَلٍ من الناس، فقال له: أحكم. قال: عشرة آلاف درهم، فأمر له بها. فلما خلا به قال له: إيه!! أمّا والله لو تَعَدَّيْتُهَا لَقَتَلْتُكَ.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدثني علي بن مُسْلِمٍ عن أبيه: سَمَى لي أبو دلامة نفسه زُنداً (بالنون) أبنَ الجَوْن. وأسلم مولاه فضافض، وله أيضاً شعر، وكان في الصَّحَابَةِ.

٣٦/١٠٠

/ أَعْفَاءُ الْمَنْصُورِ مِنْ لِبْسِ السَّوَادِ وَالْقَلَانِسِ دُونَ النَّاسِ:

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العَلَاءِ قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّارٍ قال حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بن الْحُسَيْنِ الْمُهَلَّبِيُّ قال:

كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلبس السَّوَادِ وَقَلَانِسٍ طَوَالِ تَذَعُمِ بَعِيدَانِ مِنْ دَاخِلِهَا، وَأَنْ يَلْعُقُوا الشُّيُوفَ فِي الْمَنَاطِقِ، وَيَكْتُبُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ: «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ». فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزَّيِّ. فقال له أبو جعفر: ما حالك؟ قال: شَرُّ حَالٍ، وَجْهِي فِي نَصْفِي، وَسَيْفِي فِي أَسْتِي، وَكُتَابُ اللَّهِ وَرَاءَ ظَهْرِي، وَقَدْ صَبَغْتَ بِالسَّوَادِ ثِيَابِي، فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَعْفَاهُ وَحَدَّه مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ لِي: إِيَّاكَ أَنْ يَسْمَعَ هَذَا مِنْكَ أَحَدٌ.

ونسختُ من كتاب لابن النُّطَّاحِ فَذَكَرَ مِثْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ سِوَاءَ وَزَادَ فِيهَا:

وَكُنَّا نَرْجِي مِنْ إِمَامٍ زِيَادَةً فَجَادَ بِطُولٍ زَادَهُ فِي الْقَلَانِسِ
تَرَاهَا عَلَى هَامِ الرِّجَالِ كَانَهَا دِنَانُ يَهُودٍ جُلَّلَتْ بِالْبِرَانِسِ
فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَعْفَاهُ.

طلب من المنصور أو السفاح، كلب صيد ثم تدرج في الطلب إلى أشياء كثيرة:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال حدثني الجاحظ قال:

كَانَ أَبُو دُلَامَةَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ وَاقِفًا - وَأَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ أَنَّهُ كَانَ وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيِ
السَّفَّاحِ - فَقَالَ لَهُ: سَلْنِي حَاجَتَكَ. قَالَ أَبُو دُلَامَةَ: كَلْبٌ أَتَصِيدُ بِهِ. قَالَ: أَعْطُوهُ إِيَّاهُ. قَالَ: وَدَابَّةٌ أَتَصِيدُ عَلَيْهَا.
قَالَ: أَعْطُوهُ. قَالَ: وَغَلَامٌ يَصِيدُ بِالْكَلْبِ وَيَقُودُهُ. قَالَ: أَعْطُوهُ غَلَامًا. قَالَ: وَجَارِيَةٌ تُصْلِحُ لَنَا الصَّيْدَ وَتُطْعِمُنَا
مِنْهُ. قَالَ: أَعْطُوهُ جَارِيَةً. قَالَ: هَؤُلَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَيْدُكَ فَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ دَارٍ يَسْكُنُونَهَا. قَالَ: أَعْطُوهُ دَارًا
تَجْمَعُ فِيهَا. قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ ضَيْعَةٌ فَمِنْ أَيْنَ / يَعِيشُونَ! قَالَ: قَدْ أَعْطَيْتُكَ مَائَةَ جَرِيرٍ^(١) عَامِرَةً وَمَائَةَ جَرِيرٍ
غَامِرَةً. قَالَ: وَمَا الْغَامِرَةُ؟ قَالَ: مَا لَا نَبَاتَ فِيهَا. فَقَالَ: قَدْ أَقْطَعْتُكَ أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَمْسَمِائَةَ أَلْفَ جَرِيرٍ
غَامِرَةً مِنْ فَيَافِي بَنِي أَسَدٍ. فَضَحِكَ وَقَالَ: اجْعَلُوهَا كُلُّهَا عَامِرَةً. قَالَ: فَأَذَنْ لِي أَنْ أَقْبَلَ بِذِكِّكَ. قَالَ: أَمَّا هَذِهِ
فَدَعُوهَا. قَالَ: وَاللَّهِ مَا مَنَعَتْ عِيَالِي شَيْئًا أَقَلَّ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ مِنْهَا. قَالَ الْجَاحِظُ: فَأَنْظَرُ إِلَى حِذْقِهِ بِالمَسْأَلَةِ وَلُطْفِهِ
فِيهَا: إِبْتَدَأَ بِكَلْبٍ فَسَهَّلَ الْقِصَّةَ بِهِ، وَجَعَلَ يَأْتِي بِمَا يَلِيهِ عَلَى تَرْتِيبٍ وَفُكَاهَةٍ، حَتَّى نَالَ مَا لَوْ سَأَلَهُ بِدِيهَةٍ لَمَّا
وَصَلَ إِلَيْهِ.

مركز تحقيق النسخة المطبوعة

كني باسم جبل بمكة:

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ حَدَّثَنِي الشُّكْرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: إِسْمُ / أَبِي دُلَامَةَ زَنْدُ
بِالنُّونِ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَرُويهِ بِالْيَاءِ، وَكُنِّي أَبُو دُلَامَةَ بِاسْمِ جَبَلٍ بِمَكَّةَ يُقَالُ لَهُ أَبُو دُلَامَةَ، كَانَتْ قَرِيشٌ تَتَدُّ فِيهِ الْبَنَاتُ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ؛ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ.

أنشد المنصور شعراً فأجازه:

وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، وَأَخْبَرَنِي عُمِّي قَالَ حَدَّثَنِي الْكُرَّانِيُّ عَنْ
الْعُمَرِيِّ عَنِ الْهَيْثَمِ قَالَ:

دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَأَنشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنِ فَانْتَجَعُوا^(٢) وَزَوَّدُوكَ خَبَالًا بِشَسْ مَا صَنَعُوا
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ كَادَتِ لِبَيْنِهِمْ يَوْمَ الْفِرَاقِ حَصَاةُ الْقَلْبِ تَنْصَدَعُ
عَجِبْتُ مِنْ صِنِّيَتِي يَوْمًا وَأُمُومُ أُمُّ الدُّلَامَةِ لَمَّا هَاجَهَا الْجَزَعُ
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ مُنْبَهَةٍ هَبْتُ تُلُومَ عِيَالِي بَعْدَ مَا هَجَعُوا

(١) الجريب من الأرض: ثلاثة آلاف وستمائة ذراع، وقيل: عشرة آلاف ذراع.

(٢) كان الأفضل أن يكون «أجدوا البين فانتجعوا» ليتفق الضميران. على أنه يجوز أن يكون ضمير «الخليط» منفرداً وجمعاً.

ونحن مُشْتَبِهوا الألوَان أوجهُنَا
إذا تَشَكَّكت إلَيَّ الجوعَ قلتُ لَهَا
سُوْدٌ قَبَاحٌ وَفِي أَسْمَانِنَا شَنْعُ
مَا هَاجَ جُوعَكَ إِلَّا الرُّيُّ وَالشُّبُعُ

/ - وَيُرْوَى وَهُوَ الْجَيْدُ:

أَذَابَكَ الْجُوعُ مُذْ صَارَتْ عِيَالُنَا
لَا وَالَّذِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى
مَازِلْتُ أَخْلِصُهَا كَسِيٍّ فَتَاكُلُهُ
شَوْهَاءُ مَشْنَأَةٌ فِي بَطْنِهَا ثَجَلُ
ذَكَرْتُهَا بِكِتَابِ اللَّهِ حُرْمَتَنَا
فَاخِرَتُنْظَمَتْ^(٢) ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُغْضَبَةٌ
أُخْرِجْ لِنَبِيعٍ لَنَا مَالًا وَمَزْرَعَةً
وَأُخْذِعْ خَلِيفَتَنَا عَنْهَا بِمَسْأَلَةٍ
عَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْهُ الرُّيُّ وَالشُّبُعُ
لَكَ الْخِلَافَةُ فِي أَسْبَابِهَا الرُّفْعُ
دُونِي وَدُونِ عِيَالِي ثُمَّ تَضَطَّجِعُ
وَفِي الْمَفَاصِلِ مِنْ أَوْصَالِهَا فَدَعُ^(١)
وَلَمْ تَكُنْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَنْتَفِعُ
أَنْتِ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ يَا لَكُوعُ
كَمَا لَجِيرَانِنَا مَالٌ وَمُزْدَرَّعُ
إِنَّ الْخَلِيفَةَ لِلشُّوَالِ يَنْخُدُّعُ

فَضَحِكَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالَ: أَرْضَوْهَا عَنِّي وَاكْتَبُوا لَهُ بِمَاتِي جَرِيبَ عَامِرَةَ وَمَاتِي جَرِيبَ غَامِرَةَ - وَقَالَ الْهَيْشَمُ:
بِسِتْمَائَةِ جَرِيبَ عَامِرَةَ وَغَامِرَةَ - فَقَالَ لَهُ: أَنَا أَقْطَعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرْبَعَةَ آلَافِ جَرِيبَ غَامِرَةَ فِيمَا بَيْنَ الْحِيرَةِ
وَالنَّجَفِ، وَإِنْ شِئْتَ زِدْتُكَ. فَضَحِكَ وَقَالَ: اجْعَلُوهَا كُلَّهَا عَامِرَةَ.

شَهِدَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي لَيْلَى لِحِجَارَةِ لَهُ وَقَالَ شِعْرًا فَأَمَضَنِي ابْنُ أَبِي لَيْلَى شَهَادَتَهُ:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الطَّلَّاسِ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ:

شَهِدَ أَبُو دُلَامَةَ بِشَهَادَةِ لِحِجَارَةِ لَهُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي لَيْلَى^(٣) عَلَى أَتَانٍ نَازَعَهَا فِيهَا رَجُلٌ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الشَّهَادَةِ
قَالَ: اسْمَعْ مَا قُلْتُ فَيَكُ قَبْلَ أَنْ آتِيكَ ثُمَّ أَقْضِ مَا شِئْتَ. قَالَ: هَاتِ؛ فَأَنْشَدَهُ:

/ إِنْ النَّاسُ غَطَّوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ
وَإِنْ حَفَرُوا بِشَرِي حَفَرْتُ بِشَارِهِمْ
وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي ففِيهِمْ مَبَاحِثُ
لِيُعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تِلْكَ النَّبَاحِثُ

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ: أَتَبَيِّعُكِ الْآتَانُ؟ قَالَتْ نَعَمْ. قَالَ: بِكُمْ؟ قَالَتْ: بِمِائَةِ دِرْهَمٍ. قَالَ: ادْفَعُوهَا إِلَيْهَا
فَفَعَلُوا. وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ: قَدْ وَهَبْتُهَا لَكَ، وَقَالَ لِأَبِي دُلَامَةَ: قَدْ أَمْضَيْتُ شَهَادَتَكَ وَلَمْ أَبْهَثْ عَنْكَ،
وَأَبْتَعْتُ مَعَنَ شَهِدَتَ لَهَا، وَوَهَبْتُ مِلْكَ لِمَنْ رَأَيْتُ. أَرْضَيْتَ؟ قَالَ نَعَمْ، وَأَنْصَرَفَ.

شَرِبَ مَعَ السَّيِّدِ الْحَمِيرِيِّ أَوْ أَبِي عَطَاءِ السَّنْدِيِّ فَلَمَّ ابْنَتَهُ وَأَخْبَرَ الْمَنْصُورَ فَأَكْرَمَهُ:

/ أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَقَّافُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ عَنْ^{١٧٣}
عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ:

(١) الثَّجَلُ: عَظْمُ الْبَطْنِ وَاسْتِرْخَاؤُهُ. وَالْفَدْعُ: الْإِعْوَاجُ.

(٢) اخِرُنْظَمَتْ: رَفَعَتْ أَنْفَهَا وَاسْتَكْبَرَتْ وَغَضِبَتْ.

(٣) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَاضِي الْكُوفَةِ. أَوَّلَ مَنْ اسْتَقْضَاهُ عَلَى الْكُوفَةِ يُوْسُفُ بْنُ عَمْرِو الثَّقَفِيِّ وَاسْتَقْضَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ بَنُو الْعَبَّاسِ.

كُنْتُ أَسْقِي أَبَا دُلَامَةَ وَالسَّيِّدَ، إِذْ خَرَجْتُ بِنْتُ لَأَبِي دُلَامَةَ، فَقَالَ فِيهَا أَبُو دُلَامَةَ:

فَمَا وَلَدْتُكَ مَرِيْمُ أُمُّ عَيْسَى وَلَا رِيَّالُكَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ
أَجْزِيَا أَبَا هَاشِمٍ. فَقَالَ السَّيِّدُ^(١):

وَلَكِنْ قَدْ تَضُّوْكَ أُمُّ سَوُوْءٍ إِلَى لَبَّاتِهَا وَأَبُ لَثِيْمُ
فَضَحِكَ لَذَلِكَ. ثُمَّ غَدَا أَبُو دُلَامَةَ إِلَى الْمَنْصُورِ فَالْفَاهُ فِي الرَّحْبَةِ يُضْلِحُ فِيهَا شَيْئاً يَرِيدُهُ، فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّةِ بِنْتِهِ وَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَيْنِ، ثُمَّ أَدْفَعَ فَأَنْشَدَهُ بَعْدَهُمَا:

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ لَقِيْلٌ أَقْعَدُوا يَا آلَ عَبَّاسٍ
ثُمَّ أَرْتَقُوا فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ كُلُّكُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَأَنْتُمْ أَظْهَرُ النَّاسِ
وَقَدَّمُوا الْقَائِمَ الْمَنْصُورَ رَأْسَكُمْ فَالْعَيْنُ وَالْأَنْفُ وَالْأُذُنَانِ فِي الرَّأْسِ
/ فَاسْتَحْسَنَهَا، وَقَالَ لَهُ: بَأَيِّ شَيْءٍ تَحِبُّ أَنْ أُعِينَكَ عَلَى قُبْحِ أَبْنَتِكَ هَذِهِ؟ فَأَخْرَجَ خَرِيْطَةً قَدْ كَانَ خَاطَهَا مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: تَمَلَّأْ لِي هَذِهِ دِرَاهِمٌ، فَمِلْتُ فَوَسَّعْتُ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ. [٢٤٠/١٠]

وَقَدْ أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا الْكُرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْعُمَرِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ:
دَخَلَ أَبُو عَطَاءٍ السَّنْدِيُّ يَوْمًا إِلَى أَبِي دُلَامَةَ فَاجْتَبَسَهُ عِنْدَهُ، وَدَعَا بِطَعَامٍ فَأَكَلَا وَشَبِعَا، وَخَرَجْتُ إِلَى أَبِي دُلَامَةَ صَبِيَّةً لَهُ فَحَمَلَهَا عَلَى كَتِفِهِ، فَبَالَتْ عَلَيْهِ فَنَبَذَهَا عَنْ كَتِفِهِ، ثُمَّ قَالَ:

بَلَّكْتُ عَلَيَّ - لَا حَيِّيْتُ - ثَلَاثِينَ فَبَالَ عَلَيْكَ شَيْطَانُ رَجِيْمٍ
فَمَا وَلَدْتُكَ مَرِيْمُ أُمُّ عَيْسَى وَلَا رِيَّالُكَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ
ثُمَّ أَلْتَفْتُ إِلَى أَبِي عَطَاءٍ فَقَالَ لَهُ: أَجْزَى. فَقَالَ:

صَدَقْتَ أَبَا دُلَامَةَ لَمْ تَلِذْهَا مُطَهَّرَةٌ وَلَا فَحْلٌ كَرِيْمُ
وَلَكِنْ قَدْ حَوَّثَهَا أُمُّ سَوُوْءٍ إِلَى لَبَّاتِهَا وَأَبُ لَثِيْمُ
فَقَالَ لَهُ أَبُو دُلَامَةَ: عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ! مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ بَلَغْتَ بِي هَذَا كُلَّهُ! وَاللَّهِ لَا أَنَا زِعَكُ بَيْتِ شَعْرٍ أَبَدًا.
فَقَالَ أَبُو عَطَاءٍ: لَأَنْ يَكُونَ الْهَرَبُ مِنْ جَهْتِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ.

رَأَى السَّفَاحَ عِنْدَ الْمَنْصُورِ فَغَضِبَ وَأَرَادَ إِخْرَاجَهُ إِلَى الْحَرْبِ فَاسْتَرْضَاهُ:

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَعْتَزِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ:

لَمَّا تُوَفِّي أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَاحُ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ وَالنَّاسُ عِنْدَهُ يُعْزَوْنَ؛ فَأَنشَأَ أَبُو دُلَامَةَ يَقُولُ:
أَمْسَيْتُ بِالْأَنْبَارِ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عُقْرَهَا تَحْوِيلًا

(١) كَذَا فِي ح. وَفِي مِائِثِ النُّسخِ: «السَّنْدِيُّ». وَقَدْ رَجَحْنَا رَوَايَةَ ح. لِأَنَّ أَبَا هَاشِمٍ كُنِيَ السَّيِّدَ الْحَمِيرِيَّ. وَسَيَأْتِي فِي الصَّفْحَةِ التَّالِيَةِ هَذَا الْخَبَرُ بَيْنَ أَبِي دُلَامَةَ وَأَبِي عَطَاءٍ السَّنْدِيِّ. فَلَعَلَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَوْقَعَ النُّسَاحَ فِي هَذَا اللَّبْسِ.

وَنَلِيَّ عَلَيكَ أَهْلِي كُلَّهُمْ وَيَلَا وَعَوَّلًا فِي الْحَيَاةِ طَوِيلًا
/ فَلَتَبَكِّيَنَّ لَكَ النِّسَاءُ بَعْبُرَةً وَلِيَكَيِّنَنَّ لَكَ الرُّجَالُ عَوِيلًا [٢٤١/١٠]
مَاتَ النَّدَى إِذْ تُتُّ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ فَجَعَلَتْهُ لَكَ فِي الثَّرَاءِ (١) عَدِيلًا
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بِعَدِكَ كُلَّهُمْ فَوَجَدْتُ أَسْمَحَ مَنْ سَأَلْتُ بِخِيَلَا
الْشَّقْسُوتِي أَخْرْتُ بِعَدِكَ لِلتِّي تَدْعُ الْعَزِيزَ مِنَ الرُّجَالِ ذَلِيلًا
/ فَلَا خِلْفَنَ يَمِيسَنَ حَقَّ بَرَّةً بِاللهِ مَا أُعْطِيتُ بِعَدِكَ سُوْلًا (٢) ١٢٤

قال: فَأَبَكَّى النَّاسَ قَوْلَهُ. ففَضِبَ المنصورُ غضباً شديداً وقال: لئن سمعتُك تُنشدُ هذه القصيدةَ لأقطعَنَّ لسانَكَ. فقال أبو دُلامة: يا أمير المؤمنين، إنَّ أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مُكْرِماً وهو الذي جاء بي من البَدْو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه، فقل كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ إِلَهُكُمُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. فسرَّي عن المنصور وقال: قد أفلناك يا أبا دُلامة، فسَلَّ حاجتَكَ. فقال: يا أمير المؤمنين، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض ولم أقبضها. فقال المنصور: وَمَنْ يَعْرِفُ هَذَا؟ فقال: هؤلاء، وأشار إلى جماعة ممن حضر. فوثب سليمان بن مُجَالِدٍ وأبو الجهم فقالا: صدق أبو دُلامة، نحن نعلم ذلك. فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغِيط: يا سليمان أذفَعها إليه وسيِّره إلى هذا الطاغية (يعني عبدالله بن علي^(٣))، وقد كان خرج بناحية الشام، وأظهر الخلاف). فوثب أبو دُلامة فقال: يا أمير المؤمنين، إني أعيدُكَ بالله أن أخرج معهم، فوالله إني لمشووم. فقال المنصور: امضْ فَإِنْ يُغْلِبَ شَوْمُكَ فَأَخْرُجْ.

/ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أَحْبُّ لَكَ أَنْ تَجْرُبَ ذَلِكَ مِنِّي عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعَسْكَرِ؛ فَإِنِّي لَا أُدْرِي أَيُّهُمَا [٢٤٢/١٠] يَغْلِبُ: أَيُّنُكَ أَمْ شَوْمِي، إِلَّا أَنِّي بِنَفْسِي أَوْثَقُ وَأَعْرِفُ وَأَطُولُ تَجْرِبَةً. قال: دَغْنِي مِنْ هَذَا فَمَالِكَ مِنَ الْخُرُوجِ بَدًّا. فقال: إني أَصْدُقُكَ الْآنَ، شَهِدْتُ وَاللهَ تِسْعَةَ عَشَرَ عَسْكَراً كُلُّهَا هُزِمَتْ؛ وَكُنْتُ سَبِيحاً. فَإِنْ شِئْتَ الْآنَ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنْ يَكُونَ عَسْكَرُكَ الْعَشْرِينَ فافْعَلْ. فاستغرب^(٤) أبو جعفر ضحكاً، وأمره أَنْ يَتَخَلَّفَ مَعَ عَيْسَى^(٥) بْنِ مُوسَى بِالْكُوفَةِ.

أغضب المنصور لكثرة مدحه السفاح:

أخبرني عمي قال حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْعُمَرِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ:

لَمَّا مَاتَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ وَوَلِيَ الْمَنْصُورُ، دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو دُالَامَةَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ: أَلَسْتَ الْقَاتِلَ لِأَبِي

الْعَبَّاسِ:

(١) الثراء: لغة في الثري. وسيرد في الصفحة التالية رواية أخرى: «بالترايب».

(٢) السؤل (يهمز ولا يهمز): ما سألته.

(٣) هو عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس عم الخليفة المنصور، خرج عليه سنة ست وثلاثين ومائة ودعا لنفسه؛ فوجه إليه المنصور أبا مسلم الخراساني ووقعت له معه وقعة هائلة دارت فيها الدائرة أخيراً على عبدالله..

(٤) أي أكثر من الضحك وبالع فيهِ.

(٥) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي العباسي أمير الكوفة. وكان ولي عهد المنصور بعهد من السفاح ثم قدّم المنصور عليه في ولاية العهد ابنه المهدي، ثم خلعه المهدي من ولاية العهد.

وَكُنَّا بِالْخَلِيفَةِ قَدْ عَقَدْنَا لِوَاءِ الْأَمْرِ فَأَنْقَضَ اللِّوَاءُ

فَنَحْنُ رَعِيَّةٌ هَلَكَتْ ضِيَاعاً تَسُوقُ بِنَا إِلَى الْفِتَنِ الرَّعَاءُ

قال: ما قلت هذا يا أمير المؤمنين. قال: كذبت والله! أَفَلَسْتَ الْقَائِلُ:

هَلَكَ الثَّدْيُ إِذْ بِنْتَ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ فَجَعَلْتَهُ لَكَ فِي التَّرَابِ عَدِيلاً

وَلَقَدْ سَأَلْتُ النَّاسَ بِعَدِكَ كُلَّهُمْ فَوَجَدْتُ أَكْرَمَ مَنْ سَأَلْتُ بِخِيَلَا

وَلَقَدْ خَلَقْتُ عَلَى يَمِينِ بَرَّةٍ بِاللهِ مَا أُعْطِيتُ بِعَدِكَ سُؤْلَا

فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ: إِنَّ أَخَاكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ غَلَبَنِي عَلَى صَبْرِي، وَسَلَبَنِي عَزِيمَتِي، وَعَزَّنِي بِإِحْسَانِهِ إِلَيَّ وَجَزَعِي عَلَيْهِ، فَقُلْتُ مَا لَمْ أَتَأَمَّلْهُ، وَإِنِّي أَرْغَبُ فِي الثَّمَنِ فَأَسْتَقْرَةَ السُّلْعَةَ حَيًّا وَمَيِّتًا. فَإِنْ أُعْطِيتُ مَا أُعْطِيَ، أَخَذْتُ مَا أَخَذَ. فَأَمَرَ بِهِ فَحُبِسَ ثَلَاثًا ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ فَوَصَّلَهُ، ثُمَّ عَادَ لَهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ.

[٢٤٣/١٠] / أمره روح بن حاتم بمبارزة خارجي ففخده:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني أبو دُلَامَةَ قال:

أَتَيْتُ بِي الْمَنْصُورَ أَوْ الْمَهْدِيَّ وَأَنَا سَكْرَانٌ، فَحَلَفَ لِيُخْرِجَنِي / فِي بَغْتِ حَرْبٍ، فَأَخْرَجَنِي مَعَ رَوْحِ بْنِ حَاتِمٍ^(١) الْمَهْلَبِيِّ لِقِتَالِ الشُّرَاةِ^(٢). فَلَمَّا أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ قُلْتُ لِرَوْحٍ: أَمَّا وَاللهُ لَوْ أَنَّ تَحْتِي فَرَسَكَ وَمَعِيَ سِلَاحُكَ لَأَثَرْتُ فِي عَدُوِّكَ الْيَوْمَ أَثَرًا تَرْتَضِيهِ. فَضَحِكَ وَقَالَ: وَاللهِ الْعَظِيمِ لَأَدْفَعَنَّ ذَلِكَ إِلَيْكَ، وَلَأَخَذْتُكَ بِالْوَفَاءِ بِشْرُطِكَ. وَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَنَزَعَ سِلَاحَهُ وَدَفَعَهُمَا إِلَيَّ، وَدَعَا بَغِيرَهُمَا فَاسْتَبَدَلَ بِهِ. فَلَمَّا حَصَلَ ذَلِكَ فِي يَدَيَّ وَزَالَتْ عَنِّي حُلَاوَةُ الطَّمَعِ، قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ، وَقَدْ قُلْتُ بَيْتَيْنِ فَاسْمَعُهُمَا. قَالَ: هَاتِ، فَأَنْشَدْتُهُ:

إِنِّي أَسْتَجِرُّكَ أَنْ أُقَدِّمَ فِي الْوَعْصِ لِنَطَاعِنٍ وَتَنَازُلٍ وَضِرَابِ

فَهَبِ الشُّيُوفَ رَأَيْتُهَا مَشْهُورَةً فَتَرَكْتُهَا وَمَضَيْتُ فِي الْهُرَابِ

مَاذَا تَقُولُ لِمَا يَجِيءُ وَمَا يُسْرَى مِنْ وَارِدَاتِ الْمَوْتِ فِي الثُّشَابِ

فَقَالَ: دَعِ عَنْكَ هَذَا وَاسْتَعْلِم. وَبَرَزَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَدْعُو لِلْمُبَارَزَةِ، فَقَالَ: أَخْرِجْ إِلَيْهِ يَا أَبَا دُلَامَةَ. فَقُلْتُ: أَنْشُدْكَ اللهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فِي دَمِي. قَالَ: وَاللهُ لَتُخْرِجَنَّ. فَقُلْتُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ فَإِنَّهُ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ الْآخِرَةِ. وَآخِرُ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَنَا وَاللهُ جَائِعٌ مَا شَبِعَتْ مَنِّي جَارِحَةٌ مِنَ الْجُوعِ، فَمُرْ لِي بِشَيْءٍ أَكَلُهُ ثُمَّ أَخْرِجْ. فَأَمَرَ لِي بِرَغِيفَيْنِ وَدَجَاجَةٍ، فَأَخَذْتُ ذَلِكَ وَبَرَزْتُ عَنْ الصَّفِّ. فَلَمَّا رَأَى الشَّارِي أَقْبَلَ نَحْوِي عَلَيْهِ فَرَوُّهُ وَقَدْ أَصَابَهُ الْمَطَرُ فَأَبْتَلَّ، [٢٤٤/١٠] وَأَصَابَتْهُ الشَّمْسُ فَأَقْفَعَلُ^(٣) وَعَيْنَاهُ تَقْدَانُ، فَاسْرِعْ إِلَيَّ. / فَقُلْتُ لَهُ: عَلَى رِسْلِكَ يَا هَذَا كَمَا أَنْتَ، فَوَقَفَ. فَقُلْتُ: أَتَقْتُلُ مَنْ لَا يَقَاتِلُكَ؟ قَالَ لَا. قُلْتُ: أَتَقْتُلُ رَجُلًا عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ لَا. قُلْتُ: أَتَسْتَحِلُّ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَدْعُو مَنْ تَقَاتِلُهُ إِلَى دِينِكَ؟ قَالَ لَا، فَأَذْهَبْ عَنِّي إِلَى لَعْنَةِ اللهِ. قُلْتُ: لَا أَفْعَلُ أَوْ تَسْمَعُ مِنِّي. قَالَ: قُلْ. قُلْتُ: هَلْ كَانَتْ بَيْنَنَا قَطُّ عَدَاوَةٌ أَوْ تَرَّةٌ، أَوْ تَعْرِفُنِي بِحَالٍ تُحْفِظُكَ عَلَيَّ، أَوْ تَعْلَمُ بَيْنَ أَهْلِي وَأَهْلِكَ وَتُرَا؟ قَالَ: لَا وَاللهِ.

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، ولي إفريقية والبصرة وغيرهما، وكان جليلاً شجاعاً جواداً.

(٢) الشراة: الخوارج.

(٣) كذا في ح. واقفعل: تقبض. وفي سائر النسخ: «فانفعل». هو تحريف.

قلت: ولا أنا والله لك إلا جميل الرأي، وإنني لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين دينك وأريد الشؤء لمن أراده لك. قال: يا هذا جزاك الله خيراً فأنصرف. قلت: إن معي زاداً أحب أن آكله معك، وأحب مَوَاكِلَتَكَ لتتوكَّد المودة بيننا، ويرى أهل العسكر هوانهم علينا. قال: فأفعل. فتقدمتُ إليه حتى أختلفت أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها والناس قد غلبوا ضحكاً. فلما استوفينا ودعني. ثم قلت له: إن هذا الجاهل إن أقمت على طلب المبارزة ندبني إليك فتتعبني وتتعب. فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل. قال: قد فعلت، ثم أنصرف وأنصرف. فقلت لروح: أمّا أنا فقد كفيتك قرني فقل لغيري أن يكفيك قرنه كما كفيتك، فأمسك. وخرج آخر يدعو إلى البراز، فقال لي: اخرج إليه. فقلت^(١):

إنني أعوذ بروح أن يقدمني
إن البراز إلى الأقران أعلمه
قد حالفتك المنايا إذ صمدت^(٢) لها
/ إن المهلب حب الموت أورثكم
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها
فضحك وأعفاني.

[٢٤٥/١٠]

أمره مروان بن محمد بمبارزة خارجي ففر منه:

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال أبو دلالة:

كنتُ / في عسكر مروان^(٣) أيام زحف إلى سنان الخارجي. فلما التقى الزحفان خرج منهم رجل فنادى: ^{١٢٦}
من يبارزا فلم يخرج إليه أحد إلا أعجله ولم ينهه^(٤). فغاض ذلك مروان وجعل يندب الناس على^(٥) خمسمائة،
فقتل أصحاب الخمسمائة، فزاد مروان وندبهم على ألف، ولم يزل يزيدهم حتى بلغ خمسة آلاف درهم. وكان
تحتي فرس لا أخاف خوئه؛ فلما سمعت بالخمس^(٦) آلاف ترقبته^(٧) وأقتحمت الصف. فلما نظرني الخارجي
علم أنني خرجت للطمع؛ فأقبل إليّ متهيئاً وإذا عليه قرؤ قد أصابه المطر فأبتل، ثم أصابته الشمس فأفعل، وإذا
عيناه قدان كأنهما من غورهما في وقين^(٨). فلما دنا مني أنشأ يقول:

(١) وردت هذه الأبيات في «وفيات الأعيان» لابن خلكان هكذا:

إنني أعوذ بروح أن يقدمني
إن المهلب حب الموت أورثكم
إن الدنو إلى الأعداء أعلمه

(٢) في الأصول: «إن صدمت» وهو تحريف.

(٣) يعني مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.

(٤) نهه: كفه وزجره. وسباق الكلام يقتضي أن يكون «ولم يمهله».

(٥) في الأصول: «عن».

(٦) هذه لغة ضعيفة وأفصح اللغات: «بخمسة الآلاف».

(٧) ترقبته: رصده.

(٨) ألوقب هنا: نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء.

إلى القتال فيخزي بي بنو أسد
ولم أرث أنا حب الموت من أحد
مما يفرق بين الروح والجسد

وخارج أخرج حُبَّ الطَّمْعِ فَرَمَنَ الموت وفي الموت وَقَعَ

* مَنْ كَانَ يَتَوَيَّ أَهْلَهُ فَلَا رَجَعَ *

فلَمَّا وَقَرْتُ فِي أُذُنِي أَنْصَرَفْتُ عَنْهُ هَارِباً. وجعل مروان يقول: مَنْ هَذَا الْفَاضِحُ؟ إِيْتُونِي بِهِ، فَدَخَلْتُ فِي غِمَارِ النَّاسِ فَتَجَوَّثُ.

أعطاه موسى بن داود مالاً ليحج معه فهرب إلى السواد وسكر بالمال:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني أحمد بن سعيد قال حدثنا الزُّبَيْرُ قال حدثنا جعفر بن الحسين اللُّهَيْبِيُّ قال:

[٢٤٦/١٠] / عزم موسى بن داود بن عليّ الهاشمي^(١) على الحج. فقال لأبي دُلَامَةَ: احجُبْ مَعِيَ وَلَكَ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ. فقال: هَاتِيهَا؛ فَذَفَعْتُ إِلَيْهِ، فَأَخَذَهَا وَهَرَبَ إِلَى السَّوَادِ، فَجَعَلَ يُتَّقِفُهَا هُنَاكَ وَيَشْرَبُ بِهَا الْخَمْرَ. فَطَلَبَهُ مُوسَى فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ، وَخَشِيَ فَوَتْ الْحَجَّ فَخَرَجَ. فَلَمَّا شَارَفَ الْقَادِسِيَّةَ إِذَا هُوَ بِأَبِي دُلَامَةَ خَارِجاً^(٢) مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى أُخْرَى وَهُوَ سَكَرَانٌ، فَأَمَرَ بِأَخْذِهِ وَتَقْيِيدِهِ وَطَرَحَهُ فِي مَخْمَلٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ففَعَلَ ذَلِكَ بِهِ. فَلَمَّا سَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ أَقْبَلَ عَلَى مُوسَى وَنَادَاهُ:

يَأَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا أَجْمَعُونَ^(٣) مَعَا صَلَّيْ الْإِلَهِ عَلَى مُوسَى بْنِ دَاوُدَ
كَأَنَّ دِيَّاجَتِي خَذِيهِ مِنْ ذَهَبٍ إِذَا بَدَا لَكَ فِي أَثْوَابِهِ السَّوَدُ
إِنِّي أَعُوذُ بِدَاوُدَ وَأَعْظِمُهُ مَنْ أَنْ أُكَلِّفَ حَجَّاً يَأْبَنُ دَاوُدَ
خُبِّرْتُ أَنَّ طَرِيقَ الْحَجِّ مَغْطَشَةٌ مِنْ الشَّرَابِ وَمَا شُرْبِي بِتَضْرِيدٍ^(٤)
وَاللَّهِ مَا فِيَّ مِنْ أَجْرٍ فَتَطَلَّبَهُ وَلَا الثَّنَاءُ عَلَى دِينِي بِمَحْمُودٍ

فقال موسى: أَلْقُوهُ لَعَنَهُ اللَّهُ عَنِ الْمَخْمَلِ وَدَعُوهُ يَنْصَرِفُ، فَأُلْقِيَ وَعَادَ إِلَى قَصْفِهِ بِالسَّوَادِ، حَتَّى نَفِدَتْ الْعَشْرَةُ آلَافٍ^(٥) دِرْهَمٍ.

أمره المنصور بملازمة الجماعة في مسجد القصر فقال شعراً يستعفيه:

أخبرني الحرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ الْحُسَيْنِ اللَّهَيْبِيِّ، وَأَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ الْكُرَّانِيِّ عَنِ الْعُمَرِيِّ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَا^(٦):

قَالَ أَبُو أَيُّوبَ الْمُؤَرِّبِيُّ لِأَبِي جَعْفَرٍ، وَكَانَ يَشْنَأُ أَبَا دُلَامَةَ: إِنَّ أَبَا دُلَامَةَ مَعْتَكِفٌ عَلَى الْخَمْرِ فَمَا يَحْضُرُ

(١) هو ابن عم السفاح، كان أبوه داود أمير مكة والمدينة، واستخلف حين احتضر على عمله ولده موسى. فاستعمل السفاح خاله زياداً على مكة، وموسى بن داود هذا على إمرة المدينة.

(٢) في الأصول: «خارج».

(٣) في الأصول المخطوطة: «أجمعين».

(٤) صرد شربه: قطعه.

(٥) راجع الحاشية رقم ٤ في الصفحة السابقة.

(٦) كذا في حد. وفي سائر الأصول: «قال» وهو تحريف.

صلاة ولا مسجداً، وقد أفسد فتیان العسكر. فلو أمرته / بالصلاة معك لأجرت فيه وفي غيره من فتیان عسكرك [٢٤٧/١٠١] بقطعهم. فلما دخل عليه أبو دلّامة قال له: يابن اللّخناء، ما هذا المّجون الذي يبلغني عنك! قال أبو دلّامة: يا أمير المؤمنين ما أنا والمجون وقد شارفت باب قبري! قال: دغني من أستكانتك وتضرّعك، وإياك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر في مسجدي. فلئن فانتاك لأحسن أدبك ولا طيلن حبسك. فوقع في شرّ ولزم المسجد أياماً، / ثم كتب قصته ودفعها إلى المهدي فأوصلها إلى أبيه، وكان فيها:

١٢٧
٩

ألم تَعْلَمَا أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَزَّتْني^(١) بمسجده والقصر مالي وللقصر!
أصلي به الأولى جميعاً وعصرها فويلي من الأولى وويلي^(٢) من العصر
أصليهما بالكّره في غير مسجدي فمالي في الأولى ولا العصر من أجر
لقد كان في قومي مساجد جمّة سواه ولكن كان قدراً من القدر
يكلّفني من بعد ما شئت خطّة يحطّ بها عني الثقيل من الوزر
وما ضرّه والله يغفر ذنّبه لو أنّ ذنوب العالمين على ظهري

قال: فلما قرأ المنصور قصته ضحك وأعفاه من الحضور معه، وأخلفه أن يصلي الصلاة في مسجد قبيلته.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن سعيد عن الزبير عن عمّه، ونسخت من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخزاز^(٣) عن أبيه عن الهيثم بن عدي ورواياه بعض من روى عن الزبير.

أنّ أبا جعفر كان يحبّ العبث بأبي دلّامة - وقال الآخر: إنّ أبا العباس السّفّاح كان يحب ذلك - فكان يسأل عنه فيوجد في بيوت الخمارين لا فضل فيه. فعاتبه / على انقطاعه عنه؛ فقال: إنما أفعل ذلك خوفاً أن تملّني. [٢٤٨/١٠] فعلم أنه يحاجّزه^(٤)، فأمر الربيع أن يوكل به من يخضّره الصلوات معه في جماعة في الدار. فلما طال ذلك عليه قال:

ألم تَرَيَا أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَزَّتْني لمسجده والقصر مالي وللقصر!
فقد صدّني عن مسجد استلّده أعّل فيه بالسّماع وبالخمر
وكلّفني الأولى جميعاً وعصرها فويلي من الأولى وعولي من العصر
أصليهما بالكّره في غير مسجدي فمالي من الأولى ولا العصر من أجر
يكلّفني من بعد ما شئت توبة يحطّ بها عني المشاقيل من وزري
لقد كان في قومي مساجد جمّة ولم ينشرح يوماً لغشيانها صدري
ووالله مالي نيّة في صلاته ولا البرّ والإحسان والخير من أمري
وما ضرّه والله يغفر ذنّبه لو أنّ ذنوب العالمين على ظهري

(١) لزمه بكذا: ألزمه إياه.

(٢) في ج: «وعولي».

(٣) في ح: «الخرزي». وفي أ، م: «الخرّازي».

(٤) يهيني: يتخلص منه ويتنحل المعاذير الباطلة لانقطاعه عنه.

الزَّمة المنصور بالقيام شهر رمضان فكتب إلى ربيعة شعراً يستشفع بها للمهدي:

فبلغته الأبيات فقال: صدق! ما يضرُّني ذلك، والله لا يصلح هذا أبداً، فدعوه يعمل ما يشاء. وقال الهيثم في خبره: فقال له أبو جعفر: قد أعفيناك من هذه الحال، ولكن على ألا تدع القيام معنا في ليالي شهر رمضان فقد أظلم^(١). فقال: أفعل. قال: إنك إن تأخرت لشرب الخمر علمت ذلك. والله لئن فعلت لأحدنك. فقال أبو دلالة: البليَّة في شهر أصلح منها في طول الدهر، سمعاً وطاعة. فلما حضر شهر رمضان لزم المسجد. وكان المهدي يبعث إليه في كل ليلة حرسياً يجيء به؛ فشق ذلك عليه، وفزع إلى الخيزران وأبي عبيد^(٢) الله وكل من [٢٤٩/١٠] كان يلوذ بالمهدي ليشفعوا له في الإعفاء / من القيام، فلم يجبه. فقال له أبو عبيدالله: الدالُّ على الخير ١٢٨ كفاعله، فكيف شكرُك؟ قال: أنتم شكر. قال: عليك بريطة^(٣) فإنه لا يخالفها. قال: صدقت والله، / ثم رفع إليها رُفعة يقول فيها:

أبلغنا ربيعة أني	كنت عبداً لأبيه
فمضى يرحمه الله	وه وأوصى بي إليها
وأراه نسياني	من نسيان أخيه
جاء شهر الصوم يمشي	مشية ما أشتهيها
فائد لي ليلة القدر	وكتاتي أبتغيها
تنطرح القبلية شهراً	جنهني لا تاتليها
ولقد عشت زماناً	في فياني وجهها
في ليال من شتاء	كنت شيخاً أضطليها
قاعداً أو قد نارا	لضباب أشتويها
وصبح وغبوق	في علاب ^(٤) أختسيها
ما أبالي ليلة القدر	ولا تسمعنيها ^(٥)
فاطلب لي فرجاً من	ها وأجري لك فيها

فلما قرأت الرُفعة ضحك وأرسلت إليه: إصطبر حتى تمضي ليلة القدر. فكتب إليها: إنني لم أسألك أن تكلميه في إعفائي عاماً قابلاً؛ وإذا مضت ليلة القدر فقد فني الشهر. وكتب تحتها أبياتاً:

/ خافي إلهك في نفس قد اختضرت / قامت قيامتها بين المصلينا [٢٥٠/١٠]

- (١) أظلم: غشى وأشرف وأقبل.
 (٢) هو أبو عبيدالله معاوية بن عبيدالله بن يسار الأشعري الكاتب الوزير. كان من رجال المنصور ثم المهدي. عزله المهدي عن الوزارة ثم جعله على ديوان الرسائل، ثم عزله عنه سنة ١٦٧ هـ.
 (٣) ربيعة: هي ابنة الخليفة أبي العباس السفاح وزوجة المهدي.
 (٤) العلاب: جمع علبة وهي قدح ضخم من جلود الإبل أو هي قدح من خشب.
 (٥) لا هنا نافية، وهو خبر يراد به النهي.

ما ليلة القدر من همٍّ فاطلبها
إني أخاف المنايا قبل عشرينا
يا ليلة القدر قد كسرت أرجلنا
يا ليلة القدر حقاً ما تُمنينا؟
لا يسارك الله في خير أو مُله
في ليلة بعد ما قمنا ثلاثينا

فلما قرأت الأبيات ضحكك، ودخلت إلى المهدي فشفت له إليه، وأنشدته الشعرين، فضحك حتى استلقى، ودعا به ورِيطة معه في الحَجَلَة^(١) فدخل؛ فأخرج رأسه إليه وقال: قد شققتنا رِيطةً فيك، وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم. فقال: أما شفاعتُ سيدي في حتى أعفيتني فأعفاها الله من النار. وأما السبعة الآلاف فما أعجبني ما فعلته؛ إنا أن تُتمها بثلاثة آلاف فتصير عشرة، أو تُنقصني منها ألفين فتصير خمسة آلاف، فإني لا أحسن حساب السبعة. فقال: قد جعلتها خمسة. قال: أعيدك بالله أن تختار أدنى الحالين وأنت أنت. فعبث به المهدي ساعة ثم تكلمت فيه رِيطةً فأنتمها له عشرة آلاف درهم.

أنشد المهدي شعره في نخاس فضحك منه:

أخبرني الحسين بن علي عن حماد عن أبيه قال:

مرَّ أبو دلالة بنخاس يبيع الرقيق، فرأى عنده منهق من كل شيء حسن، فانصرف مهموماً، فدخل إلى المهدي فأنشده:

إن كنت تبغي العيش خلوا صافياً
فالشعر أغزبه وكن نخاساً
تلي الطرائف من ظراف تهدي
يخدن كل عشيّة أغراساً
/ والربح فيما بين ذلك راهن
سمحاً بيعك كنت أو مكّاساً^(٢)
دارت على الشعراء حرفة نوبة^(٣)
فتجرعوا من بعد كأس كاساً
/ وتسربلوا قمص الكساد فحاولوا
بالتخس كسباً يذهب الإفلاساً

فجعل المهدي يضحك منه.

لفق رؤيا للمنصور وأخذ منه ثياباً:

نسخت من كتاب ابن النطاح قال:

دخل أبو دلالة على المنصور فأنشده:

رايتك في المنام كسوت جلدي
ثياباً جمّة وقصّيت ديني
فكان بتفسيجي الخز فيها
وساج^(٤) ناعم فاتم زيني

(١) الحجلة: بيت يزين بالثياب والأسرة والستور.

(٢) مكس في البيع يمكس (من باب ضرب): نقص الثمن. والمراد هنا المشاحة في البيع والشراء.

(٣) لعل صوابها: نوبة حرفة.

(٤) الساج: الطيلسان الأخضر وقيل الأسود وقيل المقور ينسج كذلك، وفي الأساس: «لبسوا السيجان وهي الطيلاسة المدورة x الواسعة».

فصدَّقْ بِأَفْذَنْكَ النَّفْسُ^(١) رُؤْيَا رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَاكَ عَيْنِي
فَأَمَرَ لَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ لَهُ: لَا تَعُدْ أَنْ تَتَحَلَّمَ^(٢) عَلَيَّ ثَانِيَةً، فَأَجْعَلَ حُلْمَكَ أَضْغَانًا وَلَا أَحَقَّقَهُ.

حبسه المتصور لسكوه فبعث له من الحبس شعراً فعضا عنه:

ثم خرج من عنده ومضى فشرب في بعض الحانات فسكّر وأنصرف وهو يميل. فلقبه العَسَسُ فأخذه، وقيل له:
من أنت وما دينك؟ فقال:

دِينِي عَلَى دِينِ بَنِي الْعَبَّاسِ مَا خَتَمَ الطِّينُ عَلَى الْقِرْطَاسِ
إِنِّي أَصْطَبَحْتُ أَرْبَعًا بِالْكَاسِ فَقَدْ أَدَارَ شُرْبُهَا بِرَاسِي

* فهل بما قلت لكم من بأس *

فأخذه ومضوا، وخرقوا ثيابه وساجه وأتي به أبو جعفر - وكان يؤتى بكل من أخذه العَسَسُ - فحبسه مع
الدَّجَاجِ فِي بَيْتٍ. فَلَمَّا أَفَاقَ جَعَلَ يَنَادِي غَلَامَهُ مَرَّةً وَجَارِيَتَهُ أُخْرَى فَلَا يَجِيبُهُ أَحَدٌ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَسْمَعُ صَوْتَ
الدَّجَاجِ وَزُقَاءَ الدُّيُوكِ. فَلَمَّا أَكْثَرَ قَالَ لَهُ السَّجَّانُ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: وَيْلَكَ مَنْ أَنْتَ وَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: فِي الْحَبْسِ،
[٢٥٢/١٠] وَأَنَا فَلَانُ السَّجَّانِ. قَالَ: وَمَنْ حَبَسَنِي؟ قَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: / وَمَنْ خَرَقَ طَيْلَسَانِي؟ قَالَ: الْحَرَسُ. فَطَلَبَ
مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ فَفَعَلَ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَذَنْكَ نَفْسِي عِلَامَ حَبْسَتِي وَخَرَقْتَ سَاجِي
أَمِنْ صَفَرَاءِ صَافِيَةِ الْمِرْجَاجِ كَمَا أَنَّ شُعَاعَهَا لَهَبُ السَّجَّاجِ
وَقَدْ طُبِّخَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى لَقَدْ صَارَتْ مِنَ التُّطْفِ^(٣) النَّضْجِ
تَهَشُّ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَشْتَهِيهَا إِذَا بَرَزَتْ^(٤) تَرَفَّرُ فِي الرُّجَاجِ
أَقَادَ إِلَى الشُّجُونِ بِغَيْرِ جُزْمٍ كَأَنِّي بَعْضُ عُمَالِ الْخَرَجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حُبْسْتُ لَكَانَ سَهْلًا وَلَكِنِّي حُبْسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ
وَقَدْ كَانَتْ تُخْبِرُنِي ذُنُوبِي بِأَنِّي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَاقَيْتُ شَرًّا لَخَيْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِي

فَدَعَا بِهِ وَقَالَ: أَيْنَ حُبْسَتْ يَا أَبَا دُلَامَةَ؟ قَالَ: مَعَ الدَّجَاجِ. قَالَ: فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ؟ قَالَ: أَقُوفِي مَعَهُنَّ حَتَّى
أَصْبَحْتُ. فَضَحِكُ وَخَلَّى سَبِيلَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ. فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَهُ الرَّبِيعُ: إِنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. أَمَا
سَمِعْتَ قَوْلَهُ «وَقَدْ طُبِّخْتُ بِنَارِ اللَّهِ» (يعني الشمس). فَأَمَرَ بِرَدِّهِ ثُمَّ قَالَ: يَا خَبِيثَ شَرِبْتَ الْخَمْرَ؟ قَالَ لَا. قَالَ:
[٢٥٢/١١] أَفَلَمْ تَقُلْ «طُبِّخْتُ بِنَارِ اللَّهِ» تَعْنِي الشَّمْسُ. قَالَ: لَا وَاللَّهِ / مَا عَنَيْتُ إِلَّا نَارَ اللَّهِ الْمُوقَدَةَ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى فُؤَادِ
الرَّبِيعِ. فَضَحِكُ وَقَالَ: خُذْهَا يَا رَبِيعَ وَلَا تَعَاوِدِ التَّعَرُّضَ.

(١) فِي ب، س: «النَّاس».

(٢) تَحَلَّمَ فَلَان: قَالَ حَلَمْتَ بِكَذَا وَهُوَ كَاذِبٌ.

(٣) النَّطْفَةُ: الْمَاءُ الصَّافِي قُلْ أَوْ كَثُرَ.

(٤) فِي أ، م: «بَرَقَتْ». وَتَرَفَّرَ: تَلَاوَلَا أَيْ تَجَيَّأَ وَتَذَهَبَ.

للقى رؤيا لثمار وأخذ منه تمرًا:

قال ابن النطاح: ومَرَّ أبو دُلَامَة بَثَّار بالكوفة فقال له:

رَأَيْتُكَ أَطْعَمْتَنِي فِي الْمَنَامِ قَسَوَاصِرٌ^(١) مِنْ تَمْرِكَ الْبَارِحَةِ
/ فَأَمُّ الْعِيَالِ وَصِييَاتُهَا إِلَى الْبَابِ أَعَيْنُهُمْ طَامِحَةٌ
فَاعْطَاهُ جُلَّتَنِي^(٢) تَمْرٌ وَقَالَ لَهُ: إِنْ رَأَيْتَ هَذِهِ الرُّؤْيَا ثَانِيَةً لَمْ يَصِحَّ تَفْسِيرُهَا. فَأَخَذَهُمَا وَانْصَرَفَ.

هنا المهدي بقدمه من الري فملا حجره دراهم:

وقال ابن النطاح:

لَمَّا قَدِمَ الْمَهْدِيُّ مِنَ الرَّيِّ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو دُلَامَة فَأَنشَأَ يَقُولُ:

إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ رَأْيُكَ سَالِمًا بِقُرَى الْعِرَاقِ وَأَنْتَ ذُو وَفَرٍ
لُتَصَلِّيَنَّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَلَتَمْلَأَنَّ دِرَاهِمًا حِجْرِي

فَقَالَ: ﷺ، وَأَمَّا الدِّرَاهِمُ فَلَا. فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا ثُمَّ تَخْتَارَ أَسْهَلَهُمَا. فَأَمَرَ بِأَنْ يُمْلَأَ حِجْرُهُ دِرَاهِمًا.

ومثل هذا وإن لم يكن منه ما حدثني به الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال:

قَدِمَ الْمُهَلَّبُ مِنْ بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، فَلَقِيَتْهُ عَجُوزٌ مِنَ الْأَزْدِ فَقَالَتْ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ إِلَّا وَقَفْتَ فَوْقَ، فَذَنْتَ وَقَبَّلْتَ يَدَهُ وَقَالَتْ: هَذَا نَذْرٌ كَانَ عَلَيَّ، إِنِّي نَذَرْتُ عَلَى اللَّهِ أَنْ أَقْبَلَ يَدَكَ إِنْ قَدِمْتَ سَالِمًا وَتَهَبَ لِي أَرْبَعِمِائَةَ دِرْهَمٍ وَجَارِيَةً صُغْدِيَّةً تَخْدُمُنِي. فَضَحِكَ وَقَالَ: أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ وَفَّقْنَا بِتَذْرِكَ؛ ادْفَعُوا إِلَيْهَا ذَلِكَ، وَإِيَّاكَ يَا أَمَاءَ وَهَذِهِ التُّدُورُ؛ فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَفِي لَكَ بِهَا وَيَنْشِطُ لِحَلِيلِكَ مِنْهَا.

ضجر من الصوم والحر فكتب للمهدي شعراً فعجل جائزته:

قال ابن النطاح:

وصام الناس في سنة شديدة الحر على عهد المهدي، وكان أبو دُلَامَة يَتَنَجَّزُ جَائِزَةً أَمَرَ لَهُ الْمَهْدِيُّ بِهَا. فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو دُلَامَة رُقْعَةً يَشْكُرُ فِيهَا أَذَى الْحَرِّ وَالصَّوْمِ وَهِيَ:

/ أَدْعُوكَ بِالرَّحِمِ الَّتِي هِيَ جَمَعَتْ فِي الْقُرْبِ بَيْنَ قَرِينَا وَالْأَبْعَدِ
إِلَّا سَمِعْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ مَشَى مِنْ مُنْشِدٍ يَرْجُو جِزَاءَ الْمُشْدِ
جَاءَ الصِّيَامُ فَصُنَّتْهُ مَتَعِبُودًا أَرْجُو رَجَاءَ الصَّائِمِ الْمَتَعِبِ
وَلَقِيْتُ مَنْ أَمَرَ الصِّيَامَ وَحَرَّهُ أَمْرِينَ قَيْسًا بِالْعَذَابِ الْمُؤَصَّدِ^(٣)

(١) قواصر: واحدها قوصرة، وهي وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري.

(٢) المجلة (بالضم): قفة كبيرة للتمر.

(٣) المؤصد: المطبق.

وسجدتُ حتى جَبَهَتني مشجوجةٌ مما يُناطحني الحَصاف في المسجد
فأمنُن بتسريحني بمَظْلِكِ بالذي أشلَقْتَنِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ الْمُرْصَدِ
فلَمَّا قرأ المهدي رُفَعَتَهُ غَضِبَ وقال: يا عاضُ كذا من أُمِّه أيُّ قَرَابَةٍ بيَني وبينكَ؟! قال: رَجِمُ آدَمَ وَحَوَّاءَ،
أَنَسِيْتَهُمَا يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَضَحِكَ وقال: لا والله ما نَسِيْتُهُمَا؛ وَأَمَرَ بِتَعْجِيلِ ما أَجَازَهُ بِهِ وَزَادَ فِيهِ. وَأَخْبَرَنِي بِهَذَا
الخبر الحسن بن عليّ قال حَدَّثَنَا الْخُزَاعِيُّ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ وَزَادَ فِيهِ قَالَ: وَأَنشَدَهُ أَيْضاً فِي ذِمِّ الصُّومِ:
هَلْ فِي الْبِلَادِ لِرِزْقِ اللَّهِ مُفْتَرَشٌ أَمْ لَا فَنِي جِلْدُهُ مِنْ خُشْنَةِ بَرَشٍ
- يَعْنِي أَنَّ جِلْدَ الرِّزْقِ خَشِنَ الْمَلَمَسِ ^(١) فَهُوَ يُخْتَرَشُ ^(٢) كَمَا يُخْتَرَشُ الضَّبُّ - الشُّعْرُ:
أَضْحَى الصَّبَامُ مُنِيخاً وَسَطَ عَرَصَتِنَا لَيْتَ الصِّيَامَ بِأَرْضِ دُونَهَا خَرَشٌ ^(٣)
إِنْ صُنْتُ أَوْجَعَنِي بَطْنِي وَأَفْلَقَنِي بَيْنَ الْجَوَانِحِ مَسُّ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ
/ وَإِنْ خَرَجْتُ بَلِيلٍ نَحْوَ مَسْجِدِهِمْ أَضْرَتْنِي بَصَرٌ قَدْ خَانَهُ الْعَمَشُ

١٣١/٩

عزى أم سلمة بنت يعقوب في السفاح فأضحكها:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزبير عن عمه، ونسخت من كتاب ابن النطاح
قال اليزيدي في خبره:

[٢٥٥/١] / دخل أبو دُلَامَةَ عَلَى رَيْطَةَ بَعْدَ وَفَاةِ الْمَهْدِيِّ، وَقَالَ ابْنُ النَّطَّاحِ: دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ ^(٤) بِنْتُ يَعْقُوبَ بْنِ سَلَمَةَ
بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي الْعَبَّاسِ، وَهُوَ الصَّحِيحُ، فَعَزَّاهَا بِهِ وَيَكِي وَبَكَتْ مَعَهُ، ثُمَّ أَنشَدَهَا:

مَنْ مُجْمِلٌ فِي الصَّبْرِ عَنْكَ فَلَمْ يَكُنْ صَبْرِي عَلَيْكَ غَسَادَةً بَنَتْ جَمِيلاً
يَجِدُونَ أَبْدَالاً بِهِ وَأَنَا أَمْرٌ لَوْ مُتُّ وَجَدْتُ مَا وَجَدْتُ بَدِيلاً
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ فَوَجَدْتُ أَجُودَ مَنْ سَأَلْتُ بِخِيلاً

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: لَمْ أَرِ أَحَداً أُصِيبَ بِهِ غَيْرِي وَغَيْرِكَ يَا أَبَا دُلَامَةَ. فَقَالَ: وَلَا سَوَاءَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، لَكَ مِنْهُ
وَلَدٌ وَمَا وَلَدْتُ أَنَا مِنْهُ. فَضَحِكَ - وَلَمْ تَكُنْ مِنْذُ مَاتَ أَبُو الْعَبَّاسِ ضَحِكْتُ إِلَّا ذَلِكَ الْوَقْتُ - وَقَالَتْ لَهُ: لَوْ
حَدَّثْتُ الشَّيْطَانَ لِأَضْحَكَتَهُ.

خدع المهدي بموت زوجته وخدعت زوجته الخيزران بموته كذلك فضحكا منهما:

أخبرنا محمد بن يحيى الصُولِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْغَلَابِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ:

دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَهُوَ يَبْكِي. فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ؟ قَالَ: مَاتَتْ أُمُّ دُلَامَةَ، وَأَنشَدَهُ لِنَفْسِهِ فِيهَا:

(١) فِي الْأَصُولِ: «الْمَلَسُ» بِالْبَاءِ.

(٢) احْتَرَشَ الضَّبُّ وَحَرَشَهُ: صَادَهُ، وَهُوَ أَنْ يَحْرَكَ يَدَهُ عَلَى حَجَرَةٍ لَظَنَهُ حَيَةً فَيَخْرُجُ ذَنْبُهُ لِيَضْرِبَ بِهَا فَيَأْخُذَهُ. وَمِنْهُ الْمَثَلُ: «أَتَعْلَمُنِي بِضَبِّ
أَنَا حَرَشْتَهُ» يَخَاطَبُ بِهِ الْعَالَمَ بِالشَّيْءِ مِنْ يَرِيدُ تَعْلِيمَهُ.

(٣) الْحَرَشُ (بِالتَّحْرِيكِ) لُغَةٌ: الْخَشُونَةُ. يَتَمَنَّى لَوْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصُّومِ مِنْ غِلْظِ الْأَرْضِ وَخَزُونِهَا مَا يَحُولُ دُونَهُ.

(٤) أُمُّ سَلَمَةَ: هِيَ أُمُّ سَلَمَةَ الْمُخْزُومِيَةِ أَمْرَأَةَ الْخَلِيفَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ، وَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْمُخْزُومِي. (انظر
«الأغاني» ج ٤ ص ٣٣٥ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ).

وَكُنَّا كَزَوْجٍ مِنْ قَطَا مَفَازَةٍ لَدَى خَفَضٍ عَيْشٍ نَاعِمٍ مُؤْنِقٍ رَغْدٍ
فَأَفْرَدَنِي رَبُّ الزَّمَانِ بِصَرْفِهِ وَلَمْ أَرِ شَيْئاً قَطُّ أَوْحَشَ مِنْ فَرْدٍ

فأمر له بشباب وطيب ودنانير، وخرج. فدخلت أُمُّ دُلَامَةَ على الْخَيْرَانِ فأعلمتها أَنَّ أبا دُلَامَةَ قد مات، فأعطتها مثْلَ ذلك، وخرجت. فلَمَّا التقى المهدِيّ وَالْخَيْرَانِ عَرَفَا حيلتهما فجعلَا يضحكان لذلك ويعجبَان منه.

/ فرض له المنصور على كل هاشمي عطاء فنقصه العباس بن محمد دينارين فذمه: [٢٥٦/١٠]

أخبرنا أحمد بن عبدالعزيز قال حدثنا عمر بن شبة، ونسختُ أنا من كتاب أبن النطاح قال:

دخل أبو دُلَامَةَ على المنصور فأنشده:

أَمَّا وَرَبُّ الْعَادِيَاتِ ضَبَحَا^(١) حَقًّا وَرَبُّ الْمُؤَرِّيَاتِ قَذَحَا
إِنَّ الْمُغِيرَاتِ عَلَيَّ ضُبَحَا وَالنَّاكثَاتِ^(٢) مِنْ فَوَادِي قَرْحَا^(٣)
عَشْرُ لَيْالٍ بَيْنَهُنَّ ضُبَحَا^(٤) يَجْلُقْنَ^(٥) مَالِي كُلَّ عَامٍ صَبَحَا

فقال له أبو جعفر: وكم تذيب يا أبا دُلَامَةَ؟ قال: أربعاً وعشرين شاة. ففرض له على كل هاشمي أربعة وعشرين ديناراً، فكان يأخذها منهم. فأتى العباس بن محمد في عَشْرِ الْأَضْحَى يتنجزها. فقال: يا أبا دُلَامَةَ، أليس قد مات أبْنُكَ؟ قال بلى. قال: أَنْقِصُوهُ دينارين. قال: أَسْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ لَا تَفْعَلْ، فإنه ترك عليّ ولدين. فأبى إِلَّا أَنْ يَنْقُصَهُ. فخرج وهو يقول:

أَخْطَاكَ مَا كُنْتَ تَرْجُوهُ وَتَأْمُلُهُ فَاغْسِلْ يَدَيْكَ مِنَ الْعَبَّاسِ بِالْيَاسِ
وَأَغْسِلْ يَدَيْكَ بِأَشْنَانٍ^(٦) فَانْقِصْهُمَا مِمَّا تَوْمُلُ مِنْ مَعْرُوفِ عَبَّاسٍ
جِزَاكَ رَبُّكَ يَا عَبَّاسُ عَنْ فَرَجٍ جَنَّاتِ عَذْنٍ وَعُثِي جُزْرَتِي^(٧) آس

/ فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك، وأغتاظ على العباس، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أخرى. [٢٥٧/١٠] هذه رواية يزيد.

قيل إن هذه القصة مع علي بن صالح:

وَأَمَّا أبنُ النطاح فإنه ذكر أن الذي نقصه / الدينارين علي بن صالح وقال له: إنما نَقَصْتُكَ دينارين لموت أبْنِكَ^{١٣٢} دُلَامَةَ. فَحَلَفَ إِلَّا يَأْخُذَ إِلَّا خَمْسِينَ ديناراً، ثم قام مُغْضَباً؛ فَاتَّبَعَهُ الرُّسُولُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا. فقال له:

- (١) الضيح: صوت أنفاس الخيل إذا عدت ليس بصهيل ولا حممة.
- (٢) نكا الفرح: قشره قبل أن يبرأ فيندي. وقد وردت هذه الكلمة في الأصول محرفة؛ ففي حد: «الناكثات». وفي أ، م: «الناكثات».
- (٣) وفي ب، س: «الفانكات».
- (٤) وفي الأصول: «قدحاً» بالدال، وهو تحريف.
- (٥) وفي أ، م: «صبحا» بالصاد المهملة. وهي في كلتا صورتها غير واضحة.
- (٦) يجلقن: يستاصلن. وفي ب، س: «يتلقن». وفي سائر الأصول: «يحلقن» بالحاء المهملة. وهو مصحف عما أثبتاه، كما يحتمل أن يكون مصحفاً عن «يحلقن» بالقاف بمعنى يستاصلن أيضاً.
- (٧) الأشنان (بالضم): حمض تغسل به الأيدي.
- (٨) الجرزة: الحزمة.

أُولَى^(١) لَهُ. أَمَا مَا سَبَقَ فَلَا حِيلَةَ فِيهِ، وَالْمُسْتَأْنَفُ فَقَدْ أَمِنَهُ. وَقَدْ كَانَ قَالَ فِيهِ:

لَعَلِّي بِنِ صَالِحٍ بِنِ عَلِيٍّ	نَسَبٌ لَوْ يُعِينُهُ بَسْمَاحٍ
وَبِنِ مَالِكٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ	مَا لِنَا فِي بَقَائِهِمْ مِنْ فَلَاحٍ
غَيْرَ فَضْلٍ فَإِنَّ لِلْفَضْلِ فَضْلًا	مُسْتَبِينًا عَلَى قُرَيْشِ الْبَطَاحِ

تخاصم إلى عافية القاضي وداعبه:

أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال:

تخاصم رجلٌ أبا دُلَامَةَ فِي دَارِهِ، فَأَرْتَفَعَا إِلَى عَافِيَةِ الْقَاضِي؛ فَأَنْشَأَ أَبُو دُلَامَةَ يَقُولُ:

لَقَدْ خَاصَمْتَنِي دُهَاءُ الرُّجَالِ	وَخَاصَمْتُهَا سَنَةً وَافِيَةً
فَمَا أَذْخَضَ اللَّهُ لِي حُجَّةً	وَلَا خَيَّبَ اللَّهُ لِي قَافِيَةً
وَمَنْ خِفْتُ مِنْ جَوْرِهِ فِي الْقَضَاءِ	فَلَسْتُ أَخَافُكَ يَا عَافِيَةَ

فَقَالَ لَهُ عَافِيَةُ: أَمَا وَاللَّهِ لَا شَكُوكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا غَلَمُهُ أَنْكَ هَجَوْتَنِي. قَالَ: إِذَا يَغْزِلُكَ. قَالَ: وَلِمَ؟
قَالَ: لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ الْمَدِيحَ مِنَ الْهَجَاءِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَنْصُورَ فَضَحِكَ وَأَمَرَ لِأَبِي دُلَامَةَ بِجَائِزَةٍ.

٢٥٨/١ / أمره المهدي بهجاء أحد الحضور فهجا نفسه:

أخبرني محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال:

دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَعِنْدَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَعِيسَى بْنُ مُوسَى وَالْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. فَقَالَ لَهُ: أَنَا أُعْطِيَ اللَّهَ عَهْدًا لَنْ لَمْ تَهْجُ وَاحِدًا مِمَّنْ فِي الْبَيْتِ لَا قُطْعَنَ لِسَانِكَ - وَيُقَالُ إِنَّهُ قَالَ: لَا ضَرْبَ عُنُقِكَ - فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْقَوْمُ، فَكَلَّمَا نَظَرَ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ غَمَزَهُ بِأَنَّهُ عَلَيْهِ رِضَاءٌ. قَالَ أَبُو دُلَامَةَ: فَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ وَقَعْتُ وَأَنَّهَا عَزْمَةٌ مِنْ عَزَمَاتِهِ لَا بَدَّ مِنْهَا، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا أَحَقَّ بِالْهَجَاءِ مِنِّي، وَلَا أَذْعَى إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ هَجَاءِ نَفْسِي، فَقُلْتُ:

أَلَا أَبْلِغُ إِلَيْكَ أَبَا دُلَامَةَ	فَلَيْسَ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا كِرَامَةٍ
إِذَا لَيْسَ الْعِمَامَةُ كَانَ قِرْدًا	وَخِنْزِيرًا إِذَا نَزَعَ الْعِمَامَةَ
جَمَعْتَ دِمَامَةً وَجَمَعْتَ لَوْمًا	كَذَاكَ اللَّوْمُ تَتَّبَعَهُ الدِّمَامَةُ
فَإِنْ تَكْ قَدْ أَصَبْتَ نَعِيمَ دُنْيَا	فَلَا تَفْرَحْ فَقَدْ دَنَتْ الْقِيَامَةُ

فَضَحِكَ الْقَوْمُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَجَازَهُ.

قَالَ شِعْرًا فِي الْمَهْدِيِّ وَعَلِيٍّ بْنِ سُلَيْمَانَ وَقَدْ خَرَجَا لِلصَّيْدِ فَأَصَابَ الْأَوَّلُ وَأَخْطَأَ الثَّانِي:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن عمه قال:

(١) أُولَى لَهُ: معناها: التهديد والتروعد.

خرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصيد، فسَنَحَ لهما قَطِيعٌ من ظباء، فَأَرْسَلَتِ الكلابُ وأجريت الخيلُ، فرمى المهدي ظبياً بسهم فصرعه، ورمى علي بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله. فقال أبو دلالة:

قد رمى المهدي ظبياً شك بالسهم فزادة
وعلي بن سليمان ن رمى كلباً فصادة
فهنيئاً لهما كل أمريء يأكل زادة

/ فضحك المهدي حتى كاد أن يسقط عن سرجه، وقال: صدق والله أبو دلالة، وأمر له بجائزة / سنية. [٢٥٩/١٠] ١٣٣
أخبرني بهذا الخبر عمي عن الكُراني عن العمري عن الهيثم بن عدي فذكر مثل ما ذكره وقال فيه: فلُقّب علي بن سليمان «صائد الكلب» وعلّق به.

أنشد المنصور شعراً فأعطاه داراً وكسوة ثم احتاج إلى الدار وهوّضه بدلها:

قال ابن النطّاح: وأنشد أبو دلالة المنصور يوماً:

هاتيك والدتي عجوزٌ همة^(١) مثل البليّة درعها في المشجب^(٢)
مهزولة اللّحيّين^(٣) مَنْ يَرها يَقل أبصرتُ غسولاً أو خيالَ القطرب^(٤)
ما إن تركتُ لها ولا لابنٍ لها ما لا يؤمّل غيرَ بكرٍ أجرب
ودجائجا^(٥) خمساً يَرحن إليهم لمّا يَبيضنَ وغيرَ عَير^(٦) مُغرب
كتبوا إليّ صحيفةً مطبوعة^(٧) جعلوا عليها طينةً كالعقرب
فعلِمْتُ أنّ الشرَّ عند فكّاكها ففككتُها عن مثل ربح الجورب
وإذا شبيهة بالأنفاعي رُقشَتْ يُوعِدُنني بتلُظٍ وتثُوب^(٨)
يشكون أنّ الجوعَ أهلكَ بعضَهم لزباً^(٩) فهل لك في عيالٍ لُزب
لا يسألونك غيرَ طُلّ سَحابة تغشاهم من سَيلك المُتَحَلِب
يا باذلَ الخيراتِ يابنَ بَذولها وأبنَ الكرامِ وكلّ قَرمٍ مُنجِب
أنتم بنو العباس يُغَلَم أنكم قَدِمّا فوارسُ كلِّ يومٍ أشهب

(١) الهمة: العجوز الفاتية.

(٢) المشجب (ومثله الشجاب): خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر. يريد أن أمه فئيت حتى أشهت خشبات المشجب.

(٣) اللحي: عظم الحنك وهو الذي عليه الأسنان.

(٤) القطرب هنا: ذكر الغيلان أو الصغير من الجن.

(٥) يجوز في تابع المستثنى بغير مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى. وقد روعي هنا المعنى.

(٦) العير (بالفتح): الحمار. والمغرب: الذي اشتد بياضه حتى نبيض محاجره وأرفاغه.

(٧) مطبوعة: مختومة.

(٨) في «الأصول» و«تثاوب» ويقال لغة تثاوب وتثأب التضعيف. وقد آثرنا الثانية لأنه على رواية «الأصول» تكون في القافية ألف الأساس، وإذا كانت لزمت في القصيدة كلها.

(٩) اللزب (بالتحريك): ضيق العيش.

/ أَحْلَاسٌ^(١) خِيلِ اللَّهِ وَهِيَ مُغِيرَةٌ يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ الْأَكْهَبِ^(٢)

قال: فأمر له بدار يسكنها وكسوة ودراهم. وكانت الدار قريبة من قصره، فأمر بأن تزداد في قصره بعد ذلك لحاجة دعت إليها. فدخل عليه أبو دُلَامة فأنشده قوله:

يَا بَنَ عَمِّ النَّبِيِّ دَعْوَةَ شَيْخٍ قَدْ دَنَا هَذَا دَارِهِ وَدَمَارُهُ
فَهُوَ كَالْمَاخِضِ الَّتِي أَعْتَادَهَا الطُّدُ قُ فَقَرَّتْ وَمَا يَقَرُّ قَرَارُهُ
إِنْ تَحْزُ عُنْرُهُ بِكَفَيْتِكَ يَوْمًا فَبِكَفَيْتِكَ عُنْرُهُ وَيَسَارُهُ
أَوْ تَدْعُهُ فَلَلْبَوَارِ، وَأَنْتَى وَلِمَاذَا وَأَنْتِ حَيٌّ بِوَارِهِ
هَلْ يَخَافُ الْهَلَاكَ شَاعِرُ قَوْمٍ قَدُمْتُ فِي مَدِيحِهِمْ أَشْعَارُهُ
لَكُمْ الْأَرْضَ كُلُّهَا فَاعْمُرُوا شَيْخَكُمْ مَا أَحْتَوَى عَلَيْهِ جِدَارُهُ
فَكَأَنَّ قَدْ مَضَى وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا أَعَرْتُمْ وَأَقْفَرْتُ مِنْهُ دَارُهُ

فأستعبر المنصور، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله.

عابه عند المهدي محرز ومقاتل ابنا ذؤال فهجاهما بحضرته:

قال ابن النطاح:

ودخل أبو دُلَامة على المهدي وعنده مُخْرِزٌ وَمُقَاتِلٌ ابْنَا ذُؤَالٍ يَعَاتِبَانِهِ عَلَى تَقْرِيْبِهِ أَبَا دُلَامَةَ وَيَعْيِيَانِهِ عِنْدَهُ.
فقال أبو دُلَامة:

أَلَا أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرِي وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ سَائِلِي
أَلَمْ تَرْحَمْ اللَّخِيَيْنِ مِنْ لَخِيَيْتَيْهِمَا وَكَلْتَاهُمَا فِي طَوْلِهَا غَيْرُ طَائِلِ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ مُكْرِمِي بِخَلْفَيْهِمَا مِنْ مُخْرِزٍ وَمُقَاتِلِ
فَإِنْ يَأْذِنُ الْمَهْدِيُّ لِي فِيهِمَا أَقْلُ مَقَالًا كَوَقَعَ السِّيفُ بَيْنَ الْمَفَاصِلِ
/ وَإِلَّا^(٣) تَدْعُنِي وَالْهَمُومُ تَنْوِينِي وَقَلْبِي مِنَ الْعِجْلَيْنِ جَمُّ الْبَلَابِلِ

/ فقال: أو آخذُ لك منهما عشرة آلاف درهم يُقْدِيَانِ بِهَا أَعْرَاضَهُمَا مِنْكَ؟ قال: ذلك إلى أمير المؤمنين. فأخذها له منهما وأمسك عنهما.

مدح سعيد بن دعلج فأجازه:

قال ابن النطاح:

ودخل أبو دُلَامة على سعيد بن دَعْلَجِ^(٤) مولى بني تميم فقال:

(١) أحلاس الخيل هنا: الملازمون ظهورها.

(٢) الكهبة: غبرة مشربة سواداً.

(٣) فعل الشرط محذوف أي وإلا تفعل تدعني.

(٤) كان أميراً على شرطة البصرة وأحدائها لأبي جعفر المنصور، ثم ولي البحرين له أيضاً وعزله بعد ذلك. وولي للمهدي طبرستان =

إذا جئت الأمير فقل سلاماً عليك ورحمة الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلي غريم من الأعراب فبح من غريم
غريم لازم بفناء بيتي لزوم الكلب أصحاب الرقيم^(١)
له مائة علي ونصف أخرى ونصف النصف في صك قديم
دراهم ما أنتفعت بها ولكن وصلت بها شيوخ بني تميم
أتوني بالعشيرة يسألوني ولم أك في العشيرة باللثيم
فضحك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهماً وقال: ما أساء من أنصف، وقد كافأتك عن قومك وزدتك
مائة

[٢٦٢/١٠]

/ داعب المنصور في جنازة بنت عمه حتى ضحك:

أخبرني الحرَمي قال حدثنا الزبير عن جعفر بن الحسين اللّهي عن عمه مُضعب:
أن حمادة بنت عيسى توفيت وحضر المنصور جنازتها. فلما وقف على حُفرتها قال لأبي دلالة: ما أعددت
لهذه الحفرة؟ قال: بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى يُجاء بها الساعة فتدفن فيها. فضحك المنصور
حتى غلب فستر وجهه.

سأل الخيزران جارية فوعده بها وأبطأت فاستنجزها بشعر، وقصة زوجته وابنه مع هذه الجارية:
أخبرني عمي رحمه الله تعالى قال حدثنا محمد بن سعد الكُراني قال قال أبو عمر حفص بن عمر العُمري
حدثنا الهيثم قال:

جئت الخيزران، فلما خرجت صاح بها أبو دلالة. قالت: سلوه ما أمره. قالوا له: ما أمرك؟ فقال:
أذنوني من مخمليها. قالت: أدنوه، فأذني. فقال: أيتها السيدة، إني شيخ كبير وأجرك في عظيم. قالت: فمة.
قال: تهين لي جارية من جواريك تؤسني وترفق بي وترحني من عجوز عندي، قد أكلت رفدي، وأطالت
كذي، وقد عاف جلدي جلدها، وتميئت بغيرها، وتشوقت فقدها. فضحكت الخيزران وقالت: سوف أمر لك بما
سألت. فلما رجعت تلقاها وذكرها، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غرض^(٢). ثم دخل على أم عبيدة حاضرة
موسى وهارون، فدفع إليها رُقعة قد كتبها إلى الخيزران فيها:

= وعزله عنها. (انظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦ و ٧ و ٢٦ و ٢٧ و ٣٩ و ٤١).

(١) قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: «أما حسب أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا»: «الرقيم اسم كلبهم، قال
امية بن أبي الصلت:

وليس بها إلا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف هم
وقيل هو لوح من رصاص رقت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف، وقيل إن الناس رَقَمُوا حديثهم نقرأ في الجبل، وقيل: هو
الوادي الذي فيه الكهف، وقيل الجبل، وقيل قريتهم، وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين. وفي «اللسان» مادة رقم: «قال
أبو القاسم الزجاجي في الرقيم، خمسة أقوال: أحدها عن ابن عباس أنه لوح كتبت فيه أسماؤهم. الثاني أنه الدواة بلغة الروم عن
مجاهد. الثالث القرية عن كعب. الرابع الوادي. الخامس الكتاب عن الضحاك وقتادة، وإلى هذا القول يذهب أهل اللغة». (٢) غرض: ضجر ومل.

أَبْلَغِي سَيِّدَتِي بِاللَّهِ يَا أُمَّ عَيْيَـدَةَ
 أَنَهَا أَرْشَدَهَا اللَّهُ وَإِنْ كَانَتْ رَشِيدَةً
 وَعَدْتُنِي قَبْلَ أَنْ تَخْـرجَ لِلْحَجِّ وَلَيْدَةً
 فَتَأْتِيَنِي وَأَرْسَلْـتُ بَعْشَرِينَ قَصِيدَةً
 / كَلَّمْنَا أَخْلَقْنَا^(١) أَخْلَفَ
 لَيْسَ فِي بَيْتِي لَتْمٌ
 غَيْرُ عَجْفَاءَ عَجُوزٍ
 وَجْهَهَا أَقْبَحُ مِنْ حُـورٍ
 / مَا حَيَاةٌ مَعَ أَنْتَى
 مِثْلُ عَرَسِي بِسَعِيدَةٍ
 مِثْلُ طَرِيٍّ فِي عَصِيدَةٍ

[٢٦٣/١٠]

١٣٥
٩

فلَمَّا قُرِئَتْ عَلَيْهَا الْآيَاتُ ضَحِكَتْ وَأَسْتَعَادَتْهَا مِنْهُ لِقَوْلِهِ «حُوتَ طَرِيٌّ فِي عَصِيدَةٍ» وَجَعَلَتْ تَضْحَكُ، وَدَعَتْ بِجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا فَاتَّقَتْ فَقَالَتْ لَهَا: خُذِي كُلَّ مَا لَكَ فِي قَصْرِي فَفَعَلَتْ، ثُمَّ دَعَتْ بِبَعْضِ الْخُدَمِ وَقَالَتْ لَهُ: سَلِّمِي إِلَى أَبِي دُلَامَةَ. فَأَنْطَلَقَ الْخَادِمُ بِهَا فَلَمْ يَصَادَفْهُ فِي مَنْزِلِهِ. فَقَالَ لَامِرَاتُهُ: إِذَا رَجَعَ فَأَدْفِعِيهَا إِلَيْهِ، وَقُولِي لَهُ: تَقُولُ لَكَ السَّيِّدَةُ: أَحْسِنِ صُحْبَةَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ فَقَدْ آثَرْتُكِ بِهَا؛ فَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ. فَلَمَّا خَرَجَ دَخَلَ أَبْنَاهُ دُلَامَةُ فَوَجَدَ أُمَّهُ تَبْكِي. فَسَأَلَهَا عَنْ خَبَرِهَا فَأَخْبَرَتْهُ وَقَالَتْ: إِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَبْرِّئَنِي يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَالْيَوْمَ. فَقَالَ: قُولِي مَا شِئْتُ فَإِنِّي أَفْعَلُهُ. قَالَتْ: تَدْخُلُ عَلَيْهَا فَتَعْلِمُهَا أَنَّكَ مَالِكُهَا وَتَطْوُهَا فَتَحْرُمَ عَلَيْهِ، وَإِلَّا ذَهَبْتُ بِعَقْلِهِ وَجَفَانِي وَجَفَاكَ. فَفَعَلَ وَدَخَلَ إِلَى الْجَارِيَةِ فَوَطَّئَهَا وَوَافَقَهَا ذَلِكَ مِنْهُ، وَخَرَجَ. ثُمَّ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ فَقَالَ لَامِرَاتُهُ: أَيْنَ الْجَارِيَةُ؟ قَالَتْ: فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ. فَدَخَلَ إِلَيْهَا شَيْخٌ مُحَطَّمٌ ذَاهِبٌ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا وَذَهَبَ لِيَقْبُلَهَا. فَقَالَتْ لَهُ: مَالِكُكَ وَيَلَّكَ! تَنَحَّ وَإِلَّا لَطَمْتُكَ لَطْمَةً دَقَقْتُ مِنْهَا أَنْفَكَ. فَقَالَ لَهَا: أَبْهَذَا أَوْصَتْكَ السَّيِّدَةُ! فَقَالَتْ: إِنَّهَا قَدْ بَعَثَتْ بِي إِلَى فَتًى مِنْ حَالِهِ وَهَيْئَتِهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي آتِفًا، وَنَالَ مِنِّي حَاجَتَهُ. فَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ مِنْ أُمِّ دُلَامَةَ وَأَبْنَاهَا. فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو دُلَامَةَ فَلَطَمَهُ وَلَبَّيْهِ^(٢) وَحَلَفَ / أَلَّا يَفَارِقَهُ إِلَّا عِنْدَ الْمَهْدِيِّ. فَمَضَى بِهِ مُلَبِّيًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَهْدِيِّ. فَعُرِفَ خَبَرُهُ وَأَنَّهُ قَدْ جَاءَ بِابْنِهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ. فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لَهُ: مَالِكُكَ وَيَلَّكَ؟ قَالَ: عَمِلَ بِي هَذَا ابْنُ الْخَبِيثَةِ مَا لَمْ يَعْمَلْ وَلَدٌ بِأَبِيهِ، وَلَا تُرْضِينِي إِلَّا أَنْ تَقْتُلَهُ. فَقَالَ لَهُ: وَيَلَّكَ فَمَا فَعَلَ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ. فَضَحِكَ حَتَّى أَسْتَلَقَى ثُمَّ جَلَسَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو دُلَامَةَ: أَعْجَبَكَ فَعْلُهُ فَتَضَحَكَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: عَلَيَّ بِالسَّيْفِ وَالنُّطْعِ. فَقَالَ لَهُ دُلَامَةُ: قَدْ سَمِعْتَ حُجَّتَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَاسْمَعْ حُجَّتِي. قَالَ: هَاتِ. قَالَ: هَذَا الشَّيْخُ أَصْفَقُ النَّاسَ وَجَهًا، بَيْنَكَ أُمِّي مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا غَضِبْتُ، وَنَكْتُ جَارِيَتَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً فَغَضِبَ وَصَنَعَ بِي مَا تَرَى! فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ أَكْثَرَ مِنْ ضَحْكِهِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ قَالَ: دَعْنَاهُ يَا أَبَا دُلَامَةَ وَأَنَا أُعْطِيكَ خَيْرًا مِنْهَا. قَالَ: عَلَى أَنْ تَخْبَأَهَا لِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَإِلَّا نَاكَهَا وَاللَّهِ كَمَا نَاكَ هَذِهِ. فَتَقَدَّمَ إِلَى دُلَامَةَ أَلَّا يُعَاوِدَ بِمِثْلِ فَعْلِهِ، وَحَلَفَ أَنَّهُ إِنْ عَاوَدَ قَتَلَهُ، وَوَهَبَ لَهُ جَارِيَةً أُخْرَى كَمَا وَعَدَهُ.

(١) كَذَا فِي أ. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «أَخْلَفْنَا» بِالْفَاءِ الْمَوْحَدَةِ.

(٢) لَبَّيْهِ: أَخَذَ بِتَلْبِيئِهِ أَنْ جَمَعَ ثِيَابَهُ عِنْدَ صَدْرِهِ وَنَحَرَهُ فِي الْخَصْمَةِ ثُمَّ جَرَّه.

سأله المهدي عن شاعر فأطراه فأجازه لحسن محضره:

وقال ابن النطاح:

دخل أبو دلالة على المهدي وعنده شاعرٌ يُشّده. فقال له: ما ترى فيه؟ قال: إنه قد جَهِدَ نفسه لك فأجهدَ نفسك له. فقال المهدي: وأبيك إنها لكلمةٌ عذراءٌ منك، أحسبك تعرفه! قال: لا والله ما عرفته ولا قلت أنا إلا حقاً. فأمر للشاعر بجائزة، ولأبي دلالة بمثلها لحسن محضره.

خلع عليه العقيلي من ثيابه التي عليه:

قال ابن النطاح وحدثني أبو عبدالله العقيلي قال:

رأيتُ على أبي دلالة فرّوةً في الصيف، فقلتُ له: ألا تملُ هذه الفروة! قال: بلى، وربّ مملولٍ لا يُستطاع فراقه. فنزعتُ فاضلَ ثيابي في موضعي ودفعْتُها إليه.

فزع من رؤية الفيل وقال فيه شعراً:

قال: وأُهدي للمهدي فيلٌ، فرآه أبو دلالة فولّى هارباً وقال:

يا قوم إنني رأيتُ الفيلَ بعدكم
/ أبصرتُ قصرًا له عينٌ يقلبها

لا بارك الله لي في رؤية الفيل
فكذتُ أرمي بسلحي في سراويلي

أنشد المهدي شعراً في بغلته واستوهبه أخرى غيرها:

/ قال ابن النطاح:

ودخل أبو دلالة على المهدي فأنشده قصيدته في بغلته المشهورة:

أتاني بغلة^(١) يستام^(٢) مني
فقال تبيعها؟ قلت أرتبطها
فأقبل ضاحكاً نحوي سروراً
هلم إلي يخلو بي خداعاً
فقلت بأربعين فقال أحسن
فأترك خمسةً منها لعلمي

عريق في الخسارة والضلال
بحكمك إن بيعي غير غالي
وقال أراك سُمحياً ذا جمال
وما يذري الشقي بمن يُخال
إلي فإن مثلك ذو سجال^(٣)
بما فيه يصير من الخبال

فقال المهدي: لقد أفلت من بلاءٍ عظيم. قال: والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهراً أتوقع صاحبها أن يردها. قال: ثم أنشده:

فأبدلني بها يارب طرفاً^(٤)
يكون جمالاً مركباً به جمالي

(١) في جـ: «أتاني خائب».

(٢) استام: طلب السوم أن تعين الثمن.

(٣) السجال هنا: المباراة والمساجلة يريد أنه لا يماكس في الثمن.

(٤) الطرف من الخيل: الكريم.

فقال لصاحب دوابه: خَيَّرْهُ مِنَ الإِصْطَبَلِ مَرْكَبَيْنِ^(١). قال: يا أمير المؤمنين إن كان الاختيارُ لي وقعتُ في شرٍّ من البغلة، ولكن مُرَّه أن يختار لي، فقال: آخِزْ له. وأخبرني به عمي عن الكُراني عن العُمري عن الهيثم بن عدي، وخبره أتم.

احتال على العباس بن محمد بشعر وأخذ منه ألفي درهم وكان راعن المهدي على ذلك فأخذ منه ستة آلاف:

وأخبرني محمد بن خلف عن أحمد بن الهيثم عن العُمري عن الهيثم بن عدي قال:

دخل أبو دُلَامة يوماً على المهدي، فحادثه ساعة وهو يضحك وقال له: هل بقي أحدٌ من أهلي لم يصلِّك؟ قال: إن أَمَتْنِي أَخْبَرْتُكَ، وإن أَعْفَيْتَنِي فهو أحبُّ إليّ. قال: بل تُخبرني وأنت آمن. قال كلُّهم قد وصلَّني إلَّا حَاتِمَ بني العباس. قال: / ومن هو؟ قال: عمُّك العباس بن محمد. فالتفت إلى خادم على رأسه وقال: جَأْ^(٢) عُنُقَ العاصِ بِقَرِّ أُمِّه. فلَمَّا دنا منه صاح به أبو دُلَامة: تَنَحَّ يا عبدَ السَّوءِ لا تُخْنِثَ مولاك وتَنَكُّثَ عَهْدَه وأمانَه. فضحك المهدي وأمر الخادمَ فتنحَّى عنه، ثم قال لأبي دُلَامة: وَيَلَلْ! والله عمي أبخلُ الناس. فقال أبو دُلَامة: بل هو أسخى الناس. فقال له المهدي: والله لو مُتَّ ما أعطاك شيئاً. قال: فإن أنا أتيتُه فأجازني؟ قال: لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم. فأنصرف أبو دُلَامة فحَبَّرَ للعباس قصيدةً ثم غدا بها عليه وأنشده:

قِفْ بالديارِ وأَيُّ الدهرِ لم تَقِفْ على المنازلِ بين الظَّهْرِ^(٣) والنَّجَفِ
وما وُقُوفُكَ في أَطْلالِ مَنْزِلَةٍ لولا الذي أَسْتَدْرَجْتَ من قَلْبِكَ الكَلِفِ
إن كنتَ أَصْبَحْتَ مشغولاً بِساكنِها فلا ورْبُكَ لا تُشْفِيكَ من شَغَفِ
دَغْ ذا وَقْلٍ في الذي قد فاز من مُضَرٍ بِالْمَكْرُمَاتِ وعِزٍّ^(٤) غيرِ مُقْتَرَفٍ^(٥)
هذي رسالةُ شيخٍ من بني أَسَدٍ يُهْدِي السَّلامَ إلى العباسِ في الصُّحُفِ
تُحْطِئُها من جَواري المِضَرِّ كاتِبَةٌ قد طالما ضَرَبْتَ في السَّلامِ والأَلِفِ
وطالما أَخْتَلَفْتَ صَيْفًا^(٦) وشَايَةً إلى معلِّمها بِاللُّوحِ والكِتَفِ
حتَّى إذا نَهَدَ الثُّديانِ وأَمْتَلَا منها وخِيفَتْ على الإِسْرافِ والقَرَفِ^(٧)
صينَتْ ثلاثَ سِنينَ ما تَرى أحداً كما يصون تِجَارَ دُرَّةِ الصَّدَفِ
/ فبينما الشَّيْخُ يَهْوِي نحوَ مَجْلِسِهِ مبادِراً لصلاةِ الصُّبْحِ بالسَّدَفِ^(٨)

١٣٧

(١) في ب، س: «بين مركبين».

(٢) جَأ: اضرب.

(٣) الظهر: موضع. والنجف (بالتحريك): موضع بظهر الكوفة وهو دومة الجندل بعينها، والقرب منه قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

(٤) في ب، س: «عزم».

(٥) مقترف: مكتسب.

(٦) في ب، س: «ضيفاً» بالضاد المعجمة وهو تصحيف.

(٧) القرف: التهمة.

(٨) السدف: الظلمة.

حانت له لَمَحَةٌ منها فابصرها
/ فَحَرَّ وَاللَّهِ مَا يَذْرِي غَدَاتِنِ
وجاءه الناسُ أفواجاَ بمائهمُ
وَوَسَّوَسُوا بِقُرْآنٍ فِي مَسَامِعِهِ
شِيناً وَلَكِنَّهُ مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ
قالوا: لك الويلُ ما أبصرت؟ قلتُ لهم
فقلتُ أَيُّكُمْ وَاللَّهِ يَأْجُرُهُ
فقام شيخٌ بهيٍّ من رجالهمُ
فأبتاعها لي بِأَلْفَيْ دِرْهَمٍ فَأَتَى
فِيكَ الْتَمُّهَا طَوْرًا وَالزَّمُّهَا
فِيهِ^(٣) ذَاكَ كَذَا إِذْ جَاءَ صَاحِبُهَا
وَذَكَرَ حَقِّي عَلَى زَنْدٍ وَصَاحِبِهِ
وَبَيْنَ ذَاكَ شُهُودٌ لَا يَضُرُّهُمْ
فَإِنْ يَكُنْ مِنْكَ شَيْءٌ فَهُوَ حَقُّهُمْ

قال: فضحك العباس وقال: وَيَحْكُ أَصَادِقُ أَنْتَ؟ قال: نعم والله. قال: يا غلام إِدْفَعْ إِلَيْهِ أَلْفِي دِرْهَمٍ ثَمَنُهَا. قال: فأخذها ثم دخل على المهدي فأخبره القِصَّةَ وما أحتال له به. فأمر له المهديُّ بستة آلاف درهم. وقال له المهديُّ: كيف لا يضرُّهم ذلك؟ قال: لأنِّي مُعْذِمٌ لَا شَيْءَ عِنْدِي. وقال عُمَيِّ فِي خَبْرِهِ: فقال له العباس بن محمد شاركني في هذه الجارية. قال: أفعلُ ولكن على شريطة. قال: وما هي؟ قال: الشَّرِكَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مَفَاوِضَةً^(٤)، فاشترِ معها أخرى، لِيَبْعَثَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى صَاحِبِهِ مَا عِنْدَهُ / وَيَأْخُذَ الْأُخْرَى مَكَانَهَا لَيْلَةً [٢٦٨/١٠] وَلَيْلَةً. فقال له العباس: قَبِّحَكَ اللَّهُ وَقَبِّحَ مَا جَنَّتَ بِهِ! خذ الدراهم لا بارك الله لك فيها وانصرف.

أمره أبو مسلم بمبارزة رجل فقال شعراً أضحكه فأعفاه:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني العَبْسِيُّ قال:

كان أبو دُلاَمَةُ مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أُمَيَّة. فدعا رجلٌ إلى البراز؛ فقال له أبو مسلم: أُبْرُزْ إِلَيْهِ. فَأَنشَأَ يَقُولُ:

أَلَا لَا تُلْمَنِي إِنْ فَارَزْتُ فإِنِّي
أخاف على فُخَّارَتِي أَنْ تَحْطُمَا

(١) النطف: جمع نطفة (بالضم) وهي الماء الصافي قل أو أكثر.

(٢) في ح، ب، س: «فخافه» وهو تحريف.

(٣) المشهور في مثل هذا أن يقال: فبينا ذاك كذا أو «بينما». وقد جاء بها أبو دلامة هنا على الأصل.

(٤) شركة المفاوضة: هي الشركة العامة في كل ما يملكه الشريكان.

فلو أنني في الشوق أتباع مثلها
وجَدَّك ما باليتُ أن أتقدِّما
فضحك وأعفاه.

وعدته رِيطة جارية فاستنجزها بشعر:

ونسخت من كتاب ابن النطّاح:

أَنَّ رِيْطَةَ وَعَدْتُ أبا دُلَامَةَ جاريةً فمطلّته حتى أمتدّحها بعِدَّة قصائد، كلُّ ذلك لا تفي له، ثم خرجت إلى مكة ورجعت. وكانت لها جارية يقال لها أُمُّ عَيْبِدَةَ تخرج وتُكلِّم الرجال وتبْلُغ عنها الرسائل. فقال أبو دُلَامَةَ لَأُمِّ عَيْبِدَةَ حين عِيلَ صبرُهُ:

أبلغني سيّدتي إن	شئتِ يا أُمِّ عَيْبِدَةَ
/ أنه أُرشدَها الله	وإن كانت رشيده
وعدّتي قبل أن تخ	رج للحجّ وليده
فتنظّرت وأرسل	تُبعشرين قصيده
كلّما تخلّق أولي	بُدلت أخرى جديده
إنني شيخٌ كبيرٌ	ليس في بيتي قعيد
غيرُ مثلِ الغول عندي	ذات أوصالٍ مديده
/ وجهها أسمعُ من حو	ت طريّ في عصيدة
ذات رَجُلٍ ويدي كل	تاهما مثلُ القديده

١٣٨
٩

[٢٦٩/١٠]

فدخلت على رِيْطَةَ فأنشدتها الشعر، فأمرت له بجارية ومائتي دينار للنفقة عليها.

اشترى لأضيافه نبيذاً من نباهه ولم يعطها الثمن وقال فيها شعراً:

أخبرني الحسين بن يحيى نسختُ من كتاب إسحاق الموصليّ حدّثني أبي عن جدّي^(١):

أَنَّ أبا دُلَامَةَ نَزَلَ بالكوفة، فأتاه أضيافٌ فغداهم، ثم بعث إلى سِنْدِيَّةَ نَبَاذَهُ يقال لها دَوْمَةُ، فبعثت إليهم جَرَّةً من نَبِيذٍ فشربوها، ثم أعاد فبعثت إليهم بأخرى، ثم جاءت تتقاضى الثمن. فقال: ليس عندي الثمن، ولكني أمدحك بما هو خيرٌ من نَبِيذِكَ. فقال:

ألا يا دَوْمُ دام لك النعيمُ وأخمرُ ملء^(٢) كفّك مستقيماً

(١) يلاحظ أن جدّ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ فارسي وهو ماهان أو ميمون بن بهمن، وأنه مات وابنه طفل في الثانية أو الثالثة، فلا يعقل أن يكون إبراهيم روى عن أبيه. على أن ماهان لم يعرف أنه من رواة الأدب العربي. فلعل في كلمة «عن جدّي» تحريفاً أو هي من زيادات السامخ. (راجع ترجمة إبراهيم الموصليّ في الجزء الخامس من هذه الطبعة ص ١٥٤).

(٢) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «مثل» وهو تحريف. وقد ورد هذا الشعر في الجزء العاشر صفحة ٩٤ من «الأغاني» طبع بلاق في ترجمة الأقيسر، وروايته:

واسمر ملء كفّك مستقيماً
يحتسم كأنه رجل سقيم

ألا يا دَوْمُ دام لك النعيم
شديد الأسر ينضّ حالباه

شديد الأصل ينبذ^(١) حاليه
يكن كانه رجل سقيم
وهذا الخبر يروى عن الأقيشر أيضاً.

قال شعراً في الجنيد النخاس يذمه ويمدح جارية له:
قال إسحاق وحدثني أبي:

أن أبا دلالة كان كثير الزيارة للجنيد النخاس، وكان يتعشق جارية له ويغضه. فجاءه يوماً فقال: أخرج لي فلانة. فقال: إلى متى تخرج إليك ولست بمشتري ١١ / قال: فإن لم أكن مشترياً فإني أخ يمدح ويطري. قال: ما (٢٧٠/١٠١) أنا بمخرجها إليك أو تقول فيها شعراً. قال: فأحلف بعثتها أن تروىها إياه وتأمرها بإنشاده من أنك يعترضها ولا تحجبها. فحلف لا يحجبها. فقال أبو دلالة:

إنني لأحسب أن سأمسي ميئاً
أو سوف أصبح ثم لا أمسي
من حب جارية الجنيد وبغضه
وكلاهما قاض على نفسي
فكلامها يشفي به سقمي
فإذا تكلم عاد لسي نكسي

عاد إسحاق الأزرق وعنده طيبه فقال شعراً ينصحه فيه بمجانبة الطبيب:

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال:

دخل أبو دلالة على إسحاق الأزرق يعود، وكان إسحاق قد مرض مرضاً شديداً، ثم تعافى منه وأفاق، فكان من ذلك ضعيفاً، وعند إسحاق طبيب يصف له أدوية تقوي بدنه. فقال أبو دلالة للطبيب: يابن الكافرة! أتصف هذه الأدوية لرجل أضعفه المرض! ما أردت والله إلا قتله. ثم ألفت إلى إسحاق فقال: اسمع أيها الأمير مني. قال: هات ما عندك يا أبا دلالة. فأنشأ يقول:

نح عنك الطبيب وأسمع لنعني
إنني ناصح من الضاح
ذو تجارب قد تقلبت في الصبح
ة دهرأ وفي السقام المتاح
عاد هذا الكباب كل صباح
من مئون الفتية الشحاح^(٢)
/ فإذا ما عطشت فأشرب ثلاثاً
من عتيقي في الشم كالشحاح
ثم عند المساء فاعكف على ذا
وعلى ذا بأعظم الأقداح
فتقسوئي ذا الضعف منك وتلقني
عن^(٣) ليال أصح هذي الصحاح
ذا شفاء ودغ مقالة هذا
ناك ذا أمه بأير رباح^(٤)

يرويه الشراب فيزدهيه وينسخ فيه شيطان رجيـم

(١) ينبذ: ينبض.

(٢) السحاح: السمان، واحدها ساح وساحة، بالحاء المشددة.

(٣) عن ليال أي بعد ليال.

(٤) رباح: القرد.

[٢٧١/١٠] / فضحك إسحاق وعُوَّادُه، وأمر لأبي دُلَّامة بخمسمائة درهم. وكان الطبيب نصرانياً فقال: أعوذ بالله من شرِّك يا رَكُل (يريد يا رجل). وقال الطبيب: اِقْبَلْ مِنِّي أصلحك الله ولا تسألني عن شيء قُدَّامَه. فقال أبو دُلَّامة: أما وقد أخذتُ أَجْرَةَ صَفَّقَتِي^(١) وَقَضَيْتُ الحقَّ في نُصْحِ صديقي، فَأَنْعَثْ لَه الآن أنت ما أَحْبَبْتَ.

تنادر بسلمة الوصيف في حضرة المهدي:

أخبرني الحسن بن علي قال حَدَّثَنَا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حَدَّثَنِي أبو الشَّيْبَلِ عاصم بن وهب البرُّجُمي قال:

دخل أبو دُلَّامة على المهدي وبين يديه سلمة الوصيف واقفاً، فقال: إِنِّي أَهْدَيْتُ إِلَيْكَ يا أمير المؤمنين مُهْراً ليس لأحد مثله. فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُشَرِّفَنِي بقبوله. فَأَمْرُه بِإِدْخَالِه إِلَيْه. فخرج وأدخل إليه دَابَّتَه التي كان تحته، فإذا به بِرِذْوَنٍ مُحَطَّمٍ أَعْجَفُ هَرَمٍ. فقال له المهدي: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا وَيَلْكَ! أَلَمْ تَزْعَمْ أَنَّهُ مَهْرٌ! فقال له: أَوَلَيْسَ هَذَا سَلَمَةُ الوصيف بين يديكَ قائماً تَسْمِيهِ الوصيفَ وله ثمانون سنة، وهو عندك وصيفٌ! فَإِنْ كَانَ سَلَمَةُ وَصِيفاً فِهَذَا مُهْراً. فجعل سَلَمَةُ يَشْتُمُه والمهدي يضحك. ثم قال لَسَلَمَةَ: وَيَلْكَ، إِنَّ لِهَذِهِ مِنْهُ أَخَوَاتٍ، وَإِنْ أَتَى بِهَا فِي مَحْفَلٍ فَضَحَكَ. فقال أبو دُلَّامة: وَالله لَا أَفْضَحُهَا يا أمير المؤمنين؛ فليس من مَوَالِيكَ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ وَصَلَنِي غَيْرُهُ، فَإِنِّي مَا شَرِبْتُ لَهُ الْمَاءَ قَطُّ. قال: فَقَدْ حَكَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَشْتَرِيَ نَفْسَه مِنْكَ بِأَلْفِ دَرْهَمٍ حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنْ يَدِكَ. قال: قَدْ فَعَلْتُ عَلَى أَنْ لَا يُعَاوِدَ. فقال له: مَا تَرَى؟ قال: أَفْعَلُ، فَلَوْلَا أَتَى مَا أَخَذْتَ مِنْهُ شَيْئاً قَطُّ مَا فَعَلْتُ مَعَهُ مِثْلَ هَذِهِ. فَمَضَى سَلَمَةُ فَحَمَلَهَا إِلَيْه.

مَرْثِيَةُ كُتُبِ طَبِيعِ سِدِّي

عبث به ابنه فأراد أن يخصيه فحكم زوجته:

أخبرني عمي قال حَدَّثَنِي محمد بن سعد الكُراني قال حَدَّثَنِي الخليل بن أسد عن عبدالرحمن بن صالح قال:

[٢٧٢/١٠] / جاء ابن أبي دُلَّامة يوماً إلى أبيه وهو في مَحْفَلٍ مِنْ جِيرَانِه وَعَشِيرَتِه جالس، فجلس بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم: إِنَّ شَيْخِي، كَمَا تَرُونَ، قَدْ كَبُرَتْ سِنُهُ، وَرَقَّ جِلْدُهُ، وَدَقَّ عَظْمُهُ، وَبَنَا إِلَى حَيَاتِه حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا أَزَالُ أَشِيرُ عَلَيْهِ بِالشَّيْءِ يُنْسِكُ رَمَقَه وَيُبْقِي قُوَّتَه، فَيُخَالِفُنِي فِيهِ. وَأَنَا أَسْأَلُكُمْ أَنْ تَسْأَلُوهُ قَضَاءَ حَاجَةٍ لِي أَذْكُرُهَا بِحَضْرَتِكُمْ، فِيهَا صِلَاحٌ لَجْسِمِه، وَبِقَاءٌ لِحَيَاتِه، فَأَسْعِفُونِي بِمَسْأَلَتِه. فقالوا: نَفْعَلُ حُبّاً وَكَرَامَةً. ثم أقبلوا على أبي دُلَّامة بالسُّتْهُمْ وتناولوه بالعتاب حتى رَضِيَ وهو ساكت، فقال قولوا للخبيث فليَقُلْ مَا يُرِيدُ، فَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلَّا بِبَلِيَّةٍ. فقالوا له: قُلْ. فقال: إِنَّ أَبِي إِنَّمَا يَقْتُلُهُ كَثْرَةُ الْجَمَاعِ، فَتَعَاوَنُونِي عَلَيْهِ حَتَّى أَخْصِيَه، فَلَنْ يَقْطَعَهُ عَنْ ذَلِكَ غَيْرُ الْخِصَاءِ، فَيَكُونُ أَصَحَّ لَجْسِمِه وَأَطْوَلَ لَعْمَرِه. فَعَجَبُوا مِنْ ذَلِكَ وَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَعْثُ بِأَبِيهِ وَيُخْجَلِّه حَتَّى يَشِيْعَ ذَلِكَ عَنْهُ فَيَرْتَفِعَ لَهُ بِذَلِكَ ذِكْرٌ، فَضَحِكُوا مِنْهُ. ثم قالوا لأبي دُلَّامة: قَدْ سَمِعْتَ فَأَجِبْ. قال: قَدْ سَمِعْتُمْ أَنْتُمْ وَعَرَفْتُمْ أَنَّهُ لَنْ يَأْتِيَ بِخَيْرٍ. قالوا: فَمَا عِنْدَكَ فِي هَذَا؟ قال: قَدْ جَعَلْتُ أُمَّه حَكَمًا بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَقَوْمُوا بِنَا إِلَيْهَا. فَقَامُوا بِأَجْمَعِهِمْ فَدَخَلُوا إِلَيْهَا، وَقَصَّ / أَبُو دُلَّامة الْقِصَّةَ عَلَيْهَا، وَقَالَ لَهَا: قَدْ حَكَمْتُكَ. فَأَقْبَلَتْ عَلَى الْجَمَاعَةِ فَقَالَتْ: إِنَّ أَبْنِي - أَصْلَحَهُ اللهُ - قَدْ نَصَحَ أَبَاهُ وَبَرَّهَ وَلَمْ يَأَلْ جُهْداً، وَمَا أَنَا إِلَى بَقَاءِ

(١) كذا في جميع الأصول. ولعله: «أجرة صفتي إلخ».

أبيه بأخوَجَ مِنِّي إلى بقاءه، وهذا أمرٌ لم تقع به تجربةٌ مِنَّا، ولا جَرَتْ بمثله عادةٌ لَنَا، وما أَشْكُ في معرفته بذلك. فليبدأ بنفسه فليخصها؛ فإذا عوفيَ ورأيناه ذلك قد أثرَ عليه أثراً محموداً أستعمله أبوه. فنعر^(١) أبوه وجعل يضحك به، وخجل أبنه، وأنصرف القوم يضحكون ويعجبون من خُبثهم جميعاً وأتفاقهم في ذلك المذهب.

[١٠١/٧٣]

/ أمر المهدي مرواناً بقتل خارجي فبنا السيف في يده فقال هو في ذلك شعراً:

أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال:

كان عند المهدي رجل من بني مروان، فدخل إليه وسلم عليه. فأتى المهدي بعليج^(٢) فأمر المرواني بضرب عنقه، فأخذ السيف وقام فضربه فبنا السيف عنه، فرمى به المرواني وقال: لو كان من سيوفنا ما بنا. فسمع المهدي الكلام فغاضه حتى تغير لونه وبان فيه. فقام يقطين^(٣) فأخذ السيف وحسره عن ذراعيه ثم ضرب العليج فرمى برأسه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن هذه سيوف الطاعة لا تعمل إلا في أيدي الأولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية. ثم قام أبو دلالة فقال: يا أمير المؤمنين، قد حضرني بيتان أفأقولهما؟ قال: قل. فأنشده:

أَيْهَذَا الْإِمَامُ سَيْفُكَ مَاضٍ وَبَكَفِّ الْوَلِيِّ غَيْرُكَ هَامٌ^(٤)

فإذا ما بنا بكفِّ علَمْنَا أنه كفُّ مُبْغِضٍ لِلْإِمَامِ

قال: فسُرِّي عن المهدي وقام من مجلسه، وأمر حُجَّابه بقتل الرجل المرواني فقتل.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(١) نعر: صاح وصوت بخيشومه.

(٢) العليج: الرجل من كفار العجم.

(٣) يقطين: هو يقطين بن موسى البغدادي. (انظر الكلام عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٥ ج ٦ من كتاب «الأغاني» من هذه الطبعة).

(٤) الكهام من السيوف: الكلبل الذي لا يقطع.

[/ أخبار عبد الله بن المهتار]

[٢٧٤/١٠]

وممن صنع من أولاد الخلفاء فاجاد وأحسن وبرع وتقدم جميع أهل عصره فضلاً وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرفاً في سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن المهتار بالله.

أدبه وشعره ودفاع أبي الفرج عن مذهبه في الأدب:

وأمره، مع قرب عهده بعصرنا هذا، مشهور في فضائله وآدابه شهرة تُشرك في أكثر فضائله الخاص والعام. وشعره وإن كان فيه رقة الملوكة وغزل الظرفاء وهلهلة المحدثين، فإن فيه أشياء كثيرة تجري في أسلوب المجيدين ولا تقصر عن مدى السابقين، وأشياء ظريفة من أشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله، ليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية. فليس يمكن واصفاً لصبوح، في مجلس شكيل ظريف، بين ندامي وقيان، وعلى ميادين من التور والبنفسج والترجس ومنضود من أمثال ذلك، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفرش ومختار الآلات، ورقة الخدم، أن يعدل بذلك عما يشبهه من الكلام السبّط^(١) الرقيق الذي يفهمه كل من حضر، إلى جعد الكلام وخشبه، وإلى وصف البيد والمهامي والظلي والظليم^(٢) والناقة والجمل والديار والقفار والمنازل الخالية المهجورة؛ ولا إذا عدل عن ذلك وأحسن قيل له شيء، ولا أن يُعَمَّط حقه كله إذا أحسن الكثير وتوسَّط في البعض وقصر في اليسير، ويُنسب إلى التقصير في الجميع، لنشر المقابح وطَي المحاسن. فلو شاء أن يفعل هذا كل أحد بمن تقدم لوجد مساعاً. ولو أن قاتلاً أراد الطعن على صدور الشعراء، لقد رأى أن يطعن على الأعشى - / وهو أحد من يقدمه الأوائل على سائر الشعراء - بقوله: «فأصاب حبة قلبه وطحاليها»^(٣). ويقول:

١٤١ / ويأمر لليخوم^(٤) كل عشيّة بقت وتعليق فقد كاد يسبق

(١) السبّط: السهل المرسل. والجعد: المعقد.

(٢) الظليم: ذكر النعام.

(٣) الميب في هذا ورود كلمة الطحال فيه وهي مما يأبأها الذوق. وقد ورد كلام فيه في هذا الجزء (ص ٨١ - ٨٢) فراجع.

(٤) كذا في «لسان العرب» وكتاب «نسب الخيل» لابن الكلبي وكتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة. واليخوم: اسم فرسه. والقت: حب بري. والتعليق: ما تعلفه الدابة من شعر ونحوه. ويسبق: يأكل حتى يصيبه كالشم. وقد ورد هذا البيت في ب، من هكذا:

وقد كان يأمرهمو كل ليلة بقت وتعليق فقد كاد يسبق وفي الأصول المخطوطة:

وقد كان يأمرهمو في كل ليلة بقت وتعليق فقد كاد يسبق

وهما تحريف وعيب هذا البيت أنه مدح به ملك الحيرة وهو لا يمدح به رجل من خساس الجنود؛ لأنه ليس من أحد له فرس إلا وهو يعلفه قنأ ويقضمه شعيراً. وهذا مديح كالهجاء. وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: «ولست أرى هذا عيباً؛ لأن الملوك تعد فرساً على أقرب الأبواب من مجالسها بسرجه ولجامه خوفاً من عدو ينجوها أو أمر ينزل أو حاجة تعرض لقلب الملك فيريد البدار، فلا يحتاج إلى أن يتلوّم على إسراج فرسه وإلجامه. وإذا كان واقفاً غدى وعشى. فوضع الأعشى هذا المعنى ودل به على ملكه وعلى حزمه». (راجع كتاب «الشعر والشعراء» صفحة ١٤١ - ١٤٢ طبع أوروبا).

وأشال لهذا كثيرة. وإنما على الإنسان أن يحفظ من الشيء أحسنه، ويُلغِي^(١) ما لم يستحسنه، فليس مأخوذاً به. ولكن أقواماً أرادوا أن يرفعوا أنفسهم الوضيعة، ويشيدوا بذكرهم الخامل، ويغلُّوا أقدارهم الساقطة بالطنن على أهل الفضل والقَدَح فيهم، فلا يزدادون بذلك إلا ضعةً، ولا يزداد الآخِرُ إلا ارتفاعاً. ألا ترى إلى ابن المعتز قد قُتِلَ أسوأ قِتْلَةٍ، ودَرَجَ فلم يبقَ له خَلْفٌ يقرظه ولا عَقِبٌ يرفع منه، وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحسن أخباره وتصرفه في كلِّ فنٍّ من العلوم إلا رفعةً / وعُلُوًّا. ولا نُظِرَ إلى أضداده كلِّما أزدادوا في طعنه^(٢/١٠) وتقريب أنفسهم وأسلافهم الذين كانوا مثلهم في ثلِّبهِ والطننِ عليه، زادوها سقوطاً وضعةً، وكلِّما وصفوا أشعارهم وقرظوا آدابهم، زادوا بها ثِقَلًا ومقتاً. فإذا وقع عليهم المُحَصِّلُ الموافق، عدلوا عن ثلِّبهِ في الآداب، إلى التشنيع عليه بأمر الدين وهجاء آل أبي طالب، وهم أوَّل من فعل ذلك وشنَّع به على آل أبي طالب عند المُكْتَفِي حتى نهاهم عنه، فعدلوا عن عيب أنفسهم بذلك إلى عيبه، وأرتكبوا أكثر منه. وأنا أذكر ذلك بعقب أخبار عبدالله، مُصَرِّحاً به على شرح إن شاء الله تعالى.

علمه بصناعة الموسيقى:

وكان عبدالله حسن العلم بصناعة الموسيقى، والكلام على النغم وعِلَلِها. وله في ذلك وفي غيره من الآداب كتبٌ مشهورة، ومراسلاتٌ جرَّت بينه وبين عبيدالله بن عبدالله بن طاهر وبين بني حمدون، وغيرهم، تدلُّ على فضله وغزارة علمه وأدبه.

كتاب عبيدالله بن عبدالله بن طاهر له وقد بعث إليه برسالة إلى ابن حمدون:

ولقد قرأت بخطَّ عبيدالله بن عبدالله بن طاهر رُفْعَةً إليه بخطه، وقد بعث إليه برسالة إلى ابن حمدون في أنه يجوز ولا يُنكر أن يغيِّر الإنسان بعضَ نغم الغناء القديم، ويعدلَ بها إلى ما يحسن في خلقه ومذهبه. وهي رسالةٌ طويلة، وشاوره فيها. فكتب إليه عبيدالله: «قرأت - أيديك الله - الرسالة الفاضلة البارعة الموفقة. فأنا والله أقرؤها إلى آخرها، ثم أعود إلى أولها مبتهجاً، وأنامل وأدعو مبتهلاً، وعينُ الله التي لا تنام عليك وعلى نعمه عندك. فإنها - علم الله - النعمة المعدومة المثل. ولقد تمثلت وأنا أكرِّر نظري فيها قول القائل في سيدنا وأبن سيدنا عبدالله بن العباس:

كفَى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ وَلَمْ يَدَعْ لذي إزبةٍ فسي القُولِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا

ولا والله ما رأيتُ جِدًّا في هَزَلٍ، ولا هَزْلًا في جِدٍّ يُشبه هذا الكلام في بلاغته وفصاحته وبيانه وإنارة برهانه وجزالة ألفاظه. ولقد خُيِّلَ إليَّ أن لسان جَدِّكَ / العباس عليه السلام ينقسم على أجزاء، فلك - أعزَّكَ الله -^(٢/١٠) نصفها، والنصف الآخر مقسوم بين أبي جعفر المنصور والمأمون رحمة الله عليهما. ولو أنَّ هذه الرسالة جَهِتَ الإبراهيميَّين إبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وأبنته إسحاق وهم مجتمعون لبُهِتَ منهم الناظر، وأُخْرِسَ الناطق، ولأقرؤوا لك بالفضل في السَّبْق، وظهور حُجَّةِ الصُّدُق، ثم كان قولُك لهم فَرَقًا بين الحقِّ والباطل، والخطأ والصواب. والله ما تأخذ في فنٍّ من الفنون، إلا بَرَزَتْ فيه تَبَرُّيزُ الجواد الرائع، المُغَبِّر في وجه كلِّ حِصان تابع. عَضَّدَ الله الشرفَ ببقائك، وأحيا الأدبَ / بحياتك، وجَمَّلَ الدنيا وأهلها بطول عمرك».

١٤٢
٩

هذا كلام العقلاء وذوي الفضل في مثله، لا كلام الثقلاء وذوي الجهل. والإطالة في هذا المعنى مُسْتَعْنَى عنها.

(١) كذا في 'الأصول'. ويحتمل أن يكون: 'يلقى' بالقاف.

والمشهور عنه وعن أصداده وما يأتي من أخباره بعد ذلك ففي معنى ما تشرطته من جنس ما هو المقصود في كتابي هذا.
أصوات له في أشعار مختلفة:

فمن صنعة عبدالله بن المعتز في شعره على أن أكثرها هذه سبيله فيها:

صوت

هل ترجعن ليالٍ قد مضين لنا والدار جامعة أزمان أزماناً^(١)
صنعت في بيت واحد، ولحنه ثقيل أول.

/ ومن صنعة في الثقيل الأول أيضاً - وفيه لعلويه رمل قديم، وما لحنه بدون لحن علويه :- [٢٧٨/١٠]

صوت

سقى جانب القصرين فالدير فالحمى إلى الشجر المحفوف بالطين والمدن^(٢)
ومن صنعة الظريفة^(٣) الشكلة مع جودتها:

صوت

وابلائي من مخضّر ومغيب وحييب منسي بعيد قريب
لم ترد ماء وجهه العين إلا شرقت قبل ريهها برقيب

زارته زرياب في يوم الشمانين وغناها:

خفيف ثقيل، ابتداؤه نشيد.

ومن صنعة، وله خبر أخبرني به علي بن هارون بن المنجم عن زرياب قالت: زرت عبدالله بن المعتز في يوم^(٤) السّمانين، فسّر بورودي وصنع من وقته لحناً في شعر عبدالله بن العباس الرّبيعي الذي له فيه هزج وهو:

(١) يقول: هل تعود ليال لنا مضت أزمان أزمان والدار جامعة أسباب سرورنا ولهونا. وأزمان أزمان يراد به أزمان لهونا وأزمان سرورنا أو نحو ذلك مما يضاف إليه أزمان ويناسب المقام. ومثل هذا التركيب مما يجب فيه البناء على فتح الجزأين كالمركب المزجى. وكل ما ركب تركيب المزج من الظروف زمانية كانت أو مكانية يجب بناؤه، مثل قولك فلان يأتينا صباح مساء أي كل صباح ومساء، فحذف العاطف وركب الظرفان قصداً للتخفيف تركيب خمسة عشر. قال الشاعر:

ومن لا يصرف الواسين عنه صباح مساء يغفوه خيالاً
وتقول: فلان يأتينا يوم أي يوماً فيوماً؛ قال الشاعر:

أت الرزق يوم يوم فأجمل طلباً وابغ للقيامه زادا
ومثال ما ركب من ظروف المكان قولهم: سهلت الهمزة بين بين؛ ومنه قول الشاعر:

نحمني حقيقتنا وبعض القوم يسقط بين بينا

والأصل بين هؤلاء وبين هؤلاء. (راجع شرح «شذور الذهب في معرفة كلام العرب» لابن هشام الأنصاري طبع بلاق سنة ١٢٨٢ ص ٣٠، ٣١). وقد ورد هذا البيت في الأصول: «أزمان أزمان» والنون عارية من الشكل، وليس فيها ألف الإطلاق. ورجعنا إلى «ديوانه» المطبوع فلم نجد فيه هذا البيت.

(٢) المدر: التراب المتبلد، أو هو قطع الطين اليابس.

(٣) كذا في ح. وفي ب، س: «الظريفة الشكل». وفي أ، م: «الظريفة الشكل».

(٤) في «لسان العرب» (في مادة سمن): «قال ابن الأثير: هو عيد لهم معروف قبل عيدهم الكبير بأسبوع، وهو سرياني، معرب. وقيل: =

نصوص

٢٧٩/١٠]

/ أنا في قلبي من الظبي كلوم / فدع اللوم فإن اللوم لوم^(١)

حبذا يوم السعانيين وما / نلت فيه من سرور لو يدوم

الشعر لعبدالله بن العباس، ولحنه فيه هزج - قالت: فصنع عبدالله بن المعتز في البيت الثاني، وبعده بيت أضافه إليه، هزجاً وهو:

زارني مولاي فيه ساعة / ليتك والله ما عشت يقيم

ولحن ابن المعتز في «حبذا يوم السعانيين» هذا البيت خفيف رمل، وهو من نهايات الأغاني التي صنعها. ومن صنعه التي تطارف^(٢) فيها وملح:

زاحم كمي كمي فالتويا / وافق قلبي قلبه فاستويا

وطالما ذاقا الهوى فاكثويا / يا قرة العين يا همي ويا

أراد هنا بقوله «ويا» ما يقوله الناس في حكاية الشيء الذي يخاطبون به الإنسان من جميل أو قبيح، فيقولون: قلت له يا سيدي ويا مولاي ويا ويا، وكذلك ضده ليستغنى بالإشارة بهذا النداء عن الشرح. ولحن ابن المعتز في هذا هزج.

٨٠/١٠]

/ خرجت عليه نشر في صورة جميلة فقال فيها شعراً على البديهة:

حدثني جعفر بن قدامة قال:

كنا عند ابن المعتز يوماً وعنده نشر وكان يحبها ويهيم بها، فخرجت علينا من

صدر البستان / في زمن الربيع، وعليها غلالة معصفرة وفي يديها جنابي^(٣) باكورة^{١٤٣}

= هو جمع واحد سعون اهـ. والمشهور فيه «الشعانيين» بالشين المعجمة؛ فقد ورد في «صبح الأعيان» (ج ٢ ص ٤١٥) في كلامه على أعياد القبط: «الثاني - الزيتونة، وهو عيد الشعانيين، وتفسيره بالعربية التسييح، يعملونه في سابع أحد من صومهم. وستهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة، وهو يوم ركوب المسيح لليعفور (وهو الحمام) في القدس ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبحون بين يديه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر» اهـ.

(١) لوم: مخفف لوم بالهمز.

(٢) في ب، س: «تظافر»، وفي سائر الأصول: «تضافر». وظاهر أن كليهما تحريف.

(٣) كتب المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا عن هذه الكلمة فيما كتبه عن لعب العرب في العدد الأول من المجلة السلفية (السنة الثانية ص ٣٤) شرحاً لهذه اللعبة رأينا أن ننقله كله لما حواه من قيمة علمية كعادة الباشا عليه الرحمة والرضوان فيما يكتبه. قال:

«الجنابي - في «القاموس»: «والجناباء» (بفتح أوله وثانيه) وكسماني (بضم أوله وفتح ثانيه) لعبة للصبيان». وفي «اللسان»: «الجناباء والجنابي لعبة للصبيان يتجانب الغلامان فيعتصم كل واحد من الآخر» ونحوه في «المخصص».

وبعد أن نقل هذه العبارة عن «الأغاني» و «معاهد التنصيص» قال: «قلنا قوله «جنابي» باقلاء يظهر أنه شيء كالسلة ولم نثر عليه في اللغة، ولعله مولد سمي بذلك لأنه يحمل في الجنب. والمفهوم من القصة أنه بتشديد النون لأن الجارية أرادت بقولها التجنيس باسم اللعبة، وهو وارد بالتشديد في شعر ابن المعتز كما ترى وإليه مال شارح «القاموس». وعبارته: «والجناباء بالمد والجنابي كسماني مخففاً مقصوراً هكذا في النسخ التي رأيناها وفي «لسان العرب» بالضم وتشديد النون. ويدل على ذلك أن المؤلف ضبط سماني بالتشديد في (س م ن) فليكن هذا الأصح، ثم أنه في بعض النسخ بالمد في الثاني وكذا في «لسان العرب» أيضاً، والذي قيده الصاغاني بالضم والتخفيف ككسالي». انتهى وتبعه مصححه بأنه سهر منه لأن المؤلف إنما ضبط سماني في (س م ن) بوزن حباري اهـ. ونقول: السهو من الشارح في تعيين المادة وكأنه يريد مادة (ح و ر) لقول المؤلف فيها «وأحمد بن أبي الحواري كسكاري، وكسماني أبو القاسم الحواري، الزاهدان معروفان» وقد ناقشه فيها هناك ولا يبعد أن يكون قوله وكسماني حرفه النسخ عن =

باقلاً^(١). فقالت له: يا سيدي تلعبُ معي جنابِي؟ فالتفتَ إلينا وقال على بديهة غير متوقِّفٍ ولا مفكِّرٍ:

[٢٨١/١] / فذَيْتُ مَنْ مَرَّ يَمْشِي فِي مَعْصَفَةٍ عَشِيَّةً فَسَقَانَسِي ثُمَّ حَيَّانِي
وقال تلعبُ جنابِي فقلت له مَنْ جاد^(٢) بالوصل لم يلعب بهجران
وأمر فُعَيْي فيه. عَنَّتْ فيما أرى فيه هَزَارُ لَحْنًا، وهو رَمَلٌ مُطْلَقٌ.

جدر خادمه نشوان فجزع عليه ثم عوفي فسرَّ وقال شعراً:

حدَّثني جعفر قال:

كان لعبدالله بن المعتمر غلامٌ يحبُّه، وكان يغني غناءً صالحاً، يقال له «نشوان». فجدر وجزع عبدالله لذلك جزعاً شديداً، ثم عوفي ولم يؤثر الجدرِي في وجهه أثراً قبيحاً. فدخلتُ إليه ذاتَ يوم فقال لي: يا أبا القاسم، قد عوفي فلانٌ بعدك، وخرج أحسنَ مما كان، وقلتُ فيه بيتين وعَنَّتْ زِيَابُ فيهما رَمَلًا ظريفاً، فأسمعهما إنشاداً إلى أن تسمعهما غناءً. فقلت: يتفضل الأمير، أيده الله تعالى، بإنشادي إياهما. فأنشدني:

لي قمرٌ جَدَّرَ لَمَّا أَسْتَوَى فزاده حُسْنًا فزادت هموم
أظنُّه غَنَّى لشمس الضُّحَى فنَقَطْته طَرِباً بالنجوم
فقلت: أحسنتَ والله أيها الأمير. فقال لي: لو سمعته من زِيَابٍ كنتُ أشدَّ استحساناً له. وخرجتُ زِيَابُ فغنَّته لنا في طريقة الرَّمَلِ في أحسن غناء، فشربنا عليه عاتمة يومنا.

غضب عليه غلامه نشوان فقال شعراً يترضاه به:

حدَّثني جعفر قال:

غضب هذا الغلام على عبدالله بن المعتمر؛ فجهَّد في أن يترضاه، فلم تكن له فيه حيلة. فدخلتُ إليه فأنشدني فيه:

بأبِي أنْتَ قَد تَمَّا دَيْتَ فِي الْهَجْرِ وَالْغَضَبِ
/ وَأَصْطَبَارِي عَلَى صَدُو دِكَ يَوْمًا مِنَ الْعَجَبِ
لَيْسَ لِي إِنْ فَقَدْتُ وَجْهَ هَكَ فِي الْعَيْشِ مِنْ أَرْبِ
رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعَا نَ عَلَى الصِّلَحِ وَاحْتَسَبِ

قال: فمضيتُ إلى الغلام؛ ولم أزل أداريه وارْفُقُ به حتى ترَضَّيته وجئتُ به، فمرَّ لنا يومئذٍ أطيبُ يومٍ

= (وكشقاري) كما نبه عليه المصحح على حاشية هذه المادة في نسخة «القاموس» المطبوعة ببلال سنة ١٣٠٣. بقي قول شارح «القاموس» إن (الجنابي) وردت بتشديد النون وبالمدة أيضاً في «لسان العرب». ولعلها وردت كذلك طة بالقلم في النسخة التي كانت عنده؛ فإن النسخة التي بأيدينا ليس فيها إلا ما ذكرناه. وبعد، فتشديد هذه القطة في البيت إما أن يكون عن لغة فيها محكية اطلع عليها ابن المعتمر أو عن خطأ شاع بين المولدين فجرت به السنة الشعراء. والله أعلم اهـ.

(١) في «معاهد التنصيص» طبع بلاق سنة ١٢٧٤ ص ١٩٤: «جنابي من ياكورة باقلاء».

(٢) في «معاهد التنصيص»: «من جد» وهي رواية جيدة.

وأحسنه، وغثتنا هزأً في هذا الشعر رَمَلًا عجيباً.

زار في حدائته أبا عيسى بن المتوكل وأنشده من شعره في كره البنات فمدحه:

أخبرني الحسين بن القاسم الكاتب قال حدثني إبراهيم بن خليل الهاشمي قال:

دخلت يوماً إلى أبي عيسى بن المتوكل، فوجدتُ عبدالله بن المعتز وقد جاءه مُسَلِّماً، وسِئُهُ يومئذٍ دون عشرين سنة، إذ دخل عليّ^(١) بن محمد بن أبي الشَّوَّارِبِ القاضي، فأكرمه أبو عيسى ونَهَضَ إليه. فلما أَسْتَقَرَّ به المجلس قال لأبي عيسى: قد احتجتُ إلى مَعُونَتِكَ في أمر دُفِعْتُ إليه لم أَسْتَغْنِ فيه عن تَكْلِيْفِكَ المَعَاوَنَةِ. قال: وما هو؟ قال: زَوَّجْتُ بنتاً من بناتنا رجلاً من أهلنا، فخرج عن مَذاهَبِنا، وأساء عِشْرَةَ أهله، وجعل منزل عيسى بن هارون أَكْثَرَ مَظَانِّه وأوطانه، ويهددنا ويُوْعِدُنَا بِشَرِّه، حتى لقد نالنا من عيسى بَسْطَ لِيَدِهِ ولسانه فينا بالقبيح والقول السيئ، وكثرة معاوَنته له على ما يُزِرِّي بدينه ونسبه. وقد تَوَعَّدُنَا بأنه يَكْشِفُ وجهه لنا في معاوَنَةِ صِهْرِنَا هذا الغاوي علينا. ولولا نسبه الذي فخره لنا وعاره علينا، لانتصفنا منه بالحق دون التعدي، إلَّا أَنِّي أَسْتَعِيْذُكَ مِنْهُ. / فقال له أبو عيسى: أنا أُوْجِّهُ إليه بعد انصرافك، وأراسله بما أنا المتكفل بعده بالآل يعود إلى ١٤٤ عِشْرَتِهِ، / والضامن أن أُرْدَ^(٢) هذا الصُّهْرَ إلى حيث تحب ويقعُ بموافقتك. فشكره ودعا له وانصرف. فقال أبو ٢٨٣/١٠١ عيسى: أَلَا تَرَوْنَ إلى هذا الرجل التَّيْبَةَ الفاضل السَّريِّ الشريف يُدْفَعُ إلى مِثْلِ هذا! طُوبَى لِمَنْ لم تكن له بنت. فقال عبدالله بن المعتز: أيها الأمير إن لولدك في هذا المعنى شيئاً قاله وأستحسنه جماعة ممن يعلم ويقول الشعر. فقال: هاته فِدَاكَ عَمَّكَ. فأنشده لنفسه:

وَيَكْرِ قَلْتُ مَوْتِي قَبْلَ بَعْلِ وَإِنْ أَتَيْتَنِي وَعُدُّ مِنَ الصَّمِيمِ
أَلْمَزُجُ بِاللُّثَامِ دَمِي وَلَخِمِي فَمَا عَزَّرِي إِلَى النَّسَبِ الْكَرِيمِ

فقال له أبو عيسى: أَمْنَعَ اللهُ أَهْلَكَ بِقَائِكَ، وأحسن إليهم في زيادة إحسانه إليك، وجَمَّلَهُمْ بِكَمَالِ محاسنك، ولا أَرَانَا شَرًّا فَيْكَ.

كان يعمر داره ويبيضها وقال شعراً في ذلك:

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبدالله بن موسى الكاتب قال:

دخلت على عبدالله بن المعتز وفي داره طبقات من الصُّنَّاعِ، وهو يَبْنِي دَارَهُ وَيُبَيِّضُهَا. فقلت: ما هذه الغرامةُ الحادثة؟ فقال: ذلك السَّيْلُ الذي جاء مُذْ لِيَالٍ أَخَذْتُ فِي دَارِي مَا أَخَوَجَ إِلَى الْغَرَامَةِ وَالْكُلْفَةِ، وقال:

أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ وَأَحْزَانِهَا وَدَارٍ تَدَاعَى بِحِيطَانِهَا
أَظْلُ نَهَارِي فِي شَمْسِهَا شَقِيًّا مُعْتَلًى بِنِيَانِهَا
أَسْوَدُ وَجْهِي بِتَبْيِضِهَا وَأَهْلِي كَيْسِي بِعُمَرَانِهَا

(١) هو علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي البصري قاضي القضاة أبو الحسن. كان ولي القضاء بسر من رأى، وكان عالماً عفيفاً ثقة. توفي سنة ٢٨٣ هـ (عن «النجوم الزاهرة» ج ٣ ص ٩٧ طبع دار الكتب المصرية).

(٢) في ب، س: «وأنا الضامن إن أراد هذا الصهر إلا حيث» وهو تحريف.

خفف النُميري صلاته وأطال السجود بعدها فقال هو شعراً:

حدّثني جعفر بن قدامة قال:

كنت عند عبدالله بن المعتز ومعا النُميري، وحضرت الصلاة، فقام النُميري فصلى صلاة خفيفة جداً، ثم دعا بعد أنقضاء صلاته وسجد سجدة طويلة جداً، حتى استثقله جميع من حضر بسببها، وعبدالله ينظر إليه متعجباً ثم قال:

٢٨٤/١ / صلاتُك بين الـوَرَى نَقْرَةً / كما اختلس الجُرْعَةَ الـوَالِغُ
وتسجد من بعدها سجدة / كما ختم المِرْوَدُ^(١) الفارغُ

انقطعت عنه بنت الكراعة وكان يحبها فقال شعراً:

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدّثني عبيد^(٢) الله بن موسى الكاتب قال:

كانت بنت الكراعة تألف عبدالله بن المعتز، وكان يحب غناها ويستطرفها ويحبّها ويواصل إحضارها، ثم انقطعت عنه فقال:

ليت شعري بمن تشاغلتي بندي / وهو لا شك جاهلٌ مغرورُ
هكذا كنت مثله في سرورٍ / وغداً في الهموم مثلي يصيرُ

كان يحب جارية قبيحة الصورة فاعترض عليه النُميري فأجابه بشعر:

حدّثني جعفر بن قدامة قال:

كنا عند ابن المعتز يوماً ومعا النُميري، وعنده جارية لبعض بنات المغنين تغني، وكانت مُحسنة إلا أنها كانت في غاية من القبح، فجعل عبدالله يُجمّسها ويتعلّق بها. فلما قامت قال له النُميري: أيها الأمير، سألتك بالله أنتعشق هذه التي ما رأيت قط أقبح منها؟ فقال عبدالله هو يضحك:

١٤٥ / قلبِي وثَّابٌ إلَى ذَا ذَا / ليس يرى شيئاً فيأبأه
يَهيمُ بِالْحُسْنِ كما ينبغي / ويرحّم القُبْحَ فيهِ هَوَاهُ

راسل خزامي فتأخرت عنه فقال شعراً فأجابه:

أخبرنا الحسين بن القاسم قال حدّثني أبو الحسن الأمويّ قال حدّثني عبدالله بن المعتز قال:

كانت خُزّامي جارية الضبط المغني تُنادمني وأنا حَدَثٌ ثم تركت النبيذ. وكانت مُغنيّة مُحسنة شاعرة ظريفة. فراسلتها مراراً فتأخرت عني، فكتبْتُ إليها:

رأيتُك قد أظهرت زهداً وتوبةً / فقد سُمِجَتْ من بعد توبتكِ الخمرُ
فأهديتُ وزداً كي يُذكّر عيشةً / لمن لم يُمتنعنا بيهجتها السدّهرُ

(١) المزود: وعاء الزاد.

(٢) كذا في جميع الأصول هنا. وتقدم في الصفحة الماضية: «عبدالله بن موسى» وذلك أيضاً باتفاق الأصول.

/ فأجابت:

أتاني قريضٌ يا أميري مُحَبَّرٌ حَكَى لِي نَظْمَ الدُّرِّ فَصَّلَ بِالشَّذْرِ^(١)
 أنكرت يا ابن الأكرمين إنابتي وقد أفصحت لي ألسن الدهر بالزجر
 وأذنسي شَرخُ الشَّبَابِ بَيْنَهُ فيا ليت شعري بعد ذلك ما عُذري

شعره في موسم الربيع:

حدثني جعفر بن قدامة قال:

كنت أشرح مع عبدالله بن المعتز في يومٍ من أيام الربيع بالعباسية^(٢) والدنيا كالجنة المَرْخَرَفَةِ. فقال

عبدالله:

حَبَّ—آذَارُ شَهْرًا فيه للثَّورِ أَنْشَارُ
 يَنْقُصُ اللَّيْلُ إِذَا جَا ويمتدُّ النَهَارُ
 وعلَى الأرضِ أَخْضَرَارُ وأصفى رَارًا وأحمَرَارُ
 فكأنَّ السَّرَّوْضَ وَثِييَ بالغثِ فيه الثَّجَارُ
 نَفْثُهُ آسٌ وَنِسْرِي^(٣) نِ وَوَزْدٌ وَبَهَارُ^(٤)

هنا عبيدالله بن عبدالله بن طاهر بولاية ابنه محمد شرطة بغداد:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال:

كتب عبدالله بن المعتز إلى عبيد الله بن عبدالله بن طاهر وقد استخلف مؤنس^(٥) ابنه محمد بن عبيد الله على

الشرطة ببغداد:

/ فَرِحْتُ بِمَا أضعافُهُ دُونَ قَدْرِكُمْ وقلتُ عسى قَدَهِبٌ مِنْ نومه الدُّهْرُ
 فترجّعَ فينا دولةٌ طَاهِرِيَّةٌ كما بدأتُ، والأمرُ مِنْ بعده الأمرُ
 عسى الله، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ ولا بَدءٌ مِنْ يُسْرِ إِذَا مَا أَنتهى العُسْرُ
 فكتبَ إليه عبيدالله قصيدةً منها:

ونحسن إذا ما نالنا مَسٌّ جَفْوَةٌ فَمِنَّا على لَأَوَائِهَا الصَّبْرُ والعُذْرُ
 وإن رجعتْ مِنْ نعمة الله دولةٌ إلينا فَمِنَّا عندها الحمدُ والشكرُ

(١) الشذر: خرز تفصل به الجواهر في النظم.

(٢) العباسية: محلة كانت ببغداد منسوبة إلى العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس.

(٣) النسرين: ورد أبيض عطري قوي الرائحة. فارسي معرب.

(٤) البهار: ثبت طيب الريح جعل له فقاحة صفراء ينبت أيام الربيع.

(٥) مؤنس: هو مؤنس الخادم. وكان يلقب بالمظفر لما عظم أمره. وكان شجاعاً مقداماً فاتكاً مهيباً. عاش تسعين سنة منها ستون سنة

أميراً. وكان قد أبغده المعتضد إلى مكة. ولما بويع المقتدر بالخلافة أحضره وقرّبه وفوض إليه الأمور. قتل سنة ٣٢١ هـ (انظر

«التجوم الزاهرة» ج ٣ ص ٢٣٩).

انقطع عنه محمد هذا مدة طويلة فكتب له شعراً يعاتبه:

قال: وجاءه محمد بن عبيد الله بعقب هذا شاكراً لتهنته، ثم لم يعد إليه مدة طويلة. فكتب إليه عبد الله بن المعتز:

قد جئنا مرة ولم تعد
لست أرى واجداً بنا عوصاً
ناولني جمل وصلبه ييد
فلم يكن بين ذا وذا أمداً
ولم تزر بعدهما ولم تعد
فأطلب وجرب واستقص وأجتهد
وهجره جاذباً له ييد
إلا كما بين ليلة وغداً

أبيات من معلقة زهير وشرحها:

القصود

١٤٦
٩

أمن^(١) أم أوفى دمنة لم تكلم
بها العين والآرام يمشين خلفاً
وقفت بها من بعد عشرين حجة
/ فلما عرفت الدار قلت لربيعها
ومن ينص أطراف الزجاج فإنه
يطيع العوالي ركبت كل لهذم
ومن هاب أسباب المنية يلقها
ولو رام أسباب السماء بسلم

[٢٨٧/١٠]

عروضه من الطويل. الحومانة، فيما ذكر الأصمعي، الأرض الغليظة، وجمعها حوامين. وقال غيره: الحومانة: ما كان دون الرمل. والدراج والمتلم. موضعان. وروى أبو عمرو عن بعض ولد زهير «الدراج» مضمومة الدال. والعين: البقر. والآرام^(٢) تسكن الجبال. خلفاً: يذهب فوج ويحيى فوج يخلفه مكانه. ويؤوى: مخيم ومخيم. فمن قال مخيم قال: جثم يجثم جثوماً، ومن قال مخيم قال: جثم يجثم جثماً، واللائي: البطء. الزجاج: جمع زج. قال: وأصله أن القوم كانوا إذا أرادوا صلحاً قلبوا زجاج الرماح إلى فوق، فإن أبوا إلا الحرب قلبوا الأسنة. واللهذم: السنن المحدد؛ يقال رمح لهذم وسنان لهذم: حاد. وأم أوفى: امرأة كانت لزهير فطلقها. وله في ذلك خبر يذكر بعد هذا.

الشعر لزهير بن أبي سلمى. والغناء للغريض، ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق في الأول والثاني من الأبيات. وفيها لبذل الكبيرة ثقيل أول بالبصر. ولعلويه في الثالث والرابع ثقيل أول. ولإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى في الخامس والسادس. وفيهما ثقيل أول يقال إنه ليزيد حوراء:

(١) أمن أم أوفى: يريد أمن منازل أم أوفى.

(٢) الأطلاء: جمع طلاء وهو ولد البقرة والظبية الصغير. وقوله ينهض: يعني أنهم ينمن أولادهن إذا أرضعن ثم يرعين، فإذا ظنن أولادهن قد أنفدن ما في أجوافهن من اللبن صوتن بأولادهن فينهضن من مجاثمهن للأصوات ليرضعن. (عن شرح «ديوان زهير» للأعلم الشتمري).

(٣) الآرام من الطباء: البيض الخالصة البياض، كما قال ذلك الأصمعي وأبو زيد. وفي «اللسان» أنها تسكن الرمال.

[٢٨٨/١٠]

١. نَسَبُ زُهَيْرٍ وَأَخْبَارُهُ

نسبه:

هو زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَمَى^(١). وأَسْمُ أَبِي سُلَمَى رَبِيعَةُ^(٢) بن رِيَّاحِ بن قُرَّةَ بن الْحَارِثِ بن مَازِنِ بن ثَعْلَبَةَ بن ثُورِ بن هَزْمَةَ بن الْأَصَمِّ بن عَثْمَانَ بن^(٣) عمرو بن أَدَّ بن طَابِخَةَ بن إِيَّاسَ بن مُضَرَ بن نِزَارٍ. وَمُزَيْنَةُ أُمُّ عمرو بن أَدَّ هي بنت كلب بن وبرة.

هو أحد الثلاثة المُقَدَّمِينَ على سائر الشعراء:

وهو أَحَدُ الثلاثة المُقَدَّمِينَ على سائر الشعراء، وإنما اُخْتُلِفَ في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه. فأمَّا الثلاثة فلا اُخْتِلَافَ فيهم، وهم امرؤ القيس وزُهَيْرُ والتَّائِبَةُ الدُّبَيَّانِي.

قال جرير هو شاعر الجاهلية:

أخبرني أبو خَلِيفَةَ عن مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ عن أَبِي قَيْسٍ عن عِكْرِمَةَ بن جَرِيرٍ عن أَبِيهِ قَالَ: شَاعَرُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ زُهَيْرٌ.

قال عمر لابن عباس إنه شاعر الشعراء:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّهٍ قَالَ حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ سُؤَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَزِيدَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ [عن ابن عباس]^(٤) قَالَ:

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَيْلَةَ مَسِيرِهِ إِلَى الْجَابِيَةِ^(٥): أَيْنَ ابْنُ عَبَّاسٍ؟ فَأْتَيْتُهُ^(٦)؛ فَشَكَا تَخَلُّفَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَقُلْتُ^(٦): أَوَلَمْ يَعْذِرْ إِلَيْكَ؟ قَالَ بَلَى، / قُلْتُ: فَهُوَ مَا اعْتَذَرَ بِهِ. ثُمَّ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ رِيَّكُمْ [٢٨٩/١٠] عَنْ هَذَا الْأَمْرِ أَبُو بَكْرٍ. إِنَّ قَوْمَكُمْ كَرِهُوا أَنْ يَجْمَعُوا لَكُمْ الْخِلَافَةَ وَالنَّبُوَّةَ - ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ طَوِيلَةً لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْبَابِ

(١) سلمى بضم السين. وليس في العرب سلمى بضم السين غيره.

(٢) في «شرح التبريزي على المعلقة»: «... ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن برد بن لاطم (وفي هامش نسخة مخطوطة للزوزني محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٧ أدب م «الأطم») بن عثمان بن مزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر». وفي «طبقات الشعراء» لابن سلام: «... ربيعة بن رياح بن قوط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هزيمة بن لام بن عثمان بن مزينة».

(٣) في حـ «ابن عثمان وهو عمرو إلخ».

(٤) تكملة في السند يقتضيها سياق الخبر.

(٥) الجابية: قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الحولان قرب مرج الصفر في شمال حوران. ويقال لها جابية الحولان أيضاً. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

(٦) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «فأتاه... فقال...».

فتركها^(١) أنا - ثم قال: هل تروني لشاعر الشعراء؟ قلت: ومن هو؟ قال: الذي يقول:

١٤٧ / ولو أن حمداً يُخلدُ الناسَ أُخلدوا / ولكنَّ حمداً الناسَ ليس بمُخلدٍ

قلت: ذاك زهير. قال: فذاك شاعر الشعراء. قلت: وبم كان شاعر الشعراء؟ قال: لأنه كان لا يعاظم في الكلام وكان يتجنب وخشي الشعر، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه. قال الأصمعي: يعاظم بين الكلام: يداخل فيه^(٢). ويقال: يتبع حوشي الكلام، وخشي الكلام، والمعنى واحد.

كان قدامة بن موسى يقدمه على سائر الشعراء:

أخبرنا أبو خليفة قال قال ابن سلام وأخبرني عمر بن موسى الجُمحي عن أخيه قدامة بن موسى - وكان من أهل العلم - أنه كان يقدم زهيراً. قلت: فأني شيء كان أعجب إليه؟ قال: الذي يقول فيه:

قد جعل المبتغون الخير من هريم / والسائلون إلى أبوابه طرُقاً

قال جرير هو أشعر أهل الجاهلية:

قال ابن سلام وأخبرني أبو قيس العنبري - ولم أر بدويّاً بقي به - عن عكرمة بن جرير قال:

قلت لأبي: يا أبت من أشعر الناس؟ قال: أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام؟ قلت: ما أردت إلا الإسلام. فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها. قال: زهير أشعر أهلها. قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق نبع الشعر. / قلت: فالأخطل؟ قال: يُجيد مدح الملوك ويصيب وصف الخمر. قلت: فما تركت لنفسك؟ قال: نَحَرْتُ الشعر نَحْراً.

قال عنه الأحنف بن قيس هو أشعر الشعراء:

أخبرني الحسن بن علي قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني عن عيسى بن يزيد قال:

سأل معاوية الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء، فقال: زهير. قال: وكيف؟ قال: ألقى عن المادحين فضول الكلام. قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قوله:

فمايك من خير أتوه فإنما / توارثه آباء آبائهم قبل

مدح عمر بن الخطاب شعره وروى منه:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبدالله بن عمرو القيسي قال حدثنا خارجة بن عبدالله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن عبدالله بن أبي سفيان عن أبيه عن ابن عباس، قال: وحدثني غيره وهو أتم من حديثه، قال قال ابن عباس:

خرجت مع عمر في أول غزاة غزاها. فقال لي ذات ليلة: يا بن عباس أنشدني لشاعر الشعراء. قلت: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: ابن أبي سلمى. قلت: وبم صار كذلك؟ قال: لأنه لا يتبع حوشي الكلام، ولا يعاظم

(١) ذكرت هذه القصة مفصلة في الطبري ق ١ ص ٢٧٦٨ - ٢٧٧١ فراجع.

(٢) يعاظم الكلام: يحمل بعضه على بعض ويتكلم بالرجوع من القول ويكرر اللفظ والمعنى. أو يعقده ويوالي بعضه على بعض. وكل شيء ركب شيئاً فقد عاظمه. («اللسان» في مادة عاظم).

من^(١) المنطق، ولا يقول إلا ما يعرف، ولا يمتدح الرجل إلا بما يكون فيه. أليس الذي يقول:

إذا أبدرت^(٢) قيس بن عيلان غاية
سبقت إليها كل طلق^(٣) مبرز
من المجد من يسبق إليها يسود
سبوق إلى الغايات غير مزيّد
كفعل جواد يسبق الخيل عفوّه الـ
سراع^(٤) وإن يجهّد ويجهّدن يبعد
ولو كان حمداً يخلد الناس لم تمث
ولكن حمداً الناس ليس بمخلد

[٢٩١/١٠]

أنشدني له، فأنشدته حتى برق الفجر. فقال: حسبك الآن، اقرأ القرآن. قلت: وما أقرأ؟ قال: اقرأ الواقعة، فقرأتها ونزل فأذن وصلى.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال أخبرنا أبو عبيدة عن عيسى بن يزيد بن بكر قال قال ابن عباس: خرجت مع عمر، ثم ذكر الحديث نحو هذا.

استماذ منه النبي ﷺ فما قال شعراً حتى مات:

وجدت في بعض الكتب عن عبدالله / بن شبيب عن الزبير بن بكار عن حميد بن محمد بن عبدالعزيز^{١٤٨} الزهري عن أخيه إبراهيم بن محمد يرفعه:

أن رسول الله ﷺ نظر إلى زهير بن أبي سلمى وله مائة سنة فقال: «اللهم أعطني من شيطانه» فما لأك بيتاً حتى مات.

خرج أبوه أبو سلمى مع خاله وابن خاله لغزو طيء فمناه حق في المغنم، وشعره في ذلك: قال ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني:

كان من حديث زهير وأهل بيته أنهم كانوا من مزيّنة، وكان بنو عبدالله بن غطفان جيرانهم، وقديماً ولدتهم بنو مرة. وكان من أمر أبي سلمى أنه خرج وخاله أسعد بن العدي بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وأبنته كعب / بن أسعد في ناس من بني مرة يغيرون على طيء، فأصابوا نعمة كثيرة وأموالاً فرجعوا حتى انتهوا^[٢٩٢/١٠] إلى أرضهم. فقال أبو سلمى لخاله أسعد وأبن خاله كعب: أفردا لي سهمي، فأبى عليه ومنعه حقه، فكف عنهما؛ حتى إذا كان الليل أتى أمه فقال: والذي أحلف به لتقومن إلى بعير من هذه الإبل فلتقعدن عليه أو لأضربن بسيفي تحت قرطبك. فقامت أمه إلى بعير منها فأعتقت سنانه، وساق بها أبو سلمى وهو يرتجز ويقول:

(١) الذي تقدّم في الصفحة السابقة: «يعاظم في الكلام». والذي في «اللسان» وشرح «القاموس» في استعمالات هذه المادة أنه يتعدى بنفسه، يقال عاظم الكلام كما يقال عاظم فيه وبيته.

(٢) يقول: إذا تسابقت قيس بن عيلان لإدراك غاية من المجد تسود من سبق إليها كنت السابق إليها. وقيس بن عيلان: قبيلة. (راجع الجزء السادس من «الأغاني» حاشية رقم ١ ص ١ من هذه الطبعة).

(٣) يقال: رجل طلق اليمين إذا كان معطاء. وظاهر أنه يريد أن يصف الجواد بأنه ماض بجود بما عنده من العدو. والمبرز: الذي سبق الناس إلى الكرم والخير. والمزند هنا: البخل أو اللثيم. ويروى: «غير مجلد» أي ينتهي إلى الغايات من غير أن يجلد ويضرب.

(٤) في الأصول: «فيسرع». والتصويب عن «الديوان» بشرح الأعلام، ورواية البيت فيه.

كفعل جواد الخيل يسبق عفوّه الـ سراع وإن يجهّدن يجهّد ويعبد

وَيُلْ لأجمالِ العجوزِ مَنِّي إذا ذُنُوتُ ودُنُونُ مَنِّي

* كَأَنِّي سَمَعْتُ مِنْ جَنٍّ *

- سَمَعْتُ: لطيفُ الجسمِ قليلُ اللحم - وساقُ الإبلِ وأُمَّه حتى أنتهى إلى قومه مُزَيْنَةً.
فذلك حيث يقول:

وَلَتَغْدُونَ إِبِلَ مَجْنِبَةً مَنْ عِنْدَ أَشْعَدَ وَأَبْنَه كَعَب

- مُجَنَّبَةٌ: مجنوبة -

الْأَكْلَيْنِ صَرِيحَ قَوْمِهِمَا أَكَلَ الْحَبَارَى^(١) بُرْعَمَ الرُّطْبِ^(٢)

الْبُرْعَمُ^(٣): شجرة ولها نَوْرٌ - قال: فليث فيهم حيناً، ثم أقبل بمُزَيْنَةٍ مُغَيَّراً على بني ذُبْيَانَ. حتى إذا مُزَيْنَةٌ
أَسْهَلَتْ وَخَلَفَتْ بلادها ونظروا إلى أرض غَطَفَانَ، تطايروا عنه راجعين، وتركوه وحده. فذلك حيث يقول:

مَنْ يَشْتَرِي فِرْساً لَخِيرٍ غَزَوْهَا وَأَبَتْ عَشِيرَةُ رَبِّهَا أَنْ تُسْهِلَا

/ يعني أن تنزل السَّهْلَ. قال: وأقبل حين رأى ذلك من مُزَيْنَةٍ حتى دخل في أخواله بني مُرَّة. فلم يزل هو
وولده في بني عبدالله بن غطفان إلى اليوم. [٢٩٣/١٠]

قال معلقته في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف وقد حملا دية هرم بن ضمضم في مالهما:

* أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلَّمْ *

قالها زُهَيْرٌ في قَتْلِ وَرْدِ بْنِ حَابِسِ الْعَبْسِيِّ هَرَمَ بْنَ ضَمْضَمِ الْمُرِّيِّ الذي يقول فيه عَنَتْرَةٌ وفي أخيه:

وَلَقَدْ خَشِيتُ بَأْنَ أَمُوتَ وَلَمْ تَدُزْ لِلْحَرْبِ دَائِرَةً عَلَى أَبْنِي ضَمْضَمِ

ويمدح بها هَرَمَ بْنَ سِنَانَ وَالْحَارِثَ بْنَ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ الْمُرِّيَّيْنِ لَأَنَّهُمَا أَحْتَمَلَا دِيَتَهُ فِي مَالِهِمَا؛
وذلك قول زُهَيْرٍ:

سَعَى سَاعِياً غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بَعْدَمَا^(٤) تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْأَدَمِ

يعني بني غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ.

قال الْأَكْرَمُ أَبُو الْحَسَنِ حَدَّثَنِي أَبُو / عُبَيْدَةَ قَالَ: ١٤٩

كَانَ وَرْدُ بْنُ حَابِسِ الْعَبْسِيِّ قَتَلَ هَرَمَ بْنَ ضَمْضَمِ الْمُرِّيِّ، فَتَشَاجَرَ عَبَسٌ وَذُبْيَانُ قَبْلَ الصَّلْحِ، وَحَلَفَ
حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ أَلَّا يَغْسِلَ رَأْسَهُ حَتَّى يَقْتُلَ وَرْدُ بْنُ حَابِسِ أَوْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبَسٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي غَالِبٍ، وَلَمْ يُطْلَعْ

(١) الحبارى: طائر يضرب به المثل في البلاءة والحمق، وهو طائر صحراوي يبيض في الرمال النائية.

(٢) الرطب: الرعي الأخضر من البقل والشجر، وقيل جماعة العشب الأخضر.

(٣) الذي في «اللسان»: أن البرعم كم ثمر الشجر والنور، وقيل هو زهرة الشجر ونور النبات قبل أن يفتح. وقد استشهد بهذا البيت.

(٤) ما والفعل بتأويل المصدر. وتبزل: تشقق، وبالدّم: يريد بسفك الدّم. يقول: سمى هذان السيدان (هرم بن سنان والحارث بن

عوف) في إحكام العهد بين عبس وذبيان بعد تشقق الألفة والمودة بين القبيلة بسبب سفك الدماء بين عبس وذبيان. (انظر شرح

ديوان زهير للأعلام الشنمري).

على ذلك أحداً، وقد حمل الحَمالة^(١) الحارث بن عوف بن أبي حارثة، وقيل بل أخوه حارثة بن^(٢) سنان. فأقبل^(٣) رجلٌ / من بني عَبْس ثم أحدُ بني مخزوم، حتى نزل بحُصَيْن بن ضَمْصَم. فقال له حُصَيْن: مَنْ أَنْتَ؟ [٢٩٤/١٠] أيها الرجل؟ قال: عَبْسِي. قال: من أيّ عَبْس؟ فلم يزل يَنْتَسِب حتى أنْتَسِب إلى بني غالب، فقتله حُصَيْن. وبلغ ذلك الحارث بن عوف وهَرَم بن سنان فاشتد عليهما، وبلغ بني عَبْس فركبوا نحو الحارث. فلما بلغه ركوهم إليه وما قد أشتد عليهم من قتلِ صاحبهم وأنهم يريدون قتل الحارث، بعث إليهم بمائة من الإبل معها أبنته، وقال للرسول: قل لهم: الإبل أحب إليكم أم أنفسكم؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك. فقال لهم الربيع بن زياد: يا قوم إن أخاكم قد أرسل إليكم: «الإبل أحب إليكم أم أبني تقتلونه مكان قتلكم». فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومنا، ونُتِم الصلح. فذلك حين يقول زهير يمدح الحارث وهَرَمًا:

* أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ *

وهي أول قصيدة مدح بها هَرَمًا، ثم تابع ذلك بعد.

قصة زواج الحارث بن عوف ببهيسة بنت أوس وتحمله الدية في ماله بين عبس وذبيان:

وقد أخبرني الحسن بن علي بهذه القصة، وروايته أتم من هذه، قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبِي قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف عن أبيه قال:

قال الحارث بن عوف بن أبي حارثة: أثارني^(٤) أنخطب إلى أحد فيردني؟ قال نعم. قال: ومن ذاك؟ قال: أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ لَأْمِ الطَّائِي. فقال الحارث لغلامه: أَرْحَلْ بِنَا، ففعل. فركبا حتى أتيا أَوْسَ بْنَ حَارِثَةَ فِي بِلَادِهِ فوجداه في منزله. فلما رأى الحارث بن عوف قال: مرحباً بك يا حار. قال: / وبك. قال: ما جاء بك يا حار؟ [٢٩٥/١٠] قال: جئتُك خاطباً. قال: لست هناك. فانصرف ولم يكلمه. ودخل أَوْسُ على امرأته مُغْضَباً وكانت من عَبْس فقالت: مَنْ رَجُلٌ وَقَفَ عَلَيْكَ فَلَمْ يُطَلِّ وَلَمْ تَكَلِّمْهُ؟ قال: ذاك سيّد العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّي. قالت: فما لك لم^(٥) تستنزل؟ قال: إنه استحق. قالت: وكيف؟ قال: جاءني خاطباً. قالت: أفتريد أن تزوج بناتك؟ قال نعم. قالت: فإذا لم تُزَوِّج سيّد العرب فمن؟ قال: قد كان ذلك. قالت: فتدارك ما كان منك. قال بماذا؟ قالت: تَلَحُّقُهُ فترده. قال: وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه؟ قالت تقول له: إنك لقيتني مُغْضَباً بأمر لم تقدّم فيه^(٦) قولاً، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت، فانصرف ولك عندي كل ما أحببت فإنه سيفعل. فركب في أثرهما. قال خارجة بن سنان: فوالله إني لأسيرُ إذ حانت مني ألفتانة فرأيتُ، فأقبلتُ على الحارث وما يكلمني غمّاً فقلت له: هذا أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ فِي أَثَرِنَا. قال: وما نصنع به! اخضِر! فلما

(١) الحَمالة: الدية.

(٢) في «شرح التبريزي» وابن الأنباري على «المعلقات» والأعلم الشتمري و«شرح ثعلب لديوان زهير»: «وقد حمل الحَمالة الحارث بن عوف بن أبي حارثة وهَرَم بن سنان بن أبي حارثة».

(٣) في الأصول: «فأقبل على رجل إلخ» والتصويب عن المصادر المتقدمة.

(٤) هكذا في الأصول. ولم يذكر المخاطب الذي كان يحدثه. وباقي القصة يعين أنه خارجة بن سنان.

(٥) في ب، س: «لاستنزله».

(٦) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «لم تقدّم مني فيه قولاً».

رَأَا لَا نَقِفَ عَلَيْهِ صَاح: يَا حَارِ أَزْبَعُ عَلَيَّ سَاعَةً. فَوَقَفْنَا لَهُ فَكَلَّمَهُ بِذَلِكَ الْكَلَامِ فَرَجَعَ مَسْرُورًا. فَبَلَغَنِي أَنَّ أَوْسًا لَمَّا دَخَلَ مَنْزِلَهُ قَالَ لَزَوْجَتِهِ أَذْعِي لِي فَلَانَةَ (لأكبر بناته) فَأَتَتْهُ، فَقَالَ: يَا بَيْتِي، هَذَا الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ، قَدْ جَاءَنِي طَالِبًا خَاطِبًا، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَرْوِّجَكَ مِنْهُ فَمَا تَقُولِينَ؟ قَالَتْ: لَا تَفْعَلْ. / قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَتْ: لِأَنِّي أَمْرَأَةٌ فِي وَجْهِي رَدَّةٌ^(١)، وَفِي خُلُقِي بَعْضُ الْعُهْدَةِ^(٢)، وَلَسْتُ بِأَبْنَةِ عَمِّهِ فِيرَعَى رَحِمِي، وَلَيْسَ بِجَارِكَ فِي الْبَلَدِ فَيَسْتَحْيِي مِنْكَ، وَلَا أَمْنٌ أَنْ يَرَى مِنِّي مَا يَكْرَهُ فَيَطْلُقَنِي فَيَكُونُ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مَا فِيهِ. قَالَ: قَوْمِي بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ. أَذْعِي لِي فَلَانَةَ (لَابْنَتِ الْوُسْطَى)؛ فَدَعَتْهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا مِثْلَ قَوْلِهِ لِأَخْتِهَا؛ فَأَجَابَتْهُ بِمِثْلِ / جَوَابِهَا وَقَالَتْ: إِنِّي خَرَفَاءُ وَلَيْسَتْ بِيَدِي صِنَاعَةٌ، وَلَا أَمْنٌ أَنْ يَرَى مِنِّي مَا يَكْرَهُ فَيَطْلُقَنِي فَيَكُونُ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مَا تَعْلَمُ، وَلَيْسَ بِابْنِ عَمِّي فِيرَعَى حَقِّي، وَلَا جَارِكَ فِي بَلَدِكَ فَيَسْتَحْيِيكَ. قَالَ: قَوْمِي بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ. أَذْعِي لِي بُهَيْسَةَ (بِعْنِي الصَّغْرَى)، فَأَتَيْتُ بِهَا فَقَالَ لَهَا كَمَا قَالَ لَهَا. فَقَالَتْ: أَنْتَ وَذَاكَ. فَقَالَ لَهَا: إِنِّي قَدْ عَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَى أُخْتِكَ فَأَبْتَاهُ. فَقَالَتْ: وَلِمَ يَذْكُرُ لَهَا مَقَالَتَهُمَا - لَكُنِّي وَاللَّهُ الْجَمِيلَةُ وَجْهًا، الصَّنَاعُ يَدًا، الرِّفِيعَةُ خُلُقًا، الْحَسْبِيَّةُ أَبًا، فَإِنْ طَلَّقَنِي فَلَا أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِخَيْرٍ. فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ. ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا فَقَالَ: قَدْ زَوَّجْتُكَ يَا حَارِثُ بُهَيْسَةَ بِنْتَ أَوْسٍ. قَالَ: قَدْ قَبِلْتُ. فَأَمَرَ أُمُّهَا أَنْ تُهَيِّجَهَا وَتُصْلِحَ مِنْ شَأْنِهَا، ثُمَّ أَمَرَ بَيْتَ فَضْرِبَ لَهُ، وَأَنْزَلَهُ إِلَيْهَا. فَلَمَّا هَيَّجَتْ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ. فَلَمَّا أَدْخَلَتْ إِلَيْهِ لَبِثَ هُنَيْهَةً ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ. فَقُلْتُ: أَفَرَعْتَ مِنْ شَأْنِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ. قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: لَمَّا مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْهَا قَالَتْ: مَهْ! أَعِنْدَ أَبِي وَإِخْوَتِي!! هَذَا وَاللَّهُ مَا لَا يَكُونُ. قَالَ: فَأَمَرَ بِالرَّحْلةِ فَارْتَحَلْنَا وَرَحَلْنَا بِهَا مَعْنًا، فَمَرْنَا مَا شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ لِي: تَقَدَّمْ فَتَقَدَّمْتُ، وَعَدَلْ بِهَا عَنِ الطَّرِيقِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ لَحِقَ بِي. فَقُلْتُ: أَفَرَعْتَ؟ قَالَ لَا وَاللَّهِ. قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: قَالَتْ لِي: أَكَمَا يُفْعَلُ بِالْأَمَةِ الْجَلِيلَةِ أَوْ السَّيِّئَةِ الْأَخِيذَةِ! لَا وَاللَّهُ حَتَّى تَنْحَرَ الْجُزْرَ، وَتَذْبَحَ الْغَنَمَ، وَتَدْعُوَ الْعَرَبَ، وَتَعْمَلَ مَا يَعْمَلُ لِمِثْلِي. قُلْتُ: وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرَى هِمَّةً وَعَقْلًا، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ مُنْجِبَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَرَحَلْنَا حَتَّى جِئْنَا بِلَادَنَا، فَأَخْضَرَ الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا وَخَرَجَ إِلَيَّ. فَقُلْتُ: أَفَرَعْتَ؟ قَالَ لَا. قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهَا أُرِيدُهَا، وَقُلْتُ لَهَا قَدْ أَحْضَرْنَا مِنَ الْمَالِ مَا قَدْ تَرَيْنَ، فَقَالَتْ: وَاللَّهُ لَقَدْ ذَكَرْتُ لِي مِنَ الشَّرَفِ مَا لَا أَرَاهُ فِيكَ. قُلْتُ: وَكَيْفَ؟ قَالَتْ: أَنْفَرُغَ لِنِكَاحِ النِّسَاءِ وَالْعَرَبِ تَقْتُلُ بَعْضُهُمَا (وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ حَرْبِ عَبَسَ وَذُبْيَانَ). قُلْتُ: فَيَكُونُ مَاذَا؟ قَالَتْ: اخْرُجْ / إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَأُصْلِحْ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَلَنْ يَفُوتَكَ. فَقُلْتُ: وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرَى هِمَّةً وَعَقْلًا، وَلَقَدْ قَالَتْ قَوْلًا. قَالَ: فَأَخْرَجُ بِنَا. فَخَرَجْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْقَوْمَ فَمَشِينَا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالْصَّلَاحِ، فَاصْطَلَحُوا عَلَيَّ أَنْ يَحْتَسِبُوا الْقَتْلَى؛ فَيُوَخِّدَ الْفَضْلَ مِمَّنْ هُوَ عَلَيْهِ، فَحَمَلْنَا عَنْهُمْ الدِّيَّاتِ، فَكَانَتْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ بَعِيرٍ فِي ثَلَاثِ سَنِينَ، فَانْصَرَفْنَا بِأَجْمَلِ الذَّكْرِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: فَمَدَّحُوا بِذَلِكَ، وَقَالَ فِيهِ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ قَصِيدَتَهُ:

* أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ *

فذكرهما فيها فقال:

تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَدَقُّوْا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِيمٍ^(٣)

(١) الردة: القبح مع شيء من الجمال.

(٢) العهدة: الضعف.

(٣) منشيم زعموا أنها امرأة عطارة من خزاعة، فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقتلوا حتى يموتوا، فضرب زهير بها المثل، أي صار هؤلاء في شدة الأمر بمنزلة أولئك. وقيل: هي امرأة من خزاعة كانت تباع عطرًا فإذا حاربوا اشتروا منها كافورًا لموتاهم فتشاءموا بها، وكانت تسكن مكة. وفيه أقوال أخرى كثيرة راجعها في «لسان العرب» (في مادة نشم) وأمثال الميداني في =

فأصبح يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ ^(١) الْمُرْتَمِ
يُنْجِمُهَا ^(٢) قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ وَلَمْ يُهَرِّقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مِخْجَمٍ

وذكر قيامهم في ذلك فقال:

* «صحا القلب عن سلمى وقد كاد ^(٣) لا يسلو» *

/ وهي قصيدة يقول فيها:

تداركُنا الأحلاف ^(٤) قد ثلَّ عرشُها وذُيَّانٌ قد زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النَّعْلُ

وهذه لهم شرفٌ إلى الآن، ورجع فدخل بها، فولدت له بنين وبنات.

مدح بقصيدته القافية هرمًا وأباه وإخوته:

ومما مدح به هرمًا وأباه وإخوته وعُنِيَ فِيهِ قَوْلُهُ:

نصوت

إِنَّ الْخَلِيطَ ^(٥) أَجَدَّ الْيَنَ فَاَنْفَرَا وَعَلِقَ الْقَلْبُ مِنْ أَسْمَاءِ مَا عَلِقَا
وَأَخْلَفْتُكَ أَبْنَةَ الْبُكَرِيِّ مَا وَعَدْتُ فَأَصْبَحَ الْحَبْلُ مِنْهَا وَاهِنًا ^(٦) خَلَقَا
قَامَتْ تَبْدَى بِذِي ضَالٍ لِيَتَخَزَّنَنِي وَلَا مُحَالَةً أَنْ يَشْتَاقَ مَنْ عَشَقَا
بِجِيدٍ مُغْزَلَةٍ أَذْمَاءَ خَاذِلَتِي مِنَ الظُّبَاءِ تُرَاعِي شَادِنًا خَرِقَا

انفرك: انفعل، من الفُرْقَة. وأجدَّ وجدَّ بمعنى واحد، من الجدَّ خلاف اللعب. والواهن والواهي واحد. والحبْل: السَّبَبُ في المَوْذَة ^(٧). والضال: السُّدْرُ الصَّغَارُ، واحِدُهَا ضَالَّة. والجيد: العُنُق. والمُغْزَلَةُ: الظبية التي لها غزال. والأذماء: البيضاء. والمخاذلة: المقيمة على ولدها ولا تتبع الظباء. والشادِنُ: الذي قد شدَّن أي تحرك ولم يقوَ بعد. والمخرق: الدَّهْشُ.

عُنِيَ مَالِكٌ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنَ الْآيَاتِ خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْوُسْطَى، وقيل إنه لابن جامع، وقيل بل لحن ابن

= «أشام من منشم» وفي «شرح الأعلام الشنري» لديران زهير.

(١) الإفال: جمع أفيل وهو الصغير من الإبل، والمزمن: اسم فحل معروف. والتلاد: المال القديم الموروث. وإنما خص الإفال لأنهم كانوا يغرمون في المدينة صغار الإبل. (عن الأعلام). ويروي هذا البيت في شرح «القاموس» (في مادة «زمن») هكذا:

فأصبح يحدي فيهم من تلادكم مغانم شتى من إفال مزنم
(٢) ينجمها قوم: أي تجعل نجوماً أي أفساطاً على غارمها. يريد أن هذين الساعيين حملاً دماء من قتل وغرم فيها قوم من رهطهما على أنهم لم يصبوا ملء محجم من دم، أي أعطوا فيها ولم يقتلوا (عن الأعلام).

(٣) في أ، م: «كان».

(٤) الأحلاف: أسد وغطفان وطية. وثل عرشها: أي أصابها ما كسرهما وهدمها. وذبيان: قبيلة الممدوحين وهم من غطفان. وإنما فصلهم منهم لأن حصين بن ضمضم المري جنى عليهم الحرب وهو منهم لأن مرة من ذبيان. ويقال «زلت بأقدامها النعل» إذا وقعت القبيلة في حيرة وضلال. (عن الأعلام).

(٥) الخليط: المخالط، ويقال للجمع أيضاً خليط.

(٦) في أ، م: «واهيًا» بالياء المشناة.

(٧) في أ، م: «المحبة».

جامع بالبصرة. وفي الثالث والرابع لابن المكي رمل صحيح من روايتي بذل والهشامي.

[٢٩٩/١] وفي هذه القصيدة يقول يمدح هرماً:

قد جعل المبتغون الخير من هرِم
من يلق يوماً على علاته هرماً
ليث بعثر^(١) يصطاد الليث^(٢) إذا
يطعنهم ما أرتموا حتى إذا أطعنوا
والسائلون إلى أبوابه طرُقوا
يلق السماحة منه والندى خلُقوا
ما الليث كذب^(٣) عن أقرانه صدفا
ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا^(٤)

خرف سنان بن أبي حارثة ثم مات فرثاه:

ومن مدائحه^(٥) إياهم قوله يمدح أبا هرِم سنان بن أبي حارثة. وذكر ابن الكلبي أنه هوي امرأة فاستهيم بها؛ وتفاقم به ذلك حتى فقد فلم يعرف له خبر. فتزعم بنو مرة أن الجن استطارته فأدخلته بلادها، وأستمجلته لكرمه. وذكر أبو عبيدة أنه قد كان هرِم حتى بلغ مائة وخمسين سنة؛ فهام على وجهه خرقاً ففقد. قال: فزعم لي شيخ من علماء بني مرة أنه خرج لحاجته بالليل فأبعد، فلما رجع ضل^(٦) فهام طول ليلته حتى سقط فمات، وتبع قومه أثره فوجدوه ميتاً فرثاه^(٧) زهير بقوله:

إن الرززية لا رزية مثلها^(٨) ما تبغي غطفان يوم أضلت^(٩)
/ إن الركاب^(١٠) لتبغي ذا مرة بجنوب نجد^(١١) إذا الشهور أحلت
ينغي خير الناس عند شديدة عظمت مصيئته هناك وجلت
ومدفع ذاق الهوان ملعن^(١٢) راخيت عقدة حبله^(١٣) فأنحلت
ولنعم حشو الذرع كان إذا سطا^(١٤) نهلت من العلق^(١٥) الرماح وعلت

[٣٠٠/١]

(١) عشر: (بتشديد الشاء) اسم موضع باليمن، وقيل: هي أرض مأسدة بناحية تبالة.

(٢) في حدو الديوان: «الرجال».

(٣) كذب: أي لم يصدق الحملة. يقال: كذب الرجل عن كذا إذا رجع عنه. يقول: إذا رجع الشعاع عن قرنه ولم يصدق الحملة عليه فهذا الممدوح يصدقها. (عن الأعلام).

(٤) اعتنق: التزم قرنه. يقول: إذا ارتدى الناس في الحرب بالنبل دخل هو تحت الرمي فجعل يطاعنهم، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف، فإذا تضاربوا بالسيوف اعتنق قرنه والتزمه، أي أنه يزيد عليهم في كل حال من أحوال الحرب. (عن الأعلام).

(٥) الأبيات الآتية في الرثاء. والرثاء ضرب من المدح.

(٦) في الأصول: «مثل» وهو تحريف.

(٧) في الأعلام: «وقيل إنما رثى بالأبيات حصن بن حذيفة».

(٨) في أ، م: «بعدها».

(٩) يقال: ضل فلان الطريق وأضل بغيره يقال الأول للثابت والثاني لغيره.

(١٠) الركاب: الإبل، والمراد راكبوها. وذا مرة أي ذا عقل ورأي مبرم. وقوله «إذا الشهور أحلت» أي إذا دخلت الشهور التي يحل فيها الغزو.

(١١) في «ديوان زهير بشرح الأعلام» النحوي: «بجنوب نخل».

(١٢) في أ، م: «كبله» والكبل: القيد.

(١٣) في «شرح الأعلام»: «ولنعم حشو الذرع أنت لنا إذا».

(١٤) العلق: الدم.

أشعار له غنّى فيها:

/ والذي فيه غناء من مدائح زهير قوله:

١٥٢
٩

صوت

أَمِنْ أَمْ سَلَمَى^(١) عَرَفْتَ الطَّلُولَا بَلَدِي حُرُصٍ مَا ثَلَاثُ مُثُولَا
بَلِيْنَنَ وَتَحَسَّبُ آبَاتِهِنَّ عَلَى^(٢) فَرَطٍ حَوَلَيْنَ رَقَا مُجِيلَا^(٣)

المائل هاهنا: اللاطيء بالأرض، وفي موضع آخر: الْمُتَنَصِّبُ القائم. وذو حُرُصٍ: موضع. والحُرُصُ: الأُسُنَان. وآبَاتُهُنَّ: علامَاتُهُنَّ. وفَرَطُ حَوَلَيْنَ: تَقَدُّمُ حَوْلَيْنِ، والفَارِطُ: المتقدِّم.

غنّى في هذين البيتين إسحاق، وله فيهما لحنان: أحدهما ثاني ثَقِيلٍ بإطلاق الوتر في مَجْرَى البَنْصَر، من كتابه. والآخر ما خُورِجِي من مجموع غنائه، وروايته عن الهشامِي. وفيهما للزُّبَيْرِ بْنِ دَحْمَانَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبَنْصَر عن عمرو. يقول فيها:

إِلَيْكَ سِنَانُ الْغَدَاةِ الرَّحِي لُ أَغْصِي الثُّهَاءَ وَأُغْصِي الْفُؤُولَا

جمع فال، أي لا أنطير.

/ فَلَا تَأْمِنِي^(٤) غَزَوْا فَرَسِيهِ بَنِي وَائِلٍ وَأَحْذَرِيهِ جَدِيدَا

وَكَيْفَ أَتَقَاءُ أَمْرِي لَا يُو بَ بِالْقَوْمِ فِي الْغَزْوِ حَتَّى يُطِيلَا^(٥)

ومن الغناء في مدائح هَرَمٍ قوله:

صوت

قِفْ بِالذَّيَارِ التِّي لَمْ يَغْفُهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَزْوَاحُ وَالذَّيَمُ

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ وَعَبْرَةٌ^(٦) مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمُ

غَسَرْتُ عَلَى بَكْرَةٍ أَوْ لَوْلَوْ قَلِقُ فِي السَّلَكِ خَانَ بِهِ رَبَّاتِهِ النَّظْمُ

الذَّيَمُ: جمع دِيَمَةٍ وهو المطر الذي يَكُومُ يوماً أو يومين مع سكون. سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ: أي ساروا فيه سيراً سريعاً. والسَّلِيلُ: وادٍ. وقوله وَعَبْرَةٌ مَا هُمْ أي هم عَبْرَةٌ^(٧)، وما هاهنا صِلَةٌ. لو أَنَّهُمْ أَمَمُ أي قَصْدُ كُنْتُ أَزْوَاجَهُمْ. والأَمَمُ: بين القريب والبعيد. والقَلِقُ: الذي لم يستقرّ لما أُنْقَطَعَ الحَيْطُ. والنَّظْمُ: جَمْعٌ واحداً نِظَامٌ، شَبَّ دُمُوعَهُ بَلَوْلُو أَنْقَطَعَ سِلْكُهُ، وبمَاءٍ سَالَ مِنَ الْغَرْبِ.

(١) في «شرح الأعلام»: «أمن آل ليلى إلخ».

(٢) في «شرح الأعلام»: «عن».

(٣) المحيل: الذي أتى عليه حول. شبه رسوم الدار برق مكتوب قد أتى عليه حول بحيث يتغير ويدرس.

(٤) يريد: يا بني وائل لا تأمني غزو فرسانه، ويا جديلة احذريه. وجديلة أم فهم وعدوان، وكان سنان يجاورهم. (عن الأعلام).

(٥) أي هو مطيل للغزو لأنه يتبع أقصى أعدائه فلا يؤوب بالقوم من غزوه إلا بعد مدة طويلة. فاتقاء مثل هذا أشد اتقاء. (عن الأعلام).

(٦) روي في «لسان العرب» مادة أمم: «وجيرة» وكذلك روي في مادة سلل مردفاً بقوله: «ويروي: وعبرة».

(٧) أي هم سبب بكائي وحزني.

الغِنَاءُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ رَمَلٌ لِابْنِ الْمَكِّيِّ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو. وَذَكَرَ عَمْرٍو أَنَّ لِإِسْحَاقَ فِيهَا لَحْنًا أَيْضًا. وَذَكَرَ يُونُسُ أَنَّ فِيهَا لَحْنًا لِمَالِكٍ.

صَوْت

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحَجَرِ^(١) أَقْوَيْنَ مُذْجَجِجٍ^(٢) وَمُذْدَفَرٍ
لَعَبِ الرِّيحِ بِهَا وَغَيْرِهَا / [٣٠٢/١٠]
دَعَا وَغَدَا الْقَوْلُ فِي هَسْرٍ خَيْرِ الْكُهُولِ وَسَيِّدِ الْحَضَرِ
لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتَ الْمُتَوَرِّ لَيْلَةَ الْبَدْرِ
القُنَّةُ: الْجَبَلُ الَّذِي لَيْسَ بِمُتَشَرٍّ. أَقْوَيْنَ: خَلَوْنَ. وَالسَّوَافِي: مَا تَسْفِي الرِّيحُ^(٤). قَالَ: وَالْقَطَرُ مَخْفُوضَةٌ
١٥٣/٩ بِنَسْقِهِ عَلَى الرِّيحِ^(٥)، وَالْقَطَرُ لَا سَوَافِي^(٦) لَهُ. وَهَذَا تَفْعَلُهُ الْعَرَبُ فِي الْمَجَاوِرَةِ، وَهُوَ مِثْلُ / قَوْلِهِمْ: حُجْرٌ ضَبٌّ
خَرِبٌ.

غَنَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ سَائِبُ خَائِرٍ مِنْ رِوَايَةِ حَمَادٍ عَنْ أَبِيهِ، وَلَمْ يَجْنُسْهُ. وَفِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبِنْصَرِ نَسَبَهُ
عَمْرٍو بْنِ بَانَةَ إِلَى مَعْبَدٍ، وَنَسَبَهُ غَيْرُهُ إِلَى سَائِبٍ، وَإِلَى الْأَوْسِيَّةِ مِمَّا ذَكَرَ حَبِشٌ. قَالَ: وَهِيَ مِنْ قِبَانِ الْحِجَازِ
الْقِدَائِمِ مَوْلَاةٌ لِلْأَوْسِ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ يَمْدَحُ سَيَّانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ:

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَقَدْ كَادَ^(٧) لَا يَسْلُو وَأَقْفَرَ مِنْ سَلَمَى التَّعَانِيْقُ فَالْقَلْبُ
وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلَمَى سِنِينَ ثَمَانِيًّا عَلَى صِيرٍ أَمْرٍ مَا يَمُرُّ وَمَا يَخْلُو
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ مَضَتْ وَأَجِئْتُ حَاجَةُ الْغَدِ مَا تَخْلُو
وَكُلُّ مُحِبٍّ أَحَدَتْ النَّأْيُ عَنْهُ سُلُوفُ فُؤَادٍ غَيْرَ حُبِّكَ مَا يَسْلُو
تَأَوَّنِي ذِكْرُ الْأَجْبَةِ بَعْدَ مَا هَجَعْتُ وَدُونِي قُلَّةُ الْحَزَنِ فَالرَّمْلُ
/ فَاقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى وَمَا سُحِفَتْ فِيهِ الْمَقَادِيمُ^(٨) وَالْقَلْبُ [٣٠٣/١٠]

(١) الحجر: موضع بعينه وهو حجر اليمامة.

(٢) فِي جَدِّ وَ «دِيَوَانَهُ»: «مِنْ حَجَجٍ وَمِنْ شَهْرٍ».

(٣) فِي «شَرْحِ الْأَعْلَمِ»: «الْمُورُ» وَهُوَ التُّرَابُ.

(٤) هَذَا عَلَى الرِّوَايَةِ الَّتِي ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ. وَعَلَى رِوَايَةِ الْأَعْلَمِ يَرَادُ بِالسَّوَافِي الرِّيحَ، يَعْنِي أَنَّ الرِّيحَ وَالْأَمْطَارَ تَرَدَّدَتْ عَلَى هَذِهِ الدِّيَارِ حَتَّى غَفَتْ رَسُومَهَا وَغَيَّرَتْ أَثَارَهَا بِمَا سَفَتَ الرِّيحُ عَلَيْهَا مِنَ التُّرَابِ وَمَحَتْ الْأَمْطَارُ مِنَ الْآثَارِ.

(٥) فِي الْأَصُولِ: «عَلَى الرِّيحِ».

(٦) إِذَا فَسَرْتَ السَّوَافِي بِالرِّيحِ فَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْقَطَرُ مِمَّا تَسْفِيهِ الرِّيحُ.

(٧) فِي أ، م: «كَانَ».

(٨) الْمَقَادِيمُ: جَمْعُ مُقَدِّمِ الرَّأْسِ، وَأَرَادَ بِالْقَلَمِ: الشَّعْرَ الَّذِي فِيهِ الْقَلَمُ، عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ، أَيْ وَشَعْرَ الْقَلَمِ. وَقَدْ يَرَادُ عَلَى مَعْنَاهُ فُؤَادُهُ تَابِعٌ وَمُسْحُوفٌ مَعَ الْمَقَادِيمِ وَشَعْرَهَا.

لَا زَنْجَلَنُ بِالسَّفَرِ ثُمَّ لَا ذَابْنُ إِلَى اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ يُعَرِّجَنِي طِفْلُ
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيئَ إِلَّا وَشِيجُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا مَنْابِتُهَا النَّخْلُ^(١)

التَّعَانِيْقُ وَالثَّقْلُ: موضعان. وَيُزَوَّى: فالتَّخْلُ. وقوله على صير أمر: أي على شرف أمر. وَأَجَمَّتْ: دَنَتْ. وتَأَوَّنِي: أتاني ليلاً. والتَّأَوَّبُ: سَيَّرُ يوم إلى الليل. مُحِجَّتْ: حُلِقَتْ، يقال سَحَفَ رَأْسَهُ وَسَبَّحَهُ وَجَلَطَهُ: حَلَقَهُ. وقوله «يُعَرِّجَنِي طِفْلٌ» قال يقال الطُّفْلُ: الليل، ويقال الطُّفْلُ: مَغِيبُ الشَّمْسِ، وقال أبو عُبَيْدَةَ: الطُّفْلُ: الْحَزَنُ، وإيقاده نار^(٢) التَّخْيِيرُ. وَالْخَطِيئُ: رِمَاحٌ نَسَبَهَا إِلَى الْخَطِّ وَهِيَ مِنْ جَزِيرَةِ الْبَحْرَيْنِ تُرْفَأُ إِلَيْهَا سُفُنُ الرِّمَاحِ. وَالْوَشِيجُ: الْقَنَا وَاحِدُهَا وَشِيجَةٌ. وَالْوُشُوجُ: دُخُولُ الشَّيْءِ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ.

عَنَى إِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِيَّ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ثَقِيلًا أَوَّلَ الْبَنْصَرِ مِنْ رِوَايَةِ الْهَشَامِيِّ وَعَمَرُو. وَعَنَى إِبْرَاهِيمَ أَيْضًا فِي السَّادِسِ وَالسَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفَ ثَقِيلٍ. وَفِي الثَّلَاثِ لِمَعْبَدٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ. وَلَعَلَّوِيهِ فِي السَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفٌ رَمَلٍ. وَذَكَرَ حَبَشٌ أَنَّ لِإِبْرَاهِيمَ فِي الثَّامِنِ لِحْنًا مَأْخُورِيًّا. وَمِنْ الْغِنَاءِ فِي مَدَائِحِهِ هَرَمًا قَوْلُهُ:

صوت

لِمَنْ طَلَّلَ بِرَامَةٍ لَا يَرِيمُ^(٣) عَفَا وَأَحَالَه عَهْدٌ قَدِيمُ^(٤)

/ تَطَّلَعُنِي خِيَالَاتٌ لَسَلَمَى كَمَا يَطَّلَعُ الدَّيْنُ الْغَرِيمُ

١٤/١٠

عَنَاهُ دَحْمَانٌ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمَرُو. وَعَفَا: دَرَسَ هَاهُنَا، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ: كَثُرَ، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ. وَخِيَالَاتٌ: جَمْعُ خِيَالٍ.

أَنشَدَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شِعْرًا لَهُ فِي هَرَمِ بْنِ سِنَانٍ فَمَدَحَهُ:

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عَمْرٌ بْنُ شَبَّهَةَ، وَقَالَ الْمُهَلَّبِيُّ فِي خَيْرٍ لَهُ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ:

أَنشَدَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَوْلَ زُهَيْرٍ فِي هَرَمِ بْنِ سِنَانٍ يَمْدَحُهُ:

دَخَ ذَا وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ خَيْرَ الْكَهُولِ وَسَيِّدِ الْحَضَرِ
لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتُ الْمَنْوُورَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ
وَلَأَنْتَ أَوْصَلُ مَنْحَ سَمِعْتُ بِهِ لِشَوَابِكِ الْأَرْحَامِ وَالصُّهْرِ
/ وَلِنَعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيتَ نَزَالٍ وَلُجَّ^(٥) فِي الدُّغْرِ

١٥٤/٩

(١) هذا البيت وارد في «ديوانه» في القصيدة بعد أبيات عدة لم يذكرها أبو الفرج، وقوله:

فَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَلَمَّا نَوَارَتْهُ إِبَاءُ أَبَائِهِمْ قَبْلَ

(٢) نار التحجير: هي النار التي توقد لهداية الحائر.

(٣) لا يريم: لا يبرح.

(٤) رواية «الديوان»: عفا وخلا له حقب قديم

(٥) في ١، م: «لج» بالزاي.

وأراك تَفْرِي^(١) مَا خَلَقْتَ وَبِعَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي
أَنْتَنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَمَا أَسْلَفْتَ فِي النَّجَدَاتِ مِنْ ذِكْرِ
وَالسُّثْرِ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِثْرِ
فَقَالَ عُمَرُ: ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قال عمر لبعض ولد هرم قد خلد ذكره لكم:

قال وقال عمر لبعض ولد هرم: أنشدني بعض مدح زهير أباك، فأنشده. فقال عمر: إن كان ليخسن فيكم القول. قال: ونحن والله إن كنا لنخسن له العطاء. فقال: قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم.

[٣٠٥/١٠] / حلف هرم أن يعطيه كلما لقيه:

قال: وبلغني أن هرمًا كان قد حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا أعطاه، ولا يسلم عليه إلا أعطاه: عَبْدًا أَوْ وَلِيدَةً أَوْ فَرَسًا. فاستحيا زهير مما كان يقبل منه، فكان إذا رآه في ملا قال: عُمُوا صَبَاحًا غَيْرَ هَرَمٍ، وخيركم أَسْتَنْيْتُ. وروى المهلب: وخيركم تركت.

سأل عمر ابنه عن الحلل التي كساه إياها هرم فأجابته:

أخبرني الجوهري والمهلب: قالوا حدثنا عمر بن شبة قال:

قال عمر لابن زهير: ما فعلت الحلل التي كساه هرم أباك؟ قال: أبلاها الدهر. قال: لكن الحلل التي كساه أبوك هرمًا لم يلبسها الدهر. وقد ذكر الهيثم بن عدي أن عائشة خاطبت بهذه المقالة بعض بنات زهير.

شعر له مدح به هرمًا ولم يسبقه إليه أحد:

وقال أبو زيد عمر بن شبة: ومما سبق فيه زهير في مدح هرم ولم يسبقه إليه أحد قوله:

قد جعل المبتغون الخير من هرم
مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا
يَطْلُبُ شَاؤَ أَمْرَيْنِ قَدَّمَا حَسَبَا^(٢)
هو الجواد فإن يَلْحَقْ بِشَاوِهِمَا
أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهَلٍ^(٣)
وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقًا
يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا
بَدَا الْمُلُوكَ وَبَدَا هَذِهِ السُّوقَا
عَلَى تَكَالُيفِهِ فَمِثْلُهُ لِحَقًا
فَمِثْلُ مَا قَدَّمَا مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

(١) تفري: تقطع. وخلق أي قدرت الأديم وهياته للقطع والخرز. والمعنى: أنك إذا تهيأت لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه، وبعض القوم يقدر الأمر وينتهي له ثم لا يقدم عليه ولا يمضيه عجزاً وضعف همة. (عن «شرح الأعلام»).

(٢) رواية هذا البيت في «شرح الأعلام» للديوان.

يطلب شاؤ امرأين قدما حسنا نالا الملوك وبدا هذه السوق وأراد بالمرأين: أباه وجده. يقول: تساوى أبواه بالملوك وسبقا أوساط الناس وهو يطلب سبقهما، وذلك شديد لأنهما لا يجاريان في فعل. (عن «شرح الأعلام»).

(٣) المهل: التقدم. يقال أخذ فلان المهلة والمهل على فلان إذا تقدمه. يقول: إن الممدوح معذور إذا سبقه أبواه وأخذوا عليه المهلة في الشرف؛ لأن مثل فعلهما وما قدما من صالح سعيهما سبق من جارهما. (عن «شرح الأعلام»).

[٣٠٦/١٠]

/ مدح عبدالملك بن مروان شعره في مدح آل أبي حارثة:

أخبرني الجوهري والمهلب قالوا حدثنا عمر بن شبة قال قال المدائني:

قال عبدالملك بن مروان: ما يضر من مدح بما مدح به زهير آل أبي حارثة من قوله:

على مكثرهم رزق من يعتريهم^(١) وعند المقلين السماحة والبذل

إلا يملك أمور الناس (يعني الخلافة). قال ثم قال: ما ترك منهم زهير غنياً ولا فقيراً إلا وصفه ومدحه.

مدح عثمان بن عفان شعراً له:

وقال ابن الأعرابي قال أبو زياد الكلابي: أنشد عثمان بن عفان قول زهير:

ومنها تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فقال: أحسن زهير وصدق، لو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس. قال وقال النبي ﷺ: «لا تعمل عملاً تكره أن يتحدث عنك به».

تمثل عروة بن الزبير ببيت له وقد استخف به عبدالملك بن مروان:

قال وقال علي بن محمد المدائني حدثني ابن جعدويه:

أن عروة بن الزبير لحق بعبدالملك بن مروان بعد قتل أخيه عبدالله بن الزبير. فكان إذا دخل إليه منفرداً أكرمه، وإذا دخل عليه وعنده أهل الشام استخف به. فقال له يوماً: يا أمر المؤمنين، بش المزور أنت؛ تكرم ضيفك في الخلا، وتُهين في الملاء، وقال^(٢): لله در زهير حيث يقول:/ فقري في بلادك إن قوماً متى يدعوا بلادهم يهونوا^{١٥٥}

ثم استأذنه في الرجوع إلى المدينة، فقصى حوائجه وأذن له. وهذا البيت من قصيدة لزهير قالها في بني تميم، وقد بلغه أنها حشدت لغزو غطفان؛ أولها:

/ ألا أبلغ لديك بني تميم وقد يأتيك بالخبر الظنون^[٣٠٧/١٠]

الظنون: الذي لست منه على ثقة. والظنين: المتهم.

شعره في الحارث بن ورقاء وقد أخذ إليه وغلا:

كان الحارث بن ورقاء الصيداوي من بني أسد أغار على بني عبدالله بن غطفان فعنم فاستاق^(٣) إبل زهير وراعيه يساراً. فقال زهير:بان^(٤) الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزودوك أشتياقاً أئمة سلكوا

(١) يعتريهم: يقصدهم ويطلب ما عندهم.

(٢) في أكثر النسخ: «فقال» وفي جـ: «قال».

(٣) كذا في ب، س. وفي سائر النسخ: «فاستخف».

(٤) كذا في «الديوان». وفي الأصول: «إن الخليط». والخليط: الأصحاب المخالطون في الدار. ولم يأووا: أي لم يرحموا ولم يرقوا.

وهي طويلة يقول فيها:

لئن حَلَلْتَ بَجَوْ^(١) في بَنِي أَسَدٍ
لِيَأْتِيَنَّكَ مِنِّي مَنَظِقٌ قَلِيْعٌ
فَأَرْدُدْ يَسَاراً وَلَا تَعْتَسِفْ عَلَيْهِ وَلَا
وَلَا تَكُونَنَّ كَأَقْوَامٍ عَلِمْتُهُمْ
طَابَتْ نَفْسُهُمْ عَنْ حَقِّ خَصْمِهِمْ
فِي دِينٍ^(٢) عمرو وحالت بيننا فَذَكَ
بَاقٍ كَمَا دَنَسَ الْقُبْطِيَّةَ^(٣) الْوَدَّكَ
تَمَعَكَ^(٤) بَعْرِضِكَ إِنَّ الْغَادِرَ الْمَعِكَ
يَلُوونَ مَا عِنْدَهُمْ حَتَّى إِذَا نُهَكُوا^(٥)
مَخَافَةَ الشَّرِّ وَارْتَدُّوا لِمَا تَرَكُوا^(٦)

[٣٠٨/١٠] وفي هذه القصيدة مما يغنى فيه:

نحو

أَفْوَى لَهَا أَسْفَعُ الْخَذِينَ مُطَرِّقٌ
وَقَدْ^(٨) أَكُونُ أَمَامَ الْحَيِّ تَحْمِلُنِي
رِيشَ الْقَوَادِمِ لَمْ يُنْصَبْ^(٧) لَهُ شَرَكُ
جَرْدَاءُ لَا فَحْجٌ فِيهَا وَلَا صَكَّكَ

أهوى لها - يعني القطة تقدم وصفه إياها - صقر. ورواه الأصمعي: «هوى لها» وقال: هوى: أنقض، وأهوى: أوفى. ومطرق: ريشه بعضه على بعض ليس بمتشتر، وهو أعتق له. وقوله لَمْ يُنْصَبْ لَهُ شَرَكُ: أي لم يُضَبِّدْ وَلَمْ يُذَلَّلْ. والقوادِم: العشر المتقدّمات. والفحج: تباعد ما بين الفخذين. والصكك: أصطكاك العرقوبين في الدواب، وفي الناس الركبتين. قال: فلما أنشد الحارث هذا الشعر بعث بالغلام إلى زهير. وقيل: بل أنشد قول زهير:

تَعْلَمُ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ حَسِيٌّ يُنَادِي فِي شَعَارِهِمْ يَسَارٌ^(٩)

(١) جو: واد.

(٢) كذا في ج و «الديوان» وياقوت في كلامه على فذك. والمراد بدين عمرو: طاعته وسلطانه. وعمرو هو عمرو بن هند الملك. وفي سائر النسخ وياقوت في كلامه على دير عمرو: «دير عمرو». وقال: «دير عمرو: جبال في طيء قرب قرية لهم يقال لها جو». ثم ذكر هذا البيت والذي بعده. وفذك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة.

(٣) كذا في «الديوان». والقبطية (بضم القاف): ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر منسوبة إلى القبط (بكر القاف) على غير قياس. وفي «الأصول» القبطية وهو تحريف. والودك: الدسم. يقول: لئن حللت بحيث لا أدركك ليردن عليك هجوي ولا دنس به عرضك كما يدنس الودك القبطية.

(٤) المعك: المطل وزنا ومعنى. والمعك (بكر العين): المطول. يقول: لا تمطلني يسار فمطلك غدر. وكلما مطلني لحق ذلك بعرضك.

(٥) يلوون ما عندهم أي يمتلون بما عليهم من الدين. ونهكوا: شتموا وبولغ في هجائهم. (عن «شرح الأعلام»).

(٦) أي لما أودوا بالهجاء دفعوا الحق إلى صاحبه وارتدوا إلى إعطاء ما كانوا تركوه ومنعوه من الحق مخافة من الشر وإبقاء على أعراضهم. (عن «شرح الأعلام»).

(٧) رواية «الديوان بشرح الأعلام»: «لم ينصب له الشبك». ونصب ريش القوادم على التشبيه بالمفعول به، كما تقول: زيد حسن الوجه، بنصب الوجه. (راجع «شرح الأعلام»).

(٨) هكذا غنى في هذا البيت. وأصله كرواية «الديوان»:

وَقَدْ أَرَوْحُ أَمَامَ الْحَيِّ مُقْتَنَصَا
وَصَاحِبِي وَزْدَةٌ نَهْدٌ مَرَاكِلُهَا
قُنْراً مَرَاتِمُهَا الْقِيَعَانُ وَالنَّبْكَ
جَرْدَاءُ لَا فَحْجٌ فِيهَا وَلَا صَكَّكَ

(٩) الشعار: علامة القوم في سفرهم: اسم رجل أو شيء قد عرفوه فيما بينهم إذا دعوا به عرفوه. وإنما أراد أن يسارا صار عيباً عليهم =

ولولا عَسْبُهُ^(١) لَرَدَدْتُموه
وَشَرُّ مَنِيحَةٍ^(٢) أَيْرُ^(٣) مَعَارُ
إِذَا جَمَحَتْ^(٤) نَسَاؤُكُمْ إِلَيْهِ
أَشْطَ^(٥) كَأَنَّهُ مَسَدٌ مَعَارُ
/ يُبْرِزُ^(٦) حِينَ يَعْدُو^(٧) مِنْ بَعِيدٍ
إِلَيْهَا وَهُوَ قَبْتَابٌ قُطَارُ

فردّه عليه. فلامه قومه وقالوا له: اقتله ولا تُرْسِلْ به إليه، فأبى عليهم. فقال زهير عند ذلك:

أَبْلَغُ لَدَيْكَ بَنِي الصَّيْدَاءِ كُلُّهُمْ
أَنْ يَسَارَا أُنَانَا غَيْرَ مَغْلُولٍ
وَلَا مُهَانٍ وَلَكِنْ عِنْدَ ذِي كَرَمٍ
وَفِي جِبَالٍ وَفِي الْعَهْدِ^(٨) مَأْمُولٍ
وهي قصيدة. فقال الحارث لقومه: أيُّما أَصْلَحُ: ما فعلتُ أو ما أردتُم؟ قالوا: بل ما فعلت.

كان يذكر في شعره بنو غطفان وأحوال بني مرة ويمدحهم:

قال ابن / الأعرابي وحدثني أبو زياد الكلابي:

أَنَّ زَهْرًا وَأَبَاهُ وَوَلَدَهُ كَانُوا فِي بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ، وَمَنْزِلُهُمُ الْيَوْمَ بِالْحَاجِرِ^(٩)، وَكَانُوا فِيهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.
وَكَانَ أَبُو سَلَمَى تَزَوَّجَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي فِهْرِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ يُقَالُ لَهُ الْغَدِيرُ^(١٠) - وَالْغَدِيرُ هُوَ
أَبُو بَشَامَةَ الشَّاعِرِ^(١١) - فَوَلَدَتْ لَهُ زُهَيْرًا وَأَوْسًا، وَوُلِدَ لَزُهَيْرٍ مِنْ أَمْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سُحَيْمٍ. وَكَانَ زُهَيْرٌ يَذْكُرُ فِي شِعْرِهِ
بَنِي مُرَّةَ وَغَطَفَانَ وَيَمْدَحُهُمْ. وَكَانَ زَهْرٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ سَيِّدًا كَثِيرَ الْمَالِ حَلِيمًا مَعْرُوفًا بِالْوَرَعِ.

/ شكا إليه رجل من غطفان بني عليم بن جناب فهاجمهم:

قال وحدثني حماد الراوية عن سعيد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد:

أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ زُهَيْرًا هَجَا آلَ بَيْتٍ مِنْ كَلْبٍ مِنْ بَنِي عُثَيْمٍ بْنِ جَنَابٍ^(١٢)، وَكَانَ بَلَغَهُ عَنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ،
وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ أَتَى بَنِي عُثَيْمٍ^(١٣)، وَأَكْرَمُوهُ لَمَّا نَزَلَ بِهِمْ وَأَحْسَنُوا جَوَارَهُ، وَكَانَ رَجُلًا مُوَلَّعًا

= يعرفون به كما يعرف كل قوم بشعارهم. (عن «شرح الديوان» لثعلب).

(١) العسب: الضراب والنكاح أو هو ماء الفحل.

(٢) المنيحة: العارية.

(٣) في «شرح الأعلام»: «عسب».

(٤) رواية «اللسان» في مادة شظف: «جنحت».

(٥) كذا في «الديوان». وأشط: أنعط واشتد. وفي الأصول: «أشد». والمسد: الحبل. والمغار: الشديد القتل.

(٦) يبرز: يصوت. والققباب: من القبقبة وهي هدير الفحل. والقطار (بضم أوله): وصف من القطر أي يسيل، وقيل عن أبي محمد: المنتصب الرافع رأسه. (عن «شرح ثعلب»).

(٧) كذا في حـ و «الديوان» بشرح الأعلام. وفي «الديوان» بشرح ثعلب: «يفدو» بالفتن المعجمة. وفي سائر الأصول: «يبدو».

(٨) ورد هذا الشطر في «شرح الديوان» للأعلام الششمري هكذا: «وفي جبال وفي غير مجهول». والجبال: المهود والذمم.

(٩) في الأصول: «بالحاجر» بالزاي وهو تصحيف.

(١٠) كذا في «شرح ثعلب»، وقد صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطي كذلك في نسخته، ويرجح ما سيأتي في ص ٣١٢ من هذه الترجمة. وفي الأصول هنا: «الغابر».

(١١) كذا في «شرح الديوان» لثعلب في الدخول على قصيدته الهمزية. وفي الأصول: «هو أبو يسار هذا» وهو تحريف.

(١٢) كذا في «شرح ثعلب» و «المعارف» لابن قتيبة. وفي الأصول: «جبان» وهو تحريف.

(١٣) في الأصول: «غليب» وهو تحريف.

بالقمار فنهوه عنه، فأبى إلا المقامرة. قُمر مرة فردوا عليه، ثم قُمر أخرى فردوا عليه، ثم قُمر الثالثة فلم يردوا عليه، فترحل عنهم وشكاً ما صنع به إلى زهير، والعرب حينئذ يتقون الشعراء اتقاءً شديداً. فقال: ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خفت أن يصيبني الله بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتهم. قال: والذي هجاهم به قوله:

عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الْجَوَاءُ فِيمَنْ فَالْقَوَامُ فَالْحِصَاءُ^(١)
فَذُو هَامِشٍ^(٢) فَمَيْتُ عُرَيْنَاتٍ^(٣) عَفَتْهَا الرِّيحُ بِعَدَاكَ وَالسَّمَاءُ
جَرَتْ سُنْحاً فَقَلْتُ لَهَا أَجِيزِي نَوَى مَشْمُولَةً فَمَتَى اللُّقَاءُ
كَأَنَّ أَوَابِدَ الثُّيَرَانِ فِيهَا هَجَائُنُ فِي مَغَابِنِهَا الطَّلَاءُ
لَقَدْ طَالَبْتُهَا وَلِكُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ طَالَتْ لَجَاجَتُهُ أَنْتَهَاءُ
وَقَدْ أَغْدُو عَلَى شَرْبٍ^(٤) كَرَامٍ نَشَاوِي وَاجِدِينَ لِمَا نَشَاءُ
لَهُمْ طَاسٌ^(٥) وَرَاوُوقٌ وَمِنْكَ تُعَلُّ بِهِ جُلُودُهُمْ وَمَاءُ

الجواء: أرض. ويمن والقوادم: في بلاد غطفان. والميث: جمع ميثاء. قال أبو عمرو: إذا كان مسيل الماء مثل نصف الوادي أو ثلثيه فهي ميثاء. والسماء ها هنا: / المطر. والسانح: ما أقبل من شمالك يريد يمينك. والبارح: ضده. وقال أبو عبيدة: سمعت يونس بن حبيب يسأل رؤية عن السانح والبارح فقال: السانح: ما ولأك ميامنه. والبارح: ما ولأك مشائمه. وأجيزي: انفذي. قال الأصمعي: يقال أجزت الوادي إذ قطعتة وخلفته، وجزته: إذا سرت فيه فتجاوزته. والأوابد: الوحشية. والهجانن: إبل بيض. والمغابن: الأرقاع، واحدها مغبن. ومشمولة: سريعة الانكشاف. أخذه من الريح الشمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب^(٦). وجعل مشمولة ها هنا في النوى لأن نيتهم كانت سريعة، فأخرى ذلك مجرى الدَّم، فهذه السُنح.

غنى في الأول والثاني والسابع مَعْبَدٌ ثَقِيلًا أَوَّلٌ بالسَّيَّابَةِ في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر علي بن يحيى أن للغريص فيها خفيف ثقيل. وذكر حبش أن فيه للهُذَلِيِّ ثَانِي ثَقِيلٌ بالوسطى. وفي الثالث والرابع مع بيت ليس لزهير أضيف إلى الشعر وهو:

بِنَفْسِي مَنْ تَذَكَّرَهُ سَقَامٌ أَعَالَجَهُ وَمَطْلَبُهُ عَنَاءُ

في^(٧) هذه الأبيات الثلاثة خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها، ذكر إسحاق أنه للغريص، / وغيره ينسبه إلى ابن سريج وإلى ابن عائشة. وفي الرابع والخامس لعلويه رَمَلٌ لَا يُشَكُّ فِيهِ مِنْ غِنَائِهِ.

(١) الحساء: في بلاد غطفان.

(٢) ذو هامش: موضع في بلاد غطفان.

(٣) عرينات: اسم واد.

(٤) رواية «الديوان»:

وقد أغدو على ثبة كرام

والثبة: الجماعة من الناس.

(٥) رواية «الديوان»: «لهم راح».

(٦) في الأصول: «لم تلبث أن تذهب». وعبارة «لسان العرب»: «... وقال ابن السكيت: مشمولة سريعة الانكشاف، أخذه من أن الريح الشمال إذا هبت بالسحاب لم يلبث أن ينحسر ويذهب».

(٧) في الأصول: «وفي».

طلب من خاله بشامة وهو يحتضر أن يقسم له من ماله فقال له أورثتك الشعر:

وقال ابن الأعرابي حدثني أبو زياد، وذكر بعض هذا الخبر إسحاق الموصلي عن حماد الرواية وعن ابن الكلبي عن أبيه قال:

/ وكان بشامة بن الغدير خال زهير بن^(١) [أبي سلمى، وكان زهير منقطعاً إليه وكان مُعْجَباً بشعره. وكان^(٢/١٠) بِشَامَةُ رجلاً مُقْعَدًا ولم يكن له ولد، وكان مُكْثِرًا من المال، ومن أجل ذلك نزل إلى هذا البيت في غطفان لِحُثُولَتِهِمْ. وكان بِشَامَةُ أَحْزَمَ الناس رأياً، وكانت غطفان إذا أرادوا أن يَغْزُوا أَتَوْهُ فَاسْتَشَارُوهُ وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ، فَإِذَا رَجَعُوا قَسَمُوا لَهُ مِثْلَ مَا يَقْسِمُونَ لِأَفْضَلِهِمْ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَثُرَ مَالُهُ. وكان أَسْعَدَ غَطَفَانَ فِي زَمَانِهِ. فلما حَضَرَهُ الموتُ جعل يَقْسِمُ مَالَهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَيْنَ بَنِي إِخْوَتِهِ. فَأَتَاهُ زُهَيْرٌ فَقَالَ: يَا خَالَاهُ لَوْ قَسَمْتَ لِي مِنْ مَالِكَ! فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي لَقَدْ قَسَمْتُ لَكَ أَفْضَلَ ذَلِكَ وَأَجْزَلَهُ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: شعري وَرِثَتِيهِ، وَقَدْ كَانَ زُهَيْرٌ قَبْلَ ذَلِكَ قَالَ الشَّعْرَ، وَقَدْ كَانَ أَوَّلَ مَا قَالَ. فقال له زهير: الشعر شيء ما قلتَه فكيف تعتدُّ به عليّ؟ فقال له بِشَامَةُ: وَمِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهَذَا الشَّعْرِ! لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّكَ جِئْتَ بِهِ مِنْ مُزَيْنَةٍ، وَقَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنَّ حَصَاتِهَا وَعَيْنَ مَائِهَا فِي الشَّعْرِ لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ غَطَفَانَ ثُمَّ لِي مِنْهُمْ، وَقَدْ رَوَيْتَهُ^(٢) عَنِّي. وأحذاه^(٣) نصيباً من ماله ومات.



بشامة خاله شاعر مجيد وشيء من شعره:

وَبِشَامَةُ شَاعِرٌ مُجِيدٌ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

الْأَتْرَيْنَ وَقَدْ قَطَعْتَنِي^(٤) قِطْعًا
إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ يَوْمًا أَرَاخُ بِهِ

الغناء لإسحاق ثقیلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ.

/ / طلق زوجته أم أوفى ثم ندم فقال شعراً:

قال ابن الأعرابي:

أُمُّ أَوْفَى الَّتِي ذَكَرَهَا زُهَيْرٌ فِي شَعْرِهِ كَانَتْ أَمْرَأَتَهُ، فَوَلَدَتْ مِنْهُ أَوْلَادًا مَاتُوا، ثُمَّ تَزَوَّجَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرَأَةً أُخْرَى، وَهِيَ أُمُّ أَبْنَيْهِ كَعْبٌ وَبُجَيْرٌ؛ فَغَارَتْ مِنْ ذَلِكَ وَأَذْنَتْهُ، فَطَلَّقَهَا ثُمَّ نَدِمَ فَقَالَ فِيهَا:

لَعَمْرُكَ وَالْخَطُوبُ مُغَيَّرَاتٌ وَفِي طَوْلِ الْمُعَاشِرَةِ التَّقَالِي
لَقَدْ بَالَيْتُ مَظْعَنَ أُمِّ أَوْفَى وَلَكِنْ أُمُّ أَوْفَى مَا تُبَالِي^(٦)

(١) وضعنا هذه التكملة لما تقدّم في ص ٣٠٩.

(٢) يحتمل أن يكون: «وقد ورثته عني».

(٣) أحذاه: أعطاه.

(٤) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «قطعتني» بالنون. ويظهر أن الخطاب لزوجته أو للاثمة تلومه في الكرم.

(٥) يقال: راحت الريح الشيء إذا أصابه. ويقال: خبط الشجرة إذا شدها ثم نقض ورقها.

(٦) في أ، م: «لا تبالي».

فَأَمَّا إِذْ نَأَيْتَ فَلَا تَقُولِي لَذِي صَهْرٍ أَذِلْتُ وَلَمْ تُذَالِي^(١)
أَصَبْتُ بَنِيَّ مِنْكَ وَنَلْتُ مَنِي مِنْ اللَّذَاتِ وَالْحُلَلِ الْغَوَالِي

عانت امرأة ابنه سالماً فمات فرثاء:

وقال ابن الأعرابي:

كان لزهير ابنٌ يقال له سالم، جميل الوجه حسن الشعر. فأهدى رجلٌ إلى زهير بُرْدَيْنِ^(٢)، فَلَبِسَهُمَا الْفَتَى وَرَكِبَ فَرَساً لَهُ، فَمَرَّ بِأَمْرَأَةٍ مِنَ الْعَرَبِ بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ التَّاءُ^(٣)، فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطَّ رَجُلًا وَلَا بُرْدَيْنِ^(٤) وَلَا فَرَسًا. فَعَثَرَ بِهِ الْفَرَسُ فَأَنْدَقَتْ عُنُقَهُ وَعُتِقُ الْفَرَسِ وَأَنْشَقَّ الْبِرْدَانُ^(٥). فَقَالَ زُهَيْرٌ يَرِثِيهِ:

رَأَتْ رَجُلًا لَأَقَى مِنَ الْعِشِ غِبْطَةً وَأَخْطَأَ فِيهَا الْأُمُورَ الْعِظَائِمَ
وَشَبَّ لَهُ فِيهَا بَثُونٌ وَتُوبِعَتْ سَلَامَةً أَعْوَامَ لَهُ وَغَنَائِمَ
/ فَاصْبَحَ مَحْجُورًا^(٦) يُنْظَرُ حَوْلَهُ بِغِبْطَتِهِ^(٧) لَوْ أَنَّ ذَلِكَ دَائِمُ
وَعِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ فَقُلْتُ تَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْتَ حَالِمُ^(٨)
/ لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُرَاعَى بِفَاجِعٍ كَمَا رَاعَنِي يَوْمَ التَّاءِ سَالِمُ

[٣١٤/١٠]

١٥٨
٩

قال ابن الأعرابي:

هو وقومه شعراء:

كان لزُهيرٍ في الشعر ما لم يكن لغيره، وكان أبوه شاعراً، وحاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وأبناء كعب وبُجَيْرٍ شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة، وهي القائلة ترثيه:

وَمَا يُغْنِي تَوَقِّي الْمَوْتِ^(٩) شَيْئاً وَلَا عَقْدُ التَّمِيمِ وَلَا الْغَضَارُ
- وَالْغَضَارُ: كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ يَعْلُقُ فِي عُنُقِهِ خَزَفًا أَخْضَرَ -
إِذَا لَأَقَى مِنْيَّهِ فَاَمْسَى يُسَاقُ بِهِ وَقَدْ حَقَّ الْحِذَارُ
وَلَأَقَاهُ مِنَ الْأَيَّامِ يَوْمُ كَمَا مِنْ قَبْلُ لَمْ يَخْلُذْ قُدَارُ^(١٠)

وَأَبْنُ أَبْنَةِ الْمُضَرَّبِ^(١١) بَنُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ شَاعِرٌ، وَهُوَ الْقَائِلُ:

- (١) أذال المرأة: هزلها وأهانها. وفي المثل: «أخيل من مذالة» وهي الأمة لأنها تهان وهي تتبخر من حمقها.
- (٢) في الأصول: «بردين... البردتان» قال ابن سيدة: البرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشي. والبردة: كساء يلتحف به، وقيل غير ذلك. (راجع «اللسان» في مادة برد).
- (٣) التاء: ماء لبني عميلة أو ماء لغني. وقال الحفصي: التاء نخيلات لبني عطار. ويوم التاء من أيام العرب. («معجم البلدان» لياقوت).
- (٤) المحبور: المنعم. ومنه قوله تعالى: «ففي روضة يحبرون» أي ينعمون. وينظر حوله يميناً وشمالاً.
- (٥) كذا في «معجم البلدان» في الكلام على التاء. وفي «الأصول»: «تنبطه». وفي «الديوان» بشرح ثعلب: «بمغبطة». ولم ترد هذه الأبيات في «شرح الأهل».
- (٦) يخاطب ابنه. بقول: ما أنت فيه من السرور والشباب بمنزلة الحلم.
- (٧) في «اللسان» (في مادة غضر): «توقى المرء».
- (٨) قدار: هو قدار بن سالف عافر الناقة.
- (٩) في «شرح القاموس» (في مادة ضرب): «وكمحدث (بكسر الدال المشددة) ومعظم (بفتح الظاء المشددة) لقب عقبة بن كعب بن =

[٣١٥/١٠]

إنسي لأخيس نفسي وهي صادية
/ رُعوى^(١) عليه كما أزعى على هريم
عن مُضَعَبٍ ولقد بانَّت لي الطُّرُقُ
جَدِّي زُهَيْرٌ وفينا ذلك الخُلُقُ
ثم الغنى ويسد الممدوح تنطلق

ما امتاز به شعره وكان سبب تقديمه :

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال :

مَنْ قَدَّمَ زُهَيْرًا أَحْتَجَّ بِأَنَّهُ كَانَ أَحْسَنَهُمْ شِعْرًا، وَابْعَدَهُمْ مِنْ سُخْفٍ، وَاجْمَعَهُمْ لَكَثِيرٍ مِنَ الْمَعَانِي فِي قَلِيلٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ، وَأَشَدَّهُمْ مَبَالِغَةً فِي الْمَدْحِ، وَأَكْثَرَهُمْ أَمْثَالًا فِي شِعْرِهِ.

مرثية ابنه سالم :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال :

كَانَ لَزُهَيْرِ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ سَالِمٌ، وَكَانَ مِنْ أُمَّ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ؛ فَمَاتَ أَوْ قُتِلَ، فَجَزِعَ عَلَيْهِ كَعْبٌ^(٢) جَزَعًا شَدِيدًا، فَلَامَتَهُ أُمْرَانُهُ وَقَالَتْ: كَأَنَّهُ لَمْ يُصَبِّ غَيْرُكَ مِنَ النَّاسِ! فَقَالَ:

رَأْتُ رَجُلًا لَا قَى مِنَ الْعَيْشِ غِبْطَةً وَأَخْطَأْتُ فِيهَا الْأُمُورَ الْعِظَائِمُ
وَشَبَّ لِي فِيهَا بُتُونٌ وَتُوبِعَتْ سَلَامَةً أَعْوَامٌ لَهُ وَغَنَائِمُ
فَأَصْبَحَ مَجْبُورًا يَنْظُرُ حَوْلَهُ بِغِبْطَتِهِ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ دَائِمُ
وَعِنْدِي مِنَ الْآيَامِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ فَقُلْتُ لَهُ مَهْلًا فَإِنَّكَ حَالِمُ
لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُرَاعِيَ بِفَاجِعٍ كَمَا رَاعَنِي يَوْمَ الثَّأَةِ سَالِمُ

صوت

عَزَفْتُ وَلَمْ تَصْرِمْ وَأَنْتَ صَرُومُ وَكَيْفَ تَصَابِي مَنْ يُقَالُ حَلِيمُ
صَدَدْتُ فَأَطَوَلْتُ الصَّدُودَ وَلَا أَرَى وَصَالًا عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ

/ عَرَوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ. عَزَفْتُ عَنِ الشَّيْءِ: إِذَا تَرَكْتَهُ وَأَبْتَنَّهُ نَفْسُكَ. قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: يَقُولُ لَمْ تَصْرِمْ صُرْمٌ [٣١٦/١٠] بَنَاتٍ. وَلَكِنْ صَرَمْتُ صُرْمَ دَلَالٍ. وَأَطَوَلْتُ الصَّدُودَ أَيِ أَطْلَتُهُ. وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا ضَرُورَةً^(٣). الشَّعْرُ لِلْمَرَارِ بْنِ سَعِيدِ الْفَقْعَسِيِّ. وَالْغِنَاءُ لِإِسْحَاقَ رَمَلٍ.

= زهير. وبالوجهين ضبط في نسخة الصحاح. وفي كتاب «الشعر والشعراء» أنه شبيب بامرأة من بني أسد فقال: ولا عيب فيها غير أنك واجد

فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف فلم يمض وأخذ الدية، فسمي المضرب.

(١) رعوى عليه: أي بقيا عليه؛ يقال: أرعى فلان على فلان إذا أبقي عليه.

(٢) تقدم في ص ٣١٣ أن هذا الشعر قاله زهير في ابنه سالم.

(٣) في «لسان العرب» (في مادة طول): «وأطلت الشيء وأطولت على النقصان والتتمام بمعنى المحكم: وأطال الشيء وطوله وأطولته: جعله طويلاً. وكان الذين قالوا ذلك إنما أرادوا أن يتهبوا على أصل الباب. قال: فلا يقاس هذا إنما يأتي للتنبيه على الأصل».

/ ذكر المَرَّار وخبره ونسبه

[٣١٧/

نسبه وكان قصيراً ضئيل الجسم:

هو المَرَّارُ بن سَعِيد بن حبيب بن خالد بن نَضْلَةَ بن الأَشِيم بن جَعْوَان^(١) بن فَعَّس بن طَرِيف بن عمرو بن قَعِين^(٢) بن الحارث بن ثَعْلَبَة^(٣) بن دُوْدَان^(٤) بن أَسَد بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن الياس بن مُضَر بن نِزَار. وأمُّ المَرَّار ١٥٩ بنتُ مَرْوَان بن مُنْقِذ^(٥) الذي أغار على بني عامر بَثْلَان^(٦) فقتل منهم / مائة بحبيب بن مُنْقِذ^(٥) عمه^(٧)، وكانوا قتلوه.

وكان المَرَّار قصيراً مُفْرِطَ القَصْرِ ضئيل الجسم. وفي ذلك يقول:

عَدُونِي الثَعْلَبَ عِنْدَ الْعَدَدِ حَتَّى اسْتَشَارُوا بِي إِحْدَى الْإِحْدِ^(٨)
لَيْثاً هَزِيْراً ذَا سِلَاحٍ مُعْتَدِي^(٩) يَسْرِمِي بِطَرْفٍ كَالْحَرِيقِ الْمُوقَدِ

/ [٣١٨/ كان يهاجي المَسَاوِر بن هند:

وكان يُّهَاجِي المَسَاوِرَ بن هند بن قيس بن زُهَيْر بن جَذِيْمَةَ العَبْسِيَّة. وفيه يقول المَرَّار:
شَقِيَّتْ بَنُو سَعْدٍ بِشَغْرِ مَسَاوِرٍ إِنْ الشَّقِيَّ بِكُلِّ جَبَلٍ يُخْنَقُ
والمَسَاوِرُ القائل فيه:

(١) كذا في جـ وهو الصحيح كما في «شرح القاموس» (في مادة ججو). وفي «سائر الأصول»: «هوازن» وهو تحريف.

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «معين» بالميم وهو تحريف.

(٣) في جميع الأصول: «ثعلب». والتصويب عن «شرح القاموس» (في مادتي قعن وججو).

(٤) كذا في أ، م و «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» للقلقشندي وقد أورده في باب الذال المعجمة مع الواو. وفي سائر الأصول: «دودان» بالذال المهملة.

(٥) كذا في حـ. وفي أ، م: «منقذ» بالذال المهملة. ويظهر أنه مصحف عن منقذ بالذال المعجمة إذ لم يسم بهذا الاسم. وفي ب، س: «منقر» بالراء المهملة.

(٦) ثهلان: جبل ضخيم بالعالية عن أبي عبيدة. وقال نصر: ثهلان جبل لبني نمير بن عامر بن صعصعة بناحية الشريف به ماء ونخيل. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

(٧) يلاحظ أنه أخوه لا عمه إلا أن يكون منقذ جد مروان وسقط اسم أبيه.

(٨) إحدى الإحدى: الأمر المنكر الكبير. قال الشاعر:

* بمكاظ فعلوا إحدى الإحدى *

وإحدى الإحدى الداهية. يقول: حسبوني من عداد الثعالب عند لقاء الأبطال أروغ عنهم ولا أكافحهم حتى استثاروا مني داهية.

(٩) المعتدي: وصف من العدوان إلا أنه وقف على لغة ربيعة في تسكين المنصوب. وفي الأصول: «معند» بالنون وبدون ياء.

ويحتمل أن يكون مصحفاً عن «معند» وصف من أعتد الشيء إذا هيأه وأعدّه، وعلى هذا يكون وصفاً للسلاح. ويرمي بطرف كالحريق الموقد: أراد أن عينه في غضبه حمراء كالنار الموقدة الملتهبة. (راجع «لسان العرب» في مادة أحد، «وخزانة الأدب» للبغدادي ج ٣ ص ٢٩٣ و٢٩٤).

ما سرّني أنّ أمّي من بني أسدٍ وأنّ ربّي يُنجيني من النار
أو أنّهم زوجوني من بناتهم وأنّ لي كلّ يوم ألف دينار

من مخضرمي الدولتين أغار هو وأخوه بدر على بني عبس ونهب إبلهم فحبسهما الوالي:

والمَرَّار من مُخَضَّرمي الدولتين. وقد قيل: إنّ له لم يُدرك الدولة العباسية.

وقال هذه القصيدة وهو محبوس. ذكر محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المُفَضَّل والكوفيين:

أنّ المَرَّار بن سعيد كان أتى حُصَيْنَ بن بَرّاق من بني عَبَس، فوقف على بيوتهم فجعل يحدث نساءهم ويُشدهنَّ الشعرَ. فنظروا إليه وهم مجتمعون على الماء فظنوا أنّه يَعْظُهُنَّ. ثمّ أنصرف من عند النساء حتى وقف على الرجال. فقال له بعضهم: أنت يا مَرَّارُ تَقِفُ على آياتنا وتُشَدُّ النساءَ الشعرَ فقال: إنّما كنتُ أسألهم فجري بينه وبينهم كلامٌ غليظ، فوثبوا عليه وضربوه وعقرّوا بعيره؛ فأنصرف من عندهم إلى بني فُقْعَس فآخبرهم الخبرَ، فركبوا معه حتى أتوا بني عَبَس فقاتلوهم فهزموهم، وفَقَاتُ بنو فُقْعَس من بني عَبَس عيناً وقتلوا رجلاً ثمّ أنصرفوا. فحمل أبو شَذاد النَّصْرِيّ لبني عَبَس مائتي بعيرٍ وغلظوا عليهم في الدّية. ثمّ إنّ بدر بن سعيد أخا المَرَّار قال: قد استوفيت عَبَسَ حقّها، فعلاّم أترك ضربَ أخي وعَقَرُ جَمَلِهِ فخرج حتى أتى جَمالاً لبني عَبَس في المَرْعَى فرمى بعضُها فعقرها ثمّ أنصرف. فقال للمَرَّار: إنّ الله ما يُفَنِّعُ بهذا ولكن اخرج بنا. فخرجوا حتى أغارا على إبل لبني عَبَس فطرداها وتوجها بها نحو تيماء^(١). فلمّا كانا في بعض الطريق أنقطع بطانُ راحلة بدر / فتَنَدَّر^(٢) عن [١٩/١٠] رَحْلِهِ. فقال له المَرَّار: يا أخي أطعني وأنصرف ودَعْ هذه الإبل في النار، فأبى عليه. ثمّ سارا، فلمّا كانا في بعض الطريق عَرَضَ لهما ظبيٌّ أعْضَبُ^(٣) أحدِ القرنين. فقال المَرَّار لبدر: قد تطيَّرتُ من هذا السفر، ولا والله ما نرجع من هذا السفر أبداً، فأبى عليه بدرٌ. ففترقت عَبَسُ فرقتين في طلب الإبل، فعمدت فرقةً إلى وادي القُرَى^(٤)، وفرقةً إلى تيماء؛ فصادفوا الإبل بَتِمْماءِ تُباع، فأخذوا المَرَّارَ وبَدْرًا فرفعوهما إلى الوالي. وعُرفتْ سِمَاتُ عَبَس على الإبل فدفعَتْ إليهم، ورُفِعَ المَرَّارُ وأخوه إلى المدينة فضربا وحُجِسَا، فمات بدرٌ في الحبس. فكلَّمْتُ عِدَّةً من قريش زياد بن عبد الله النَّصْرِيّ في المَرَّار فخلّاه. وقال في حبسه:

* صَرَمْتَ ولم تُصْرِمِ وأنت صَرُومٌ *

وهي طويلة.

مات أخوه بدر في الحبس فرثاه:

وقال يَرِثِي أخاه بدرًا:

ألا يا لَقُومِي لِلتَّجَلُّدِ والصَّبْرِ وللقدَرِ السَّارِي إليك وما تَذْهَبِي
/ وللشيءِ تَنْسَاهُ وتَذْكَرُ غَيْرَهُ وللشيءِ لا تَنْسَاهُ إلا على ذُكْرٍ

(١) تيماء: بليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق.

(٢) ندر عن رحله: سقط.

(٣) الأعضب: المكسور.

(٤) وادي القرى: واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى.

وما لكما بالغيب علم فتخيرًا وما لكما في أمر عثمان من أمرٍ

. وهي طويلة، يقول فيها:

ألا قاتل الله المقادير والمُنَى وطيراً جَرَتْ بين الشُعافات^(١) والجَبْرِ^(٢)
وقاتل تكذيبي^(٣) العِيافة بعدما زجرتُ فما أغنى أعتيافي ولا زَجْري
/ تَرَوِّحُ فقد طال الثَّوَاءُ وقُضِيَتْ مَشَارِيطُ كانت نحوَ غايتها تجري

[٣٢٠/١]

- المشاريط: العلامات والامارات -

وما لَقُفُولٍ^(٤) بعد بدرٍ بشاشة ولا الحيّ آتيهم ولا أوبى السَّفَرِ
تُذَكِّرُنِي بدرًا زَعازُعُ حُجْرَةٍ^(٥) إذا عَصَفَتْ إحدى عَشِيَّاتها الغُبْرِ

- الزعازُع: الشديدة الهبوب. والحجرة^(٥): السنة الشديدة -

إذا شَوَّلْنَا^(٦) لم نُؤْتَ منها بمخلَبٍ قَرَى الضَّيْفَ منها بالمهتد ذي الأثرِ
وأضيافُنَا إن تَبَّهَوْنَا ذَكَرْتُهُ فكيف إذا أنساه غابرة الدهرِ
إذا سَلَّم السَّارِي تهَلَّلَ وَجْهُهُ على كل حالٍ من يَسَارٍ ومن غُسرٍ
تَذَكَّرْتُ بدرًا بعدما قِيلَ عَارِفٌ^(٧) لما نَابَهُ يا لَهْفَ نفسي على بدرٍ
إذا خَطَرْتُ منه على النفس خَطَرَةً مَرَّتْ^(٨) دمعَ عيني فاستَهَلَّ على نَحْرِي
وما كُنْتُ بَكَّاءً وَلَكِنْ يَهِيْجُ^(٩) لِي على ذِكْرِهِ طِيبُ الخلائق والغُبْرِ
أعيني إنسي شاكر ما فعلتما وَحُقَّ لِمَا أَبْلَيْتُمَا نِسيَ بالشكرِ
سَأَلْتُكُمَا أَنْ تُسْعِدَانِي فَجُذْتُمَا عَوَانِيْنَ^(١٠) بالثَّسْجَامِ بِأَقْبَتِي^(١١) قَطْرٍ

(١) في «معجم البلدان»: «السعافات بضم أوله وبعد الألف فاء وآخره تاء مثناة من فوق موضع في قول المرار». واستشهد بهذا البيت.

(٢) الجبر (بالكسر ثم السكون): اسم واد، كذا ذكره ياقوت في «معجم البلدان» واستشهد بأبيات من هذه القصيدة. وفي «الأصول: «الحجر» بالجيم.

(٣) في ياقوت: «وقاتل تريب العيافة».

(٤) في حد: «وما لقفولي».

(٥) في الأصول: «حجرة» بتقديم الحاء المهملة على الجيم وهو تصحيف. وفي ياقوت: «لزبة» وسنة لزبة: شديدة.

(٦) الشول: جمع شائلة، وهي من الإبل ما أتى عليها من وضعها أو حملها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وخف لبنها. والمخلَب: إناء يحلب فيه. والأثر (بالفتح وبالكسر وبضمتين): فرند السيف وروثقه. ورواية هذا البيت في كتاب «الشعر والشعراء». ص ٤٤١ طبع أوربا: «إذا شولنا لم نسع فيها بمرفد... إلخ».

(٧) عرف للأمر: صبر.

(٨) مرت دمع عيني: أرسلته وأسبلته. واستهل: سال.

(٩) في ب، س: «يهيجني».

(١٠) العوان: النصف في سنه من كل شيء. والحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد أخرى، كأنهم جعلوا الأولى بكرة. والحرب العوان هي أشد الحروب. فلعله يريد أن عينه سجمتا الدمع أي أسالته مرة بعد أخرى.

(١١) كذا في كتاب «الشعر والشعراء». ووردت هذه الكلمة في «الأصول مصحفة، ففي بعضها: «يا قتي» وفي بعضها الآخر: «يا قتي».

[٣٢١/١٠]

/ فَلَمَّا شَفَانِي الْيَأْسُ عَنْهُ بَسَلُوهُ وَأَعْذَرْتُمَا لَا بَلَّ أَجَلَ مِنَ الْعَذْرِ
نَهَيْتُكُمَا أَنْ تُسْهِرَانِي^(١) فَكُتُمَا صَبُورَيْنِ بَعْدَ الْيَأْسِ طَاوِيَتَنِي غُبْرُ
يقول: طويتما أغبارَ دمعكما. والأغبار: البقايا كأغبار اللبَن.

خرج حاجباً وأضافه قرشي بالأبطح:

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال حَدَّثَنِي رَجُلٌ عَنْ وَاصِلِ بْنِ زَكْرِيَّا بْنِ الْمَرَّارِ أَنَّ الْمَرَّارَ
قال:

خَرَجْتُ حَاجِبًا فَأَنْخَضْتُ بِنَاحِيَةِ الْأَبْطَحِ، فَجَاءَ قَوْمٌ فَتَحَّزَنِي عَنْ مَوْضِعِي وَضَرَبُوا فِيهِ قُبَّةً لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ.
فَلَمَّا جَاءَ وَجَلَسَ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ:

هَذَا قَعُودِي بِأَرْكَابِ الْأَبْطَحِ عَلَيْهِ عِكْمًا^(٢) أَكْمُرُ^(٣) لَمْ تُفْتَحِ
فقال: وما قصتك؟ فأخبرته. فقال: والله لا تفتحُ منهما شيئاً حتى تنصرفَ، فأقمَ معنا، يذكُ مع أيدينا،
وقَعُودُكَ مع آبَائِنَا^(٤). فوالله ما فتحتُ العِدْلَيْنِ حتى أنصرفتُ بهما إلى أهلي. فما هجاني أحدٌ قطُّ هجاءه.

حبس هو وأخوه بدر، وشعره في الحبس:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِي قال حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَازٌ عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو مَوْهَبٍ رُتَيْلُ
الزُّبَيْرِي أَحَدُ بَنِي زُبَيْرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قُعَيْنٍ قَالَ:

كَانَ الْمَرَّارُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَخُوهُ بَدْرٌ لَصَيْنِ، وَكَانَ بَدْرٌ أَشْهَرَ مِنْهُ بِالسَّرْقَةِ وَأَكْثَرَ غَارَاتٍ عَلَى النَّاسِ. فَأَغَارَ بَدْرٌ
عَلَى ذَوْدٍ^(٥) لِبَعْضِ بَنِي غَنَمِ بْنِ ذُوْدَانَ^(٦) فَطَرَدَهَا، فَأَخِذَ / وَرَفَعَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حَيَّانَ / الْمُرِّي، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى
الْمَدِينَةِ فَحَبَسَهُ. وَطَرَدَ الْمَرَّارُ طَرِيدَةً فَأَخِذَ مَعَهَا وَهُوَ يَبِيعُهَا بِوَادِي الْقُرَى أَوْ بِبَرْمَةٍ^(٧)، فَرَفَعَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حَيَّانَ
فَحَبَسَهُ. قَالَ: فَأَجْتَمَعَا وَمَكْنَا فِي السَّجْنِ مَدَّةً؛ ثُمَّ أَقْلَتِ الْمَرَّارُ وَبَقِيَ بَدْرٌ فِي السَّجْنِ حَتَّى مَاتَ مَحْبُوساً مَقِيداً.
فَقَالَ الْمَرَّارُ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ:

أَنَارَ بَدَتْ مِنْ كُوَّةِ السَّجْنِ ضَوْءُهَا^(٨) عَشِيَّةَ حَلِّ الْحَيِّ بِالْجَرَعِ^(٩) الْعُفْرِ

(١) في كتاب «الشعر والشعراء»: «أن تشمتا بي».

(٢) العكم: العدل وهو الغرارة.

(٣) أكمر: جمع كمر (بكسر الكاف وسكون الميم) نحو ذئب وأذؤب. وهذا الجمع سماعي في مثل هذا الوزن. والكم من البسر: ما
لم يوطب على نخلة ولكنه سقط فأرطب على الأرض.

(٤) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «أقاعدنا» وهذا الجمع لم يرد في «كتب اللغة» في جمع قعود.

(٥) الذود: ثلاثة أبعرة إلى التسعة، وقيل إلى العشرة، وقيل غير ذلك. ولا يكون إلا من الإناث. وهو واحد وجمع كالفلك.

(٦) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣١٧ وغنم هو أخو ثعلبة المذكور في تلك الصفحة. (راجع كتاب «سبائك الذهب» في معرفة قبائل العرب»
للسويدي ص ٥٨ طبع بغداد سنة ١٢٧٠ هجرية).

(٧) برمة (بكسر أوله): عرض من أعراض المدينة بين خيبر ووادي القرى.

(٨) كذا في الأصول. بتأنيث الفعل لإضافة الفاعل إلى ضمير المؤنث.

(٩) كذا في حـ بالراء المهملة. والجرج بالتحريك: جمع جرعة بالتحريك أيضاً وهي هنا الرملة العذاة الطيبة التي لا وعودة فيها. وفي
سائر الأصول: ألجزع بالزاي المعجمة وهو تصحيف.

عَشِيَّةَ حَلِّ الحَسِيِّ أَرْضاً خَصِيْبَةً يَطِيْبُ بِهَا مَسُّ الجَنَائِبِ^(١) والقَطَرِ
 فَيَا وَيْلَتَا^(٢) سَجَنَ الِيَمَامَةِ أَطْلَقَا أَسِيرَكَمَا يَنْظُرُ إِلَى البرقِ مَا يَقْرِي^(٣)
 فَإِنْ تَفْعَلَا أَحْمَذُكُمَا وَلَقَدْ أَرَى بَأْنَكُمَا لَا يَنْبَغِي لَكُمَا شَكْرِي
 وَلَوْ فَارَقْتُ رَجُلِي الْقِيوُدُ وَجَدْتُني رَفِيقاً بَنَصُّ الْعِيْسِ^(٤) فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ
 جَدِيراً إِذَا أُمْسَى بِأَرْضٍ مُضَلَّةٍ^(٥) بِتَقْوِيْمِهَا حَتَّى يُرَى وَضَحُ الْفَجْرِ
 خَاصِمَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ وَسَابِهِ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْراً:
 وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِي:

كَانَ بَيْنَ الْمَرَّارِ بْنِ سَعِيدٍ وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ لِحَاءً، فَتَقَاذَفَا وَتَسَابَا، ثُمَّ صَارَا إِلَى الضَّرْبِ بِالْعَصَا؛ فَقَالَ فِي ذَلِكَ:

أصوت

[٣٢٣/١٠]

الْمَ تَرَبَّعَ فَتُخْرِكَ الْمَغَانِي فَكَيْفَ وَهْنٌ مُذْ حَجَجَ ثَمَانِ
 بَرِثْتُ مِنَ الْمَنَازِلِ غَيْرَ شَوْقِي إِلَى الدَّارِ الَّتِي يَلْوِي أَبَانِ^(٦)
 لِإِسْحَاقَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ هَزَجٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ مِنْ كِتَابِ أَبْنِ الْمَكِّي.
 كَانَ أَخُوهُ بَدْرُ شَاعِراً، وَشَيْءٌ مِنْ شِعْرِهِ:
 وَكَانَ بَدْرُ بْنُ سَعِيدٍ^(٧) أَخُو الْمَرَّارِ شَاعِراً وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

أصوت

يَا حَبَّذَا حِينَ تُنْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً وَادِي أَشْيٍ^(٨) وَفَتِيَانٌ بِهِ هُضُمٌ^(٩)
 مُخَذَّمُونَ كِرَامٌ فِي مَجَالِسِهِمْ وَفِي الرُّحَالِ إِذَا لَا قِيَتَهُمْ خَدَمٌ

- (١) الجَنَائِبُ: جمع جنوب وهي الرياح التي تقابل الشمال. ومنه إذا جاءت الجنوب معها خير وتلقيح.
- (٢) هكذا في جميع الأصول: وَيَا وَيْلَتَا بمعنى يَا فُضِيحَتَا. وقد أشكل علينا مرجع الضمير المثنى في قوله «أطلقا أسيركما». ولهذا يحتمل أن تكون هذه الكلمة محرفة عن مثل قوله «فيا حارسي سجن اليمامة» أو نحو ذلك.
- (٣) يقري: يشق؛ والبرق يشق الظلام.
- (٤) نص العيس: استحثاثها واستقصاء آخر ما عندها من السير.
- (٥) أرض مضلة (بفتح الضاد وتكسر): يضل فيها الطريق.
- (٦) أبان: يطلق على موضعين هما أبان الأبيض وأبان الأسود. فالأبيض شرقي الحاجر فيه نخل وماء وهو لبني فزارة وعيس. والأسود: جبل لبني فزارة خاصة، وبينه وبين الأبيض ميلان. (عن «معجم البلدان» لياقوت).
- (٧) في «لسان العرب» (في مادة هضم) و«معجم البلدان» في الكلام على أشي وشعوب ونقم أن قائله زياد بن منقذ. وفي «شرح الحماسة» للتبريزي طبع أوربا ص ٦٠٨ أن قائله زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث ويقال زياد بن منقذ. ومثله في «لسان العرب» (في مادة أشي) غير أنه ورد فيه: «زياد بن حمد» بالدال محرفاً.
- (٨) أشي: موضع بالوشم. والوشم: واد باليمامة؛ ذكر ذلك ياقوت واستشهد بالأبيات.
- (٩) هضم: جمع هضم. وفتيان هضم: يهضمون المال أي يكسرونه وينفقونه.

وما أصاحب من قوم فاذكركم
إلا يزيدهم حباً إلي هم^(١)
الغناء لابن مخرز ثاني ثقل بالخنصر والبصر عن ابن المكي. وفيه لمتيم خفيف رمل. وذكر حبش، أن
الثقل للهذلي. وفيه لمحمد بن الحارث بن بسخر ثقل أول عن الهشامي.

[٣٢٤/١٠]

/ صوت

/ صوت ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة:

خطاطيف حُجْنٍ في جبال متينة تمذُّبها أيد إليك نوازعُ
فإن كنت لا ذا الضغن عني مكذباً ولا حلفي عند البراءة نافعُ
فإنك كالليل الذي هو مُذكركي وإن خلت أن المتئى عنك واسعُ
عروضه من الطويل. يقول: أنا في قبضتك متى شئت قدّرت عليّ كأنني في خطاطيف تجذبني إليك ولا
أقدر على الهرب منك. ويروى «وإن خلت أن المتئى» أي الموضع الذي أنتوي قصده. والمتئى: المفتعل من
النأي والحجن: المعوجة. والتوازع: الجواذب. والضغن: الحقد.
الشعر للنابغة الذبياني. والغناء لابن صاحب الوضوء من رواية إسحاق وعمرو ما خوري بالبصرة.

انتهى الجزء العاشر من كتاب الأغاني

ويليه الجزء الحادي عشر

وأوله أخبار النابغة ونسبه

(١) ارتفع «هم» الأخير بيزيد. وقد وضع الضمير المنفصل موضع المتصل؛ لأنه كان الوجه أن يقول إلا يزيدونهم حباً إلي؛ ومثله
لطرفة:

أصرمت جبل الحي إذ صرموا يا صاح بل صر. لوصال هم
(عن «شرح ديوان الحماسة» للبربري).



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس موضوعات الجزء العاشر

الموضوع	الصفحة
- أخبار دزید بن الصمة ونسبه	٢٤٣
- أخبار المعتضد في صنعة هذا اللحن وغيره من الأغاني	٢٦٩
- أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه	٢٧١
- صنعة أولاد الخلفاء الذكور منهم والإناث	٢٩٠
- أخبار مروان بن أبي حفصة ونسبه	٢٩٢
بعض أخبار إبراهيم بن المهدي	٣٠٨
- أخبار أبي النجم ونسبه	٣٤٤
- أخبار علي بن بنت المهدي ونسبها وتنف من أحاديثها	٣٥٣
- أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه	٣٧٠
وممن عرفت له صنعة من أولاد الخلفاء: عبدالله بن موسى الهادي	٣٧٥
وممن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء: عبدالله بن	
محمد الأمين	٣٧٨
- أخبار عبدالله بن محمد ونسبه	٣٧٩
وممن صنع من أولاد أبو عيسى بن المتوكل	٣٨٢
- أخبار علي بن الجهم ونسبه	٣٨٣
ومن صنعة أبي عيسى بن المتوكل	٤٠٦
- أخبار أبي دلامه ونسبه	٤٠٧
- أخبار عبدالله بن المعتز	٤٣٤
أبيات من معلقة زهير	٤٤٢
- نسب زهير وأخباره	٤٤٣
- ذكر المزار وخبره ونسبه	٤٦٢
فهرس موضوعات الجزء العاشر	٤٦٩